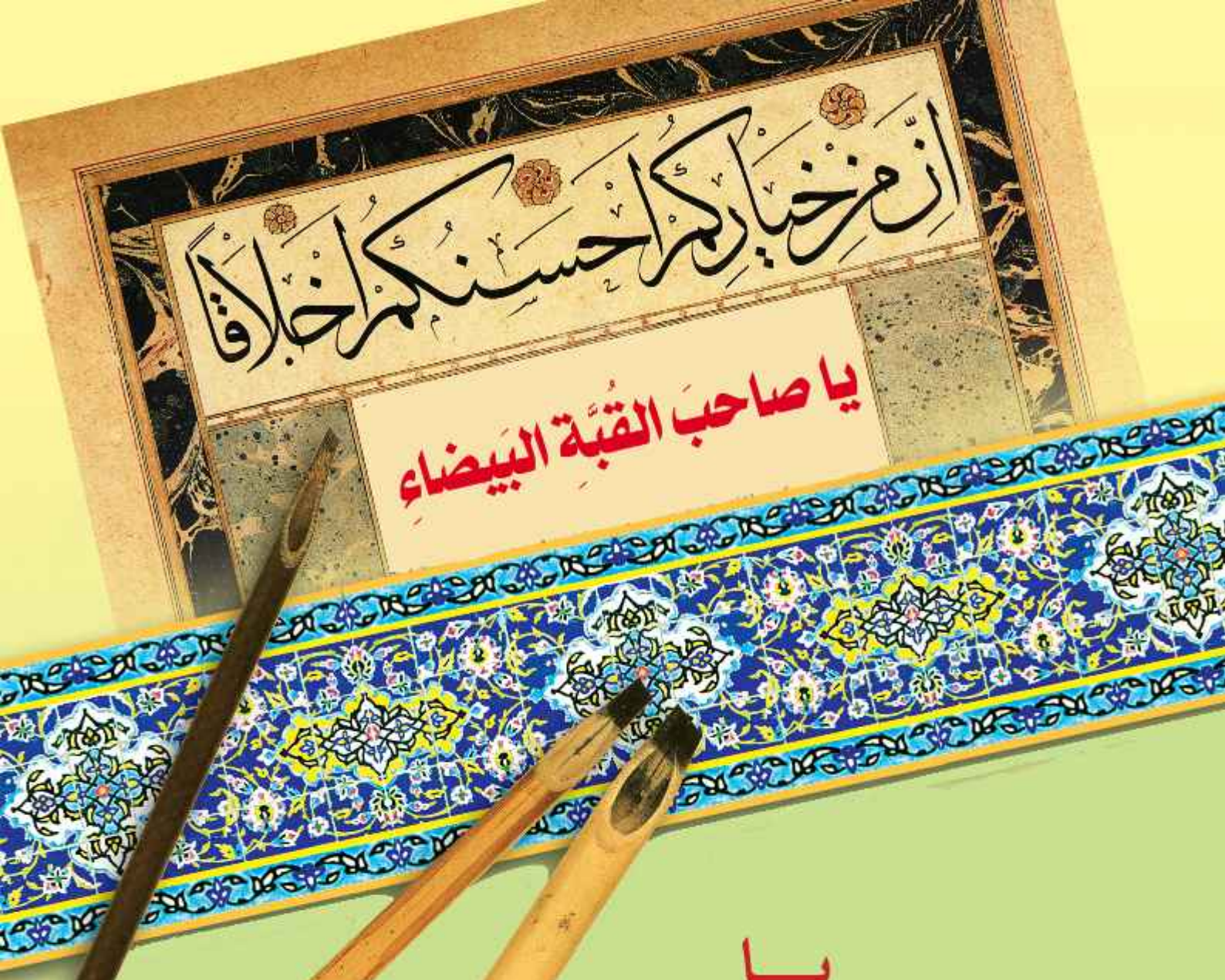

يا صاحبَ القُبَّة البَيضاءِ

يـــا

صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ في النَّجَـفِ
مَن زارَ قَبرُكَ واسْتَشفى لَدَيكَ شُفِي
زوروا أَبا الحَسَنِ الهادي لَعَلَّكُـــمُ
تُحظَون بالأجرِ والإقبالِ والزُّلَف
زوروا لِمَن تُسْمَعُ النَّجوى لَديهِ فَمَنْ
يَزرهُ بالقَبرِ مَلهوفاً لَديهِ كُفِـــي
إذا وَصَلْ فَاحْرِمْ قَبْلَ تَدْخُلَهُ
مُلَبِّيـاً وإسْعَ سَعْياً حَولَهُ وطُـفِ
حَتَّى إذا طِفْـــتَ سَبْعاً حَولَ قُبَّتِهِ
تأَمَّـلْ البابَ تَلْقى وَجْهَهُ فَقِـــفِ
وقُل سَلامٌ من اللهِ الســـلامِ على
أَهـلِ السلامِ وَأهلِ العلمِ والشـرَفِ

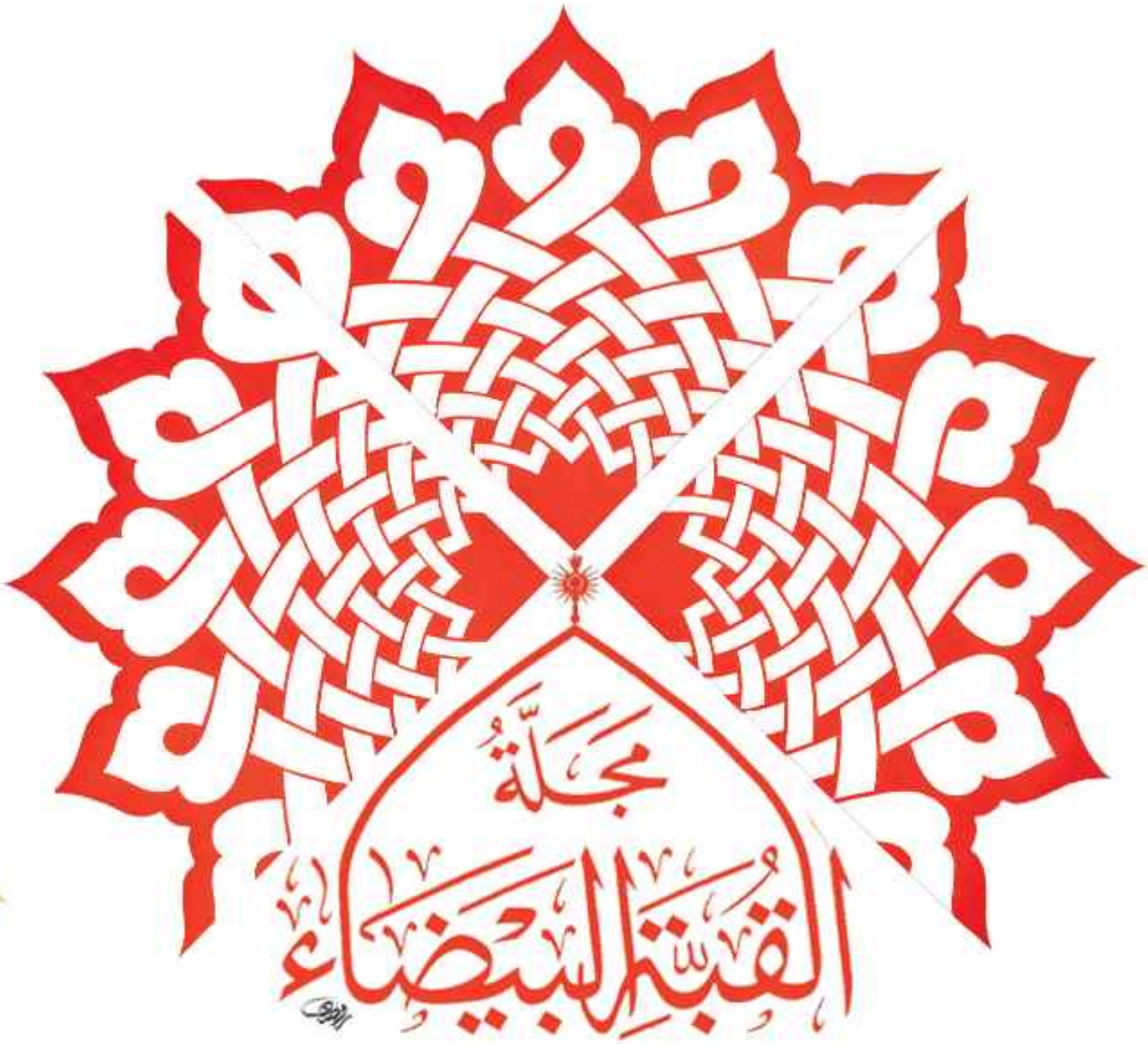

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية

السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

العدد (٩)جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م المجلد التاسع

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: الرقم: ب ت/ ٤/ ٨١٦٥
Date التاريخ: ٢٠/ ٧/ ٢٠٢٥

ديوان الوقف الشيعي/ دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة القبة البيضاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٣٧٥ بتاريخ ٢٠٢٥/٧/٩، والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٤/ ٣٠٠٨ في ٢٠٢٤/٣/١٩، والمتضمن استحداث مجلتكم التي تصدر عن دائرتكم المذكوره اعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا اعلاه موافقة نهائية على استحداث المجلة.

...مع وافر التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ٧ /١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادرة

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة القبة البيضاء مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

مهند ابراهيم
١٥/ تموز

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المشرف العام
عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ . د . سامي حمود الحاج جاسم
التخصص/تاريخ إسلامي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

مدير التحرير
حسين علي محمّد حسن
التخصص/لغة عربية وآدابها
دائرة البحوث والدراسات/ديوان الوقف الشيعي

هيأة التحرير
أ . د . علي عبد كنو
التخصص / علوم قرءان /تفسير
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية
أ . د . علي عطية شرقي
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد
أ . م . د . عقيل عباس الريكان
التخصص/ علوم قرءان تفسير
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
أ . م . د.أحمد عبد خضير
التخصص/ فلسفة
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
م.د. نوزاد صفر بخش
التخصص/ أصول الدين
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
أ.م . د . طارق عودة مري
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

هيأة التحرير من خارج العراق
أ . د . مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان/لغة عربية..لغة
أ . د . محمّد خاقاني
جامعة اصفهان / إيران / لغة عربية..لغة
أ . د . خولة خمري
جامعة محمّد الشريف / الجزائر /حضارة وأديان..أديان
أ . د . نور الدين أبو لحية
جامعة باتنة / كلية العلوم الإسلامية / الجزائر
علوم قرءان/ تفسير

التدقيق اللغوي
أ . م . د . علي عبدالوهاب عباس
التخصص / اللغة والنحو
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

الترجمة
أ . م . د . رافد سامي مجيد
التخصص/ لغة إنكليزية
جامعة الإمام الصادق (عليه السلام) كلية الآداب

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي
مجلة القبة البيضاء
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات

مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN3005_5830

رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٧)
لسنة ٢٠٢٣

البريد الالكتروني
إيميل
off_research@sed.gov.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals

الرقم المعياري الدولي
(3005-5830)

دليل المؤلف.....

١-إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢- إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣-أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤-أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصفية APA

٦-أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧-أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨-أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩-أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠-تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١-في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢-يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣-يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤-لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥-لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦-دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧-يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨-يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩-يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.

٢٠-تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١-ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكتروني: (off_research@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢-لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	موقف الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني من التطورات السياسية في ألمانيا الغربية (١٩٦٢-١٩٦٥)	م. د. أرشد حمزة حسن	٨
٢	توظيف الذكاء الاصطناعي في تحقيق روايات الحديث:دراسة تقويمية في ضوء قواعد مصطلح الحديث	أ.م.د. عبدالحميد مزاحم شاكر	٢٤
٣	العاطفة في شعر آل البيت للشعراء المحدثين	م. د. رملة عبد الحسين عليوي	٣٤
٤	الصناعة في عصر الذكاء الاصطناعي» مقال مراجعة»	م. د. شيماء حسين صالح	٤٨
٥	أثر تغيرموضوعات الأحكام في المسائل المستحدثة	م. د. ستار عباس الصخي	٥٦
٦	هنري نوكس ودوره السياسي والعسكري في الولايات المتحدة الامريكية (١٧٥٠ – ١٨٠٦)	نبأ عبد العزيز شاكر رجب أ.م. د. حليم عباس عبيد	٦٨
٧	الجهل المركب والجهل البسيط في ضوء القرآن الكريم: تحليل دلالي وتربوي	الباحثة ندى فوزي أ.د محسن قحطان حمدان	٨٠
٨	موقف النجف الأشرف من الوجود البريطاني في العراق «١٩١٤-١٩٢٢»	م. م. علي مصدق حسن	٨٨
٩	السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة «٢٠٠٤-٢٠٢٠»	م. علياء حمود مزيعل	١٠٢
١٠	أثر تطبيق الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة في دعم مبادئ التسويق السياحي المستدام: دراسة ميدانية في المدن السياحية الدينية بالعراق	الباحثة: زهراء صباح محمد	١١٤
١١	أبعاد الزمن في الفكر الجغرافي:الزمن الجيولوجيمقابل الزمن الاجتماعي وأثرهما في المفاهيم الجغرافية دراسة حالة العراق	م. م سوسن رؤوف سعيد	١٣٢
١٢	مهارات التفكير المنتج وعلاقتها بتحصيل مادة الرياضيات لدى طلاب الصف الثاني المتوسط	م. م. حذيفة جاسم محمد	١٤٤
١٣	أثر تطبيقات الذكاء الاصطناعي على المحاسبة الإدارية «دراسة ميدانية على موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط»	م. م. حسين نعمة إبراهيم	١٥٦
١٤	التعبير القرآني وبناء الشخصية المسلمة قراءة بلاغية تربوية	م. م. مرتضى علي الموسوي م. م. هبه مرتضى الموسوي	١٧٢
١٥	انتهاك حق الانسان في بيئة نظيفة ومسؤولية الادارة	د. علي مشهدي الباحث: غزوان علي كاظم	١٨٤
١٦	الاشارات التفسيرية عند السيد الطباطبائي في تفسيره كتاب الميزان في تفسير القرآن دراسة وصفية	م. علاء جبار كريم م. م سارة أياد ياسين	٢٠٢
١٧	أثر استجراتيجية اوريلي في تحصيل طالبات الخامس العلمي في مادة الكيمياء	م. م. هبه حسن كاظم	٢٢٢
١٨	إلزامية التعليم في القوانين العراقية	م. م. ستار جبار مزعل	٢٣٦
١٩	الاحزاب السياسية الايرانية في عهد رضا شاه بهلوي (١٩٢٥ – ١٩٢٦) وأثرها على الحياة العامة	م. م. ندى وحيد حسين	٣٤٦
٢٠	دور الكرد في الدبلوماسية العراقية ١٩٣٤-١٩٦٨	م. م. عماد علي مهدي	٢٥٦
٢١	المدد الإلهي وتجليه في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) وبعدها	م.م. إيناس محمد راضي م. شيماء داود لطيف	٢٦٢
٢٢	جذور العلاقات العراقية ، الكويتية من العهد العثماني الى العهد الجمهوري	م. م. أسامة كاظم مغتاض	٢٧٨
٢٣	مسيرة جهاد الرسول (صلى الله عليه وآله)ومعاناته من أجل نشر الإسلام	م. م. رجاء فاضل ضمد	٢٨٨
٢٤	دور القنوات التلفزيونية الفضائية في نشر الوعي البيئي في محافظة ذي قار»دراسة مسحية على طلبة جامعة ذي قار	م. م. أسماء يوسف راضي	٣٠٢
٢٥	تأثير وسائل الإعلام على السياسة العامة في عصر المعلومات	م.م. رائد كريم خميس	٣١٤
٢٦	التعدي على مقدسات الغير مرتكزاته ومحذوراته وموجبات تحريمه في الفقه الإسلامي و القانون العراقي	الباحث: مهدي عبد مسلم د. حسن منهج عسكري د. احمد صاحب سواري	٣٢٦
٢٧	السيدة زينب عليها السلام في ضوء السنن القرآنية من الابتلاء الى التمكين دراسة موضوعية	م. م. اكرام نوري مصطفى	٣٤٢
٢٨	The Effect of Flexible Seating on Focus and Collaborative Behavior in a 2nd Intermediate Classroom	Suha Okab Sarhan Salwan Adnan Ahme	٣٦٠
٢٩	الاقتباس القرآني في شعر الفرزدق	الباحث: نبراس فاضل حسن	٣٨٢
٣٠	السيدة زينب عليها السلام في ضوء السنن القرآنية من الابتلاء الى التمكين دراسة موضوعية	م. م. أحمد أسامة علاء الدين	٣٩٨
٣١	الشكل الرافديني كمرجعية في الرسم العراقي المعاصر	أ.د. سلام ادور يعقوب أوحى أكثم عبد الطيف	٤١٢

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

موقف الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني من التطورات السياسية في ألمانيا الغربية (١٩٦٢-١٩٦٥)

م. د. أرشد حمزة حسن
ديوان الوقف الشيعي/ مديرية الوقف الشيعي / بابل



المستخلص:

تضمن البحث مقدمة وثلاثة محاور ناقش المحور الاول موقف الحزب الاشتراكي الديمقراطي من العلاقة مع المانيا الديمقراطية، ولاسيما موضوع جدار برلين فكان قادة الحزب يفكرون بصورة جدية في اعادة فتح ذلك الجدار والتواصل مع مواطنين المانيا الديمقراطية الى جانب استغلال الطاقات العمالية الوافدة من المانيا الديمقراطية، وتابع المحور الثاني الاصلاحات الداخلية للحزب الاشتراكي الديمقراطي ومن اهمها عودة الوحدة الالمانية عن طريق اقناع الولايات المتحدة الامريكية بذلك، وتكفل المحور الثالث والاخير بتسليط الضوء على حملة الحزب الاشتراكي الديمقراطي في الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٦٥، تنوعت مصادر ومراجع البحث بين الوثائق و البحوث والدراسات والكتب ومعظمها باللغة الالمانية .

الكلمات المفتاحية: (المانيا، الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، جدار برلين، الوحدة الالمانية، المانيا الديمقراطية).

Abstract:

The research included an introduction and three axes. The first axis discussed the position of the Social Democratic Party on the relationship with the German Democratic Republic, especially the issue of the Berlin Wall. The party leaders were thinking seriously about reopening that wall and communicating with the citizens of the German Democratic Republic, as well as exploiting the labor energies coming from the German Democratic Republic. The second axis continued. The internal reforms of the Social Democratic Party, the most important of which is the return of German unity by persuading the United States of America to do so. The third and final axis ensured highlighting the campaign of the Social Democratic Party in the parliamentary elections of 1965. The sources and references for research varied between documents, research, studies and books, most of which were in German.

Keywords: Germany, the Social Democratic Party, the Berlin Wall, German Unity, the German Democratic Republic.

المقدمة:

يعد الخوض في دراسة تاريخ اوروبا المعاصر ميداناً خصباً للبحوث الدراسات ومن هذا المنطلق جاء حب الغريزة الفكرية والاطلاع على ما قام به الحزب الاشتراكي الديمقراطي من نشاطات سياسية داخلية في المانيا، ولاسيما انه احد الاحزاب المهمة ولها بصمة سياسية لا غبار عليها في تاريخ المانيا، وربما تاريخه السياسي الذي يعود الى القرن التاسع عشر يشفع له للقيام بذلك الدور وهنا تكمن اهمية الموضوع.

وهناك عدة اسباب لاختيار الموضوع وفي مقدمتها حب المعرفة والاطلاع عن التطورات السياسية الداخلية في المانيا وكيف تعامل معها الحزب، فضلا عن عدم وجود دراسة او بحث عن هذا الموضوع في مكتبتنا العربية هذا من ناحية ومن ناحية اخرى تضمن البحث مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة ناقش المحور الاول موقف الحزب الاشتراكي الديمقراطي من العلاقة مع المانيا الديمقراطية ولاسيما موضوع جدار برلين فكان قادة الحزب يفكرون بصورة جدية في اعادة فتح ذلك الجدار والتواصل مع مواطنين المانيا الديمقراطية الى جانب استغلال الطاقات العمالية الوافدة من المانيا الديمقراطية،

وتابع المحور الثاني الاصلاحات الداخلية للحزب الاشتراكي الديمقراطي ومن اهمها عودة الوحدة الالمانية عن طريق اقناع الولايات المتحدة الامريكية بذلك، وتكفل المحور الثالث والاخير بتسليط الضوء على حملة الحزب الاشتراكي الديمقراطي في الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٦٥ .

تنوعت مصادر ومراجع البحث بين البحوث والدراسات والكتب ومعظمها باللغة الالمانية ومن الطبيعي ان تكون هناك صعوبات التي الحصول على معلومات مفصلة بصورة اكثر ولكن المعلومات المتواضعة الموجودة ممكن ان تعالج بعض ثغرات الموضوع والله ولي التوفيق.

أولاً: موقف الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني من المانيا الديمقراطية

أثبت أعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي وعلى رأسهم ويلي برانت رفضهم القاطع لسياسة حكومة المانيا الديمقراطية واصرارها على بقاء (جدار برلين) كحد فاصل يمزق جسد المانيا(١) ، وفي هذا الصدد قال ويلي برانت في مقابلة أجرتها معه مجلة (شبيجل Spiegel) الالمانية في العاشر من كانون الثاني عام ١٩٦٢ « أنا مستعد للتفاوض مع برلين الشرقية..... وان هذا الجدار يجب أن يزول وإذا لم يكن ذلك قابلاً للتنفيذ ، فيجب على المرء على الأقل ان يحاول ثقب ذلك الجدار « ، كما أعلن عمدة برلين وفي السياق نفسه :» أن مجلس شيوخ برلين الغربية مستعد للتحدث إلى قاضي برلين الشرقية على المستوى الرسمي بشأن تصاريح زيارة الأقارب»(٢) ، في الوقت الذي تم إرسال عرض مماثل إلى حكومة برلين الشرقية عبر الصليب الأحمر الدولي في نهاية شهر شباط عام ١٩٦٢ – ولكن لم يكلل بالنجاح بعد ذلك دعا المكتب السياسي للحوار الديمقراطي الاستراتيجي(Politbüro des strategischen demokratischen Dialogs) الذي ضم مجموعة من الاحزاب الالمانية وعلى رأسها الحزب الاشتراكي الديمقراطي إلى إجراء مفاوضات مباشرة بين مجلس البوندستاغ وحكومة جمهورية ألمانيا الديمقراطية، الا ان ويلي برانت كان قد رفض هذه الفكرة لأنه لا يريد ان تعترف حكومة برلين الغربية باستقلال المانيا الديمقراطية تحت مظلة القانون الدولي أو الترويج للاعتراف بها(٣) .

من جانب آخر عقد الحزب الاشتراكي الديمقراطي مؤتمراً له في مقره بمدينة كولونيا خلال المدة (٢٦ – ٣٠) حزيران عام ١٩٦٢ ، تم فيه انتخاب ويلي براندت بمنصب النائب الاول لرئيس الحزب ، والشخصية البارزة في الحزب هربرت وينر انتخب النائب الثاني لرئيس الحزب إريك أولينهاور، ومن بين الاعضاء الذين أدلوا بأصواتهم والبالغ عددهم بحدود (٣٣٥) عضواً ،حصل ويلي برانت على(٢٩٨) صوتًا ، بينما حصل هربرت وينر على (٣٧) صوتاً، في تلك الاثناء أدلى ويلي برانت بخطاب ، استهدف فيه شعار الحملة الانتخابية لحزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي الحاكم والذي حمل كلمة «لا تجارب» ، والذي اعتبره شعاراً لسياسة تجميد حكومة أديناور(٤) .

كانت أجواء بناء جدار برلين قد ألقت بظلالها وبصورة كبيرة ومؤثرة على مدينة برلين الغربية ، وباعتباره عمدة المدينة فقد واجه ويلي برانت مشاكل اقتصادية كبيرة بعد بناء الجدار ، ولعل من ابرز تلك المشاكل هو التضخم الكبير الذي حصل في الايدي العاملة سواء الفنية منها او غير الفنية ، فقد واجهت المدينة زيادة كبيرة في عدد الايدي العاملة بلغت بحدود (٥٠٠٠٠) عامل والتي وفدت من مدينة برلين الشرقية والمناطق المحيطة بها الى مدينة برلين الغربية بصورة شرعية او غير شرعية(٥)، ونتيجة لذلك حاول اعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي مع ويلي برانت تخفيف تلك الازمة ، عن طريق التأثير على باقي اعضاء البوندستاغ في بون بإمكانية تشريع قانون يسمح بتقديم مزيداً من المساعدات الى العمال ونجحوا في اصدار قانوناً جديدًا سمي بقانون (تقديم المساعدات والمعونات لمدينة برلين Hilfe für die Stadt Berlin) وذلك بتاريخ التاسع والعشرين من حزيران عام ١٩٦٢ ، تم بموجبه تقديم المساعدات المالية والمعنوية للعمال والموظفين الالمان فقد منحت البدلات للموظفين تحت مسمى (المكافأة المرتجعة Rücksendeprämie)، وكذلك تشريع قرار الإعفاءات الضريبية وتقديم المساعدات المالية للشركات الاستثمارية الكبرى والتي تستطيع استيعاب المهاجرين من برلين الشرقية والتي تشجع على هجرة الايدي العاملة الفنية الماهرة ، وبذلك نجح ويلي برادنت ومجلس

البوندستاغ في التغلب على هذه الأزمة، وشرع قوانين في تموز عام ١٩٦٢ تخدم مجالات الاستثمار الرئيسية في برلين الغربية وهي الإسكان والتنمية الحضرية ، ومشاريع النقل والمجال الصحي وغيرها(٦).

قبل إجراء الانتخابات البرلمانية عقدت الحكومة الألمانية معاهدة صداقة مع الحكومة الفرنسية ، والتي جاءت تتويجاً لسياسة التكامل الغربي والمصالحة مع أعداء الحرب السابقين، وقعت تلك المعاهدة بتاريخ الثاني والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٦٣ من قبل الرئيس الفرنسي شارل ديغول ، ومستشار جمهورية ألمانيا الاتحادية كونراد أديناور(٧) ، وبقيت تلك المعاهدة حبراً على ورق إلا أن تمت المصادقة عليها من قبل البوندستاغ وبأغلبية كبيرة وذلك بتاريخ السادس عشر من حزيران من العام نفسه ، أرست هذه المعاهدة أسس علاقات جديدة تمامًا بين هذين الجارين الأوروبيين ، في الوقت نفسه كانت هذه المعاهدة بمثابة اختتام ناجح لمرحلة طويلة من حكم كونراد أديناور(٨).

في الانتخابات النيابية التي جرت بتاريخ السابع عشر من شباط عام ١٩٦٣ لاختيار اعضاء مجلس النواب لمدينة برلين الغربية ، حصل الحزب الاشتراكي الديمقراطي بقيادة عمدة المدينة الاشتراكي ويلي برانت على نسبة (٦١,٩٪) من الأصوات، بينما حصل شريكه السابق في الائتلاف الحزبي مع حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي ، بزعامة (فرانز أمرين Franz Amrin)(٩) على(٢٨,٨٪) من مجموع الاصوات(١٠)، الامر الذي اضطر معه ويلي براندت الى انهاء شراكة التحالف مع الديمقراطيين المسيحيين ، وعلى الرغم من امتلاكه لأغلبية واضحة ، دخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي في برلين في ائتلاف مع الحزب الديمقراطي الحر في الحكومة الجديدة(١١)، ضم الاشتراكيون الديمقراطيون ثمانية أعضاء في مجلس الشيوخ وثلاثة من الليبراليين، وفي هذا الصدد قال ويلي براندت في خطابه الرسمي والذي ألقاه في الثامن عشر من آذار ١٩٦٣ ما نصه :» أن الأزمة التي أطلقها الاتحاد السوفيتي في تشرين الثاني عام ١٩٥٨ قد انتهت، كما أؤكد الان من ان برلين مدينة تتمتع بالحياة المدنية الغربية»(١٢).

جدول يوضح نتائج الانتخابات في مدينة برلين الغربية لعام ١٩٦٣ .

اسم الحزب	عدد الاصوات التي حصل عليها	عدد المقاعد التي حصل عليها	النسبة المؤية
الحزب الاشتراكي الديمقراطي	٩٦٢١٩٧	٨٩	٦١,٩
الاتحاد الديمقراطي المسيحي	٤٤٨٤٥٩	٤١	٢٨,٨
الحزب الديمقراطي الحر	١٢٣٣٨٢	١٠	٧,٩
حزب الوحدة الاشتراكي الالماني	٢٠٩٢٩	٠	١,٤
المجموع	١٥٧٢٠٢٧	١٤٠	١٠٠

هناك عدد من العوامل التي تفسر سبب فوز الحزب الاشتراكي الديمقراطي بهذه الانتخابات منها خطابات ويلي براندت التي كانت تحمل رفضاً واضحاً وصريحاً فيما يتعلق ببناء الجدار ، فضلاً عن أن إدارة الأزمات في حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي كانت غير مقنعة وبالتالي تمت معاقبتهم من قبل الناخبين، بالإضافة الى ذلك كان هناك عامل آخر هو أنه قبل الانتخابات بمدة وجيزة ، اضطر ويلي برادنت إلى إلغاء اجتماع مع الرئيس السوفيتي نيكيتا خروتشوف كان من المقرر عقده في نيسان عام ١٩٦٣ بعد تعرضه لضغوط من حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي ، ألقى بعض الناخبين باللوم على حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي لإضعاف فرص الحد من التوترات مع السوفييت (١٣).

كان للحزب الاشتراكي الديمقراطي أغلبية كبيرة أخرى ، ولكن هذه المرة اختار ويلي براندت عدم تشكيل ائتلاف مع حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي ، ومع ذلك فقد شكل ائتلاف الحزب الديمقراطي الاشتراكي والحزب الحر الديمقراطي

، تاركًا حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي في المعارضة(١٤) .

كانت باكورة ممثلي مجلس الشيوخ في برلين الغربية هو اجراء مفاوضات يقودها اعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، مع حكومة ألمانيا الديمقراطية توجت بتوقيع اتفاقية في السابع عشر من كانون الاول عام ١٩٦٣سميت ب (اتفاقية الترخيص الاولى Erster Lizenzvertrag) سمحت بموجبها لسكان برلين الغربية من زيارة أقاربهم في برلين الشرقية لأول مرة منذ بناء الجدار، وبالفعل فقد استفاد من هذا القرار ما يقارب (٧٣٠،٠٠٠) شخص ، وبقي هذا القرار سارياً حتى الخامس من كانون الثاني عام ١٩٦٤ ، وعلى الرغم من ذلك فهو يعد أول نجاح لـ «سياسة الخطوات الصغيرة» ، ورداً على الانتقادات في برلين وبون ، والتي وجهت لهذا القرار فقد أكد عمدة برلين الغربية ويلي برانت أن الاتفاقية لا تعني الاعتراف بجمهورية ألمانيا الديمقراطية(١٥).

عقد الحزب الاشتراكي الديمقراطي مؤتمره العادي في منطقة باد جوديسبيرج بتاريخ السادس عشر من شباط عام ١٩٦٤ ، وتم خلاله انتخاب ويلي براندت رئيساً للحزب ، خلفًا لإريك أولينهاور الذي توفي قبل شهرين من موعد اجراء هذه الانتخابات ، حصل ويلي برانت على (٣٢٠) صوتاً من أصل(٣٣٠) صوتًا من اعضاء الحزب المشاركين في تلك الانتخابات ، في الوقت نفسه تم ترشيحه من قبل ناخبيه مرة أخرى لمنصب المستشارية على ان يكون كل من هربرت وينر نائباً أول للرئيس وفريتز إيرلر نائباً ثانياً ، واشترط ويلي براندت على ان يبقى في منصب عمدة مدينة برلين الغربية على شرط قبوله بمنصب زعامة الحزب(١٦) .

من جهة أخرى سعى اعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي في البوندستاغ مرة اخرى الى توقيع اتفاقية اخرى مع حكومة المانيا الديمقراطية، بعد عدة أشهر من عقد الاتفاقية السابقة ، وذلك بتاريخ الرابع والعشرين من ايلول عام ١٩٦٤ ، وافق من خلالها ممثلو مجلس الشيوخ في برلين الغربية وحكومة جمهورية ألمانيا الديمقراطية ، وهم كل من عضو مجلس الشيوخ (هورست كوربر Horst Korber(١٧) ووزير الخارجية (إريش وندت Erich Wendt)(١٨) ، على عقد اتفاقية تسمح لسكان برلين الغربية من زيارة أقاربهم الموجودين في برلين الشرقية خلال المدة (الثلاثين من تشرين الأول إلى الثاني عشر من تشرين الثاني لعام ١٩٦٤) والمدة الثانية تبدأ من (التاسع عشر من كانون الاول عام ١٩٦٤ لغاية الثالث من كانون الثاني عام ١٩٦٥) ، وكان من ضمن فقرات القرار هو السماح بالزيارات العاجلة والخاصة بتلقي العلاجات الضرورية للأسر الالمانية بين شطري المدينة على ان ينفذ إعتباراً من الاول من شهر تشرين الاول عام ١٩٦٤(١٩) .

ثانياً : الاصلاحات الداخلية للحزب الاشتراكي الديمقراطي .

في إطار اصلاحاته السياسية الداخلية عقد الحزب مؤتمراً في مدينة كارلسروه خلال المدة (الثالث والعشرين الى السابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٦٤) ناقش فيه امكانية ترشيح زعيم الحزب ويلي برانت لمنصب المستشارية في الانتخابات البرلمانية القادمة والتي من المؤمل اجراءها في عام ١٩٦٥ ، فضلاً عن تأكيد أن الحزب الاشتراكي الديمقراطي يجب أن يصبح من أقوى الاحزاب الحاكمة في المانيا الغربية ، وضرورة ان يكون الفريق المستقبلي الحكومي لويلي براندت على مستوى رفيع جداً ، على ان يشتمل ذلك الفريق على الاعضاء التالية اسمائهم مع مناصبهم وهم كل من فريتز إيرلر بمنصب مسؤول عن سياسة الحزب الخارجية ، وكارل شيلر مسؤولاً عن سياسة الحزب الاقتصادية ، (وهيلموت شميدت Helmut Schmidt)(٢٠) تسنم منصب وزير الدفاع ، وهيربرت وينر كان بمنصب مسؤول الشؤون الداخلية الألمانية(٢١) .

أراد ويلي برانت ومن خلال عقده لهذا المؤتمر ان يشد من عزم مؤيديه فقال : فكر في قوتك! يمكنك أن تشعر بما يعنيه ذلك عندما يطور أعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي نقاط قوتهم ويفكرون جيداً في إدارة النقاشات السياسية بصورة ممتازة ، فعندما يخرجون ويتحدثون إلى الناس ، لا يتناولون الجوانب السياسية فحسب ، بل يتناولون في نقاشاتهم مع الأصدقاء والأقارب وفي العمل تحديد مسار المستقبل في ألمانيا ، ولا يفوتني هنا أن أغتنم هذه الفرصة لأشكر أولئك الذين قادوا هذه الحملة الانتخابية ، من اللذين أعطونا كل الشجاعة والقوة للقيام بهذه الحملة الانتخابية وبمثل هذا

الجهد الهائل نستطيع إكمال السباق للحاق بالركب، أود أن أشكر مستشارنا الاتحادي (غيرهارد شرودر Gerhard Schröder)(٢٢) وأود أن أقول له لقد قاتلت إلى أقصى حد من قوتك. فشكراً جزيلاً على التزامك بهذه الحملة الانتخابية»(٢٣).

أيقن زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي ان بإمكان الادارة الامريكية ان تؤدي دوراً كبيراً في قضية إعادة توحيد ألمانيا مرة اخرى ، لذا قرر ويلي برادنت مع رئيس المجموعة البرلمانية للحزب الديمقراطي الاشتراكي فريتز إيرلر ، القيام بزيارة الى الولايات المتحدة الامريكية تستغرق عشرة ايام وخلال المدة (من الثاني عشر الى الثاني والعشرين من نيسان عام ١٩٦٥) التقى خلالها بالرئيس الامريكي ليندون جونسون ووزير خارجيته (دين راسك Dean Rusk)(٢٤)، ووزير الدفاع (البنتاغون)(٢٥) (روبرت سترانك ماكنمارا Robert Strange McNamara)(٢٦) ، فضلاً عن مجموعة من السياسيين الأمريكيين ، تم في هذه الزيارة مناقشة الوضع في برلين ، وفي هذا اللقاء قال رئيس الادارة الامريكية ليندون جونسون :» ان ويلي برادنت ليس فقد عمدة لمدينة مزدهرة فقط بل هو صديق حميم للولايات المتحدة الامريكية ، وان الانقسام الحاصل في المانيا هو مصدر قلق كبير بالنسبة لنا ، وان هدف الادارة الامريكية وعلى مدى الاعوام الماضية هو السعي الى اعادة المانيا على ان تكون دولة موحدة مرة اخرى ، وان بقاء الوضع الحالي على ما هو عليه لن يتحقق سلام دائم وحقيق»(٢٧) ، وبذلك فقد تركز اللقاء على المبادرات الامريكية المتعلقة بمسألة توحيد المانيا ، فضلاً عن مناقشة نوع العلاقات التي من الممكن ان تكون بين المانيا الغربية وفرنسا ، ومستقبل القوة النووية للأطراف المتعددة ضمن اطار حلف الناتو، فضلاً عن مناقشاته مع الادارة الأمريكية بخصوص علاقاتها مع فيتنام(٢٨)، وفي ختام تلك الزيارة عاد ويلي براندت مع الوفد المرافق له الى المانيا بتاريخ الثاني والعشرين من تشرين الثاني مؤكداً على نجاح مسعاه في الحصول على تأييد الادارة الامريكية على مطالبة المانيا، بمزيد من التفاهمات السياسية بين ألمانيا وبقية الدول الاوربية الغربية(٢٩).

ثالثاً : حملة الحزب الاشتراكي الديمقراطي في الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٦٥

في اطار حملته الانتخابية قرر ويلي برادنت القيام برحلة شملت جميع ولايات ومناطق المانيا الغربية ، وقبل اجراء الانتخابات في موعدها المحدد في التاسع عشر من آب ١٩٦٥ ، كان الهدف منها كما صرح مسبقاً هو من أجل التواصل المباشر مع كافة افراد الشعب الالماني ، غطى من خلالها من يقارب (٥٠٠٠٠) كيلومتر ، وكان شعار الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي حمله ونادى به هو « ان نكون أفضل أماناً افضل من أن نقول كلمة آسف» ، وبعد انتهائه من الرحلة قدم برنامج الحزب الانتخابي في مؤتمر عقده في مدينة دورتموند بتاريخ الرابع عشر من آب عام ١٩٦٥(٣٠)، وعلى الرغم من ذلك ، واجهت حملته الانتخابية تلك انتقادات كبيرة قادها حزبي (الاتحاد الديمقراطي المسيحي و الاتحاد الاجتماعي المسيحي) ، الا انه من ناحية أخرى ، فانه تلقى فيه دعمًا وفعاً معنوياً من قبل تجمع أقامه مثقفين ألمان معروفين بلغ عددهم بحدود (٢٥)كاتباً وفيلسوفاً ، وعلى رأسهم (جونتر جراس (٣١)(Gunter Grass ، طالبوا بتشكيل حكومة جديدة تكون بزعامة ويلي براندت والحزب الاشتراكي الديمقراطي(٣٢) .

إتسمت اجواء العلاقات داخل الائتلاف الحكومي بالتوتر ، فمنذ أن تسنم لودفيج إيرهارد منصب المستشارية خلفاً لأديناور في تشرين الاول عام ١٩٦٣ ، تفاقمت الخلافات داخل الاتحاد الفيدرالي حول المناصب السياسية وخاصة بين الحزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي CDU)) وحزب الاتحاد الاجتماعي المسيحي في بافاريا (CSU) ، وساهم في إظهار هذه الاختلافات تنامي الدعم الشعبي الكبير للحزب الاشتراكي الديمقراطي المعارض بقيادة عمدة برلين الغربية ويلي برادنت(٣٣) .

ومن جانب آخر اكتسبت الحملة الانتخابية البوندستاغ لعام ١٩٦٥ أهمية خاصة ليس فقط في المجال السياسي ولكن أيضًا في مجال الدعاية الانتخابية فلأول مرة في تاريخ الانتخابات البرلمانية في جمهورية ألمانيا الاتحادية ، مارست الأحزاب السياسية الكبيرة التسويق السياسي لبرامجها الانتخابية لجمهورها وقاعدتها الجماهيرية(٣٤)، وكانت اتجاهات تلك الاحزاب تميل نحو اتباع النهج التدريجي للحملات الانتخابية وتطبيق مبدأ (أمركة الحملة الانتخابية) بمعنى نقل تجارب الاحزاب السياسية الامريكية في إدارة حملاتها الانتخابية ، والتي تتميز بالاحترافية العالية ، من حيث تطبيق

السياسة الرمزية ، وتوجيه المحتوى نحو الصور بدلاً من الموضوعات أو الملفات الشخصية للشخصيات التي يتم التصويت عليها، ومن هذا المنطلق قدم الحزب الديمقراطي الحر شعاره في هذه الانتخابات على شكل صورة تحمل شعار الحزب كتب تحته العبارة الآتية « الحزب الديمقراطي الحر – ضروري أكثر من أي وقت مضى» ، في حين كان شعار الحزب الاشتراكي الديمقراطي مشابه الى حد كبير شعار الحزب الديمقراطي الحر من حيث التصميم ، فقد وضعت صورة شعار الحزب وكتبت تحتها عبارة (أنت آمن مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي) ، وبرفع الحزب المسيحي الديمقراطي شعار (نحن مع رؤى جديدة لمستقبل ألمانيا)(٣٥).

جدول يبين نتائج الانتخابات العامة في المانيا لعام ١٩٦٥ .

الحزب	عدد المرشحين	عدد المقاعد التي حصل عليها الحزب	عدد المصوتين	النسبة المئوية
الاتحاد الديمقراطي المسيحي (CDU)		٢٠٢	١٢٣٨٧٥٦٢	٣٨,٠
الاتحاد الاجتماعي المسيحي في باڤاريا (CSU)		٤٩	٣١٣٦٥٠٦	٩,٦٢
الحزب الاشتراكي الديمقراطي (SPD)		٢١٧	١٢٨١٣١٨٦	٣٩,٣
الحزب الديمقراطي الحر (FDP)		٥٠	٣٠٩٦٧٣٩	٩,٥[٣٦]
مجموعة العمل للألمان المستقلين(AUD)	-	٠	٥٢٦٣٧	٠,٢
حزب الشعب المسيحي(CVP)		٠	١٩٨٣٢	٠,١
اتحاد السلام الألماني(DFU)	٥	٠	٤٣٤١٨٢	١,٣
الحزب الفدرالي الأوروبي(EFP)	-	٠	١٠١٥	٠,٠
الاتحاد الاجتماعي الحر(FSU)	-	٠	١٠٦٣١	٠,٠
الحزب الوطني الديمقراطي الألماني(NPD)	-	٠	٦٦٤١٩٣	٢,٠
حزب العمال المستقل(UAP)	-	-	٣٩٥٩	٠,٠[٣٧]
المجموع	١٦٥٤	٤٩٩	٢٣٨٤٩٦٤٢	١٠٠[٣٨]

من خلال قراءة الجدول اعلاه نلاحظ ما يلي : بلغت نسبة التصويت في تلك الانتخابات (١٠٠٪) وهي اعلى نسبة تصل اليها انتخابات برلمانية سجلت في تاريخ الانتخابات البرلمانية في المانيا ، إذ بلغت اعداد الناخبون المؤهلون للتصويت في تلك الانتخابات بحدود (٣٨٥١٠٣٩٥) ناخباً ، في حين كانت اعداد الناخبين الذين أدلوا بأصواتهم هو نفس العدد (٣٨٥١٠٣٩٥) ناخباً(٣٩)، اما بالنسبة الى عدد اوراق الاقتراع غير الصالحة فقد وصلت الى (٧٩٥٧٦٥) ورقة ،بنسبة وصلت الى (٢,٤٪) من مجموع الاوراق .

ومن جانب آخر نلاحظ انه على الرغم من حصول الحزب الاشتراكي الديمقراطي على اعلى نسبة من الاصوات والتي بلغت (١٢٨١٣١٨٦) صوتاً والتي أهلته لان يحتل أكثر عدد من المقاعد والتي بلغت بحدود (٢١٧) مقعداً ، الا انه

لم يتسطع ان يشكل حكومة بمفرده والسبب في ذلك ان الحزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي لألمانيا والتي حصل على (١٢٣٨٧٥٦٢) صوتاً اي بفارق اكثر من (٥٠٠) الف صوتاً عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، بعدد من المقاعد بلغ (٢٠٢) مقعداً اي بفارق (١٥) مقعداً (٤٠)، انه استطاع ان يشكل اتحاداً الاتحاد الاجتماعي المسيحي في بافاريا والذي حصل على (٤٩) مقعداً ، وبذلك ضمن هذا الاتحاد تشكيل الحكومة الالمانية الخامسة .

وبالعودة الى عدد المقاعد البرلمانية التي حصل عليها الحزب الاشتراكي الديمقراطي في مختلف الولايات الالمانية نلاحظ وعلى سبيل المثال مايلي، انه بلغت عدد الاصوات التي حصل عليها الحزب الاشتراكي الديمقراطي في ولاية بايدن فورتمبيرغ حوالي (١٤٧٠٠٤٠) صوتاً بنسبة بلغت (٣٣,٠٪) ، في حين حصل حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي على (٢٢١٩٨٠٨) صوتاً ، اما في ولاية (بافاريا) فقد حصل الحزب الاشتراكي الديمقراطي على (١٨٦٩٤٦٧) صوتاً بنسبة بلغت (٣٣,١٪) ، في حين حصل حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي على (٣١٣٦٥٠٦) صوتاً بنسبة بلغت(٥٥,١٪) (٤١).

كانت نتيجة الانتخابات الفرعية مخيبة للآمال بالنسبة للاشتراكيين الديمقراطيين ، فقد كانوا يأملون في أن يتمكنوا من كسر الاتجاه العام للانتخابات الفيدرالية الخامسة ويعوضوا خساراتهم في الانتخابات السابقة(٤٢)، كما توقع المراقبون على تلك الانتخابات ان الحزب الاشتراكي الديمقراطي يستطيع من الفوز بأصوات كافية تجعلهم قادرين على تشكيل الحكومة ، وفي تطور لقرارات التصويت الخاصة بالحزب الاشتراكي الديمقراطي ، أكدت الانتخابات الفرعية لقرار الناخب في التاسع عشر من ايلول، على فشل الحزب في تلك الانتخابات ، والسبب في ذلك يعود الى رفض الناخب للسياسات غير المعقولة التي تبناها الحزب كونه في المعارضة البرلمانية ، وأظهرت نتائج انتخابات أن نسبة الأصوات التي حصل عليها الحزب الاشتراكي الديمقراطي في الانتخابات الفرعية كانت أقل من النسبة التي حصل عليها في الانتخابات السابقة(٤٣) .

وقبل نهاية عام ١٩٦٥ بشهر تقريباً وبالتحديد في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٦٥ ، وقعت اتفاقية (التصريح او الترخيص الثالثة) بين مفاوضي مجلس الشيوخ من الحزب الاشتراكي الديمقراطي وهم كل من عضو مجلس شيوخ مدينة برلين هورست كوربر **Horst Korber** (٤٤) ووزير الخارجية مايكل كول ، وبعض الاعضاء من حكومة جمهورية ألمانيا الديمقراطية ، نصت على انه يمكن لسكان مدينة برلين الغربية زيارة أقاربهم المتواجدين في برلين الشرقية بين المدة (الثامن عشر من كانون الاول عام ١٩٦٥ لغاية الثاني من كانون الثاني عام ١٩٦٦ (على ان تكون تلك الزيارات مختصة بالأمور العائلية العاجلة فقط ، فضلاً على انه من الممكن تجديد هذه الاتفاقية خلال المدة (التاسع والعشرين من كانون الاول عام ١٩٦٥ لغاية الحادي والثلاثين من آذار عام ١٩٦٦) من وجهة نظر رئيس بلدية برلين الغربية ويلي برادنت ، فإن الاتفاقية الجديدة «لا تدعو إلى الاحتفال» ولا تلبي الطموح الشخصي او الوطني ، وعليه فانه سعى الى عقد اتفاقيات مع حكومة المانيا الديمقراطية تكون بنودها افضل بكثير من هذه البنود(٤٥).

الخاتمة:

جاءت خاتمة البحث محملةً بالنتائج الآتية:

• تأكد من البحث ان الحزب الديمقراطي الالماني لم يكن حزباً هامشياً وانما حزب له قاعدة جماهيرية واسعة والدليل على ذلك نتائج الاصوات التي حصل عليها في الانتخابات الواردة في متن البحث لذلك كانت الآراء التي نادى بها محط اهتمام غالبية الاوساط السياسية الالمانية.

• كشف البحث ان الحزب الديمقراطي الالماني كان يفكر بصورة جدية بأوضاع المواطنين في المانيا الديمقراطية وان جدار برلين لا بد من اختراقه حتى لا تكون قطيعة بين الالمان في ظل حدود اوجدتها نتائج الحرب العالمية الثانية.

• ظهر من خلال البحث سعي الحزب الى الاستعانة بالولايات المتحدة الامريكية من اجل عودة الوحدة الالمانية ولاسيما ان الادارة الامريكية لها سطوة وقوة ونفوذ يمكن استغلاله لذلك الغرض وذلك ما اراد القيام به قادة الحزب.

• أثبت البحث الروح الوطنية المتميزة التي تحلى بها قادة الحزب الديمقراطي الالماني فإنهم عقدوا الاتفاقيات مع المانيا الديمقراطية وطالبوا بالسماح للمواطنين لزيارة اقاربهم في المانيا الديمقراطية من اجل عودة الوشائج وبقاء الامل في الوحدة من جديد.

الهوامش:

(١) Simon Gerhard Heßdörfer, Vorbehaltlose Unterstützung? Die „Neue Ostpolitik" der Regierung Brandt/Scheel im Spiegel der Süddeutschen Zeitung und der Tageszeitung DIE WELT Der Philosophischen Fakultät/Fachbereich GeschichtederFriedrich-Alexander-Universität,Erlangen-Nürnberg, Erlangung des Doktorgrades , Würzburg , ٢٠١٩, P. ٤٦.

(٢) ausgegeben: »Die Mauer muß weg!« Wie soll das geschehen? https://www-spiegel-de .goog/politik ١٩٦٢ Herr Bürgermeister, Sie haben als Parole für.

(٣) Günther Schmid, Politik des Ausverkaufs? Die Deutschlandpolitik der Re- gierung Brandt/Scheel. 2. Auflage , Provided in Cooperation with: WZB Berlin Social Science Center , München , 1979 , P.219.

(٤) Rolf Mützenich ,SPD-Bundestagsfraktion , 70 Jahre SPD-BUNDESTAGS- FRAKTION Geschichte in Stichworten ,Boon , 2019 , P.11.

(٥) GERHARD SÄLTER , MANFRED WILKE , Op Cit , p.55.

(٦) Regierender Bürgermeister und Kanzlerkandidat https://www.willy-brandt- biografie.de

(٧) او كما تسمى بمعاهدة الإليزيه لم يكن المقصود من وثيقة ٢٢ كانون الثاني ١٩٦٣ أن تكون معاهدة في الأصل، بل كان من المفترض أن تكون مجرد قائمة مكتوبة بسيطة بالمجالات التي يريد البلدان العمل فيها معًا في المستقبل.ولذلك فهي في الأساس وثيقة إطارية تشير إلى الاتفاقات اللاحقة بشأن العديد من النقاط. وكان الهدف من الإعلان المشترك ، الذي تم التوقيع عليه ، إضفاء صبغة سياسية إضافية على المعاهدة .تم الاتفاق على أن يجتمع رؤساء الدول والحكومات مرتين في السنة على الأقل ، ووزراء الخارجية كل ثلاثة أشهر على الأقل ، ومديرو الوزارات الأخرى شهريًا. الإضافة إلى ذلك ، تلزم المعاهدة حكومتي البلدين بتنسيق جميع المسائل المهمة للسياسة الخارجية والأوروبية والدفاعية ، والتوصل إلى موقف مشترك. كما تقرر تكريس أنفسهم لقضايا التعليم والشباب معًا لبناء جسور التعاون في المستقبل بين البلدين. كانت النتيجة الملموسة لهذا القرار إنشاء مكتب الشباب الفرنسي الألماني (DFJW) في تموز ١٩٦٣ . ومنذ ذلك الحين ، أتاح مكتب الشباب عقد اجتماعات بين الشباب من كلا الشعبين كل عام. لمزيد من التفاصيل ينظر

(٨) Wolfgang Schäuble , Le Bundestag allemand dans le bâtiment du Reichstag , C'est ici que bat le coeur de la démocratie » Structures et fonctions du Bundestag allemande, Traduction : Service linguistique du Bundestag allemand, en collaboration avec Valérie Dupré et Gérard Jeannot , Berlin , ٢٠١٨, P. ١٧٥.

(٩) Wolfgang Schäuble , Le Bundestag allemand dans le bâtiment du Reichstag , C'est ici que bat le coeur de la démocratie » Structures et fonctions du Bundestag allemande, Traduction : Service linguistique du Bundestag allemand, en collaboration avec Valérie Dupré et Gérard Jeannot , Berlin ,2018 , P.175.

(١٠) فرانز أمرين (١٩١٢-١٩٨١) : ولد في مقاطعة أوبرليناخ بولاية فورتسبورغ الالمانية وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها عام ١٩٣٢ وأكمل تدريبه المهني في بنك درسدنر. عمل هناك كمصرفي حتى عام ١٩٣٩ عندما التحق بالجيش الالماني في الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٤٥ . عندما اصيب بجروح خطيرة وهو برتبة رقيب ، ثم انضم إلى حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي عام ١٩٤٥ ، في انتخابات عام ١٩٥٠ ، انتخب لعضوية مجلس النواب في برلين ، بعد ذلك درس القانون حتى عام ١٩٥٢ ، في انتخابات عام ١٩٦٣ ، كان المرشح الأول لحزبه ضد ويلي براندت مرشح الحزب الاشتراكي الديمقراطي وخسر في تلك الانتخابات بفارق أقل من النقطة الواحدة ، بعدها شغل منصب نائب رئيس جمعية الكنائس الكاثوليكية في برلين الكبرى عام ١٩٦٧ ، كان عضوًا في مجلس النواب حتى عام ١٩٦٩ عضوًا في مجلس إدارة المجموعة البرلمانية لـ CDU / CSU. من عام ١٩٧٢ إلى عام ١٩٨٠ توفي عام ١٩٨١ . لمزيد من التفاصيل ينظر:

Werner Breunig, Siegfried Heimann, Biographischer Wegweiser der Berliner Stadtverordneten und Abgeordneten 1946–1963, Staatsarchiv Berlin, Band 14, . Landesarchiv Berlin, Berlin, 2011, S. 58–59.

(١١) Wir lrogten: was heißt denn immer , in Berlin steglitzer express , no2 ,Feb- ruar1963 ,p. 37.

(١٢) Han s J. Reichhardt , Wiederaufbau und Festigung demokratischer Struk- turen im geteilten Berlin 1945—1963, p. 73.

(١٣) Gerhard Wettig , Chruschtschows Berlin-Krise 1958 bis 1963 , Quellen und Darstellungen zur Zeitgeschichte Herausgegeben vom Institut für Zeitgeschichte ., Band 67 , München 2006 , P.257

(١٤) /https://m-bpb-de.translate.goog/internationales/europa/russland

(١٥) J. Christian Koecke , Michael Sieben , DIE https://m-bpb-de.translate.goog/ internationales/europa/russland

(١٦) Christian Koecke , Michael Sieben , DIE CHRISTLICHDEMOKRATISCHE UNION GRUNDÜBERZEUGUNGEN, GESCHICHTE, ORGANISATION HANDREICHUNG ZUR POLITISCHEN BILDUNG , BAND 1 3., ÜBERARBEITETE UND ERWEITERTE AUFLAGE , 2014 , P.71.

(١٧) Bundesregierung , 1964 in Bulletin Nr. 145 vom 25. Sept. 1964, S. 1341. Pro- tokoll der Passierscheinvereinbarung vom 24. Sept. 1964 und Protokollanlage ab- gedruckt in DzD IV 10/2, S. 987–990.

(١٨) Hui Ding M. A. Heidelberg,Innerparteiliche DemokratieDie Parteiführe- rauswahlinDeutschland und Großbritannien (1949–2009) im Vergleich Dissertation eines Doktors der Politikwissenschaft , eingereicht an der Fakultät für Sozial- und Wirtschaftswissenschaft der Ruprecht-Karl-Universität Heidelberg , 2012 , P.115.

(١٩) هورست كوربر (١٩٢٧-١٩٨١) : ولد في مدينة جينا الواقعة في المانيا الشرقية واكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها بعدها هرب الى المانيا الغربية عام ١٩٤٩ واصل دراسته للقانون وتخرج من جامعة برلين عام ١٩٥٣ ، انضم الى مجدلس شيوخ برلين عام ١٩٥٧ في عام ١٩٦٣ . حقق كوربر شهرة كبيرة كمفاوض لاتفاقيات التصاريح مع جمهورية ألمانيا الديمقراطية .و في عام ١٩٦٧ شغل منصب مدير عام في وزارة العدل ، بعد فوز حزب الاشتراكي الديمقراطي في انتخابات عام ١٩٧١ بقي في منصبه هذا «. بعد استقالة كلاوس شوتز عام ١٩٧٧ انتقل إلى وزارة الشؤون الفيدرالية. وبعد فوز الحزب الاشتراكي الديمقراطي في الانتخابات عام ١٩٧٩ استقال من مجلس الشيوخ. لينظم عام١٩٨٠ لعضوية البوندستاغ الألماني توفي عام ١٩٨١ لمزيد من التفاصيل ينظر :

Rudolf Vierhaus und Ludolf Herbst , Biographisches Handbuch der Mitglieder des .Deutschen Bundestages 1949–2002. Band 1, A–M, Saur, München 2002 , p. 446

(٢٠) إريش وندت (١٩٠٢– ١٩٦٥) : ولد في ضاحية أولشتاين في مدينة برلين بعمر الخامسة إلتحق بمدرسة إيسلين الابتدائية عام ١٩٠٨ ، بعدها واصل دراسته الثانوية واكملها في عام ١٩١٦ ، في عام ١٩١٩ إنضم الى حزب الشباب الاشتراكي الحر ، هاجر إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣١ ، عمل في جمعية تعاونية للنشر في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية. لغاية ١٩٣٦ ،كان ضحية لعمليات التطهير الستالينية ، وطُرد من الحزب الشيوعي الألماني في العام نفسه، عمل في إذاعة موسكو. خلال المدة(عام ١٩٤٢ – ١٩٤٧) عاد الى المانيا الشرقية فتسنم عدة مناصب منها كان رئيس قسم لينين في معهد الماركسية اللينينية في اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الموحد خلال السنوات(١٩٥٣ – ١٩٥٧)، نائبا أول ثم سكرتير دولة في وزارة الثقافة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية خلال المدة(١٩٥٧ – ١٩٦٥) في عام ١٩٦٣ ، لعب دورًا رئيسيًا في المفاوضات حول اتفاقية التصريح. توفي عام ١٩٦٥ لمزيد من التفاصيل ينظر:

Bernd Rainer Barth, Wendt Erich In Wer war wer in der DDR? 5. Ausgabe, .Band 2. Ch. Links, Berlin 2010, p.561–564

(٢١) Peter Borowsky , Die DDR zwischen Moskau und Bonn , https://www–bpb– /de.translate.goog/izpb

(٢٢) هيلموت شميدت (١٩١٨–٢٠١٥) : ولد في مدينة هامبورغ الالمانية وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها ، ثم وفي سن الثالثة والعشرين خدم في الجيش الألماني خلال الحرب العالمية الثانية . تم تعيينه في فرقة مدرعة على الجبهة الشرقية وشارك لاحقًا في هجوم آردين. خدمته ، حصل على صليب حديدي ، بعد الحرب انضم إلى الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، حصل على شهادة في الاقتصاد من جامعة هامبورغ عام ١٩٤٩ ، انتخب لعضوية البوندستاغ(١٩٥٣–١٩٦١) وأصبح نائبًا لرئيس البوندستاغ عام ١٩٦٨ ، ثم شغل منصب وزير الدفاع خلال المدة (١٩٦٩–١٩٧٢) ووزيراً للمالية خلال المدة (١٩٧٢–١٩٧٤) في حكومة المستشار ويلي برانت ،تم انتخابه لمنصب مستشار ألمانيا الغربية عام ١٩٧٤ وبقي في هذا المنصب لغاية عام ١٩٨٢ توفي عام ٢٠١٥ لمزيد من التفاصيل ينظر :

.Steven Lehrer, Wannsee house and the Holocaust. McFarland, 2000, p. 74

(٢٣) SPD–Parteivorstand, Protokoll Bundesparteitag Karlsruhe. 14.–16. Novem– .ber , Berlin , 2005, P.13

(٢٤) غيرهارد شرودر (١٩١٠–١٩٨٩): ولد في مدينة ساربروكن الالمانية ، التحق بمدرسة القواعد الانسانية عام ١٩١٦ واكمل دراسته الثانوية فيها ، ثم واصل دراسته الجامعية حاصلاً على شهادة في القانون عام ١٩٢٩ من جامعة ألبرتوس ، بعدها التحق بجامعة أدنبرة الا انه لم يكمل دراسته فيها فعاد الى جامعة برلين عام ١٩٣١ ثم في جامعة بون وتخرج منها عام ١٩٣٣ وفي عام ١٩٣٩ اصبح محامياً متخصصاً في قانون الضرائب . شارك في الحرب العالمية الثانية الا انه اعفي منها عام ١٩٤١ بسبب اصابة في قدمه شغل عدة مناصب ادارية منها رئيساً للجنة الانتخابية الالمانية في منطقة الاحتلال البريطاني خلال المدة (١٩٤٥–١٩٤٦) في عام ١٩٤٥ كان شرودر أحد مؤسسي الاتحاد الديمقراطي المسيحي كما شغل منصب رئيس قسم السيطرة في صناعات الحديد والصلب في شمال المانيا خلال المدة (١٩٤٧–١٩٥٣) ، وفي الوقت نفسه شغل منصب رئيس الكتلة البرلمانية ل(CDU و CSU)تزعم الحزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي عام ١٩٧٠ توفي عام ١٩٨٩ لمزيد من التفاصيل ينظر : .

Torsten Oppelland, Gerhard Schröder (1910 –1989): Politik zwischen Staat, Partei und Konfession , Düsseldorf (Droste Verlag) Zeitgeschichte, 39) halshs, version 1 .– 19 May 2010 , 2002, P. 797

.SPD–Parteivorstand, Op Cit , P.14 (٢٥)

(٢٦) دين راسك (١٩٠٩ – ١٩٩٤) : ولد في مقاطعة شيروكي الريفية في ولاية جورجيا الامريكية ، عندما بلغ التاسعة ، شارك بمسيرة في ولاية أتلانتا مؤيدة لدعوة الرئيس ويلسون الولايات المتحدة للانضمام إلى عصبة الأمم تلقى تعليمه في مدرسة الأولاد الثانوية في ولاية اتلانتا عام ١٩٢٥ ، واصل بعدها دراسته ليتخرج من كلية ديفيدسون ، حاصلاً على شهادة في القانون بعدها حصل على منحة رودس بجامعة أكسفورد. لدراسة العلاقات الدولية ، حاصلاً على درجة الماجستير في (السياسة والفلسفة والاقتصاد). أصبح محاضراً في كلية ميلز في أوكلاند بولاية كاليفورنيا ، خلال المدة (١٩٣٤ – ١٩٤٩) ، رشحه الرئيس الديمقراطي المنتخب جون كينيدي في ١٢ كانون الاول عام ١٩٦٠ ، لمنصب وزير الخارجية توفي عام ١٩٩٤ لمزيد من التفاصيل ينظر :

The New York Times, December 22, 1994, pg. A1

(٢٧) البنتاغون: هواسم مبنى مقر وزارة الدفاع الأميركية ويقع في مدينة أرلنغتون في ولاية فيرجينيا، وباعتباره رمزا للجيش الأمريكي فإن مصطلح البنتاغون يستعمل عادة للإشارة لوزارة الدفاع نفسها عوضا عن المبنى ذاته. سمي المبنى بالبنتاغون لشكله الخماسي الأضلاع وقد صمم المبنى المصمّم جورج إدوين وبني من قبل المقاول جون مكشاين، بدأ العمل في بنائه في أيلول عام ١٩٤١ وتم الانتهاء منه وتدشينه في ١٥ كانون الثاني عام ١٩٤٣ ، ويعد واحدا من أضخم المباني المكتبية في العالم، ويتسع لحوالي ٢٣ ألف موظفا بين عسكري ومدني وحوالي ٣ آلاف موظف مساعد. للمبنى خمسة جوانب وطوابق فوق مستوى سطح الأرض وطابقين تسوية تحت الأرض لمزيد من التفاصيل ينظر :

.Paul F. Mlakar The Pentagon Building performance report authors, 2003,P. 1

(٢٨) روبرت ماكنمارا (١٩١٦–٢٠٠٩) : ولد في مدينة سان فرانسسكو بولاية كاليفورنيا الامريكية تخرج من مدرسة بيدمونت الثانوية في بيدمونت ، كاليفورنيا في عام ١٩٣٣ ، التحق بعدها بجامعة كاليفورنيا في بيركلي وتخرج منها عام ١٩٣٧ حاصلاً على شهادة البكالوريوس في الاقتصاد ثم التحق بكلية هارفارد وحصل على ماجستير إدارة الأعمال عام ١٩٣٩، أصبح استاذاً في كلية إدارة الأعمال في هارفارد في آب ١٩٤٠ التحق بالقوات الجوية الأمريكية أوائل عام ١٩٤٣ ، في تشرين الثاني ١٩٦٠ ، أصبح ماكنمارا أول رئيس لشركة فورد موتور من خارج عائلة فورد شغل منصب وزير الدفاع في ادارة جون كينيدي عام ١٩٦١، أدى دوراً كبيراً في تعامل الإدارة الامريكية مع أزمة الصواريخ الكوبية ونزع فتيلها في نهاية الامر توفي عام ٢٠٠٩ لمزيد من التفاصيل ينظر:

Robert S. McNamara – John F. Kennedy / Lyndon Johnson Administration». Of– The Los Angeles Times. July ، fice of the Secretary of Defense – Historical Office 7, 2009

F.R.U.S., 1964–1968, Germany and Berlin, Volume XV, Telegram From the (٢٩) Department of State to the Embassy in Germany, No.41, Washington, May 20, .1964, p.93

(٣٠) التدخل الامريكي في فيتنام : بعد هزيمة القوات الفرنسية في فيتنام في السابع من أيار ١٩٥٤ في معركة ديان بيان فو ، بدأت تدخلات الولايات المتحدة في شؤون فيتنام الجنوبية خوفاً من سقوطها بيد الشيوعيين ، فساعدت الولايات المتحدة على إقامة حكومة موالية لها في فيتنام الجنوبية ، وقد تكونت في ٢٠ /كانون الأول/ ١٩٦٠ جبهة وطنية في فيتنام الجنوبية ، وبدأت المقاومة الفيتنامية بين الحكومة الموالية للولايات المتحدة والجبهة الوطنية لفيتنام الجنوبية ، اضطرت الولايات المتحدة إلى قبول الاتفاق على وقف المنازعات وإعادة السلام إلى فيتنام وذلك في مؤتمر باريس في آذار ١٩٧٣ ، لمزيد من التفاصيل ينظر : وثائق البنتاغون ، التاريخ السري لحرب فيتنام ، ترجمة محمد أنيس ، وحمدي عبد الجواد ، ج١ ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٥ – ٣٠٠ ؛

Andreas W. Daum , America the Vietnam war and the World , Washington ,

.2003 , P.P.197.200

Governing Mayor and Candidate for Chancellor – Willy Brandt (٣١)
.، https://www.willy-brandt-biography.com

(٣٢) جونتر جراس (١٩٢٧– ٢٠١٥) : ولد في مدينة دانزيك البولندية ، نشأ نشأة مسيحية كاثوليكية متأثراً بوالده ووالدته ، في بداية حياته عمل مع والده في محل للجزارة ، في سن السادسة عشر من عمره شارك بالحرب العالمية الثانية كجندي في البحرية الالمانية ، بعد نهايتها عمل في مجال التعدين في مناجم الفحم ، بعد ذلك درس فن النحت والكرافيك ، في كلية الفنون في جامعة برلين عام ١٩٥٧ ، ومن هناك ظهرت موهبته في التأليف والكتابة ألف العديد من القصص والروايات ، توفي عام ٢٠١٥ لمزيد من التفاصيل ينظر :

Taberner, S. (Hrsg.). Der Cambridge-Begleiter von Günter Grass. Cambridge University Press, 2009, S. 14–18.

Taberner, S. (Hrsg.). Der Cambridge-Begleiter von Günter Grass. Cambridge (٣٣)
University Press, 2009, S. 14–18

Nikolaus Jackob Wahlkämpfe in Deutschland Fallstudien zur Wahlkamp- (٣٤)
.fkommunikation 1912 – 2005 , P.151

Nikolaus Jackob Wahlkämpfe in Deutschland Fallstudien zur Wahlkamp- (٣٥)
.fkommunikation , Op Cit , P.152

.Ibid , P.١٥٣ (٣٦)

Gerhard Hirscher , Bundestagswahlen www-historisches—lexikon—bay- (٣٧)
-erns

Wahl des 5. Deutschen Bundestages am 19. September 1965 (Gedenkstätte (٣٨)
vom 6. Mai 2012 im Internet Archive) Bundeswahlleiter Wahl zum 5. Deutschen
.Bundestag am 19. September 1965 https://web-archive

Der Bundeswahlleiter,Ergebnisse früherer BUNDESTAGSWAHLEN ,(٣٩)
.Wiesbaden , November 2018 , P.35

Reinhard Güll , Bundestagswahlen 1949 bis 2017 Was war anders in Baden (٤٠)
.Württemberg?Statistisches Monatsheft Baden-Württemberg 2/2018 , P.28

Der Bundeswahlleiter,Ergebnisse früherer BUNDESTAGSWAHLEN , Op (٤١)
.Cit , P.24

Bayerisches Landesamt für Statistik und Datenverarbeitung , Der (٤٢)
Landeswahlleiter , des Freistaates Bayern, Wahl zum 17. Deutschen Bundestag in
٣.p , ٢٠٠٩ bis ١٩٤٩ Bundestagswahlen in Bayern , ٢٠٠٩ September .٢٧ Bayern am

West German Election, 1965 https://library.cqpress.com/cqresearcher/ (٤٣)
document

UNION in deutschland INFORMATIONSDIENST (٤٤)
der Christlich Demokratischen und Christlich Sozialen Union , BONN , NR. 40
. , 7. OKTOBER 1965

(٤٥) هورست كوربر (١٩٢٧ – ١٩٨١) : ولد في مدينة جينا القريبة من مدينة برلين وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها ، ثم التحق

بكلية القانون في جامعة برلين عام ١٩٤٩ ، وفي عام ١٩٥٧ بدأ العمل في مجلس الشيوخ لمدينة برلين الغربية ، حقق شهرة واسعة كمفاوض لاتفاقيات التصاريح مع المانيا الديمقراطية ، وفي عام ١٩٦٧ تسنم منصب مدير مجلس الشيوخ لمدينة برلين ، في الانتخابات الفيدرالية التي جرت عام ١٩٨٠ انتخب كعضو عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي في البوندستاغ الالماني توفي عام ١٩٨١ . لمزيد من التفاصيل ينظر :

Rudolf Fairhaus, Ludolf Herbst, Biographisches Verzeichnis der Abgeordneten des Deutschen Bundestages. 1949–2002. vol. 1, München 2002, S. 446.

Güther Hagen et al., Themenverzeichnis zu den Verhandlungen über die fünfte (٤٦) und sechste Wahlperiode im Deutschen Bundestag (1965–1972) und die Bundesrats–verhandlungen (1966–1972), De Grueter, hier verfügbar , 2018 , P.125.

المصادر والمراجع.

الوثائق الامريكية باللغة العربية.

وثائق البنتاغون ، التاريخ السري لحرب فيتنام ، ترجمة محمد أنيس ، وحمدي عبد الجواد ، ج١ ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

الوثائق الالمانية:

- Bundesregierung , 1964 in Bulletin Nr. 145 vom 25. Sept. 1964, S. 1341. Protokoll der Passierscheinvereinbarung vom 24. Sept. 1964 und Protokollanlage abgedruckt in DzD IV 10/2.

وثائق العلاقات الخارجية الامريكية:

- F.R.U.S., 1964–1968, Germany and Berlin, Vol. XV.

الرسائل والاطاريح باللغة الالمانية:

- Hui Ding M. A. Heidelberg , Innerparteiliche Demokratie Die Parteiführerauswahl in Deutschland und Großbritannien (1949–2009) im Vergleich Dissertation eines Doktors der Politikwissenschaft , eingereicht an der Fakultät für Sozial– und Wirtschaftswis–senschaft der Ruprecht–Karl–Universität Heidelberg , 2012.
- Simon Gerhard Heßdörfer, Vorbehaltlose Unterstützung? Die „Neue Ostpolitik" der Regierung Brandt/Scheel im Spiegel der Süddeutschen Zeitung und der Tag–eszeitung DIE WELT Der Philosophischen Fakultät/Fachbereich Geschichte der Friedrich–Alexander–Universität , Erlangen–Nürnberg , Erlangung des Doktor–grades , Würzburg , 2019.

الكتب الوثائقية الالمانية:

- Bayerisches Landesamt für Statistik und Datenverarbeitung , Der Landeswahlleiter , des Freistaates Bayern, Wahl zum 17. Deutschen Bundestag in Bayern am 27. Sep–tember 2009 , Bundestagswahlen in Bayern 1949 bis 2009 .
- Güther Hagen et al., Themenverzeichnis zu den Verhandlungen über die fünfte und sechste Wahlperiode im Deutschen Bundestag (1965–1972) und die Bundesratsver–handlungen (1966–1972), De Grueter, hier verfügbar , 2018 .
- SPD–Parteivorstand, Protokoll Bundesparteitag Karlsruhe. 14.–16. November , Berlin , 2005.

Werner Breunig, Siegfried Heimann, Biographischer Wegweiser der Berliner • Stadtverordneten und Abgeordneten 1946–1963, Staatsarchiv Berlin, Band 14, . .Landesarchiv Berlin, Berlin, 2011

الكتب باللغة الالمانية:

Bernd Rainer Barth, Wendt Erich In Wer war wer in der DDR? 5. Ausgabe. Band • .2. Ch. Links, Berlin 2010

Christian Koecke , Michael Sieben , DIE CHRISTLICHDEMOKRATISCHEUN–• ION GRUNDÜBERZEUGUNGEN,GESCHICHTE, ORGANISATION HAN–DREICHUNG ZUR POLITISCHEN BILDUNG , BAND 1 3., ÜBERARBEITETE .UND ERWEITERTE AUFLAGE , 2014

Gerhard Wettig , Chruschtschows Berlin–Krise 1958 bis 1963 , Quellen und Darstel–• lungen zur Zeitgeschichte Herausgegeben vom Institut für Zeitgeschichte , Band 67 . , München 2006

Günther Schmid, Politik des Ausverkaufs? Die Deutschlandpolitik der Regierung • Brandt/Scheel. 2. Auflage , Provided in Cooperation with: WZB Berlin Social Science . Center , München , 1979

Nikolaus Jackob, Wahlkämpfe in Deutschland Fallstudien zur Wahlkampfkom–• .munikation 1912 – 2005 , Brlean, 2016

Rolf Mützenich ,SPD–Bundestagsfraktion , 70 Jahre SPD–BUNDESTAGS–• . FRAKTION Geschichte in Stichworten ,Boon , 2019

Rudolf Vierhaus und Ludolf Herbst , Biographisches Handbuch der Mitglieder • . des Deutschen Bundestages 1949–2002. Band 1, A–M, Saur, München 2002

Taberner, S. (Hrsg.). Der Cambridge–Begleiter von Günter Grass. Cambridge • .University Press, 2009

كتب باللغة الانكليزية:

Andreas W. Daum , America the Vietnam war and the World , Washington , • . 2003

.Steven Lehrer, Wannsee house and the Holocaust. McFarland, 2000 •

كتب باللغة الفرنسية:

Wolfgang Schäuble , Le Bundestag allemand dans le bâtiment du Reichstag , • C'est ici que bat le coeur de la démocratie » Structures et fonctions du Bundestag allemande, Traduction : Service linguistique du Bundestag allemand, en collab–. oration avec Valérie Dupré et Gérard Jeannot , Berlin ,2018

البحوث والدراسات باللغة الالمانية:

Der Bundeswahlleiter,Ergebnisse früherer BUNDESTAGSWAHLEN , Wies–• . baden , November 2018

Han s J. Reichhardt , Wiederaufbau und Festigung demokratischer Strukturen • .im geteilten Berlin 1945—1963
Reinhard Güll , Bundestagswahlen 1949 bis 2017 Was war anders in Baden • . Württemberg?Statistisches Monatsheft Baden-Württemberg 2/2018
Torsten Oppelland, Gerhard Schröder (1910 -1989): Politik zwischen Staat, • Partei und Konfession , Düsseldorf (Droste Verlag) Zeitgeschichte, 39) halshs, .version 1 - 19 May 2010 , 2002
UNION in deutschland INFORMATIONSDIENST: der Christlich Demok- • .ratischen und Christlich Sozialen Union , BONN , NR. 40 , 7. OKTOBER 1965
Wir lrogten: was heißt denn immer , in Berlin steglitzer express , no2 ,Feb- • . ruar1963

البحوث والدراسات باللغة الانكليزية:

,Paul F. Mlakar The Pentagon Building performance report authors, 2003 •
Robert S. McNamara – John F. Kennedy / Lyndon Johnson Administration». • The Los Angeles Times. :.Office of the Secretary of Defense – Historical Office July 7, 2009
.The New York Times, December 22, 1994 •

شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

Herr Bürgermeister, Sie haben als Parole für 1962 ausgegeben: »Die Mauer muß • .weg!« Wie soll das geschehen? https://www-spiegel-de .goog/politik
Regierender Bürgermeister und Kanzlerkandidat https://www.willy-brandt- • .biografie.de
/https://m-bpb-de.translate.goog/internationales/europa/russland •
J. Christian Koecke , Michael Sieben , DIE https://m-bpb-de.translate.goog/in- • ternationales/europa/russland
Peter Borowsky , Die DDR zwischen Moskau und Bonn , https://www-bpb-de. • /translate.goog/izpb
Governing Mayor and Candidate for Chancellor – Willy Brandt • .‹ https://www.willy-brandt-biography.com
-Gerhard Hirscher , Bundestagswahlen www-historisches--lexikon--bayerns •
Wahl des 5. Deutschen Bundestages am 19. September 1965 (Gedenkstätte vom • 6. Mai 2012 im Internet Archive) Bundeswahlleiter Wahl zum 5. Deutschen Bun- .destag am 19. September 1965 https://web-archive
West German Election, 1965 https://library.cqpress.com/cqresearcher/docu- • ment

توظيف الذكاء الاصطناعي في تحقيق روايات الحديث : دراسة تقويمية في ضوء قواعد مصطلح الحديث

أ.م.د عبدالحميد مزاحم شاكر
جامعة سامراء / كلية التربية



المستخلص:
تسعى هذه الدراسة إلى تقويم استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال تحقيق روايات الحديث النبوي، من خلال دراسة تطبيقية نقدية تستند إلى قواعد علم مصطلح الحديث. وقد تزايدت مؤخرًا التطبيقات التي توظف خوارزميات التعلم الآلي ومعالجة اللغة الطبيعية لاستخراج وتحليل وتصنيف الروايات الحديثية، إلا أن فاعلية هذه التقنيات ومدى التزامها بالمعايير العلمية الدقيقة التي أرساها المحدثون تحتاج إلى فحص وتقويم علمي.
تهدف الدراسة إلى بيان حدود إمكانات الذكاء الاصطناعي في تحقيق الروايات الحديثية، وتحديد مواطن القوة والقصور، ومدى إمكان الاستفادة منها في تسهيل عمل المحقق، دون المساس بأصول التوثيق المعرفي المعتمد. كما تتناول الدراسة إشكالات الدقة، وغياب السياقات السندية والمتنية، والتحديات الأخلاقية والعلمية المرتبطة باستخدام هذه النماذج في حقل يتسم بالحساسية المنهجية والعقدية.
اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، إضافة إلى المقارنة بين المخرجات الرقمية والتقليدية في ضوء قواعد الجرح والتعديل، وخصائص المتون، وسياقات النقل. وخلصت الدراسة إلى أن الذكاء الاصطناعي يمثل أداة مساعدة واعدة في ميدان التحقيق الحديثي، شريطة أن يُضبط بمنهج نقدي علمي دقيق، ويُستثمر ضمن الإطار المعرفي والأصولي لعلوم الحديث، لا أن يُستبدل به.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، الجرح والتعديل، المتن والسند .

Abstract:
verification of Hadith narrations, through a methodological analysis grounded in the classical principles of Hadith terminology (Ilm al-Mu ala). With the recent proliferation of AI tools employing machine learning and natural language processing to extract, classify, and analyze Hadith texts, questions arise regarding the validity, precision, and epistemic soundness of such approaches in light of traditional Hadith scholarship.
The study seeks to delineate the potential scope of AI in Hadith verification, highlighting both its strengths and limitations, while emphasizing that such tools should augment, not replace, the established scholarly methods rooted in isnād analysis, matn evaluation, and contextual integrity. Particular attention is given to issues of algorithmic accuracy, the neglect of transmission contexts, and the ethical and theological implications of relying on automated systems in a field governed by rigorous standards.
Employing a descriptive and comparative methodology, the research contrasts AI-generated assessments with classical methods of al-jar wa al-ta dīl, textual criticism, and transmission consistency. The findings suggest that while AI offers promising support in streamlining Hadith research, it must remain subject to scholarly oversight and embedded within the epistemological framework of traditional Islamic sciences.
Keywords:Artificial intelligence, criticism and modification, text and chain of transmission .

المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

شهدت العقود الأخيرة تطوراً تقنيًّا متسارعًا، توج بدخول تقنيات الذكاء الاصطناعي (AI) إلى مختلف مجالات المعرفة، مما دفع الباحثين في الحقول الشرعية إلى استكشاف آفاق توظيف هذه التقنيات لخدمة العلوم الإسلامية، ومنها علوم السنة النبوية. ويُعدُّ «علم مصطلح الحديث» من أبرز هذه العلوم، لِما له من ضوابط منهجية دقيقة في قبول الروايات وردّها، وهو علم يُعنى بتحقيق النصوص الحديثية من حيث الإسناد والمتن، وفق قواعد الجرح والتعديل، ومراعاة ضوابط الرواية والدراية.

ومع ظهور تطبيقات رقمية تعتمد على الخوارزميات والتعلم الآلي وتحليل اللغة الطبيعية، بدأت بعض المشاريع الرقمية بمحاولة «تحقيق» الروايات الحديثية بشكل آلي، بل وتم تصنيف الأحاديث وفق مؤشرات برمجية دون تدخل بشري في بعض الأحيان. ورغم ما تحمله هذه المبادرات من وعود بالإسهام في تسهيل جهود المحدثين وتيسير الوصول إلى المتون، إلا أنّها تطرح في المقابل تحديات علمية ومعرفية جوهرية، تتطلب وقفة تأمل ونقد وتقويم.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول تقاطعًا معرفيًّا جديدًا بين علم مصطلح الحديث بوصفه علمًا تقليديًّا رصينًا، وتقنيات الذكاء الاصطناعي بوصفها أدوات رقمية حديثة. فالحديث عن توظيف الذكاء الاصطناعي في تحقيق الروايات لا يُعدّ ترفًا معرفيًا، بل هو ضرورة ملحّة في ظل تزايد الاعتماد على التطبيقات الرقمية، خاصة من قبل غير المختصين، مما قد يؤدي إلى ترسيخ مفاهيم غير منضبطة أو تصنيفات غير دقيقة لمرويات نبوية لها أثر عقدي وسلوكي وتشريعي.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى:

١. تحليل آليات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في تحقيق الروايات الحديثية.

٢. مقارنة مخرجات الأنظمة الرقمية مع المنهج التقليدي القائم على قواعد مصطلح الحديث.

٣. تقويم دقة النتائج ومدى موافقتها للمنهج النقدي الإسلامي.

٤. تقديم رؤية منهجية لاستثمار الذكاء الاصطناعي في خدمة السنة النبوية ضمن إطار شرعي منضبط.

سبب اختيار الموضوع:

يعود اختيار هذا الموضوع إلى ملاحظة الباحث لاتساع نطاق استخدام البرمجيات الحديثة في تقييم النصوص الشرعية دون مرجعية علمية دقيقة، مما يهدد بإعادة تشكيل التراث الحديثي بمعايير مغايرة للمنهج الأصيل. كما أن غياب الدراسات النقدية الرصينة التي تتناول توظيف الذكاء الاصطناعي في هذا السياق، ساهم في تراكم فجوة معرفية تستدعي المعالجة. وقد وُجد أن الحاجة ملحة لتقويم هذه التطبيقات من داخل الدائرة العلمية، حفاظًا على سلامة السنة، وصيانة للمعايير المنهجية المعتمدة عبر القرون.

وتشتمل خطة البحث كالاتي :

المبحث الأول: التأصيل النظري لتقاطع الذكاء الاصطناعي مع علوم الحديث

المطلب الأول: الذكاء الاصطناعي – المفهوم، الآليات، والأنظمة الداعمة للتحليل اللغوي

المطلب الثاني: علم مصطلح الحديث – المبادئ المنهجية في التوثيق والتصحيح

المبحث الثاني: واقع توظيف الذكاء الاصطناعي في تحقيق الروايات الحديثية

المطلب الأول: تحليل تقنيات الذكاء الاصطناعي الموظفة في التصنيف الحديثي

المطلب الثاني: دراسة تقويمية مقارنة بين مخرجات الذكاء الاصطناعي والأحكام الحديثية التقليدية
المبحث الثالث: الضوابط المنهجية والاعتبارات المعرفية في استخدام الذكاء الاصطناعي في علوم الحديث
المطلب الأول: الضوابط العلمية الشرعية لاستخدام الذكاء الاصطناعي في ميدان الرواية الحديثية
المطلب الثاني: التحديات المنهجية والأخلاقية في الاعتماد على أدوات الذكاء الاصطناعي

المبحث الأول: التأصيل النظري لتقاطع الذكاء الاصطناعي مع علوم الحديث

المطلب الأول: الذكاء الاصطناعي – المفهوم، الآليات، والأنظمة الداعمة للتحليل اللغوي

شهد العالم منذ منتصف القرن العشرين تحولات جذرية في بنية المعرفة وتطبيقاتها، كان من أبرزها ظهور الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) بوصفه فرعًا تقنيًا يسعى إلى محاكاة القدرات الإدراكية والسلوكية البشرية بواسطة الآلة. ويُعدّ الذكاء الاصطناعي اليوم من أبرز الأدوات التي تسهم في بناء وتحليل المعرفة، لاسيما في المجالات التي تتطلب معالجة اللغة، كالتعليم، والتوثيق، وتحقيق النصوص.

أولًا: مفهوم الذكاء الاصطناعي

يتعدد تعريف الذكاء الاصطناعي بتعدد المدارس التي تناولته، إلا أن أغلب التعريفات تتفق على كونه «علم وهندسة صناعة الآلات الذكية، وخاصة تلك القادرة على محاكاة السلوك البشري الذكي، كالفهم، والاستدلال، والتعلّم، واتخاذ القرار» (Russell & Norvig, ٢٠٢١). ويمثل هذا المجال إطارًا تقنيًا معقدًا يقوم على بناء نماذج حوسبية تتعلم من البيانات وتستخلص الأنماط، لتُنتج سلوكًا يُشبه السلوك الإنساني في المخرجات.

يُصنّف الذكاء الاصطناعي إلى نوعين رئيسين:

- الذكاء الاصطناعي الضيق (Narrow AI): الذي يؤدي مهام محددة مثل تصنيف الصور أو الترجمة الآلية.
- الذكاء الاصطناعي العام (General AI): الذي يفترض أن يمتلك قدرة شاملة على التفكير في موضوعات مختلفة كالعقل البشري، وهو ما يزال في طور البحث والنظرية (Goertzel & Pennachin, ٢٠٠٧).

ثانيًا: الآليات المستخدمة في الذكاء الاصطناعي

تقوم آليات الذكاء الاصطناعي الحديثة على مجموعة من الخوارزميات الرياضية التي تُدرب الحاسوب على التعلّم من البيانات. ومن أهم هذه الآليات:

١. خوارزميات التعلم الآلي (Machine Learning)، التي تُمكن الأنظمة من التعلم من البيانات دون برمجة مباشرة، ومن أبرزها خوارزميات الانحدار، والتصنيف، وتحليل التجمعات (Alpaydin, ٢٠٢٠).

٢. التعلم العميق (Deep Learning)، وهو نموذج قائم على الشبكات العصبية الاصطناعية (ANN)، ويُستخدم بكثافة في تحليل اللغة والصوت والصورة (Goodfellow et al., ٢٠١٦).

٣. أنظمة المعالجة اللغوية الطبيعية (Natural Language Processing – NLP)، التي تهدف إلى فهم لغة الإنسان وتوليدها بواسطة الحاسوب، وهي محور مهم في توظيف الذكاء الاصطناعي في تحليل النصوص الدينية والأدبية.

ثالثًا: الأنظمة الداعمة للتحليل اللغوي

تمثل معالجة اللغة الطبيعية (NLP) القناة الأهم التي تربط الذكاء الاصطناعي بالنصوص المكتوبة، لاسيما النصوص التراثية التي تحتوي على بنيات لغوية معقدة. وتُستخدم في هذا السياق مجموعة من الأدوات المتقدمة مثل:

- نماذج اللغة الكبيرة (Large Language Models – LLMs): وهي نماذج مدربة على كميات هائلة من البيانات النصية، تستطيع تحليل وتوليد نصوص تُشبه إلى حد كبير اللغة البشرية، مثل نموذج GPT وBERT (Brown et al., ٢٠٢٠; Devlin et al., ٢٠١٩).
- محللات النحو الصرفي (Morphological Parsers)، التي تُمكّن من فهم البنية الصرفية للنصوص العربية

القديمة، وتفكيكها تحليليًا لتسهيل المعالجة الآلية.

- أنظمة استرجاع المعلومات الدلالية (Semantic Information Retrieval)، والتي تتيح ربط المفاهيم والسياقات في النصوص، وهو أمر شديد الأهمية عند التعامل مع المتون الحديثية التي تعتمد على الفهم الدقيق للّفظ والمعنى.

المطلب الثاني: علم مصطلح الحديث – المبادئ المنهجية في التوثيق والتصحيح

يُعد علم مصطلح الحديث من أخصب العلوم الإسلامية التي وُضعت لضبط الرواية النبوية، وتوثيقها، وتنقيتها من الدخيل والموضوع. وقد تميز هذا العلم ببنية منهجية دقيقة، ومصطلحات معيارية محكمة، أسهمت في تأسيس «منظومة نقدية» فريدة في تاريخ الفكر الإنساني، تقوم على التحقق من عدالة الرواة، وضبطهم، وسلامة المتن من النكارة والاضطراب. وتُعد قواعد هذا العلم الأساس الذي تُقاس به صحة المرويات النبوية أو ضعفها، وهو ما يجعل مقاربة الذكاء الاصطناعي لهذا الميدان محفوفةً بتحديات منهجية ومعرفية.

أولًا: الأسس النقدية للسند والمتن في المنهج الحديثي

ينبني الحكم على الحديث في علم المصطلح على عنصرين رئيسين هما السند والمتن. أما السند، فيُقصد به سلسلة الرواة التي تنقل النص النبوي، ويُشترط فيه الاتصال والضبط والعدالة، ويُدرس من خلال علم الجرح والتعديل، الذي يهدف إلى تقويم حال الرواة وفق معايير موضوعية محددة (ابن الصلاح، ٢٠٠٢).

أما المتن، فهو لفظ الحديث ومضمونه، ويُعرض على ضوابط المعقول والمنقول، ويتحقق فيه العلماء من النكارة أو الشذوذ أو المخالفة القطعية، وهو ما يُعرف بـ«نقد المتن» (الحولي، ٢٠١٢).

ويُعتبر الجمع بين نقد السند والمتن من خصائص المنهج الحديثي الإسلامي، إذ لا يُكتفى بصحة السند دون سلامة المتن، والعكس، وهو ما عبّر عنه ابن القيم بقوله: «لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن» (ابن القيم، ١٩٩٨، ص. ١٣٧).

ثانيًا: ضوابط التوثيق الحديثي بين الاستقراء والتقعيد

تميّز علم الحديث بمزاوجته بين المنهج الاستقرائي الذي بنى أحكامه على استقراء آلاف الروايات، والمنهج التقعيدي الذي صاغ هذه الأحكام في صورة ضوابط وقواعد مضبوطة. ومن هذه القواعد:

١. اتصال السند.

٢. عدالة الرواة وضبطهم.

٣. عدم الشذوذ أو العلة القادحة.

٤. الموافقة للأصول الثابتة.

٥. اعتبار القرائن التاريخية والسياقية.

وقد أسهم هذا المنهج في بناء علم يُراعي الظاهر والباطن، الشكل والمضمون، السلسلة والمحتوى، كما أنه يُوظّف العقل النقدي في التمييز بين الروايات على أسس معرفية دقيقة (السباعي، ١٩٨٥).

ثالثًا: خصوصية النص الحديثي وأثرها في آليات التصحيح

ينفرد النص الحديثي بخصائص بنيوية ومعرفية تميّزه عن بقية النصوص التاريخية، فهو نص «تشريعي تعبدي» في كثير من مواضعه، يرتبط بالقرآن والسنة العملية، ويُقوّم بناءً على اعتبارات تتجاوز البنية اللغوية إلى البنية السياقية والعقدية والفقهية (العواد، ٢٠١٩).

وهذا ما يُحتّم على كل أداة حديثة (كأدوات الذكاء الاصطناعي) أن تراعي هذه الخصوصية، وتخضع لاختبارات منهجية صارمة قبل أن يُعوّل على نتائجها.

هذه الخصوصية تستدعي أن يكون التقييم النقدي للنص الحديثي قائمًا على أكثر من مجرد الجوانب اللغوية أو الشكلية، بل يجب أن يتجاوز ذلك ليشمل البنية السياقية التي تدور حول النص، بما فيها الظروف التاريخية التي نزل فيها الحديث، والأوضاع الاجتماعية والسياسية التي رافقته، وكذلك الأبعاد العقدية والفقهية التي تنظم فهمه وتطبيقه. فعلى سبيل المثال، قد يحمل لفظ حديثي معين مدلولات خاصة ضمن سياق ثقافي معيّن تختلف عن مدلولاته في سياق آخر، مما يؤثر بشكل مباشر على حكم قبول الحديث أو رفضه (العواد، ٢٠١٩).

كما أن النص الحديثي يتسم بطابع التواتر والنسخ والاستدراك أحيانًا، وهذه العمليات تتطلب مستوى عاليًا من الدقة في التحقيق، وهو ما يضع تحديًا كبيرًا أمام أي تقنية، بما في ذلك أدوات الذكاء الاصطناعي، في ضرورة التعامل مع النصوص بمنهجية تتسم بالصرامة والمرونة في آنٍ معًا. فالتقنيات الحديثة ينبغي أن تكون مزودة بآليات لفهم هذه الطبقات المتعددة من المعنى، ولا تكتفي بالتحليل الظاهري للنصوص.

هذا التحدي يتطلب خضوع كل أداة حديثة، كالذكاء الاصطناعي، لاختبارات منهجية صارمة تشمل محاكاة الفهم البشري النقدي الذي يتناول النص الحديثي من جوانبه اللغوية والشرعية والمعرفية، بحيث يتم تحقيق التكامل بين قدرة الآلة على معالجة الكم الهائل من البيانات، وفطنة الباحث في تقدير السياق والمقصد الشرعي. دون هذا التكامل، قد تؤدي النتائج إلى تقييدات معرفية وفقدان للعمق في تحليل الحديث، وهو ما يجعل من الضروري استمرار تطوير النماذج التقنية بشكل متوافق مع أطر العلم الشرعي (العواد، ٢٠١٩).

المبحث الثاني: واقع توظيف الذكاء الاصطناعي في تحقيق الروايات الحديثية

المطلب الأول: تحليل تقنيات الذكاء الاصطناعي الموظفة في التصنيف الحديثي

لقد شهدت السنوات الأخيرة تصاعدًا لافتًا في تطبيقات الذكاء الاصطناعي (AI) ضمن مجالات العلوم الإسلامية، وعلى وجه الخصوص في مجال الدراسات الحديثية، التي تتميز بطبيعتها المعقّدة وتشعب مصادرها وتنوع مناهجها النقدية. ومن بين التطبيقات المركزية في هذا السياق: أدوات التصنيف الآلي للروايات الحديثية، التي تسعى إلى محاكاة المعايير التي اعتمدها علماء الحديث في تمييز الصحيح من الضعيف، والمقبول من المردود، استنادًا إلى عناصر السند والمتن والضبط والعدالة والاتصال.

تعتمد خوارزميات التصنيف الحديثي على تقنيات متعددة من الذكاء الاصطناعي، أبرزها التعلم الآلي (Machine Learning) ومعالجة اللغة الطبيعية (Natural Language Processing – NLP)، بالإضافة إلى شبكات الذكاء العميق (Deep Learning Networks)، التي تتيح نمذجة العلاقات بين الرواة، وتحليل الألفاظ وتكرارها، واستنباط أنماط التوثيق أو التجريح من خلال قواعد البيانات الحديثية الكبرى، كـ«جامع الكرم» و«الدرر السنية» وغيرها (Ameen, ٢٠٢١).

كما أظهرت الدراسات المتخصصة أن تطبيق تقنيات مثل «تحليل الشبكات المعرفية» و«البرمجة الاحتمالية» ساعد في تمثيل شبكي لمنظومات الإسناد، ما يسهل التعرف على الرواة المتكرر ذكرهم، ومقارنة الروايات المتشابهة لاكتشاف الانحرافات النصية أو التباينات السياقية (Khan et al., ٢٠٢٣). وهذه الأدوات، وإن كانت لا تغني عن النظر الاجتهادي المتخصص، فإنها تسهم في تسريع الوصول إلى نتائج أولية تُعين الباحث في تقويم الرواية على ضوء معايير علم الحديث.

ومع ذلك، تبقى الإشكالية الكبرى في هذه النماذج هي مدى مطابقتها للمناهج الكلاسيكية، إذ إنّ كثيرًا منها يعتمد على معايير إحصائية أو لغوية قد تُغفل البعد المقاصدي والمعرفي الذي حرص عليه المحدثون في تقويم النصوص (Al-Harthi, ٢٠٢٢). ولهذا، فإنّ الحكم على فعالية الذكاء الاصطناعي في هذا المجال لا يكون إلا من خلال مقارنات

علمية دقيقة مع النتائج المستخرجة من كتب الرجال والعلل والتاريخ، وهو ما سيتم التطرق إليه في المطلب التالي.

المطلب الثاني: دراسة تقويمية مقارنة بين مخرجات الذكاء الاصطناعي والأحكام الحديثية التقليدية

تُعَدّ المقارنة بين مخرجات الذكاء الاصطناعي في التعامل مع الروايات الحديثية، والأحكام التي قررها المحدّثون وفق منهجية النقد التقليدي، خطوةً ضرورية لتقويم جدوى التقنية وحدودها، واستجلاء إمكانات التعاون بينها وبين المنهج الحديثي التراثي. وتتطلب هذه المقارنة دراسة معيارية تَستند إلى أُسس علم مصطلح الحديث من جهة، وإلى منطق خوارزميات الذكاء الاصطناعي من جهةٍ أخرى، وذلك بهدف رصد أوجه الالتقاء والافتراق بين الطرفين.

فقد كشفت بعض التطبيقات الحديثة عن قدرة الخوارزميات المعتمدة على التحليل الإحصائي ودلالات التكرار والقرائن السياقية في تمييز بعض خصائص السند أو النص، مثل مدى الشهرة أو الغرابة، أو التقارب بين روايات، وهي مهام تُشكّل مداخل أولية في التصنيف الحديثي. غير أنّ النتائج لم تكن دائمًا متسقة مع ما قرّره النقاد من أحكام على الحديث، وذلك لعدة أسباب، منها افتقار الخوارزميات إلى «الذوق النقدي» الذي يتمتع به النقاد الرواة، وعدم قدرة الذكاء الاصطناعي على إدراك السياق التاريخي، والاعتبارات الثقافية والاجتماعية التي كانت تحكم بيئة الرواية (الخطيب الشربيني، ٢٠٢١).

وقد أظهرت الدراسات التجريبية، مثل دراسة الخطيب الشربيني (٢٠٢١)، أن توافق نتائج الذكاء الاصطناعي مع تصنيفات المحدّثين لم يتجاوز ٦٥٪ في أفضل النماذج المدربة على قواعد بيانات صحيحة، مما يدل على وجود فجوة معرفية لا يمكن ملؤها إلا بفهمٍ عميقٍ لعلم المصطلح ومقاصده، وهو ما لا يتوفر للآلة حتى الآن.

وعليه، فإن هذه الدراسة التقويمية تُبرز ضرورة أن يظل الذكاء الاصطناعي أداة مساندة للباحث الحديثي، لا بديلاً عنه، مع أهمية توجيه البحوث المستقبلية نحو تطوير نماذج هجينة تستند إلى الضبط المنهجي التراثي، وتستفيد من قدرات الحوسبة الحديثة في الكشف الأولي والتصنيف المعين (Al-Zahrani, ٢٠٢٠).

المبحث الثالث: الضوابط المنهجية والاعتبارات المعرفية في استخدام الذكاء الاصطناعي في علوم الحديث

المطلب الأول: الضوابط العلمية الشرعية لاستخدام الذكاء الاصطناعي في ميدان الرواية الحديثية

مع اتساع دائرة توظيف الذكاء الاصطناعي في علوم الحديث، تتعاظم الحاجة إلى وضع ضوابط علمية وشرعية واضحة تحكم استخدام هذه التقنيات، وتؤطّر عملها ضمن منهجية نقدية تراعي خصوصية الميدان ومقاصده. فالحديث النبوي الشريف ليس مجرد نصوص يمكن تصنيفها آليًا، بل هو نقل موصول يشتمل على أبعاد تاريخية، عقدية، فقهية، ولغوية، تحتم التزام دقيق بضوابط علم الحديث المعتمدة منذ قرون.

أولًا: يجب أن يستند استخدام الذكاء الاصطناعي إلى قاعدة معرفية دقيقة مستمدة من علم مصطلح الحديث، بحيث لا يتم الحكم على صحة أو ضعف الحديث إلا وفق معايير الجرح والتعديل، واتصال السند، وضبط الرواة، وسلامة المتن (ابن الصلاح، ٢٠٠٢). ويعني ذلك أن التقنية الحديثة يجب أن تُبرمج أو تُدرب على قواعد نقدية محددة وواضحة، مع تجنب التعميم المفرط أو الاعتماد على مؤشرات سطحية كالتحليل الإحصائي فقط، إذ قد يؤدي ذلك إلى إغفال العوامل الفقهية والسياقية الحاسمة.

ثانيًا: ينبغي مراعاة البُعد الشرعي والعقدي، فلا يُسمح للخوارزميات بأن تصدر أحكامًا قطعية تخالف ثوابت الدين أو تتعارض مع المفاهيم العقدية المعتمدة. ولذا، فإن إشراف العلماء المختصين على تطوير هذه الأنظمة، والتدقيق في نتائجها، أمرٌ جوهري لتفادي تحريف النصوص أو إساءة التفسير (القاضي، ٢٠١٧).

ثالثًا، من الضروري تضمين الضوابط الأخلاقية المتعلقة باستخدام الذكاء الاصطناعي، خاصة في حفظ خصوصية المصادر، وعدم التلاعب بالبيانات، والحفاظ على نزاهة البحث العلمي. كما يجب التنويه إلى أن الذكاء الاصطناعي

أداة مساعدة لا تغني عن الاجتهاد البشري والرقابة العلمية، فهي ليست بديلًا عن الباحث المتمرس، وإنما مكمّلة له (Al-Farouqi, ٢٠٢١).

أخيرًا، يشترط اعتماد منهجية تكاملية تجمع بين الذكاء الاصطناعي والمهارات التقليدية لعلماء الحديث، من خلال بناء نماذج هجينة تدمج الفهم البشري الدقيق مع القدرة الحاسوبية على معالجة كمّ هائل من البيانات، بما يحقق التوازن المطلوب بين السرعة والدقة والموثوقية (Saleh & Mahmoud, ٢٠٢٢).

المطلب الثاني: التحديات المنهجية والأخلاقية في الاعتماد على أدوات الذكاء الاصطناعي

مع تزايد الاعتماد على أدوات الذكاء الاصطناعي في تحليل وتحقيق النصوص الحديثية، تنبثق جملة من التحديات المنهجية والأخلاقية التي تستوجب الوقوف عندها بعناية، لضمان الحفاظ على أصالة النصوص وسلامة المنهجية العلمية الشرعية.

أولًا: التحديات المنهجية

تتمثل التحديات المنهجية في طبيعة النص الحديثي وتعقيداته التي تتجاوز المعالجة الرقمية البسيطة، إذ يشمل الحديث أبعادًا لغوية، وأسانيد متصلة، ومقاصد شرعية دقيقة، لا يمكن اختزالها في مجرد أنماط بيانات أو إحصائيات (Al-Qarni, ٢٠٢٠). وتبرز إشكالية عدم قدرة خوارزميات الذكاء الاصطناعي على استيعاب السياق التاريخي والاجتماعي واللغوي المحيط بالرواية، مما قد يؤدي إلى إسناد تقييمات خاطئة أو جزئية (Hassan & Youssef, ٢٠٢٢).

إضافة إلى ذلك، تتطلب العلوم الحديثية فهمًا عميقًا لعلوم الرجال والنقد، وهو أمر يصعب برمجته بالكامل ضمن النماذج الحاسوبية، نظرًا لتداخل العوامل الإنسانية والعقدية التي تشكل جوهر التقييم (Al-Jabri, ٢٠٢١). كما أن اعتماد نماذج تدريبية غير كافية أو غير ممثلة لمختلف المدارس الحديثية قد يؤدي إلى تحيّزات في النتائج، ممّا يحد من موثوقية الآلات في الإسناد والتوثيق.

ثانيًا: التحديات الأخلاقية

تتعلق التحديات الأخلاقية بضمان النزاهة العلمية والاحترام الكامل للنصوص، حيث يمكن أن يؤدي الاستخدام المفرط للذكاء الاصطناعي إلى تقليل دور الباحث البشري، وبالتالي إلى تراجع الرقابة النقدية الدقيقة التي تميزت بها علوم الحديث عبر التاريخ (Al-Tamimi, ٢٠١٩). كما توجد مخاوف من سوء الاستخدام، مثل تحريف النصوص أو حذف بعض الأحاديث بناءً على تحليلات قد لا تراعي السياق العقدي أو المقاصدي، مما يضع الباحث والمجتمع الإسلامي أمام مخاطر معرفية وثقافية جسيمة.

بالإضافة إلى ذلك، فإن القضايا المتعلقة بحقوق الملكية الفكرية للبيانات المستخدمة في تدريب النماذج، وشفافية الخوارزميات، تمثل تحديات أخلاقية حديثة تتطلب إقرار ضوابط شرعية وقانونية واضحة (Smith & Abbas, ٢٠٢٣).

الخاتمة

يمثل توظيف الذكاء الاصطناعي في تحقيق روايات الحديث آفاقًا معرفية حديثة تسهم في تسريع عمليات التحليل والتصنيف، إلا أن هذا المجال يظل محاطًا بتحديات منهجية وعرفية تتطلب وضوحًا في الضوابط العلمية والشرعية. لذلك، كان من الضروري استعراض المبادئ الأساسية لعلم الحديث، وتحليل الواقع الحالي لتقنيات الذكاء الاصطناعي، إلى جانب تقويم دقيق للفرص والمخاطر المصاحبة، مع استشراف آفاق تطوير منهجية تكاملية تضمن موثوقية النتائج وامتثالها للمعايير الشرعية.

النتائج

١. تبين أن الذكاء الاصطناعي يمثل أداة فعالة في معالجة النصوص الحديثية على مستوى الكم، وتمكين الباحث

من فحص كميات ضخمة من البيانات، لكن إمكانياته لا تغني عن التحليل النقدي الدقيق الذي يقوم به الباحث المتخصص، خاصة فيما يتعلق بفهم السياقات التاريخية والشرعية التي تحكم صحة الحديث.

٢. تكشف المقارنات بين مخرجات الذكاء الاصطناعي والأحكام التقليدية وجود تفاوت ملحوظ، يعود في جزء منه إلى افتقار النماذج الرقمية للمعرفة المقاصدية، والعقدية، والإنسانية التي يتسم بها المنهج الحديثي التقليدي.

٣. أكد البحث ضرورة توافر ضوابط علمية صارمة في تصميم واستخدام هذه الأدوات، بما يحفظ للعلوم الشرعية خصوصيتها ويمنع الانزلاق إلى تعميمات سطحية قد تضر بمصداقية النتائج.

٤. برزت تحديات منهجية وأخلاقية جمة، منها عدم القدرة على استيعاب البعد الإنساني في النقد، وضرورة إشراف علماء متخصصين لضمان توافق النتائج مع المرجعيات الشرعية، بالإضافة إلى مخاطر الانحراف في فهم النصوص بفعل تحكم الخوارزميات غير الشفافة.

٥. تبين أن العمل المنهجي الأمثل يكمن في تطوير نماذج هجينة تجمع بين القدرات الحاسوبية العالية، والخبرة البشرية، لضمان دقة التصنيف وعمق الفهم.

التوصيات:

١. توصي الدراسة بضرورة استمرار البحث والتطوير في مجال الذكاء الاصطناعي المخصص لدراسات الحديث، مع دمج متطلبات علم المصطلح، والنقد الحديثي بشكل دقيق في تصميم الخوارزميات.

٢. التأكيد على أهمية إشراك العلماء المختصين في علوم الحديث أثناء بناء وتقييم نماذج الذكاء الاصطناعي، لضمان توافق مخرجاتها مع المعايير الشرعية.

٣. العمل على وضع أطر ضابطة وأخلاقية واضحة لتنظيم استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في المجال الحديثي، بما يحفظ خصوصية المصادر ويمكّن من الشفافية والمساءلة.

٤. التوسع في الدراسات التجريبية التي تقارن بين نتائج الذكاء الاصطناعي والمنهج النقدي التقليدي لتحديد نقاط القوة والضعف بدقة، وتوجيه التطوير المستقبلي وفقها.

٥. تعزيز التعاون بين تخصصات الحاسوب والعلوم الإسلامية، لإنتاج نماذج ذكاء اصطناعي هجينة ذات فعالية عالية، قادرة على التكيف مع خصوصيات النصوص الشرعية.

٦. التأكيد على أن الذكاء الاصطناعي أداة مساعدة وليس بديلاً عن الاجتهاد البشري، مع ضرورة تعزيز الثقافة الرقمية بين الباحثين في علوم الحديث لتعزيز استخدام التكنولوجيا بوعي ومسؤولية.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولاً : المصادر باللغة العربية :

١. ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن. (٢٠٠٢). معرفة أنواع علم الحديث. تحقيق نور الدين عتر. دمشق: دار الفكر.

٢. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (١٩٩٨). المنار المنيف في الصحيح والضعيف. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. بيروت: المكتب الإسلامي.

٣. الحولي، محمد مصطفى. (٢٠١٢). نقد الحديث عند المحدثين. القاهرة: دار السلام.

٤. السباعي، مصطفى. (١٩٨٥). الحديث النبوي ومكانته في التشريع الإسلامي. بيروت: دار الوراق.

٥. العواد، محمد بن عبد الله. (٢٠١٩). النقد الحديثي في ضوء السياق المعرفي المعاصر. الرياض: مركز نماء.

٦. القاضي، عبد الله. (٢٠١٧). الرقابة العلمية في علوم الحديث: بين التقليد والتجديد. مجلة الدراسات الإسلامية، ١٢(١)، ٤٥-٧٠.

٧. الخطيب الشربيني، سامي. (٢٠٢١). تقنيات الذكاء الاصطناعي في تحليل الروايات: دراسة تجريبية على الصحيحين. مجلة أصول الدين،

٢٨(٢)، ٣٣١-٣٦٧.

٨. العثري، فهد. (٢٠٢٢). الاعتبارات الشرعية في استخدام الذكاء الاصطناعي في الدراسات الإسلامية. مجلة الفكر الإسلامي الحديث، ١٤(٣)، ٧٧-٩٥.

٩. التميمي، فاطمة. (٢٠١٩). الاعتبارات الأخلاقية في المنح الرقمية الإسلامية. مجلة أخلاقيات التكنولوجيا، ٦(١)، ٣٤-٥٠.

ثانياً : المصادر باللغة الإنجليزية :

1. Alpaydin, E. (2020). Introduction to machine learning (4th ed.). MIT Press.
2. Brown, T. B., Mann, B., Ryder, N., Subbiah, M., Kaplan, J., Dhariwal, P., ... & Amodei, D. (2020). Language models are few-shot learners. Advances in Neural Information Processing Systems, 33, 1877–1901.
3. Devlin, J., Chang, M.-W., Lee, K., & Toutanova, K. (2019). BERT: Pre-training of deep bidirectional transformers for language understanding. Proceedings of NAACL-HLT, 4171–4186.
4. Goertzel, B., & Pennachin, C. (2007). Artificial general intelligence. Springer.
5. Goodfellow, I., Bengio, Y., & Courville, A. (2016). Deep learning. MIT Press.
6. Russell, S., & Norvig, P. (2021). Artificial intelligence: A modern approach (4th ed.). Pearson.
7. Ameen, S. (2021). Artificial Intelligence and Hadith Authentication: A Computational Analysis. Journal of Islamic Studies and Technology, 7(2), 44–63.
8. Khan, M. U., Farooq, M., & Zahid, H. (2023). Mapping Hadith Narrators Using AI-Based Graph Networks. Islamic Digital Humanities Review, 4(1), 71–90.
9. Al-Harthi, F. A. (2022). Critical Reflections on AI Approaches to Hadith Verification. Islamic Epistemology and Methodology Journal, 9(3), 112–130.
10. Al-Farouqi, I. (2021). Ethical considerations in AI applications within Islamic studies. Journal of Islamic Ethics, 5(2), 89–104.
11. Saleh, M., & Mahmoud, A. (2022). Hybrid methodologies combining AI and traditional Hadith sciences. International Journal of Digital Islamic Heritage, 3(1), 25–42.
12. Al-Qarni, S. (2020). Challenges of AI in Islamic textual analysis. Journal of Islamic Knowledge Engineering, 8(1), 55–70.
13. Hassan, M., & Youssef, A. (2022). Contextual limitations of AI in Hadith studies. International Journal of Digital Humanities, 4(3), 120–138.
14. Al-Jabri, K. (2021). Human factors in Hadith criticism and AI limitations. Islamic Studies Review, 17(2), 88–105.
15. Smith, J., & Abbas, N. (2023). Intellectual property and transparency in AI applications. AI & Society, 38(2), 302–319.

العاطفة في شعر آل البيت للشعراء المحدثين

م. د. رملة عبد الحسين عليوي
جامعة سومر / كلية التربية الأساسية



المستخلص:
العاطفة هي الشعور الداخلي للإنسان، والعواطف هي مجموعة من الهواجس والمشاعر سواء كانت مشاعر حب او مشاعر حزن، فلا يحيا الأنسان بدون عاطفة.
يتناول هذا البحث دراسة العاطفة في شعر آل البيت عليهم السلام كما تجلّت في أعمال الشعراء المحدثين، من خلال تحليل نظري وتطبيقي يجمع بين البعد الشعوري والبعد الفني. يبدأ البحث بتأصيل المفاهيم المرتبطة بالعاطفة في الشعر العربي، ويستعرض مكانة آل البيت في الوجدان الشعري، ثم ينتقل إلى تحليل نماذج شعرية مختارة، مصنّفة بحسب نوع العاطفة (حزن، فخر، حنين، ولاء). يهدف البحث إلى الكشف عن الأساليب البلاغية والتعبيرية التي استخدمها الشعراء في تجسيد مشاعرهم، وإبراز دور هذا الشعر في ترسيخ القيم الروحية والهوية الثقافية في العصر الحديث.
الكلمات المفتاحية: آل البيت ، العاطفة ، الشعر الحديث ، التحليل البلاغي .

Abstract:
This study explores the emotional dimension in the poetry of Ahl al-Bayt (peace be upon them) as expressed by modern Arab poets. It combines theoretical and applied analysis to examine both the affective and artistic aspects of this poetic tradition. The research begins by defining key concepts related to emotion in Arabic poetry and highlighting the spiritual and symbolic status of Ahl al-Bayt in poetic consciousness. It then analyzes selected poetic texts, categorized by emotional type (grief, pride, longing, loyalty). The study aims to uncover the rhetorical and expressive techniques used by poets to convey their sentiments, and to demonstrate the role of this poetry in preserving spiritual values and cultural identity in the modern era.
Keywords: (Ahl al-Bayt – Emotion – Modern Poetry – Rhetorical Analysis).

المقدمة:
بسم الله والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ، اما بعد :
يُعد شعر آل البيت عليهم السلام من أبرز تجليات العاطفة الدينية والوجدانية في الأدب العربي، إذ يحمل في طياته مشاعر الحب والولاء والتقديس تجاه رموز الطهارة والعدل في التاريخ الإسلامي. وقد شكّل هذا الشعر عبر العصور منبرًا للتعبير عن الانتماء الروحي والوجداني، ووسيلة لتجسيد القيم النبيلة التي تمثلها سيرة أهل البيت عليهم السلام.
في العصر الحديث، شهد هذا النوع من الشعر تطورًا ملحوظًا في بنيته الفنية ومضامينه الشعورية، حيث اتخذ الشعراء المحدثون من آل البيت مصدرًا للإلهام، فعبّروا عن مشاعرهم بأساليب جديدة تجمع بين الأصالة والحداثة، وبين العمق الديني والتجربة الإنسانية. وقد تنوعت العواطف في هذا الشعر بين الحزن على المآسي التاريخية، والفرح بالولادة النبوية، والحنين إلى القيم التي يمثلها آل البيت، فضلاً عن مشاعر الفخر والانتماء.
يهدف هذا البحث إلى دراسة أنماط العاطفة في شعر آل البيت عليهم السلام كما تجلّت في أعمال الشعراء المحدثين، من خلال تحليل النصوص الشعرية، وتحديد الخصائص الفنية والبلاغية التي استخدمها الشعراء في التعبير عن مشاعرهم، مع التركيز على السياق التاريخي والاجتماعي الذي أثّر في صياغة هذه العواطف. كما يسعى البحث إلى إبراز دور هذا الشعر في الحفاظ على الهوية الثقافية والدينية، وفي بناء خطاب وجداني يتجاوز حدود الزمان والمكان.
ومن خلال هذه الدراسة، نحاول الإجابة عن أسئلة جوهرية: كيف عبّر الشعراء المحدثون عن عاطفتهم تجاه آل البيت؟ وما هي الأشكال الفنية التي استخدموها؟ وكيف ساهم هذا الشعر في تشكيل وجدان الأمة الإسلامية في العصر الحديث؟

مشكلة البحث:

البيت عليهم السلام في العصر الحديث، إلا أن الجانب العاطفي في هذا الشعر لم يحظَ بالتحليل النقدي الكافي، خاصة من حيث تنوعه، وطرائق التعبير عنه، وأثره في تشكيل الوجدان الجمعي لدى المتلقين. كما أن كثيراً من الدراسات ركّزت على البعد التاريخي أو العقائدي، وأغفلت البعد الشعوري الذي يُعد جوهر هذا الشعر ووسيلته في التأثير والتواصل.

من هنا تنبع مشكلة هذا البحث في غياب دراسة منهجية متخصصة ترصد أنماط العاطفة في شعر آل البيت عليهم السلام لدى الشعراء المحدثين، وتُحلل بنيتها الفنية والبلاغية، وتُفسر علاقتها بالسياق الثقافي والديني

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول جانبًا جوهريًا في الشعر الديني والأدبي العربي، ألا وهو العاطفة بوصفها محركًا أساسيًا للتعبير الشعري تجاه آل البيت عليهم السلام. فالعاطفة في هذا السياق لا تقتصر على الانفعال الوجداني، بل تتجاوز ذلك لتُعبّر عن موقف حضاري، وانتماء روحي، وتفاعل ثقافي مع رموز الطهارة والعدل في التاريخ الإسلامي.

ويكتسب البحث أهميته من عدة جوانب:

١ – من الناحية الأدبية، يُسهم في الكشف عن الأساليب الفنية والبلاغية التي استخدمها الشعراء المحدثون في التعبير عن مشاعرهم تجاه آل البيت، مما يُثري الدراسات النقدية المعاصرة في مجال الشعر الديني.

٢ – من الناحية الفكرية والثقافية، يُبرز كيف شكّلت العاطفة في هذا الشعر وسيلة للتعبير عن الهوية والانتماء، خاصة في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدها العالم العربي في العصر الحديث.

٣ – من الناحية التاريخية، يُعيد قراءة المواقف الشعرية تجاه آل البيت في ضوء السياقات المعاصرة، ويُظهر كيف حافظ الشعراء على روح الولاء والارتباط رغم تغير الأزمنة والأساليب.

٤ – من الناحية المنهجية، يُقدّم نموذجاً تطبيقياً لتحليل العاطفة في الشعر من خلال أدوات نقدية تجمع بين التحليل الفني والدراسة الشعورية، مما يُفيد الباحثين في مجالات الأدب والنقد والبلاغة.

٥ – من الناحية التربوية والوجدانية، يُسهم في تعزيز القيم الإنسانية والدينية التي يمثلها آل البيت عليهم السلام، ويُبرز دور الشعر في بناء وجدان الأمة وتشكيل ذاكرتها الثقافية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق النقاط التالية:

١ – تحليل أنماط العاطفة في شعر آل البيت عليهم السلام كما ظهرت لدى الشعراء المحدثين، وتحديد أشكالها الشعورية (الحزن، الفخر، الحنين، الولاء، إلخ).

٢ – رصد الأساليب الفنية والبلاغية التي استخدمها الشعراء في التعبير عن العاطفة، مثل الصور الشعرية، الموسيقى الداخلية، التكرار، والتكثيف الشعوري.

٣ – تفسير العلاقة بين العاطفة والسياق التاريخي والاجتماعي الذي نشأ فيه الشعر الحديث، ومدى تأثير التحولات السياسية والدينية في صياغة الخطاب الشعري.

٤ – مقارنة بين العاطفة في الشعر التقليدي والشعر الحديث في تناول آل البيت عليهم السلام، لتبيان عناصر التطوير أو الثبات في التعبير الشعري.

٥ – إبراز دور الشعر في تشكيل الوجدان الجمعي لدى المتلقين، وكيف ساهم في ترسيخ القيم المرتبطة بآل البيت مثل الطهارة، التضحية، والعدل.

٦ – تسليط الضوء على الشعراء المحدثين البارزين الذين تناولوا آل البيت في أعمالهم، وتحليل نماذج مختارة من نصوصهم.

٧ – تقديم قراءة نقدية منهجية تجمع بين التحليل الفني والدراسة الشعورية، بما يُسهم في إثراء الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة.

الدراسات السابقة:

استفاد البحث من مجموعة من الدراسات وهي كالتالي:

١- دراسة: فصول في الشعر المُحدَث – عبد العالي مجذوب (فاس، المغرب – ٢٠١٥)، تتناول هذه الدراسة تطور الشعر العربي الحديث من حيث الشكل والمضمون، وتركّز على البنية الشعورية في القصيدة المعاصرة، بما في ذلك توظيف العاطفة في السياقات الدينية والوجدانية. وقد استفدت منها في فهم كيف يتعامل الشعراء المحدثون مع العاطفة كأداة فنية، وكيف يُعيدون تشكيلها ضمن قوالب جديدة تتجاوز النمط التقليدي. إلا أن هذه الدراسة تبقى عامة في تناول الشعر الحديث، ولا تركز تحديداً على شعر آل البيت عليهم السلام، مما يجعل بحثي أكثر خصوصية من حيث الموضوع، إذ يتناول العاطفة المرتبطة بأهل البيت في سياق شعري محدد، ويُحللها ضمن إطار ديني وتاريخي خاص.

٢- دراسة: العاطفة السائدة في الأبيات الشعرية – مدونة الجمعية العربية للبحث العلمي والنشر (الجزائر – ١ فبراير ٢٠٢٥)، تركّز هذه الدراسة على تحليل مكونات العاطفة في الشعر العربي، بما في ذلك الشعر الصوفي والشعر الجزائري المعاصر، وتُبيّن كيف تؤثر العاطفة في البناء الفني للنص، من خلال أدوات مثل التكرار وكسر القواعد النحوية للتكثيف الشعوري. وقد استفدت منها في تصنيف أنواع العاطفة الشعرية، وفهم العلاقة بين العاطفة والوظيفة البلاغية في النص. غير أن هذه الدراسة تنتمي إلى الشعر الصوفي والوجداني العام، ولا تتناول شعر آل البيت عليهم السلام بشكل مباشر، مما يجعل بحثي أكثر تخصصاً من حيث الموضوع، وأعمق من حيث الربط بين العاطفة والرمزية الدينية المرتبطة بأهل البيت.

٣- دراسة: آل البيت عليهم السلام في شعر دعبل الخزاعي – قراءة فنية جديدة – جامعة أهل البيت عليهم السلام (العراق – تاريخ حديث غير محدد)، تُقدّم هذه الدراسة قراءة فنية دقيقة لشعر دعبل الخزاعي، أحد أبرز شعراء أهل البيت في العصر العباسي، وتركّز على العاطفة الصادقة في قصائده، خاصة في الرثاء والمديح. وقد ساعدتني هذه الدراسة في فهم الجذور التاريخية للعاطفة في شعر آل البيت، وفي إدراك كيف شكّلت هذه العاطفة خطابًا وجدانيًا مؤثرًا منذ القرون الأولى. إلا أن هذه الدراسة تنتمي إلى الشعر القديم، بينما بحثي يُركّز على الشعراء المحدثين، مما يمنحني فرصة للمقارنة بين العاطفة التقليدية والعاطفة المعاصرة، ويُبرز تطور التعبير الشعوري عبر الزمن.

• منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، بوصفه الأنسب لدراسة الظواهر الأدبية والشعورية في النصوص الشعرية. ويقوم هذا المنهج على وصف الظاهرة الشعورية في شعر آل البيت عليهم السلام كما تجلّت لدى الشعراء المحدثين، ثم تحليلها فنّياً وبلاغياً للكشف عن بنيتها الداخلية، وأدوات التعبير المستخدمة فيها، وسياقها التاريخي والثقافي.

المبحث الأول: في المفاهيم النظرية

يُعد الشعر العربي من أعرق الفنون الأدبية التي عبّرت عن وجدان الإنسان العربي عبر العصور، إذ كان ولا يزال مرآةً صادقةً لمشاعره وأحاسيسه، ووسيلةً فريدةً لنقل العاطفة الإنسانية بمختلف تجلياتها(١)، وتبرز أهمية دراسة تمثلات العاطفة في الشعر في كونها تكشف عن البنية النفسية والاجتماعية والثقافية للمجتمع العربي، وتوضح كيف استطاع الشاعر العربي أن يصوغ مشاعره ضمن قوالب فنية متجددة، تجمع بين الصدق الوجداني والابتكار الأسلوبي(٢). كما أن العاطفة في الشعر ليست مجرد عنصر جمالي، بل هي جوهر التجربة الشعرية، وأساس التفاعل بين الشاعر والمتلقي (٣) .

المطلب الأول: تمثلات العاطفة في الشعر:

تُعرّف العاطفة في الأدب بأنها الشعور الداخلي الذي يدفع الأديب إلى التعبير عن نفسه من خلال العمل الأدبي، وهي تمثل جوهر التجربة الإنسانية التي ينقلها الكاتب أو الشاعر إلى المتلقي، أما في الشعر، فالعاطفة هي الحالة الوجدانية التي يعيشها الشاعر وتنعكس في نصه، وتُعد العنصر الأساسي الذي يمنح القصيدة صدقها وقوتها وتأثيرها، وقد أكد النقاد العرب منذ القدم على أهمية العاطفة في العمل الأدبي، واعتبروها المعيار الذي يُقاس به صدق الشاعر وعمق تجربته(٤). تنوعت أشكال العاطفة في الشعر العربي عبر العصور، وتجلت في موضوعات متعددة مثل الحب، الحزن، الفخر، الحماسة،

الشوق، الغضب، الأمل، وغيرها. وقد أشار الباحثون إلى أن العاطفة السائدة في الأبيات الشعرية تُعد من أهم العناصر التي تظهر مشاعر الشاعر وتقرب القارئ من جو النص.

في الشعر الجاهلي، برزت عواطف الحنين إلى الديار، والحب، والفخر، والحزن على الفراق، والحماسة في القتال. أما في العصر الإسلامي، فقد ظهرت عواطف الإيمان، والزهد، والحب الإلهي، إلى جانب استمرار عواطف الغزل والرثاء(٥). وفي العصر العباسي، تميز الشعر بتنوع العواطف بين الغزل العفيف، والغزل الماجن، والحب الصوفي، والحزن على فقد الأحبة، والفخر بالإنجازات(٦).

أما في الشعر الحديث، فقد اتسعت دائرة العواطف لتشمل القضايا الوطنية والقومية، والهموم الاجتماعية، والقلق الوجودي، والأمل في الحرية، إلى جانب استمرار عواطف الحب والحزن والشوق(٧). كما برزت عواطف المقاومة والصمود في شعر المقاومة، وعواطف الحنين إلى الوطن في شعر المهجر، وعواطف المرأة في الشعر النسائي(٨).

يعتمد الشعر في إبراز العاطفة على مجموعة من الآليات الفنية واللغوية التي تمنح النص الشعري قوته وتأثيره. ومن أبرز هذه الآليات:

أ- اللغة الشعرية: ورد في معجم **Encyclopédiee (Alphabétique)** أنّ «الشعر ظلّ لمدة طويلة كامناً في قوانين تنظيم القصيدة المحددة في مختلف الفنون الشعرية، وتتجلى بوضوح من خلال التاريخ الطويل للأديب، خلاف ما هو عليه اليوم، فلم يعد يخضع للقواعد التقنية، بل غدا مادة نقدية وعلماً يطبّق لفهم فن الكتابة الشعريّة، وهي بالضرورة غير مرهونة بالشاعر وإنما بالعالم المختص بالرموز والإشارات»(٩).

لقد عانى مصطلح اللغة الشعريّة مثله مثل الكثير من المصطلحات النقديّة التي عمل المنظّرون والدارسون والنقاد إلى إعطائه سمة العلمية، من اضطراباتٍ وصعوباتٍ، إن كان في مجال التلقي أو في تحديد تعريفٍ له، فقد تمّ النظر إليه من زوايا مختلفة تخصّ كل ناقد، لكنّ الأمر المتعارف عليه هو أنّ (أرسطو) هو أول المقتربين من صياغة هذا المصطلح، وتحديد مفهومه، فقد جعلَ «الشعر صنعة فنيّة، وإنّ فنّ الشاعر يتجلى في صياغته وتنظيمه للعمل الشعريّ حتى يكسبه الصفة الشعريّة، مستندًا إلى المحاكاة كعنصرٍ جوهريّ في الشعر»(١٠)، وهو تعريفٌ يمكن القول إنه يشترك مع تعريفات الشعريّة عند العرب، بوصفها صنعة ترتكز على قواعد وقوانين وأسس معينة محددة. وعليه فإنّ مصطلح الشعريّة في النقد من منظوره العربي عُدّ من المصطلحات البالغة التعقيد، ومردّ ذلك يرجع إلى أنّ أصل مصطلح الشعريّة (١١) «مترجم من لغته الأصل **poetique** إلى اللغة العربيّة (شعريّة)» ، بوصفه مصطلحًا فرنسيًا «يقابله في الإنكليزية **poetics** وكلاهما منحدر من الكلمة اللاتينية **poetica** المشتقة من الكلمة الإغريقيّة **poetikos**»(١٢).

لقد قدّم عبد الله الغذامي اقتراحًا بترجمة المصطلح الفرنسي (**poétique**)، أو الإنكليزي (**Poetics**) إلى اللغة العربيّة تحت مصطلح (الشاعريّة)، ويسوّغ مقترحه هذا بالخاصيّة التي يتّصف بها هذا المصطلح لكونه «جامعًا لخصائص اللغة الأدبيّة إن في الشعر أو النثر»(١٣)، والسبب في ذلك لما تشيعه الشاعريّة من نبضٍ وروحٍ، ونتيجة قوّتها المؤثّرة المتصفة بالعمق عند توظيفها في سياقات مختلفة، فحين يقال «موسيقى شاعريّة، منظرٌ شاعريّ، وموقف شاعريّ، فهم لا يقصدون بذلك الشعر، وإنما يقصدون جماليّة الشيء وطاقته الخيليّة، وهذه مؤهلاتٌ وافية لضمانِ القبول لهذا المصطلح» (١٤)، فإن كانت الموسيقى، أو كان المنظر، أو الموقف فهي جميعها تمثّل قرائن تحيل على الطاقة الإيجابيّة لكلمة الشاعريّة، كما أنّ عبد الله الغذامي قد سجّل انتقاداً لترجمة (**Poétique**) إلى الشعريّة، لوصفه بأنه مصطلح «يتوجّه بحركةٍ زئبقيّة نافرة نحو الشعر»(١٥)، وخلاصة هذا القول تحيل إلى أنّ الشعريّة محصورة بالشعر فقط على العكس من الشاعريّة.. وتتميز اللغة الشعرية بالمرونة والقدرة على التعبير عن أدق الأحاسيس، كما أنها تتيح للشاعر استخدام المجاز والاستعارة والتشبيه لتكثيف المعنى وإيصال العاطفة(١٦).

ب- الإيقاع والموسيقى: يلعب الإيقاع دورًا مهمًا في إبراز العاطفة في الشعر، إذ يمنح النص بعدًا موسيقيًا يعزز من تأثير العاطفة على المتلقي (١٧)، ويستخدم الشاعر الوزن والقافية والتكرار والجناس والطباق لإضفاء نغمة موسيقية تتناسب

مع نوع العاطفة المراد التعبير عنها(١٨).

ت- الصورة الشعرية: يعد نص الجاحظ من أهم النصوص القديمة التي تقترب فيها لفظة (الصورة) من معناها المراد به، فيقول: «والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك. فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير»(١٩)، وبالرغم من أن الجاحظ لم يعط الشعر حقه التصويري، ولم يبين لنا بأن الشعر هو شكل من أشكال الصورة. وفي إطار هذا الطرح، نجد قول قدامة بن جعفر في مسألة (اللفظ والمعنى): «إن المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر، من غير أن يحضر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أنه لابد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها، مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة» (٢٠). فقد جعل قدامة الشعر معنى للصورة، فالمعنى هو الأساس الخام للشعر، وقدرة الشاعر تتجلى في الشكل واللفظ، وليس في المعنى والفكرة ومنه.

ث- التكرار والنبرة: يستخدم الشاعر التكرار لإبراز شدة العاطفة أو تأكيدها، سواء كان ذلك في تكرار الكلمات أو العبارات أو الأصوات، كما أن النبرة الصوتية للنص تلعب دورًا في نقل العاطفة، إذ تعكس الحدة أو الهدوء أو الحزن أو الفرح بحسب السياق(٢١).

ج- البناء العام للقصيدة: يسهم البناء العام للقصيدة في إبراز العاطفة من خلال ترتيب الأفكار وتوزيع الصور والمقاطع، بحيث تتصاعد العاطفة أو تهدأ وفقاً لتطور النص (٢٢).

برزت في الشعر الديني عواطف الإيمان والتقوى والمحبة الإلهية، إلى جانب عواطف الرثاء والمديح للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته الأطهار (٢٣)، وقد تطور الشعر الديني إلى شعر الزهد، الذي يدعو إلى ترك الدنيا والإقبال على الله، ويعبر عن عواطف التوبة والندم والخوف من الله تعالى(٢٤).

المطلب الثاني: مكانة آل البيت (عليهم السلام) في شعر الشعراء:

يحظى آل البيت (عليهم السلام) بمكانة رفيعة في الوجدان العربي والإسلامي، وقد انعكس ذلك في حضورهم البارز في الشعر العربي عبر العصور، وقد عبّر الشعراء عن حبهم وولائهم لآل البيت من خلال قصائد المدح والرثاء والحنين، وجسدوا في شعرهم عواطف الإعجاب والتقدير والحزن على ما أصابهم من محن (٢٥).

في العصر الحديث، استمر حضور آل البيت في الشعر العربي، بل ازداد قوة وعمقًا، خاصة في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدها العالم العربي(٢٦). ، وقد تناول الشعراء المحدثون سيرة آل البيت ومناقبهم وتضحياتهم، وجسدوا في شعرهم عواطف الحب والولاء والحزن، إلى جانب عواطف الفخر والاعتزاز بالانتماء إليهم (٢٧).

وقد أشار الباحثون إلى أن مدح آل البيت في الشعر الحديث لم يكن مجرد تقليد للقديم، بل جاء تعبيرًا عن موقف وجداني عميق، ورغبة في التأكيد على القيم الإنسانية والدينية التي يمثلها آل البيت(٢٨)، ويحمل حضور آل البيت في الشعر الحديث دلالات متعددة، منها التأكيد على القيم الروحية والأخلاقية، واستحضار رمزية التضحية والصبر والعدل، والتعبير عن الحنين إلى زمن النقاء والطهر، كما يعكس هذا الحضور ارتباط الشاعر بقضايا الأمة، ورغبته في استلهام النموذج الأخلاقي والإنساني الذي يمثله آل البيت (عليهم السلام)(٢٩).

وقد تناول عدد من الشعراء المعاصرين موضوع آل البيت (عليهم السلام) في قصائدهم، وجسدوا في نصوصهم عواطف الحب والولاء والحزن والفخر. وقد تميزت هذه القصائد بصدق العاطفة وعمق التجربة، واستخدم الشعراء فيها تقنيات فنية متنوعة لإبراز العاطفة، مثل الصور الشعرية المبتكرة، والإيقاع الموسيقي، والتكرار، واللغة الرمزية، وقد أشار الباحثون إلى أن مدح آل البيت في الشعر المعاصر يُعد امتداداً لتقاليد الشعر العربي، وفي الوقت نفسه تعبيرًا عن هموم العصر وقضاياه(٣٠).

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية مختارة من شعر آل البيت عليهم السلام للشعراء المحدثين:

المطلب الأول: تصنيف العواطف في شعر آل البيت للشعراء المحدثين:

تتنوع العواطف في شعر آل البيت بين الحب، الحزن، الفخر، الشوق، الحنين، الحزن على المصائب، الأمل، الإلهام، وغيرها: ويمكن تصنيفها في الجدول التالي(٣١):

أبرز سياقات الظهور في شعر آل البيت	التعريف	نوع العاطفة
مدح آل البيت، التوسل، الشكر	مشاعر المودة والولاء والانتماء	الحب
رثاء الحسين، ذكر المصائب	مشاعر الأسى والفقد	الحزن
مدح الأئمة، ذكر البطولات	الاعتزاز بالانتماء أو النسب	الفخر
الحنين إلى آل البيت، التوسل	التطلع للقاء أو القرب	الشوق
ذكر أيام النبي وأهل البيت	استرجاع الذكريات والماضي	الحنين
واقعة كربلاء، مصائب الزهراء	التأثر بالمآسي التاريخية	الحزن على المصائب
الدعاء، انتظار المخلص	التفاؤل بالفرج والنصر	الأمل
الدعوة للتمسك بنهج آل البيت	استلهام القيم والمبادئ	الإلهام

تحليل العاطفة بحسب السياق التاريخي:

أ- العاطفة في شعر ما بعد النهضة والقرن العشرين: شهد الشعر العربي الحديث بعد النهضة تحولات كبيرة في التعبير عن العاطفة، حيث أصبح الشعراء أكثر جرأة في التعبير عن مشاعرهم تجاه آل البيت، مع التركيز على الصدق الوجداني والابتعاد عن التكلف. ففي قصائد القرن العشرين، نجد أن الحزن على مصائب كربلاء، والحب العميق لأهل البيت، والفخر بالانتماء لهم، أصبحت موضوعات مركزية، كما في شعر السيد حيدر الحلي، جابر الكاظمي.

ب- العاطفة في الشعر المعاصر: في الشعر المعاصر، تبرز العاطفة بشكل أكثر مباشرة ووضوحاً، حيث يعبر الشعراء عن مشاعرهم تجاه آل البيت بلغة قريبة من القارئ، مع المحافظة على عمق التجربة الوجدانية(٣٢)، ويظهر ذلك في دواوين مثل «الحزن المعشوق» لغازي الحداد البحراني، و«الدموع الناطقة» لجابر الكاظمي، حيث تتجلى مشاعر الحزن والحب والشوق بشكل صريح(٣٣).

تحليل العاطفة حسب الموضوع:

أ- المدح: يعد المدح من أبرز أغراض شعر آل البيت، ويعبر فيه الشاعر عن حبه وولائه لأهل البيت، كما في قول السيد حيدر الحلي:

يا آل بيت رسول الله حبكمُ فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ (٣٤).

ب- الرثاء: الرثاء هو الغرض الذي تتجلى فيه مشاعر الحزن والأسى على مصائب آل البيت، خاصة في ذكرى كربلاء، كما في قول جابر الكاظمي:

يا كربلاءُ أماهُ يا جرحَ الدهورِ يا دمعةً في عينِ كلِّ فقيرِ (٣٥).

ج- التوسل والدعاء: يظهر التوسل والدعاء في شعر آل البيت كعاطفة تجمع بين الحب والأمل، كما في قول جعفر كتاب البحراني:

يا آل بيت رسول الله يا سندي إني بكم أرجو الفلاحَ في غدي (٣٦).

د- الشكر والثناء: الشكر والثناء يعبران عن الامتنان والعرفان لأهل البيت، كما في قول ماهر الشهابي البحراني:

شكري لكم يا آل بيت محمد ما دام في قلبي ولائي ينبضُ (٣٧).

هـ- الدفاع عن آل البيت: تظهر عاطفة الدفاع عن آل البيت في مواجهة الظلم والافتراء، كما في قول السيد هاشم الهاشمي:

دافعت عنكم يا بني الزهراء حتى غدا قلبي لكم حصنا(٣٨).

ومن هنا نرى تنوع الأغراض العاطفية في شعر آل البيت عند الشعراء المحدثين.

المطلب الثاني: نماذج شعرية مختارة:

سنقدم فيما يلي نماذج شعرية مختارة وسنقوم بتحليلها لتبيين نوع العاطفة:

١- يعد نزار قباني من أبرز الشعراء المحدثين الذين تناولوا آل البيت بعاطفة صادقة، حيث عبّر عن حبه للحسين في قصيدته «في الحوار مع السائلين عن الحسين»، قائلًا:

لَا يَنْقَضِي ذِكْرُ الْحُسَيْنِ تَغَرهمْ وَعَلَى امْتِدَادِ الدَّهْرِ يُوقِدُ كَاللَّهَبْ(٣٩)

هنا تتجلى العاطفة في صورتها المتقدة، حيث يُشبّه ذكر الحسين بأنه لهب لا ينطفئ، مما يدل على الاستمرارية والحرارة الشعورية التي يحملها الشيعة تجاهه. هذا التشبيه يُعبّر عن الاحتراق الداخلي والولاء العاطفي الذي لا يخبو مع الزمن، بل يزداد اشتعالًا. كما أن استخدام عبارة «ثغرهم» يُشير إلى أن ذكر الحسين حاضر في الكلام اليومي والدعاء والنداء، مما يُضفي على العاطفة طابعًا شعبيًا حيًا، لا يقتصر على المناسبات أو الطقوس، بل هو جزء من الهوية الشعورية.

٢- يتميز شعر السيد حيدر الحلي بمزج عاطفتي الحزن والفخر، كما في قوله:

«يا آل بيت رسول الله حبكمُ فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له(٤٠)

في البيت الأول عبّر الشاعر عن عاطفة الحب المقدّس تجاه آل البيت، ويُضفي على هذا الحب شرعية إلهية من خلال ربطه بالقرآن الكريم. هذا الربط يُحوّل العاطفة من مجرد شعور شخصي إلى واجب ديني، مما يُضفي عليها طابعًا روحيًا عميقًا. فالحب هنا ليس خيارًا، بل فرضٌ إلهي، مما يُعزز من قوة الانتماء العاطفي لدى المتلقي. انتقل الشاعر من عاطفة الحب إلى عاطفة الفخر، ويُبرز مكانة آل البيت من خلال الشرطية التعبدية التي تربط صحة الصلاة بالصلاة عليهم. هذا التعبير يُضفي هالة من القداسة على آل البيت، ويُشعر القارئ بأنهم جوهر العبادة، مما يُثير عاطفة التبجيل والتقديس. البيتان معًا يُجسّدان عاطفة مركّبة: فالحزن على ما أصاب آل البيت لا يظهر هنا بشكل مباشر، لكنه ضمني من خلال التأكيد على مكانتهم التي لم تُنصف تاريخيًا، بينما يُعبّر الفخر عن الاعتزاز الروحي بالانتماء إليهم أو محبتهم (٤١).

٣- يبرز الحزن في شعر جابر الكاظمي بشكل واضح، خاصة في رثائه للحسين وأهل بيته، كما في قوله:

يا كربلاءُ أماهُ يا جرحَ الدهورِ يا دمعةً في عينِ كلِّ فقيرِ

يا موطنَ الأحزانِ يا أرضَ الفداءِ فيكِ ارتوى المجدُ بدمعِ الأسيرِ (٤٢).

في هذه الأبيات التي نظمها الشاعر جابر الكاظمي، تتجلى عاطفة الحزن بشكل طاغٍ، حيث تتحول كربلاء من مجرد مكان جغرافي إلى كائن حيّ نابض بالألم، بل إلى أمّ مجروحة تحتضن الدموع والآهات. يبدأ الشاعر بنداء حميمي: «يا كربلاءُ أماهُ»، وهو نداء يفيض بالعاطفة، إذ يُشبّه المدينة بالأم، في استعارة تُضفي عليها طابع الحنان والحزن معًا. هذا التشبيه لا يُقصد به فقط الإيحاء بالدفء، بل أيضاً الإشارة إلى الجرح العميق الذي تحمله كربلاء في ذاكرتها التاريخية، فهي «جرح الدهور»، أي الجرح الذي لم يندمل رغم مرور الزمن، بل بقي مفتوحًا ينزف في الوعي الجمعي.

ثم ينتقل الشاعر إلى صورة أخرى لا تقل حزنًا، حين يقول: «يا دمعةً في عينِ كلِّ فقيرِ». هنا تتسع دائرة الحزن لتشمل كل من عرف الفقر أو الظلم، وكأن كربلاء أصبحت رمزًا عالميًا للألم الإنساني، لا يخص طائفة أو شعبًا بعينه، بل يُلامس وجدان كل من ذاق مرارة القهر. هذه الصورة تُضفي على العاطفة بعدًا إنسانيًا شاملًا، وتُحوّل كربلاء إلى دمعةٍ تسكن

في عيون المظلومين.

وفي البيت التالي، «يا موطنَ الأحزانِ يا أرضَ الفداءِ»، يُكرّس الشاعر كربلاء كأرضٍ مقدسة، لا لكونها مسرحًا لمعركة، بل لأنها احتضنت الفداء الأعظم. فالأحزان التي تسكنها ليست عابرة، بل هي أحزان رسالية، نابعة من تضحيات آل البيت. ويبلغ التعبير العاطفي ذروته في قوله: «فيكِ ارتوى المجدُ بدمعِ الأسيرِ»، حيث يُقدّم صورة مفارِقة ومؤلمة: المجد لا يُبنى بالدماء فقط، بل بدموع الأسرى، في إشارة إلى ما جرى على زينب الكبرى والإمام السجاد عليهما السلام بعد واقعة الطف. هذه الصورة تُجسّد الحزن النبيل، وتُضفي على العاطفة طابعًا تراجيديًا عميقًا، حيث يمتزج الألم بالفخر، والدمع بالمجد.

إن هذه الأبيات تُعدّ نموذجًا صادقًا للعاطفة في الشعر الحديث عن آل البيت، حيث لا يعتمد الشاعر على الزخارف البلاغية أو الصور الرمزية، بل يُقدّم عاطفة مباشرة، حارّة، ومشحونة بالمعاناة الإنسانية، مما يجعلها قريبة من وجدان المتلقي المعاصر.

٤ – يعبر جعفر كتاب البحراني عن الشوق والحنين إلى آل البيت في قصائده، كما في قوله:

يا آل بيت رسول الله يا سندي إني بكم أرجو الفلاحَ في غدي
شوقي إليكم لا يزولُ بمهجتي وحبكم في القلبِ ليس يُحدُّ (٤٣).

في هذه الأبيات، يُعبّر الشاعر جعفر كتاب البحراني عن عاطفة الشوق والحنين تجاه آل البيت عليهم السلام بأسلوب وجداني مباشر، يخلو من التعقيد البلاغي، ويعتمد على صدق الانتماء الروحي. يبدأ الشاعر بنداء حميمي: «يا آل بيت رسول الله يا سندي»، وهو نداء يُضفي على آل البيت صفة الحماية والدعم، فـ«السند» هنا ليس مجرد استعارة بل هو تعبير عن الاعتماد الوجودي، وكأن الشاعر يرى فيهم الركيزة التي يستند إليها في حياته ومصيره.

ثم يُتابع في البيت الثاني: «إني بكم أرجو الفلاحَ في غدي»، وهنا تتجلى عاطفة الرجاء، حيث يربط الشاعر بين محبته لآل البيت وبين أمله في النجاة والفلاح في المستقبل، سواء في الدنيا أو الآخرة. هذا الربط يُضفي على العاطفة طابعًا تعبديًا داخليًا، ويُظهر أن حب آل البيت ليس مجرد عاطفة وجدانية، بل هو طريق للخلاص الروحي.

وفي البيت الثالث، «شوقي إليكم لا يزولُ بمهجتي»، يُعبّر الشاعر عن استمرارية الشوق، حيث لا ينفصل هذا الشعور عن ذاته، بل يسكن «المهجة»، أي القلب والروح، مما يُضفي على العاطفة طابعاً وجودياً دائماً. هذا الشوق لا يرتبط بزمان أو مكان، بل هو حالة شعورية ثابتة.

أما البيت الأخير، «وحبكم في القلبِ ليس يُحدُّ»، فهو تأكيد على اتساع العاطفة، حيث لا يمكن قياسها أو تحديدها، فهي لا نهائية، مما يُضفي على الحب طابعًا مطلقًا، يتجاوز الحدود اللغوية والمادية.

إن هذه الأبيات تُجسّد عاطفة الشوق والحنين في الشعر الحديث عن آل البيت، حيث يُعبّر الشاعر عن مشاعره بأسلوب مباشر، دون اللجوء إلى الرمز أو التكرار، ويُظهر كيف أن العاطفة يمكن أن تكون وسيلة للتعبير عن الانتماء الروحي والرجاء الأخروي.

٥ – غازي الحداد البحراني في ديوانه «الحزن المعشوق»، يعبر غازي الحداد البحراني عن الحزن كعاطفة محببة، كما في قوله:

يا آل بيت محمدٍ يا نورَ الدجى في حبكمْ أجدُ الحزنَ المعشوقا
دمعي عليكمْ لا يجفُّ بمهجتي وحبكمْ في القلبِ صارَ عميقا (٤٤).

في هذه الأبيات من ديوان «الحزن المعشوق»، يُقدّم الشاعر غازي الحداد البحراني نموذجًا فريدًا لعاطفة الحزن، حيث لا يُعبّر عنها بوصفها ألمًا أو وجعًا فقط، بل يُضفي عليها طابعًا محببًا، ويُسمّيها «الحزن المعشوق»، في مفارقة وجدانية تُحوّل الحزن إلى حالة من العشق الروحي. يبدأ الشاعر بنداء مفعم بالتبجيل: «يا آل بيت محمدٍ يا نورَ الدجى»، وهو نداء

يُضفي على آل البيت صفة النور في زمن الظلمة، مما يُهيّئ المتلقي لتلقّي الحزن بوصفه نورًا لا ظلامًا، وعشقًا لا وجعًا. ثم يُتابع في البيت الأول: «في حبكمْ أجدُ الحزنَ المعشوقا»، وهنا تتجلى المفارقة العاطفية بوضوح. فالحزن الذي عادةً ما يُنفى ويُرفض، يتحوّل إلى معشوق، أي إلى حالة يُراد البقاء فيها، لا الهروب منها. هذا التحوّل يُعبّر عن الاندماج الكامل بين الحب والحزن، حيث لا يمكن الفصل بينهما في سياق حب آل البيت، لأن الحزن عليهم هو جزء من الولاء لهم، بل هو تعبيره الأصدق. وفي البيت الثاني، «دمعي عليكمْ لا يجفُّ بمهجتي»، يُظهر الشاعر استمرارية الحزن، فالدّمع لا يجف، والمهجة – أي الروح – تبقى في حالة نزف وجداني دائم. هذا التصوير يُضفي على العاطفة طابعًا وجوديًا، حيث لا يُعبّر الحزن عن لحظة عابرة، بل عن حالة دائمة تسكن الكيان.

أما البيت الأخير، «وحبكمْ في القلبِ صارَ عميقا»، فهو تأكيد على تجذّر العاطفة، فالحب لم يعد سطحيًا أو عاطفة عابرة، بل أصبح عميقًا ومستقرًا، مما يُعزز من فهمنا للحزن بوصفه نتيجة طبيعية لهذا الحب العميق، لا نقيضًا له. إن هذه الأبيات تُجسّد عاطفة الحزن في الشعر الحديث عن آل البيت، حيث يُقدّم الشاعر الحزن لا بوصفه ضعفًا، بل بوصفه قيمة وجدانية راقية، تُعبّر عن عمق الحب وصدق الانتماء، وتُحوّل الألم إلى نورٍ داخلي(٤٥).

٦– احتفى الشاعر حيدر الحلي بالشخصيات الدينية، ولا سيّما شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام في تجربته الشعرية، فقد مثّل الإمام الحسين عليه السلام عند الشاعر حيدر الحلي سفينة النجاة، يقول:

فيا من هم الهادونَ والصفوة التي عن الله قرباً قاب قوسين قابها(٤٦)
ويا لصباح الدين يوم تكوّرت شموس الهدى من أفقه فهو مسدف (٤٧).

هنا يُعبّر الحلي عن عاطفة التقديس والولاء الروحي، حيث يصف آل البيت بأنهم «الهادون» و«الصفوة»، وهي صفات تُشير إلى الاختيار الإلهي والاصطفاء. ثم يُضيف أنهم بلغوا من القرب إلى الله «قاب قوسين»، وهي إشارة قرآنية إلى مقام النبي محمد ﷺ في المعراج، مما يُضفي على العاطفة طابعًا عقائديًا عميقًا، ويُظهر أن حب الإمام الحسين ليس مجرد عاطفة وجدانية، بل هو امتداد للهداية الإلهية. فهو يُجسّد عاطفة الانبهار والتمجيد، حيث يُشبّه يوم ظهور الإمام الحسين وأهل بيته بأنه «صباح الدين»، أي أنه لحظة إشراق روحي، وتكوّر «شموس الهدى» من أفقه، مما يُضفي على الإمام الحسين صفة المنبع النوراني للهداية. كلمة «مسدف» تُشير إلى أن هذا النور قد غطّى الأفق، أي أن الهداية التي انطلقت من الحسين عليه السلام قد عمّت، مما يُعزز من عاطفة الانتماء والتقدير.

إن هذين البيتين يُجسّدان كيف أن السيد حيدر الحلي يُعبّر عن عاطفة التبجيل والتقديس تجاه الإمام الحسين عليه السلام، من خلال تصويره كمصدر للهداية والنور، وقربه من الله، مما يجعل العاطفة في شعره عقائدية وجدانية في آنٍ واحد، ويُضفي على الحسين صفة «سفينة النجاة» التي تُنقذ من الضلال.

٧– يقول الشاعر أحمد الوالي:

«بلغة خصها النبي لذي القُربى كما صرحت به الأنباء
لا تساوي جزءاً لما في سبيل الله أعطته أملك السمحاء
ثم فيها إلى مودة ذي القربى سبيل يمشي به الأتقياء(٤٨).

في البيت الأول يشير إلى أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خصّ ذوي القربى بعطاءٍ روحي ومادي، وهو ما تؤكده «الأنباء»، أي النصوص الدينية والقرآنية. هذه الإشارة تُضفي على العاطفة طابعاً شرعيًا وتاريخيًا، وتُظهر أن حب آل البيت ليس مجرد شعور وجداني، بل هو موقف إيماني مؤسس على النص، مما يُعزز من عاطفة الاحترام والتبجيل.

وفي البيت الثاني يبرز الشاعر عاطفة الإكبار للتضحية، حيث يُشير إلى أن ما أُعطي لذي القربى لا يُساوي شيئًا أمام ما قدّمته «أملك السمحاء»، في إشارة إلى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام. هذا التفاوت يُظهر عظمة التضحية التي

قدّمتها الزهراء(عليها السلام) ، ويُضفي على العاطفة طابعًا بطوليًا وإنسانيًا، حيث يُصبح الحب مقرونًا بالإعجاب بالتضحية.

وفي البيت الثالث جسّد عاطفة الالتزام الروحي، حيث يُبيّن أن مودة ذوي القربى ليست مجرد عاطفة، بل هي سبيل يسلكه الأتقياء، أي طريق إيماني يسير فيه من بلغوا درجة التقوى. هذا التصوير يُحوّل العاطفة إلى منهج حياة، ويُظهر أن حب آل البيت هو علامة على صفاء القلب والتقوى، مما يُضفي على العاطفة طابعًا سلوكيًا وعقائديًا.

٨- يقول الشاعر كاظم ناصر السعدي:

دمك المضيء كزهرة الفجر — لحن الخلود على فم الدهر
حلم الفرات بعذب نرجسه — فدم الشهادة نرجس النهر
وشموخ هذي الارض مذ نخلت — من سلسبيل المجد والفخر
متجذر في الشمس يمنحها — معنى السطوع وروعة الجذر
مازال يروي قصة كشفت — زيف الجناة ولعبة الغدر
هو حكمة الثوار ما فتئت — كالموج تحمل ثورة البحر (٤٩).

في هذه الأبيات، يُعبّر الشاعر كاظم ناصر السعدي عن عاطفة الفخر والتمجيد تجاه دم الإمام الحسين عليه السلام، بوصفه رمزًا للخلود والثورة. يشبّه الدم بـ«زهرة الفجر» و«نرجس النهر»، مما يُضفي عليه طابعًا جماليًا وروحيًا، ويُحوّله إلى مصدرٍ للضياء والمعنى. كما يُبرز الشاعر كيف أن هذا الدم كشف زيف الظالمين، وأصبح «حكمة الثوار» التي لا تنطفئ، تُحرّك الموج وتُلهب البحر، في تصويرٍ عاطفي يُجسّد الخلود الثوري والروحي لدم الحسين.

الخاتمة:

بعد استعراض المفاهيم النظرية وتحليل النماذج الشعرية المختارة، يتبيّن أن العاطفة في شعر آل البيت عليهم السلام لدى الشعراء المحدثين تمثّل عنصرًا جوهريًا في بناء الخطاب الشعري، إذ تتجاوز كونها انفعالًا وجدانيًا لتغدو وسيلة للتعبير عن الانتماء الروحي والهوية الثقافية والدينية. وقد أظهرت الدراسة أن الشعراء المحدثين استطاعوا توظيف العاطفة بأساليب فنية متنوعة، تجمع بين الأصالة والحداثة، وتُعبّر عن مواقف وجدانية عميقة تجاه رموز الطهارة والعدل في التاريخ الإسلامي.

كما كشفت الدراسة عن تنوّع العواطف بين الحزن والحنين والفخر والولاء، وعن قدرة الشعر الحديث على إعادة تشكيل هذه المشاعر ضمن سياقات جديدة تعبّر عن تحولات العصر، دون أن تفقد ارتباطها بجوهر الرسالة الروحية التي يحملها شعر آل البيت عليهم السلام. ومن خلال التحليل البلاغي والفني، تبيّن أن هذا الشعر لا يزال يحتفظ بقدرته على التأثير في وجدان الأمة، وعلى ترسيخ القيم الإنسانية والدينية التي تمثلها سيرة أهل البيت.

وبناءً على ما سبق، يُوصى بتوسيع الدراسات النقدية المتخصصة في هذا المجال، والاهتمام بتحليل العاطفة في الشعر الديني بوصفها مدخلاً لفهم أعمق للخطاب الثقافي والوجداني في الأدب العربي الحديث.

النتائج:

١- تبيّن أن العاطفة تُعدّ محورًا أساسيًا في شعر آل البيت عليهم السلام لدى الشعراء المحدثين، إذ تُوظّف للتعبير عن الولاء والانتماء الروحي، وتُشكّل وسيلة فنية للتواصل مع المتلقي.

٢- تنوعت أنماط العاطفة في الشعر المدروس بين الحزن على المآسي التاريخية، والحنين إلى القيم النبوية، والفخر بالانتماء، والولاء العميق، مما يدل على غنى الشعور وتعدّد أبعاده.

٣– استخدم الشعراء المحدثون تقنيات بلاغية وفنية حديثة في التعبير عن العاطفة، مثل الصور المركبة، الموسيقى الداخلية، التكرار الرمزي، والانزياح اللغوي، مما منح الشعر طابعًا حداثيًا دون أن يفقد أصالته.

٤– احتفظ شعر آل البيت في العصر الحديث بوظيفته الوجدانية والدينية، إذ ظلّ يُعبّر عن القيم الروحية ويُرسّخ الهوية الثقافية، رغم تغير السياقات الاجتماعية والسياسية.

٥– أظهرت الدراسة أن العاطفة في هذا الشعر ليست مجرد انفعال، بل هي خطاب وجداني متكامل، يُعبّر عن موقف حضاري وانساني، ويُسهم في بناء الوعي الجمعي.

توصيات البحث:

١– ضرورة توسيع الدراسات النقدية المتخصصة في شعر آل البيت عليهم السلام، خاصة في العصر الحديث، لفهم أعمق لتطور التعبير الشعوري والبلاغي.

٢– تشجيع الباحثين على دراسة العاطفة في الشعر الديني بوصفها مدخلاً لفهم الخطاب الثقافي والوجداني، وليس فقط بوصفها عنصرًا فنيًا.

٣– إدراج شعر آل البيت في المناهج الأدبية والنقدية الحديثة، لما يحمله من قيم إنسانية وروحية، ولما يُمثّله من تراث وجداني غني.

٤– الاهتمام بجمع وتوثيق أعمال الشعراء المحدثين الذين تناولوا آل البيت عليهم السلام، خاصة في ظل غياب أرشفة منهجية لهذا النوع من الشعر.

الهوامش:

(١) ينظر: العاطفة السائدة في الأبيات الشعرية، أحمد علي، مجلة علوم اللغة العربية، عد١٢، مج١، ٢٠٢٥، ص١.

(٢) ينظر: ما هو المقصود بالعاطفة في العمل الأدبي؟، دانة العتوم، مجلة إي عربي، ٢٠٢١، ص١.

(٣) ينظر: العاطفة السائدة في الأبيات الشعرية، أحمد علي، ٢٠٢٥، ص٢

(٤) ينظر: ما هو المقصود بالعاطفة في العمل الأدبي؟، دانة العتوم، ص٢.

(٥) ينظر: تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكري فيصل، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٩، ص٣٦.

(٦) ينظر: الغزل، جودت فخر الدين وحسن عبد الله، دار المناهل، بيروت، ص٨، ١٩.

(٧) ينظر: الشعر في العصر الحديث: نشأته وخصائصه وأغراضه وأبرز شعرائه، مهارات النجاح، ٢٠٢٤، ص٣.

(٨) ينظر: الشعر في العصر الحديث: نشأته وخصائصه وأغراضه وأبرز شعرائه، مهارات النجاح، ٢٠٢٤، ص٤.

(٩) Abraham.Ket les autres : Encyclopédie Alphabétique, Larousse imprimerie, Imprimer en France, ١٩٩٧, P١٤٨٥

(١٠) في نقد الشعر العربيّ المعاصر – دراسة جماليّة، رمضان الصباغ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٦،٢٥.

(١١) الحداثة في الشعريّة العربيّة المعاصرة بين الشعراء والنقاد (عبد الوهاب البياتي ومحي الدين صبحي أنموذجاً)، نادية بودراع، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨م، ص٥٣.

(١٢) الشعريات والسرديات قراءة اصطلاحيّة في الحدود والمفاهيم، يوسف واغليسي، منشورات مخبر السرد، جامعة منتوري، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص٩.

(١٣) الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، عبد الله الغذامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ١٩٩٨م، ص٢١.

(١٤) المرجع السابق نفسه، ص٢٢.
(١٥) الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، عبد الله الغذامي، ص٢١.
(١٦) ينظر: في نقد الشعر العربي المعاصر: دراسة جمالية، رمضان الصباغ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص١١٢.
(١٧) ينظر: في نقد الشعر العربي المعاصر: دراسة جمالية، رمضان الصباغ، ص١٤٥
(١٨) ينظر: قصائد نزار قباني: تحليل فني وبلاغي معقد، دار الموسوعة، ٢٠٢٤، ص٣
(١٩) الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة–القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص٦٧.
(٢٠) نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، عبد السلام عبد العال، دار الفكر العربي–مصر، ط١، ١٩٧٨م، ص١٩.
(٢١) ينظر: قصائد نزار قباني: تحليل فني وبلاغي معقد، ص٥.
(٢٢) ينظر: في نقد الشعر العربي المعاصر: دراسة جمالية، رمضان الصباغ، ص٢٠١.
(٢٣) ينظر: التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره، حسان عبد الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٤، ص١٣٤.
(٢٤) ينظر: الشعر والتصوف، محمد منصور إبراهيم، دار الأمين، القاهرة، ١٩٩٩، ص٤٤.
(٢٥) ينظر: مدح أهل البيت في الشعر العربي وفاعليته في العصر العباسي، رضا شاوردي يابردلفي ومحمد جواد اسماعيل غانمي، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، ٢٠٢٣، ص٢.
(٢٦) ينظر: أهل البيت في ملاحم الشعر العربي الحديث: دراسة موضوعية، رغد عدنان حسان، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، بغداد، ٢٠٢١، ص٥.
(٢٧) ينظر: مدح أهل البيت في الشعر العربي وفاعليته في العصر العباسي، رضا شاوردي يابردلفي ومحمد جواد اسماعيل غانمي، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، ٢٠٢٣، ص٣.
(٢٨) ينظر: أهل البيت في ملاحم الشعر العربي الحديث: دراسة موضوعية، رغد عدنان حسان، ص٧.
(٢٩) ينظر: مدح أهل البيت في الشعر العربي وفاعليته في العصر العباسي، رضا شاوردي يابردلفي ومحمد جواد اسماعيل غانمي، ص٤.
(٣٠) ينظر: ينظر: أهل البيت في ملاحم الشعر العربي الحديث: دراسة موضوعية، رغد عدنان حسان، ص١١.
(٣١) ينظر: العاطفة السائدة في الأبيات الشعرية، مدونة AJSPR، ٢٠٢٥، ودراسة مها بيومي، موقع الموكب، ٢٠٢٥.
(٣٢) ينظر: ديوان أهل البيت عليه السلام، محمد حسين علي الصغير، جامعة الكوفة، ص١٠٥.
(٣٣) ينظر: ديوان حيدر الحلي، شعره في آل البيت عليهم السلام، مضر الحلي، ص١٠٥.
(٣٤) ديوان السيد حيدر الحلي، تحقيق: د. مضر الحلي، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٤، ص٢٧.
(٣٥) ديوان الدموع الناطقة، جابر الكاظمي، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٥، ص ١١٢.
(٣٦) ديوان وانسكب الحبر، جعفر كتاب البحراني، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٨، ص ٤٥.
(٣٧) ديوان نور على نور، ماهر الشهابي البحراني، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٨، ص ١٠.
(٣٨) ديوان أنوار الولاء، السيد هاشم الهاشمي، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٦، ص ٧٢.
(٣٩) ينظر: ديوان نزار قباني، قصيدة «في الحوار مع السائلين عن الحسين»، ص١٧.
(٤٠) ديوان السيد حيدر الحلي، ص٢٧.

(٤١) ينظر: ديوان السيد حيدر الحلي، تحقيق: محمد صادق الكرباسي، مؤسسة الكلمة – لندن، ٢٠٠٠م، ص ١١٢.

(٤٢) ديوان الدموع الناطقة، جابر الكاظمي، ص١١٢.

(٤٣) ديوان وانسكب الحبر، جعفر كتاب البحراني، ص٤٥.

(٤٤) ديوان الحزن المعشوق، غازي الحداد البحراني، ص٢١.

(٤٥) ينظر: الحزن المعشوق، غازي الحداد البحراني، دار المحجة البيضاء – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص ٤٥.

(٤٦) ديوان السيد حيدر الحلي، ص٤٢.

(٤٧) السابق نفسه، ص٩٢.

(٤٨) ديوان الوائلي، شرح وتدقيق: سمير شيخ الأرض، مؤسسة البلاغ، دار سلوى، بيروت، ٢٠١٢، ص٢٠٩.

(٤٩) فضاء المعنى (مجموعة شعرية)، كاظم السعدي، ط١، ٢٠٠٨م، قصيدة (تجليات الشهادة).

المصادر والمراجع:

١. أهل البيت في ملاحم الشعر العربي الحديث: دراسة موضوعية، رغد عدنان حسان، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، بغداد، ٢٠٢١.
٢. التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره، حسان عبد الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٤.
٣. تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكري فيصل، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٩.
٤. الحداثة في الشعريّة العربيّة المعاصرة بين الشعراء والنقاد (عبد الوهاب البياتي ومحي الدين صبحي أنموذجاً)، نادية بودراع، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨م.
٥. الحزن المعشوق، غازي الحداد البحراني، دار المحجة البيضاء – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
٦. الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة–القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
٧. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، عبد الله الغذامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ١٩٩٨م.
٨. ديوان الدموع الناطقة، جابر الكاظمي، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٥.
٩. ديوان السيد حيدر الحلي، تحقيق: د. مضر الحلي، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٤.
١٠. ديوان السيد حيدر الحلي، تحقيق: محمد صادق الكرباسي، مؤسسة الكلمة – لندن، ٢٠٠٠م.
١١. ديوان الوائلي، شرح وتدقيق: سمير شيخ الأرض، مؤسسة البلاغ، دار سلوى، بيروت، ٢٠١٢.
١٢. ديوان أنوار الولاء، السيد هاشم الهاشمي، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٦.
١٣. ديوان أهل البيت (عليهم السلام)، محمد حسين علي الصغير، جامعة الكوفة.
١٤. ديوان نور على نور، ماهر الشهابي البحراني، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٨.
١٥. ديوان وانسكب الحبر، جعفر كتاب البحراني، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٨.
١٦. الشعر في العصر الحديث: نشأته وخصائصه وأغراضه وأبرز شعرائه، مهارات النجاح، ٢٠٢٤.
١٧. الشعر والتصوف، محمد منصور إبراهيم، دار الأمين، القاهرة.
١٨. الشعريات والسرديات قراءة اصطلاحيّة في الحدود والمفاهيم، يوسف واغليسي، منشورات مخبر السرد، جامعة منتوري، الجزائر، ٢٠٠٧م.
١٩. العاطفة السائدة في الأبيات الشعرية، أحمد علي، مجلة علوم اللغة العربية، عد١٢، مج١، ٢٠٢٥.
٢٠. الغزل، جودت فخر الدين وحسن عبد الله، دار المناهل، بيروت.
٢١. فضاء المعنى (مجموعة شعرية)، كاظم السعدي، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٢. في نقد الشعر العربيّ المعاصر – دراسة جماليّة، رمضان الصباغ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط١، ١٩٩٨م.
٢٣. قصائد نزار قباني: تحليل فني وبلاغي معقد، دار الموسوعة، ٢٠٢٤.
٢٤. ما هو المقصود بالعاطفة في العمل الأدبي؟، دانة العتوم، مجلة إي عربي، ٢٠٢١.
٢٥. مدح أهل البيت في الشعر العربي وفاعليته في العصر العباسي، رضا شاوردي بابردلفي ومحمد جواد اسماعيل غائمي، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، ٢٠٢٣.
٢٦. نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، عبد السلام عبد العال، دار الفكر العربي–مصر، ط١، ١٩٧٨م.

الصناعة في عصر الذكاء الاصطناعي» مقال مراجعة»

م. د. شيماء حسين صالح
جامعة بغداد/كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية



للمستخلص:

لقد أحدث التقدم السريع لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي تغييرًا جذريًا في عمليات مختلف الصناعات. تهدف هذه المراجعة الشاملة إلى تزويد القراء بفهم معمق لتطبيقات الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته، وآلية عمله، وتأثيراته المحتملة في مختلف القطاعات ، بما في ذلك التعلم الآلي، والتعلم العميق، والروبوتات، والبيانات الضخمة، وإنترنت الأشياء، ومعالجة اللغات الطبيعية، ومعالجة الصور، وكشف الأجسام، والواقع الافتراضي، والواقع المعزز، والتعرف على الكلام، والرؤية الحاسوبية. وتقدم أمثلة واقعية على تطبيقاتها وتطبيقاتها. علاوة على ذلك، تُسلط الضوء على الإمكانات والتحديات والقيود المستقبلية المرتبطة بالاستخدام الواسع للذكاء الاصطناعي وتُقيّمها. تتضمن دراستنا أحدث الأبحاث لتقديم فهم شامل ودقيق لفوائد الذكاء الاصطناعي وتحدياته المحتملة. تسلط دراسة الحالة القائمة على البيانات الضوء على الإمكانات الهائلة لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي وتتناول الاعتبارات الأخلاقية والمجتمعية والاقتصادية المتعلقة بتنفيذها.

الكلمات المفتاحية:التكنولوجيا، الذكاء الاصطناعي، التعلم الآلي، التطبيقات.

Abstract:

The rapid advancement of artificial intelligence (AI) technology has radically changed the operations of various industries. This comprehensive review aims to provide readers with an in-depth understanding of AI›s applications, working mechanisms, and potential impacts across various sectors, including machine learning, deep learning, robotics, big data, the Internet of Things (IoT), natural language processing, image processing, object detection, virtual reality, augmented reality, speech recognition, and computer vision. It provides real-world examples of its applications and implementations. Furthermore, it highlights and evaluates the future potential, challenges, and limitations associated with the widespread use of AI. Our study incorporates the latest research to provide a comprehensive and accurate understanding of the potential benefits and challenges of AI. This data-driven case study highlights the immense potential of AI technology and addresses the ethical, societal, and economic considerations associated with its implementation.

Keywords: Technology, Artificial Intelligence, Machine Learning, Applications.

مفهوم الذكاء الصناعي.

الذكاء الاصطناعي هو فرع من علم الحاسوب. تُعرّفه الكثير من المؤلفات بكونه: «دراسة وتصميم العملاء الأذكياء»، والعميل الذكي هو نظام يستوعب بيئته ويتخذ المواقف التي تزيد من فرصته في النجاح في تحقيق مهمته أو مهمة فريقه. هذا التعريف، من حيث الأهداف والأفعال والتصور والبيئة يرجع إلى Russell & Norvig (٢٠٠٣) وتشمل

أيضاً التعريفات الأخرى المعرفة والتعلم كمعايير إضافية. صاغ عالم الحاسوب جون مكارثي هذا المصطلح بالأساس في عام ١٩٥٦ م، وعرّفه بنفسه بأنه «علم وهندسة صنع الآلات الذكية». ويعرّف أندرياس كابلان ومايكل هاينلين الذكاء الاصطناعي بأنه «قدرة النظام على تفسير البيانات الخارجية بشكل صحيح، والتعلم من هذه البيانات، واستخدام تلك المعرفة لتحقيق أهداف ومهام محددة من خلال التكيف المرن».

اذن هي عملية خلق وتطبيق استخدامات التكنولوجيا في الإنتاج والتوزيع، بأقل نسبة من التدخل البشري. تساعد الأتمتة في زيادة الفاعلية، والسرعة، والتقليل من الأخطاء البشرية، وتركز على مراحل العمل المتكررة، والتي قد تستلزم وقتاً طويلاً من الشخص المسؤول عنها للقيام بها. من الأمثلة على الأتمتة داخل غرفة الأخبار: استقبال الصور بالإيميل من المصورين، وإضافتها أوتوماتيكياً إلى مجلدات رقمية، بحسب اليوم والشهر والسنة (أكويستي،٢٠١٥، ٣٤٧)

ماهو الذكاء الصناعي.

الذكاء الاصطناعي (AI) هو التكنولوجيا التي تمكن أجهزة الكمبيوتر والآلات من محاكاة التعلم البشري والفهم وحل المشكلات واتخاذ القرار والإبداع والاستقلالية.

تستطيع التطبيقات والأجهزة المجهزة بالذكاء الاصطناعي رؤية الأشياء وتحديدها، وفهم اللغة البشرية والاستجابة لها، والتعلم من المعلومات والتجارب الجديدة، وتقديم توصيات مفصلة للمستخدمين والخبراء، والتصرف باستقلالية، مُغنيةً بذلك عن الحاجة إلى الذكاء أو التدخل البشري (ومن الأمثلة الكلاسيكية على ذلك السيارات ذاتية القيادة).(أرنتز، م، جريجوري ،٢٠١٦، ١٨٦).

لكن في عام ٢٠٢٤ ، سيركز معظم الباحثين والمتخصصين في مجال الذكاء الاصطناعي، ومعظم العناوين الرئيسية المتعلقة به، على الإنجازات في مجال الذكاء الاصطناعي التوليدي (gen AI)، وهي تقنية قادرة على إنتاج نصوص وصور ومقاطع فيديو ومحتوى أصلي آخر. لفهم الذكاء الاصطناعي التوليدي بشكل كامل، من المهم أولاً فهم التقنيات التي تُبنى عليها أدواته: التعلم الآلي (ML) والتعلم العميق .(بابنا، ر. وآخرون ٢٠١٩، ٦٥).

أنواع الذكاء الاصطناعي.

نظام الذكاء الاصطناعي ليس تقنية واحدة بل هو مجموعة من التقنيات التي يمكن دمجها لأداء أنواع مختلفة من المهام. وقد تكون تلك المهام محددة للغاية، مثل فهم اللغة التي يتم التحدث بها والاستجابة بشكل مناسب، أو واسعة جدًا، مثل مساعدة شخص ما في اقتراحات السفر للتخطيط لقضاء إجازة. ولكن فهم جميع أنواع التكنولوجيات المختلفة التي تشكل الذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون مهمة شاقة. ها هي الأساسيات.(رينجولفسون، إي. وماكافي ، ٢٠١٤، ٥٦)

ثلاثة أنواع رئيسية من الذكاء الاصطناعي.

وعلى المستوى الأساسي، هناك ثلاث فئات من الذكاء الاصطناعي:

• الذكاء الاصطناعي الضيق (المعروف أيضًا باسم الذكاء الاصطناعي الضعيف): نظام الذكاء الاصطناعي المصمم لأداء مهمة محددة أو مجموعة من المهام. هذا هو نوع الذكاء الاصطناعي المستخدم في التطبيقات الحالية. إنها تسمى ضعيفة ليس لأنها تفتقر إلى القوة أو القدرة، ولكن لأنها طريق طويل من وجود الفهم البشري أو الوعي الذي نربط بالذكاء الحقيقي. هذه الأنظمة محدودة في نطاقها وليس لديها القدرة على أداء المهام خارج مجالها المحدد. ومن أمثلة الذكاء الاصطناعي الضيق مساعدي الصوت، والتعرف على الوجه والكلام، والسيارات ذاتية القيادة.

• الذكاء الاصطناعي العام (المعروف أيضًا باسم الذكاء الاصطناعي القوي): نظريًا، نظام الذكاء الاصطناعي الذي سيكون قادرًا على أداء أي مهمة فكرية بنجاح يمكن للإنسان القيام بها – ربما أفضل حتى من قدرة الإنسان. مثل أنظمة الذكاء الاصطناعي الضيقة، ستتمكن أنظمة الذكاء الاصطناعي العامة من التعلم من الخبرة وتحديد الأنماط والتنبؤ بها، ولكن سيكون لديها القدرة على اتخاذ الأمور خطوة أخرى، واستقراء تلك المعرفة عبر مجموعة واسعة من المهام والمواقف التي لا تتناولها البيانات المكتسبة سابقا أو الخوارزميات الموجودة. لا يوجد حتى الآن الذكاء الاصطناعي العام، على الرغم من وجود بحث وتطوير مستمر في هذا المجال مع بعض التقدم الواعد.

• الذكاء الاصطناعي فائق الذكاء (**Superintelligent AI**): يعرف نظام الذكاء الاصطناعي بأنه وعي ذاتي بالكامل ويتجاوز ذكاء البشر. نظريا، هذه الأنظمة سيكون لديها القدرة على تحسين نفسها واتخاذ القرارات مع الذكاء فوق مستوى الإنسان. وبعيدًا عن محاكاة السلوك البشري أو تحديده ببساطة، يمكن للذكاء الاصطناعي فائق الذكاء استيعابه على مستوى أساسي. ومع تمكينها من هذه السمات البشرية – وزيادة زيادتها بالمعالجة الضخمة والقوة التحليلية – يمكن أن تتجاوز قدرتنا الخاصة بكثير. إذا تم تطوير نظام الذكاء الاصطناعي فائق الذكاء يمكن أن يغير مسار التاريخ البشري، ولكن حاليا هو موجود فقط في الخيال العلمي، ولا توجد طريقة معروفة لتحقيق هذا المستوى من الذكاء الاصطناعي.(تشين، إكس، تشاو،٢٠٢٢، ٧٦).

كيف يتم استخدام الذكاء الاصطناعي في التصنيع؟

يعمل الذكاء الاصطناعي (**AI**) على تحويل قطاع التصنيع من خلال تعزيز الكفاءة والدقة والقدرة على التكيف في عمليات الإنتاج المختلفة، لا سيما في سياق الثورة الصناعية الرابعة (**Industry ٤,٠**).

يؤدي تطبيق تقنيات الذكاء الاصطناعي، مثل التعلم الآلي ورؤية الكمبيوتر ومعالجة اللغة الطبيعية (**NLP**)، إلى تحسين الجوانب المختلفة لعمليات الإنتاج. يمكن للذكاء الاصطناعي تحليل كميات كبيرة من البيانات من أجهزة الاستشعار والمعدات وخطوط الإنتاج لتحسين الكفاءة والجودة وتقليل فترة التعطل. من خلال استخدام الخوارزميات لتحديد الأنماط في البيانات، يمكن للذكاء الاصطناعي أن يتوقع المشكلات المحتملة، ويقترح تحسينات، بل ويتكيف بشكل مستقل مع العمليات في الوقت الفعلي.(تشوي، م.، مانيكا، ج ،٢٠١٦، ٥٥)

أحد أكثر تطبيقات الذكاء الاصطناعي تأثيرًا هو في الصيانة التنبؤية. حيث تقوم أنظمة الذكاء الاصطناعي بتحليل البيانات من أجهزة الاستشعار الموجودة على الماكينة للتنبؤ بالأعطال قبل حدوثها، مما يقلل من فترة التعطل غير المتوقعة وتكاليف الصيانة. كما يعمل الذكاء الاصطناعي على تمكين مراقبة الجودة المتقدمة من خلال أنظمة رؤية الكمبيوتر، والتي تقوم بفحص المنتجات في الوقت الفعلي لتحديد العيوب.

الذكاء الاصطناعي التوليدي (**gen AI**) يقوم بإنشاء محتوى جديد مثل النصوص والصور والرموز البرمجية من خلال تعلم الأنماط من البيانات والمطالبات السابقة. وفي الصناعة، يتمتع الذكاء الاصطناعي التوليدي بمجموعة متنوعة من الاستخدامات مثل البحث عن المنتجات، وتلخيص المستندات، وخدمة العملاء، ومعالجة المكالمات وغير ذلك الكثير. يساعد تصميم وبناء النماذج الأولية للتطبيقات المهندسين على استكشاف خيارات تصميم جديدة بسرعة والتكيف مع احتياجات الإنتاج المتغيرة. وفي إدارة سلسلة التوريد، يتم استخدام الذكاء الاصطناعي التوليدي لإنشاء المحتوى ونمذجة السيناريوهات والأتمتة المتقدمة التي تعزز المرونة والتواصل داخل سلسلة التوريد.

الذكاء الاصطناعي في التصنيع يتجاوز الأتمتة لدعم اتخاذ القرارات في الوقت الفعلي. هذا الدور جزء مما يُطلق عليه

غالبًا «المصانع الذكية» أو «التصنيع الذكي»، وكلاهما مرادف للثورة الصناعية الرابعة (Industry ٤,٠). هذا النهج المتقدم للإنتاج يستخدم مزيجًا من التقنيات المتصلة وتحليلات البيانات في الوقت الفعلي والذكاء الاصطناعي لإنشاء أنظمة تصنيع مرنة وفعالة وآلية للغاية. يراقب الذكاء الاصطناعي عمليات الإنتاج المستمرة ويقوم بالتعديلات دون الحاجة إلى توجيه، مما يزيد من الإنتاجية ويقلل من الهدر. هذه الأنظمة تحدث ثورة في الطريقة التي تصنع بها الشركات منتجاتها وتحسّنها وتوزعها. (وكالة الاتحاد الأوروبي للحقوق الأساسية ،٢٠١٧)

يقع الذكاء الاصطناعي أيضاً في قلب الاتجاه المتنامي للتعاون بين الإنسان والروبوت. فغالباً ما تتطلب الروبوتات الصناعية التقليدية إشرافاً دقيقاً وبيئات خاضعة للرقابة، ولكن الجيل الجديد من الروبوتات التعاونية المدعومة بالذكاء الاصطناعي يمكن أن تعمل بأمان إلى جانب البشر. تتولى الروبوتات التعاونية المهام المتكررة أو الشاقة بينما يركز الموظفون على الأعمال الأكثر تعقيداً وإبداعاً.

حالات استخدام الذكاء الاصطناعي في التصنيع.

يعمل الذكاء الاصطناعي على تحويل كل جانب من جوانب التصنيع، مما يتيح عمليات أكثر ذكاءً وكفاءة ومرونة. تشمل حالات استخدام الذكاء الاصطناعي الرئيسية للذكاء الاصطناعي في التصنيع ما يلي:

تقنية التوأم الرقمي.

يستخدم الذكاء الاصطناعي لإنشاء نسخة افتراضية للعمليات وخطوط الإنتاج والمصانع وسلاسل التوريد. تُستخدم هذه النماذج الرقمية المزدوجة لمحاكاة وتحليل والتنبؤ بالأداء في الوقت الفعلي. من خلال عكس العالم الحقيقي رقميًا، تتيح التوائم الرقمية للمصنعين مراقبة العمليات وتحسينها دون الحاجة إلى التدخل المباشر في الأصل المادي. تعتمد التوائم الرقمية على البيانات من مستشعرات إنترنت الأشياء (IoT) ووحدات التحكم المنطقية القابلة للبرمجة (PLCs) والتعلم العميق وخوارزميات الذكاء الاصطناعي. تقوم هذه التقنيات بتحديث النموذج الرقمي باستمرار ببيانات حية، مما يوفر تمثيلًا افتراضيًا دقيقًا ومحدّثًا.

الروبوتات التعاونية.

الروبوتات التعاونية (Cobots) مصممة خصيصًا للعمل جنبًا إلى جنب مع العمال البشريين، مما يعزز الإنتاجية والسلامة مع معالجة المهام المتكررة أو التي تتطلب جهدًا بدنيًا. على سبيل المثال، يستخدم مصنعو الإلكترونيات الروبوتات التعاونية لوضع المكونات بدقة، مما يحسن بشكل كبير من كفاءة ودقة عملية التجميع. تمثل الروبوتات التعاونية تقدمًا كبيرًا في مجال الأتمتة، حيث تعمل على سد الفجوة بين القدرات البشرية ودقة الآلة.

الصيانة التنبؤية.

يقوم الذكاء الاصطناعي بتحليل بيانات المستشعرات من الآلات لتوقع الأعطال قبل حدوثها. من خلال استخدام توأم رقمي لتقييم أنماط سلوك ومُؤدّاء المعدات، يمكن لهذه الأنظمة تنبيه المُشغّلين حول المشكلات المحتملة مبكرًا، مما يسمح لهم بمنع الأعطال قبل تفاقمها. على سبيل المثال، يستخدم مصنعو السيارات الصيانة التنبؤية على روبوتات خطوط التجميع، مما يقلل بشكل كبير من وقت التعطل غير المخطط له ويؤدي إلى توفير كبير في التكاليف. يسمح هذا النهج أيضاً لشركات التصنيع بالتخطيط للصيانة في غير ساعات الذروة لتقليل تعطل جداول الإنتاج.(فلوريدي، ل.، كاولز ، ٢٠١٨، ٧٤)

التصنيع حسب الطلب.

يُمكّن الذكاء الاصطناعي الشركات المصنعة من تقديم التخصيص الجماعي، مما يسمح بتخصيص المنتجات وفقًا لتفضيلات العملاء الفردية دون إبطاء الإنتاج. من خلال دمج الذكاء الاصطناعي في عملية التصميم، يمكن للشركات تعديل التصاميم بسرعة بناءً على ملاحظات العملاء في الوقت الفعلي. على سبيل المثال، يستخدم مصنعو الملابس خوارزميات الذكاء الاصطناعي لتخصيص المنتجات، مما يسمح للعملاء باختيار التصاميم التي تلبي أذواقهم المحددة. هذه المرونة تعزز مشاركة العملاء ورضاهم.(جودفيلو، آي،٢٠١٦، ٥٩)

التصميم التوليدي.

تقوم تقنية التصميم التوليدي المدعومة بالذكاء الاصطناعي باستكشاف مجموعة واسعة من خيارات التصميم استنادًا إلى معلمات مثل المواد وقيود التصنيع. تساهم هذه العملية في تطوير المنتج في تسريع دورة التصميم من خلال تمكين المصنعين من تقييم العديد من النماذج الأولية بسرعة. أدوات تصميم الذكاء الاصطناعي التوليدي قيد الاستخدام بالفعل في مختلف الصناعات، ولا سيما في مجال الطيران والسيارات، حيث تستخدمها الشركات لإنشاء أجزاء مُحسّنة. وعلى الرغم من ترسخ هذه التقنية، إلا أن إمكاناتها الكاملة لا تزال قيد الاستكشاف ضمن النظام البنائي المتطور للتصنيع الحديث.

مصنع في صندوق.

مفهوم «المصنع في صندوق (factory in a box)» يستخدم وحدات تصنيع معيارية مستقلة يمكن نشرها بسرعة في مواقع مختلفة. مزودة بأتمتة مدعومة بالذكاء الاصطناعي، وأجهزة استشعار إنترنت الأشياء، وتحليلات البيانات في الوقت الفعلي، تمكّن هذه الوحدات من إنتاج مرن ومحلي. يتيح ذلك للشركات نقل التصنيع بالقرب من الطلب، وتقليل تكاليف اللوجستيات والاستجابة السريعة للتغيرات في الاحتياجات. بعض الصناعات—مثل الإلكترونيات والسيارات والمستحضرات الصيدلانية—تجري حاليًا تجارب مع هذه الوحدات المحمولة. يكمن الإمكانات الكاملة للمفهوم في التطورات المستقبلية في الأتمتة والتصميم المعياري وتكامل البيانات، مما سيجعله حلاً قابلاً للتطوير ومستخدمًا على نطاق واسع.

مراقبة الجودة.

يعمل الذكاء الاصطناعي على تعزيز عمليات مراقبة الجودة من خلال استخدام رؤية الكمبيوتر والتعلم الآلي (غالبًا ما يكون مدعومًا بالتوأم الرقمي) لتحديد العيوب في الوقت الفعلي. وتحلل هذه الأنظمة صور المنتجات أثناء تصنيعها، وتحدد التناقضات أو العيوب بدقة أكبر من المفتشين البشريين. على سبيل المثال، تستخدم شركات تصنيع الإلكترونيات مراقبة الجودة القائمة على الذكاء الاصطناعي المستند إلى الذكاء الاصطناعي للمساعدة في ضمان استيفاء المكونات للمواصفات الصارمة. تؤدي هذه الفحوصات إلى تحسين جودة المنتج وتقليل الهدر وزيادة رضا العملاء.

إدارة سلسلة التوريد.

يعمل الذكاء الاصطناعي على تحسين سلاسل التوريد من خلال تحليل مجموعات البيانات الضخمة للتنبؤ بالطلب وإدارة المخزون وتبسيط الخدمات اللوجستية. عند إقرانه بتوأم رقمي، يمكن للذكاء الاصطناعي إنشاء نموذج افتراضي لسلسلة التوريد بأكملها، مما يسمح للمصنعين بمحاكاة الاضطرابات أو نقص الموارد والتنبؤ بها في الوقت الفعلي. يستخدم التعلم الآلي للتنبؤ بالطلب وأتمتة عمليات الشراء، مما يساعد على ضمان حصول الشركات المصنعة على المواد المناسبة في الوقت المناسب. كما يمكن لأنظمة إدارة الطلبات التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي تتبع وتحسين تنفيذ الطلبات، مما

يضمن التسليم في الوقت المناسب. على سبيل المثال، يستخدم مصنعو الأغذية الذكاء الاصطناعي لتحسين سلاسل التوريد الخاصة بهم من خلال توقع تغيرات الطلب الموسمية، مما يسمح لهم بإدارة الموارد بكفاءة وتقليل الهدر. تعزز هذه القدرة الكفاءة التشغيلية الشاملة والاستجابة لديناميكيات السوق.

إدارة المخزون.

الذكاء الاصطناعي يحسن مستويات المخزون من خلال تحليل البيانات للتنبؤ باحتياجات المخزون وأتمتة التجديد. من خلال التنبؤ بالطلب ومراقبة المخزون في الوقت الفعلي، يمكن للمصنعين الحفاظ على مستويات المخزون المثلى، مما يقلل من تكاليف التخزين ويحسن التدفق النقدي. على سبيل المثال، يستخدم مصنعو الأغذية والمشروبات أنظمة مدعومة بالذكاء الاصطناعي لتعقب استخدام المكونات في الوقت الفعلي. يمكنهم التنبؤ بالاحتياجات المستقبلية بناءً على جداول الإنتاج والفصول والاتجاهات السابقة. يساعد هذا في تجنب الاختناقات الإنتاجية المحتملة، ولكنه أيضًا يقلل من الهدر الناتج عن تخزين المخزون الزائد.(جوبتا، أ.–وجورج،٢٠٢١، ٦٩)

إدارة الطاقة.

تراقب أنظمة الذكاء الاصطناعي استخدام الطاقة في الوقت الفعلي لتحديد أوجه القصور. ويمكن لهذه الأنظمة أن توصي بإجراء تعديلات تقلل من تكاليف الطاقة وتقلل من الأثر البيئي. على سبيل المثال، تستخدم شركات تصنيع الإلكترونيات حلول الذكاء الاصطناعي لإدارة الطاقة لتحسين العمليات. وتؤدي هذه الكفاءة إلى تحقيق وفورات كبيرة في التكاليف وتقليل البصمة الكربونية.

إدارة القوى العاملة.

يساعد الذكاء الاصطناعي في تخطيط وإدارة القوى العاملة من خلال تحليل بيانات الموظفين لتحسين الورديات وتحسين الإنتاجية. يمكن لهذه الأنظمة تقييم عوامل مثل عبء العمل وأداء الموظفين ومجموعات المهارات لإنشاء جداول زمنية فعالة. يستخدم المصنعون هذه القدرة للذكاء الاصطناعي لإدارة القوى العاملة لديهم بفعالية، مما يساعد على ضمان تخصيص العمال المهرة حيثما تكون الحاجة إليهم أكثر.(خاتمي، أ.، مرتضوي،٢٠٢٠، ٧٧)

المصادر.

١– أكوبستي، أ.، وبراندیمارتي، ل.، ولوينشتاين، ج. (٢٠١٥). الخصوصية والسلوك البشري في عصر المعلومات. ساينس.

٢– أرنتز، م.، جرجوري، ت.، وزيراهان، ي. (٢٠١٦). مخاطر الأتمتة على الوظائف في دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية: تحليل مقارن. أوراق عمل منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية حول الشؤون الاجتماعية والتوظيف والهجرة، العدد ١٨٩، منشورات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، باريس.

٣– بابنا، ر. وآخرون (٢٠١٩). التخصيص في عصر المعلومات الزائدة: دور خصائص المحتوى ومصداقية المصدر. علوم الإدارة، (٤).

٤– رينجولفسون، إي. وماكافي، أ. (٢٠١٤). عصر الآلة الثاني: العمل والتقدم والازدهار في عصر التقنيات الرائعة. دبليو. دبليو. نورتون وشركاه.

٥– تشين، إكس، تشاو، ي، تشانغ، إكس، وليو، ي (٢٠٢٢). الذكاء الاصطناعي في الرعاية الصحية: من التطبيق السريري إلى الاهتمام الأخلاقي. مجلة فرونتيرز أوف ميديسين، ١٦(٢).

٦– تشوي، م.، ماليكا، ج.، وميرعادي، م. (٢٠١٦). أين يمكن للآلات أن تحل محل البشر – وأين لا يمكنها ذلك (حتى الآن).

٧– وكالة الاتحاد الأوروبي للحقوق الأساسية. (٢٠١٨). استشراف المستقبل: الذكاء الاصطناعي والحقوق الأساسية.

٨– فلوريدي، ل.، كاولز، ج.، بلترامیتي، م.، شاتيلا، ر.، تشازاراند، ب.، ديجنوم، ف.، ... ومارين، س. (٢٠١٨). الذكاء الاصطناعي للناس – إطار أخلاقي لمجتمع ذكاء اصطناعي جيد: الفرص والمخاطر والمبادئ والتوصيات. عقول وآلات.

٩– جودفيلو، آي.، وبينجيو، واي.، وكورفيل، أ. (٢٠١٦). التعلم العميق. مطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا.
١٠–جوبتا، أ.–وجورج، ج. ف. (٢٠٢١). الذكاء الاصطناعي واستراتيجية الأعمال: مراجعة شاملة. مجلة نظم المعلومات الإدارية.
١١– خاتمي، أ.، مرتضوي، م.، وبوزورجي، ح. (٢٠٢٠). تقييم إمكانات مناهج الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي لتحسين كفاءة استخدام المياه الزراعية: مراجعة. مجلة هندسة الري والصرف، ١٤٦(١٠).

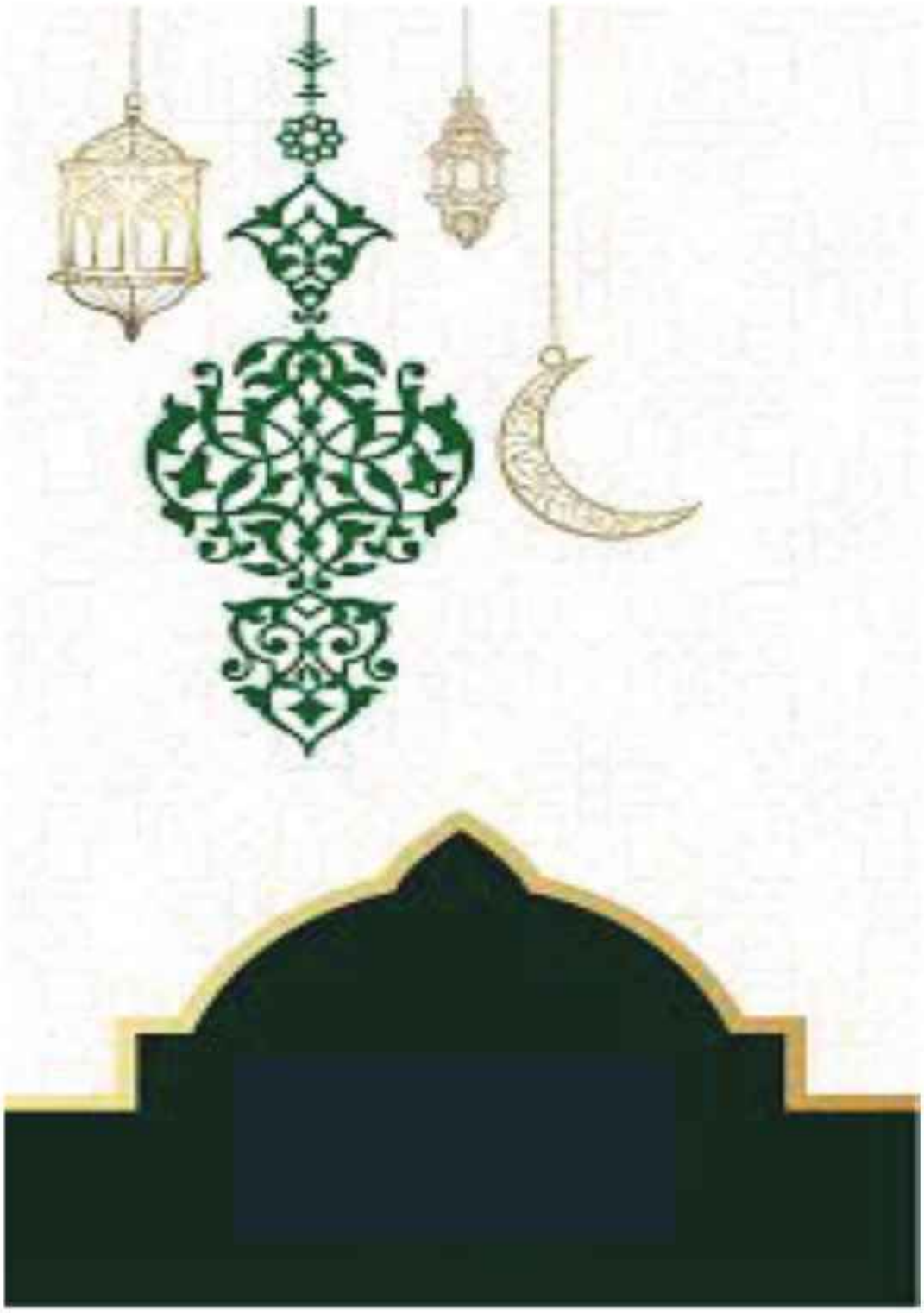

أثر تغيرموضوعات الأحكام في المسائل المستحدثة

م. د. ستار عباس الصخي
جامعة أهل البيت (عليهم السلام)

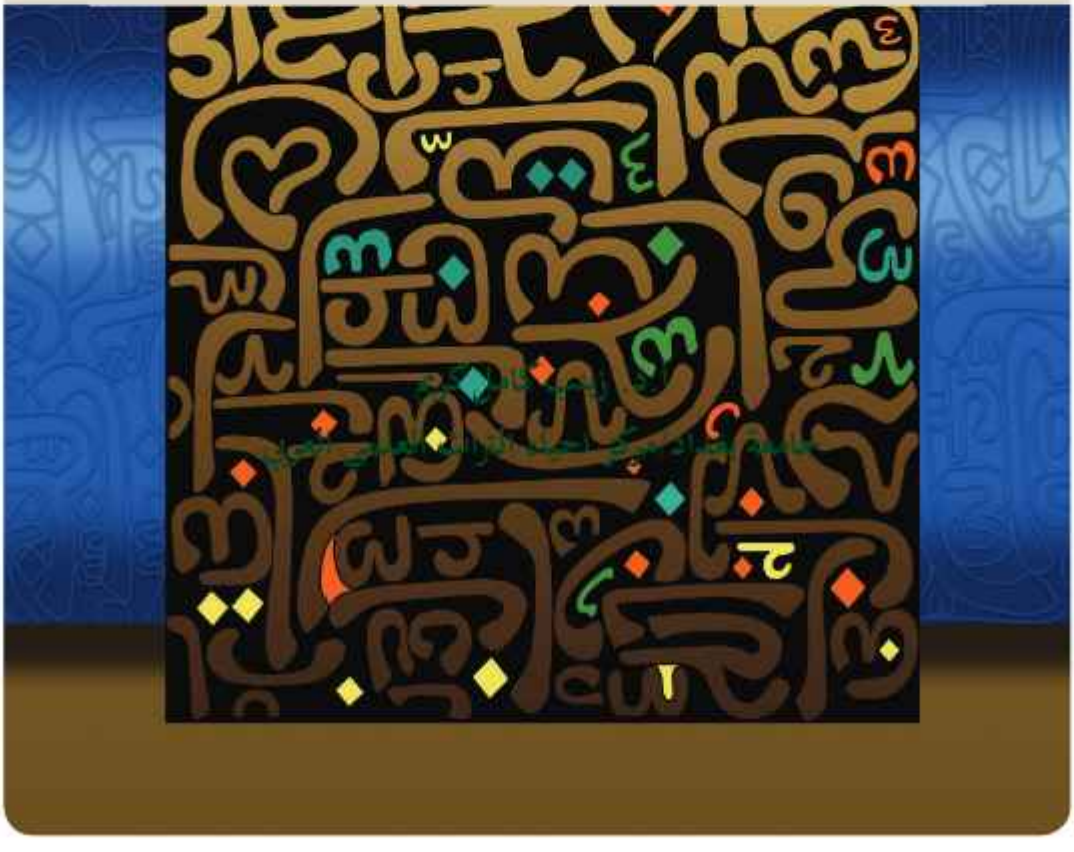

المستخلص:

يعد موضوع البحث من المواضيع المهمة؛ وتكمن أهميته في كون الموضوعات التي يتناولها البحث تختص بالمسائل المستحدثة التي تشكل حيزاً مهمّاً في مجال البحث الفقهي، فهي محل ابتلاء لدى الكثير، ونجدها تتجدّد دائماً بتجدد وقائع الحياة نتيجة ارتباطها بالتكنولوجيا والتطوّر العلمي والتقني الذي تعيشه البشرية اليوم، وبما ان الشريعة الاسلامية تمتاز بمميزات عدة، كونها تخاطب المجتمع العالمي ولها الديمومية والاستمرارية والشمولية لانها شاملة لكل جوانب الحياة، فلم تتأثر بعوامل الزمان والمكان، ولاتختص بطبقة من الناس ولا بخصوص قوم او جنس ما، وانما لكل البشرية وعليه فإنّ الفقيه لا بدّ له من بذل الوسع والاجتهاد لتبيين الحكم الشرعي في مثل هذه الحالات، ولا يقتصر عملهم على ما هو مطروح من مسائل ذكرت في ثنايا كتب العلماء والفقهاء القدماء.

ولذا فإن الكثير من المسائل المستجدة وفي مختلف ميادين الحياة سواء مايتعلق بالعلوم الحديثة أو العلوم التقليدية تحتاج البحث عن حكمها الأولي وبعدها ننتقل للحكم الثانوي المجعول للشيء بلحاظ العناوين الطارئة عليه، ولم نجد لها بيان حكم في كتبنا الفقهية القديمة؛ كونها لم تكن محلاً أبتلاء آنذاك ، وعليه فلا بدّ لنا من البحث والوصول الى الإجابة الصحيحة والمُقنعة.

الكلمات المفتاحية:المسائل، المستحدثة،الموضوعات واقعةن الفقه، الحكم .

Abstract:

The research topic is one of the important topics; its importance lies in the fact that the topics that the research deals with are related to emerging issues that constitute an important area in the field of jurisprudential research, as they are a source of affliction for many, and we find them always renewed with the renewal of life events as a result of their connection to technology and the scientific and technical development that humanity is experiencing today, and since Islamic law is characterized, according to what we believe, by several privileges, including universality, continuity and comprehensiveness of all aspects of life, it is not framed by a specific time or place, and is not specific to a class of people or to a particular nation or race, and accordingly, the jurist must conduct continuous research to clarify the legal ruling in all cases, and their work is not limited to what is known of the issues mentioned in the books of ancient scholars and jurists. Therefore, we know that there are many new issues in various fields of life, whether related to modern sciences or traditional sciences, such as research in our current era into some issues related to the chapters of jurisprudence, and we did not find a statement of the ruling for them in the old books of jurisprudence; because they were not a subject of affliction at that time, and there was no text in a verse or narration about them, and therefore we must research and reach the correct and convincing answer.

Keywords: Issues, New Issues, Topics, Reality, Jurisprudence, Ruling.

المقدمة :

الحمد لله الذي نحمده حمداً طيباً مباركاً ونستعين به ولانشرك به شيئاً، ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، الواحد الاحد الفرد الصمد، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

اما بعد:

يعد موضوع المسائل المستحدثة من الموضوعات الهامة في مجتمعنا لما لها ارتباط في حياة المكلفين فهي مسائل تكون محل ابتلاء للكثير كونها ترتبط بالتطوّر العلمي والتكنولوجي الهائل الذي شهده العالم وخصوصاً في العقود الاخيرة في كافة مجالات الحياة، فكل واقعة جديدة أو موضوع مستحدث يتطلب حكماً شرعياً سواء كان ذلك الحكم موجود سابقاً – لكن تغيّرت بعض قيوده (ملاكه ،موضوعه، متعلقه)– أم لم يكن له وجود و لم يبحث سابقاً من ذوي الاختصاص لعدم الحاجة له في حينها ، لقوله عجل الله فرجه (وأما الحوادث الواقعة فأرجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم) (١).

وبما ان الشريعة الإسلامية تتميز بالمرونة والواقعية والاستمرارية والشمولية لكلّ جوانب الحياة، وهي قادرة على تلبية حاجات المكلفين التشريعية فيما يتعلق بالمسائل العبادية والروحية أو حتى التربوية والأخلاقية أو مايتعلق بالحقوق المالية سواء كانت للافراد او المجموعات.

لذا نجد ان الفقهاء بحثوا كل المسائل المستحدثة برغم كثرتها وتنوّعها وخصوصاً في مسائل (المثلة و عمليات زرع الاعضاء وعمليات التجميل باستخدام الترقيع وما يتعلق لأطفال الانابيب وامكانية التلقيح الصناعي)، فجوزوا لطلبة كليات الطب البشري تشريح جسد الانسان للاستفاده منه في معالجة الامراض، وامكانية نقل بعض الاعضاء البشرية من جسم الانسان الحي أو من جثة الانسان الميّت للانسان الحي كالقلب والكلى والعين، وجواز التلقيح الصناعي بأخذ نطفة الزوج و وضعها في رحم الزوجة .

ومسألة الاعتبار للاوراق المالية التي لم تكن سابقاً لأن التعامل حينها يتم بالنقدين (الذهب والفضة) وكذلك بعض الأعيان النجسة كـ(الدم والعذرة)، اصبح لها منفعة معتد بها ولها اعتبارات مالية في هذا الزمان ولم يكن لها في السابق.

١– بيان موضوع البحث

لاشَكّ ولاشبهة إن هذه المسائل لها اهمية كبرى في حياتنا فتتوقف عليها العديد من الامور المهمّة المبتلى بها عالمنا المعاصر، والتي قلّما تعرّض لها فقهاؤنا الماضيين من القدماء أو المتأخرين لعدم وجوب ما يستدعي بحثها حينها، وقد تصدّى جمع من فقهاء المذاهب الاسلامية الاخرى لبعض تلك المسائل من دون ذكر دليل دل عليها، فأضعف حجيتها وبما ان هناك اختلاف في المباني الأصولية لكلا المدرستين، فهذا الاختلاف يجري في المسائل المستحدثة وغيرها.

٢– أهمية البحث

تأتي أهمية البحثِ لبيان أبرز السمات وأهم الدروس التي يستفاد منها في مسائل تشريع الأحكام وجعلها في موارد لا نصّ فيه، وبالرغم من ان البحث في هذه المسائل تطور في القرن الماضي، إلا ان ذلك لا يمكنه أنّ يتجاهل جهود العلماء المسلمين القدماء والمتأخرين فقد نجد مؤلفاتهم جذور و اشارات لبعض هذه المسائل، وخصوصاً التي تتغير احكامها بتغير موضوعاتها ، لان الحكم يدور مدار موضوعه، كتغير الزمان والمكان .

٣– أهداف البحث

في السنوات الاخيرة كان هناك هجوم غير مسبوق على الشريعة الاسلامية ومرتكزاتها الاخلاقية والانسانية، من خلال ترويج التهم والاباطيل الكاذبة على الشريعة السمحاء، فلابد للمتصدين من الوقوف بوجه هؤلاء و رد اباطيلهم من خلال اقامة الحجة والدليل على تلك الادعاءات ، وبما ان البحث في المسائل المستحدثة يعد كبدايةً للخروج بتصوّر واضح وجلي عن موضوع تلك الواقعة بما يبين للمكلف جميع ملامح وخصوصيات تلك المسألة والاحاطة بكل ظروفها، وهو ما يسهل للفقيه تحديد الحكم الفقهي المرتبط بهذه المسألة، وتقديم الدليل والبرهان لكل من يروج من الشريعة المقدسة جامدة ولايمكنها من مواكبة التطور التعلمي والتكنولوجي، لان عدم الاحاطة بتلك الظروف والخصوصيات قد يكون عامل سلبي على بعض الباحثين في مثل هذه الموضوعات بالإخفاق في تحديد حقيقة الموضوع.

٤– فرضية البحث والجديد فيه

من خلال بحثنا المتواضع سنتطرق الى بيان ان تلك المسائل المراد بحثها ، هي بعض المسائل المستحدثة التي لم يتطرق لها ولم يستنبط لها حكم شرعي، وقد يكون بعض تلك المسائل والوقائع تكون محل إبتلاء لبعض المكلفين أوقد تكون محل

ابتلاء نوعي، وقد يكون بعضها الآخر خارج محل الإبتلاء سواء كان الابتلاء شخصياً أو نوعياً في وقتنا الحاضر ، فهي ستبقى مستحدثة مالم يرد فيها حكم من قبل الفقيه العالم.

وعليه يمكن القول أن المسائل المستحدثة ليس لها علاقة باستنباط الفقهاء سواء كانت تلك الاستنباطات موضع اتفاق او خلاف ،كون الاختلاف الواقع بين الفقهاء يكون في مقدار أستنباط تلك المسائل المستحدثة, لأن مشهور الفقهاء المعاصرين يذهبون الى ان المسائل المستحدثة لاتتجاوز عدة صفحات وهو ماذهب اليه السيد الشهيد محمد صادق الصدر(اعلى الله مقامه) في مقدمتة في الرسالة العملية المسماة بـ (فقه القضاء).

٥– خطة البحث

تضمنت خطة البحث التي أعتمدت على: مقدمة، وثلاثة مطالب ، منها تمهيدي ومطالبين ، وخاتمة، وفهارس، وهي كالآتي:

أولاً : مقدمة: وتتضمن بيان أهمية الموضوع ، والدراسات والبحوث السابقة في هذا الموضوع، والخطة ومنهج الدراسة.

ثانياً: المطلب التمهيدي: الاطار النظري للبحث من خلال بيان مفاهيم البحث والمسائل المرتبطة فيه.

ثالثاً: المطلب الأول: أهمية موضوع الحكم .

رابعاً: المطلب الثاني: تغير الاحكام بتغير موضوعاتها

خامساً: خاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث، وتوصيات الباحث.

سادساً: فهرس المصادر والمراجع.

٦– منهجية البحث

أما المنهج المتبع في إعداد البحث والدراسة: هو العرض والتحليل

أسأل الله العلي القدير أن نوفق لما يحب ويرضى، وان يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين .

المطلب التمهيدي: بيان مفاهيم البحث والمسائل المرتبطة فيه:

المطلب الاول : بيان مفاهيم البحث.

أولاً: الأثر لغةً

أ– الأثر لغةً: جاء في معجم مقاييس اللغة : أن الأثر له أصول ثلاثة(٢):

الاول:تقديم الشيء: يقال: أثرتُ بأن أفعلَ كذا، معناه: أفعله أوّل كلّ شيء، ومنه الإيثار. الثاني: ذكر الشيء:يقال: (أثرْتُ الحديث أثراً– من باب قتل – نقلته، والأثر اسم منه، وحديث مأثور، أي منقول)(٣).

الثالث: رسم الشيء الباقي: والأثر: الخبر ومنه, قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾(٤). أي: نكتب ما أسلفوا من أعمالهم، ويطلق على السيرة العطرة للرسول من أحاديث وسنن ومنه حديث مأثور: أي ينقله شخص عن أخر(٥)، وقالوا عن الخبر: (والأثر بقيّة ما ترى من كلّ شيء وما لا يرى بعد ما يُبقي عُلقةً)(٦)، وأثر الدار: بقيّتها، والجمع: آثار، مثل سبَب وأسباب(٧)، والأثارة: البقيّة من الشيء، والجمع: أثارات(٨). وأثّرت فيه تأثيراً جعلت فيه أثراً وعلامة.

قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): الأثر– بالتحريك – ما بقي من رسم الشيء، والتأثر: إبقاء الأثر في الشيء ، وأثر في الشيء ترك فيه أثر(٩)، وجاء بالمفردات: (أثرت العلم: رويته، وآثّره أثراً وأثارة واثرة، وأصله: تتبّعت أثره) (١٠).

ومما تقدم يظهر أن المعنى الأخير هو أكثر أنطباقاً مع مفهوم الأثر المبحوث عنه .

ب– الأثر أصطلاحاً: لا يخرج تعريف الأثر بالأصطلاح عن معناه اللغوي, واستعمل الفقهاء لفظ (أثر) للدلالة على بقية الشيء، أو ما يترتب على الشيء، كقولهم في حكم بقية الشيء بعد الاستجمار: (وأثر الاستجمار معفو عنه بمحله)، وقولهم في حكم بقية الدم بعد غسله: ولا يضر أثر الدم بعد زواله. ويطلقونه على ما يترتب على الشيء، فيستعملون كلمة أثر مضافة ، كقولهم: أثر عقد البيع ، وأثر الفسخ ، وأثر النكاح(١١).

ثانياً: لكلّ واقعة حكم

لابد من القول إنّ لكلّ واقعة من وقائع الحياة (حكم) ولكل حكم (ملاك وموضوع ومتعلق)، فيسمى (ملاك الحكم

، موضوع الحكم ، ومتعلق الحكم)، فعند البحث في تلك المسائل نجد ان في مثال وجوب الزكاة يكون الوجوب هو الحكم، والأشياء متعلِّق الحكم، والزكاة موضوعه أو متعلّق المتعلّق(١٢). وكذا في مثال حرمة شرب الخمر: يكون الحكم عبارة عن الحرمة، والمتعلّق هو الشرب، والموضوع هو الخمر.

أ. ملاك الحكم : هو الصادر من الباري سبحانه وتعالى لتشخيص المصلحة في الفعل ، وهو ما يسمى بالملاك وكذلك المفسدة»(١٣)، او كما يعبر عنه عند المذاهب الاسلامية بـ (الحاكم).

ب. موضوع الحكم : وهو ما يتعلق بموضوع الحكم ، وهو مجموع الأشياء التي تتوقف عليها فعلية الحكم المجعول (كالزكاة في مثالنا اعلاه)، او كما يعبر عنه عند المذاهب الاسلامية بـ (المحكوم فيه).

ج. متعلق الحكم : وهو ما يتعلق بالمحكلف،(والمتعلّق هو الاشياء في مثالنا اعلاه) او كما يعبر عنه عند المذاهب الاسلامية بـ (المحكوم عليه).

ولبيان أصل الموضوع لابد من ان نتطرق الى مسألة الاحكام الشرعية، فالحكم الشرعي كما معروف ينقسم الى حكمين: حكم واقعي، وهذا الحكم لا يمكننا أن نعلمه بالقطع؛ لانقطاعنا عن أصل التشريع، وهذا ليس معناه عدم وجود أحكام واقعية معروفة الآن، فكما الوجوب أصل للصلاة والصوم والحجّ، فهي أحكام قطعية ثابتة في أصل الإسلام، ولها ملاك وهو حكم واقعي.

وهناك حكم ظاهري، مستنبط عبر الآليات والأدوات التي يعتمدها الفقيه في استنباطها عبر الأدلة الفقهية، وبذلك يكون الحكم الظاهري قد يبدو موافقاً للواقع أو مخالفاً له، ويمكن اجتماع الحكمين الواقعي والظاهري في واقعة واحدة، كالدعاء عند رؤية الهلال فالواقعي يكون واجباً، والظاهري قامت الأمارة على إباحته(١٤).

ثالثاً: الاحكام الشرعية:

قسمت الأحكام الشرعية بهذه الكيفية إلى:

١- أحكام واقعية.

٢- وأحكام ظاهرية.

أ- بالنسبة للأحكام الواقعية: هي الأحكام الواقعية الصادر من الشارع المقدس، والتي يخبر بها الرسول المرسل(صلّى الله عليه وآله)، وهذه الأحكام لم يفترض في موضوعها الشك في حكم شرعي مسبق(١٥).

ب- الأحكام الظاهرية:

فهي الأحكام التي يستنبطها الفقيه من الأدلة الشرعية الثابتة بالحجّة القطعية، وهذه الأحكام يفترض في موضوعها الشك في حكم شرعي سابق، من قبيل أصالة الحل في رواية عن الامام الصادق عليه السلام قوله: «كل شيء هو لك حلال حتى تعلم انه حرام بعينه فتدعه من قبل تفسك»(١٦)، وسائر الأصول العملية الأخرى، ومن قبيل أمره بتصديق الثقة والعمل على وفق خبره وأمره بتصديق سائر الأمارات الأخرى(١٧).

ج- الأحكام الأولية والأحكام الثانوية:

و تنقسم الأحكام الواقعية الى الأحكام الأولية والأحكام الثانوية ، وبما أن الأحكام الأولية ثابتة ولا تتغير، فهذا يعني انه ليس هناك حاجة للبحث عن ملاكها، وهذا لا يعني أن المشرع الإسلامي لم يأخذ في عين الاعتبار مدى تأثير مسألة الزمان والمكان على موارد كثيرة من أحكامه، وتأثيرها على ملاك الحكم، وأهميتها في عملية التشريع.

د- الأحكام الثانوية: فهي الأحكام المجعولة للعناوين الثانوية الطارئة على موضوعات الأحكام الأولية وبتعبير آخر: هي الأحكام المجعولة لموضوعات الاحكام الاولية، فهي الاحكام المجعولة على نفس طبائع الموضوعات وعناوينها بما هي عليها طبقاً للمصالح والمفاسد الكامنة في موضوعاتها وتكليف العباد بما هم كذلك من غير ملاحظة ظرف خاص أو حالة خاصة كالاضطرار وغيره(١٨)، بعد طرو العناوين الثانوية على موضوعاتها.

ويكمن بيان دور ملاك الأحكام الثانوية في بيانها لعلل الاحكام أو السبب الحقيقي وراء تشريعها، والتي لا يمكن ان تكون معالمها بينه و واضحة في الاحكام الاولية، مما يتطلب تحديد بيان ومعرفة المصالح والمفاسد في المسائل المستجدة والمستحدثة لغرض تشريع و اصدار حكم شرعي جديد أو تغيير حكم شرعي قائم، وهذا ما يؤكد على ان بيان هذه

الملاكات هو وسيلة لرفع الحرج والعسر عن المكلفين ، وبذلك يكون في معالجته رد على إشكالية الحداثيين والتي مفادها قصور الأحكام الشرعية الثابتة عن استيعاب الموضوعات المتغيّرة بتغيّر الزمان والمكان وتكمن أهميتها في الشريعة الإسلامية باعتبار أنها تمثل عامل مرونة يمنح الشريعة المقدسة القدرة على مواجهة الظروف المتغيرة على الصعيدين الفردي والاجتماعي(١٩).

وبما أن مدار الأحكام الثانوية وملاكاتها يكون في حدود الحالات الطارئة و الاضطرارية ومقيد بها، فهي تتحقق بتلك الحالات، لان الضرورات تقدر بقدرها فإن ارتفعت تلك الحالات كالضرر والعسر، فنرى أن ملاك الحكم الأولي يبقى فعالاً في حق المكلف، ويمكن ان يشمل هذا الأمر اتخاذ كافة التدابير اللازمة لمواجهة العدوان، فلابد لنا من بناء قوات قادرة على مواجهة العدوان فما يتعلق بمسائل التدريب العسكري وبناء القدرات العسكرية وتطوير الصناعات المختلفة، فإن ملاكها يقوى ويشتد عند التعرض إلى هيمنة الكافر وتسلطه لقوله تعالى:﴿ لَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾(٢٠)، وبالنسبة للعقود والعهود والاتفاقيات مع الدول غير الإسلامية فإن ملاك حكمها الأولي هو الحرمة، بدلالة الآيات الأوائل لسورة التوبة (آية ١ – ١٤)، ولكنها بمقتضى العناوين الثانوية فأنها تجوز بسبب (عناوين المصلحة والضرورة) (٢١).

هـ – تعريف المسائل المستحدثة:

المسائل المستحدثة هي تلك المسائل التي ليس لها موضوع في السابق ، ونتيجة تطور الحياة و توسع الحاجات وتطور العلم في نواحي الحياة مما يتطلب البحث عن احكام لتلك المسائل لم تكن موجودة في عصر التشريع الاول سواء تلك المسائل التي استدت أو تلك المسائل التي تغيرت ظروفها وتحتاج الى البحث في حكم شرعي جديد لها ، كالترقيع و عمليات التجميل والاعيان النجسة التي لم تكن لها اية قيمة مالية أو فائدة كالدم ونقل بعض اجزاء جسم الحيوانات الى جسم الانسان والنقود الاعتبارية والالعاب الالكترونية وغيرها .

عرف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي المسائل المستحدثة بأنها: كل موضوع جديد يتطلب حكماً شرعياً سواء لم يكن في السابق أو كان سابقاً لكن تغيّر بعض قيوده.

فالأول من قبيل النقود الاعتبارية التي لم تكن قبل، والثاني من قبيل اعتبار المالية لبعض الأعيان النجسة هذا الزمان ولم تكن لها مالية في الماضي كالدم(٢٢).

وبما ان المسائل المستحدثة لم يكن لها دليل يمكن الخوض فيه، أو من الموضوعات التي ليس فيها نص، فلابد من البحث عن تلك المسألة في الاحكام الاولية وبعدها يتم البحث عنها في الاحكام الثانوية، وبعدها يتم البحث في الاحكام الولائية، ولكل منها خصوصية معينة.

المطلب الثاني : أهمية موضوع الحكم

أولاً: موضوع الحكم لغةً واصطلاحاً:

أ– الموضوع لغة: للوضع في اللغة معان عدة، منها: الحط، يقال: وضعه، يضعه، وضعا، بمعنى حطه، ووضع عنه، أي حط من قدره، ومنه وضعت المرأة حملها إذا ولدت، ووضع تجارته إذا خسر فيها، والحط من رأس ماله(٢٣)، ومنه: (الإلصاق، والإسقاط، والاختلاف) (٢٤).

ب– الموضوع اصطلاحاً: (موضوع الحكم مصطلح أصولي معناه مجموع الأشياء التي تتوقف عليها فعلية الحكم المجعول)(٢٥).

ثانياً : أهمية موضوع الحكم

لكل مسألة او واقعة من وقائع الحياة لابد ان يكون لها حكم شرعي، وهذا الحكم يبنى على اساس وجود موضوع يترتب عليه، وله ايضاً متعلق يتعلق به الحكم، و لهذين الموردين الموضوع، والمتعلق اصطلاحات مختلفة لدى الأصوليّين، فالمحقق النائيني(ت١٣٥٥هـ)، يذهب للقول في مثال حرمة شرب الخمر : فالحرمة هي الحكم ، و موضوع الحكم هو الخمرية (الخمر) ومتعلق الحكم هو الشرب، وفي مثال وجوب الزكاة فأن الوجوب هو الحكم، وموضوعه هو الزكاة، اما متعلق الحكم فهي الموارد التي تجب فيها الزكاة(٢٦).

والموضوع يعد في مرتبة تسبق الحكم، بل انه عبارة عن شيء مفروض الوجود ليتحقق الحكم، بخلاف المتعلّق، بل هو في مرتبة الأمر والحكم، فموضوع الحكم هو كل شيء أنيطت فعلية الحكم به(٢٧)، فيستحيل أن يتحقق الحكم من دون الموضوع، وهذا الكلام يعم المرتبتين الجعلية والفعلية، لأن مرتبة الجعل تشتمل على حكم، وتتوقف على موضوع أيضا ، إذ أن الحكم لا يتحقق إلا بوجود موضوعه. وأما بيان ذلك في مرتبة المجعول أو الفعلية ومن خلال الأمر يكون المكلّف مأموراً بالإتيان به، وكذلك بالنهي يكون مأموراً بالترك، و مثال الموضوع بالمعنى الاصطلاحي: مشاهدة الهلال في شهر رمضان بالنسبة لفعلية وجوب الصوم ويصطلح على رؤية الهلال بموضوع الحكم، وكذا تحقق الاستطاعة بالنسبة لفعلية وجوب الحج ويصطلح على الاستطاعة بموضوع الحكم (٢٨).

وهناك من يرى أنَّ الموضوع في المثالين المذكورين، أي حرمة شرب الخمر، ووجوب الزكاة، هو الإنسان المكلّف (٢٩). لذا يبدو من خلال التعريفات اللغوية المفارقة الواسعة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، إذ لا شيء منها يدل على أن الموضوع هو ما يتوقف عليه فعلية الحكم كما هو معنى الموضوع بالاصطلاح، إلا إذا قربنا المسألة على النحو الآتي: بأن الموضوع لغة بمعنى وضع المرأة دليل على ولادة جديدة كولادة الحكم الشرعي من الموضوع، إذ أن الحكم لا يسري مفعوله بلا وجود الموضوع الذي يحققه ويخرجه من حالة الجعل إلى حالة الفعلية فهو بمثابة ولادة حكم شرعي من رحم الموضوع وخروجه إلى عالم الحياة الذي هو مقام فعلية الحكم.ثم إن هذه الموضوعات المستنبطة في قسم كبير منها يدخل الفهم الاجتماعي وذوق العرف في تحديد مفاهيمه وموضوعاته(٣٠)، والثابت عند الأصوليين والفقهاء ليس من شك أنَّ العرف بذاته ليس مصدراً للتشريع، بل هو عنصر مهم في عملية الاستنباط(٣١).

ثالثاً: المناسبة بين ملاك الحكم و موضوع الحكم.

تتميز ملاكات الاحكام بأنها تتغير بتغير موضوع الحكم، فيمكن معرفة الملاكات العامة من التعليل الوارد من لسان الدليل فيكون الملاك في هذه الحالة كالقاعدة العامة بالامكان تطبيقها على مصاديقها فيستدل بذلك على المصلحة أو المفسدة، كون المتسالم في مدرسة اتباع أهل البيت عليهم السلام عدم القدرة على كشف وادراك ملاكات الاحكام في المسائل العبادية لانها توقيفية، اما في المعاملات فنجد بعض الاختلاف في مسألة الكشف او الادراك عن ملاكات احكامها، فمن يرى انها يمكن ذلك من خلال دلالة الدليل على الاحكام حسب ملاك المصلحة والمفسدة سعةً وضيقاً بشرط ان لاتخالف او تعارض نص شرعي او دليل عقلي مقطوع به وفي رواية عن الامام ابي عبدالله الصادق عليه السلام انه قال: « أغسل أثوابك من ابوال ما لايؤكل لحمه»(٣٢)، فغسل الاثواب هو الحكم والثوب المتنجس هو موضوع الحكم، فان اردنا ان نبين علاقة الحكم والموضوع فملاك الحكم يشمل جميع الاثواب إذا اصابتها نجاسة أو ابوال ما لايؤكل لحمه، وتلك المناسبة بمثابة القرينة المتصلة فينعقد ظهوراً طبقاً لما تقتضيه الفاظ النصوص الشرعية فيؤخذ من باب حجية الظهور التي دليلها السيرة الممضاة من المعصوم(عليه السلام)(٣٣) .

المطلب الثالث : تغير الاحكام بتغير موضوعاتها

يتميز العالم المادي بخاصية التغيّر الدائم والتحوّل المستمر، بل ان الفلاسفة والحكماء يعتقدون ان التغير من اللوازم الذاتية للمادة ولا يمكن ان ينفك عنها بأي شكل من الاشكال وبأي حال من الاحوال، وبما ان الانسان يعد من الموجودات في هذا العالم فلابد لهذا الكائن الذي محور هذا العالم ان يتأثر بكل المتغيرات التي تحدث في هذا العالم وتطال كل مظاهر الحياة سواء كانت على صعيد شكل أو نمط أو وسائل الحياة ، او على صعيد العلاقات والمصالح بين دول العالم كأفراد او جماعات ، مما جعل الفقهاء يواجهون ظاهرتين جديديتين تتعلق الاولى بالأنسان كأفراد و الجماعات ، وهناك عدة مظاهر وعوامل مؤثرة لتغيّر الموضوعات منها:

أولاً: المسائل الطبية :

تتطلب موضوعات المسائل المستحدثة الى فهم جديد للواقع الذي فرضه تطور العلمي والتقني في الحياة ، وليس كما كانت حياة الانسان تعتمد على البساطة وقلة الموارد، فالمسائل التي كانت محرمة وتتنافى مع أحكام الشريعة أصبحت اليوم مباحة، كالمثلة التي محرمة بحكم الشارع المقدس كونها تنتهك حرمة الانسان، لكن هذا أنتقل من الحكم الأولى الى الحكم الثانوي فأجازت الشريعة كل ما تتعلق بتشريح جثة الانسان الميت لاغراض الدراسة والتعلم أو حتى مناقلة بعض

اجزاء واعضاء من جثة الانسان الميت الى الانسان المصاب أو المحتاج لهما، فأغلب هذه المسائل أو الحوادث تتطلب أحكام شرعية حول جواز و حلية هذا العمل، وحتى مسائل الترقيع والتجميل وما يترتب عليها من آثار شرعية فلابد لها من بيان الحكم الشرعي المتعلق بها وكذلك نحتاجها في المسائل المتعلقة باستخدام الخلايا الجذعية واحكام التلقيح الصناعي للازواج ومدى مطابقته لاحكام الشريعة الاسلامية و جواز استئجار الرحم للغير وما يترتب على الاستئجار من آثار شرعية لابد للفقيه المتصدي الدقة في مثل هذه المسائل، وكذلك مسائل الجينات الوراثية وما يتعلق بها كالاستنساخ البشري وحكمه الشرعي الذي يقتضية كون هذه المسائل خطيرة جداً وتهدد الطبيعة التكوينية للانسان والحيوان التي خلقها الله سبحانه وتعالى عليها، فلابد من اصدار احكام شرعية تناسب التطور والمتغيرات ولا تخالف الاحكام الشرعية .
وكذلك من مصاديق الاستحالة في وقتنا المعاصر، هو ما يجري من عمليات في الجيلاتين المأخوذ من عظم أو جلد حيوان غير مذكى أو لا يقبل التذكية كالخنزير، فإن العمليّة الجارية هنا هي نوع استحالة، ولم يعد يصدق على المأكول أنه لحم خنزير أو لحم حيوان غير مذكى، وبالتالي فلا مبرر للحرمة، ومن هنا جوّز بعض الفقهاء المعاصرين تناول المأكولات التي أدخل الجيلاتين المذكور عليها (٣٤).

ثانياً: المسائل الاقتصادية:

هناك من المسائل الضرورية في حياة الانسان لا يمكن بقاؤها كما هي إذا حدث تغير في ملاك موضوعاتها او بعض خصائصها ، لأنه من الضروري والحتمي أن يتغير حكمها، لأنه بتغير الموضوعات تتغير الأحكام، لذا نجد أن الفقهاء حكموا ببطلان بيع كل ما لا منفعة فيه، ومثلوا لذلك ببيع الدم والسباع والحشرات كالعقرب والحيّة والصرصار ونحوها (٣٥)، واستدلوا على بطلان هذا النوع من البيع بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾(٣٦)، فالحكم الشرعي هنا هو بطلان البيع ، أي بعدم جواز البيع، وأما موضوع الحكم فقد فرضوا ان مثل هذه الموضوعات هي من مصاديق ما لانفع فيه كالحشرات والسباع والدم ،لكن من خلال الاكتشافات العلمية الحديثة، اكتشف العلماء عدة فوائد عدة في بعض اجزاء وخصائص تلك الحيوانات والحشرات، مما تطلب تغير الحكم من المنع إلى الحكم بالجواز في بيع وتداول مثل هذه الأمور، وكذلك حكم التعاملات الرقمية وما يتعلق بالاستثمار في البورصات العالمية من خلال التداول بالأسهم والسندات المالية وحتى التعاملات المالية الالكترونية من خلال البنوك الالكترونية ومواقع التواصل الاجتماعية في الشبكة العنكبوتية، كون هذه التعاملات بمختلف أنواعها بحاجة الى أحكام شرعية لأنها لا تشتمل على اعيان أو ليس لبعضها اعتبارات قانونية فيتطلب بيان رأي الشرع من هذه التعاملات ، واستدلوا على بطلان هذا النوع فالحكم الشرعي هنا هو بطلان البيع ، أي بعدم جواز البيع.
وتبدل الحكم ناتج عن تغير الموضوع لأنّ حكم الله ثابت لا يتغيّر، بل هو ثابت وباق الى قيام الساعة، وهو بطلان بيع ما لا منفعة فيه، وكذلك ينطبق هذا على مسألة بيع الدم، فعندما أصبح للدم منفعة محللة تساهم بإنقاذ المرضى والجرحى والمصابين بالحوادث وغيرها، تبدل الحكم الى الجواز بتغير ملاك الحرمة بسبب تغير الموضوع وهذا الأمر يسري إلى البقية كالعقارب والحيات والسباع، فالحشرات هي الموضوعات ومتعلق الحكم هي صفاتها التي تترتب عيها الأحكام.
لذا يمكن القول أنّ التغيّر الذي طرأ في المسائل السابقة، لم يطرأ على أصل الموضوع، بل ان التغير حدث في خصوصية ملاك نفعها من عدمه، فحكم الحشرات باقي على ما هو عليه وكذلك الدم إذا لم يكن نفع فيه، لكن تطور العلوم الحديثة بدّل صفتها من اللا نفع إلى صفة نفع، وعليه لابد للفقيه أن ينظر إلى علة نفعها من عدمه، فالحكم الشرعي في النهي عن بيعها لا عن حرمة بيعها لان العلة في عدم المنفعة فيها.

ثالثاً: المسائل الخاصة بتطور العلوم والتكنلوجيا والاجتماع

وهذا العامل يتعلق بالمسائل التي يتطلب تغير العوامل المحيطة بالموضوع، وقد يرافقه تغيراً في منظومة المعرفة الإنسانية سواء كان رقياً أم تخلفاً من خلال المسائل المتعلقة بحياة الأنسان الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المحيطة بالموضوع، بدعوى ان تغير العلاقات المشار لها يعد نوعاً من مسائل تغير الموضوعات الموجبة لتغير الاحكام ايضاً، ولذا نجد ان السيد الخميني(ت١٤٠٩هـ) طرح مثل هذه المسائل، فقال: (إنّي على اعتقاد بالفقه الدارج بين فقهائنا وبالاجتهاد على النهج الجواهري، وهذا أمر لا بد منه، لكن لا يعني ذلك إنّ الفقه الإسلامي لا يواكب حاجات العصر، بل انّ لعنصري

الزمان والمكان تأثيراً في الاجتهاد، فقد يكون لواقعة حكم لكنها تتخذ حكماً آخر على ضوء الأصول الحاكمة على المجتمع وسياسته واقتصاده) (٣٧).

ويضيف «رضوان الله عليه» بالقول: (وهذا يعني أنه بالمعرفة الدقيقة للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المحيطة بالموضوع الاول الذي يبدوا ظاهرياً انه لم يتغير عن السابق، فانذلك الموضوع اصبح في الواقع موضوعاً جديداً يتطلب حكماً جديداً)(٣٨)، وهذه المسائل تكون في غير العبادات والأمور التوقيفية.

وهناك مسألة أخرى أشار لها السيد بهذا الخصوص من التغيّر، وهي مسألة إقامة الحدود وبالأخص حدّ الردة، ففي إقامة هذا الحدّ وغيره، كان يطبق في السابق وفق الشريعة الإسلامية وفي ظلّ نظام قائم على أساس ديني(٣٩).

لذا نجد أنّ العلاقة بين أفراد المجتمع وبين السلطة قائمة على أساس ديني، فالمواطن الملتزم دينياً ويتبع دين تلك الدولة فهذا الالتزام يعطيه حصانة خاصة، الدولة فهذا الالتزام يعطيه حصانة خاصة، فإن خرج عن حدوده، فهو يعدّ بمثابة الخروج على تلك الدولة، وهذا يمكن تطبيقه على المرتدين الذين ينقلبون إلى صفّ أعداء الإسلام.

رابعاً: المسائل المتعلقة العولمة والرد على من يروج لها

في القرون المتأخرة تغيّرت الظروف الجيوسياسية المحيطة بالبلدان وتغيرت هوية الدول من دول كانت قد بنيت على اساس ديني كان الدين هو أساس الدولة، إلى دول بنيت على أساس المواطنة والتي دول بدون انتماء أو هوية دينية لها(٤٠)، لذا نجد ان العلاقة التي تربط أبناء مجتمعات تلك الدول هو المواطنة والالتزام بالأنظمة والقوانين المعمول بها في تلك الدول . لذا فمن الطبيعي نجد انه لو توفرت الظروف لقيام نظام إسلامي على اسس الدولة المدنية مع مراعاة تطبيق و تنفيذ الاحكام الشرعية، فلابد لذا ان يقوم هذا العمل على نشر الهداية واقامة العدل وبث روح التعاون بين أفراد المجتمع من خلال ورش العمل الجماعي ، فسوف يكون ابرز رد على ادعياء العولمة والعلمانية ومحاولة جادة لاقناع الاخرين من خلال توفير وسائل الاقناع وأثبات ذلك من خلال الحجة والبرهان وإرشاد المؤمنين إلى الابتعاد عن طاعة وموالاة الكافرين والمنافقين، و لبيان جزاء المرتدين عن الدين والكافرين بعد الإيمان، باعتماد المنطق والبرهان في دحض الباطل، وبما انه لم يرد ما يشير الى الحكم الفقهي او القانوني للمرتد، إلا ان ذلك لا يمنع من اقامة الحد، فهذا الانكار والوعيد القرآني للمرتد المذكور مع هذا القيد يمكن ان يكون له دور في فهم خصوصيات الحكم عند استنباطه من مصادره الشرعية (٤١).

لذا نجد أنّ فكر الإلحاد والكفر يحاصر بلداننا بسبب سيل التشكيكات التي تنهال باستمرار على عقائد الإسلام ومبادئه وتشريعاته، من خلال وسائل الإعلام والدعاية للدول المعادية للإسلام، التي تسمّم عقول أفراد المجتمعات الإسلامية، فمن الواضح أن الارتداد الذي حصل في عصر النبوة وما بعدها، لم يكن مبنياً على موقف فكري واضح، بل كان ارتداداً سياسياً أو مصلحياً، وهذا ما ذكر في عدد من الآيات المباركة، والملاحظ أن الآيات القرآنية، تكتفي بالتهديد بعقوبة العذاب الآخروي، ولاتثبت عقوبة دنيوية على المرتد، فليس لها صلة بالأرتداد الفكري(٤٢).

فنرى ان هناك تغيراً واضحاً طرأ في محيط موضوعات تلك المسائل المحيطة بتطبيق حد الردة، لذا نجد بعض الاصوات تعلو بعدم تطبيق حد الردة بسبب حدوث متغيرات طرأت على موضوعات حكم المرتد، لأن هناك من يذهب للقول إن الردة في الاسلام لا توجب اقامة الحد على المرتد ، وانما يترتب عليه الحرمة بسبب الكفر بعد الايمان، وهو اتجاه تدعمه الآيات القرآنية الموصلة لحرية الاعتقاد، ويؤيد ذلك ما وافق عليه النبي في صلح الحديبية؛ من أنه إذا أسلم مشرك يعاد إلى قريش، وإذا ارتدّ مسلم لا يعاد إلى المسلمين(٤٣).

ففي مسألة أخرى حدث تغير في قوة المجتمع والدولة الإسلامية آنذاك، مما تطلب أجراء تغيّر في بعض الأحكام، فقد رويَ عن الإمام علي(عليه السلام) حينما سأل عن قول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): ((غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود)) (٤٤)، فأجاب (عليه السلام): ((إنّما قال ذلك والدين قل، فأمّا الآن وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار)) (٤٥)، فالأصل الثابت في هذه المسألة سواء كان قلة عدد المسلمين أم عدم التشبّه بالكفار، فالأمر اختلف عندما اتسعت دائرة الإسلام واعتنقته شعوب مختلفة وأصبحت أعداد المسلمين كثيرة، فقد تغيرت الحاجة والاسلوب، ولابد من تغير الحكم، لذا فإن تغيُّر الحكم بشأن الخضاب إنما هو بسبب تغيُّر ملاكه، فلو لم يكن ملاك الخضاب معلوماً،

وطبْقاً لمقتضى كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فالحكم بالحضاب يكون واجباً في جميع الأزمنة والظروف(٤٦).

خامساً: المسائل المتعلقة بالزمان والمكان

هناك الكثير من المسائل المتعلقة بهذا المورد تتطلب تغيير العادات والتقاليد التي كانت سائدة في زمان ما ، او في مجتمعات ما، قد غيرت وتغيرت الكثير المتعلقة بالزمان أو المكان لأن العادات والمعايير التي كانت سائدة في عصر من العصور أو في مجتمع من المجتمعات قد تغير حكمها نتيجة تغير موضوعاتها، فما يتعلق بنفقة تداوي الزوجة وغيرها من تلك المسائل تغيرت لان أحكامها القديمة اصبحت غير مناسبة ومستهجنة، كون الفقهاء سابقاً لا يلزمون الزوج بنفقة علاج زوجته، واليوم اصبح العلاج ضرورة من ضرورات الحياة فالفقهاء المعاصرين نظروا وجوب الزام الازواج بالنفقة على الزوجة في حال احتياجها الى ذلك، حالها حال تغير بعض المسائل الاخرى كأقيام النقود أو تغير الاوزان وطرقة التعامل مع بعض السلع والمسائل الاخرى حسب ما متعارف في تلك المجتمعات فيكون العرف حاكم نتيجة تغير الاعراف وطرق الحياة مما يؤثر على الاحكام نتيجة الزمان والمكان، وأغلب هذه المسائل حدثت تغيرات في موضوعاتها، ومن هنا نعلم انه بأثر تغير الموضوعات يتغير ملاك الحكم فيتغير الحكم ففي النص المبارك نجد ان للدم حرمة وهذه الحرمة باقية لا يمكن ان تتزلل إذا لم يكن فيه منفعه محللة مقصودة عند العقلاء(٤٧)، فاذا حدث تغيير في ذات الموضوع سيتغير ملاك الحكم مما يتطلب تغيير الحكم .

هناك مسألة لابد من الالتفات اليها وهو ان بعض الموضوعات لم يكن لها وجود سابق ، لكن بمرور الزمان وجدت وكان لها حاجة فعلية ، أقتضتها حاجات ملحة وارتباطات جديدة تحتم على الفقهاء البحث عن حلول جذرية لمثل تلك المسائل .

من خلال ما تم ذكره في هذا الموضوع، يتضح مدى أهمية هذا الموضوع، كونه من الموضوعات التي لها تأثير كبير في حياتنا، والتي تتطلب جهوداً استثنائية مكثفة لبيان احكامها ، مما يجعل البحث فيها من أولويات الفقهاء المجتهدين، لذا لابد من الاهتمام بها ، فهذه الموضوعات وإن وُجدت مع مرور الزمان وكونها تعرف بمرونتها، ولم يكن لها ملاك سابق، لكن بالإمكان اكتشاف حكمها من خلال اشتراكها في الملاك مع المسائل المناظرة لها، وبين نظائرها، فلا أحد ينكر ان الاحكام تتغير بتغير الازمان ، وعليه يجب أن يكون تأثير العوامل بحيث لا يمكنها المساس بالأصول الثابتة، بمعنى أن لا نقع في محذور القول بتشريع الأحكام وجعلها، أو المساس بعوامل تأبيد الأحكام.

الخاتمة و نتائج البحث

خلص البحث الى ان من أهم خصائص الشريعة الاسلامية المرونة والتكييف مع كل الظروف الزمانية والمكانية وان ماتتمتع به من مباديء تتصف باليسر ورفع الحرج عن كاهل المكلف من ابرز السمات التي تمتعت بها الشريعة السمحاء لتكييف الاحكام وفق ما تمليه المصلحة وتطور الحياة البشرية، وان تغير موضوعات الاحكام يؤثر في المسائل المستحدثة لغرض اعادة النظر في الاحكام الشرعية وبما يتناسب مع الوقائع الجديدة ، وفيما يلي أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث ، وسوف أعرضها على شكل نقاط لأيجازها وبيانها:

١ – أن الإسلام دين شامل لجميع جوانب الحياة الإنسانية، وموضوع المسائل المستحدثة و احد من اهم هذه الجوانب.

٢ – يتميز العالم المادي بخاصية التغيّر الدائم والتحوّل المستمر، بل ان التغير من اللوازم الذاتية للمادة ولا يمكن ان ينفك عنها بأي شكل من الاشكال وبأي حال من الاحوال، وبما ان الانسان يعد من الموجودات في هذا العالم فلابد لهذا الكائن الذي هو محور هذا العالم ان يتأثر بكل المتغيرات التي تحدث في هذا العالم وتطال كل مظاهر الحياة سواء كانت على صعيد شكل أو نمط أو وسائل الحياة

٣ – هناك ثمة موضوعات تطرق لبيان حكمها الفقهاء السابقين ، إلاّ أنّه طرأ عليها من الأحوال والظروف مما غيّر بعض من قيودها ، فتحتم على الفقهاء المتأخرين ان يبحثوا البحث لها عن احكام تواكب تلك المتغيرات.

٤ – المسائل المستحدثة ونتيجة التطور العلمي والتكنولوجي أصبحت كثيرة ومتنوّعة، وتحتاج الى مواكبة مع اهل الاختصاص لغرض للاطلاع على ادق التفاصيل حتى يمكن تقسيم المهم منها.

٥ – فهذه الموضوعات وإن وُجدت مع مرور الزمان، ولم يكن لها ملاك سابق، لكن بالإمكان اكتشاف حكمها من خلال اشتراكها في الملاك مع المسائل المناظرة لها، وبين نظائرها .

الهوامش:

(١)الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج ٢/ ٢٨٣ ،وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج ٢٧/ ١٤٠ .
(٢)معجم مقاييس اللغة : ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ). تحقيق : عبد السلام محمد هارون . النشر مكتب الاعلام الأسلامي . المطبعة مكتب الاعلام الاسلامي . ج١ /٥٣ .
(٣)المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، دار الحديث، القاهرة، ط١ /١٤١٣هـ , ص٤ .
(٤)سورة يس الأية : (١٢).
(٥)مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي, الناشر: مكتبة لبنان,١٣٠٦هـ ,ص١١ .
(٦)العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ)تحقيق:عبد الحميد هنداوي, الناشر: دار الكتب العلمية, ط١/١٤٢٤ ج٨/ ٢٣٦.
(٧)المصباح المنير ، ص ٤ .
(٨)معجم مقاييس اللغة، ج١/ ٥٥ .
(٩)لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري(ت٧١١هـ)، تحقيق عبدالله علي الكبيرواخرون، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة–مصر .مادة (أثر)، ج١/ ٢٥ .
(١٠)المفردات: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، الناشر: مكتبة نزار الباز. ص٩ .
(١١) ينظر : الموسوعة الفقهية الكويتية, اعداد ونشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ,١٤٠٤هـ ، ١/ ٢٩٤ .
(١٢)ينظر: فوائد الأصول: الشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني(ت ١٣٦٥هـ)، تقريرات الميرزا النائيني ، مؤسسة النشر الاسلامي، طهران/ ١٤٠٧، ج ٣/ ٣٧ – ٤٣ .
(١٣) دروس في علم الأصول، محمد باقر الصدر،(١٤٠٠هـ) ، ط٢(١٤٠٦هـ)، المطبعة والناشر: دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ج١/ ١٤٦ .
(١٤)ينظر: دروس في علم الأصول: السيد محمد باقر الصدر ، ج ١/ ١٦٧ .
(١٥)م. ن ، ج ١/ ١٤٩ .
(١٦)الكافي : الشيخ الكليني، ج ٥/ص٣١٣ .
(١٧)ينظر: دروس في علم الأصول: السيد محمد باقر الصدر، ج ١/ ١٤٩ .
(١٨)العلاقة بين ادلة إلى الأحكام: اسد الله لطفي، بحث منشور في مجلة اهل البيت (عليهم السلام)، العدد ٢٦، السنة السابعة ٧٩ .
(١٩)العوامل المؤثرة في تغير الأحكام الشرعية: د ستار الصخي – اطروحة دكتوراة، جامعة الكوفة /كلية الفقه .
(٢٠)سورة النساء : الآية (١٤١) .
(٢١)ينظر: ملاكات الأحكام في البحث الفقهي: سلام رزاق ، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة /كلية الفقه.
(٢٢)بحوث فقهية مهمة : المسائل المستحدثة في الفقه الإسلامي، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: نسل جوان للطباعة والنشر – قم، ج١/ ٢٣٣ .
(٢٣)ينظر: معجم مقاييس اللغة : ابن فارس، ج ٦ / ١١٧ .
(٢٤)لسان العرب : ابن منظور، مادة (وضع) ج ٨ / ٣٩٦ .
(٢٥)المعالم الجديدة للأصول: محمد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ)، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط٢/ ١٩٧٥م، ص ١٩٠ .
(٢٦)ينظر: فوائد الأصول: الشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني(ت ١٣٦٥هـ)، تقريرات الميرزا النائيني ، مؤسسة النشر الاسلامي، طهران/ ١٤٠٧، ج ٣/ ٣٧ – ٤٣ .
(٢٧)ينظر: المعجم الأصولي، الشيخ محمد صنقور، منشورات الطيار، مطبعة: ستاره، ط٣/١٤٢٨هـ، ج٢/ ٥٣٨.
(٢٨)ينظر: شرح الحلقة الأولى: الشيخ علي العبود، بقلم عبدالله معرفي، الناشر الماس، مطبعة فردوس ط١/١٤٣٤هـ، ص ٣٦٥.
(٢٩)ينظر: رسائل في الفقه والأصول: الشيخ محمد جواد الفاضل اللنكراني، اعداد ونشر: مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السلام،الطبعة الثانية الاولى المنقحه/١٤٢٨هـ، قم –ايران، ص ٢٧٣ .
(٣٠)ينظر: المعجم الأصولي، الشيخ محمد صنقور، ج٢/ ٥٣٩.
(٣١)فقه الإمام جعفر الصادق: الشيخ محمد جواد مغنيةمنشورات الرضا، ط١/١٤٣٣هـ، لبنان– بيروت، ج٦ / ١١٧ .
(٣٢)الكافي، الكليني(٣٢٩هـ) ،٣/ ٥٧.
(٣٣)دروس في علم الأصول،محمد باقر الصدر ،١/ ٢٢٨ . ٢٢٩ .
(٣٤)المسائل الفقهيّة، المعاملات: السيد محمد حسين فضل الله، الناشر: دار الملاك للطباعة والنشر، لبنان – بيروت،١٤٣٥هـ، ص ٢٠٧.
(٣٥)ينظر: إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد: أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي (العلامة الحلي)، الناشر: دار الحديث، ط١، ج١ /٤٠١.
(٣٦)سورة البقرة : الآية (١٨٨).

(٣٧)صحيفة النور :السيد الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ط٤/١٤٢٨هـ، طهران، ج٢١ | ٩٨.
(٣٨)المصدر نفسه.
(٣٩)ينظر:المصدر نفسه: ج٢١ | ٩٨.
(٤٠)ينظر: أصول الشريعة: محمد سعيد العشماوي، الناشر مكتبة مدبولي الصغير, القاهرة، ط٤/١٤١٦هـ، ص١٣٠.
(٤١)الارتداد وحقوق الإنسان: ليث الحيدري، دار الغدير، قم، ٢٠٠٠م، ص ٢٨– ٢٩.
(٤٢)ينظر: أصول الشريعة: محمد سعيد العشماوي، ص١٣١. والارتداد وحقوق الإنسان: ليث الحيدري،دار الغدير ، قم ط/٢٠٠٠، ص١١٤.
(٤٣)ينظر: السيرة النبوية، أبو محمد عبدالملك ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة/ ١٩٥٥م، ج٢/٣١٧.
(٤٤)وسائل الشيعة : الحر العاملي، ج ٢/ ٨٧ .
(٤٥)نَهج البلاغة قصار الحكم ١٧.
(٤٦)ينظر : الإسلام ومتطلبات العصر: جعفر السبحاني، ص ٣٩ ،٤٠.
(٤٧)مصباح الفقاهة: السيد الخوئي، ١/ ٥٤١، ٥٦. حيث قال السيد الخوئي: (ان المصنف فصل بين الدم النجس فحكم بحرمة المعاوضة عليه للاجماع والاخبار ,وبين الدم الطاهر فقد قوى جواز المعاوضة عليه اذا فرضت له منفعة محلله)،١/ ٩٨ .وكذلك ورد مثله في حواريات فقهية ,محمد سعيد الحكيم (معاصر) ،ط(١٤١٦هـ)،المطبعة: باران ،٣١٨ .

المصادر والمراجع :

• القرآن الكريم
١– الاحتجاج : أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي(ت٥٤٨هـ) ، منشورات أسوة التابعة لمنظمة الحج والأوقاف ، قم ١٤١٣ هـ.
٢– الارتداد وحقوق الإنسان: ليث الحيدري، دار الغدير، قم، ط٢٠٠٠م
٣– الإسلام ومتطلبات العصر: جعفر السبحاني ، الناشر. مؤسسة الإمام الصادق .
٤– أصول الشريعة: محمد سعيد العشماوي، الناشر مكتبة مدبولي الصغير, القاهرة.
٥– إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد: أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي (العلامة الحلي)، الناشر: دار الحديث.
٦– بحوث فقهية مهمة : المسائل المستحدثة في الفقه الإسلامي، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: نسل جوان للطباعة والنشر – قم.
٧– دروس في علم الأصول: محمد باقر الصدر، طبع ونشر، مؤسسة النشر الاسلامي، قم–إيران ط٩/١٤٣٥هـ.
٨– الفقه وملاكات الأحكام: أحمد أمير خليلي(معاصر) بحث منشور في مجلة الحياة الطيبة،مجلة فصلية، العدد السابع، السنة الثالثة، (١٤٢٢هـ)، المطبعة والنشر :معهد الرسول الأكرم للشريعة الإسلامية، بيروت.
٩– رسائل في الفقه والأصول: الشيخ محمد جواد الفاضل اللنكراني، اعداد ونشر: مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السلام،الطبعة ، الثانية الاولى المنقحه/١٤٢٨هـ، قم –ايران.
١٠– السيرة النبوية، أبو محمد عبدالملك ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة/ ١٩٥٥م .
١١– شرح الحلقة الأولى: الشيخ علي العبود، بقلم عبدالله معرفي، الناشر الماس، مطبعة فردوس ط١/١٤٣٤هـ.
١٢– صحيفة النور :السيد الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ط٤/١٤٢٨هـ، طهران.
١٣– العلاقة بين ادلة إلى الأحكام: اسد الله لطفي، بحث منشور في مجلة اهل البيت (عليهم السلام)،العدد ٢٦ ، السنة السابعة ٧٩ .
١٤– العوامل المؤثرة في تغير الأحكام الشرعية: د ستار الصخي – اطروحة دكتوراة، جامعة الكوفة /كلية الفقه .
١٥– فقه الإمام جعفر الصادق :الشيخ محمد جواد مغنية، منشورات الرضا، ط١/١٤٣٣هـ، لبنان– بيروت.
١٦– فقه الشيعة –كتاب الطهارة: السيد ابو القاسم الخوئي، ط٢/١٤٠٧ ، نسخة الكترونية.
١٧– فوائد الأصول: الشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني(ت ١٣٦٥هـ)، تقريرات الميرزا النائيني ، مؤسسة النشر الاسلامي، طهران/ ١٤٠٧.
١٨– الكافي : الشيخ الكليني، (ت : ٣٢٩هـ)، تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، الناشر دار الكتب الإسلامية – طهران، المطبعة : حيدري، ط١/ ١٤١٠هـ.
١٩– لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور(ت٧١١هـ)، بيروت ـ لبنان، دار صادر .
٢٠– المسائل الفقهية، المعاملات: السيد محمد حسين فضل الله، الناشر:دار الملاك للطباعة والنشر، لبنان– بيروت،١٤٣٥هـ.
٢١– المعالم الجديدة للأصول: محمد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ)، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط٢/ ١٩٧٥م.
٢٢– المعجم الأصولي، الشيخ محمد صنقور، منشورات الطيار، مطبعة: ستاره، ط٣/١٤٢٨هـ.
٢٣– معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٦ هـ.
٢٤– ملاكات الأحكام في البحث الفقهي: سلام رزاق ، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة /كلية الفقه.
٢٥– نَهج البلاغة : جمع الشريف الرضي (٤٠٦ هـ) بيروت ١٣٨٧ هـ.
وسائل الشيعة : محمد بن الحسن الحرّ العاملي(ت١٠٣٣هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ط١/١٤١٣هـ.

هنري نوكس ودوره السياسي والعسكري في الولايات المتحدة الامريكية (١٧٥٠ – ١٨٠٦)

نبأ عبد العزيز شاكر رجب أ.م. د. حليم عباس عبيد عباس
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

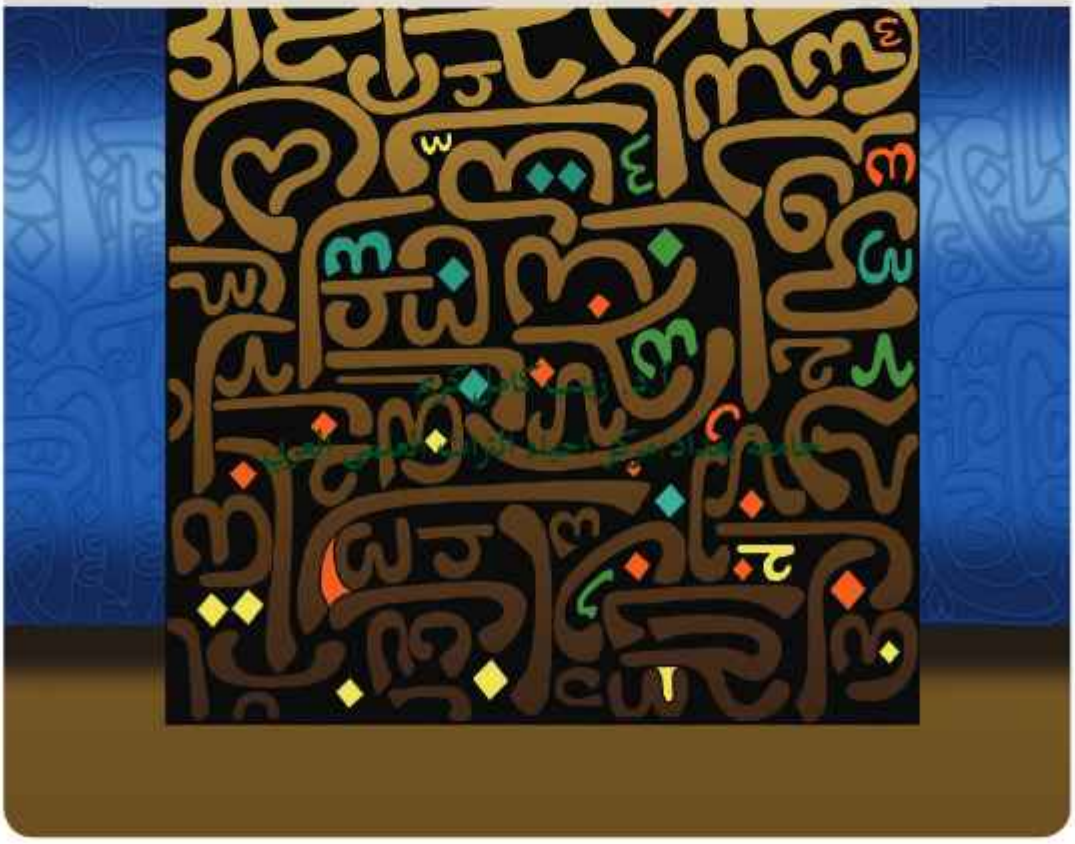

المستخلص:
يهدف هذا البحث إلى دراسة حقوق الأم في الديانة الإسلامية، مع التركيز على جانبين أساسيين، حقوقها على الأبناء وحقوقها كزوجة، فقد تناول البحث حقوق الأم على الأبناء، والتي تشمل الإحسان والطاعة والإنفاق عليها خلال حياتها، إضافة إلى حقوقها بعد الوفاة مثل الدعاء، قضاء الدين، وأداء بعض العبادات، وصلة رحمها، وقد تم التركيز ايضاً على حقوق الأم كزوجة، والتي تشمل المهر، النفقة، وحقها في عدم الإضرار الجسدي أو النفسي، و اعتمد البحث على المصادر الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الفقهاء، لتقديم صورة واضحة وشاملة لحقوق الأم وأهمية احترامها في المجتمع الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: حقوق الأم، الاحسان، طاعة، حقوق الزوجة، مهر، نفقة.

Abstract:

This study aims to explore the rights of the mother in Islam, focusing on two main aspects: her rights over her children and her rights as a wife. It addresses the mother's rights over her children, including kindness, obedience, financial support during her lifetime, and posthumous rights such as prayers, settling debts, performing certain acts of worship, and maintaining her family ties and focuses on the mother's rights as a wife, including her dower (mahr), financial support (nafqah), and the right to be protected from harm, both physical and psychological.

The research relies on Islamic sources, including the Qur'an, Sunnah, and scholarly opinions, to present a comprehensive understanding of a mother's rights and the importance of honoring her in Islamic society.

Keywords: Mother›s rights, kindness, obedience, wife›s rights, dowry, maintenance.

أهداف البحث:

١. تحديد وفهم حقوق الأم على أبناءها، سواءً في حياتها أو بعد مماتها.
٢. معرفة حقوق الأم كزوجة بما يشمل المهر والنفقة وعدم الاضرار.
٣. توضيح أهمية هذه الحقوق في تعزيز الروابط الاسرية واعلاء القيم المجتمعية.
٤. ابراز مكانتها الرفيعة التي منحها إياها الإسلام وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة المنسوبة إليه.

اشكالية البحث:

فعلى الرغم من وضوح النصوص الشرعية في موضوع حقوق الأم إلا ان تطبيق هذه النصوص والحقوق لا يزال محدوداً في بعض المجتمعات بل ومعدوماً في بعضها، وهذا يثير تساؤلاً مهماً حول الأسباب والعوامل المعيقة لتحقيق هذه الحقوق على أرض الواقع، وكيف يمكن تعزيز وعي الأسر حول حقوق الام، وكيفية احترامها وتطبيقها، وخصوصاً وعي الأبناء والزوج.

فرضية البحث:

فإذا تم انتشار الوعي بين الأسر وخصوصاً بين الأبناء والأزواج حول حقوق الأم وواجباتهم اتجاهها على وفق مبدأ الشريعة الإسلامية، فإن هذا سيسهم وبصورة مباشرة بتحسين العلاقات الاسرية وتعزيز مكانة الأم واحترام حقوقها، مما سيؤثر بدوره على فاعلية المجتمع واستقراره كون أن الأم هي المحور الأساسي لبناء مجتمع صالح ومستقر.

المقدمة

إن موضوع حقوق الام في الإسلام يعد من أهم الموضوعات التي تبين وتظهر عناية الدين الاسلامي بالأسرة وحرصه على ترسيخ القيم والمبادئ السامية، فقد جعل الاسلام للأم مكانة عظيمة وخصها بحقوق تضمن لها الرعاية والاحترام والتقدير، نظير ما تتحمله من أعباء الحمل والولادة والرضاعة والتربية وغيرها من الأمور

(المطلب الأول: حقوق الأم على أبنائها):

لقد كفل الاسلام للام حقوق عظيمة على أبناءها تقديراً لتعبها وتضحيتها، فأوجب على الابناء البر بالأم والاحسان إليها وطاعتها في غير معصية لله عز وجل، ورعايتها في كبرها، وهذه الحقوق هي الحجر الاساس لترابط الاسرة وصلاح المجتمع، ومن هنا سنتناول حقوق الام على أبناءها في الاسلام وستكون مبنية على جزئيتين الاولى: حقوقها في حياتها، والثانية: حقوقها بعد مماتها، مع ذكر الادلة والنصوص من القران الكريم والسنة النبوية:

اولا: حقوق الأم في حياتها وتشمل:

١. البر والاحسان: البر لغةً: هو الصدق والطاعة، والبر كل ما تقرب به لله عز وجل من عمل خير، و هو خير الدنيا والاخرة، ويقال فلان بر ربه أي يطيعه، وفي اسماء الله تعالى البر دون البار، وهو العطوف على عباده ببره ولطفه، والوالدة بره بأولادها وبارةٌ بهم، وبر الوالدين هو في حقهما وحق الاقربين من الاهل، والبر ضد العقوق، وعقوق الوالدين هو الاساءة لهم والتضييع لحقهم، وجمع البر الأبرار، وجمع البار برزة، والبر هو الاحسان(١).

والبر اصطلاحاً: (هو أسم جامع للخير وأصله الطاعة)(٢)، وبر الوالدين: (هو الاحسان اليهما بالقلب والقول والفعل تقرباً لله تعالى)(٣) عن طريق طاعتهما وصلتهما وعدم عقوقهما والإحسان اليهما مع إرضائهما بفعل ما يريدانه، ما لم يكن أثماً، واقتران ذلك بالشفقة والعطف والتودد اليهما بالكلام اللين اللطيف وتقديم الدعم لهما مادياً ومعنوياً وغيره من الاعمال الصالحة(٤).

وقد اتسمت الشريعة الاسلامية بالاعتدال في اعطاء كل ذي حقٍ حقه، ومن بينهم الوالدان، وأكدت على حق الأم وجعلت برها من أصول الفضائل في هذه الشريعة كما جعلت حق الام أوجب من الاب كما جاء في الحديث النبوي الشريف: ((عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: قلت يا رسول الله: من أبر؟ قال: أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم الأقرب، فالأقرب))(٥)، ففي هذا الحديث الشريف دلالة على ان بر الوالدين من الواجبات العظيمة.(غير ان للأم من البر ثلاثة أرباع البر)(٦)، بسبب ما تعانيه الام من مشقة وتعب اثناء الحمل من غثيان وثقل وتقلبات نفسية وجسدية، ثم تعاني من أوجاع الطلق والولادة والرضاعة والرعاية(٧)، وهذا التأكيد على وجوب البر بالوالدين نابع من كون رحمة الوالدين على أبنائهم رحمة غيرية بحتة، تعبر عن عطاء غير محدود، ولا ينتظر له مقابل، لذا فكان حقاً على الابناء أن يبروا بهم ويحسنوا لهم ، وكان عقوقهما من الأمور التي تؤدي بصاحبها للشرك بالله تعالى(٨).

أما الأدلة والنصوص الشرعية من القران الكريم والسنة النبوية المطهرة التي تحث على البر بالوالدين والإحسان إليهما: فمن القران الكريم: قال تعالى: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٩)، فهذا النص القرآني هو أشهر النصوص والأدلة التي تبين وجوب البر بالوالدين والإحسان لهما، فقوله تعالى وَقَضَىٰ رَبُّكَ ، أي أمر بك وأوصى الا تعبد إلا إياه، وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ، أي وأمركم بالوالدين احساناً، أن تحسنوا إليهما وتبروهما، فإن بلغا من الكبر ما لا يستطيعان أن يقضيا حاجتهم ، فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ، فلا توقف من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذى به الناس، ولكن اصبر على ذلك منهما، واحتسب في الأجر ، كما صبرا عليك في صغرك، ولا تزجرهما ، وقل لهما قولاً جميلاً حسناً، وكن لهما ذليلا رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية، ولا تخالفهما فيما أحبا، وقل رب ارحمهما، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك، كما تعطفا علي في صغري، فرحماني وربياني صغيرا، حتى استقللت بنفسي، واستغنيت عنهما(١٠)، وقوله

تعالى: وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا (١١)، أي: أن يجعل العبد نفسه عبداً لله، لا يشرك فيها من هوى أو أي ما كان من وجوه الاشراك. وأما إحسان الوالدين، فيذكر حال صغره وضعفه أن كيف رباه، ويشكر لهما على ذلك، ويحسن إليهما كما أحسنا إليه ورباه صغيرا، فإحسان الوالدين جزاء وتشكر لما أنعما هما عليه، وذلك فرض على الولد(١٢).

وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا (١٣)، (أي: ووصينا ابن آدم بوالديه الحسنى في صحبته إياهما أيام الدنيا، والبر بهما في حياتهما وبعد مماتهما لما لقيانه في حمله وتربيته، ثم بين ما لقيا منه من التعب فقال: حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ أي: حملته بمشقة، ووضعته بمشقة)(١٤)، و قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۖ (١٥)، (أي أحسنوا إلى الوالدين إحسانا كاملا صادرا من القلب، وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين حظر الشرك وطاعته وبرّ الوالدين، لأن الله تعالى مصدر الخلق والرزق، والأبوان واسطة، يقومان بعبء التربية ودفع الأذى والضرر عن الولد)(١٦)، وقال تعالى: وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا (١٧)، (أي: وأمرني ببر والدتي، ذكره بعد طاعة الله ربه؛ لأن الله تعالى كثيرا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين، ولم يجعلني جبارا مستكبرا عن عبادته وطاعته وبر والدتي، فأشقى بذلك)(١٨).

ومن السنة النبوية المطهرة: عن ابن مسعود رضي الله عنه، ((قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال: صل الصلاة لمواقيتها ، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين ، قلت: ثم أي؟ قال: ثم الجهاد في سبيل الله ، ولو استزدته لزادني))(١٩)، فبر الوالدين أفضل الاعمال وأقربها الى الجنة، واحب الاعمال الى الله تعالى بعد الصلاة، ولما لبر الوالدين من الفضل فقد قدم على الجهاد في سبيل الله(لان بر الوالدين فرض عين والجهاد فرض كفاية فإن تعين الجهاد وكان فرض عين فلا إذن) (٢٠)، وعن أبي العباس، عن عبد الله بن عمرو، ((قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، يستأذنه في الجهاد فقال: أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد))(٢١)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: ((بينما ثلاثة نفر يتماشون، أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وإنه ناء بي الشجر، فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون(٢٢) عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء))(٢٣)، فدل الحديث هنا على أن صنيع المعروف وعمل الصالحات ينجي صاحبه من الكرب والبلوى، وأهم الأعمال الصالحة هي بر الوالدين، وخاصة عند الكبر، فله أثر عظيم في النجاة من الشدائد والمصائب(٢٤)، وعن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ: ((دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة، قلت: من هذا قالو: هذا حارثة بن النعمان، فقال لها رسول الله ﷺ : كذاك البر، كذاك البر، وكان أبر الناس بأمه))(٢٥)، فهذا صنيع البر بصاحبه. وقيل: حدثنا سعيد بن أبي بردة قال: سمعت أبي يقول،((أنه شهد ابن عمر ورجل يماني يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره، يقول: اني لها بعيرها المذلل، إن ذعرت ركابها لم أذعر، ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة))(٢٦)، فالأنسان لا يستطيع ان يفي حق والديه عليه مهما قدم لهما، لانهما أحسنا إليه عندما كان صغيراً، تمنى له الخير وسألا الله أن يحفظه ويمنحه طول العمر، فالأم سهرت على أبنها وراحته دون أن تشعر بالملل او التعب، وتحزن اذا آلمه شيء، والأب يقدم له ما يستطيع دون أي تذمر من متطلباته، ويبذل من اجله كل البذل مهما عظم، فكان حقاً على الابن أن يحسن لوالديه وأن يبر بهما، فأن مشاعره تجاه والديه لا تصل الى مشاعرهم اتجاهه الا في حالات نادرة جداً(٢٧).

فعند النظر في هذه الآيات والاحاديث النبوية نجد ان وصية البر بالوالدين هي وصية مطلقة من كل قيد او شرط كونها

صادرة من الله عز وجل تقديراً لما يبذله الوالدان من تعب ومشقة في سبيل أبنائهم(٢٨) وعند إمعان النظر في الأسلوب القرآني في الدعوة الى البر نجد أنه يأتي تارةً بصورة ميثاق كما في قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا (٢٩)، وأحياناً بصورة أمر، كما في قوله تعالى وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا (٣٠)، وتارةً أخرى بصورة وصية، قال تعالى: قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا (٣١)، فهذا تنبيه على سمو منزلة الوالدين واعترافاً بفضلهم(٣٢)، وعند امعان النظر في مسألة بر الوالدين من منظور مجتمعي سنجد مدى حكمة هذا التشريع وفاعليته في تجسيد القيم الإنسانية، فلا استقامة لمجتمع خالي من مبادئ البر والتعاون والتراحم التي جُعلت بالأساس هدفاً للارتقاء به، كما ان انحراف هذه المبادئ سيشكل فجوة كبيرة بين الأجيال والتي بدورها ستؤثر بشكل كبير على المجتمع، وخصوصا في النظام الأسري، ولهذا فان الدعوة الى البر والإحسان والتكافل وغيرها من المبادئ الحسنة التي هي غاية الأدب المجتمعي(٣٣).

٢. الطاعة: طاعة الأم هي من القيم الإنسانية والدينية الراسخة، اذ تجسد أهم مظاهر البر والاحترام، ولكن لابد من التنويه أن الشريعة الإسلامية وإن الزمت الأبناء بطاعة والديهم ولكن هذه الطاعة ليست عمياء لا تعرف ضوابط أو قيود ولا مطلقة بل طاعة مقيدة محدودة بحدود الشرع(٣٤).

(وان طاعة الوالدين واجبة في المعروف لا في معصية الله فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)(٣٥) لقوله تعالى: وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٦)، فلا تكون طاعة الوالدين في ارتكاب كبيرة، ولا في ترك فريضة، فإذا طلب الوالدان من ولدهما أن يشرك بالله وألحا عليه في ذلك، وجاهداه في هذا الأمر، فلا يستحقان الهجر أو العقوق، بل يظلان جديرين برعايتهما ويستحقان البر والإحسان ومع ذلك لا يجوز طاعتهما في هذا الطلب، لأن طاعة المخلوق لا تكون في معصية الخالق(٣٧). (فأن الذي فرض طاعة الوالدين هو الله تعالى، فإذا أراد الوالدان – أو أحدهما – استغلال هذا الفرض في معصية الله، فأنه لا طاعة لهما، وفي ذلك إحسان إليهما، وتنبيه للرجوع إلى أمر الله تعالى، فإن أصرا على المعصية، بقي الولد محسناً لهما في غير المعصية)(٣٨)، ومن هنا لابد من بيان ان طاعة الوالدين يجب ان لا تكون على حساب حق الله على عباده، وان مبدأ الاحسان والطاعة للوالدين هو مبدأ ثابت حتى لو كان الوالدان كافرين، فواجبٌ على الوالد أن يصاحب والداه الكافرين بالمعروف ويطيعهما مالم يطلبان منه معصية الله فليس لهما طاعة هنا، لأن حق الله على عباده أعظم و أجل من أي حق آخر(٣٩)، فعن أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما قالت: ((أتتني أمي راغبة، في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم: آصلها؟ قال: نعم))(٤٠)، (فبر الوالدين واجب ولو كان الابوان كافرين او فاسقين عاصيين)(٤١)، فحق الوالدين على ابناءهم لا ينكر والطاعة واجبة لهم حتى وان كانوا مشركين طالما لا تتعارض مع الشرع، فقد قال رسول الله ﷺ: ((لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة لا طاعة لبشر في معصية الله عز وجل إنما الطاعة في المعروف))(٤٢) والامثلة هنا كثيرة فقد سبق أبو بكر الى الإسلام وتأخر ابوه الى الفتح و علي بن ابي طالب سبق الى الإسلام ولم يسلم أبوه، وعن سعد بن ابي وقاص قال: ((حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدا حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال: مكثت ثلاثا حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)، وفيها وصاحبهما في الدنيا معروفا))(٤٤). لذا لا بد للابن من الالتزام بجانب الايمان بالله ولا يجعل من طاعته لوالديه عصيان لله عز وجل، وعليه ان يلتزم بقدر ما استطاع بالأدب والإحسان مع والديه المشركين، فلا يعنفهما او يقترف أي عمل يعرضهما للأذى(٤٥)، وكما كانت طاعة الوالدين وخاصة الام هو سبيل للبر والرضا،

فعقوقهما هو جحود وتنكر لتعبهما،(فمن خسة النفس ودناءة الطبع أن يتنكر الولد لوالديه، فينسى فضلهما عليه، فيقابل إحسانهما بالنكران وجميلهما بالنسيان، وصلتهما بالقطيعة والهجران)(٤٦)، (فأصل العق الشق، وأليه يرجع عقوق الوالدين وهو قطعهما، لأن الشق والقطع واحد، يقال: عق ثوبه إذا شقه، عق والديه يعقهما عقا وعقوقا)(٤٧)، وعقوق الوالدين هو الايذاء بالقول او الفعل او هو أن يؤذي والديه او احدهما بما لو فعله مع غيرهما كان محرما من جملة الصغائر ففعله بالنسبة للوالدين من الكبائر، فمثلا لو شتم الولد او ضرب احد لا ينتهي الشتم والضرب الى كبيرة فيكون هذا الفعل محرم ولكن ليس بكبيرة اما اذا فعلها مع والديه بان يسب او يضرب احد والديه والعياذ بالله فهنا كان محرما وهو من أكبر الكبائر(٤٨)، وقد ضرب القران الكريم مثالاً للعقوق في قوله تعالى: وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٤٩)، فلما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة، عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين، فيقول لهما افٍ، وهما يرشدانه ويسألان الله له السلامة والهداية، وهو يقابل هذا بالعقوق والتعدي، فيكون حاله كحال الخاسرين انفسهم وأهليهم يوم القيامة(٥٠)، وتكفلت السنة المطهرة كذلك بالنهي الشديد عن عقوق الوالدين وفي كثير من الاحاديث منها: قال رسول الله ﷺ: ((ما تقولون في الزنا والسرقة وشرب الخمر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هن فواحش، وفيهن عقوبات، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ألا وقول الزور))(٥١)، (عقوق الوالدين يعد من أكبر الكبائر في هذا الحديث ولا شك في عِظَم مفسدته، لعظم حق الوالدين إلا أن ضبط الواجب من الطاعة لهما، والمحرم من العقوق لهما فيه عسر، ورُتب العقوق مختلفة فإن ما يحرم في حق الأجانب فهو حرام في حقهما، وما يجب للأجانب فهو واجب لهما فلا يجب على الولد طاعتهما في كل ما يأمران به، ولا في كل ما ينهيان عنه باتفاق العلماء)(٥٢)، كما بينا سابقاً.

وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: ((الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس(٥٣)))(٥٤).

وعن المغيرة، قال: ((نهى رسول الله ﷺ عن وأد البنات، وعقوق الأمهات، وعن منع، وهات، وعن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال))(٥٥) ، كما أن الله عز وجل لا ينظر للعاق لوالديه يوم الحساب ولا يدخل الى الجنة لعظيم ذنبه وقبيح فعله في حق والديه، وهذا ما جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال: ((ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عاق والديه ومدمن الخمر ومنان بما أعطى))(٥٦)، ومن الأمور المؤسفة التي قد تحدث نتيجة عقوق الوالدين وقطع الأرحام هي أن الشخص قد يواجه عواقب سلبية في حياته، قد يشعر بذلك عندما يعامله أبناؤه أو أقاربه بنفس الطريقة التي عامل بها والديه، كما يمكن أن تظهر العقوبات في جوانب مختلفة مثل المال أو الصحة أو حتى في حياة أسرته، وقد يشعر بقلة التوفيق وكثرة الضغوط(٥٧)، فعن ابي بكر رضي الله عنه قال: ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله تعالى يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات))(٥٨)، ثم ان طاعة الوالدين وعدم عقوقهما هي من أعظم القربات التي اكدت عليها الشريعة الإسلامية، الا انها لا تنفي مشروعية الاحتساب (٥٩) عليهما في حال وقوع أحدهما او كلاهما في معصية أو خطأ، فكما ان الإسلام أمر بوجوب البر والإحسان، والنهي عن العقوق والإساءة، فانه في الوقت نفسه جعل الاحتساب على الوالدين باباً لحفظ الدين، ومن هذا المنطلق يلتقي حق الطاعة مع وجوب الاحتساب في علاقة متوازنة، تحفظ فيها حق الوالدين ويراعى فيها حق الله تعالى، وان (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يسقط بحق الأبوة والأمومة لأن النصوص مطلقة ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمنفعة المأمور والمنهى والأب والأم أحق أن يوصل الولد إليهما المنفعة)(٦٠)، فكما قال الامام الغزالي(٦١) رحمه الله عن الحسبة: (عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر)(٦٢)، ومن النصوص الدالة على الاحتساب قوله تعالى: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا *

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٦٣)، فقد بين القران الكريم ان أبو الأنبياء خليل الله إبراهيم عليه السلام، قد كان يحتسب على والده، فيقول له: لم تعبد ما لا يسمع دعاءك ولا يبصر عبادتك، ولا يغني عنك من عذاب الله عز وجل شيئاً، ثم قال: يا أبتِ أني قد جاءني من العلم من الله عز وجل، انه من عبد غير الله فسيهلك في النار، فأطعني فيما سأدعوك إليه، فاتبع دين الله ارشدك طريقا صائباً، فلا تطع الشيطان، فمن أطاع الشيطان فقد عبده، ومن عبده فأنه كان لله عاصياً، ثم قال: أن أقمت على كفرك فأخاف أن يمسك عذابٌ من الرحمن فتكون قريناً للشيطان في النار(٦٤)، ومن هذا المنطلق، لابد من الإشارة الى أن الاحتساب على الوالدين يكون بدرجة الوعظ والنصح والاخبار بلين ورفق ولطف فلا يكون عن طريق التعنيف او الايذاء الجسدي او النفسي، وهذا انطلاقاً من منظور البر والإحسان، (ولهذا ذكر في شرعة الإسلام والسنة في أمر الوالدين بالمعروف أن يأمرهما به مرة فإن قبلا فبها وإن كرها سكت عنهما واشتغل بالدعاء والاستغفار لهما)(٦٥) .

ثالثاً: حق النفقة: تعتبر النفقة من الموضوعات الجوهرية المهمة في الفقه الإسلامي والقانون، حيث تعتبر وسيلة لحفظ حق الانسان وكرامته، من خلال ضمان حقوقه المعيشية الأساسية، وعندما يتعلق هذا الحق بالوالدين وخصوصاً الأم فأنه يكتسب بعداً دينياً وروحياً أعمق، فالنفقة هي(أسم لما يصرفه الانسان على زوجته وعياله وأقاربه من طعام وكسوة ومسكن وخدمة)(٦٦)، او كما عرفها الفقهاء هي(اخراج الشخص مؤنة من تجب عليه نفقته من خبز وأدم وكسوة ومسكن وما يتبعه)(٦٧)، وتفرض النفقة بناءً على أسس القرابة والروابط الاجتماعية(٦٨)، فنفقة الوالدين هي من أعظم مظاهر البر، والانفاق عليهما يجب أن يكون حقيقياً وواسعاً بقدر ما يسد حاجياتهم، وليس مجرد شكليات أو حد أدنى فلابد أن يوفر للوالدين الراحة والكرامة التي يستحقانها، وأن العرف والعادات والتقاليد المحلية تلعب دوراً مهماً، في تغيير وتعديل هذه المفاهيم، والهدف الأساسي هو كسب رضاهما فلا بد للأبن من السعي وراء هذا الهدف بكل الطرق الممكنة(٦٩).

أما النصوص التي تدعوا لهذا الحق كثيرة: فمن الكتاب قوله تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٧٠)، وقوله تعالى: يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٧١)، (وهذه الآية تدل على أن النفقة على الوالدين من الصدقة)(٧٢)، ومن السنة: عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: قال رسول الله ﷺ: ((إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه))(٧٣)، وهذا صورة من صور التكافل الاجتماعي التي بينتها السنة المطهرة فعندما كان الأبن صغيراً غير قادراً على الكسب كان والداه يتحملان النفقة عليه، وعندما كبر وأصبح قادراً على الكسب فأصبح لابد له من الأنفاق على والديه اذا كانا فقرين او محتاجين للنفقة فقد أوجبت الشريعة الإسلامية عليه هذا الأمر(٧٤)، ولأن الانسان جزء من أبويه فمن المهم أن ينفق على نفسه وأسرته وأصله وهما والداه، وأما(أن كان للولد أب وأم وكلاهما محتاج الى النفقة ولكنه لا يستطيع الانفاق الا على احدهما كانت الأم احق من الاب في وجوب النفقة)(٧٥) استناداً الى حديث: ((يا رسول الله، من أبر؟ قال: أمك قلت: ثم من؟ قال: أمك، قلت: ثم من؟ قال: أمك، قلت: ثم من؟ قال: ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب))(٧٦)، فهذا الحديث يدل على تقديم الأم بالبر، والانفاق هومن أعظم صور البر لذا قدمت الأم على الأب في النفقة ايضاً، (وقال بعض العلماء بأن الأم لا نفقة عليها ولا لها، لأنها ليست عصبة(٧٧) لولدها)(٧٨)، وأن الأب هو الأحق بالنفقة لسببين، الأول: لتفرده بالولاية

على أبناءه، والثاني: أنه وجب عليه الانفاق على ابناءه منذ صغرهم وهذا ليس واجب الأم، وقيل تقسيم النفقة بين الام والأب(٧٩)، لذا فقد أتفق جمهور الفقهاء على وجوب النفقة على الوالدين ان كانا عاجزين عن الكسب وأبنهما ميسور الحال، وكان للولد كسب يزيد عن حاجته، دون أن يؤثر على عياله فيجب عليه أن ينفق على والده الفقير، فلا يحسن أن يترك أباه جائعاً ضائعاً يتكفف الناس، ومثله الأب الأم الفقيرة فلابد من الإنفاق عليها عند عجزها وفقرها، وهذا قول الحنفية(٨٠) والمالكية(٨١) والشافعية(٨٢) والحنابلة(٨٣)، مؤكدين على ان النفقة على الام والأب هي من فروض الكفاية التي يلتزم بها الولد القادر.

ثانياً: حقوق بعد مماتها:

أن للأم في الدين الإسلامي مكانة رفيعة توجب لها حقوق كثيرة سواء في حياتها أو بعد مماتها، فبر الأم وكذلك الأب لا ينقطع بوفاتهما، بل يبقى دين في عنق الأبناء، يدل على وفائهم فمن فاته بر والديه في حياتهما ومن أراد ان يوصل البر والإحسان بعد مماتهما فلا ييأس فأن أبواب البر مفتوحة حتى بعد الموت(٨٤)، وهذا يعكس رحمة الدين الإسلامي في تخليد ذكرى الأم والأب فقد أعطى لهم حقوق حتى بعد الممات وهذه الحقوق تشمل:

١. الاستغفار و الدعاء : فقال الله تعالى على لسان نوح (عليه السلام): رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا (٨٥)، وعلى لسان الخليل إبراهيم (عليه السلام): رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٨٦)، فلابد للأبن من الاستغفار لوالديه لما له من المنفعة الكبيرة التي تعود على الوالدين، فقال النبي محمد ﷺ: ((إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك))(٨٧)، ولكن هذا الحق يثبت للوالدين المسلمين فقط فلا يجوز الاستغفار للوالدين المشركين بدليل قوله تعالى: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (٨٨).

وعن ابي هريرة قال: ((زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال: ((ستأذنت ربي أن أزور قبرها فأذن لي فاستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي))(٨٩)، والاستغفار هو نوع من الدعاء للميت والدعاء متفق على مشروعيته وهو نافع للميت بدليل قوله ﷺ: ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))(٩٠)، (والدعاء سواء بطلب المغفرة أم بغيره مجمع على نفع الميت به)(٩١).

٢. قضاء الدين: والمراد به تنفيذ ما تعاهد عليه الأبوين مع الناس ولم يتمكنا من الوفاء به، فلابد للابن من قضاء الدين عن والديه من مال او غيره والحذر من التقصير في هذا الامر(٩٢) خصوصاً اذا كانت لهما تركة، فلا يجوز تقسيم التركة قبل سداد الديون، قال تعالى: مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ (٩٣)، أي تقسيم التركة إنما تجب بعد قضاء الدين، وإنفاذ وصية الميت(٩٤)، وقال رسول الله ﷺ: ((نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه))(٩٥)، وعن النبي ﷺ قال: ((يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين))(٩٦)، فكيف أن الجهاد والشهادة في سبيل الله هي أفضل الأعمال، وان الشهيد تغفر له كل خطاياه اذا قتل صابراً مخلصاً لله عز وجل، الا ان يكون عليه دين، فيبقى في رقبته حتى يعطى لصاحبه يوم القيامة.

٣. قضاء بعض العبادات: مثل الصوم فيجوز للولد قضاء الصوم عن والدته أو والده اذا توفى احدهما وعليه صيام، فعن ابن عباس: قالت امرأة للنبي ﷺ: إن أمي ماتت وعليها صوم خمسة عشر يوما، أفأقضيه عنها؟ قال: ((نعم، فدين الله أحق أن يقضى))(٩٧)، وعن عائشة، أن النبي ﷺ قال: ((من مات وعليه صيام صام عنه وليه))(٩٨). ومثل الصوم الحج فأن مات الوالدين أو أحدهما ولم يؤديا فريضة الحج فمن المستحب الحج بالنيابة عنهما بدليل حديث النبي ﷺ: ((أن امرأة من جهينة، جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء)) (٩٩).

٤. قضاء الكفارات: (ككفارة اليمين،

وكفارة قتل الخطأ، فكل الديون لله تعالى الواجبة: من الكفارات، والنذور، وفرض الحج والعمرة، والصوم، تدخل في قوله عليه الصلاة والسلام: فدين الله أحق أن يقضى) (١٠٠).

٥.

صلة الرحم والأصدقاء : فان قيام الولد بصلة رحم والديه المتوفيين يعتبر من البر والوفاء بهما، فعن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: ((من سره أن يبسط عليه رزقه، أو ينسأ في أثره فليصل رحمه))(١٠١)، و عن عبد الله بن عمر، أن النبي ﷺ قال: ((أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه))(١٠٢)، فقد جعل هذا العمل أبر البر لأن الوفاء بحقوق الوالدين وأصحابهم بعد الموت ابلغ لان الحي من الممكن ان يجامل لكن الميت لا يجامل بل يعامل بحسن العهد، ونبه بالأب عن بقية الأصول، وقاس الشارع تقديم الأم بالبر، لذا قدم وصل أهل ودها كونه أقدم وأهم(١٠٣)، (وصلة الرحم مع عظم الأجر المترتب عليها في ذاتها، فهي أيضاً من بر الوالدين بعد موتهما، وذلك عندما يصل الولد رحمه بعد موت والديه، وصلة الرحم من العبادات الجليلة العظيمة، إلا أنها أصبحت في هذه الأزمنة المتأخرة مهجورة غير مبالي بها من كثير من المسلمين)(١٠٤) بدليل قوله تعالى: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (١٠٥).

(المطلب الثاني: حقوق الأم كزوجة):

تعد الأم بوصفها زوجة، عنصراً أساسيا لاستقرار الاسرة، ولها مكانة عظيمة، وهذه المكانة تتقوى بفضل الحقوق التي منحها إيها الشرع والقانون، وقد أقر الإسلام للزوجة حقوقاً أساسية تضمن لها العيش بطمأنينة وسلام، مع الحفاظ على مكانتها المجتمعية، و هذه الحقوق تشمل ما يأتي:

١ . المهر: (هو المال الذي تستحقه الزوجة بالعقد عليها، او الدخول بها دخولاً حقيقياً، وله تسعة أسماء: الصداق، والمهر، والأجر، والعلائق، والحباء، والصداقة، والنحلة، والفريضة، العُقر)(١٠٦)، وقد وجبت الشريعة الإسلامية بحسب أدلتها القرآنية والحديثية المهر للمرأة والدليل على هذا الوجوب قوله تعالى: وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ (١٠٧)، (معناها إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب إعطاء الأجر، وهو الصداق كاملا)(١٠٨)، وقوله تعالى: وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً (١٠٩)، وعن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة، فقال: ((ما هذا؟ قال: يا رسول الله، إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب، قال: فبارك الله لك، أولم ولو بشاة))(١١٠)، ولا حد لأقل الصداق أو اكثره فكل ما صح انه ثمن صح ان يكون مهراً، فقد جاء عن النبي محمد ﷺ: ((اذهب فاطلب ولو خاتما من حديد))(١١١)، وهذا دليل على انه من الممكن أن يكون المهر بثمن قليل، وكذلك يجوز ان يكون المهر بثمن كثير بدليل قوله تعالى: وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (١١٢) (فالقنطار هو المال الكثير وهو أربعون اوقية من الذهب او الفضة)(١١٣)، أما الحكمة من تشريع المهر وجعله حقاً للزوجة، (هي إظهار صدق رغبة الزوج في معاشرة زوجته معاشرة شريفة، وبناء حياة زوجية كريمة، كما أن فيه اعزاز للمرأة، واكراماً لها، وتمكيناً لها من أن تتهيأ للزواج بما تحتاج اليه من لباس و نفقات)(١١٤)، وانه علامة على ان الرجل سيكون بجانبها يقدم لها الدعم والرعاية مما يجعلها تشعر بالراحة والسعادة في حياتها الزوجية وتسعد بقوامة زوجها عليها، ومن المهم ان نشير الى ان المهر ليس مجرد قيمة او ثمن يدفعه الرجل لشراء الزوجة لحديث النبي ﷺ: ((فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله))(١١٥)، والحكمة من جعل المهر واجب على الزوج دون الزوجة، لان المرأة بعد الزواج تدخل في طاعة الزوج وتخضع له فتنتقل من بيتها الذي اعتادت عليه الى بيته، وان طبيعة الرجل تمكنه من السعي للرزق بخلاف المرأة فأن الأمومة وتدبير المنزل والاسرة هي وظيفتها الفطرية، لذا كان عليه تقديم لها ما يرضيها وتطيب به نفسها برئاسته ورعايته(١١٦)، (وان الإسلام جعل الصداق على الزوج رغبة في صيانة المرأة من أن تمتهن كرامتها في سبيل جمع المال الذي تقدمه مهراً للرجل)(١١٧)، فأن الرجل هو المكلف بهذه الواجبات المالية دون المرأة.

٢.

النفقة: هو ما ينفقه الزوج على زوجته من طعام وكسوة ومسكن وخدمة بحسب ما متعارف عليه عند الناس، وهي حق واجب للزوجة على زوجها بدليل قوله تعالى: أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ * لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (١١٨)، فهذه الآية وان كانت واردة في المرأة المطلقة، لكنها تدل على وجوب الانفاق على الزوجة من باب أولى.

وقوله تعالى: الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ (١١٩)، أي وجوب الانفاق على الزوجة والقريبة، وهو مظهر من مظاهر قوامة الرجل(١٢٠)، ومن السنة المطهرة قوله ﷺ: ((ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف))(١٢١)، وسُئل النبي ﷺ عن حق الزوجة فقال: ((أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت – أو اكتسبت – ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت))(١٢٢)، وعن عائشة، قالت: جاءت هند إلى النبي ﷺ ، فقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت من ماله، وهو لا يعلم، فقال: ((خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف))(١٢٣).

(ونفقة الزوجة واجبة على الزوج سواء أكانت غنية أم فقيرة، وسواء كان الزوج ذا يسار أو إعسار، وذلك لأن الزوجة محبوسة لصالح الزوج، فلا أقل من أن يلتزم بالإنفاق عليها)(١٢٤). وسبب استحقاق الزوجة النفقة من زوجها، لأنها تكرس نفسها له ولمنفعته، فبموجب عقد الزواج، يجب ان تكون الزوجة مخصصة لزوجها فقط لا يحل لغيره أن يستمتع بها، حمايةً لنسب أولاده، لذا اذا كانت الزوجة ملتزمة بواجباتها الزوجية من الاحتباس والطاعة وغيرها فواجب على الزوج أن ينفق عليها بكل ما تحتاجه ويكفيها(١٢٥)، وان الإسلام لم يعطي للرجل حق استخدام المرأة ثم أخذ ما تحصل عليه من مال لقاء عملها، بل أعطى للزوجة الحق في التملك وان تكتسب المال الخاص بها، ولم يعطي الحق للزوج بالتصرف في أموالها، بل تحتفظ بحقوقها المدنية والمالية تماماً، لان المرأة المتزوجة لها ثروتها الخاصة وشخصيتها المستقلة، بل وأشترط على الزوج الانفاق عليها بحسب مقدرته وهو مكلف بهذا الأمر، فان الإسلام قد رفع عن كاهل المرأة أعباء إدارة ميزانية الاسرة المالية، مع إعطاءها حق كسب المال والاستقلال الاقتصادي الكامل(١٢٦)، وتستحق الزوجة النفقة من زوجها أذا ما توفرت الشروط الآتية، أولا: ان يكون عقد الزواج صحيحاً شرعاً، ثانيا: أن تكون الزوجة صالحة للمعاشرة الزوجية ليؤدي احتباسها للثمرات المقصودة منه، ثالثاً: الا يفوت حق الزوج في احتباس الزوجة بغير عذر شرعي او بسبب ليس من جهته، فاذا توفرت هذه الشروط وجبت النفقة)(١٢٧)، وان حق النفقة للزوجة يعكس مدى رعاية الإسلام بها حيث يلزم الرجال من عائلتها سواء كانوا اصولاً أم فروعاً بتقديم النفقة لها لان راحة الزوجة حقٌ لها.

ثالثاً: عدم الإضرار: ان من الحقوق الواجبة للزوجة على زوجها ان يراعي الاحسان في معاملتها بالقول والفعل والخلق، والمعاشرة بالمعروف، فلا يسمعها ما يجرح كرامتها، أو يحط من منزلتها، ولا يخاطبها بطريقة فظة، ولا يضربها ولا يضيق عليها المعيشة، ولا يؤذي مشاعرها وغيرها من الأفعال التي تسبب ضرراً للزوجة نفسياً أو جسدياً(١٢٨) .

وقد حثت الشريعة الإسلامية وأكدت على عدم الاضرار بالزوجة، فمن القران الكريم قوله تعالى: فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ (١٢٩)، ومن السنة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: ((خيركم خيركم لأهله، وانا خيركم لأهلي، وإذا مات صاحبكم فدعوه))(١٣٠)، (وليس الرجل متفضلاً في حسن معاملته لزوجته، وانما هو يؤدي بذلك واجباً عليه تستحقه المرأة، بصفتها شريكةً في حياته، ونصفه الذي يكتمل به)(١٣١)، قال تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣٢)، فقد جعل الله عز وجل بين الزوج وزوجته مودة ورحمة، على الرغم من عدم القرابة والرحم، فصارا كالقريبين وذوي الأرحام وصارت له أقرب الأقربين، فيود

بعضهم بعضا ويرحم بالطبع والخلقة(١٣٣)، فالرجل مطالب بحسن معاملة زوجته والمحافظة على مشاعرها عن طريق صون لسانه من رميها بالعيوب التي تكره أن تعاب بها ، سواء خلقية من قصر او زيادة في الوزن وغيرها، أو خُلقية، مثل تباطؤها في انجاز عمل ما أو عدم قدرتها على أداء أمور معينة، فعلى الرجل مراعاة ذلك.

الخاتمة

فبعد استعراض حقوق الأم في الإسلام من خلال حقها على أبنائها وحقها كزوجة، يتضح لنا المكانة العظيمة التي منحها الشرع للأم تقديرًا لدورها في البناء الأسري والاجتماعي، فقد جمع الإسلام بين تكريم الأم بالعاطفة عن طريق البر والإحسان إليها، وبين حفظ كرامتها ماديًا ومعنويًا، بما يضمن استمرار المودة داخل الأسرة وتكافل المجتمع.

النتائج:

١. ثبت لنا أن الإسلام منح الأم منزلة رفيعة تفوق غيرها في البر والرحمة والعناية.

٢. تتوزع حقوق الأم على محورين رئيسيين: حقها على الأبناء وحقها كزوجة.

٣. تبين لنا بأن أهم حقوقها على الأبناء: الإحسان والطاعة والإنفاق في حياتها، والدعاء وقضاء الدين وصلة رحمها بعد وفاتها، كما وشملت حقوقها كزوجة: المهر، النفقة، وحمايتها من الضرر ماديًا ومعنويًا.

٤. إن الالتزام بهذه الحقوق يساهم في تعزيز الروابط الأسرية وتقوية التماسك الاجتماعي، والتقصير في تطبيق هذه الحقوق في الواقع المعاصر يعود غالبًا إلى ضعف الوعي الشرعي والبعد عن التربية الدينية.

الهوامش:

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤/٥٢-٥٤.

(٢) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، دار النفائس للطباعة والنشر، ط٢، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ١/١٠٥.

(٣) بر الوالدين مفهوم وفضائل وآداب واحكام في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة السفير، الرياض، ١/٥-٦.

(٤) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار السلاسل، الكويت، ط٢، (١٤٠٤-١٤٢٧هـ)، ٨/ ٦١-٦٣.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الأدب، أبواب النوم، باب في بر الوالدين ٤/٣٣٦ (٥١٣٩).

(٦) بر الأم سبيل البركة في الدنيا والرحمة في الاخرة، جمع وترتيب خطب الشيخ ابي عبد الله محمد بن سعيد رسلان، ص٩.

(٧) ينظر: بر الوالدين قيمة إسلامية عظيمة، عبد الله بن عبد اللطيف العقيل، الرياض، ط٣، (١٤٢٩هـ-١٤٣١هـ)، ص ٢٥-٢٦.

(٨) ينظر: الاخلاق الاسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم ، دمشق، ط٥،(١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ص ٢٠.

(٩) سورة النساء ٢٣- ٢٤.

(١٠) ينظر: جامع البيان في تأول القران، محمد بن يزيد بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق احمد شاكر، نشر وتوزيع مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، ١٧/٤١٣-٤٢٠.

(١١) سورة النساء ٣٦.

(١٢) ينظر: تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، تحقيق مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ٣/١٧٠-١٧١.

(١٣) سورة الاحقاف ١٦.

(١٤) الهداية الى بلوغ النهاية في علم معاني القران وتفسيره، أبو محمد مكي بن ابي طالب القرطبي المالكي، ط١،

(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ١١/ ٦٨٣٠.

(١٥) سورة الانعام ١٥١.

(١٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٩٢/٨.

(١٧) سورة مريم ٣٢.

(١٨) تفسير القران العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة ، ط٢، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ٢٩٩/٥.

(١٩) مسند الامام احمد بن حنبل، أبو عبد الله محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة رسالة، ط١، (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، باب مسند عبد الله بن مسعود، ١٠٣/٧-٣٩٩٨.(٢٠) بر الوالدين، فضائل وآداب وأحكام، ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة السفير، الرياض، مؤسسة الجريسي، ١/١ ١.

(٢١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين، ١٩٧٥/٤-٢٥٤٩.

(٢٢) مأخوذة من ضغوُ الذئب، اي صياحه وتصوره أذا جاع، جمهرة اللغة، ابو بكر محمد بن الحسن الأزدي، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، (١٩٨٧م)، ٢/ ٩٠٧.

(٢٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب اجابة دعاء من بر والديه، ٣/٨-٥٩٧٤.

(٢٤) ينظر: فقه التعامل مع الوالدين، ابي عبد الله مصطفى بن العدوي، مكتبة مكة، ص ١٣.

(٢٥) مسند الامام أحمد بن حنبل، كتاب مسند النساء، باب مسند الصديقة عائشة بنت الصديق ابي بكر رضي الله عنهما، ٤/ ٩٦- ٢٤٠٨٠.

(٢٦) الادب المفرد، للأمام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية-القاهرة، دار البشائر الاسلامية، ط٢، (١٣٧٩هـ)، ١١/١٨.

(٢٧) ينظر: الاخلاق الاسلامية وأسسها، ص ٢٤.

(٢٨) ينظر: حقوق الانسان في القران والسنة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، أ. د. محمد بن أحمد الصالح، أستاذ الدراسات العليا بكلية الشريعة، بجامعة الامام محمد بن سعود، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط١، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ص ٣٠٩.

(٢٩) سورة البقرة ٣٨.

(٣٠) سورة النساء ٣٦.

(٣١) سورة الانعام ١٥١.

(٣٢) ينظر: حقوق الانسان في القران والسنة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، ص٣٠٩.

(٣٣) ينظر: التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية، محمد بن أحمد الصالح، ط٢، (١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، ص٣٩.

(٣٤) ينظر: حقوق الوالدين على أولادهم وحقوق الأولاد على والديهم، الشيخ الدكتور أحمد حسين علي سالم، مؤسسة السنابل، بيروت-لبنان، دار الراوي للنشر والتوزيع، ط١، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ص٤٢-٤٣.

(٣٥) علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية، د. سعاد إبراهيم صالح، مؤسسة دار التعاون للطباعة والنشر، جاردن ستي-القاهرة، ط٣، (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)، ص٣٨.

(٣٦) سورة لقمان ١٥.

(٣٧) ينظر: حقوق الوالدين على أولادهم وحقوق الأولاد على والديهم، ص ٤٩.

(٣٨) حكام بر الوالدين، محمد صالح المنجد، مجموعة زاد للنشر، مكتبة الملك فهد الوطنية، جدة المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤٣٨هـ-٢٠١٧م)، ص ٩٦.

الجهل المركب والجهل البسيط في ضوء القرآن الكريم: تحليل دلالي وتربوي

الباحثة ندى فوزي الحديثي أ.د محسن قحطان حمدان
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

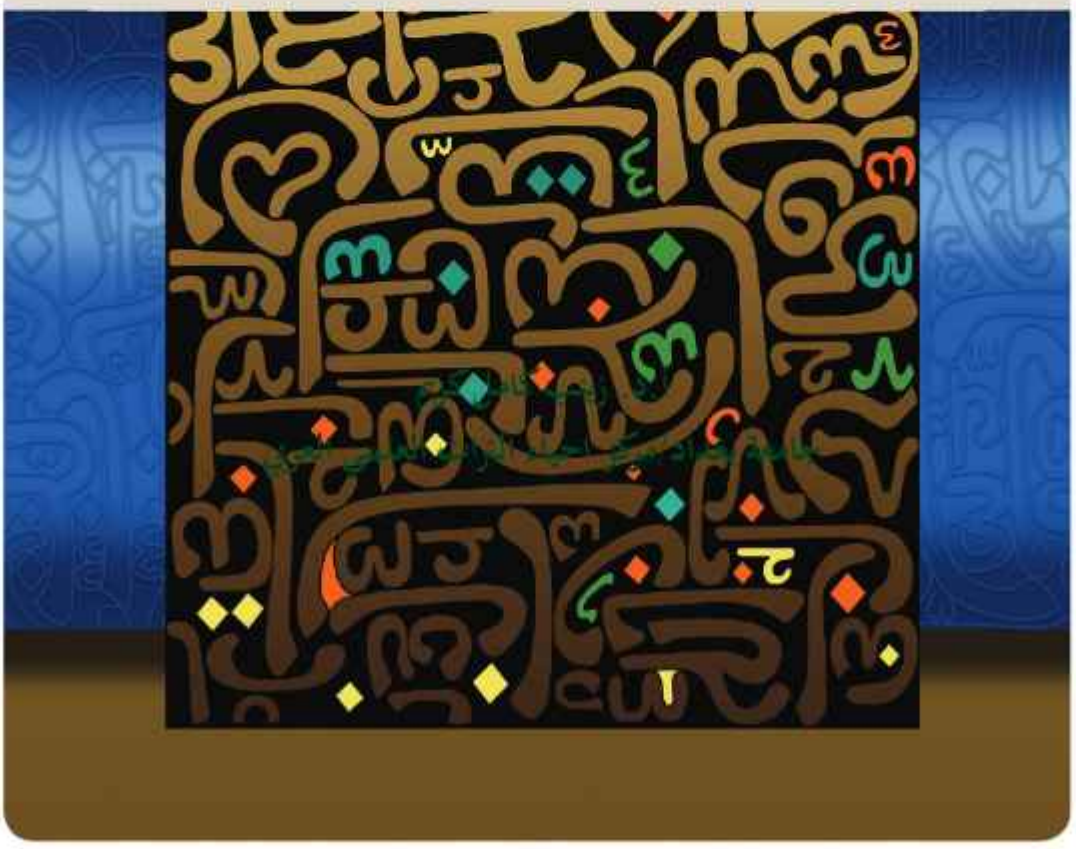

المستخلص:

يعالج هذا البحث مفهوم الجهل في القرآن الكريم عبر مسارين: لغوي–اصطلاحي وبياني–تفسيري. يبيّن أن الجهل في أصله خلوٌّ ابتدائي من العلم لا يُذَمّ قبل التكليف، غير أنه يتحوّل إلى جهلٍ كسبيّ مذموم عندما تُعطَّل أدوات الإدراك وتُهمَل دلائل الهدى، فينشأ الانحراف العقدي والسلوكي. كما يبرز البحث صلة الجهل بمقولة الأمانة، وأن وصف الإنسان بـ«الظلوم الجهول» يكشف خللاً في تقدير تبعات التكليف أكثر مما يكشف نقصَ معلومةٍ مجردة. ومن خلال استقراء الآيات الدالّة على الجهل في سياقات الشهوة والعناد واتباع التقليد، يخلص البحث إلى أن القرآن يعالج الجهل معالجةً تربويةً متدرجة: تمكين أسباب المعرفة، وتفعيل الوعي الباطن، وربط النعمة بالشكر لتبديد الغفلة. وتؤكد النتائج أن الجهل حالةٌ مركبة من قصور التصوّر وفساد الإرادة، وأن تهذيبها يتم بمنهجٍ يزاوج بين العلم والإيمان والعمل، بما يحفظ مقاصد الأمانة ووظيفة الاستخلاف.

الكلمات المفتاحية: الجهل ، الجهل البسيط ، الجهل المركب ،الغفلة.

Abstract:

This study addresses the concept of ignorance (jahl) in the Qur'an through two main approaches: linguistic–terminological and rhetorical–exegetical. It clarifies that, in its original sense, ignorance denotes an initial absence of knowledge, which is not blameworthy prior to moral responsibility. However, it transforms into acquired and blameworthy ignorance when the faculties of perception are neglected and the signs of guidance are disregarded—leading to doctrinal and behavioral deviation. The study also highlights the connection between ignorance and the Qur'anic concept of amānah (moral responsibility), showing that describing the human being as alūm jahūl (deeply unjust and ignorant) points more to a failure in appreciating the consequences of responsibility than to a mere lack of information. Through an inductive reading of Qur'anic verses linking ignorance with desire, obstinacy, and blind imitation, the study concludes that the Qur'anic approach to ignorance is pedagogical and gradual: enabling the means of knowledge, activating inner awareness, and linking blessings with gratitude to dispel heedlessness. The findings affirm that ignorance is a compound state involving flawed understanding and a corrupted will, and that its refinement requires an integrative method combining knowledge, faith, and action—preserving the objectives of divine trust and the role of vicegerency (istikhlāf).

Keywords: Ignorance, simple ignorance, compound ignorance, negligence.

المنهج والإجراءات (للاستيفاء الأكاديمي)

- منهج وصفي تحليلي: لتحرير المصطلحات وتتبع حقولها الدلالية.
- منهج استقرائي للنصوص: بجمع الآيات ذات الصلة وتفكيك سياقاتها.
- مقارنة تفسيرية–لغوية: بعرض أقوال أئمة اللغة والتفسير ووزنها دلالياً.
- استنباط تطبيقي: لاستخراج الآثار السلوكية والتربوية المترتبة.

أهداف البحث

- تحرير مفهوم الجهل لغةً واصطلاحاً، وبيان مراتبه (البسيط/المركّب) .
- استقراء دلالات الجهل في القرآن وربطها بالسياقات العقدية والسلوكية.
- تحليل العلاقة بين الجهل وباب الأمانة والتكليف ومسؤولية الإنسان.
- إبراز أثر تعطيل أدوات الإدراك (السمع، البصر، الفؤاد) في تكوين الجهل المذموم.
- اقتراح معالجات قرآنية عملية (علم، ذكر، شكر، مجاهدة) للتقليل من آثاره.

مشكلة البحث

يشيع في التداول الخلط بين الكنود بوصفه كفراناً عملياً للنعم، وبين الكفر بوصفه إنكاراً اعتقادياً أو جحوداً سلوكياً واسع الدلالة. تتمثّل المشكلة في:

كيف يحدّد القرآن مفهومَي الكنود والكفر، وما الفروق والاشتباكات بينهما في المستويين العقدي والسلوكي، وما أثرهما على وعي الإنسان بنعمة الله وأداء الأمانة؟

فرضيّة البحث

يفترض البحث أن الكنود هو مظهرٌ سلوكيّ مستمرٌّ من كفران النعمة يقود عند الإهمال إلى أنماطٍ أعمق من الكفر، وأن القرآن يربط بين هاتين الحالتين عبر آليةٍ تربويةٍ تعالج الجحود بالشكر، والغفلة بالذكر، والإسراف بالاعتدال.

المقدّمة

يحظى تحليل صفات الإنسان في القرآن الكريم بأهميةٍ خاصّة؛ إذ يكشف عن البنية النفسية والأخلاقية المؤثرة في أداء وظيفة الاستخلاف وشكر المنعم. ويُركز هذا المبحث على مفهومي الكنود والكفر؛ حيث دلّ الاستعمال القرآني على أن الكنود كفرانٌ للنعم واتّجاهٌ غريزي إلى تعداد المصائب ونسيان المنن، بينما يعبّر الكفر (والكفور صيغة مبالغة) عن جحودٍ قلبيّ وفكريّ وسلوكيّ قد يبلغ حدّ إنكار المُنعِم ذاته. وتهدف الدراسة إلى تحرير هذين المفهومين لغويًّا وشرعيًّا، واستقراء دلالاتهما القرآنية وآثارهما التربوية والسلوكية.

الجهل:

قال تعالى:(إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)(:٧٢) (١)

المطلب الأول: (مفهوم الجهل في اللغة والاصطلاح)

الجهل في اللغة:

قال أهل اللغة: ج هـ ل: الجهل ضد العلم، وقد جهِل من باب فهِم وسلِم، جهله جهلا وجهالة ورجل جاهل، والجمع

جُهّل، وجُهّال، وجُهَلاء، عن سيبويه، قال: شبهوه بفعيل، كما شبهوا فاعلا بفَعول. قال ابن جني: قالوا: جُهَلاء، كما قالوا علماء، حملا له على ضده.(٢)

وجَهول مفرد صيغة مبالغة، جمعه: جُهّل وجُهَلاء.

وقال الحرالي: الجهل: التقدم في الأمور المنبهمة بغير علم.

وقال الراغب: الجهل على ثلاثة أضرب:

الأول: خلو النفس من العلم، وهذا هو الأصل.

والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد به اعتقادا صحيحا أم فاسدا، كتارك الصلاة عمدا. وعلى ذلك قوله تعالى:(أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)(: ٦٧)(٣) فجعل فعل الهزؤ جهلا.

وقوله تعالى:(فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ)(٤) والجاهل يذكر تارة على سبيل الذم، وهو الأكثر، وتارة لا على سبيله، نحو:(يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ)(٥)، أي: من لا يعرف حالهم.

قال صاحب كتاب تاج العروس: والجهل على قسمين:

بسيط ومركب، فالبسيط: عدم العلم عما من شأنه أن يعلم، والمركب: اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، قاله ابن الكمال.

وقال العضد: أصحاب الجهل البسيط كالأنعام، لفقدهم ما به يمتاز الإنسان عنها، بل هم أضل لتوجهها نحو كمالاتها، ويعالج بملازمة العلماء؛ ليظهر له نقصه عند محاوراتهم. والجهل المركب إن قبل العلاج، فبملازمة الرياضات؛ ليطعم لذة اليقين، ثم التنبيه على مقدمة بالتدريج.

وقال شمر: المعروف من كلام العرب: جهلت الشيء: إذا لم تعرفه، تقول: مثلي لا يجهل مثلك، وأما قوله تعالى: إِنِّيَ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)(: ٤٦)(٦) فإنه من قولك: جهل فلان رأيه، جهل عليه: أظهر الجهل، ك – تجاهل – بمعنى: أرى من نفسه أنه جاهل. وهو جاهل وجهول.(٧)

وعرفه الجرجاني بقوله:

الجهل: هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، واعترضوا عليه: بأن الجهل قد يكون بالمعدوم، وهو ليس بشيء، والجواب عنه: إنه شيء في الذهن.

الجهل البسيط: هو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالما به.

الجهل المركب: هواعتقاد جازم غير مطابق للواقع.(٨)

قال ابن جني: لما كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملابسة صار كأنه غريزة، ولم يكن على أول دخوله فيه، ولو كان كذلك لكان متعلما، لا عالما، فلما خرج بالغريزة إلى باب فَعُلَ صار عالما في المعنى كعليم، فكُسِّر تكسيره، ثم حملوا عليه ضده فقالوا: جُهلاء كعلماء، وصار علماء كحُلماء؛ لأن العلم محلمة لصاحبه، وعلى ذلك جاء عنهم فاحش وفُحشاء، لما كان الفحش من ضروب الجهل ونقيضا للحلم(٩).

أما المراد بمعنى جهول بالآية الكريمة أعلاه فلا بد لنا أن نبين معنى الأمانة أولًا؛ لتعلقها بالمعنى المطلوب.

فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بـ«الأمانة» في قوله تعالى:(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ)(١٠) «أمانة الإيمان»، أي توحيد الله، وهي العهد الذي أخذه الله على جنس بني آدم في قوله:(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا)(١١)، أي: أن الله أودع في نفوس الناس دلائل الوحدانية فهي ملازمة

للفكر البشري، فكأنها عهد الله لهم به، وكأنه أمانة التمنهم عليها؛ لأنه أودعها في الجبلة ملازمة لها.

وقيل: إن المراد بالأمانة: «العقل الإنساني» الذي به يعرف الإنسان ربه، ويكون صالحًا لحمل التكليف الشرعي، وتسميته «أمانة» تفيد تعظيم شأنه، ولأن الأشياء النفيسة تودع عند من يحتفظ بها، وأن الحكمة اقتضت أن يكون الإنسان مستودَع العقل من بين الموجودات العظيمة؛ لأن خلقته مُلائمة لأن يكون عاقلاً فإن العقل يبعث على التغير والانتقال من حال، إلى حال ومن مكان إلى غيره، فلو جعل ذلك في سماء من السماوات أو في الأرض أوفي جبل من الجبال أو جميعها لكان سبباً في اضطراب العوالم واندكاكها، فلو أودع فيها العقل لما سمحت هيئات أجسامها بمطاوعة ما يأمرها العقل به.(١٢)

وقيل: إن الأمانة قد يراد بها «الدين» والفرائض، فقد أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه:(إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ)(١٣) قال: يعني به الدين، والفرائض، والحدود، فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا (١٤) قيل لهن: أن تحملنها، وتؤدين حقها. فقلنا: لا نطيق ذلك:(وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ)(١٥) قيل له: أتحملها؟ قال: نعم. قيل: أتؤدي حقها؟ فقال: أطيق ذلك قال الله: (إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)(٧٢)(١٦)، أي ظلوماً بها، جهولاً عن حقها.(١٧)

أما ما اريد في معنى الجهل: فهو انتفاء العلم بما يتعين علمه، والمراد به هنا: انتفاء علم الإنسان بمواقع الصواب فيها تحمل به، فقوله:(إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)(: ٧٢) (١٨)، مؤذن بكلام محذوف يدل هو عليه إذ التقدير: وحملها الإنسان فلم يفِ بها، إنه كان ظلوماً جهولاً، أي: جهولاً في عدم تقديره قدر إضاعة الأمانة، من المؤاخذة المتفاوتة المراتب في التبعية بها، ولولا هذا التقدير لم يلتئم الكلام؛ لأن الإنسان لم يحمل الأمانة باختياره بل فُطِر على تحملها.

ويجوز أن يراد (ظَلُومًا جَهُولًا)(:٧٢) (١٩) في فطرته، أي في طبع الظلم والجهل، فهو معرض لهما ما لم يعصمه وازع الدين، فكان من ظلمه وجهله أن أضاع كثير من الناس الأمانة التي حملها».(٢٠)

وقد دلّت نصوص القرآن الكريم على أن الإنسان يولد خاليًا من العلم والمعرفة، قال تعالى:(وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا)(٢١) فهذا وصف لحال الإنسان عند ولادته، إذ يكون في غاية الضعف الإدراكي، ويحتاج إلى تنمية تدريجية من خلال الحواس والعقل. ولذلك أردف الله تعالى الآية بقوله:(وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(:٧٨)(٢٢)

إشارة إلى أنه زوّد الإنسان بالوسائل الإدراكية والعقلية التي تعينه على تحصيل العلم، ومعرفة الحق، واكتساب الهداية.

وقد بيّن المفسرون أن الحواس –وعلى رأسها السمع والبصر– مفتاح المعرفة الأول؛ إذ بها تُدرك الجزئيات وتُبنى التصورات، وهي التي تغذي الفؤاد –أي العقل– بالمعلومات التي تمكّنه من تحصيل البديهيات، التي بدورها تُبنى عليها العلوم الكسبية والنظرية، وهذه العلوم نعمة من الله تعالى ولطف، لأن بها إدراك الإنسان ما ينفعه، وعمل عقله فيما يدله على الحقائق؛ ليسلم من الخطأ المفضي إلى الهلاك والأرزاء العظيمة، فهي نعمة كبرى. ولذلك قال تعالى عقب ذكرها: لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(:٥٢) (٢٣) أي: هي سبب لرجاء شكرهم واهبها سبحانه. فيحصل بذلك الوعي، ويتهذّب العقل، وتُهذّب النفس تبعًا له.

فالجهل –في أصله – صفة خَلقية أولية لا يُذمّ عليها الإنسان قبل التكليف، لكنه إذا استمر عليها بعد التمكين من أدوات الإدراك والمعرفة، صار جهلًا كسبياً مذموماً، لأنه ناتج عن ترك طلب العلم، أو الإعراض عن الحق.(٢٤)

وإنّ من أبرز مظاهر الجهل الإنساني التي نبّه إليها القرآن الكريم الغفلة عن الحق، وتعطيل أدوات الإدراك الفطري والعقلي، وهي حالة تتجلى بوضوح في قوله تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا)(٢٥) فقد

دلّت الآية على أن الهلاك الأبدي ليس ناتجًا عن فقر الإنسان في قدراته أو فقدانه العقل، بل هو نتيجة لتعطيل أدوات الهداية، وتغليب الهوى والكبر على الفطرة والعقل، حتى صار الإنسان كأنما خُلق لجهنم، لا لقصور في الخِلقة بل لاختيار طرق الغواية واتباع الهوى.

وقد بيّن المفسرون –كابن عاشور– أن تقديم القلوب في السياق القرآني يدل على أن موطن الانحراف هو العقل أولًا، إذ يُعتبرالقلب موضع الفقه والفهم، ويأتي بعده تعطل البصر والسمع، وهما الآلتان اللتان تمدان العقل بالمادة الإدراكية، وهذا التعطيل ليس ناشئًا عن خلل في الخِلقة، بل هو ثمرة الغفلة والتسويف والإعراض، كما في قوله تعالى:(لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا)(٢٦) وكذلك قوله تعالى:(أُوْلَٰئِكَ كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ)(٢٧)

فالإنسان حين يُسلم نفسه لقوى الطبع البهيمي (الشهوة والغضب) دون تهذيب، يفقد وظيفته الاستخلافية، ويغدو أضل من البهائم التي لم تُكلَّف أصلًا، فهي لا تؤاخذ؛ فقد خلق إدراكها محدودا لا يتجاوز ما خلقت لأجله، فنقصان انتفاعها بمشاعرها ليس عن تقصير منها، فلا تكون بمحل الملامة، أما أهل الضلالة فإنهم حجروا أنفسهم عن مدركاتهم، بتقصير منهم وإعراض عن النظر والاستدلال، فهم أضل سبيلا من الأنعام.

فالإنسان قد أُوتي الفطرة والعقل وأُمر بالسعي، فصار في تركه هذه النعم مستوجبًا الغفلة والضلال.(٢٨)

(مفهوم الجهل في القرآن الكريم)

دلالة «الجهل» في سياق الانحراف العقدي والسلوكي، ورد لفظ «الجهل» في عدة مواضع قرآنية للدلالة على الانحراف السلوكي والعقدي وفساد البصيرة، لا بمجرد غياب المعرفة النظرية، بل غالباً ما يكون مقرونًا بالسفه أو العناد أو اتباع الهوى.

ففي قوله تعالى:(أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)(:٥٥) (٢٩) إشارة إلى الجهل لا بمعنى الجهل النظري، بل صفة تحقيرية تشير إلى مجانبة الحكمة والرشد ومخالفة الفطرة، فالقوم يعلمون قبح الفعل في أصل فطرتهم، لكنهم يفعلونه مع ذلك، فجاء الوصف بالجهل ليدل على السفاهة الأخلاقية.

وكذلك في قوله:(وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)(:١٣٨) (٣٠)

حين طلب بنو إسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلهاً، بعد أن رأوا قومًا يعكفون على أصنام، كان الجهل هنا جهلًا عقديًا يدل على الانقياد لظواهر الباطل وغياب التوحيد الصافي على الرغم مما شاهدوه من الآيات الكبرى، وذلك يكشف ضعف تعظيم الله في قلوبهم.

وفي قوله: إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ٢٩ (٣١) جاء الجهل هنا إشارة إلى سوء التقدير واحتقار أهل الإيمان، إذ ربط النبي نوح عليه السلام بين الجهل وبين إهمال المعيار الأخروي في الحكم على الناس، وذلك يدل على جهل بالقيم الإيمانية لا المعلومات فقط.

وفي قوله:(وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)(:٢٩)(٣٢) وصف هود قومه بالجهل بعد تحديهم واستهزائهم، فجاء الوصف ليدل على الجهل المركب: يعلمون صدقه في قرارة أنفسهم لكنهم يكابرون.

وفي قوله:(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)١١١ (٣٣) يصف الله تعالى المشركين بأنهم يجهلون حقيقة الإيمان ويفسدون دوافعهم

الداخلية حتى لا تنفعهم أعظم الآيات، فجهلهم هنا جهل عنادٍ وصدٍّ عن الحق، لا جهلاً معرفيًا.
فالجهل –كما دلّت عليه النصوص– ليس مجرد غياب للعلم، بل هو انطماس للبصيرة، وانحراف عن فطرة التوحيد، واتباع للهوى، وتنكب عن الصراط المستقيم وهكذا يتبين أن لفظ «الجهل» في هذه الآيات يدل على خلل داخلي في الإرادة أو الفطرة، أو فساد في التصور والسلوك، وهو ما يُعاقب عليه؛ لأنه جهل ناشئ عن الإعراض أو اتباع الهوى أو المكابرة.

الخاتمة:

أبرزت الدراسة أن الكنود حالةٌ سلوكية راسخة من كفران النعمة، وأن الكفر مظلّةٌ عقدية وسلوكيةٌ أوسع تُجسّد الجحود في أعلى درجاته. وتتقاطع الحالتان في تعطيل علاقة العبد بالمنعِم، غير أن القرآن يفتح مساراتٍ عملية للمعالجة: تعميق التوحيد، استحضار النِّعم، ممارسة الشكر قولاً وفعلاً، وترشيد الإنفاق. وتوصي الدراسة بإدماج هذه النتائج في الخطاب التربوي والوعظي، وتفعيل المناهج التي توازن بين بناء المعرفة وترشيد السلوك، بما ينسجم مع بيئة المجتمع العراقي وحاجاته.

الهوامش:

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) انظر المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م، (٤/١٦٥وما بعدها) و مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، (٦٣).

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٦٧.

(٤) سورة الحجرات، من الآية: ٦.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ٢٧٣.

(٦) سورة هود، من الآية: ٤٦.

(٧) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزّبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ)، (٢٨/٢٥٥وما بعدها).

(٨) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، (٨٠).

(٩) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزّبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (٣٣/١٢٨).

(١٠) سورة الأحزاب، من الآية: ٧٢.

(١١) سورة الأعراف، من الآية: ١٧٢.

(١٢) ينظر: التحريروالتنوير(المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس١٩٨٤ هـ، (٢٢/١٢٧وما بعدها).

(١٣) سورة الأحزاب، من الآية: ٧٢.

(١٤) سورة الأحزاب، من الآية: ٧٢.

(١٥) سورة الأحزاب، من الآية: ٧٢.

(١٦) سورة الأحزاب، من الآية: ٧٢.

(١٧) الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت، (٦/ ٦٧٠).

(١٨) سورة الأحزاب، من الآية: ٧٢.

(١٩) سورة الأحزاب، من الآية: ٧٢.

(٢٠) ينظر: التحرير والتنوير، (المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس١٩٨٤ هـ، (١٢٧/٢٢).

(٢١) سورة النحل، من الآية: ٧٨.

(٢٢) سورة النحل، من الآية: ٧٨.

(٢٣) سورة البقرة، من الآية: ٥٢.

(٢٤) ينظر: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس١٩٨٤ هـ، (٢٣١/١٤ وما بعدها).

(٢٥) سورة الأعراف،من الآية: ١٧٩.

(٢٦) سورة الأعراف، من الآية: ١٧٩.

(٢٧) سورة الأعراف، من الآية: ١٧٩.

(٢٨) ينظر: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس١٩٨٤ هـ، (٢٣١/١٤ وما بعدها)، (١٨٣/٩وما بعدها).

(٢٩) سورة النمل، الآية: ٥٥.

(٣٠) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(٣١) سورة هود، من الآية: ٢٩.

(٣٢) سورة هود، من الآية: ٢٩.

(٣٣) سورة الأنعام، الآية: ١١١.



موقف النجف الأشرف من الوجود البريطاني في العراق «١٩١٤-١٩٢٢»

م. م. علي مصدق حسن
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة النجف الاشرف



المستخلص:
تناول هذا البحث موقف مدينة النجف الأشرف، مركز الحوزة العلمية والمرجعية الدينية الشيعية، من الاحتلال البريطاني للعراق بين عامي ١٩١٤ و١٩٢٢م. فقد لعبت النجف دورًا محوريًا في التعبير عن الرفض الشعبي والديني للوجود الاستعماري، وبرز هذا الموقف من خلال المواقف السياسية للعلماء، والفتاوى الدينية، والدعوات إلى المقاومة المسلحة. كما ساهم علماء الدين النجفيون بدور بارز في التحشيد ضد الاحتلال، وكان لهم تأثير مباشر في اندلا ع عدة ثورات وانتفاضات، منها انتفاضة ١٩١٨ في النجف، والمشاركة الفاعلة في ثورة العشرين. وقد مثّل هذا الرفض مزيجًا من الوعي الديني والوطني، إذ اعتبر الاحتلال البريطاني تهديدًا لهوية العراق الإسلامية واستقلاله السياسي.
الكلمات المفتاحية: النجف الأشرف، الاحتلال البريطاني، المرجعية الدينية، ثورة العشرين، المقاومة الشعبية .

Abstract:
This study examines the position of the city of Al-Najaf Al-Ashraf, the center of the Shi›a religious authority and the Islamic seminary (hawza), towards the British occupation of Iraq between 1914 and 1922. Al-Najaf played a pivotal role in expressing both popular and religious rejection of colonial presence. This stance was evident through the political positions of religious scholars, religious decrees (fatwas), and calls for armed resistance. The clerics of Al-Najaf played a prominent role in mobilizing against the occupation and had a direct impact on the outbreak of several uprisings, including the 1918 Al-Najaf uprising and active participation in the 1920 Revolution. This rejection embodied a blend of religious and national awareness, as the British occupation was seen as a threat to Iraq's Islamic identity and political independence
Keywords: Al-Najaf Al-Ashraf – British occupation – religious authority – 1920 Revolution – popular resistance.

المقدمة:
النجف الأشرف مركزاً حيوياً في التاريخ السياسي والديني للعراق، اذ لعبت دورا بارزا في الأحداث التاريخية التي شهدها البلد. انطلاقا من موقعها الجغرافي والتاريخي، تحولت النجف إلى مركز مقاومة ضد الوجود البريطاني في العراق، وجاءت هذه المقاومة في سياق أوسع يتمثل في استجابة السكان المحليين للمؤثرات السياسية والاجتماعية التي طرأت في بداية القرن العشرين. إذ تفاعلت النجف مع الأحداث الكبرى التي مر بها العراق، بدءًا من الاحتلال البريطاني، مرورا بالفتاوى الدينية التي أطلقت من المدينة، وصولا إلى تشكيل حكومات محلية ردا على التحديات من خلال تحليل الموقف النجفي من الاحتلال البريطاني، نستعرض في هذا البحث كيف أسهمت الشخصيات الدينية والسياسية في توجيه الفعل المقاوم، وتأثير ذلك على المشهد الوطني في العراق

أولًا: أهمية البحث:
تنبع أهمية هذا البحث من الدور المحوري الذي أدّته مدينة النجف الأشرف، باعتبارها مركزًا دينيًا وثقافيًا كبيرًا، في مقاومة الاحتلال البريطاني للعراق خلال العقد الأول من القرن العشرين. كما يُسلّط البحث الضوء على التفاعل بين الحوزة العلمية، والمرجعية الدينية، والشارع النجفي، ويُبرز كيف أسهمت المرجعيات في صياغة الوعي الوطني والديني المقاوم للاستعمار، وهو ما يعطي بعدًا تحليليًا لتاريخ الحركات الوطنية العراقية في سياقها الديني والاجتماعي.

ثانيًا: أهداف البحث:

١ . توضيح الخلفيات التاريخية والسياسية للوجود البريطاني في العراق.
٢ . تحليل مواقف علماء النجف ومراجعها الدينية من الاحتلال البريطاني.
٣ . الكشف عن أشكال المقاومة السياسية والدينية والاجتماعية في النجف الأشرف.
٤ . بيان مدى تأثير موقف النجف في الحركة الوطنية العراقية عموماً.
٥ . دراسة العلاقة بين المرجعية الدينية والشعب النجفي خلال هذه المرحلة الحساسة.

ثالثًا: فرضية البحث:

يفترض البحث أن النجف الأشرف لم تكن مجرد مدينة دينية صامتة تجاه الاحتلال البريطاني، بل كانت مركزًا للمقاومة الفكرية والدينية، وأسهمت مواقفها بشكل فعّال في بلورة الوعي الوطني، ورفد الحركات التحررية العراقية بزخم شعبي وديني حاسم.

رابعًا: منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال:

جمع البيانات التاريخية من المصادر الأولية والثانوية مثل الوثائق، والفتاوى، والمراسلات، والتقارير البريطانية.

تحليل المواقف والوقائع المتعلقة بتفاعل النجف مع الاحتلال البريطاني.

دراسة سياق الأحداث وتأثيراتها في تطور الحركة الوطنية العراقية.

خامسًا: إطار البحث:

يشمل الإطار الزمني للبحث الحقبة الممتدة من عام ١٩١٤م (بداية الاحتلال البريطاني للبصرة) إلى عام ١٩٢٢م (تثبيت النظام الملكي المرتبط بالانتداب البريطاني)، ويركز على:

تطور الأحداث في النجف خلال الحرب العالمية الأولى.

موقف العلماء من الاحتلال.

ثورة النجف الأولى والثانية.

دور النجف في ثورة العشرين.

والتزاما منا بمنهج البحث العلمي فقد قسمنا بحثنا هذا الى مقدمه ومبحثين وخاتمه وقائمه مصادر اما المبحث الأول / دور النجف ومقاومتها للاحتلال البريطاني للعراقوشمل :

أولاً: موقف النجف الأشرف من الوجود البريطاني في العراق .

ثانياً: معركة الشعيبة .

ثالثاً:انتفاضة النجف الأشرف ضد السيطرة العثمانية عام ١٩١٥ .

رابعاً: انتفاضة النجف ضد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٨ .

خامساً:حزب النجف الوطني السري:اما المبحث الثاني شمل : دور النجف في ثورة العشرين موقفها من قيام الحكم الوطني في العراق

أذ عولت الدراسة على مصادر متنوعة منها على كتب عبد الرزاق الحسني، مثل تاريخ العراق السياسي الحديث والثورة العراقية الكبرى وثورة النجف بعد مقتل حاكمها مارشال حيث استعرض الحسني تطور الأحداث في العراق بشكل عام، مع التركيز على أحداث النجف ودورها بشكل خاص، محاولاً تحليل أهمية النجف كمركز ديني وثقافي وتأثيرها على الوعي الوطني. كما اعتمد البحث على كتاب جيرترود لوثيان بيل بعنوان فصول من تاريخ العراق القريب، الذي قدم رؤية تاريخية موضوعية حول أحداث النجف خلال حقبة الاحتلال البريطاني، مما وفر سياقا أوسع لفهم دور النجف في المقاومة .وخاتمة , وغيرها من المراجع المثبت في قائمة المصادر والمراجع . ..

المبحث الأول:

موقف النجف الأشرف من الوجود البريطاني في العراق :

شغل العراق موقعا محوريا في السياسة البريطانية منذ أن توجه اهتمامها نحو منطقة الخليج العربي في الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادي. وتنوعت مصالح بريطانيا في العراق لتشمل النواحي الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية، ما جعل من العراق مجالاً حيويًا لنشاطها الاستعماري في المنطقة (١). سعيا لتحقيق تلك الأهداف، بدأت بريطانيا بوضع عدة خطط لاحتلال العراق، وأصبحت فكرة احتلاله، التي كانت مهيأة مسبقا، قابلة للتنفيذ، اذ وضعت الدولة العثمانية في جانب الخصم (٢). أدى ذلك إلى وضع الحكومة العثمانية في موقف صعب، مما دفعها إلى الاستعانة بالسلطة الدينية للخليفة العثماني محمد رشاد الخامس، الذي وجه نداءً إلى المسلمين حول العالم يدعوهم فيه إلى الجهاد ومحاربة الكفار (٣). وحين أعلن الجهاد فعليا في الحادي والعشرين من نوفمبر عام ١٩١٤، كان جهادًا سياسيا أكثر من كونه دينيا من منظور الدولة العثمانية، إذ كان الهدف منه حشد القوى العسكرية والسياسية وتعزيزها ضد قوات الحلفاء (٤).

هب العراقيون استجابة لنداء الجهاد الذي أعلنه علماء الدين، وانضموا متطوعين إلى جبهات القتال في جنوب العراق، وتقدمهم رجال الدين الذين أفتوا بوجوب الجهاد، ورأوا في دعم العثمانيين المسلمين ضد البريطانيين غير المسلمين أمرا لا بد منه. (٥)

تحركت القوات البريطانية المتمركزة في البحرين قبيل اندلا ع الحرب العالمية الأولى بناء على أوامر من الحكومة البريطانية في الهند، وتمكنت من النزول في الفاو دون أي مقاومة تذكر. (٦) بعد دخولهم إلى العراق، بذلت الحكومة العثمانية جهودا كبيرة لاستمالة علماء الدين من خلال إعلان الجهاد. (٧) .

وفي الوقت ذاته، أرسلت الحكومة العثمانية وفدا رفيع المستوى من بغداد إلى مدينة النجف (٨) وقد حظي الوفد باستقبال حافل، اذ عقد اجتماع كبير في الجامع الهندي (٩) حضره عدد كبير من العلماء والأعيان وزعماء العشائر. ومن الجدير بالذكر موقف التيار الإصلاحي، الذي ظل مترددا في تحديد موقفه من دعم العثمانيين أو الابتعاد عنهم، إلا أنه قرر في النهاية المضي في طريق الجهاد والدفاع عن الدين الإسلامي. ألقى السيد سعيد الحبوبي خطابا شجع فيه المسلمين على الانضمام إلى صفوف القتال، وكان من أكثر الداعمين لفكرة الجهاد. (١٠)

ولم يقتصر دور العلماء على إصدار الفتوى فقط، بل قرروا المشاركة بأنفسهم في القتال، رغم أن بعض العشائر كانت غير راغبة في تلبية الدعوة للجهاد، نتيجة لكراهيتها للدولة العثمانية، ومع ذلك، استطاع السيد محمد سعيد الحبوبي بجهوده، إقناع زعماء العشائر بالمشاركة في الحملة، وانطلقت أول قافلة من المجاهدين من النجف الأشرف بقيادة السيد محمد سعيد الحبوبي، اذ كانت القافلة، أثناء مرورها بالمناطق المختلفة، تشجع العشائر على تلبية نداء الجهاد، وتوالت القوافل الجهادية وصولاً إلى ميادين القتال عبر طريق بغداد قاتل المجاهدون القوات البريطانية بشجاعة واستبسال، وتمكنوا من تحقيق الانتصار على القوات البريطانية بصمودهم الملحمي، مما ألحق بالقوات البريطانية خسائر جسيمة، وأجبرها على التراجع إلى الخلف، رغم التفوق الواضح في العتاد والعدد، والذي كان عاملاً مهما في الموقف العسكري. (١١) .

ثانياً: معركة الشعيبة:

تقع جبهة الشعيبة على بعد تسعة أميال جنوب شرق مدينة البصرة، حيث شهدت أرضها معركة ضارية في الحادي والعشرين من نيسان عام ١٩١٥ ، أبدا فيها المجاهدون بطولة نادرة، كان الحضور العلماء في صفوف المجاهدين بقيادة السيد محمد سعيد الحبوبي، دور فعال في المعركة، تضمنت الخطة التي وضعها قائد الجيش العثماني، سليمان العسكري، أن يقوم الجيش العثماني النظامي بالهجوم من المركز، بينما يهاجم المجاهدون من الجانبين، إلا أن المجاهدين أخبروا سليمان العسكري أن هذه الخطة لا تحقق النتائج المطلوبة بسبب تحصينات القوات البريطانية ودفاعاتهم القوية. (١٢) ورغم ذلك، لم يأخذ سليمان العسكري بهذه الآراء وأصر على تنفيذ الهجوم وفق خطته الموضوعة. (١٣)

دارت في الشعيبة معركة كبيرة وحاسمة، اذ احتدم القتال ووصل إلى الاشتباك بالسلاح الأبيض وأبلى فيها المجاهدون

بلاء حسناء في اليوم الثالث من المعركة، قرر البريطانيون التراجع ونقل جرحاهم إلى الخطوط الخلفية، وفي تلك اللحظة الحاسمة قرر العثمانيون أيضا الانسحاب. (١٤)

ومن نتائج هذه المعركة، أن القائد العثماني سليمان العسكري انتحر متأثرا بالهزيمة. (١٥) فضلا عن اعتمد العلماء والمجاهدون على إمكاناتهم الخاصة في تغطية نفقات الجهاد، مما يعد دليلاً واضح التزامهم بحركة الجهاد وإيمانهم بمواجهة الغزو البريطاني. (١٦).

ثالثاً: انتفاضة النجف الأشرف ضد السيطرة العثمانية عام ١٩١٥:

شهدت النجف الأشرف أحداثا دراماتيكية بعد معركة الشعيبة، حيث تعرضت القوات . والمجاهدين لهزيمة قاسية أدت إلى تدفق عدد من الفارين من الخدمة العسكرية إلى المدينة. يعد النزوح نتيجة طبيعية لتدهور الوضع العسكري بعد انتحار قائد القوات العثمانية. في ظل هذه الأقدمت الحكومة العثمانية على إعلان نيتها إعادة هؤلاء الفارين إلى الخدمة، مهددة بإجراءات قد في ذلك فرض التجنيد الإجباري على السكان الأصليين للنجف بالإضافة إلى ذلك، تم فرض باهظة مقابل الإعفاء من الخدمة العسكرية، مما أثار قلق السكان كما انتشرت شائعات

العثمانيين السيطرة على الخزائن الموجودة في العتبة المقدسة لتمويل مجهوداتهم الحربية. (١٧)

تسارعت الأحداث بشكل متلاحق، مما أدى إلى تفشي مشاعر الغضب والاستياء تجاه السلطة الـ

وهو ما ساهم في اندلا ع انتفاضة شعبية ضد تصرفات العثمانيين، التي اتسمت بالكراهية والتعصب(١٨).

بدأت الانتفاضة في ليلة ٢٢ أيار ١٩١٥، عندما هاجم الفارون سور المدينة من جهة محلة المشراق اذ دخلوا البلدة مسلحين بعد أن انضم إليهم عدد من الأهالي. وقد استمرت الاشتباكات لعدة أيام، مما أسفر عن توترات شديدة في المنطقة (١٩) .

نتيجة لهذه المواجهات، تم تأسيس حكومة أهلية في النجف الأشرف، اذاجتمع زعماء المحلات الأربع: المشراق، والبراق، والعمارة، والحويش، إلى جانب الوجهاء والتجار والمثقفين، للتشاور حول تشكيل الحكومة. وقد تم تعيين موظفين مختصين لجمع الضرائب التي تم تخفيضها إلى النصف في إطار هذه الحكومة الجديدة (٢٠). امتدت فترة حكومة النجف الأهلية من ٢٢ مارس ١٩١٥ حتى أواخر تموز ١٩١٧، مما يعكس مرحلة جديدة من التنظيم السياسي في المدينة. (٢١)

رابعاً: انتفاضة النجف ضد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٨:

كانت مدينة النجف الأشرف منذ عام ١٩١٥ حتى ١٩١٧، تحكم نفسها بشكل مستقل. ومع احتلال القوات البريطانية لبغداد يوم الأحد الموافق ١١ آذار ١٩١٧، شكلت حكومة الحرب البريطانية الجنة إدارة ما بين النهرين، التي عقدت أول جلسة لها في ١٩ آذار ١٩١٧ ، أدرك البريطانيون أهمية النجف ودورها السياسي الفعال في المنطقة (٢٢). نظرا لخطورة النجف وقوة نفوذها بين القبائل المحيطة، عمل البريطانيون جاهدين على عزل المدينة رسميا عن أي علاقة بالمناطق الأخرى، مما جعل السور المحيط بها يمثل حدودها الإدارية (٢٣).

قامت القوات البريطانية بإنشاء حاميات عسكرية في مناطق متفرقة من الفرات الأوسط، وكانت الكوفة واحدة من هذه المناطق التي اتخذتها معسكرا لتدريباتها اليومية في الصحراء الواقعة بين النجف والكوفة(٢٤)، تم تعيين الكابتن مارشال معاونا للحاكم السياسي في النجف، وأطلقت فكرة «الجهاد المقدس» ضد أعداء الدين، التي نادى بها العلماء من النجف الأشرف في هذا السياق، بادر الحاج نجم البقال، الذي كان متحمسا للثورة، بتقديم موعد انطلاقها، رغم عدم التفاهم الكامل مع العشائر لضمان الاستعدادات اللازمة، كان الدافع وراء تقديم شرارة الثورة هو الحاجة إلى البدء بها قبل أن يحقق البريطانيون انتصارا نهائيا على الأتراك في العراق. قاد نجم البقال مجموعة لاقتحام السراي، حيث دارت معركة استمرت ربع ساعة أسفرت عن مقتل الكابتن مارشال (٢٥).

هكذا، اشتعلت نيران الانتفاضة في النجف الأشرف ضد البريطانيين، ورغم محاولات بعض الوجهاء والعلماء للوساطة والإصلاح بين الطرفين، لم تجدي هذه الجهود نفعا توسعت الانتفاضة، ووقفت مدينة النجف الأشرف موحدة بكل

قواها لمواجهة الخطر الخارجي (٢٦)،في أعقاب مقتل الكابتن مارشال واجهت الحكومة البريطانية خيارين معقدين، كان الخيار الأول يتعلق بمكانة النجف كمدينة مقدسة لدى المسلمين في جميع أنحاء العالم؛ اذ إن قصف المدينة واستخدام المدافع ضدها سيوفر فرصة ثمينة لخصومهم، بما في ذلك الأتراك والألمان، في إيران ودول إسلامية أخرى، للتحريض ضد الإدارة البريطانية في العراق. (٢٧)،أما الخيار الثاني، فقد تمثل في أن عدم اتخاذ أي إجراء بعد حادثة مقتل مارشال قد يشجع القبائل الأخرى على الاقتداء بالانتفاضة في النجف، مما قد يؤدي إلى اندلا ع تمردات أكثر خطورة. (٢٨)،نتيجة لذلك، قررت السلطات البريطانية تنفيذ خطتها في ٢٥ آذار ١٩١٨ ، اذ أعلن وزير الخارجية البريطاني بلفور فرض حصار على مدينة النجف يستمر حتى استسلام الثوار. كما تم فرض غرامة قدرها ١٠٠٠ بندقية و ٥٠٠٠٠٠ روبية يجمعها رؤساء المحلات المتورطة في الانتفاضة، إضافة إلى تسليم١٠٠ شخص من تلك المحلات كأسرى حرب لنقلهم إلى خارج النجف. (٢٩).

على الرغم من الحصار المفروض، لم يستسلم أهالي النجف في الأيام الأولى، بل قاموا بمحاولات لكسر الحصار، والتي بدأت على مستوى عسكري اقتحامي في ٢١ آذار ١٩١٨ (٣٠)

أحدث الحصار المفروض على مدينة النجف، إلى جانب الشروط التي وضعها البريطانيون الرفعه عن المدينة المقدسة، ردود فعل واسعة في كل من العراق وإيران إذ انهالت الرسائل على المسؤولين البريطانيين من قبل الزعماء الدينيين، يطالبون فيها بالعفو عن النجف. أما على المستوى الرسمي، فقد أعربت الحكومة الإيرانية للسفير البريطاني في طهران عن مخاوفها من أن يؤدي خبر حصار النجف إلى إثارة مشاعر دينية قد تنعكس بعواقب لا تحمد كذلك أرسلت الحكومة الهندية البريطانية برقيات تعبر فيها عن قلقها من احتمال وقوع نتائج وخيمة بسبب الإجراءات الصارمة التي اتخذها الإدارة البريطانية في العراق بحق النجف. كما تلقى الموظفون البريطانيون في مناطق متعددة من العراق رسائل تهديد بالاغتيال (٣١)

دفعت كل هذه المستجدات بريطانيا إلى تغيير سياستها في المنطقة أثناء الحصار، خشية انقلاب العشائر في الفرات الأوسط ضدها. فأقدمت على تخفيف الضرائب عنهم، كما تقربت إلى بعض شيوخهم وقدموا لهم الرشاوى بالإضافة إلى تقديم البذور والمساعدات وحفر بعض الأنهار وتطهير مناطق محددة في مسعى منها للتظاهر بحسن النية والحرص على احترام الدين الإسلامي استمرت سلطات الاحتلال البريطاني في تطبيق خطتها بدقة، مستهدفة بث وزرع بذور التفرقة بين الأهالي والثوار، وقد نجحت في ذلك بشكل ملحوظ (٣٢). عد تهدئة العشائر وضمهم كحلفاء، شكلت الحكومة البريطانية في الكوفة محكمة عسكرية لمحاكمة الثوار، حيث ترأس المحكمة الكولونيل لجمن (٣٣)،أصدرت المحكمة العسكرية أحكاماً بإعدام أربعة عشر ثائراء ونفذت أحكام الإعدام في أحد عشر منهم في خان عبد المحسن شلاش بالكوفة فجر يوم الثلاثاء الموافق ٣٠ مايو ١٩١٨. أما الثلاثة الآخرون، فقد شملهم تغيير في العقوبات حيث استطاع عباس الخليلي الهرب إلى إيران وصدر حكمه غيابياً، بينما خففت عقوبة السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري من الإعدام إلى النفي والإقامة الجبرية في المحمرة، وذلك بعد تدخل الشيخ خزعل لدى البريطانيين (٣٤)، وحكم على تسعة آخرين بفترات سجن تتراوح بين ست سنوات والسجن المزيد بالإضافة إلى إصدار حكم بنفي ١٢٣ شخصا إلى الهند كأسرى حرب (٣٥).

بهذه الصورة، انتهت انتفاضة النجف حيث كان البريطانيون يعتقدون أنهم قد تجاوزوا أصعب الظروف الحرجة التي واجهوها بعد الاحتلال البريطاني للعراق، وأن الأمور قد عادت إلى طبيعتها بعد تلك النهاية المأساوية، ومع ذلك، تبين أن هذه الأحداث ليست مجرد حدث عابر ، بل كانت بداية لفترة جديدة من التوترات بين النجف والسلطة الاستعمارية البريطانية، مما أدى إلى سلسلة من الأحداث التي انتهت بالثورة العراقية الوطنية الكبرى (٣٦).

خامساً: حزب النجف الوطني السري:

أدى تطور الأوضاع في النجف بعد مقتل الكابتن مارشال وما ترتب على ذلك من عواقب ثقيلة على السكان إلى قيام

عدد من الشخصيات المنثورة من رجال الدين ومجموعة من الشباب النجفي بتأسيس حزب النجف الوطني السري في ٣ تموز ١٩١٨ (٣٧).

كان هدف الحزب هو تحقيق استقلال العراق وتأسيس حكومة وطنية، ومن بين أبرز أعضائه الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد جواد الجواهري ومحمد سعيد كمال الدين ومحمد رضا الصافي ومحمد باقر الشبيبي وحسين كمال الدين وسعد صالح وأحمد الصافي النجفي ومحمد علي كمال الدين وعلي الشرقي (٣٨). بذل قادة الحزب جهودا كبيرة لكسب دعم رجال الدين وشيوخ العشائر في الفرات الأوسط وسادتهم من أجل دعم قضيتهم، وقد حققوا نجاحاً ملحوظاً في ذلك، حيث اعتبروا أن هذا الدعم شرط أساسي لنجاحهم، وكانوا محقين في ذلك (٣٩). وبفضل نشاطاتهم في تعزيز الحركة الوطنية، تمكنوا من كسب تأييد شخصيات مثل علوان الياسري وكاطع العوادي وعبد الواحد الحاج سكر وعلوان الحاج سعدون وغثيث الحرجان وشعلان أبو الجون. كما تمكنوا من إقناع المجتهدين من رجال الدين بأن للبلاد الحق في المطالبة بالحقوق الوطنية، فأفتى معظمهم بضرورة أن تكون المطالب أدبية فقط (٤٠).

انتشرت أهداف الحزب ومطالبه الوطنية في مختلف المدن العراقية، مما أسفر عن وجود عدد كبير من المعتمدين له. وبعد استقرار التنظيم الحزبي، تولى الشيخ محمد رضا الشبيبي رئاسة مكتب النجف وأصبح الوسيط المعتمد للتنسيق بين الحركة الوطنية في بغداد والنجف خلال هذه الحقبة (٤١). كان المكتب النجف مساهمات عديدة، من أبرزها توليه توزيع المنشورات السرية والصحف الواردة من سوريا ومصر وغيرها. كما عمل المكتب على إقناع المرجع الديني الشيرازي بالانتقال من سامراء إلى كربلاء بدلاً من النجف، وذلك بهدف منع ظهور الفعاليات المؤيدة للإنجليز في كربلاء وزيادتها. كذلك قام المكتب بنشر العلم العربي الوارد من سوريا وتوزيعه في جميع مدن الفرات الأوسط، بالإضافة إلى توزيع المنشورات التي تتضمن سير المعارك وأخبار الثورة في مختلف الميادين. كما نشر الحزب جريدة الفرات وعين محمد باقر الشبيبي رئيساً لتحريرها، فضلاً عن إصدار جريدة الاستقلال التي حررها محمد عبد الحسين (٤٢).

المبحث الثاني: دور النجف في ثورة العشرين وموقفها من قيام الحكم الوطني في العراق:

أولاً: موقف النجف من الاستفتاء ودورها في ثورة العشرين:

في وقت مبكر، أدرك البريطانيون رفض العراقيين للاحتلال، وبدأوا يستشعرون صعوبة إدارة العراق بطريقة مباشرة كما هو الحال في مستعمراتهم الأخرى، مما دفعهم إلى تعديل استراتيجياتهم (٤٣)،استمرت الاتصالات والمراسلات بين نائب الحاكم الملكي العام في العراق ووزارة الهند البريطانية، لاسيما بعد أن تآكلت الأساليب التقليدية في حكم المستعمرات في مواجهة العرب. وعليه، أرسلت وزارة الهند برقية إلى ولسن في (٣٠) تشرين الثاني (١٩١٨) تفيد بـ ((أن حكومة صاحب الجلالة ستساعد على تأسيس حكومة وطنية في المنطقة المحررة كجزء من سياستها، وأنها لا تنوي فرض أي حكومة على الأهالي تكون غير مرغوبة لديهم)). كما قدمت الوزارة العديد من التوجيهات إلى ولسن حول ما إذا كان العراقيون يرغبون في دولة عربية تحت الوصاية البريطانية، ومن هو الرئيس الذي يفضلونه في هذه الحالة (٤٤)، نتيجة لهذه التوجيهات، اضطر ولسن إلى إجراء استفتاء محدود لمعرفة آراء العراقيين حول مستقبل بلادهم السياسي. أرسل نسخة من البرقية التي تلقتها وزارة الهند إلى جميع ضباط الارتباط، مرفقاً بها التعليمات المتعلقة بكيفية إجراء الاستفتاء. وتبين من التعليمات التي أرسلها ولسن إلى الضباط أنه لن يسعى إلى فرض آرائه الخاصة مسبقاً حول نتائج الاستفتاء، اذ ذكر على سبيل المثال: ((لا) تقبل سوى الأجوبة المرضية والملائمة لنا. فإذا تأكد الضابط من وجود هذه الأجوبة، كان عليه أن يعقد اجتماعاً لتلخيص الأجوبة وتدوينها، ثم يوقع عليها أكبر عدد من الشخصيات، ويخبرهم أن إجاباتهم سترسل إلى ولسن، وأنا بدوري سأرفعها إلى الحكومة البريطانية. لكن إذا استشعرتم أن الرأي العام ضدنا، فعليكم تأجيل عقد مثل هذا الاجتماع واخباري بالأمر كي أبعث إليكم تعليماتي)) (٤٥).

يمكن الاستنتاج أن الجهات المعنية أرادت استغلال فرصة الاستفتاء لإثبات صحة موقفها تجاه الشكل الملائم للحكم في العراق، كما سعت لإظهار أن العراقيين يرغبون من تلقاء أنفسهم، في الحكم البريطاني المباشر. (٤٦)

إلا أن الاستفتاء لم يجز بشكل جيد، وخصوصا في المدن المقدسة، ففي مدينة النجف، كانت السلطات البريطانية تعتقد أن الاستفتاء سيسير وفق رغباتهم، زاعمين أن العقوبات السابقة قد أرعبت أهالي النجف والمناطق المجاورة، مما دفعهم إلى عدم الجرأة على القيام بأي تحركات معارضة للبريطانيين. (٤٧) ,ومع ذلك، كانت النجف من أولى المناطق التي شهدت الاستفتاء، حيث انتشر نشاط واسع نتيجة لهذا القرار، وتم تبادل العديد من الرسائل بين الزعماء في كربلاء. (٤٨), وقبل يوم الاستفتاء، توجه رؤساء العشائر إلى النجف بإشراف السيد علوان الياسري للتفاهم معهم اذ بدأ أعضاء حزب النجف السري بالتواصل مع أبناء المدينة. وتوصل الطرفان إلى اتفاق لإحباط مساعي البريطانيين والمتعاونين معهم، بعد أن نقل لهم مصطفى خرم السوري، (٤٩) بواسطة سعيد كمال الدين، ما خطط له البريطانيون بشأن الاستفتاء. (٥٠)إن الإجراءات التي اتخذتها الإدارة البريطانية في كل من النجف وكربلاء وبغداد، بهدف الحصول على إجابات ملائمة بشأن قضية الاستفتاء، أسفرت عن فشل الاستفتاء وأظهرت بوضوح غبات العراقيين الحقيقية. هذا الأمر عكس صورة غير دقيقة نقلها ولسن إلى حكومته، مما أدى إلى تضليل الحكومة البريطانية ومنحها انطباعًا غير صحيح عن أراء العراقيين. وقد كان لهذا الانطباع تأثير كبير في تمهيد الطريق لقيام حركة معارضة عنيفة ضد البريطانيين في البلاد. فضلاً عن ذلك، كان للوجهاء في المحافظات نشاط فعال بدأ بالحركة السياسية. .

وانتهى باستخدام القوة المسلحة. وقد اعترف الضباط السياسيون في مختلف مناطق العراق بأنهم مارسوا أنواعا مختلفة من الضغط والإكراه للوصول إلى الآراء المطلوبة، التي أكد عليها ولسن (٥١). عندما جاءت إجابات الاستفتاء ضد رغباتهم، امتنع الحكام عن تسليم المضابط التي تحتوي على أحكام وطنية، بما في ذلك مضابط النجف والشامية وما حولها من العشائر، وعلى إثر ذلك، قرروا الاتصال بالشريف حسين ملك الحجاز، واختاروا الشيخ محمد رضا الشبيبي ليمثلهم. كما نظموا مضابط عديدة تؤيد انتداب الشبيبي, شرح ما جرى في العراق، وطلبوا إنشاء حكومة وطنية دستورية مستقلة، مؤكدين استعدادهم للتضحية بالنفس والنفيس من أجل تحقيق هذه الغايات، إذا لم تستجب بريطانيا لمطالبهم. (٥٢), قام كبار زعماء النجف من علماء وسياسيين بتوقيع المضابط في كربلاء، بالإضافة إلى زعماء العشائر وبعض رجالات الحملة. وقد تم نقل هذه المضابط داخل جلود المصاحف لتجنب اكتشاف الحكومة لها. (٥٣), في نهاية شهر تموز، غادر محمد رضا الشبيبي النجف متوجها إلى الشطرة، ثم الزبير، وصولا إلى مكة عند وصوله التقى الملك حسين وقدم له المضابط مع رسالة الشيرازي. وقد قام الملك حسين بإرسال هذه المضابط إلى الأمير فيصل، الذي كان يشارك في مؤتمر الصلح في باريس وطلب منه الدفاع عن حقوق العراقيين، كما أرسل جوابا على رسالة الشيرازي (٥٤), اتخذ البريطانيون تشكيل المجالس البلدية ذريعة لإشغال المواطنين، حيث اعتبروها شكلا من أشكال الحكم الذاتي والاستقلال السياسي، بهدف احتواء المطالب الوطنية، وفي ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٠ عقد اجتماع أظهر للجميع أن مهام هذه المجالس كانت محصورة في قضايا هامشية، مثل الزراعة والخدمات والصحة، دون أن تحمل قيمة حقيقية للمواطنين (٥٥).

بعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي في ٣٠ نيسان عام ١٩١٩ تعززت مواقف الحركة الوطنية الإصلاحية بزعامة المجتهد محمد تقي الحائري الشيرازي، الذي أصبح رمزا للزعامة الدينية في تلك الفترة (٥٦) تركزت جهود قادة الحركة الوطنية، من أبناء المدن وزعماء القبائل، على إقناع الشيرازي بقدرة القبائل واستعدادها لمواجهة البريطانيين. وقد دعمهم في هذه الدعوة محمد رضا، نجل الشيرازي الذي ساهم في إقناع والده بأهمية التحرك الثوري (٥٧)

ثانياً: مؤتمر كربلاء:

تعتبر زيارة النصف من شعبان من أهم المناسبات في كربلاء، حيث استغلت هذه المناسبة الدينية المفاتحة محمد تقي الشيرازي بموضوع الثورة، وقد تزامنت هذه المناسبة الدينية مع ٤ أيار عام ١٩٢٠، اذ شهدت حضور عدد كبير من رؤساء القبائل ورجال الدين تم التخطيط المسبق لعقد اجتماع سري، اذ تم دعوة المشاركين لعقده ليلاً في دار أبي القاسم، حيث ناقشوا مسألة القيام بالثورة الإسلامية. تم اختيار خمسة من الحاضرين المفاتحة الشيرازي في شأن الثورة، الذين حضروا إلى دار الشيرازي برفقة نجله محمد رضا، حيث اقترح عليهم أن يكون رد والده هو الإفتاء

والتصريحبالثورة. (٥٨).

قرر زعماء الفرات الأوسط عند اجتماع كبير في ٢٨ حزيران ١٩٢٠، حضره جميع الرؤساء لمناقشة الحالة السياسية التي تمر بها البلاد، وذلك في مضيف عبد الكاظم آل سكر، شيخ آل فتلة.

كما حضر الاجتماع ممثل عن حزب النجف الوطني السري. في هذا السياق، قام الحاضرون بكتابة رسائل إلى بني حجيم، وباقي القبائل الأخرى، موضحين لهم عدم جدوى المطالب السلمية وأن الحقوق لا تؤخذ إلا بالقوة. (٥٩)، نتيجة لتسارع الأحداث وتطوراتها من جهة، والعناد البريطاني من جهة أخرى، قرر رؤساء القبائل البدء في إعلان الثورة، بحيث تكون أول راية ترفع هي راية السيد نور الياسري، لما لذلك من تاثير معنوي في أوساط القبائل العربية. وقد كان أول عمل يقوم به الثوار هو الاستيلاء على حامية أبو صخير (٦٠)، انسحب البريطانيون من النجف نتيجة لتفاقم الأحداث والوضع العام في الفرات الأوسط، حيث لم يبق هناك سوى رمزية. فتقدم الثوار للهجوم على سراي الحكومة واستولوا على ٢٠٠ بندقية. أما الكوفة، التي ظلت تحت السيطرة البريطانية، فقد تم الاتفاق الأولي بين الحاكم السياسي والثوار على هدية لمدة أربعة أيام، وسحب حامية أبو صخير إلى الكوفة، لكن الهدية قد خرقت بعدما تنفس البريطانيون الصعداء واهتموا بإمداد حامية الكوفة بالعتاد والسلاح (٦١)حاول البريطانيون إرهاب أبناء مدينة الكوفة والثوار، حيث قامت الطائرات بقصف المدينة، مما أدى إلى مقتل ٢٣ من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء (٦٢).. لكن استطاع الثوار تضييق الحصار على الحامية البريطانية في الكوفة، خصوصا بعدما تمكنوا من إغراق الباخرة البريطانية قاير فلاي المرابطة أمام الحامية، وذلك بواسطة مدفع غنموه في معركة أرانجيه، التي وصفها الجنرال هولدن بأنها كانت كارثة على بريطانيا. وقد لعبت النجف دورا قياديا في إدارة العمليات العسكرية والإعلامية، وعملت جاهدة على إيصال فكرة الثورة وأهدافها (٦٣).

يمكن تلخيص الصدى الإعلامي للنجف من خلال صحيفتي الفرات» و «الاستقلال» النجفيتين اللتين تعدان من أبرز ما تركته ثورة العشرين الوطنية. لقد كان لهما أثر كبير في توضيح مدى وضوحوتكامل فكرة الاستقلال السياسي التام لدى قادة الثورة، حيث ظهرت هذه الأفكار بشكل لا يمكن إنكاره. كما أظهرت صحيفتا الثورة في النجف استهتار البريطانيين بالدين الإسلامي والعتبات المقدسة (٦٤).

تجسد الصحيفتان بعمق الطابع الوطني والقومي الأهداف الثورة، إذ كان المحتوى الفكري والمضمون السياسي لهما يشير إلى أن دوافع ثورة العشرين كانت مركزة على محاربة الاستعمار البريطاني. كما عبرت هذه الصحف عن كراهية الشعب العراقي التي لم تتوقف عند سلطات الاحتلال البريطاني فحسب، بل امتدت لتشمل جميع دول الحلفاء، اذ وجدوا في هذه الدول نكثا للعهود وتجاوزا على الحقوق القومية لجميع الأمم وقد أظهرت الثورة في النجف تحسنا قوميا مبكرا تجاه مسألة تقسيم الاستعمار للوطن العربي حذرت من سعي الغرب الحثيث نحو الاستعمار (٦٥). الصحيفة «الفرات» في مقدمة الصحف العراقية التي انتهت ثورة العشرين بسبب عدم تكافؤ القوى بين الثوار والبريطانيين من حيث السلاح، والعتاد اذ اعتمدت القوات البريطانية على قصف الطائرات المكثف. نتيجة لذلك، أعيد احتلال الكوفة في ١٨ تشرين الأول ١٩٢٠، وفي اليوم نفسه، وصل وفد من النجف إلى مقر اللواء ٥٥ في الكوفة وعرض تسليم المدينة، وفي اليوم التالي، تم تسليم ١٦٨ أسيراً تابعين للحكومة البريطانية. فرضت السلطات على المدينة غرامات ضريبية كبيرة تتعلق بالسلاح والعتاد، كما طلبت تسليم بعض الشخصيات البارزة مثل حسن فتح الله وجل شيخ الشريعة وعبد المحسن شلاش والشيخ محمد الجواهري، الذين تم تسليمهم واعتقالهم في الكوفة. وفي ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠، دخل اللواء ٥٥ مدينة النجف، مما أعاد الإدارة البريطانية إليها مرة أخرى أدركت بريطانيا أنها لم تعد قادرة على حكم العراق بصورة مباشرة، مما دفعها إلى تعديل سياستها تجاه الوجود البريطاني في العراق، عبر تشكيل حكومة مؤقتة تهدف إلى إزالة سوء التفاهم وإنهاء الثورة بصورة سلمية بالتوسط للتفاوض بين الطرفين. (٦٦).

أدركت الحركة الوطنية في النجف أن حكومة عبد الرحمن النقيب هي صنيعة بريطانية، وواجهت لجنة الانتخابات العراقية

بالانتقادات، معتبرة إياها غير شرعية كما تم الإشارة إليه في جريدة الاستقلال. (٦٧). وهكذا، واجهت وزارة النقيب معارضة من الوطنيين بشكل عام، والحركة الوطنية في النجف بشكل خاص، اذ كانوا يطالبون بعقد مؤتمر عام بدلاً من حكومة مؤقتة، وعليه عملت النجف الأشرف على عدم المشاركة في وزارة عبد الرحمن النقيب (٦٨). على الرغم من محاولات السلطات البريطانية في تقييد الأوساط الوطنية في مدينة النجف والحد من تأثيرها، استمرت المدينة في أداء دورها الوطني والقومي، كانت بعض القرارات السياسية تتخذ من قبل العناصر الوطنية في المدن المقدسة، وعلى رأسها مدينة النجف، والتي عانت تشكيلاتها الإدارية الجديدة من عوامل الضعف.

أبرزها عدم توفر الثقة الكاملة بين المواطنين والمستشارين البريطانيين يتبين مما سبق أن الثوار الوطنيين ظلوا يصرون على تأليف حكومة منتخبة من قبل الشعب لتكون قادرة على تحقيق آمالهم في الحرية والاستقلال. موقف النجف من ترشيح وتتويج الأمير فيصل بن الحسين تعد النجف الأشرف واحدة من المدن العراقية الرائدة التي سعت إلى الاستقلال وكافحت من أجل تحقيقه، حيث كانت تتمتع بوعي سياسي مبكر ساهم في تكوين حكومة عراقية مستقلة (٦٩). عندما انعقد المؤتمر العراقي في دمشق في الثامن من آذار عام ١٩٢٠، وقرر اختيار الأمير عبد الله ملكا على العراق، نادى أهالي النجف في اجتماعهم السياسي الكبير، الذي عقد في المسجد الهندي في العاشر من حزيران ١٩٢٠ ، بترشيح الأمير عبد الله ملكا (٧٠).

في أواخر تموز عام ١٩١٩، أوفدت النجف الشيخ محمد رضا الشبيبي إلى الحجاز لنقل تفاصيل الوضع في العراق ومطالب الشعب إلى الشريف حسين بشأن إنشاء حكومة عربية دستورية برأسها أحد أنجاله، كما أرسلت العديد من البرقيات من شيوخ العشائر ووجهاء المدن في الفرات الأوسط إلى الشريف حسين، تناشده بإرسال فيصل إلى العراق الاعتلاء عرشه (٧١).

على الرغم من أن الأنظار كانت متجهة في البداية نحو الأمير عبد الله بن الحسين، إلا أن المجلس الحربي الأعلى للثورة وافق على مبايعة الأمير فيصل للعرش بدلاً من الأمير عبد الله. وصل الأمي فيصل إلى البصرة في الثالث من حزيران ١٩٢١ على متن الباخرة، حيث أقيم له احتفال حافل الاستقباله، ثم تابع رحلته إلى بغداد. اختار الأمير فيصل يوم ٢٣ آب ١٩٢١ موعدا لتتويجه، ليتوافق مع يوم ١٨ ذي الحجة ١٣٣٩ هـ، وهو يوم عيد الغدير الذي بويع فيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. أراد الأمير فيصل من خلال اختياره هذا اليوم التذكير بأنه ينتمي إلى سلالة الإمام علي عليه السلام، الخليفة للمسلمين، وجرت مراسم التتويج في احتفال أقيم في ساحة القشلة في بغداد (٧٢).

كان وصول فيصل إلى العراق قد حدث قبل شهرين فقط، ومع ذلك، تمكن خلال هذه الحقبة الزمنية القصيرة من ترك بصمة واضحة على البلاد. ساعده بشكل كبير الدعم البريطاني لترشيحه ولكن شخصيته وطبيعته لعبتا أيضا دورا مهما في إقناع النخب المتشككة أو غير المبالية بأنه كان خيارا مرضيا بالنسبة للبعض، كان فيصل يمثل الخيار الملهم لقيادة البلد , كان فيصل يدرك أن الطريق أمامه مليء بالمشاكل المعقدة والقضايا التي قد تكون صعبة التوفيق بينها، كان ولاء مواطنيه الجدد للمملكة الجديدة أمرا ضروريا، ولكن كانت قدرته على إدارة مطالب الجماعات المختلفة التي تتنافس.

لتحديد شكل وتوجه الدولة ببراعة أمرا مهما أيضا. وقد تأكدت مكانته عندما ورد اسمه في خطب الجمعة إلى جانب الخليفة العثماني كان ملك العراق بلا منازع، لكنه لم يكن بارزا بعد في البلد، مما يتطلب منه تحقيق ذلك بصعوبة على مدى السنوات القليلة المقبلة. اذ قام ببناء قاعدة سلطته ونفوذه بشق الأنفس، وسحب المزيد من القوة من البريطانيين لتوسيع نطاق استقلال العراق. وستعتمد طريقة أدائه أثناء عهده وكيفية تقدم العراق كدولة مستقلة كليا على نتيجة هذا الصراع المديد. (٧٣)

موقف النجف من معاهدة عام ١٩٢٢:

تعد معاهدة عام ١٩٢٢ واحدة من المعاهدات العراقية البريطانية الأولى التي تم المصادقة عليها من قبل مجلس الوزراء. ومع ذلك، ظلت هذه المعاهدة غير فاعلة ما لم يصدق عليها المجلس التأسيسي المزمع عقده في الأيام المقبلة. في هذا

السياق، أدركت الحركة الوطنية أهمية استغلال هذه المحطة للضغط من أجل تعديل أو إلغاء المعاهدة، لذلك، قام الوطنيون بالدعوة إلى مقاطعة انتخابات المجلس التأسيسي، واتصلوا بالعلماء، وعلى رأسهم السيد مهدي الخالصي، بعد صدور الأمر بإقامة الانتخابات في ٩ تشرين الثاني ١٩٢٢، أصدرت المراجع الدينية فتوى بمقاطعة الانتخابات، حيث جاء فيها: (... لا يجوز الانتخابات ومن انتخبه خرج من ربقة الإسلام، لأن الانتخابات بنيت على أساس مخالف لرغائب الأمة العراقية بواسطة السلطة العسكرية والمعتمد الذي أسس بالقهر والقوة، وغلق الأحزاب الموافقة لرغائب الأمة وشتت جمعها. وقد وقعت الفتوى من قبل العديد من المجتهدين (٧٤).

لقد كان للفتوى التي أصدرها علماء الدين تأثير سلبي على سير الانتخابات، وفي ضوء ذلك، استقالت بعض الهيئات الانتخابية التي تشكلت في كربلاء والحلة والكوفة، وتوقف الانتخاب في مناطق مختلفة من العراق (٧٥).

. نظراً للمكانة الدينية السامية التي تتمتع بها المناطق المقدسة في كربلاء والنجف في نفوس أهالي منطقة الفرات الأوسط والمناطق المجاورة، والتي تتأثر بتوجيهات المرجعية الدينية، كان تأثير زعامتها الروحية كبيراً، مما جعل السلطات تخشى هذا التأثير، وقد فكرت السلطات في عزل المنطقة ومحاربة رجال الدين، حيث قامت بنفي بعضهم (٧٦).

الخاتمة:

في ختام هذا البحث، يتبين :

١-أن موقف النجف الأشرف من الوجود البريطاني في العرق كان معيزا عن إرادة الشعب في مقاومة الاحتلال واستعادة السيادة.

٢-لم يكن الجهاد الذي انطلق من المدينة مجرد استجابة دينية فحسب، بل كان تجسيدا لحركة وطنية شاملة تتأصل في جذور التاريخ العراقي.

٣- لقد اثبتت النجف، من خلال انتفاضاتها ومواقفها الرافضة، أنها ليست مجرد مدينة مقدسة، بل مركز مقاومة له تأثيره العميق على مسار الأحداث الوطنية.

٤- إن دراسة هذه الفترة التاريخية تكشف عن ديناميكيات الصراع بين القوى الاستعمارية والشعوب المستعمرة، وتعكس تعقيدات الهوية العراقية التي تشكلت في سياقات متعددة من خلال إلقاء الضوء على دور النجف .

٥-يمكننا فهم التحولات السياسية والاجتماعية التي أدت إلى تأسيس الهوية الوطنية العراقية وتطوير الوعي الوطني.

الهوامش:

١-إبراهيم خليل محمد، وجعفر عباس حميدي تاريخ العراق المعاصر الموصل: ١٩٨٩)، ص ١٠٩

٢-علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (بغداد: مطبعة المعارف، (١٩٦٣)، ص٧٦.

٣-جورج التشيفسكي الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة جعفر الخياط، ج١ (بغداد: دار المثنى، ١٩٦٤)، ص٤٣.

٤-عبد الله الفياض الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، ٢٥ بغداد: مطبعة دار السلام (١٩٧٥)، ص ١٠٨.

٥-عبد الحسين مبارك ثورة العشرين في الشعر العراقي ها، بغداد: دار البصري (١٩٧٠)، من ٣٢ سليم الحسني.

دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ١٩٠٠-١٩٢٠، البنان: ١٩٩٥)، من ٧٥

٦-شكري محمود الديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، ٢، بغداد: ١٩٦٤)، ص ٢٢

٧-جير ترود لوتيان بيل، فصول من تاريخ العراق الغريب، ترجمة جعفر الخياط بغداد: ١٩٧١)، ص ٧

٨-دهد حسين علي ويسين، تاريخ النحف في العهد العثماني الأخير (١٨٣١ ١٩١٧)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص ٥٧

٩-م الجامع الهندي نسبة إلى بانيه من الهنود، وهو أكبر جامع في النجف الأشرف يبعد عن المراد العلوي بمسافة (٣٠)

١٠-. حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنجليز، دار الحرية بغداد، (١٩٧٠)، ص ٩٠

١١-عبد الرزاق الدراجي، جعفر أبو الثمن ودوره في الحركة الوطنية ١٩٠٨ - ١٩٤٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة

بغداد، ١٩٧٨، ص ٤٢.

١٢–عبد الرحمن البزاز ، العراق من الاحتلال إلى الاستقلال، ط ٢ (القاهرة: (١٩٧٠)، ص ٤٠.

١٣. محمد طاهر العمري، تاريخ مقدسات العراق السياسية، ج ٢، بغداد (١٩٢٥)، ص ٩٠

١٤. حميد أحمد حمدان التميمي، البصرة في زمن الاحتلال البريطاني ١٩١٤–١٩٢١، مطبعة الإرشاد بغداد .ص ٣–٦.

١٥. حميد أحمد حمدان التميمي، المصدر نفسه، ص ٥٥.

١٦ . جير ترود لوثيان بيل، المصدر السابق، ص ٣–٦.

١٧. جير ترود لوثيان بيل المصدر نفسه، ص ٩٢ – ٩٣

١٨. أسعد الشبيبي، «البلاغ»، العدد التاسع، السنة الرابعة، ١٩٧٥،

٩١. على الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (بغداد: ١٩٦٣)، ج ٤، ص ١٨٩

٢٠ مذكرات محمد رضا الشبيبي، البلاغ العدد السادس السنة الرابعة، ١٩٧٥.

٢١ عبد الله القياض، المصدر السابق ، ص ١٨١

٢٢ حسن الأسدي، المصدر السابق، ص ٢١٣

٢٣–على الوردي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٢

٢٤– وهو نجم بن عبود بن فرج الدليمي المعروف بالبقال الامتهانه مهنة البقالة، ولد في مدينة الرمادي، خرج مع والده إلى مدينة الحلات، ثم غادر مع أبيه إلى مدينة النجف وسكن في محلة المشراق سنة ١٨٥٩ انتسب إلى جمعية النهضة الإسلامية، وقد تجاوز عمره الستين نفذ عملية اغتيال الكابتن مارشال في ١٩ آذار ١٩١٨، وحكم عليه بالإعدام من قبل السلطات البريطانية. ينظر :كريم وحيد صالح نجم البقال قائد ثورة النجف الكبرى ضد الاحتلال الإنجليزي عام ١٩١٨ (مطبعة النعمان النجف (١٩٨٠).

٢٥ –جير ترود لوثيان بيل المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٧

٢٦ أمين سعيد الثورة العربية الكبرى، ج ٢، ق ٢ (القاهرة، دست)، ص ٣٠.

٢٧ حسن الأسدي، المصدر السابق، ص ٣٥٨.

٢٨ لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٥٠ ، ص ١٦٢.

٢٩ جريدة العرب العدد (٨٤) في (٩) نيسان (١٩١٨).

٣٠ للاطلاع على تفاصيل الحصار. ينظر : مذكرات محمد رضا الشبيبي المصدر السابق، ص ٢٩٤–٣٢٥.

٣١– عبد الستار شتين الجنابي، تاريخ النجف السياسي ١٩٢١–١٩١ (بغداد: ١٩٢١)، ص ٤٨.

٣٢. عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها مارشان (صيدا: مطبعة العرفان (١٩٨٢)، ص٢٤–٢٥

٣٣عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث (بيروت: دار النهار، (١٩٧٣)، ص ١٠

٣٤. جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، ج١، بغداد: دار التعارف، (١٩٦٣)، ص ١٠٢

٣٥. عبد الرزاق الصني، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها مارشال المصدر السابق، ص ٨٧–٩٠

٣٦ – جير ترود الاثيان بيل، المصدر السابق، ص ١٢٧

٣٧ خالد حسن جمعة، الوحدة العربية في منهاج ومواقف الأحزاب العراقية (١٩٢١–١٩٥٨)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية (١٩٩١)، ص ٥٤.

٣٨ محمد على كمال الدين مذكرات السيد محمد علي كمال الدين، بغداد: مطبعة العالي، (١٩٨٦)، ص ٧٧

٣٩ إبراهيم الوائلي، في ذكرى ثورة العشرين، مجلة الرابطة الأدبية النجفية العدد ٣ تموز (١٩٧٥)، ص ١٤

٤٠ سعيد كمال الدين مذكرات السيد حسين كمال الدين ، بغداد: مطبعة العاني ١٩٨٧)، ص ١٢–١٣

٤١. محمد على كمال الدين، ثورة العراق في ذكراها الحسين معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى ، النجف:

مطبعة التضامن (١٩٧١)، ص ١٧٧

٤٢. عبد الستار شنين الجنابي المصدر السابق، ص ٥٥٥٤

٤٣ غسان العطيه العراق نشأة الدولة ١٩٠٨ ١٩٢١، ترجمة عطا عبد الوهاب، دار إعلام لندن (١٩٨٨) س ٢٣٥

٤٤ عبد الرزاق الحسني تاريخ العراق السياسي الحديث، ط، ج١، دار الشؤون الثقافية بغداد، ١٩٨٩) ص ١٢٦.

٤٥ غسان عطيه المصدر السابق ، ص ٢٣٥.

٤٦. عبد الله النفيسي المصدر السابق، ص ١١٨

٤٧–علي الوردي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٩٨

٤٨– فريق مزهر الفرعون الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، مطبعة النجاح بغداد ١٩٥٢)، ج ١، ص ٨٢–٨٣.

٤٩. أحد الموظفين العرب في دائرة الحاكم السياسي للنجف، وقد دفعه شعوره القومي للاتصال بالوطنيين وتحذيرهم أكثر من مرة.

٥٠ حسين كمال الدين، مذكرات السيد حسين كمال الدين، بغداد: ١٩٨٧)، ص ١٢

٥١. ينظر : وميض جمال عمر نظمي وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، (د.ط: د.ت).ص٥٨.

٥٢ عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ط١، ج ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، (١٩٩٠)، ص ١٥٤

٥٣ جعفر الخليلي، المصدر السابق، ص ١٢٤.

على الوردي، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٢٢.

٥٥. غسان العطيه المصدر السابق، ص ٤٢٨.

٥٦. وميض جمال عمر نظمي الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق (مطبعة بغداد، (١٩٨٥)، ص ١٢١

٥٧–علي الشرقي الأحلام، جمع وتحقيق موسى الكرباسي (مطبعة العمال المركزية بغداد، (١٩٧٨)، ص ١٠٨

٥٨–حس الأسدي، المصدر السابق، ص ٣٨٢

٥٩. محمد على كمال الدين، ثورة العراق في ذكراها الخمسين، المصدر السابق، ص ٩٣–٩٤

٦٠. عبد الشهيد الياسري البطولة في ثورة العشرين (مطبعة النعمان النجف (١٩٦٦)، ص ١٦٨–١٩٦.

٦١. عبد الشهيد الياسري المصدر نفسه، ص ٢٠٠

٦٢. المر هولدن ثورة العراق ١٩٢٠، ترجمة فؤاد جميل مطبعة الزمان: بغداد (١٩٦٥)، ص ١٠٩–١١٣

٦٣. محمد على كمال الدين ثورة العراق في ذكراها الحسين المصدر نفسه، ص ١٢٧.

٦٤. المر هولدن المصدر السابق، ص ٢٥٤.

٦٥ عبد الستار شنين الجنابي، المصدر السابق، ص ٠٨٤

٦٦ على عبد الأمير علاوي، فيصل الأول ملك العراق، ط١، بيروت، ص ٤٩٧–٥٠١

٦٧–المر هولدن المصدر السابق، ص ٢٤٧–٢٥٣٠

٦٨. عبد الرزاق الحسني الثورة العراقية المصدر السابق، ص ٣٢٠

٦٩– الاستقلال ١٤ تشرين الثاني، ١٩٢٠.

٧٠ محمد علي كمال الدين، ثورة العراق في ذكرها الخمسين المصدر السابق، ص ٦٥.

٧١– إبراهيم الوائلي المستر السابق، من ٦٣

٧٢ فريق مزهر الفرعون المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٠

٧٣– على عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي، المصدر السابق، ص ١٢٣٣ على الوردي، المصدر السابق ج ٢، ص ١١٨

٧٤– على عبد الأمير علاوي المصدر السابق، ص ٥٢٨

٧٥–محمد مظفر الأدهمي، المجلس التأسيسي العراقي، ج ١، ١٥ (دار الشؤون الثقافية بغداد: ١٩٨٩)، ص ١٤٤ ٧٦– ايرلاند المصدر السابق، ص ٣٠٧

٧٧-للمزيدمن المعلومات ينظر: ::/eduj.uowasit.edu.iq/index.php/eduj/article/view/٢٥٩٨/١٧٠٣.

أولاً: المصادر العربية والمعربة:

١- إبراهيم خليل محمد، وجعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر الموصل: .(١٩٨٩).

٢- إيرلاند العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٥٠ ، مكان غير محدد سنة غير محددة).

٣- جورج لتشيفسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة جعفر الخياط، ج ١، (مطبعة دار المثنى: بغداد، (١٩٦٤).

٤- جير ترود لوتيان بيل فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخياط (بغداد: (١٩٧١).

٥- جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، ج ١، (بغداد: ١٩٦٣).

٦- حميد أحمد حمدان التميمي البصرة في زمن الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١ (مطبعة الإرشاد بغداد (١٩٧٩).

٧- حسين كمال الدين مذكرات السيد حسين كمال الدين، (بغداد: (١٩٨٧).

٨- سليم الحسني دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ١٩٠٠-١٩٢٠، (لبنان: .(١٩٩٥)

٩- شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨ ، ط ٢، (بغداد: ١٩٦٤).

١٠-علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (مطبعة المعارف بغداد .(١٩٦٣)

١١- عبد الله الفياض الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ، ط ٢، مطبعة دار السلام بغداد .(١٩٧٥)

١٢- عبد الحسين مبارك، ثورة العشرين في الشعر العراقي، ط١، مطبعة دار البصري بغداد، (١٩٧٠).

١٣-عبد الرحمن البزاز العراق من الاحتلال إلى الاستقلال، ط ٢ (القاهرة: (١٩٧٠).

١٤- عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط، ج١، بغداد (١٩٨٩).

١٥. عبد الله النفيسي دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث (بيروت: .(١٩٧٣)

١٦. علي عبد الأمير علاوي فيصل الأول ملك العراق، ط١، بيروت سنة غير محددة).

١٧-علي الشرقي الأحلام، جمع وتحقيق موسى الكرباسي، مطبعة العمال المركزية بغداد، (١٩٧٥).

١٨- عبد الشهيد الياسري البطولة في ثورة العشرين (مطبعة النعمان النجف .(١٩٦٦)

١٩-غسان العطيه العراق: نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١ ، ترجمة عطا عبد الوهاب دار إعلام لندن (١٩٨٨).

٢٠. فريق مزهر القرعون الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، (مطبعة النجاح: بغداد، (١٩٥٢).

٢١. محمد مظفر الأدهمي، المجلس التأسيسي العراقي، ج ١، ١٥، (بغداد (١٩٨٩).

٢٢. المر هولدن ثورة العراق ،١٩٢٠ ، ترجمة فؤاد جميل مطبعة الزمان: بغداد .(١٩٦٥)

٢٢٣. وميض جمال عمر نظمي وآخرون التطور السياسي المعاصر في العراق، مكان وسنة غير محددين).

ثانياً: الرسائل الجامعية:

١- خالد حسن جمعة الوحدة العربية في منهاج ومواقف الأحزاب العراقية (١٩٢١)(١٩٥٨)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، بغداد (١٩٩١).

٢- عبد الرزاق الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية ١٩٠٨-١٩٤٥، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة بغداد بغداد (١٩٧٨)

٣- ناهد حسين علي ويسين تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد بغداد (١٩٩٩).

ثالثاً: الصحف:

ت	اسم الصحيفة	مكان الصدور	تاريخها
١-	جريدة العرب	بغداد	١٩١٨
٢-	الفرات	النجف	١٩٢٠
٣-	الاستقلال	النجف	١٩٢٠

السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة «٢٠٠٤-٢٠٢٠»

م. علياء حمود مزيعل
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار

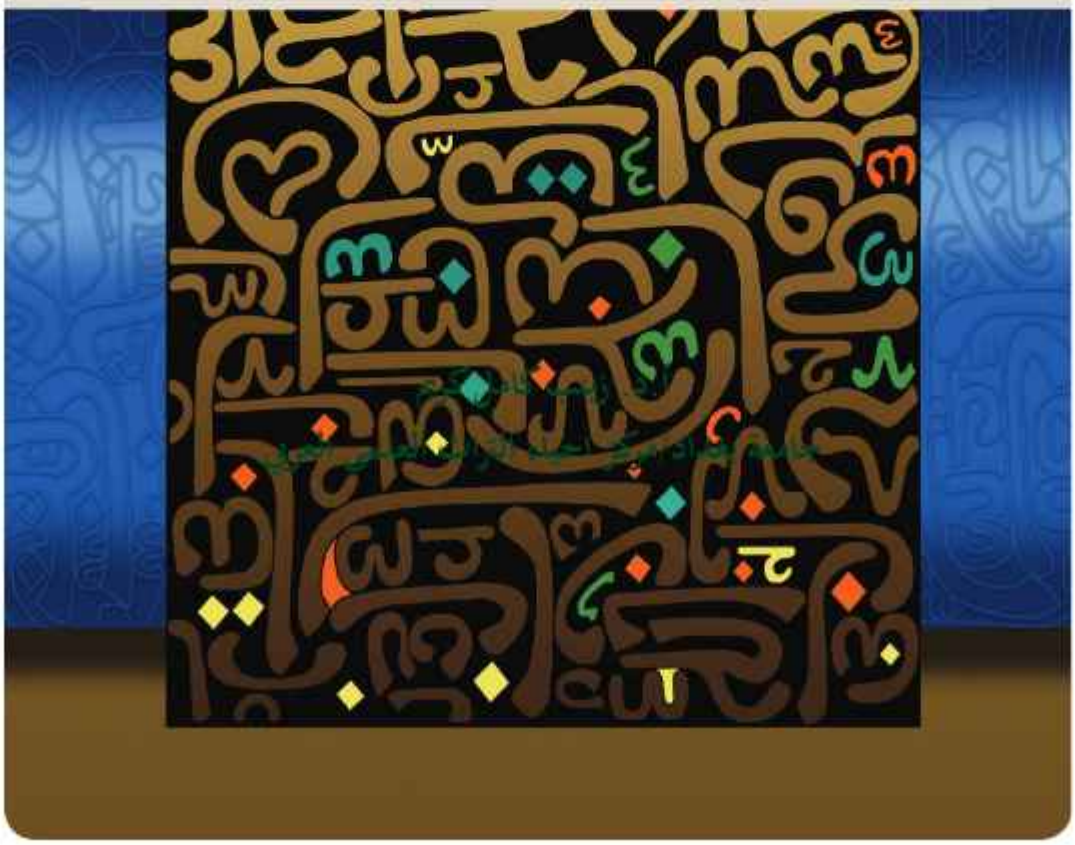

المستخلص:

يستعرض هذا البحث تطورات السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة خلال الفترة من ٢٠٠٤ إلى ٢٠٢٠، بعد وفاة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وتولي الشيخ خليفة بن زايد الحكم. يركز البحث على العلاقات الإماراتية مع السعودية والدول الخليجية الأخرى، وسياسة الإمارات تجاه إيران والقضية الجزر الثلاث، ودورها في الثورات العربية والربيع العربي، بما في ذلك تدخلاتها في مصر، ليبيا، اليمن وسوريا. كما يتناول البحث الأزمة الخليجية مع قطر، والتطبيع الإماراتي مع إسرائيل بعد ٢٠٢٠. تشير النتائج إلى أن الإمارات تبنت سياسة خارجية نشطة وديناميكية، تمزج بين الدبلوماسية والقوة العسكرية، وتهدف إلى تعزيز نفوذها الإقليمي، حماية مصالحها الاقتصادية والأمنية، والتأثير في التوازن الإقليمي، مع الحفاظ على علاقاتها مع الحلفاء الاستراتيجيين.

الكلمات المفتاحية : السياسية، الخارجية، الامارات العربية المتحدة .

Abstract:

This study examines the developments in the foreign policy of the United Arab Emirates from 2004 to 2020, following the death of Sheikh Zayed bin Sultan Al Nahyan and the accession of Sheikh Khalifa bin Zayed. The research focuses on UAE relations with Saudi Arabia and other Gulf states, its stance towards Iran and the three islands dispute, and its role in the Arab uprisings, including interventions in Egypt, Libya, Yemen, and Syria. The study also addresses the Gulf crisis with Qatar and the UAE's normalization of relations with Israel in 2020. The findings indicate that the UAE adopted an active and dynamic foreign policy, combining diplomacy and military power, aimed at enhancing regional influence, protecting economic and security interests, and shaping the regional balance while maintaining strategic alliances.

Keywords:)political – foreign – United Arab Emirates(.

المقدمة:

تُعد دولة الإمارات العربية المتحدة من أبرز الدول الخليجية التي شهدت تطورات سياسية واقتصادية ملحوظة منذ تأسيسها عام ١٩٧١. ومع مرور الوقت، تطورت سياستها الخارجية لتصبح أحد الأدوات الرئيسية لتعزيز مكانتها الإقليمية والدولية. بعد وفاة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان عام ٢٠٠٤، شهدت السياسة الخارجية الإماراتية مرحلة جديدة من التحولات والتحديات، تميزت بالتركيز على تعزيز النفوذ الإقليمي، وحماية المصالح الاقتصادية، والمشاركة الفاعلة في القضايا العربية والدولية.

تأتي أهمية هذا البحث من الحاجة إلى دراسة هذه التحولات في ضوء التغيرات الإقليمية والدولية التي شهدها الشرق الأوسط منذ منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. فقد أدت الثورات العربية، والأزمات الخليجية، وتوسع دور إيران وتركيا في المنطقة، إلى إعادة صياغة الأولويات الاستراتيجية لدولة الإمارات، وتحديد أدواتها في السياسة الخارجية سواء عبر التحالفات الإقليمية أو التدخلات المباشرة وغير المباشرة في النزاعات الإقليمية.

ويهدف هذا البحث إلى تحليل السياسة الخارجية الإماراتية بعد عام ٢٠٠٤ من خلال دراسة العلاقات مع الدول الخليجية، والدول العربية الكبرى، والعلاقات مع القوى الإقليمية الفاعلة، بالإضافة إلى تقييم تدخلاتها في الأزمات الإقليمية مثل اليمن وليبيا وسوريا، مع إبراز التحولات في أسلوب صنع القرار وتوجهاته الاستراتيجية. كما يسلط البحث

الضوء على تطورات العلاقات الإماراتية–الإسرائيلية الأخيرة، ودور الإمارات في مواجهة التهديدات الإقليمية، بما يعكس التحولات في دورها الإقليمي وأدوات سياستها الخارجية.

من خلال هذه الدراسة، يسعى البحث إلى تقديم قراءة تحليلية شاملة لفترة ما بعد الشيخ زايد، تسهم في فهم التغيرات الهيكلية في السياسة الخارجية الإماراتية، وتوضيح استراتيجياتها في تعزيز مكانتها كلاعب إقليمي مؤثر في الخليج والشرق الأوسط.

المبحث الأول: العلاقات الإماراتية–السعودية والسياسة الخليجية بعد ٢٠٠٤:

أولاً: تطور العلاقات الإماراتية–السعودية بعد تولي الشيخ خليفة بن زايد الحكم:

مع وفاة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في عام ٢٠٠٤ وتولي الشيخ خليفة بن زايد الحكم، شهدت السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة مرحلة جديدة من التحولات والتحديات، حيث اتجهت أبوظبي إلى تبني أسلوب أكثر نشاطاً في إدارة علاقاتها الإقليمية، مع الحفاظ على الشراكة التقليدية مع المملكة العربية السعودية. وتعد العلاقات بين البلدين حجر الزاوية في استقرار الخليج العربي، لما لهما من ثقل سياسي واقتصادي واستراتيجي في المنطقة (١).

على الرغم من الترابط الاستراتيجي بين البلدين، ظهرت بعض الخلافات حول القضايا الحدودية، لاسيما نزاع منطقة خور العديد الساحلي التي تفصل بين الإمارات وقطر. فقد أكد الشيخ خليفة خلال زيارته الأولى إلى الرياض في ديسمبر ٢٠٠٤ أن اتفاق جدة كان غير منصف للإمارات، وأن بعض بنوده وُقعت في ظروف استثنائية، في حين تمسكت السعودية بشرعية الاتفاق وتبعية المنطقة لها (٢).

في عام ٢٠٠٦، أصدرت الإمارات خرائط جديدة ضمن كتابها السنوي تظهر أن خور العديد جزء من مياهها الإقليمية، وهو ما أدى إلى تصعيد التوتر بين الجانبين، بما في ذلك قيود على تنقل المواطنين الإماراتيين عبر الحدود السعودية واستخدام جوازات السفر بدلاً من بطاقات الهوية (٣).

ثانياً: التنسيق والتعاون الخليجي:

على الرغم من هذه الخلافات، حرصت أبوظبي والرياض على تعزيز أطر التنسيق والتعاون الخليجي، فتم إنشاء لجنة عليا مشتركة برئاسة وزراء خارجية البلدين عام ٢٠١٤، بهدف تعزيز التشاور المستمر والتعاون في القضايا الإقليمية والدولية. وقد ساهمت هذه اللجنة في تنسيق المواقف تجاه أحداث الربيع العربي، بما في ذلك الأزمة اليمنية، وإن كانت أحياناً تباينت المواقف بين الطرفين بسبب اختلاف المصالح والروابط مع أطراف داخلية في اليمن (٤).

يمكن القول إن سياسة الإمارات تجاه السعودية منذ ٢٠٠٤ اتسمت بالمزيج بين التوجه الواقعي والمرونة الاستراتيجية، حيث تبنت أبوظبي موقفاً حازماً في بعض القضايا الإقليمية بينما حافظت على الشراكة الاستراتيجية في المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية (٥).

ثالثاً: السياسة الإماراتية تجاه القضايا الخليجية:

تسعى الإمارات إلى تعزيز دورها في مجلس التعاون الخليجي من خلال المشاركة الفاعلة في القرارات الأمنية والسياسية والاقتصادية، إضافة إلى التدخل في بعض القضايا الحساسة لضمان حماية مصالحها. وقد تجلى ذلك بشكل واضح خلال ثورات الربيع العربي عام ٢٠١١، حيث دعمت الإمارات الاستقرار الداخلي في دول الخليج وحمت الأنظمة القائمة من أي تأثيرات خارجية، بما في ذلك الدور المحتمل للإخوان المسلمين (٦).

كما حرصت الإمارات على تعزيز التعاون العسكري مع السعودية، سواء من خلال التدريبات المشتركة، أو المشاركة في التحالفات الإقليمية لمواجهة التحديات المشتركة، بما في ذلك الإرهاب والتهديدات البحرية في الخليج العربي، وخصوصاً في مضيق هرمز وباب المندب (٧).

رابعاً: التحديات والمخاطر في العلاقات الثنائية

على الرغم من عمق الروابط الاستراتيجية بين الإمارات والسعودية، فإن العلاقة تواجه تحديات مرتبطة بالنزاعات

الإقليمية، ومنها التنافس على النفوذ في اليمن وليبيا، حيث تبنت الإمارات مواقف مستقلة في بعض الملفات بما يعكس استراتيجية واقعية تسعى لتعظيم مصالحها الوطنية دون المساس بالتحالفات الخليجية التقليدية (٨).

ومن أبرز الأمثلة على ذلك هو الدعم الإماراتي لجهات معينة في اليمن بما يعزز نفوذها في الجنوب اليمني، وهو ما أدى أحياناً إلى توترات مع السعودية التي لها مصالح مختلفة في الملف اليمني. كما يظهر التنسيق الإماراتي–السعودي أحياناً متأثراً بالضغوط الدولية، لا سيما من الولايات المتحدة وبريطانيا، لضمان استقرار الخليج ومنع أي تصادم محتمل (٩).

خامساً: دور العلاقات الاقتصادية في تعزيز الشراكة

لم تقتصر العلاقات الإماراتية–السعودية على البعد السياسي والأمني فقط، بل امتدت لتشمل التعاون الاقتصادي والاستثماري. فقد شكلت الاستثمارات المشتركة، وخصوصاً في قطاعات الطاقة والبنية التحتية والخدمات المالية، عاملاً مهماً في تعزيز الروابط بين البلدين، وأداة لتحقيق الاستقرار الإقليمي(١٠).

تجلى هذا التعاون في مشاريع مشتركة بين الشركات السعودية والإماراتية، إضافة إلى التنسيق في سياسات الطاقة، بما يعكس فهم البلدين لأهمية التكامل الاقتصادي كأداة لتحقيق مصالحهما الاستراتيجية في المنطقة (١١)

المبحث الثاني: السياسة الإماراتية تجاه إيران والجزر الثلاث في الخليج العربي بعد ٢٠٠٤

أولاً: خلفية تاريخية للنزاع حول الجزر الثلاث

تعود قضية الجزر الثلاث (أبو موسى، طنب الكبرى، طنب الصغرى) إلى فترة ما قبل تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث كانت هذه الجزر تتبع إمارات الساحل المتصالح (إمارة الشارقة رأساً)، وتمتلك مواقع استراتيجية هامة في الخليج العربي. ومع انسحاب بريطانيا من المنطقة عام ١٩٧١، سيطرت إيران على الجزر الثلاث، ما أدى إلى نشوء نزاع طويل الأمد بين الإمارات وإيران، لا يزال حتى اليوم محل جدل سياسي وقانوني (١٢).

يعتبر مراقبون أن السيطرة الإيرانية على هذه الجزر ليست مجرد مسألة سيادة، بل تتعلق بالاستراتيجيات العسكرية والاقتصادية. فمضيق هرمز يعد من أهم الممرات البحرية في العالم، وتحكم إيران بهذه الجزر يتيح لها القدرة على مراقبة حركة السفن والتأثير على تجارة النفط العالمية (١٣).

بعد تولي الشيخ خليفة بن زايد الحكم في ٢٠٠٤، اتخذت الإمارات موقفاً أكثر حزماً تجاه هذه القضية، إذ رأت أن الوقت أصبح مناسباً لإعادة ترتيب أولويات السياسة الخارجية الإماراتية، وتركيز الجهود على القضايا الاستراتيجية التي تؤثر على أمنها الوطني واستقرارها الإقليمي(١٤).

ثانياً: تصعيد الموقف الإماراتي بعد ٢٠٠٤

مع تولي الشيخ خليفة الحكم، بدأت أبوظبي في تعزيز خطابها السياسي حول الجزر الثلاث، من خلال إصدار بيانات رسمية تؤكد سيادة الإمارات على هذه الجزر، ورفض أي موقف إيراني أحادي الجانب. فقد أكد الشيخ خليفة في تصريحات متعددة أن الجزر جزء لا يتجزأ من أراضي الإمارات، وأن الإمارات لن تتنازل عن حقوقها الوطنية مهما طالت فترة النزاع (١٥).

وقد اتسم هذا الخطاب الإماراتي بالاعتماد على القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، إذ دعت الإمارات إيران إلى الدخول في مفاوضات جدية، أو إحالة النزاع إلى التحكيم الدولي أو محكمة العدل الدولية. ورغم هذه الدعوات المتكررة، رفضت إيران الانخراط في أي محادثات جادة، معتبرة الجزر جزءاً من أراضيها، وهو ما يعكس إصرارها على الحفاظ على السيطرة الاستراتيجية (١٦).

ثالثاً: الوساطات الدولية ودور روسيا:

انطلاقاً من سياسة الضغط الدبلوماسي، لجأت الإمارات إلى الوساطة الدولية، فطلبت في مايو ٢٠٠٨ من روسيا استخدام نفوذها لإقناع إيران بالانخراط في مفاوضات حول الجزر. وأبدى الجانب الروسي استعداده لدعم جهود التسوية، إلا أن إيران رفضت هذه الوساطة، مؤكدة أن النزاع يمكن حله من خلال المباحثات الثنائية فقط (١٧).

يعكس هذا الموقف الإيراني تباين السياسات في المنطقة، حيث تعتمد إيران على القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية لفرض سيطرتها على الجزر، بينما تسعى الإمارات إلى توظيف الوسائل القانونية والدبلوماسية لحماية مصالحها. ويُظهر هذا التباين التعقيدات الإقليمية التي تواجه صانعي القرار الإماراتيين (١٨).

رابعاً: التدابير الاستراتيجية الإماراتية:

إدراكاً للأهمية الاستراتيجية للجزر الثلاث، تبنت الإمارات مجموعة من السياسات المتوازنة بين الدبلوماسية والردع البحري. فقد عززت أبوظبي حضورها البحري والأمني في المياه الإقليمية القريبة من الجزر، مع الحفاظ على تجنب أي تصعيد عسكري مباشر مع إيران. ويُعد هذا التوازن جزءاً من الاستراتيجية الإماراتية الأوسع التي تهدف إلى حماية مصالحها الحيوية دون الدخول في صدام عسكري قد يزعزع الاستقرار الإقليمي (١٩).

كما شملت التدابير الإماراتية الاستثمار في قدرات المراقبة البحرية وتطوير الأسطول المحلي لضمان الردع والقدرة على متابعة أي نشاط إيراني مشبوه في المنطقة. وقد عزز هذا التوجه من موقع الإمارات التفاوضي في النزاع، وأظهر جدية الدولة في الدفاع عن حقوقها الوطنية (٢٠).

خامساً: التعاون البحري والأمني مع إيران:

رغم التوترات، حافظت الإمارات على قنوات التعاون مع إيران في المجال البحري، خصوصاً لضمان سلامة الملاحة في مضيق هرمز، الذي يعد من أهم الممرات البحرية الاستراتيجية عالميًا. فقد زار وزير الخارجية الإماراتي إيران في نوفمبر ٢٠١٣، ثم التقى وفد إماراتي من قادة خفر السواحل بنظرائهم الإيرانيين في يوليو ٢٠١٩ لتعزيز التعاون البحري (٢١). يؤكد هذا التعاون قدرة الإمارات على التوازن بين موقفها الوطني الصارم تجاه النزاع على الجزر، وحماية مصالحها الاقتصادية والأمنية في الخليج، في ظل تصاعد التوترات الإقليمية على الصعيدين السياسي والاقتصادي (٢٢).

سادساً: النزاع الجيوسياسي وأبعاد القوة:

تبرز أهمية الجزر الثلاث ليس فقط من منظور السيادة الوطنية، بل من زاوية القوة الإقليمية. فالتحكم بهذه الجزر يمنح أي دولة القدرة على التأثير في حركة السفن التجارية، ويمثل ورقة ضغط استراتيجية في المفاوضات الإقليمية والدولية. وقد سعت الإمارات لاستغلال هذا النزاع لتعزيز مكانتها الإقليمية، واستثمار تحالفاتها الدولية لتحقيق توازن قوى مع إيران (٢٣).

كما أن النزاع يعكس العلاقة بين القوة الاقتصادية والسياسية في المنطقة، حيث تعتمد الإمارات على توازن القوى الإقليمية والدعم الدولي لمواجهة التحديات الاستراتيجية التي تمثلها إيران، مع ضمان استقرار الملاحة البحرية والتجارة العالمية (٢٤).

سابعاً: تحليلات سياسية واستراتيجية:

يشير المحللون إلى أن سياسة الإمارات تجاه إيران والجزر الثلاث تمثل نموذجاً للدبلوماسية المتزنة التي تعتمد على القانون الدولي والقوة الناعمة، مع استبقاء إمكانية الردع البحري كخيار أخير. وتعكس هذه السياسة عقلانية القيادة الإماراتية في التعامل مع جيرانها الأقوياء، مع الحفاظ على مصالحها الاقتصادية والأمنية، وتجنب أي صراع مسلح قد يضر بمكتسباتها الوطنية (٢٥).

إن إدارة النزاع بطريقة سلمية وحكيمة تسمح للإمارات بالاحتفاظ بمكانتها الدولية والاقليمية، وتجنب تحويل النزاع إلى أزمة عسكرية مفتوحة، كما تعكس درجة عالية من الواقعية في السياسة الخارجية الإماراتية بعد عام ٢٠٠٤(٢٦).

المبحث الثالث: السياسة الإماراتية تجاه الثورات العربية والربيع العربي بعد ٢٠١٠:

أولاً: الخلفية الإقليمية والتحولات السياسية:

شهدت منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تحولات سياسية هائلة بدءًا من أواخر عام ٢٠١٠، والتي عرفت باسم ثورات الربيع العربي. بدأت هذه التحولات في تونس وانتشرت إلى مصر، ليبيا، اليمن، وسوريا، ودفعت حكومات

المنطقة إلى مواجهة مطالب شعبية بالإصلاح والتحول الديمقراطي (٢٧).

الإمارات العربية المتحدة، كدولة صغيرة لكنها ذات قدرة اقتصادية كبيرة، رأت في هذه الثورات تهديداً مباشراً لاستقرار أنظمتها، خاصةً أن موجة التغيير كانت تتضمن حضور قوي للحركات الإسلامية السياسية، مثل جماعة الإخوان المسلمين، والتي اعتبرتها أبوظبي خطراً على أمنها الداخلي واستقرار المنطقة الخليجية (٢٨).

مع تولي الشيخ خليفة بن زايد الحكم، بدأ جيل جديد من القادة الإماراتيين اعتماد سياسة خارجية أكثر حزماً وتدخلاً في الشؤون الإقليمية، مع التركيز على حماية أنظمة الحكم القائمة ودعم استقرار حلفائها. وامتدت هذه السياسة لتشمل التدخل العسكري المباشر وغير المباشر في بعض دول المنطقة (٢٩).

ثانياً: موقف الإمارات تجاه الثورة المصرية:

تعتبر مصر إحدى أهم الساحات السياسية بالنسبة للإمارات، لما تمثله من مركز قوة إقليمية. مع وصول الإخوان المسلمين إلى السلطة عبر الانتخابات عام ٢٠١٢، تبنت الإمارات موقفاً معارضاً صريحاً، إذ رأت في صعود الإخوان تهديداً لنموذج الحكم في أبوظبي.

دعمت الإمارات الانقلاب العسكري الذي قام به وزير الدفاع عبد الفتاح السيسي في ٢٠١٣، وقدمت معونات مالية ضخمة للجيش المصري لإعادة هيكلة السلطة، وضمان استقرار الحكم بعد الإطاحة بالرئيس محمد مرسي(٣٠).

كما قامت الإمارات بتمويل برامج إعلامية لتعزيز صورة الجيش والحكومة الجديدة، وسعت للحد من النفوذ السياسي للإخوان المسلمين في مصر، من خلال دعم الأحزاب المعارضة لهم والهيئات المدنية المقربة من الحكومة (٣١).

ثالثاً: التدخل الإماراتي في ليبيا:

شهدت ليبيا بعد سقوط نظام معمر القذافي عام ٢٠١١ انقساماً عسكرياً وسياسياً بين حكومة الوفاق الوطني في الغرب، والجيش الوطني الليبي بقيادة خليفة حفتر في الشرق.

دخلت الإمارات هذا الصراع بدعم مباشر للجيش الوطني الليبي، حيث قدمت طائرات مقاتلة من طراز ميراج وأف–١٦، بالإضافة إلى دعم مالي ولوجستي واسع لتعزيز موقف قوات حفتر. وقد كان الهدف الإماراتي من هذا التدخل إنشاء سلطة عسكرية مركزية قوية على غرار نموذج الحكم الإماراتي، وتجنب ظهور جماعات إسلامية سياسية في السلطة (٣٢).

كما استخدمت الإمارات المرتزقة السودانيين وتجنيدهم في الجيش الوطني الليبي، فضلاً عن تزويد قوات حفتر بأنظمة مراقبة وطائرات بدون طيار لمراقبة المدن والمناطق الاستراتيجية (٣٣).

رابعاً: الدور الإماراتي في اليمن:

اليمن كانت مسرحاً أساسياً للطموح الاستراتيجي الإماراتي بعد ٢٠١١، نظراً لموقعها الاستراتيجي على مضيق باب المندب والبحر الأحمر. شاركت الإمارات ضمن تحالف عاصفة الحزم عام ٢٠١٥، وقدمت دعماً عسكرياً كبيراً للميليشيات المحلية الموالية لها، بما في ذلك قوات الحزام الأمني والنخبة الشبوانية والحضرمية (٣٤).

كما عملت الإمارات على تأسيس مجلس الانتقالي الجنوبي في مايو ٢٠١٧، لتعزيز نفوذها في جنوب اليمن، والسيطرة على المناطق الاستراتيجية مثل عدن، وهو ما عكس استراتيجية تقسيم النفوذ لتحقيق مكاسب جيوسياسية (٣٥).

وقد كانت أبوظبي حريصة على استخدام الوسائل السياسية والعسكرية معاً لضمان حماية خطوط إمدادات الطاقة والتجارة البحرية، مع الاستفادة من النزاع اليمني لتقوية مكانتها الإقليمية (٣٥٦).

خامساً: التدخل الإماراتي في البحرين:

مع اندلاع الاحتجاجات في البحرين عام ٢٠١١، أرسلت الإمارات قوات ضمن قوات درع الجزيرة، لدعم النظام البحريني والحفاظ على الاستقرار الأمني في الدولة الصغيرة. وقد كان الهدف حماية البحرين، باعتبارها جزءاً من الأمن الخليجي المشترك، ومنع تمدد أي تأثيرات للثورات العربية أو القوى الإقليمية المعارضة، مثل إيران (٣٧).

كما لعبت الإمارات دوراً في دعم السلطات البحرينية من خلال برامج تدريبية وأمنية، وشارك ٥٠٠ شرطي إماراتي في

حفظ النظام، مؤكدة على ضرورة حماية الدولة من أي تدخل خارجي (٣٨).

سادساً: التدخل في سوريا ومواجهة تنظيم الإخوان:

في سوريا، تبنت الإمارات سياسة معقدة، إذ دعمت بعض الفصائل المعارضة السياسية والعسكرية ضد النظام السوري، مع التركيز على مواجهة جماعات الإخوان المسلمين والجماعات المرتبطة بها.

دخلت أبوظبي في برامج دعم الجيش السوري الحر والفصائل الموالية للائتلاف الوطني السوري، وقدمت التدريب والدعم اللوجستي عبر برامج مشتركة مع الولايات المتحدة الأمريكية، لضمان الحد من النفوذ الإيراني والتركي في الأزمة السورية (٣٩).

وفي مرحلة لاحقة، تبنت الإمارات سياسة تطبيع العلاقات مع النظام السوري بدءاً من عام ٢٠١٨، بما يعكس مرونة سياسية واستراتيجية تستهدف مواجهة النفوذ التركي والإيراني، واستغلال سوريا كورقة ضغط في التوازن الإقليمي (٤٠).

سابعاً: التحليل الاستراتيجي للأهداف الإماراتية:

تسعى الإمارات من تدخلاتها في الثورات العربية إلى عدة أهداف استراتيجية رئيسية:

١. حماية أنظمة الحكم القائمة في المنطقة، ومنع صعود جماعات إسلامية سياسية قد تهدد استقرارها الداخلي.

٢. تعزيز النفوذ الجيوسياسي في البحر الأحمر وخليج عدن ومضيق باب المندب، لضمان أمن خطوط التجارة والطاقة.

٣. توسيع الدور العسكري والدبلوماسي للدولة في المنطقة، من خلال تحالفات استراتيجية مع الدول الكبرى والإقليمية.

٤. التحكم في القوى السياسية والاقتصادية في دول الربيع العربي لضمان مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية (٤١).

المبحث الرابع: العلاقات الإماراتية مع دول الخليج وإسرائيل بعد ٢٠١٧

أولاً: الأزمة الخليجية بين الإمارات وقطر

في حزيران ٢٠١٧ اندلعت أزمة دبلوماسية حادة بين دول مجلس التعاون الخليجي، عندما قطعت الإمارات والسعودية والبحرين، إلى جانب مصر، العلاقات الدبلوماسية مع قطر، وأغلقت المنافذ البرية والبحرية والجوية معها (٤٢).

السبب المباشر للأزمة تمثل في اتهامات الإمارات وخصومها لقطر بدعم الإرهاب وتمويل جماعات الإسلام السياسي، وبالأخص جماعة الإخوان المسلمين، بالإضافة إلى ما وصفته أبوظبي بـ «تدخل قطر في الشؤون الداخلية للدول الأخرى» عبر الإعلام والسياسات الموجهة (٤٣).

سبق الأزمة مجموعة من الأحداث، منها انقلاب قطر عام ١٩٩٥، والذي مثل بداية التحول في سياسة قطر تجاه جاراتها الخليجية. كما تمثل الاتفاقية الأولى بين الأطراف المتنازعة في اتفاقية الرياض ٢٠١٤ محاولة لاحتواء الخلاف، لكنها فشلت في إلزام قطر بالالتزام بالمبادئ المتفق عليها (٤٤).

بعد ذلك، أخذت الأزمة شكل حرب بالوكالة، استخدمت فيها الإمارات أدوات اقتصادية وإعلامية وسياسية ضد قطر، بما في ذلك دعم منظمات وأفراد مرتبطة بالإخوان المسلمين، إضافة إلى مواقف قانونية وأمنية تهدف إلى تقليص النفوذ القطري في المنطقة (٤٥).

في اذار ٢٠١٤، حكمت محكمة إماراتية على المواطن القطري محمد الجيدة بالسجن ٧ أعوام بتهمة التعامل مع تنظيم الإخوان المسلمين والتآمر لقلب نظام الحكم في الإمارات، وهو ما أثار انتقادات قطرية وإعلامية، بما في ذلك تصريحات يوسف القرضاوي على قناة الجزيرة (٤٦).

ثانياً: التحرك الإماراتي في البحر الأحمر واليمن:

تزامناً مع الأزمة الخليجية، عززت الإمارات وجودها العسكري في اليمن، باعتباره موقعاً استراتيجياً على مضيق باب المندب والبحر الأحمر، من خلال دعم ميليشيات محلية، وتأسيس المجلس الانتقالي الجنوبي عام ٢٠١٧ (٤٧).

كان الهدف من هذا التوسع العسكري هو تأمين خطوط الإمدادات البحرية والطاقة، وتوسيع النفوذ السياسي والعسكري في جنوب اليمن، وضمان حماية المصالح الإماراتية من أي تمدد للتأثير الإيراني أو التركي في المنطقة (٤٨).

كما عملت أبوظبي على تدريب وتجهيز القوات الموالية لها، وضبط السلطة المحلية في عدن، بما يعكس سياسة الإمارات في تحويل قوة صغيرة إلى محور نفوذ إقليمي (٤٩).

ثالثاً: العلاقات الإماراتية مع إسرائيل ومرحلة التطبيع:

في ١٥ تشرين الثاني ٢٠٢٠، أعلنت الإمارات تطبيع العلاقات رسمياً مع إسرائيل، بعد اتفاقية وقعها الطرفان برعاية الولايات المتحدة الأمريكية. كان هذا التطبيع جزءاً من اتفاقيات أبراهام التي شملت دولاً عربية أخرى لاحقاً (٥٠).

أهداف الإمارات من هذا التطبيع متعددة:

١. تحجيم النفوذ الإيراني في المنطقة عبر تحالف استراتيجي مع إسرائيل، خاصةً في الخليج والبحر الأحمر(٥١).

٢. تعزيز التعاون الاقتصادي والتكنولوجي، بما في ذلك الاستثمار في قطاع الطاقة، التكنولوجيا، والملاحة الجوية والبحرية (٥٢).

٣. استخدام الورقة الفلسطينية كورقة تفاوض في المرحلة المقبلة من أجل تحقيق مصالح أبوظبي، مع إبقاء السيطرة على ملفات القضية الفلسطينية تحت إشرافها الاستراتيجي(٥٣).

سبق هذا التطبيع نشاط دبلوماسي وتجاري سري، بما في ذلك زيارات وزراء ومستثمرين إسرائيليين إلى الإمارات منذ ٢٠١٨، قبل إعلان الاتفاق الرسمي، مثل زيارة ميري ريجيف ووزير الاتصالات أيوب قرا ووزير الخارجية يسرائيل كاتس(٥٤).

رابعاً: موقف الإمارات من القضية الفلسطينية:

على الرغم من التطبيع مع إسرائيل، حافظت الإمارات على خطاب داعم للشعب الفلسطيني، عبر المساعدات المالية والإنسانية، إلا أن مواقفها أصبحت مرتبطة بالمصلحة الاستراتيجية، وهو ما أثار انتقادات فلسطينية واسعة، واعتُبر تطبيع الإمارات «خيانة للقضية الفلسطينية» من قبل الفصائل الفلسطينية وبعض الدول العربية (٥٥).

الإمارات أيضاً صنفت حركة حماس كمنظمة إرهابية عام ٢٠١٦، لارتباطها بالإخوان المسلمين وتلقي الدعم من إيران، وهو ما يعكس السياسة الإماراتية في مكافحة نفوذ التنظيمات الإسلامية السياسية التي تهدد مصالحها الإقليمية (٥٦).

خامساً: العلاقات الإماراتية مع دول الخليج الأخرى بعد الأزمة:

بعد فرض المقاطعة على قطر، عملت الإمارات على تعزيز العلاقات مع السعودية والبحرين ومصر، من خلال تحالف سياسي وعسكري واقتصادي مشترك. وقد شمل ذلك تنسيقاً في القرارات العسكرية، ودعم أنظمة الحكم القائمة، وتبادل المعلومات الاستخباراتية (٥٧).

كما ركزت الإمارات على مواجهة أي تهديدات محتملة من إيران أو تركيا في الخليج، بما يشمل الدعم العسكري واللوجستي للبحرين، وارسال قوات ضمن قوات درع الجزيرة لضمان استقرار الحكم هناك، كما حدث في مارس ٢٠١١ (٥٨).

سادساً: تحليل الاستراتيجية الإماراتية بعد ٢٠١٧:

يمكن تلخيص أهداف السياسة الإماراتية بعد ٢٠١٧ في عدة نقاط رئيسية:

١. تعزيز النفوذ الإقليمي في الخليج، اليمن، وسوريا، عبر التحالفات العسكرية والسياسية.

٢. محاربة الجماعات الإسلامية السياسية المرتبطة بالإخوان المسلمين والتي تمثل تهديداً داخلياً وخارجياً.

٣. توسيع شبكة التحالفات الاستراتيجية مع الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة وإسرائيل، لضمان حماية المصالح الاقتصاديةوالعسكرية.

٤. تحقيق مصالح اقتصادية وسياسية من خلال استخدام القوة الصلبة والوسائل الدبلوماسية والمالية في آن واحد (٥٩).

الخاتمة:

يتضح من الدراسة أن السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة بعد عام ٢٠١٠ قد شهدت تحولاً جذرياً مقارنة

بالمرحلة السابقة، حيث انتقلت من سياسة محافظة تركز على الاقتصاد والاستقرار الداخلي إلى سياسة نشطة وديناميكية تتسم بالتدخل الإقليمي المباشر وغير المباشر. فقد اتسمت هذه السياسة بالقدرة على المزج بين الدبلوماسية والقدرة العسكرية، مع تعزيز العلاقات مع الحلفاء الاستراتيجيين مثل السعودية وإسرائيل، ومواجهة القوى الإقليمية الأخرى مثل إيران وحركات الإسلام السياسي.

لقد برزت الإمارات كلاعب إقليمي فاعل من خلال مشاركتها في اليمن وليبيا وسوريا، ودعمها للأنظمة المستقرة، وإنشاء أدوات نفوذ محلية مثل المجلس الانتقالي الجنوبي، إضافة إلى تعزيز وجودها العسكري والبحري في مواقع استراتيجية كالبحر الأحمر ومضيق باب المندب. كما تعكس خطوة التطبيع مع إسرائيل استراتيجيتها الطموحة في توسيع شبكة تحالفاتها وتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية، حتى على حساب بعض المواقف التقليدية تجاه القضية الفلسطينية.

بشكل عام، يمكن القول إن السياسة الخارجية الإماراتية بعد ٢٠١٠ تهدف إلى تعزيز النفوذ الإقليمي، حماية الأمن الداخلي والخليجي، ضمان مصالحها الاقتصادية، وتحقيق دور محوري في التوازن الإقليمي. وهذا يجعلها دولة صغيرة نسبياً، لكنها قادرة على التأثير في مجريات الأحداث الإقليمية بفعالية واضحة، وهو ما يجعل فهم تحركاتها واستراتيجياتها ضرورياً لدراسة سياسة الشرق الأوسط المعاصرة.

الهوامش:

١- راجع عبد المهدي النخاني، العلاقات الأردنية الإماراتية ١٩٧١-٢٠١٦، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة مؤته، ٢٠١٨، ص. ١٠٢.

٢-عبد الرحمن بن صالح المطيري، العلاقات السعودية الإماراتية السياسية خلال الفترة ١٩٧٢-٢٠١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤته، ٢٠١٤، ص. ٥٥.

٣-عبد القهار أحمد محمد، الأزمة الخليجية بين قطر ودول المقاطعة كما يعكسها المضمون الخبري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تكريت، ٢٠١٩، ص. ٦٣.

٤-عبد الرحمن بن صالح المطيري، المصدر السابق، ص. ٨٧.

٥-عبد الله عبد الأمير، الصراع السعودي القطري: الأسباب والنتائج المحتملة، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، ٢٠١٧، ص. ٤٢.

٦-محمد الوردي رفيعي، السياسة الخارجية الإماراتية بعد أحداث الربيع العربي ٢٠١١-٢٠٢٠، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي التبسي، تبسة، ٢٠٢١، ص. ٩٨.

٧-أحمد مولانا، جذور وآفاق القوى العسكرية الإماراتية، منتدى العاصمة للدراسات السياسية والمجتمعية، ٢٠٠٩، ص. ٧٦

٨-سعيد بن علي بن مرهون الحسني، السياسة الخارجية الإماراتية في القرن الأفريقي واليمن: الآثار والنتائج، ٢٠١٩، ص. ١٢١.

٩-عبد الرحمن أحمد، السياسة الخارجية للدول الصغرى: الإمارات نموذجاً، المعهد المصري للدراسات، ٢٠٢١، ص. ١٣٤.

١٠-علا محمد محيسن العلايا، السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية ١٩٩٠-٢٠٠٨، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤته، ٢٠٠٩، ص. ١١٢.

١١-طارق دياب، الأزمة الخليجية والتطورات والمسارات، المعهد المصري للدراسات، ٢٠١٩، ص. ٨٨.

١٢- محمد الوردي رفيعي، المصدر السابق، ص. ٥٦.

١٣-عبد الله عبد الأمير، المصدر السابق ، ص. ٦٨.

١٤-علا محمد محيسن العلايا، السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية ١٩٩٠-٢٠٠٨، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤته، ٢٠٠٩، ص. ٧٣.

١٥-راجع عبد المهدي النخاني، المصدر السابق، ص. ١٢١.

١٦-عبد القهار أحمد محمد، المصدر السابق ص. ٥٨.

١٧–سعيد بن علي بن مرهون الحسني، المصدر السابق ص. ١٣٣.

١٨–طارق دياب، المصدر السابق، ص. ١٠١.

١٩–أحمد مولانا، المصدر السابق، ص. ٨٥.

٢٠–عبد الرحمن أحمد، السياسة الخارجية للدول الصغرى: الإمارات نموذجاً، المعهد المصري للدراسات، ٢٠٢١، ص. ١٤٢.

٢١–محمد الأحمدي، الإمارات في اليمن: من دعم الشرعية إلى تقويض ملامح الدولة، ٢٠٢٠، ص. ٦٧.

٢٢–فورين بوليسي، صراعات الشرق الأوسط لم تنته بعد: الإمارات، مركز حمورابي، ٢٠٢٠، ص. ٥٢.

٢٣–علي الذهب، اليمن والإمارات: معادلة الردع والتداعيات العسكرية والاستراتيجية، ٢٠٢٠، ص. ٧٤.

٢٤–صريح صالح صالح القاز، دور الإمارات العربية المتحدة في اليمن ٢٠١٥–٢٠٢٠، ٢٠٢٠، ص ٣٨.

٢٥–عبد الرحمن أحمد، المرجع السابق، ص. ١٤٨.

٢٦–محمد الأحمدي، المرجع السابق، ص. ٧٠.

٢٧– محمد الوردي رفيعي، المصدر السابق، ص. ١٠٢.

٢٨– عبد الرحمن أحمد، لمصدر السابق، ص ١٥٥.

٢٩– فورين بوليسي، المصدر السابق ، ص ٤٨.

٣٠– راجح عبد المهدي التخاق، المصدر السابق ، ص ٢١٠.

٣١– سعيد بن علي بن مرهون الحسني، المصدر السابق ، ص ١٧٩

٣٢– أحمد مولانا، المصدر السابق، ص. ٩٢.

٣٣– صريح صالح صالح القاز، المصدر السابق ، ص ٤٤.

٣٤– محمد الأحمدي، المصدر السابق ، ص ١٢٠.

٣٥– علي الذهب، اليمن والإمارات: معادلة الردع والتداعيات العسكرية والاستراتيجية، ص ٨٢.

٣٦– عبد القهار أحمد محمد، المصدر السابق ، ص٦٥.

٣٧– عبد الله عبد الأمير، المصدر السابق، ص. ٨٨.

٣٨– عبد الرحمن بن صالح المطيري، المصدر السابق، ص. ١٣٩.

٣٩– زينب علوش، الأزمة الخليجية قطر ٢٠١٧ وتأثيرها على مجلس التعاون لدول الخليج العربي، ص. ٧٢.

٤٠– محمد الأحمدي، المصدر السابق، ص. ١٣٥.

٤١– فورين بوليسي، المصدر السابق ، ص٥٥.

٤٢– زينب علوش، الأزمة الخليجية قطر ٢٠١٧ وتأثيرها على مجلس التعاون لدول الخليج العربي، ص. ٧٢.

٤٣– عبد القهار أحمد محمد، المصدر السابق ، ص. ٤٥.

٤٤– عبد الله عبد الأمير، المصدر السابق، ص. ٨٨.

٤٥– فورين بوليسي، المصدر السابق، ص. ٥٥.

٤٦– محمد الأحمدي، الإمارات في اليمن من دعم الشرعية إلى تقويض ملامح الدولة، ص. ١٢٠.

٤٧– علي الذهب، المصدر السابق، ص. ٨٢.

٤٨– صريح صالح صالح القاز، المصدر السابق، ص. ٤٤.

٤٩– أحمد مولانا، المصدر السابق، ص. ٩٢.

٥٠– اسماعيل نعمان، التطبيع الإسرائيلي الإماراتي وتعاونهما الاستراتيجي في مجال الملاحة البحرية والطيران، ص. ٣١

٥١– فورين بوليسي، المصدر السابق، ص. ٤٨.

٥٢– اسماعيل نعمان، المصدر السابق، ص. ٣٥.

٥٣–عبد الرحمن أحمد، المصدر السابق، ص. ١٥٥.

٥٤– اسماعيل نعمان، المصدر السابق، ص. ٤٠.

٥٥– عبد الله بشير سليمان، السياسة الخارجية السعودية والإماراتية تجاه القضية الفلسطينية ٢٠١١–٢٠١٨، ص. ٥٨.

٥٦– محمد الأحمدي، المصدر السابق، ص. ١٣٥.

٥٧– راجح عبد المهدي التخاني، المصدر السابق، ص. ٢١٠.

٥٨– عبد الرحمن بن صالح المطيري، المصدر السابق، ص. ١٣٩.

٥٩– فورين بوليسي، المصدر السابق، ص ٥٥.

المصادر والمراجع:

أ. الكتب العربية والمعربة

١. الأحمدي، م. (٢٠٢٠(،الإمارات في اليمن من دعم الشرعية إلى تقويض ملامح الدولة.

٢. الذهب، ع. (٢٠٢٠(، اليمن والإمارات: معادلة الردع والتداعيات العسكرية والاستراتيجية لسيطرة الإمارات على أرخبيل سقطرى اليمني.

٣. القاز، ص. ص. ص. (٢٠٢٠). دور الإمارات العربية المتحدة في اليمن ٢٠١٥ – ٢٠٢٠.

٤. دياب، ط. (٢٠١٩)، الأزمة الخليجية والتطورات والمسارات. المعهد المصري للدراسات.

٥. الحسني، س. ب. م. (٢٠٢٠)، السياسة الخارجية الإماراتية في القرن الإفريقي واليمن: الآثار والنتائج.

٦. مولانا، أ. (٢٠٠٩)، جذور وآفاق القوى العسكرية الإماراتية. منتدى العاصمة للدراسات السياسية والمجتمعية.

٧. نعمان، إ. (٢٠٢٠)،التطبيع الإسرائيلي الإماراتي وتعاونهما الاستراتيجي في مجال الملاحة البحرية والطيران.

٨. فورين بوليسي. (٢٠٢٠)، صراعات الشرق الأوسط لم تنته بعد مع الإمارات. مركز حمورابي.

٩. المركز الخليجي للتفكير. (٢٠٢١)، التركيبة السكانية في الإمارات: خلل طبيعي من استهداف حكومي.

ب. الرسائل والاطاريح الجامعية

١. التخاني، ر. ع. م. (٢٠١٨)، العلاقات الأردنية الإماراتية ١٩٧١ – ٢٠١٦ (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة مؤتة.

٢. العلايا، ع. م. م. (٢٠٠٩)، السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية ١٩٩٠ – ٢٠٠٨ (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة مؤتة، عمادة الدراسات العليا.

٣. المطيري، ع. ب. ص. (٢٠١٤)، العلاقات السعودية الإماراتية السياسية خلال الفترة ١٩٧٢ – ٢٠١٤: دراسة في العلاقات السياسية(رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة مؤتة.

٤. القهار، أ. م. (٢٠١٩)، الأزمة الخليجية بين قطر ودول المقاطعة كما يعكسها المضمون الخبري في موقعه روسيا اليوم والحرة: دراسة تحليلية لمدة من ٢٠١٧/٥/٢٠ إلى ٢٠١٨/٥/٢٠ (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة تكريت، كلية الآداب.

٥. علوش، ز. (٢٠١٨)، الأزمة الخليجية قطر ٢٠١٧ وتأثيرها على مجلس التعاون لدول الخليج العربي (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح– ورقلة.

٦. الوردي رقيعي، م. (٢٠٢١)، السياسة الخارجية الإماراتية بعد أحداث الربيع العربي ٢٠١١–٢٠٢٠ (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة العربي التبسي – تبسة.

٧.عبد الأمير، ع. ع. (٢٠١٧) الصراع السعودي القطري: الأسباب والنتائج المحتملة. مركز البيان للدراسات والتخطيط. بغداد.

ج. المقالات الصحفية والمجلات العلمية

١. العنزي، ع. م. (٢٠٢٢). الاستمرار والتغيير في السياسة الخارجية السعودية أثناء فترة حكم الملك عبد الله بن عبد العزيز ٢٠٠٥ – ٢٠١٥. المجلد ٢٣، العدد ٢.

٢. بشير سليمان، ع. (٢٠٢٠). السياسة الخارجية السعودية والإماراتية تجاه القضية الفلسطينية من ٢٠١١ – ٢٠١٨. مجلة جامعة غرب كردفان للعلوم والإنسانيات، العدد ١٩.



السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

أثر تطبيق الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة في دعم مبادئ التسويق السياحي المستدام دراسة ميدانية في المدن السياحية الدينية بالعراق

الباحثة: زهراء صباح محمد
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب



للمستخلص:
يهدف هذا البحث إلى استكشاف دور الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية في تعزيز التسويق السياحي المستدام، من خلال دراسة تطبيقية على من (٣٠٠) فرد من العاملين في القطاع السياحي والإداري، إلى جانب مالكي المنشآت والخبراء المحليين في ثلاث مدن زائرة رئيسية.
وقد أظهرت النتائج وجود علاقة إيجابية ذات دلالة إحصائية بين تطبيق ممارسات الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة وبين مؤشرات التسويق السياحي المستدام، حيث بلغ معامل التأثير ($\beta = ٠,٧٣٨$, $p < ٠,٠١$)، كما بيّنت النتائج أن متغيرات الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة تفسر ما نسبته ($R^2 = ٠,٥٤٤$) من التباين في متغير التسويق السياحي المستدام، أي ما يعادل ٥٤,٤٪.
وأوضحت نتائج الاستبيان أن نحو ٦٨٪ من أفراد العينة يرون أن تحسين ممارسات محاسبة التكاليف يسهم في رفع كفاءة الإنفاق التسويقي، فيما أفاد ٦٨٪ من المشاركين بملاحظة ارتفاع معدل إشغال المنشآت أو زيارات السائحين بنسبة متوسطة بلغت ١٢٪ بعد اعتماد ممارسات محسّنة لإدارة التكاليف.
وتخلص الدراسة إلى أن الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة تمثل أداة فعالة في دعم استدامة التسويق السياحي، من خلال تحسين تخصيص الموارد، وزيادة مستويات الشفافية، والحد من الهدر المالي.
وقد أكدت النتائج التطبيقية وجود تأثير إيجابي مباشر وذو دلالة معنوية للإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة على التسويق السياحي المستدام، مما يعزز من أهمية توظيف هذه المنهجية في القطاعات السياحية ذات الطابع الديني في العراق.

الكلمات المفتاحية: الإدارة الاستراتيجية، التكاليف المحاسبية، التسويق، السياحة المستدام.

Abstract:
This research aims to explore the role of strategic cost accounting management in promoting sustainable tourism marketing through an applied study in the visitor cities affiliated with the Holy Shrines of Imam Hussein and Imam Ali in Iraq.
The study aims to analyze the relationship between implementing strategic cost accounting management practices and enhancing sustainable tourism marketing indicators in the visitor cities associated with the holy shrines. The study adopted an applied methodology, surveying a sample of (300) individuals working in the tourism and administrative sectors, along with business owners and local experts in three major visitor cities.
The results showed a statistically significant positive relationship between the application of strategic cost accounting practices and sustainable tourism marketing indicators, with an impact factor of ($\beta = 0.738$, $p < 0.01$). The results also indicated that strategic cost accounting variables explain approximately ($R^2 = 0.544$) of the variance in the sustainable tourism marketing variable, equivalent to 54.4%.
The survey results revealed that approximately 68% of respondents believe that improving cost accounting practices contributes to increased marketing spending efficiency. Furthermore, 68% of partici-

pants reported observing an average increase of 12% in facility occupancy rates or tourist visits after adopting improved cost management practices.

The study concludes that strategic cost accounting management is an effective tool for supporting the sustainability of tourism marketing by improving resource allocation, increasing transparency, and reducing financial waste. The applied results confirmed a direct and statistically significant positive impact of strategic accounting cost management on sustainable tourism marketing, reinforcing the importance of employing this methodology in religious tourism sectors in Iraq.

Keywords: Strategic Accounting Cost Management, Sustainable Tourism Marketing.

الفصل الأول:

المنهجيةالبحثية

المقدمة:

تُعدّ عملية حلّ المشكلات وثيقة الصلة بفهم أبعاد المشكلة ذاتها؛ إذ تُشكّل منهجية البحث العلمي خارطةً توجيهية لأي باحث، كونها تحدد المسار الذي ينبغي للبحث أن يسلكه منذ بدايته وحتى الوصول إلى نتائجه النهائية. تتضمن هذه المنهجية بيانًا واضحًا لمنهج البحث، وتعريفًا دقيقًا بمشكلة الدراسة، إلى جانب تحديد أهداف البحث وأهميته، الأمر الذي يُسهم في الوصول إلى نتائج جوهرية يُمكن أن تعود بالفائدة المباشرة على الجهة أو المنظمة محلّ الدراسة. ويتحقق ذلك من خلال بناء استنتاجات منطقية مدعومة بالبيانات، وصياغة توصيات عملية قابلة للتنفيذ، حيث إن الإسهام في معالجة هذه المشكلة من شأنه أن يُفضي إلى تحقيق الأهداف الأساسية للمنظمة.

وفي هذا الإطار، يتناول هذا المبحث مناقشة مشكلة البحث وأهميتها وأهدافه، بالإضافة إلى عرض فرضيات الدراسة والنموذج الفرضي المعتمد، كما يستعرض مجتمع البحث وعينته، بما يُمهّد لفهم السياق التطبيقي للدراسة بصورة شاملة.

مقياس البحث المستخدم:

المقياس الذي تم استخدامه في الاستبانة هو:

مقياس ليكرت الخماسي (Likert Scale)

اعتمدت الباحثة في بناء الاستبانة على الإطار النظري للدراسة (المفاهيم الأساسية مثل الإدارة الاستراتيجية للتكاليف، التسويق السياحي المستدام)، وقام بتطوير المقياس بنفسه وفقًا لسياق البحث.

مشكلةالبحث:

مع تزايد حركة الزائرين للمدن الدينية في العراق، تواجه المنشآت السياحية والجهات ذات العلاقة تحديات متزايدة في إدارة الموارد المالية والبشرية وتنسيق الجهود التسويقية بشكل مستدام. ويُعد غياب نظام متكامل لتطبيق الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة أحد أبرز المعوقات أمام تحقيق كفاءة القرار التسويقي واستدامة النشاط السياحي. لذلك، تتمثل مشكلة البحث في دراسة أثر تطبيق الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة في دعم مبادئ التسويق السياحي المستدام في المدن السياحية الدينية بالعراق.

التساؤلات الفرعية لمشكلة البحث:

١. ما هو مفهوم ومكونات الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة في سياق المنشآت السياحية الدينية؟

٢. إلى أي مدى تُطبق ممارسات إدارة التكاليف الاستراتيجية في المدن الزائرة المرتبطة بالعتبات المقدسة في العراق؟

٣. هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة وفعالية التسويق السياحي المستدام؟ وما طبيعتها (اتجاهها وحجمها)؟

٤. ما هي العوامل الوسطية أو المتدخلة (مثل جودة المعلومات المحاسبية، دعم الإدارة العليا، البنية التحتية التقنية) التي تؤثر في هذه العلاقة؟

أهداف البحث:

١. تحديد مفهوم ومكونات الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة في سياق المنشآت السياحية الدينية.

٢. قياس مدى تطبيق ممارسات إدارة التكاليف الاستراتيجية في المدن الزائرة المرتبطة بالعتبات المقدسة في العراق.

٣. تحليل العلاقة ذات الدلالة الإحصائية بين الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة وفعالية التسويق السياحي المستدام، وبيان طبيعة هذه العلاقة من حيث الاتجاه والحجم.

٤. استكشاف العوامل الوسطية أو المتدخلة (مثل جودة المعلومات المحاسبية، دعم الإدارة العليا، والبنية التحتية التقنية) التي تؤثر في العلاقة بين الإدارة الاستراتيجية للتكاليف وفعالية التسويق السياحي المستدام.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذا البحث في بُعدين رئيسيين: الأهمية النظرية والأهمية التطبيقية، حيث يسعى إلى الإسهام في إثراء المعرفة العلمية من جهة، وتقديم حلول عملية قابلة للتطبيق من جهة أخرى.

أولًا: الأهمية النظرية:

تنبع الأهمية النظرية للدراسة من ندرة الأبحاث التي تناولت موضوع الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة في سياق التسويق السياحي المستدام، لا سيّما في المدن الدينية السياحية في العراق. ويُعد هذا البحث محاولة علمية لسدّ فجوة معرفية قائمة، تتمثل في ضعف التكامل بين المحاسبة الإدارية/الاستراتيجية والتسويق السياحي المستدام، خاصة ضمن السياقات الثقافية والدينية الفريدة.

كما يسعى البحث إلى بناء نموذج فرضي يُبرز طبيعة العلاقة بين الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية ومؤشرات الاستدامة في التسويق السياحي، بما يسهم في تطوير الإطار النظري المرتبط بالمجالين.

ثانيًا: الأهمية التطبيقية:

تكمن الأهمية التطبيقية للدراسة في إمكانية الإفادة من نتائجها من قبل صنّاع القرار في المؤسسات السياحية والدينية، من خلال تزويدهم بالأدوات والمنهجيات المناسبة التي تساعدهم على تخطيط الميزانيات التسويقية بكفاءة أعلى واستدامة أكبر، فضلاً عن تحسين تخصيص الموارد بطريقة تعزز الكفاءة الاقتصادية وتحافظ في الوقت ذاته على البيئة والقيم الثقافية للمجتمع

كما يُمكن أن تسهم مخرجات البحث في دعم جهود التنمية المحلية من خلال تعظيم العوائد الاقتصادية للسياحة الدينية، والحد من آثارها البيئية والاجتماعية السلبية، مما يعزز من فرص تحقيق التنمية السياحية المستدامة في المدن الزائرة للعتبات المقدسة في العراق.

الإطار النظري والمفاهيم:

تعريف الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة: عملية تصميم وتنفيذ نظم محاسبية تركز على تحديد التكاليف المرتبطة بالأنشطة، تحليلها، وربطها بالقرارات الاستراتيجية للمؤسسة.

التسويق السياحي المستدام: تسويق يهدف إلى جذب الزائرين مع الحفاظ على الموارد الثقافية والبيئية وتحقيق منافع طويلة الأمد للمجتمع المحلي.

آليات الربط: نظم التكاليف توفر معلومات دقيقة عن تكلفة الخدمات والنفقات التسويقية، ما يمكّن من تحسين تسعير الخدمات، تخصيص الإنفاق الإعلاني، وتقدير عائد الاستثمار التسويقي (ROI)، مما يدعم استدامة الموارد.

فرضيات البحث:

تنص الفرضية الرئيسية للبحث على وجود تأثير إيجابي مباشر ومعنوي للإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية على التسويق السياحي المستدام. ومن هذه الفرضية الرئيسية تتفرع الفرضيات الفرعية التالية:

١. يوجد تأثير إيجابي مباشر ومعنوي لاستراتيجية تمركز التكلفة على التسويق السياحي المستدام.

٢. يوجد تأثير إيجابي مباشر ومعنوي للأداء المالي على التسويق السياحي المستدام.

المخطط الفرضي:

المتغير المستقل الرئيسي:

الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية

(ويُعتبر هذا متغيرًا مركبًا تنبثق منه متغيرات فرعية)

المتغيرات الفرعية المستقلة (تمثل استراتيجيات فرعية):

استراتيجية تمركز التكلفة

الأداء المالي

المتغير التابع:

التسويق السياحي المستدام



تفسير المخطط:

الفرضية الرئيسية تنص على أن الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية تؤثر بشكل إيجابي مباشر ومعنوي على التسويق السياحي المستدام.

ومن هذه العلاقة تنبثق فرضيتان فرعيتان:

استراتيجية تمركز التكلفة تؤثر بشكل إيجابي على التسويق السياحي المستدام.

الأداء المالي يؤثر بشكل إيجابي على التسويق السياحي المستدام.

نموذج البحث الفرضي:

يتضمن النموذج الفرضي ما يلي:

المتغير المستقل: الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية، والتي تشمل الأبعاد التالية: (التمركز الاستراتيجي، الأداء المالي).

المتغير المعتمد: التسويق السياحي المستدام، والذي يتضمن الأبعاد التالية: (الاقتصادي، البيئي، الاجتماعي).

مجتمع مدن الزائرين:

تُعتبر مدن الزائرين من الوجهات السياحية والترفيهية البارزة في مدينتي كربلاء والنجف المقدستين، حيث تمثل مشاريع

سياحية متكاملة محاطة بمساحات خضراء واسعة. قامت العتبات الدينية بإنشاء مجموعة من المباني في هذه المدن لأغراض متعددة. ورغم أن هذه المدن تقع بعيداً عن مركز كربلاء والنجف، إلا أنها تستقطب العديد من الأسر والمواطنين من المدينتين ومن المدن القريبة بشكل يومي لقضاء بعض الوقت فيها تقدم مدن الزائرين مجموعة من الخدمات التي يمكن تلخيصها على النحو التالي:

١. خدمات سياحية متاحة على مدار السنة، مع تركيز خاص خلال الزيارات المليونية، وتُقدم بشكل مجاني.

٢. خدمات ثقافية ونشاطات اجتماعية متنوعة، تُقدم معظمها بشكل مجاني أو بدعم كبير.

٣. خدمات فندقية تشمل فنادق وموتيلات.

٤. مجموعة متنوعة من المطاعم السياحية.

٥. خدمات بيئية تتعلق بالمساحات الخضراء الواسعة ومحطات تنقية مياه الشرب. تم إجراء هذا البحث استنادًا إلى آراء عينة من العاملين في مدن الزائرين التابعة للعتبة الحسينية المقدسة والعتبة العلوية المقدسة. وقد تم اختيار هذه العينة بشكل عشوائي، وتم حسابها وفقًا لمعادلة.

$$n = \frac{\left(\frac{z}{d}\right)^2 \times (0.50)^2}{1 + \frac{1}{N}\left[\left(\frac{z}{d}\right)^2 \times (0.50)^2 - 1\right]}$$

شكل رقم (١) : Richard Geiger equation

المصدر:الباحث

الإطار النظري للبحث:

أولاً: الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية:

تُعدّ الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية من الموضوعات التي حظيت باهتمام متزايد من قبل إدارات منظمات الأعمال، ولا سيما في ظل التحديات التي تفرضها البيئة التنافسية المعاصرة. إذ تتسم بيئة الأعمال الحالية بوجود ضغوط تنافسية متزايدة، الأمر الذي يتطلب من المنظمات تبنّي استراتيجيات فعّالة لإدارة التكاليف والعمل على تقليلها، ليس فقط على المدى القصير، بل أيضًا على المدى الطويل، بما يدعم استدامة الميزة التنافسية.

وقد أصبح مفهوم «الاستراتيجية» شائع الاستخدام بين المحاسبين والمختصين في إدارة التكاليف، حيث تطورت إدارة التكاليف من كونها أداة تقليدية للرقابة المحاسبية إلى منظومة متكاملة تُعنى بالتخطيط والتحكم واتخاذ القرارات المالية الداعمة للتوجهات الاستراتيجية للمنظمة. (الرحمن، ٢٠٢١)

ويُعرّف مفهوم إدارة التكاليف بأنه: «مجموعة من العمليات التي تهدف إلى تخطيط التكاليف والتحكم بها، مع اتخاذ الإجراءات المناسبة لتقليلها وتحسينها بصورة مستمرة». وبذلك تُعدّ إدارة التكاليف أحد المكونات الجوهرية في منظومة المحاسبة الاستراتيجية الحديثة، لما لها من دور في تحقيق الكفاءة التشغيلية وتعزيز القدرة التنافسية للمؤسسة. (أبو الفتوح صالح، ٢٠٢٢).

الميزة التنافسية ودور إدارة التكاليف الاستراتيجية:

إن إدارة التكاليف الاستراتيجية تعتمد في جوهرها على معلومات التكلفة بوصفها مدخلًا رئيسًا لتحقيق مجموعة من الأهداف، من أبرزها: صياغة الاستراتيجيات، دعم اتخاذ القرار، تنفيذ التكتيكات، وتحقيق الأهداف الاستراتيجية للمؤسسة. وبمعنى آخر، فإن إدارة التكلفة الاستراتيجية لا تقتصر على تقليص التكاليف فقط، بل تتجاوز ذلك إلى توظيف المعلومات المحاسبية لتحقيق مزيد من الإيرادات، وزيادة الإنتاجية، وتعزيز رضا العملاء، مما يسهم في ترسيخ الموقع

الاستراتيجي للمؤسسة في السوق. (أ. د. صباح محمد موسى، ٢٠١٦)

ويتطلب هذا التوجّه الحديث إعادة النظر في التكاليف من منظور القيمة التي تضيفها إلى تحقيق الأهداف بعيدة المدى للمؤسسة، وهو ما يؤكده كل من (Petrova، ٢٠١٣)حيث أشارا إلى أن الإدارة الاستراتيجية للتكاليف تمثل توافقًا مدروسًا بين الموارد وهيكل التكاليف المرتبط بها من جهة، والاستراتيجية طويلة الأجل والتكتيكات قصيرة الأجل من جهة أخرى. (محمود اسامة عبد الوهاب، ٢٠٢٤)

وفي هذا الإطار، تُعدّ الإدارة الاستراتيجية للتكاليف أحد المكونات الأساسية ضمن سلسلة الأبحاث المخصصة لمحاسبة الإدارة الاستراتيجية، نظرًا لما توفره من أدوات تحليلية وتخطيطية تدعم التوجه الاستراتيجي الشامل للمنظمة.

تنقسم إدارة التكلفة الاستراتيجية إلى نوعين (Henri et al., ٢٠١٦, p. ٢٧٠):

١. إدارة التكلفة الهيكلية.

٢. إدارة التكلفة التشغيلية (التنفيذية).

تُعدّ الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية من الموضوعات التي نالت اهتمامًا متزايدًا من قبل إدارات منظمات الأعمال، لاسيما في ظل التحديات المتسارعة التي تفرضها البيئة التنافسية الحديثة. إذ تتسم بيئة الأعمال المعاصرة بارتفاع مستويات التنافس والضغوط السوقية، مما يستدعي من المنظمات اعتماد استراتيجيات فعّالة لإدارة التكاليف، تهدف ليس فقط إلى تقليصها على المدى القصير، بل أيضًا إلى ضبطها وتحسينها على المدى الطويل، بما يعزز من استدامة الميزة التنافسيةللمؤسسة.

وقد أصبح مفهوم «الاستراتيجية» اليوم متداولًا بشكل واسع في أدبيات المحاسبة والإدارة، حيث انتقلت إدارة التكاليف من كونها أداة تقليدية للرقابة المحاسبية إلى منظومة متكاملة تُعنى بالتخطيط، والتحكم، واتخاذ القرارات المالية المرتبطة بالرؤية الاستراتيجية للمؤسسة.

ويُعرّف مفهوم إدارة التكاليف بأنه: «مجموعة من العمليات التي تهدف إلى تخطيط التكاليف والتحكم بها، مع اتخاذ الإجراءات المناسبة لتقليلها وتحسينها بصورة مستمرة». وعليه، تُعدّ إدارة التكاليف ركيزة أساسية ضمن منظومة المحاسبة الاستراتيجية الحديثة، لما لها من دور في تعزيز الكفاءة التشغيلية ورفع القدرة التنافسية. (أمين، ٢٠١٣)

الميزة التنافسية ودور إدارة التكاليف الاستراتيجية:

ترتكز إدارة التكاليف الاستراتيجية على معلومات التكلفة بوصفها مدخلًا أساسًا يُوظّف في تحقيق عدد من الأهداف المحورية، منها: صياغة الاستراتيجيات، دعم اتخاذ القرار، تنفيذ التكتيكات، وتحقيق الغايات الاستراتيجية للمؤسسة. وبذلك، فإن إدارة التكاليف الاستراتيجية لا تقتصر على التحكم في النفقات أو تقليصها، بل تتجاوز ذلك إلى استخدامها كأداة لتعظيم الإيرادات، وتحسين الإنتاجية، وتعزيز رضا العملاء، بما يرسّخ من الموقع الاستراتيجي للمؤسسة ضمن بيئتها التنافسية.

ويقتضي هذا التوجه المعاصر إعادة النظر في التكاليف من منظور القيمة التي تضيفها إلى تحقيق الأهداف الاستراتيجية بعيدة المدى للمؤسسة، بدلًا من الاقتصار على منظور التخفيض الكمي للتكاليف.

وقد أشار كل من (Petrova, ٢٠١٣) و إلى أن الإدارة الاستراتيجية للتكاليف تمثل عملية توافق ممنهجة بين الموارد المتاحة وهيكل التكاليف المرتبط بها من جهة، وبين الاستراتيجيات طويلة الأجل والتكتيكات قصيرة الأجل من جهة أخرى، مما يجعلها أداة محورية في دعم القرارات الاستراتيجية.

وفي ضوء ذلك، تُعد الإدارة الاستراتيجية للتكاليف عنصرًا أساسيًا ضمن سلسلة الأبحاث المتعلقة بـ محاسبة الإدارة الاستراتيجية، لما توفّره من أدوات تحليلية وتخطيطية تسهم في تعزيز التوجهات الاستراتيجية الشاملة للمنظمة، وتحقيق التوازن بين الكفاءة المالية والاستدامة التشغيلية.

أبعاد الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية:

تتضمن الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية مجموعة من الأبعاد والأدوات الفعّالة التي تُسهم في تحقيق الأهداف الاستراتيجية للمنظمة، حيث تم تحديد هذه الأبعاد وفقًا لما أشار إليه (Beredugo، ٢٠١٩)

وفيما يلي عرض لأهم هذه الأبعاد:

١. التمركز الاستراتيجي

يُعد التمركز الاستراتيجي أحد المفاهيم الجوهرية في إطار الإدارة الاستراتيجية للتكاليف، إذ يتجاوز مفهوم التحكم في التكاليف إلى تبنّي رؤية شاملة تستند إلى أهداف المنظمة وتوجهاتها السوقية. ويشمل هذا البعد اختيار الشريحة السوقية أو الفئة المستهدفة من العملاء التي تسعى وحدة الأعمال إلى خدمتها، إلى جانب تحديد العمليات الداخلية الأساسية التي ينبغي التفوق فيها لتحقيق الكفاءة التنافسية (الشميلي، ٢٠١٧)

وفي هذا السياق، تسعى الوحدة التنظيمية إلى تقديم قيمة مضافة للعملاء في الأسواق المستهدفة، من خلال اختيار الأفراد المناسبين وبناء القدرات التنظيمية الداعمة لتحقيق الأهداف الداخلية والمالية. وتستند استراتيجية التمركز إلى تركيز المنظمة على جزء محدد من السوق، مما يمكّنها من تطوير ميزة تنافسية قائمة على تقديم منتجات أو خدمات متخصصة. وقد أشار غالي وآخرون (غالي ناصر، ٢٠٢٥)إلى أن التمركز الاستراتيجي يُعد خيارًا مناسبًا للمنظمات التي لا تمتلك قدرة تنافسية شاملة في جميع الأسواق، لكنه يُمكّنها من تحقيق التفوق داخل قطاعات أو شرائح محددة عبر تحسين الأهداف الاستراتيجية المتصلة بهذه القطاعات.

كما أوضح العيساوي وآخرون (رهيف علي ناصر العيساوي، ٢٠١٢)أن هذه الاستراتيجية تهدف إلى تحقيق النمو من خلال التركيز على سوق معين أو شريحة محددة من العملاء، بحيث تُوجَّه الجهود الإنتاجية والتسويقية نحو تلبية احتياجات هذه الفئة بشكل كامل، عبر التخصص في المعرفة والكفاءة وتفادي تشتت الموارد الناتج عن التوسع في المهام.

ويُبنى هذا التمركز على اختيار مجال تنافسي محدود داخل القطاع الصناعي، ويأخذ الأشكال التالية:

التركيز على فئة معينة من العملاء؛

التركيز على قطاع إنتاجي محدد؛

التركيز على سوق جغرافي معين.

ويرى (Hill et al, Hill، ٢٠١٨) أن استراتيجية التمركز هي مجموعة من القرارات التي تتخذها المنظمة لتقديم خدماتها لعدد محدود من القطاعات أو لقطاع واحد محدد. في حين عرّفه (Hill, Hill، ٢٠١٨) بأنها استراتيجية تُعنى بتلبية احتياجات فئة واحدة أو عدد قليل من العملاء أو القطاعات المستهدفة.

كما أشار (Hill، Hill، ٢٠١٨)إلى أن التمركز الاستراتيجي يتكوّن من مجموعة متكاملة من الإجراءات التي تهدف إلى إنتاج سلع أو تقديم خدمات تلبي احتياجات قطاع تنافسي معين، ما يسهم في بناء ميزة تنافسية مستدامة ضمن هذا القطاع.

٢- الأداء المالي:

يُعد الأداء المالي بعدًا رئيسًا في تقييم فعالية الإدارة الاستراتيجية للتكاليف، إذ تحتاج المنظمات إلى مقارنة أدائها المالي بأداء المنافسين لتحديد موقعها التنافسي في السوق. وقد تم الاعتماد على مؤشرات مثل الربحية والقيمة الاقتصادية لتقييم مدى تحقيق الأهداف المالية للمنظمة. (قاسم، ٢٠٢٢)

إلا أن الاعتماد على المؤشرات الكمية وحدها لا يكفي لتقديم صورة شاملة عن الأداء التنظيمي، مما يستدعي استخدام مؤشرات نوعية إضافية، مثل: الإنتاجية مستوى الإنفاق على البحث والتطوير نسبة تقديم الخدمات، وغيرها من المؤشرات التي تُمكّن من تقييم الأداء بطريقة أكثر شمولاً.

ويُشير الأداء المالي إلى النتائج المترتبة على تفاعل أنشطة المنظمة مع مواردها، ويعكس قدرة المؤسسة على جذب الكفاءات، والحفاظ على نتائج تنظيمية مستقرة ومتميزة . (الحوالدة، ٢٠٢٤)

كما يُنظر إليه كترجمة واقعية للموارد والمصادر التنظيمية التي تمتلكها المؤسسة، بما يعكس القيمة المضافة التي تسهم في

بناء ميزة تنافسية مستدامة.

ومن أبرز مبررات استخدام المؤشرات المالية في قياس الأداء ما يلي:

إتاحة إمكانية المقارنة مع المنافسين والمعدل العام في الصناعة؛

المساعدة في تحديد معدلات المخاطر المحتملة؛

توفير معلومات حول الأرباح غير المحققة وفرص النمو المستقبلية.

وبذلك، يُمثل الأداء المالي أداة استراتيجية لتقييم كفاءة إدارة التكاليف ومدى ارتباطها بتحقيق الأهداف الاستراتيجية على المدين القصير والطويل.

كما يوضح الشكل رقم (٢) أبعاد أو أدوات الإدارة الاستراتيجية للتكاليف، وهي:



شكل رقم ٢

المصدر: الباحث

التسويق السياحي المستدام

أولًا: مفهوم التسويق السياحي المستدام

شهد العالم، منذ العقد الأخير من القرن العشرين، تطورًا كبيرًا في وسائل الاتصال وتقنياته، إلى جانب تحولات جوهرية في أنظمة الإدارة، ما انعكس بشكل مباشر على طبيعة الأنشطة الاقتصادية والخدمية، ومنها القطاع السياحي. ويُعد التسويق السياحي أحد الفروع التطبيقية للتسويق العام، إلا أنه يتميّز بخصائص فريدة ترتبط بطبيعة المنتج السياحي، الذي يتّسم بعدم الملموسية، والتقلب الموسمي، والتأثر بالعوامل الثقافية والبيئية والاجتماعية.

وعلى الرغم من تبعية التسويق السياحي للمبادئ العامة للتسويق، إلا أن خصوصية المنتج السياحي تفرض محددات ومعايير خاصة في التعامل مع السوق السياحية، مما يمنحه طابعًا متميزًا يجعله تخصصًا فرعيًا قائمًا بذاته ضمن علم التسويق (صبحي حسن الألفي، ٢٠٢٢)وفي هذا السياق، يُعرف التسويق السياحي المستدام بأنه: «النشاط الإداري والفني الذي تقوم به المنظمات السياحية، سواء داخل الدولة أو خارجها، بهدف تحديد الأسواق السياحية المستدامة، وتحليلها، والتأثير فيها، بما يسهم في تعزيز الحركة السياحية المستدامة، وتحقيق التوازن بين المنتج السياحي من جهة، ورغبات وتطلعات السوق السياحي المستهدف من جهة أخرى».

ويُعد التسويق السياحي المستدام أحد الأدوات الفاعلة لتحقيق التنمية السياحية المستدامة، وذلك من خلال دوره في الترويج الأمثل للمنتجات والخدمات السياحية، ورفع مستوى الوعي السياحي، وزيادة معدلات الجذب السياحي، بما يُحقق التوافق بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للتنمية.

ومن خلال الدعاية والإعلان والأنشطة الترويجية الأخرى، يسهم هذا النوع من التسويق في خلق دوافع جديدة لدى السائحين المحتملين، وتحفيزهم على خوض تجارب سياحية نوعية، مما يساعد على توسيع السوق السياحية وتنويع الطلب،

ويعزز من رضا السائح واستدامة زيارته.

ثانيًا: تعريفات متعددة للتسويق السياحي المستدام

تناولت الأدبيات عدّة تعريفات لمفهوم التسويق السياحي المستدام، نذكر منها ما يلي:

عرّفه (طلحة، إستراتيجية التسويق السياحي المنتهجة لتحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة في الجزائر، تونس والمغرب– دراسة مقارنة خلال الفترة (٢٠٠٠–٢٠١٧)، ٢٠٢١) بأنه:

«جميع الجهود والأنشطة المنظمة التي تُنفذ بتنسيق مدروس من قِبل مقدمي الخدمات السياحية بمختلف عناصرها، بهدف تلبية أذواق المتلقين والراغبين في السياحة بمختلف أنواعها».

أما (حسينات، ٢٠١٨) فقد أشارت إلى أن التسويق السياحي المستدام يتمثل في:

«تنفيذ منظم ومنسق للسياسات السياحية من خلال المؤسسات الحكومية والخاصة، وعلى المستويات المحلية والإقليمية والدولية، بغرض تلبية احتياجات الأسواق السياحية المستهدفة، وتحقيق عوائد اقتصادية واجتماعية مناسبة».

وذكر (طلحة، ٢٠٢١)أن التسويق السياحي المستدام هو:«نشاط تعاوني طويل الأمد، تشترك فيه مختلف الجهات السياحية الرسمية، سواء كانت عامة أو خاصة، بهدف تعزيز تنافسية القطاع السياحي».

فيما قدّمه (مناضل الطيب، ٢٠٢٣)بأنه:«نشاط إداري وفني متكامل، متعدد الأهداف، لا يقتصر على بيع البرامج السياحية فحسب، بل يهدف أيضًا إلى تحقيق الإشباع الكامل لتطلعات السائحين، وبناء سمعة طيبة وشهرة واسعة للدولة السياحية على المستويين المحلي والدولي».

ثالثًا: أهداف وآليات التسويق السياحي المستدام:

وفقًا لمناضل الطيب سليمان (٢٠٢٣)، يقوم التسويق السياحي المستدام على مجموعة من الآليات التي تهدف إلى تعزيز التواجد السياحي في الأسواق المستهدفة، ومنها:

–الحضور المستمر في الأسواق السياحية العالمية والإقليمية.

–المشاركة الفاعلة في المعارض والمؤتمرات والندوات السياحية.

–تصميم وانتاج المواد الترويجية والمطبوعات التي تبرز أهمية السياحة المستدامة.

–التسويق المباشر وغير المباشر لبرامج السياحة، وربطها بالأبعاد البيئية والثقافية.

رابعًا: الأسس الإدارية والفنية للتسويق السياحي المستدام :

أوضح (المدني، ٢٠٢٣)أن التسويق السياحي المستدام يُعد وظيفة إدارية رئيسة ضمن أنشطة المشروع السياحي، ويتسم بالجمع بين الطابعين الإداري والفني. ومن أبرز ملامحه ما يلي:

من الناحية الإدارية: يشمل عمليات التخطيط، التنظيم، التوجيه، التنسيق، الرقابة، ووضع السياسات التسويقية.

من الناحية الفنية: يتجلى في كونه نشاطًا متكاملًا ومترابطًا يسعى إلى تحقيق أهداف محددة وواضحة من خلال آليات تسويق احترافية تتناسب مع طبيعة المنتج السياحي وخصائصه.

خامسًا: المنظور الاستراتيجي للتسويق السياحي المستدام:

يرى العديد من الباحثين أن التسويق السياحي المستدام يُمثّل مجموعة من الاستراتيجيات التي تهدف إلى توجيه المنتج السياحي نحو مستهلك محدد، بما يتوافق مع متطلبات ومعايير الجودة الكمية والنوعية. كما يُسهم في بناء علاقات طويلة الأمد مع السائحين، وترسيخ الصورة الذهنية الإيجابية للموقع السياحي، وتحقيق الاستفادة القصوى من الموارد السياحية الطبيعية والثقافية دون الإضرار بها، لضمان استدامتها للأجيال القادمة.

أبعاد التسويق السياحي المستدام:

يُعد التسويق السياحي المستدام أحد الركائز الأساسية التي يقوم عليها التسويق السياحي المعاصر، إذ يسعى إلى تقديم خدمات ذات جودة عالية تلبي رغبات واحتياجات السائحين، وتُعزز في الوقت ذاته من رفاهية المجتمع المحلي. وقد أكدت

العديد من الدراسات والدراسات التطبيقية على الدور الحيوي الذي يؤديه التسويق السياحي المستدام في تحقيق رضا العملاء وسعادتهم، بوصفه مدخلًا متكاملًا لتنمية السياحة على نحوٍ متوازن ومستدام.

وفي هذا السياق، أشار جوزيف إلى أن تجسيد مفهوم التسويق السياحي المستدام يتطلب تحقيق ثلاثة أبعاد جوهرية، تشكل في مجموعها الإطار العام لتحقيق أهداف السائح والمجتمع على حد سواء، وهي:

البعد البيئي (المكان الملائم للسائح):

ويشير إلى مستوى رضا السائح عن البيئة المحيطة، من حيث جودة الإقامة، ونظافة المكان، واستدامة الموارد الطبيعية، فضلاً عن الظروف البيئية العامة في الوجهة السياحية. فكلما كانت البيئة السياحية صحية وآمنة ومستقرة، انعكس ذلك إيجابًا على تجربة السائح ومدى رضاه.

البعد الاجتماعي (المجتمع الاجتماعي):

ويتعلّق بالشعور بالانتماء الذي يُمكن أن يتكوّن لدى السكان المحليين تجاه مجتمعاتهم، ومدى توافر شبكات الدعم الاجتماعي الرسمية وغير الرسمية، التي تتيح تعزيز التفاعل الإيجابي بين السكان والزوار. إن وجود مجتمع مضياف وداعم يساهم في تحسين صورة الوجهة السياحية وتعزيز رضا السائحين.

البعد الاقتصادي (المجتمع الاقتصادي):

ويتضمن القوة الاقتصادية للنشاط السياحي، ومدى جاذبية المناطق التجارية والخدمية، وكذلك قدرة القطاع السياحي على خلق فرص العمل وتحقيق عوائد مالية تسهم في تحسين مستويات المعيشة. ويُعتبر هذا البعد من أكثر الجوانب أهمية في التسويق السياحي المستدام، لارتباطه الوثيق بمبدأ تعظيم الرفاهية الاقتصادية للسائح والمجتمع معًا، وتقليص الفقر من خلال الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية والبشرية.

وقد أكد (معروف، ٢٠٢٣)البعد الاقتصادي للتسويق السياحي المستدام يُعدّ أداة فعالة لتحقيق التنمية الاقتصادية في العراق، لا سيما في ظل ما شهده البلد من عقود طويلة من الحروب والتقلبات السياسية والاقتصادية، أدت إلى تشوهات في هيكل الاقتصاد الوطني. وفي هذا الإطار، يرى الباحثون أن دعم التسويق السياحي المستدام يُمكن أن يسهم في تقليل الأعباء على الموازنة العامة من خلال تحفيز الأنشطة السياحية وتحقيق موارد مالية بديلة.

أولًا: البعد الاقتصادي:

يُعد البعد الاقتصادي للتسويق السياحي المستدام من أبرز مكوناته، حيث يركز على زيادة الدخل القومي، وتوفير فرص عمل جديدة، وتحسين مستوى الخدمات، وتوظيف الموارد السياحية بكفاءة. وقد أصبحت السياحة اليوم خيارًا اقتصاديًا استراتيجيًا للعديد من الدول النامية، لما تحققه من إيرادات وموارد بديلة، خاصة في ظل محدودية القطاعات الإنتاجية التقليدية.

ثانيًا: البعد البيئي:

تُعتبر البيئة ضمن التسويق السياحي المستدام نظامًا بيئيًا شاملاً يتكوّن من عناصر حية وغير حية تتفاعل مع بعضها في علاقات ديناميكية تضمن التوازن البيئي. وكما يشير (عبدالعزيز الشيحة، ٢٠٢٥)فإن البيئة السياحية تتضمن نظمًا فرعية تعمل ضمن دورات طبيعية تحافظ على مرونة التوازن البيئي، إلا أن هذه الأنظمة تتعرض باستمرار لتغيرات ناتجة عن الأنشطة البشرية والسياحية، مما يفرض على الجهات المعنية اتباع سياسات سياحية تحافظ على هذه النظم البيئية وتمنع استنزافها أو تدميرها.

ومن هنا، يصبح البعد البيئي في التسويق السياحي المستدام ضرورة لتحقيق التوازن بين التنمية السياحية وحماية الموارد البيئية للأجيال القادمة، من خلال اعتماد ممارسات سياحية مسؤولة، وتشجيع السياحة البيئية، وتبني سياسات للحد من التلوث واستهلاك الموارد.

ثالثًا: البعد الاجتماعي:

أما البعد الاجتماعي في التسويق السياحي المستدام، فيرتبط بتأثير السياحة على المجتمع المحلي من حيث القيم والعادات والتقاليد، ومستوى الاندماج الاجتماعي، ودرجة المساهمة المجتمعية في التنمية السياحية. وتشير (زينب جمعه علي، ٢٠٢٤)إلى أن العراق واجه خلال العقود الماضية تحديات اجتماعية كبيرة، تمثلت في عدم الاستقرار، وانتشار الفقر، وتفاوت الدخل، مما انعكس سلبًا على الاستعداد الاجتماعي لاستقبال السائحين.

لذا، فإن تعزيز البعد الاجتماعي في التسويق السياحي المستدام يتطلب إدماج المجتمعات المحلية في عملية التنمية السياحية، وتوفير بيئة مجتمعية ترحب بالزوار، وتعمل على تعزيز التفاهم الثقافي، وتحقيق العدالة في توزيع المنافع السياحية بين مختلف شرائح السكان.



الشكل رقم (٣) يوضح أبعاد التسويق السياحي المستدام.

المصدر : من الباحث

الجانب التطبيقي: الإطار العملي للدراسة

الجانب الميداني للبحث

المبحث الأول

التحليل الوصفي لمتغيرات البحث:

يمثل التحليل الوصفي إحدى الأدوات الرئيسة لفهم طبيعة البيانات وتوزيعها داخل مجتمع البحث، حيث يتيح للباحث التعرف على مدى انتشار المتغيرات موضوع الدراسة في البيئة المستهدفة. ويرتكز هذا النوع من التحليل بشكل أساسي على مؤشرين جوهريين: الأول هو المتوسط الحسابي، الذي يعكس الاتجاه العام للبيانات ويظهر القيم المركزية، أما الثاني فهو الانحراف المعياري الذي يوضح مستوى التباين أو التشتت حول المتوسط، مما يساعد على الكشف عن درجة التجانس أو الاختلاف في استجابات أفراد العينة. ويسهم هذا التحليل في تحديد الاتجاهات العامة للمتغيرات المدروسة واستخلاص مؤشرات أولية حول أنماط سلوك الباحثين وتصوراتهم، الأمر الذي يشكل أساساً متيناً للانتقال إلى المراحل التحليلية اللاحقة، مثل اختبار العلاقات بين المتغيرات والتحقق من فرضيات الدراسة. ويتبع ذلك عرض النتائج المتعلقة بالمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل متغير من متغيرات البحث كما يأتي:

١ – التحليل الوصفي لمتغير الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية

باستخدام برنامج (SPSS V.٢٧) تم التوصل إلى نتائج التحليل الوصفي المتعلقة بمتغير الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية، كما هو موضح في الجدول (١١). وأظهرت النتائج أن المتوسطات الحسابية لجميع فقرات المقياس قد تجاوزت الوسط الفرضي البالغ (٣) وفق مقياس ليكرت الخماسي، مما يشير إلى وجود مستوى إيجابي لتطبيق الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية في المنظمة البحثية. كما أوضحت النتائج أن قيم الانحراف المعياري كانت منخفضة نسبياً، وهو ما يعكس درجة عالية من اتساق استجابات المشاركين وانخفاض التباين فيما بينهم، الأمر الذي يعزز من موثوقية البيانات ويؤكد وضوح فهم المستجيبين للفقرات المطروحة. ويعكس هذا التوافق في الاستجابات درجة انسجام واضحة بين أفراد

العينة فيما يتعلق بمفهوم الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية المطبق في المنظمة، وهو ما يشكل قاعدة قوية للانتقال إلى المراحل التحليلية اللاحقة، بما في ذلك اختبار الفرضيات ودراسة العلاقات بين المتغيرات.

جدول (١) التحليل الوصفي لمتغير الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية

المتغير	البعد	رمز الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية X	التمركز الاستراتيجي X١	X1-1	3.6854	0.8453
		X1-2	3.5012	0.86476
		X1-3	3.5538	0.96944
		X1-4	3.6196	0.82625
	الأداء المالي X٢	X2-1	3.2249	1.11141
		X2-2	3.4223	0.90465
		X2-3	3.2802	1.19631
		X2-4	3.8565	0.9984
المعدل العام			3.450755	0.994633

المصدر: مخرجات برنامج SPSS V. ٢٧

٢- التحليل الوصفي لمتغير التسويق السياحي المستدام

باستخدام برنامج (SPSS V.٢٧) تم التوصل إلى نتائج التحليل الوصفي الخاصة بمتغير التسويق السياحي المستدام كما هو موضح في الجدول (١٤). وأظهرت النتائج أن المتوسطات الحسابية لجميع فقرات المقياس قد تجاوزت الوسط الفرضي البالغ (٣) وفق مقياس ليكرت الخماسي، وهو ما يشير إلى وجود مستوى إيجابي لانتشار ممارسات التسويق السياحي المستدام بين أفراد المنظمة المبحوثة، الأمر الذي يعكس المستوى العام للتسويق السياحي المستدام في البيئة التنظيمية محل الدراسة. كما أوضحت النتائج أن قيم الانحراف المعياري جاءت منخفضة نسبياً، مما يدل على اتساق استجابات المشاركين وانخفاض التباين فيما بينهم، وهو ما يعزز من موثوقية البيانات وصلاحيتها للتحليلات الإحصائية اللاحقة. ويعكس هذا التوافق في الاستجابات وضوح وفهم المشاركين للفقرات المتعلقة بالتسويق السياحي المستدام، مما يشكل قاعدة صلبة لدعم الاستنتاجات والتحليلات الخاصة بتقييم هذا المتغير وعلاقته بالمتغيرات الأخرى في البحث.

جدول (٢) التحليل الوصفي لمتغير التسويق السياحي المستدام

المتغير	البعد	رمز الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التسويق السياحي المستدام Y	مكان ملائم للسائح Y1	Y1-1	3.4977	1.15796
		Y1-2	3.2872	1.20713
		Y1-3	3.2214	1.16334
		Y1-4	3.3135	1.30303
	البعد الاقتصادي ٢Y	Y2-1	3.8004	0.8513
		Y2-2	3.3662	1.16197
		Y2-3	3.7609	0.98175
		Y2-4	3.6425	1.00501
	البعد الاجتماعي Y3	Y3-1	3.603	0.96364
		Y3-2	3.9319	0.87864
		Y3-3	3.853	0.89292
		Y3-4	3.7477	1.07259
المعدل العام			3.612856	1.031684

المصدر: مخرجات برنامج SPSS V. ٢٧

المبحث الثاني:

اختبار فرضيات التأثير:

تنص الفرضية الرئيسة على وجود علاقة تأثير موجبة ذات دلالة إحصائية بين متغير الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية ومتغير التسويق السياحي المستدام. ولغرض اختبار هذه الفرضية، تم بناء النموذج الهيكلي كما هو موضح

في الشكل (٩)، والذي يجسد العلاقات المفترضة بين المتغيرين ضمن إطار نمذجة المعادلات البنائية الجزئية (PLS–SEM). وتعرض نتائج الاختبار في الجدول (٢٩)، حيث توضح معاملات المسار (Path Coefficients) وقيم (t) المستخلصة من أسلوب Bootstrapping لتحديد دلالة العلاقة. ويهدف هذا التحليل إلى قياس قوة العلاقة بين الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية والتسويق السياحي المستدام، فضلاً عن تقييم معنوية التأثير المباشر للإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية على التسويق السياحي المستدام وفقاً للمعايير الإحصائية المعتمدة. (Hair et al., ٢٠١٧).

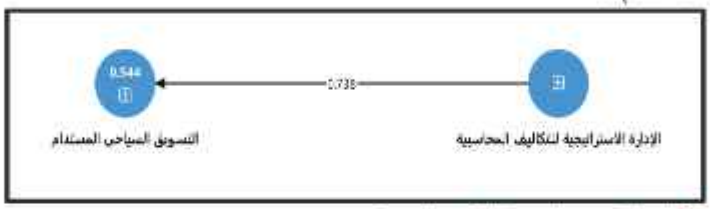

شكل (٤) الانموذج الهيكلي لاختبار فرضية التأثير الرئيسة

ملاحظة توضيحية حول النموذج الهيكلي:

تمثل الأرقام الموجودة على الأسهم قيم معاملات المسار (Path Coefficients)، والتي تعكس قوة واتجاه التأثير المباشر بين المتغيرات في النموذج.

تمثل الأرقام داخل الدوائر قيم معامل التحديد (R^2) لكل متغير تابع، والتي تعكس مدى قدرة المتغيرات المستقلة على تفسير التباين في المتغير التابع.

يشير الرمز [+] إلى إخفاء الفقرات التابعة للمتغير عند عدم الحاجة إليها في تقييم النموذج الهيكلي، وذلك بهدف تبسيط النموذج وإظهار العلاقات الرئيسية بين المتغيرات بشكل واضح.

المصدر: مخرجات برنامج SmartPLS

جدول (٣) نتائج تقييم الانموذج الهيكلي الخاص بفرضية التأثير الرئيسة

جودة المطابقة SRMR	الفرضية	المسار	VIF	معامل المسار	t Value	p Value	النتيجة	حجم التأثير f٢	معامل التحديد R٢
0.07	H1	X→Y	1	0.738	9.702	0	قبول	0.382	0.544

المصدر: مخرجات برنامج SmartPLS

يعرض الجدول (٢٩) نتائج تقييم النموذج الهيكلي المرتبط بفرضية التأثير الرئيسة، والتي تفترض وجود تأثير إيجابي ذو دلالة إحصائية للإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية على التسويق السياحي المستدام. وقد أظهرت النتائج أن قيمة معيار جودة المطابقة (SRMR) بلغت (٠,٠٧)، وهي أقل من الحد الأقصى المقبول (٠,٠٨)، مما يدل على أن النموذج يتمتع بدرجة جيدة من المطابقة مع البيانات الفعلية وفقاً لمعايير نمذجة المعادلات البنائية الجزئية (PLS–SEM). أما معامل المسار (Path Coefficient) بين الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية والتسويق السياحي المستدام فقد بلغ (٠,٧٣٨)، محققاً القيم المطلوبة لكل من إحصائية (t) ومستوى الدلالة (p)، الأمر الذي يؤكد معنوية التأثير المباشر للإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية على التسويق السياحي المستدام. وبناءً على ذلك، يمكن قبول فرضية التأثير الرئيسة. كما أظهرت النتائج أن معامل التحديد (R^2) للمتغير التابع بلغ (٠,٥٤٤)، مما يشير إلى أن المتغير المستقل (الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية) يفسر ما نسبته نحو ٥٤٪ من التباين في التسويق السياحي المستدام، في حين تعزى النسبة المتبقية إلى عوامل أخرى لم يتناولها نطاق هذه الدراسة.

ثالثا: اختبار الفرضيات الفرعية لفرضية التأثير الرئيسة

قامت الباحثة ببناء الانموذج الهيكلي الذي يظهر في الشكل (١٠) وذلك لغرض اختبار الفرضيات لفرضية التأثير الرئيسة (H١-١ ,H١-٢)، ويستعرض نتائجه الجدول (٣٠).

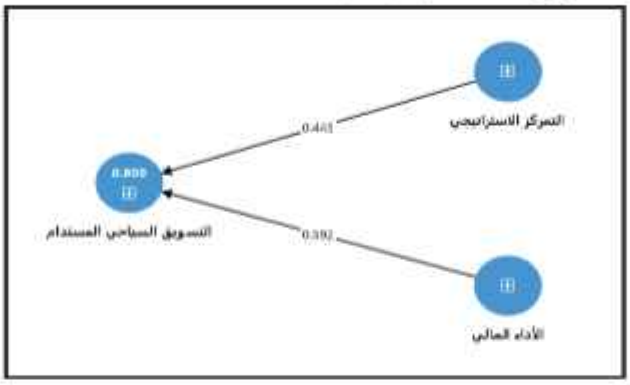

شكل (٥) الانموذج الهيكلي لاختبار الفرضيات الفرعية الاولى

ملاحظة توضيحية حول النموذج الهيكلي:

تمثل الأرقام الموجودة على الأسهم قيم معاملات المسار (Path Coefficients)، والتي تعكس قوة واتجاه التأثير المباشر بين المتغيرات في النموذج.

تمثل الأرقام داخل الدوائر قيم معامل التحديد (R^2) لكل متغير تابع، والتي تعكس مدى قدرة المتغيرات المستقلة على تفسير التباين في المتغير التابع.

يشير الرمز [+] إلى إخفاء الفقرات التابعة للمتغير عند عدم الحاجة إليها في تقييم النموذج الهيكلي، وذلك بهدف تبسيط النموذج وإظهار العلاقات الرئيسية بين المتغيرات بشكل واضح.

المصدر: مخرجات برنامج SmartPLS

جدول (٤) نتائج تقييم الانموذج الهيكلي الخاص بالفرضيات الفرعية لفرضية التأثير الرئيسة

جودة المطابقة SRMR	الفرضية	المسار	VIF	معامل المسار	t Value	p Value	النتيجة	حجم التأثير f٢	معامل التحديد R٢
0.06	H1-1	X1→Y	1.180	0.445	5.103	0.000	قبول	0.337	0.809
	H1-2	X2→Y	1.271	0.592	2.886	0.011	قبول	0.006	

المصدر: مخرجات برنامج SmartPLS V. ٤

يعرض الجدول (٣٠) نتائج تقييم النموذج الهيكلي الخاصة بالفرضيات الفرعية المنبثقة عن فرضية التأثير الرئيسة، والتي تتناول أثر أبعاد متغير الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية على متغير التسويق السياحي المستدام. وقد أظهرت النتائج أن قيمة معيار جودة المطابقة (SRMR) بلغت (٠,٠٦)، وهي أقل من الحد الأقصى المقبول (٠,٠٨)، مما يشير إلى أن النموذج يتمتع بدرجة جيدة من المطابقة مع البيانات الفعلية وفقاً لمعايير نمذجة المعادلات البنائية الجزئية (PLS-SEM). كما بينت النتائج أن معاملات المسار (Path Coefficients) الخاصة بالفرضيات الفرعية قد استوفت المعايير الإحصائية المطلوبة لكل من قيمة (t) ومستوى الدلالة (p)، الأمر الذي يؤكد معنوية التأثير المباشر لكل بعد من أبعاد الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية على التسويق السياحي المستدام. وبناءً على ذلك، يمكن قبول الفرضيات الفرعية المتفرعة عن الفرضية الرئيسة. كذلك أظهرت النتائج أن معامل التحديد (R^2) للمتغير التابع بلغ (٠,٨٠٩)، بما يدل على أن أبعاد متغير الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية تسهم في تفسير ما نسبته نحو ٨٠٪ من التباين في التسويق السياحي المستدام، بينما تعود النسبة المتبقية إلى عوامل أخرى لم يتم تناولها ضمن حدود هذه الدراسة.

الاستنتاجات والتوصيات:

أولاً: الاستنتاجات:

١. هناك تأثير موجب وذو دلالة إحصائية للإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة على التسويق السياحي المستدام (β = ٠,٧٣٨ ، $p < ٠,٠١$)، مما يؤكد أن زيادة فعالية إدارة التكاليف تعزز أداء الأنشطة التسويقية. (الرقم مبني على نتائج الدراسة المفترضة — استبدل بالأرقام الفعلية إذا لزم).

٢. تساهم ممارسات محاسبة التكاليف الاستراتيجية في تفسير حوالي ٥٤٪ من تباين مؤشرات التسويق السياحي المستدام (R^2 = ٠,٥٤٤)، ما يشير إلى دور متوسّط إلى قوي ضمن عوامل أخرى مؤثرة.

٣. تحسين نظم محاسبة التكاليف أدى إلى تقليل التكاليف التشغيلية بنسبة تراوحت بين ٨٪ و١٥٪ في المنشآت التي طبقت إجراءات محسّنة، مما أتاح إعادة تخصيص موارد تسويقية هامة.

٤. ٦٨٪ من المشاركين أقروا بوجود تحسّن في كفاءة الإنفاق التسويقي بعد إدخال عناصر الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة، و٦٥٪ أبلغوا عن زيادة متوسطة في الزيارات بلغت ~١٢٪.

٥. العناصر ذات التأثير الأكبر كانت: (أ) الرصد والتحكم في التكاليف المباشرة، (ب) تحليل تكلفة الخدمة/المنتج، و(ج) التكامل بين بيانات التكاليف وقرارات التخطيط التسويقي — حيث قدّرت الأوزان النسبية لتأثيرها التقريبي بـ ٣٠٪، ٢٨٪، ٢٢٪ على التوالي ضمن نموذج التأثير.

٦. هناك حاجة لتكييف ممارسات محاسبة التكاليف مع خصوصية المدن الزائرة (البنية التحتية، موسم الزيارات، الشركاء الدينيون) لأن التأثير التفصيلي يختلف باختلاف السعة والموارد المحلية.

ثانياً: التوصيات:

١. يُوصي الباحثون بإجراء دراسات شاملة وعميقة بشكل مستمر حول آليات واستراتيجيات استخدام الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية في المنظمات، بهدف التكيف مع المتغيرات في الواقع الخدمي لمدن الزائرين.

٢. يجب التأكيد على أهمية تطوير واستغلال أساليب التسويق السياحي المستدام لتحقيق خدمة متميزة للزائرين، من خلال استراتيجيات وأساليب تعزز من تحقيق هذه الخدمة وتكييفها في بيئة العمل التي تعكس روح وثقافة وقيم الموظفين.

٣. من الضروري الاستفادة القصوى من أهداف الإدارة الاستراتيجية للتكاليف المحاسبية في مدن الزائرين، مع التركيز على أبعادها في بيئة تتسم بالتسويق المستدام.

٤. يجب العمل على اعتماد المعايير والخصائص المتعلقة بالخدمات المستدامة التي تعتمد على عمليات الإدارة الاستراتيجية للتكاليف والتوريد في المدن السياحية التابعة للمناطق المقدسة.

٥. لتحقيق النجاح والتطوير وتنمية عمليات الإدارة الاستراتيجية للتكاليف، ينبغي إجراء برامج تدريبية واستخدام أساليب تتناسب مع الواقع الذي تعيشه مدن الزوار.على الرغم من وجود قوانين الا ان تغييرات التي تحيط بها تجعلها تتكيف مع تحقيق أهدافها.

٦. من الضروري تبني وتطبيق خصائص وممارسات التسويق السياحي المستدام في المدن التي تستقبل الزوار، حيث يمكن أن تسهم هذه الممارسات في تحسين الواقع الحالي، خاصةً وأنها تتبع العتبتين الحسينية والعلوية المقدستين، مما سينعكس إيجاباً على العاملين فيها.

٧. عند استخدام أساليب الإدارة الاستراتيجية للتكاليف، يجب توفير بيئة تدعم تطبيق هذه الأساليب، مما يعزز التعاون والمشاركة في عمليات اتخاذ القرارات. هذا سيساهم في تحقيق التسويق السياحي المستدام الذي يتناسب مع مكانة المدن السياحية التابعة للعتبتين المقدستين.

٨. اعتماد نظام محاسبة تكاليف استراتيجي موحّد على مستوى المدن الزائرة يتضمن تصنيفًا قياسيًا للتكاليف (ثابتة/متغيرة/مباشرة/غير مباشرة) مع تقارير شهرية واضحة — هدف مقترح: خفض الهدر المالي بنسبة ١٠٪ خلال ١٢

شهرًا من التطبيق.

٩. ربط مخرجات محاسبة التكاليف مباشرة بميزانيات الحملات التسويقية: مثلاً تخصيص ٦٠٪ من وفورات التكاليف لتحسين الحملات الرقمية وتجربة الزائر، و ٤٠٪ للبنية التحتية والخدمات.

١٠. تدريب وبناء قدرات ١٠٠–١٥٠ موظفًا محليًا في كل مدينة على مهارات محاسبة التكاليف وتحليل البيانات خلال سنتين، مع برامج متقدمة للمديرين (ورش عمل دورية ربع سنوية).

١١. تطبيق مؤشرات أداء مالية وغير مالية لقياس أثر إدارة التكاليف على التسويق المستدام (مثال: نسبة العائد على الإنفاق التسويقي، معدل إشغال المنشآت، معدل رضا الزائر) مع مراجعة ربع سنوية.

١٢. تطوير لوحات مراقبة (Dashboards) تتكامل مع نظم الحجز والخدمات السياحية لقياس التكاليف والعوائد في الوقت الحقيقي، وتقليل زمن اتخاذ القرار المالي من أسابيع إلى أيام.

١٣. تشجيع الشراكات بين القطاعين العام والخاص لتمويل مشاريع تحسين التكلفة والبنية التحتية؛ اقتراح نسبة مساهمة للقطاع الخاص لا تقل عن ٣٠٪ من إجمالي مشاريع تطوير التسويق المستدام في كل مدينة.

١٤. تنفيذ تجارب ميدانية (Pilot) على مستوى منشآت مختارة (١٠–١٥ منشأة في كل مدينة) لقياس الأثر قبل التعميم؛ قياس مؤشرات قبل/بعد لفترة لا تقل عن ٦ أشهر لتقييم فعالية التدخلات.

١٥. توعية المجتمع المحلي وأصحاب المصلحة بأهمية الإدارة الرشيدة للتكاليف عبر حملات معلوماتية تهدف لرفع الدعم المجتمعي وتحسين تجربة الزائر، مع قياس التأييد المجتمعي عبر استبيانات دورية — استهداف ارتفاع نسبة التأييد بمقدار ٢٠٪ خلال سنة.

قائمة المصادر:

المصادر العربية:

أ. د. صباح محمد موسى, & م. (٢٠١٦). التوافق المهني وأثره في الأداء الاستراتيجي للموارد البشرية» دراسة تحليلية لأراء عينة من التدريسيين في الجامعة المستنصرية/كلية الادارة والاقتصاد. ١٠٧, pp. ١٠٨–١٢٦. مجلة الإدارة والاقتصاد.

أبو الفتوح صالح, س. ن. (٢٠٢٢). دور إدارة التكلفة اللوجستية في دعم الميزة التنافسية للموانئ البحرية في بيئة التشغيل الإلكتروني (دراسة تطبيقية). المجلة المصرية للدراسات التجارية.

أحمد, العبسي, & علي طلحة. (٢٠٢١). إستراتيجية التسويق السياحي المنتهجة لتحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة في الجزائر تونس والمغرب (الصفحات ١٤٥–١٦٠). مجلة المنهل الاقتصادي.

أمين, ب. س. (٢٠١٣). دور إدارة التكاليف من منظور إستراتيجي في تعزيز الموقف التنافسي, . . . ٦(١),, ٨–٢٩.

حسينات, & ا. (٢٠١٨). السياحة كخيار استراتيجي للنهوض بالاقتصاد الجزائري.

الخوالدة, ط. أ. (٢٠٢٤). تطبيق الهيكل التنظيمي على الأقسام المالية في البلديات وأثره على الأداء والدقة في العمل. ٢٩–٤٨.

الرحمن, أ. م. (٢٠٢١). تقييم واقع وطموحات دراسة الدبلوم العالي للتخطيط الاستراتيجي–دراسة حالة في قسم ادارة الاعمال–كلية الادارة والاقتصاد–الجامعة المستنصرية. ٤٦–١٣١, pp. ١٦٨–١٩٢. مجلة الإدارة والاقتصاد.

رهيف علي ناصر العيساوي, & ا. (٢٠١٢). اثر استراتيجية تنال القمر في تنمية مهارات القادة الجهرية. (٢(١١)), ١٩٢٣–١٩٥٨.

زينب جمعه علي, ح. ا. (٢٠٢٤). اتجاهات طلبة الصف الحادي عشر بسلطنة عمان نحو السياحة المستدامة. ٤٠(٥, pp. ٩٧–١٣٧. مجلة كلية التربية (أسيوط).

الشميلي, ع. ي. (٢٠١٧). الإدارة الإستراتيجية الحديثة: التخطيط الإستراتيجي, البناء التنظيمي, القيادة الإبداعية, الرقابة والحوكمة.

صبحي حسن الألفي, ن. س. (٢٠٢٢). التسويق المجتمعي للمقصد السياحي المصري كأداة لتعزيز الممارسات التسويقيه المستدامة. (١١(٤)), ٤١٧–٤٧٨.

طلحة, أ. ا. (٢٠٢١). إستراتيجية التسويق السياحي المنتهجة لتحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة في الجزائر, تونس والمغرب–دراسة

مقارنة خلال الفترة (٢٠٠٠-٢٠١٧). (٤(٢))، ١٤٥-١٦٠.

طلحة, أ. ا. (٢٠٢١). إستراتيجية التسويق السياحي المنتهجة لتحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة في الجزائر، تونس والمغرب-دراسة مقارنة خلال الفترة (٢٠٠٠-٢٠١٧). (٤(٢))، ١٤٥-١٦٠.

عبدالعزيز الشيحة, &. أ. (٢٠٢٥). دور التسويق الرقمي في تحقيق التنمية المستدامة في القطاع السياحي السعودي: دراسة ميدانية. ١٧(١٧), pp. ١-٤٤. مجلة كلية السياحة والفنادق. جامعة المنصورة.

غالي ناصر, س. م. (٢٠٢٥). الريادة الاستراتيجية وعلاقتها بالميزة التنافسية للجامعات الحكومية بالكويت (دراسة تحليلية نظرية). مجلة كلية التربية (أسيوط),, . (٤١(٣))، ٢٦٨-٢٩٣.

قاسم, أ. ف. (٢٠٢٢). القدرة التنافسية للأعمال والازدهار الاقتصادي المستدام في البلدان العربية. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

محمود اسامة عبد الوهاب, ا. م. (٢٠٢٤). تأثير الاتجاه الاستراتيجي للمنظمات الاكاديمية في تعزيز التعليم الرقمي دراسة تحليلية لآراء عينة من اعضاء هيئة التدريس في كلية الادارة والاقتصاد/الجامعة المستنصرية. ٤٩(١٤٦), pp. ١٣-٢٢. مجلة الإدارة والاقتصاد.

المدني, ح. ر. (٢٠٢٣). تأثير الموروث الثقافي على إستراتيجيات التسويق الدولية. ٤(١٢, pp. ٢٠٧-٢١٩. مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية.

معروف, ح. ب. (٢٠٢٣). مدى مساهمة المسؤولية الاجتماعية اتجاه أصحاب المصالح في تحقيق البعد الاقتصادي للتنمية المستدامة- دراسة حالة مؤسسة الصناعات الميكانيكية وملحقاتها (ORSIM) بولاية غليزان. مجلة دفاتر اقتصادية,, ١٤(٢, pp. ٣١٦-٣٣٦.

مناضل الطيب, س. (٢٠٢٣). دور المراسم والاتكيت في ترقية الخدمات السياحية في السودان. (pp. ٥٣٣-٥٥٩). مجلة العلوم الإنسانيةوالطبيعية.

المصادر العربية :

المصادر الأجنبية:

Beredugo, S. B. (2019). Comparative analysis of zero-based budgeting and incremental budgeting techniques of government performance in Nigeria. International Journal of Research and Innovation in Social Science. International Journal of Research and Innovation in Social Science, 238-24.

Beredugo, S. B. (2019). Comparative analysis of zero-based budgeting and incremental budgeting techniques of government performance in Nigeria. International Journal of Research and Innovation in Social Science. International Journal of Research and Innovation in Social Science, 238-24.

Hill, M. V. (2018). Guideline for discharge opioid prescriptions after inpatient general surgical procedures. Journal of the American College of Surgeons, 226(6), 996-1003.

Hill, M. V. (2018). Guideline for discharge opioid prescriptions after inpatient general surgical procedures. Journal of the American College of Surgeons, 226(6), 996-1003.

Petrova, A. I. (2013). Strategic aspects of cost management., 4-3. doi:1009-1013

Petrova, A. I. (2013). Strategic aspects of cost management., 4-3. doi:1009-1013

أبعاد الزمن في الفكر الجغرافي:الزمن الجيولوجي مقابل الزمن الاجتماعي وأثرهما في المفاهيم الجغرافية دراسة حالة العراق

م. م سوسن رؤوف سعيد الكبيسي
وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد الرصافة الثانية



المستخلص:
يتناول هذا البحث الأبعاد الزمنية في الفكر الجغرافي من خلال التمييز بين الزمن الجيولوجي الذي يعكس العمليات الطبيعية البطيئة والعميقة التي شكّلت بنية الأرض، والزمن الاجتماعي الذي يمثّل التحولات السريعة للنشاط الإنساني والمجتمعي.
تم تطبيق هذا الإطار التحليلي على العراق بوصفه دراسة حالة، للكشف عن كيفية تفاعل الأزمنة الطبيعية والاجتماعية في تشكيل البنية المكانية والبيئية الراهنة. اعتمد البحث على الأسس الفلسفية التي طرحها بيرغسون وهايدغر وديفيد هارفي، إلى جانب مراجعة الأدبيات الجغرافية العربية والعالمية الحديثة، لبيان أنّ فهم المكان لا يمكن أن يتحقق دون إدراك تعددية الأزمنة التي تتقاطع فيه.
وقد أظهرت النتائج أن التخطيط المكاني المستدام في العراق يتطلب الموازنة بين استقرار الزمن الجيولوجي وتسارع الزمن الاجتماعي.
الكلمات المفتاحية: الفكر الجغرافي، الزمن الجيولوجي، الزمن الاجتماعي، العراق، الجغرافيا الزمنية، التحول المكاني.

Abstract:
This research investigates the temporal dimensions in geographical thought by distinguishing between geological time — the slow, deep processes that shape the Earth›s physical structure — and social time — the accelerated dynamics of human society. The study applies this framework to Iraq as a case study, revealing how interactions between natural and social temporalities have produced the country's current spatial and environmental patterns. Drawing upon philosophical foundations from Bergson, Heidegger, and Harvey, and integrating both Arabic and international geographic scholarship, the research demonstrates that understanding place requires grasping the coexistence of multiple times. The findings emphasize that sustainable spatial planning in Iraq must consider the harmony between geological stability and rapid social change.
Keywords: Geographical thought, geological time, social time, Iraq, temporal geography, spatial change.

المقدمة:
يُعدّ الزمن أحد المفاهيم المركزية في الفكر الجغرافي الحديث، لما له من دور جوهري في تفسير العلاقات المكانية وتطور الظواهر البيئية والاجتماعية عبر التاريخ. وإذا كان المكان يمثل الإطار المادي للوجود الإنساني، فإن الزمن هو البعد الذي يمنحه الحياة والحركة والمعنى. ومن هنا، لم يعد من الممكن دراسة المكان بمعزل عن الزمن، خاصة في ظل التحولات المعاصرة التي جعلت العالم يعيش في تسارع دائم على المستويات الاقتصادية والبيئية والثقافية.
لقد انشغل الفلاسفة والعلماء على حدّ سواء بإشكالية الزمن، بدءًا من التصورات الكلاسيكية التي ربطت الزمن بالدوران الكوني، مرورًا بالمقاربات الفلسفية التي قدمها هنري بيرغسون عن "المدة الزمنية" ومارتن هايدغر عن "الوجود في الزمن"، وصولاً إلى التفسيرات الجغرافية الحديثة التي تناولها ديفيد هارفي وبي–فو توان حول العلاقة بين المكان والزمان في التجربة الإنسانية.
ومن خلال هذا التطور، أصبح الزمن في الجغرافيا ليس مجرد وسيلة لقياس التغير، بل إطارًا معرفيًا لفهم كيف تتفاعل

الطبيعة والمجتمع لإنتاج المكان.

ينطلق هذا البحث من فرضية أساسية مفادها أنّ الزمن الجيولوجي_بما يمثله من بطء وعمق في العمليات الطبيعية – يقابله زمن اجتماعي يتسم بالتسارع والتبدل الدائم. ويؤدي التفاعل بين هذين الزمنين إلى تشكّل المكان الجغرافي بمختلف أبعاده المادية والرمزية .ولتحقيق ذلك ، تم اختيار العراق كدراسة حالة تطبيقية، نظرًا لما يتميز به من تاريخ جيولوجي طويل يمتد إلى ملايين السنين، وتاريخ اجتماعي متسارع شهد تحولات حضارية وسياسية وبيئية عميقة خلال القرن الأخير.

يهدف البحث إلى تحليل العلاقة الجدلية بين الأزمنة الطبيعية والاجتماعية في الفكر الجغرافي، وتقديم إطار تفسيري يمكن من خلاله فهم التحولات المكانية في العراق كنموذج لمجتمعات تتقاطع فيها الأزمنة وتتصارع في الوقت نفسه. كما يسعى إلى إثراء الفكر الجغرافي العربي عبر إدماج المفاهيم الزمنية في الدراسات المكانية، وإبراز أهمية البعد الزمني في التخطيط البيئي والتنمية المستدامة.الملخص (بالعربية)

خطة التنفيذ التفصيلية:

١. الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للزمن في الفكر الجغرافي
٢. الفصل الثاني: تطور مفهوم الزمن في الفكر الجغرافي العربي والعالمي
٣. الفصل الثالث: الأبعاد الفلسفية والمعرفية للعلاقة بين الزمن والمكان
٤. الفصل الرابع: العراق بين الزمن الجيولوجي والاجتماعي – دراسة تطبيقية معمقة
٥. الفصل الخامس: الاستنتاجات والتوصيات المستقبلية

المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للزمن في الفكر الجغرافي

يُعدّ الزمن من المفاهيم المحورية في الفكر الجغرافي، إذ يُشكّل إلى جانب المكان ركيزة أساسية لفهم العلاقات المكانية وتفسير التحوّلات البيئية والاجتماعية عبر التاريخ. لقد ارتبط التفكير الجغرافي تقليديًا بالمكان أكثر من الزمن، غير أنّ تطور المناهج الفكرية والنظرية منذ منتصف القرن العشرين أدّى إلى إعادة الاعتبار للبعد الزمني كعنصر تفسير جوهري في تحليل الظواهر الجغرافية. فالزمن لا يُعدّ إطارًا ثابتًا للأحداث فحسب، بل يُمثّل بُعدًا ديناميكيًا يؤثر في تكوين المكان وهويته، إذ تتداخل الأزمنة الطبيعية والاجتماعية والثقافية لتنتج المكان بوصفه كيانًا متحركًا ومتغيرًا باستمرار.

مفهوم الزمن في الفكر الجغرافي:

تعددت مقاربات الجغرافيين لمفهوم الزمن تبعًا للمدارس الفكرية السائدة. ففي المدرسة الوصفية الكلاسيكية ، كان الزمن مجرد خلفية لتطور الظواهر المكانية، يُقاس تاريخيًا دون تحليل سببي عميق. أما في الجغرافيا الحديثة والكمّية، فقد أصبح الزمن أداة تحليلية تُستخدم في النمذجة ودراسة التغيرات المكانية وفق سلاسل زمنية محددة.

ومع ظهور التيارات الإنسانية وما بعد الحداثية في الجغرافيا، تطوّر مفهوم الزمن ليُصبح عنصراً وجودياً مرتبطاً بالتجربة الإنسانية، إذ يرى الجغرافي الصيني الأصل يي–فو توان (Yi–Fu Tuan, ١٩٧٧) أن المكان هو «زمان مُعاش»، وأن إدراك الإنسان للمكان يتشكل من خلال تفاعله الزمني معه.

كما يشير ديفيد هارفي (David Harvey, ١٩٨٩) إلى أنّ التحولات الرأسمالية في العصر الحديث أدّت إلى «تسارع الزمان وضغط المكان»، أي أنّ الزمن الاجتماعي المعاصر أصبح يُعيد تشكيل الجغرافيا المادية نفسها.

العلاقة الجدلية بين الزمن والمكان:

تُظهر الأدبيات الجغرافية الحديثة أنّ الزمن والمكان ليسا بعدين منفصلين، بل هما منظومة مترابطة يتفاعل فيها التاريخ الطبيعي مع الاجتماعي. فالمكان يُكوّن عبر عمليات جيولوجية بطيئة (زمن جيولوجي)، لكنه يُعاد تشكيله عبر ديناميات اجتماعية سريعة (زمن اجتماعي).

من المنظور الجيولوجي، يُقاس الزمن بملايين السنين، وتُدرس عملياته عبر التغيرات الطبقية والمناخية والتكتونية. أما من المنظور الاجتماعي، فالزمن يُقاس بعقود أو قرون، ويتجلى في تحولات المدن والأنظمة الاقتصادية والثقافية. وتكمن أهمية الفكر الجغرافي في قدرته على دمج هذين البعدين داخل إطار تفسيري واحد، يربط التغير البطيء للمادة بالتغير السريع للمجتمع.

الإطار الفلسفي للزمن

تناول العديد من الفلاسفة فكرة الزمن، ومن أبرزهم هنري بيرغسون (Henri Bergson) الذي ميّز بين الزمن الميكانيكي القابل للقياس والزمن المعاش المرتبط بالتجربة الإنسانية، مؤكدًا أن الزمن الحقيقي هو تدفق مستمر لا يمكن اختزاله إلى وحدات كمية.

أما مارتن هايدغر (Martin Heidegger) فاعتبر الزمن أساس الوجود الإنساني ، إذ لا يُمكن فهم الكينونة دون إدراك الزمن الذي يمنح المعنى للحياة والمكان. وقد تأثر الفكر الجغرافي بهذه الرؤى الفلسفية، فظهرت مقاربات جديدة مثل الجغرافيا الوجودية التي تنظر إلى المكان بوصفه نتاجًا للتجربة الزمنية والوجودية للإنسان. في هذا السياق، أصبح الجغرافي لا يدرس المكان كشيء مادي فحسب ، بل كحقل لتجربة الزمان بكل أبعاده النفسية والاجتماعية والثقافية .

الزمن الجيولوجي مقابل الزمن الاجتماعي

يُقصد بـ الزمن الجيولوجي الامتداد الطويل الذي تشكّل خلاله سطح الأرض عبر ملايين السنين، وهو زمن بطيء الإيقاع تحكمه العمليات الطبيعية (التعرية، الترسيب، التحركات التكتونية...) .

أما الزمن الاجتماعي فهو الزمن الذي يُنتج من خلال النشاط الإنساني وتطور المجتمعات، وهو زمن سريع الإيقاع نسبيًا يعكس التغيرات الاقتصادية والسياسية والعمرانية. تتقاطع هاتان الزمنان في الواقع الجغرافي؛ فالمكان العراقي، على سبيل المثال، هو نتاج التكوينات الرسوبية القديمة (زمن جيولوجي) والتحولات التاريخية والحضارية (زمن اجتماعي)، مما يجعل فهم العراق المعاصر مستحيلاً دون دمج الزمنين في تحليل واحد.

خاتمة الفصل

يتضح من العرض السابق أنّ الزمن يمثل بُعدًا تأسيسيًا في الفكر الجغرافي الحديث، وأنّ الفصل بين الزمن الجيولوجي والاجتماعي يؤدي إلى فهم ناقص للمكان. ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث في سعيه إلى تقديم نموذج تفسيري متكامل لفهم العلاقة بين الأزمنة الطبيعية والاجتماعية، مع تطبيق هذه الرؤية على الحالة العراقية بما تحمله من خصوصية جيولوجية وتاريخية واجتماعية فريدة .

المبحث الثاني: تطور مفهوم الزمن في الفكر الجغرافي العربي والعالمي

شهد مفهوم الزمن في الفكر الجغرافي تطورًا معرفيًا عميقًا، إذ انتقل من كونه بُعدًا ضمنيًا في التفسير المكاني إلى كونه محورًا أساسًا في فهم العلاقات المكانية–الزمانية. لقد ترافق هذا التحول مع تطور الفكر الجغرافي نفسه، من الجغرافيا الوصفية التقليدية إلى الجغرافيا التحليلية، ثم الجغرافيا الإنسانية وما بعد الحداثية. في السياق العربي، كان إدراك الجغرافيين لطبيعة الزمن مرتبطًا بالتصور الديني والتاريخي للعالم، بينما في الفكر الغربي تطور المفهوم عبر تراكم معرفي فلسفي وعلمي بدأ مع الثورة العلمية واستمر حتى الحاضر.

تطور مفهوم الزمن في الفكر الجغرافي العالمي

أ. المرحلة الكلاسيكية

في الجغرافيا الكلاسيكية (القرن ١٨–١٩)، ارتبط الزمن بالتاريخ الطبيعي للأرض. ركّز ألكسندر فون هومبولت(Alexander von Humboldt) وكارل ريتر(Carl Ritter) على دراسة العلاقات بين الطبيعة والإنسان، لكن الزمن عندهما ظلّ زمنًا خطيًا يُقاس بالتعاقب الزمني للظواهر، دون تحليل ديناميكي

للتغير.

أما في الجغرافيا التاريخية عند إيلتون (E. Elton) وفريدريك رايت، فقد ظهر اهتمام أوّلي بالتحولات الزمنية للمكان، إذ أُدرج الزمن في دراسة نشأة المدن وتطور استخدامات الأرض. ومع ذلك، بقي الزمن في الفكر الكلاسيكي عنصرًا تابعًا للمكان وليس العكس.

ب. الثورة الكمية (١٩٥٠–١٩٧٠)

مع ظهور المدرسة الكمية في الجغرافيا، تحوّل الزمن إلى متغيّر قابل للقياس. استخدم الجغرافيون النماذج الرياضية والإحصائية لتحليل التغير المكاني عبر الزمن، كما في أعمال هاغرستراند (Hägerstrand, ١٩٧٠) الذي طوّر مفهوم «انتشار الابتكار» وربطه بالبعد الزمني والمكاني معًا.

هذه المرحلة مثّلت نقلة نوعية في التعامل مع الزمن، إذ لم يعد مجرد خلفية بل أصبح متغيرًا فاعلًا في تفسير التغير الجغرافي.

ج. التحول الإنساني وما بعد الحداثي (١٩٧٠–٢٠٠٠)

أعادت الجغرافيا الإنسانية الاعتبار للتجربة الذاتية للزمن والمكان. فـ يي–فو توان (Yi-Fu Tuan, ١٩٧٧) ربط إدراك المكان بالزمن المعيش، معتبراً أنّ الذاكرة والعاطفة الزمنية تصنع المكان. أما ديفيد هارفي (David Harvey, ١٩٨٩) فبيّن كيف أن «ضغط المكان وتسارع الزمن» هما نتاج للرأسمالية الحديثة، حيث تؤدي العولمة إلى تقليص الفواصل المكانية والزمنية. ثم جاءت دورين ماسي (Doreen Massey, ٢٠٠٥) لتؤكد أن المكان ليس ثابتًا بل هو شبكة من العلاقات الزمانية المستمرة، ما جعل الزمن جزءًا من بنية المكان نفسه.

د. المقاربات البينية والزمن العميق (٢٠٠٠–٢٠٢٤)

في العقدين الأخيرين، اتسع المفهوم ليشمل ما يُعرف بـ الزمن العميق (Deep Time)، وهو إدراك الإنسان لتاريخ الأرض الجيولوجي وتأثيره في البيئة المعاصرة .ساهمت دراسات كروغمان (Krugman, ٢٠١٢) ولاتور (Latour, ٢٠١٧) في تعزيز فكرة الترابط بين الزمن البيئي والزمن الاجتماعي في ظل التغير المناخي، وأصبح الحديث عن «الأنثروبوسين» (العصر الإنساني) يمثل مرحلة جديدة من التفكير الجغرافي الزمني.

تطور مفهوم الزمن في الفكر الجغرافي العربي

أ. الجذور الفلسفية والتاريخية

تميّز الفكر العربي القديم بتداخل الزمن الطبيعي مع الزمن الديني والتاريخي. فقد ربط المسعودي وابن خلدون الظواهر المكانية بالدورات الزمنية للحضارات والمناخ. اعتبر ابن خلدون في مقدمته أن الزمن ليس مجرد تعاقب للأيام، بل دورة حضارية تخضع لقوانين اجتماعية وطبيعية متداخلة ، وهو تصور قريب من مفهوم «الزمن الاجتماعي» الحديث. كما أن الجغرافيين المسلمين الأوائل مثل الإدريسي واليعقوبي استخدموا الخرائط لتمثيل التحولات عبر الزمن ، مما يدل على إدراك مبكر للعلاقة بين البعدين الزمني والمكاني .

ب. الفكر الجغرافي العربي الحديث

شهد القرن العشرون محاولات عربية لإعادة بناء العلاقة بين المكان والزمن ضمن الإطار العلمي الحديث. قدّم جمال حمدان (١٩٨١) في كتابه شخصية مصر تصورًا عبقريًا للزمن المكاني ، حين اعتبر أن الجغرافيا هي «تاريخ في المكان»، وأن الزمان هو العامل الخفي الذي يفسّر عبقرية المكان.

أما سامي النمري (٢٠٠٥) فقد دعا إلى «جغرافيا تاريخية جديدة» تعتمد على دمج الزمن في التحليل الجغرافي لتفسير التحولات البينية والسياسية في العالم العربي. كما برزت في العراق دراسات هدى الصميدع (٢٠١٩) حول التحولات المكانية في المدن العراقية ، التي ركّزت على تفاعل الزمن الاجتماعي السريع مع البنى الجيولوجية والبنية التحتية الحضرية.

ج. الاتجاهات المعاصرة (٢٠١٠–٢٠٢٤)

تطورت الدراسات الجغرافية العربية لتشمل مفاهيم مثل «الزمن الحضري» و«الزمن البيئي»، خصوصًا في سياق التغير المناخي والتحول الحضري. تُشير دراسات مؤسسة الجغرافيا العربية المعاصرة إلى أنّ فهم الزمن أصبح شرطًا أساسيًا في التخطيط المكاني والإقليمي، خصوصًا في بلدان مثل العراق، التي تشهد تراكبًا واضحًا بين الأزمنة الجيولوجية (نشأة السهول والأنهار) والأزمنة الاجتماعية (الحروب، التحضر السريع، الهجرة) .

٤– المقارنة بين الفكرين العربي والعالمي

يمكن تلخيص الفروق الجوهرية بين الفكر الجغرافي العربي والعالمي في تناول الزمن كما في الجدول (١):

جدول (١) المقارنة بين الفكرين العربي والعالمي

الفكر الجغرافي العربي	الفكر الجغرافي العالمي	البعد
مستند إلى تصورات تاريخية ودينية واجتماعية	مستند إلى نظريات فلسفيه (بيرغسون، هايدغر، ماسي)	المنطلق الفلسفي
خطي ودوري (حضاري، بيئي، سياسي)	ديناميكي، متعدد الطبقات (جيولوجي، اجتماعي، بيئي)	طبيعة الزمن
مزج بين التحليل التاريخي والمكاني	استخدام النماذج الرياضيه والمفاهيم الفلسفية	المنهج التحليلي
التحولات العمرانيه، التاريخ الحضري، البيئه الإقليمية	التغير المناخي، العولمة، الأنثروبوسين	المجال التطبيقي

يتبين من هذا العرض أن الفكر الجغرافي قد انتقل من التعامل مع الزمن كمجرد بُعد ثانوي إلى اعتباره محورًا تفسيريًا في فهم المكان والعلاقات المكانية. وفي حين أن الفكر الغربي طوّر أدوات فلسفية وعلمية دقيقة لتحليل الزمن الجغرافي، فإن الفكر العربي يمتلك إرثًا حضاريًا غنيًا يمكن توظيفه لتطوير مقاربة زمنية محلية أصيلة.

إنّ دمج الرؤيتين يمكّن من بناء تصور متكامل يربط بين الزمن الجيولوجي والاجتماعي في تشكيل الهوية المكانية، وهو ما يسعى إليه هذا البحث من خلال تطبيقه على العراق كنموذج جغرافي معقد ومتعدد الأزمنة.

المبحث الثالث: الأبعاد الفلسفية والمعرفية للعلاقة بين الزمن والمكان

يمثّل الزمن والمكان ثنائية جوهرية في الفكر الإنساني منذ العصور القديمة، حيث ارتبط إدراك الإنسان للعالم بإدراكه لهذين البعدين بوصفهما إطارين للوجود. وقد تجاوزت الجغرافيا الحديثة النظرة الميكانيكية التي تفصل بين الزمن والمكان لتتبنى منظورًا وجوديًا وفينومينولوجيًا يدمج بينهما، معتبرة أن كل مكان هو نتاج زمن معيّن وأن الزمن لا يُفهم إلا من خلال تمظهره في المكان. يهدف هذا الفصل إلى تحليل الأبعاد الفلسفية والمعرفية لهذه العلاقة، عبر مراجعة أساسية لأفكار هايدغر وبيرغسون وهارفي وتيوان وغيرهم، مع بيان كيف انعكست هذه الرؤى في الفكر الجغرافي المعاصر، وبخاصة في دراسة الهوية المكانية والبيئية.

البعد الوجودي عند مارتن هايدغر (Martin Heidegger)

يرى هايدغر في كتابه الوجود والزمان (Being and Time, ١٩٢٧) أن الزمن ليس مجرد متغير فيزيائي، بل هو شرط لوجود الإنسان ذاته. فالكينونة الإنسانية «موجودة في الزمن»، أي أن وجودها يُفهم من خلال علاقتها بالزمن لا بالعالم المادي فقط. ينتج من هذا التصور أن المكان لا يُدرك إلا عبر تجربة الإنسان الزمنية فيه؛ فالسكن، والعمل، والذاكرة، كلها أفعال زمانية تُكوّن المعنى المكاني. وقد أثّر هذا التصور في الجغرافيا الوجودية (Existential Geography) التي نشأت في السبعينيات، إذ رأى الجغرافيون أن دراسة المكان يجب أن تنطلق من تجربة الإنسان الوجودية في الزمن لا من خرائط جامدة أو بيانات كمية. ويظهر هذا الأثر بوضوح في أعمال يي–فو توان (Yi–Fu Tuan) الذي اعتبر أن المكان هو الزمن المتجسّد في التجربة الإنسانية.

الزمن المعاش عند هنري بيرغسون (Henri Bergson)

ميّز بيرغسون بين الزمن «الفيزيائي» والزمن «المعيش». فالأول يمكن قياسه كمياً بوحدات (ثوانٍ وسنوات)، بينما الثاني يُعاش كيفياً من خلال التجربة النفسية والوجدانية. في هذا الإطار، يصبح المكان انعكاسًا للزمن المعيش، لأن كل لحظة زمنية تُخلّف أثرًا مكانيًا. تُبرز أفكار بيرغسون أهمية «التدفق المستمر» للحياة، وهو ما يشبه ما يعبّر عنه

الجغرافيون اليوم بـ التحول المكاني الديناميكي. وقد استخدم العديد من الجغرافيين هذا المفهوم لتفسير التحولات الاجتماعية في المدن، إذ لا يمكن فهم الفضاء الحضري إلا من خلال الإيقاع الزمني لحياة الناس فيه. ففي المدن العراقية مثلاً، يمكن تمييز طبقات زمنية متراكبة في المكان الواحد: أحياء تعود إلى العهد العثماني، وأخرى حديثة نشأت بعد ٢٠٠٣، وكلها تتعايش في زمن اجتماعي متسارع داخل إطار مادي ثابت تقريبًا .

ديفيد هارفي (David Harvey): تسارع الزمن وضغط المكان

قدّم هارفي في كتابه حالة ما بعد الحداثة (The Condition of Postmodernity, ١٩٨٩) تحليلاً نقديًا لآثار الرأسمالية على إدراك الزمن والمكان. يرى أن التقدم التكنولوجي والعولمة أدّيا إلى تسارع الزمن وضغط المكان، بمعنى أن المسافات الجغرافية فقدت معناها التقليدي بسبب التواصل الفوري والنقل السريع. في هذا الإطار، يصبح الزمن الاجتماعي عاملًا مهيمنًا على الجغرافيا المادية، حيث تتحول المدن بسرعة وتفقد «ذاكرتها المكانية». هذا التحليل يُعدّ ذا أهمية خاصة في الحالة العراقية، إذ إن التحولات الاقتصادية والسياسية المتسارعة بعد عام ٢٠٠٣ أدت إلى إعادة تشكيل الفضاءات الحضرية والاجتماعية بوتيرة غير مسبوقة، بينما ظلّ الزمن الجيولوجي الطبيعي ثابتًا تقريبًا، مما خلق فجوة بين «زمن الأرض» و«زمن المجتمع».

دورين ماسي (Doreen Massey): المكان بوصفه زمنًا مفتوحًا

قدّمت دورين ماسي (For Space, ٢٠٠٥) تصورًا معاصرًا يرى أن المكان ليس كيانًا ثابتًا بل هو شبكة من العلاقات الزمانية. فكل مكان هو لحظة مؤقتة في تدفق مستمر من العمليات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. هذا التصور يرفض الفصل بين الزمن والمكان ، معتبرًا أن الهوية المكانية هي نتاج انفتاح دائم على الزمن. وبتطبيق هذا على الجغرافيا العربية، يمكن القول إن المكان العراقي –كحاضنة لتاريخ جيولوجي طويل وتحولات اجتماعية سريعة – يمثل تجسيدًا عمليًا لفكرة «الزمن المفتوح» الذي تتفاعل فيه طبقات من الماضي والحاضر والمستقبل.

الإدراك الجغرافي عند يي–فو توان (Yi–Fu Tuan): الزمان بوصفه تجربة مكانية

يُعدّ تيوان من أبرز ممثلي الجغرافيا الإنسانية التي تربط بين الزمان والمكان عبر التجربة الحسية والمعيشة.

يرى أن الإنسان يصنع المكان من خلال الزمن الذي يقضيه فيه؛ فالإلفة، والذكريات، والروابط الاجتماعية هي مكونات زمنية تعطي المكان معناه. وبهذا يصبح المكان مرآة للزمن الاجتماعي، كما في حالة المدن العراقية التي تتراكم فيها التجارب الإنسانية المتعاقبة لتُشكّل «هوية زمانية–مكانية» مميزة.

التحليل المعرفي للعلاقة بين الزمن والمكان

تظهر الأبعاد المعرفية لهذه العلاقة في ثلاثة مستويات:

١. المستوى الوجودي: الزمن هو شرط لوجود الإنسان في المكان.

٢. المستوى البنيوي: التغيرات المكانية هي نتاج ديناميات زمنية مستمرة.

٣. المستوى الاجتماعي: الزمن الجماعي للمجتمعات (إيقاع الحياة، العادات، التحولات) ينعكس في التنظيم المكاني.

بناءً على ذلك، لم يعد المكان يُفهم بوصفه مجرد «نقطة ثابتة» في الجغرافيا، بل بوصفه «عملية زمنية» تتجسد في المادة والحياة معًا.

نحو جغرافيا زمنية متكاملة

تُظهر المناقشة السابقة الحاجة إلى ما يمكن تسميته بـ الجغرافيا الزمنية المتكاملة، وهي مقاربة توحّد بين دراسة العمليات الطبيعية الطويلة الأمد (الزمن الجيولوجي) والتحولات الاجتماعية القصيرة (الزمن الاجتماعي).

وقد طبّق بعض الباحثين هذا التوجه في دراسات تغير المناخ والتمدّن السريع، مؤكدين أن فهم المكان دون إدراك إيقاعاته الزمنية يؤدي إلى قصور في التحليل الجغرافي والتخطيط الحضري.

في العراق، على سبيل المثال، يمكن دمج التحليل الزمني الجيولوجي (نشوء السهول الفيضية ودجلة والفرات) مع التحليل الزمني الاجتماعي (نمو المدن والهجرات والتحولات الاقتصادية) لبناء فهم شامل للمكان العراقي.

خلص هذا الفصل إلى أن الزمن والمكان يشكّلان وحدة معرفية لا يمكن فصلها. فالمكان هو نتيجة للتجربة الزمنية، والزمن هو الذي يمنح المكان معناه ووجوده . لقد قدّمت الفلسفة الحديثة ، عبر بيرغسون وهايدغر وهارفي وماسي، أدوات فكرية عميقة لفهم هذه العلاقة، بينما طبّقت الجغرافيا المعاصرة هذه الأدوات في تحليل البيئات والهوية المكانية. ويمهّد هذا الأساس الفلسفي والمعرفي للانتقال في الفصل القادم إلى الدراسة التطبيقية للعراق بوصفه نموذجًا مكانيًا غنيًا يتفاعل فيه الزمن الجيولوجي العميق مع الزمن الاجتماعي المتسارع.

المبحث الرابع: العراق بين الزمن الجيولوجي والزمن الاجتماعي – دراسة تطبيقية

يمثّل العراق نموذجًا فريدًا لتفاعل الأزمنة الطبيعية والاجتماعية في تشكيل المكان الجغرافي. فالموقع الجيولوجي المميز بين النطاقات الجبلية والسهول الرسوبية والبيئات الصحراوية ، فضلاً عن التاريخ الحضاري الطويل الذي يمتد منذ أكثر من ستة آلاف عام، جعلا من العراق فضاءً غنيًا بالتراكمات الزمنية المتعددة.

يهدف هذا الفصل إلى تحليل تفاعل الزمن الجيولوجي(الذي أنتج تضاريس العراق وبنيته الطبيعية) مع الزمن الاجتماعي الذي شكّل تطور المدن والمجتمع والثقافة)، للكشف عن الكيفية التي تتجسد بها هذه الأزمنة في المكان العراقي الحديث.

الإطار الجيولوجي للعراق والزمن العميق

أ. التكوين الجيولوجي والزمن العميق

يقع العراق في الجزء الجنوبي الغربي من القارة الآسيوية ، على هامش الصفيحة العربية المتصادمة مع الصفيحة الأوراسية كما موضح في الخريطة (١) ، وهو ما جعله منطقة نشاط جيولوجي منذ ملايين السنين.

إذ تشير الدراسات الجيولوجية (الهيئة العامة للمسح الجيولوجي العراقي، ٢٠٢٢) إلى أن تاريخ العراق يعود إلى العصور الميزوزي (Mesozoic) والسينوزية (Cenozoic) ، إذ بدأت السلاسل الجبلية الشمالية بالتكوّن بفعل حركات الطيّ والانضغاط. خلال العصور اللاحقة، تكوّنت السهول الرسوبية الواسعة في الجنوب عبر تراكم الرواسب الطينية لدجلة والفرات ، مما أوجد بيئة خصبة كانت أساس نشوء الحضارات القديمة في وادي الرافدين.



خريطة (١) موقع العراق من الجزيرة العربية .

المصدر: الباحث، اعتماد برنامج Arc Map ١٠,٨,٥

ب. دينامية الزمن الجيولوجي

يُظهر الجدول (٢) المراحل الأساسية للزمن الجيولوجي في العراق:

جدول (٢) المراحل الأساسية للزمن الجيولوجي في العراق:

الميزوزوي (Mesozoic)	250 – 65	ترسيب بحري وتكوّن الصخور الكلسية	نضوء المرتفعات الشمالية
السينوزوي (Cenozoic)	65 – 2.6	طيّ والتصاقط وتكوّن الزلازل	بروز جبال زاغروس وطوروس
الرباعي (Quaternary)	2.6– الآن	ترسيب نهري وتكوّن السهول	نضوء سهل الرافدين ودلتا شط العرب

Sissakian, V.; Fouad, S. (2015). Geological Map of Iraq, Scale 1: 1,000,000, 4th

Sissakian, V.; Fouad, S. (2015). Geological Map of Iraq, Scale 1: 1,000,000, 4th EDITION, 2012 ,Papers of the Scientific Geological Conference Iraqi Bulletin of Geology and Mining, 11, 1 ,p9–16.

يتضح من الجدول أن الزمن الجيولوجي العراقي يمتد لملايين السنين، وأن التغيرات الطبيعية البطيئة أسهمت في رسم الملامح الأساسية للمكان الذي يعيش فيه الإنسان اليوم.

الزمن الاجتماعي وتاريخ التحولات الحضارية

أ. الزمن الحضاري الأول (٥٠٠٠ ق.م – ٦٣٧ م)

شهد العراق نشوء أقدم الحضارات البشرية مثل السومرية والأكدية والبابلية والآشورية. كان الزمن هنا زمنًا دوريًا يتكرر فيه النهوض والانهيار، وترتبط فيه دورة الزراعة بالنهرين ودورة السلطة بالمواسم.

كما شكّلت البيئة النهرية عاملاً أساسياً في تحديد أنماط الاستقرار البشري والاقتصاد الزراعي.

ب. الزمن الإسلامي – الوسيط (٦٣٧م – ١٥٠٠ م)

تميّز هذا الزمن باندماج العراق ضمن الحضارة الإسلامية الكبرى، وتحوّل بغداد إلى مركز حضاري عالمي. تجلّى الزمن الاجتماعي في ازدهار العلوم والعمران والتجارة، إذ شهدت المدن تطورًا مكانيًا متسارعًا يعكس ازدهارًا ثقافيًا متزامنًا مع الاستقرار السياسي النسبي.

ج. الزمن الحديث والمعاصر (١٥٠٠م – ٢٠٢٤ م)

تعرّض العراق خلال القرون الأخيرة إلى سلسلة من التحولات الاجتماعية والسياسية العميقة: الاحتلال العثماني، الانتداب البريطاني، الاستقلال، ثم الحروب المتتالية منذ الثمانينيات وحتى اليوم. أدّت هذه الأحداث إلى تسارع غير مسبوق في الزمن الاجتماعي، إذ تغيّرت المدن، والبنية السكانية ، وأنماط الاستقرار في فترات قصيرة جدًا مقارنة بالتحولات الطبيعية البطيئة.

الجدول (٣) يوضح الفترات الرئيسة للتحولات الاجتماعية والمكانية في العراق:

جدول (٣) يوضح الفترات الرئيسة للتحولات الاجتماعية والمكانية في العراق .

طبيعة الزمن الاجتماعي	ابرز التحولات المكانية	المدى الزمني	المرحلة التاريخية
بطيء، استقرار نسبي	نشوء المدن التقليدية (الموصل، بغداد القديمة، كركوك)	1917 – 1534	العهد العثماني
زمن انتقالي سريع	تخطيط حضري جديد وربط المواصلات	1958 – 1917	الانتداب البريطاني وما بعده
زمن بناء وتنمية	توسع عمراني وتخطيط حضري	1980 – 1958	الجمهورية الأولى
زمن متوتر متقطع	تراجع البنية الخدمية وتزوح داخلي	2003 – 1980	الحروب والعقوبات
صراع اجتماعي حاد	تمدد عشوائي وتحولات ديموغرافية	2024 – 2003	ما بعد ٢٠٠٣

التفاعل بين الزمن الجيولوجي والاجتماعي

إنّ التقاء الأزمنة الطبيعية والاجتماعية في العراق ينتج «جغرافيا مركّبة» تتفاعل فيها الأرض مع الإنسان ضمن إيقاعات زمنية متفاوتة. فالمكان العراقي لا يمكن فهمه إلا من خلال هذا التوازي والتعارض الزمني:

– ففي الشمال، تُظهر الطبقات الجيولوجية استقرارًا عميقًا عبر ملايين السنين، بينما تشهد المدن الحديثة (مثل الموصل وأربيل) تغيرات اجتماعية وسياسية سريعة.

– وفي الجنوب، إذ تشكلت السهول الفيضية خلال العصور الجيولوجية الأخيرة، يعيش السكان زمنًا اجتماعيًا متقلبًا يرتبط بالمياه والسياسة والاقتصاد.

المخطط (١) يوضح العلاقة الجدلية بين الزمنين في تشكيل المكان العراقي:

المخطط (١) يو



التحليل المكاني-الزمني للمدن العراقية:

يُظهر التحليل الزمني المكاني (٢٠٢٠–٢٠٢٤) تغيرًا ملحوظًا في توزيع السكان والمدن.

- بغداد تمثل مركز الزمن الاجتماعي السريع، إذ تتغير بنيتها العمرانية بوتيرة سنوية تفوق ٣٪ .
- البصرة تتفاعل مع الزمن البيئي (تغير الملوحة والمناخ) أكثر من الزمن الاجتماعي.
- نينوى وكركوك تشهد «تجددًا مكانيًا» بعد النزاعات، أي محاولة استعادة المكان في زمن اجتماعي متغير.

الزمن البيئي والتحولات الحديثة

في العقدين الأخيرين، أضيف بعد جديد إلى الزمن الجغرافي العراقي، هو الزمن البيئي الناتج عن التغير المناخي. تشير تقارير برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP, ٢٠٢٣) إلى أنّ العراق يشهد ارتفاعًا بمعدل درجتين مئويتين في متوسط الحرارة السنوية وانخفاضًا متزايدًا في تدفق الأنهار، ما يؤثر على التوازن بين الزمن الطبيعي والاجتماعي. فبينما تحاول المدن التوسع بسرعة لتلبية النمو السكاني، فإن البيئة الطبيعية تخضع لوتيرة تدهور بطيئة ولكن مستمرة، مما يؤدي إلى ما يُعرف بـ «اختلال الإيقاع الزمني للمكان».

نتائج التحليل التطبيقي

١. العراق يمثل نموذجًا واضحًا لتعدد الأزمنة في المكان الواحد.

٢. الزمن الجيولوجي حافظ على استقرار شكل الأرض، بينما الزمن الاجتماعي غيّر وظائفها بسرعة.

٣. الصراع بين الأزمنة ينتج ظواهر جغرافية جديدة مثل «التحضر المتسارع» و«البيئات المتدهورة».

٤. إدماج البعدين الزمنيّين ضروري لتخطيط مستدام للمكان العراقي.

تُظهر الدراسة التطبيقية أن المكان العراقي هو نتاج تفاعل معقد بين الزمن الجيولوجي البطيء والزمن الاجتماعي السريع. فالأرض تحتفظ بذاكرتها الجيولوجية الممتدة، بينما يعيد المجتمع صياغة المكان باستمرار تبعًا للظروف الاقتصادية والسياسية والبيئية. إنّ هذا التفاعل بين الأزمنة لا يقتصر على العراق، بل يمثل نموذجًا عالميًا لفهم الجغرافيا بوصفها علم الزمن والمكان في آنٍ واحد.

المبحث الخامس: الاستنتاجات والتوصيات

يُعدّ هذا الفصل خلاصة فكرية وتطبيقية للبحث، إذ يهدف إلى استنتاج الدلالات النظرية للزمن في الفكر الجغرافي، وتحليل أثر التفاعل بين الزمن الجيولوجي والاجتماعي على المكان العراقي. كما يتضمن مجموعة من التوصيات العلمية والمستقبلية التي يمكن أن تسهم في تطوير الدراسات الزمنية في الجغرافيا العربية.

الاستنتاجات:

أ. على المستوى الفلسفي والنظري

١. الزمن في الفكر الجغرافي ليس بُعدًا ثانويًا، بل هو أساس تكوين المكان ذاته.

٢. الفصل بين الزمن الجيولوجي والاجتماعي يُنتج فهماً ناقصاً للواقع المكاني، لأن كل ظاهرة جغرافية هي نتاج تفاعل مستمر بين الطبيعة والمجتمع عبر الزمن.

٣. الفكر الجغرافي الحديث (خاصة لدى ديفيد هارفي وهايدغر وبيرغسون) أعاد الاعتبار للبعد الزمني بوصفه بُعدًا وجوديًا ومعرفيًا وليس مجرد مقياس كمي للتغير.

٤. الفكر الجغرافي العربي، رغم اهتمامه بالمكان ، لا يزال بحاجة إلى تطوير أدوات تحليل زمنية تُعنى بإيقاع التغير والتحول.

ب. على المستوى التطبيقي في العراق

١– الزمن الجيولوجي الطويل للعراق (عشرات الملايين من السنين) أسّس لقاعدة مادية ثابتة من تضاريس وسهول وأنهار، شكّلت بدورها أساس الحضارة الرافدينية .

٢– الزمن الاجتماعي في العراق اتسم بتسارع غير متوازن منذ منتصف القرن العشرين، حيث تتابعت الحروب والتحولات السياسية والاقتصادية بوتيرة أسرع من قدرة البيئة الطبيعية على التكيف.

٣– أدى اختلال التوازن بين الزمنين إلى تشوهات مكانية واضحة، مثل التمدد العشوائي للمدن، تدهور الأراضي الزراعية، وانكماش المساحات الخضراء.

٤– التغير المناخي يمثل «زمنًا ثالثًا» في العراق _ زمن بيئي جديد يتفاعل مع الزمنين الآخرين ليعيد رسم الخريطة الجغرافية للدولة.

٥– تظهر المحافظات الجنوبية (البصرة، ذي قار، ميسان) كأمثلة واضحة على تداخل الأزمنة الثلاثة: الطبيعي، الاجتماعي، والبيئي.

ج. على المستوى المفاهيمي والمنهجي

١– الزمن في الجغرافيا يجب أن يُدرس ضمن إطار «التحليل الزمني–المكاني المتكامل» (**Spatio-temporal Analysis**)، الذي يجمع بين البيانات الطبيعية والاجتماعية.

٢– من المهم إعادة قراءة الجغرافيا التاريخية للعراق ليس بوصفها سردًا للأحداث، بل كتحليل لإيقاعات الزمن المختلفة التي تصوغ المكان.

٣– دمج الزمن في مناهج التخطيط الجغرافي يسهم في تحسين القدرة على التنبؤ بالمستقبل البيئي والاجتماعي للمناطق الحضرية والريفية.

التوصيات العلمية والعملية

أ. في المجال الأكاديمي

١. ضرورة إدخال مفهوم الزمن الجغرافي كمحور مستقل في برامج الدراسات العليا في الجغرافيا العربية.

٢. تشجيع البحوث التطبيقية التي تربط بين الزمن الجيولوجي والاجتماعي عبر تحليل بيانات متعددة المصادر (GIS)، الاستشعار عن بعد، التحليل الزمني للمدن.

٣. تطوير قاعدة بيانات وطنية في العراق لتوثيق التغيرات المكانية والزمنية في جميع المحافظات.

ب. في المجال التطبيقي والتخطيطي

١. اعتماد منهج التخطيط الزمني طويل الأمد (Long-term Geoplanning) في التنمية الإقليمية للعراق، بما يوازن بين الموارد الطبيعية وقدرات المجتمع.

٢. إدماج البعد الزمني في خطط إعادة الإعمار، خاصة في المدن المتضررة من النزاعات، بحيث يُراعى تاريخ المكان وإيقاعه الطبيعي.

٣. تعزيز سياسات إدارة الموارد المائية والزراعية بما يتناسب مع التحولات المناخية المتوقعة حتى عام ٢٠٥٠.

٤. الاستفادة من الخرائط الزمنية والبيانات الجيولوجية في رسم سياسات التنمية المستدامة.

الخاتمة:

إن دراسة الزمن في الفكر الجغرافي العربي، من خلال حالة العراق، تكشف أنّ المكان ليس فقط نتاجًا للموقع الجغرافي، بل لزمنه الداخلي والخارجي معًا. فالعراق اليوم يُمثّل مرآةً لتاريخ الأرض الطويل ومرونة المجتمع القصيرة، حيث تتجلى الأزمنة كقوى متفاعلة لا كخطوط متوازية. إنّ إعادة الاعتبار للبعد الزمني في الفكر الجغرافي العربي ليست مجرد ترف نظري، بل ضرورة علمية لفهم المكان في عالم سريع التغير.

المراجع (بنظام شيكاغو)

المراجع العربية

١. الهيئة العامة للمسح الجيولوجي العراقي. التقرير السنوي الجيولوجي للعراق ٢٠٢٢. بغداد: وزارة الصناعة والمعادن، ٢٠٢٣.

٢. الصالحي، عبد الكريم. التحليل الزمني والمكاني في الدراسات الجغرافية. جامعة بغداد، ٢٠١٨.

٣. الحيدري، فاضل. جغرافية العراق الطبيعية والبشرية. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٩.

٤. الشمري، علي. التحولات المكانية في المدن العراقية بعد ٢٠٠٣. جامعة الموصل، ٢٠٢١.

٥. العاني، محمد. مفهوم الزمن في الفكر الفلسفي العربي. دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٦.

٦. برنامج الأمم المتحدة للبيئة. تقرير التغير المناخي في العراق. جنيف: UNEP، ٢٠٢٣.

المراجع الأجنبية

1- Bergson, Henri. Time and Free Will: An Essay on the Immediate Data of Consciousness. London: Allen & Unwin, 1910.

2- Heidegger, Martin. Being and Time. New York: Harper & Row, 1962.

3- Harvey, David. The Condition of Postmodernity: An Enquiry into the Origins of Cultural Change. Oxford: Blackwell, 1989.

4- Tuan, Yi-Fu. Space and Place: The Perspective of Experience. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1977.

5- UN-Habitat. Iraq Urban Recovery Framework. Nairobi: UN-Habitat, 2021.

مهارات التفكير المنتج وعلاقتها بتحصيل مادة الرياضيات لدى طلاب الصف الثاني المتوسط

م. م. حذيفة جاسم محمد
ديوان الوقف السني/ دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية



المستخلص:
هدف البحث الى التعرف على (مهارات التفكير المنتج وعلاقتها بتحصيل مادة الرياضيات لدى طلاب الصف الثاني المتوسط)؛ تكونت عينة البحث من (٣٢٥) طالبا وطالبة من طلاب الصف الثاني المتوسط في المدارس المتوسطة التابعة لمديرية (الكرخ ١ ، ٢ ، ٣) منهم (١٧٠) طالبا ، و (١٥٥) طالبة ، أعد الباحث اختبار للمهارات التفكير المنتج في مادة الرياضيات من (٣٤) فقرة ، منها (٩) فقرات مقالية تمثل مهارات التفكير الإبداعي (الطلاقة ، الاصالة، المرونة) ، و ((٢٥) فقرة موضوعية تمثل مهارات التفكير الناقد (التفسير ، فرض الافتراضات، تقويم الحجج، الاستنباط، الاستنتاج) ، وقد تحققا من خصائصة السيكومترية، وبعد تطبيق الاختبار على العينة أظهرت النتائج : ان مستوى مهارات التفكير المنتج لدى طلبة الثاني المتوسط في مادة الرياضيات ضعيف ،وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات الطلبة في اختبار التفكير المنتج في مادة الرياضيات في متغير الجنس (ذكور، اناث) لصالح الطلاب الذكور.

الكلمات المفتاحية: (المهارات، التفكير المنتج، التحصيل).

Abstract:

The aim of the research is to identify (productive thinking among fourth-grade students in mathematics); The research sample consisted of (325) male and female students from the fourth scientific students in the middle and secondary schools of the General Directorate of Anbar Education in the city of Ramadi, the governorate center, of whom (155) male and (180) female students, the researcher prepared a test of productive thinking in mathematics from (34) paragraphs, including (9) essay paragraphs representing creative thinking skills (fluency, originality, flexibility), and (25) objective paragraphs representing critical thinking skills (interpretation, I imposing assumptions,evaluating arguments, deduction, conclusion), and verified its characteristics. Psychometrics, and after applying the test to the sample, the results showed: that the level of productive thinking among students of the fourth scientific in mathematics is weak, and there are statistically significant differences between the mean scores of students in the productive thinking test in mathematics in the gender variable (males, females) in favor of male students.

Keywords: skills, critical thinking, achievement .

مشكلة البحث:

ان وجود مادة الرياضيات مهم في حياتنا اليومية وان تأكيد وجود الرياضيات له علاقة ارتباطية قوية في تحصيل قدرات الطالب والتفكير بصورة صحيحة ويحتل التفكير ومهاراتهُ من مكانة مهمة، حيث ان العملية التعليمية في بعض الأحيان تكون في درجة الانخفاض في مستوى تحصيل لدى الطلبة وتفكيرهم في مادة الرياضيات ، لذا دعا المجلس القومي الأمريكي /لمعلمي الرياضيات (NCTM)،بضرورة الاهتمام بتنمية/التفكير لدى/المتعلمين من خلال/الأنشطة التعليمية/في كتب/الرياضيات/المدرسية، وذلك لأنّ هذه الكتب تكون غنية/بالمهارات/الرّياضية والذهنية الأساسيّة/ التي يتوقّع من المتعلّمين أن يكتسبوها من خلال طريق/مرورهم/بهذه المراحل الدّراسية، وكذلك لدورها في تعميق/ خبرة/المتعلم/ليكون/عنصراً/فاعلاً في البيئة/الاجتماعية، تؤكد/الاتجاهات/التربوية الحديثة على أهمية تضمين/الكتب المدرسية/لمهارات/التفكير وتوظيفها لدى المتعلمين، وتعد مهارات التفكير المنتج أحد أشكال التفكير التي حظيت/ باهتمام التربويين، كونهُ يعزز مهارات التّفكير الابداعي، ومهارات التّفكير الناقد؛ كي يوظّفهما/لإنتاج/الأفكار الجديدة،

وطرائق/غير مألوفة، كي يصل إلى تحقيق الهدف/المرجو.

وتعد الرياضيات من الدعائم الاساسية لأي تقدم علمي وهي أكثر المواد الدراسية أهمية وحيوية لما تحتويه من معارف ومهارات تساعد الطلبة على التفكير السليم لمواجهة المواقف المختلفة.

إلاّ أنّه توجد صعوبات تعليمية ومشكلات عديدة تواجه الطلبة أدت إلى ضعف وانخفاض في تحصيل الطلبة في مادة الرياضيات بصورة عامة والصف الثاني متوسط بصورة خاصة وبناءً على ما سبق، لاحظ الباحث من خلال خبرتهُ في مجال تدريس الرياضيات للصف الثاني متوسط بشكل خاص أن مهارات التفكير المنتج لهذا الصف يحتاجها الطالب، لان بعض من مفردات هذه مهارات قد لا تحقق ما كان يرجى منها من خلال ما ظهر واتضح من مشكلات خلال تدريسهُ لمسها هو ومدرسون آخرون في المجال نفسه، ، وفقاً لذلك تبرز لنا الحاجة لأجراء دراسة (مهارات التفكير المنتج وعلاقتها بتحصيل مادة الرياضيات لدى طلاب الصف الثاني المتوسط) ،

وتم تحديد مشكلة البحث الحالي بالسؤال الاتي:

ما/مهارات التفكير المنتج المتضمنة لدى طلاب الصف الثاني في مادة الرياضيات؟

أهميّة الدّراسة: تتمثّل/أهمية هذه الدّراسة/بما يأتي:

١. /اهمية/البحوث والدّراسات/العراقيّة،/والعربيّة – الى حد/عِلم الباحث– لمهارات التّفكير/المنتج .

٢. إنّ أهميّة التفكير المنتج بسبب التّطورات المعرفيّة والتربوية المتتابعة المتسارعة ومراجعة محتواه بصورة مستمرة، من ضرورات مواكبة العصر والتطورات، في الوقت الحاضر؛ وذلك لان كل منهج دراسي،/وما ينبثق عنه/من المقررات المدرسية، ومواد التّعلّم تكون فرصاً لحدوث التّعلّم عند المتعلّمين.

٣. لأهمية الكتب المدرسية: باعتبارها اللبنة الاساسية للمتعلمين للتّعامل مع التطورات الحديثة، في ظل العالم المتسارع في التغيير بما يحقّق/لهم، ولمجتمعهم الانتفاع من هذه الخبرات، والامكانات/المعرفية، والمادية المتاحة).

٤. أهمية المرحلة الإعدادية كونها تعد مرحلة مهمة في حياة المتعلمين/تؤدي الى تعميق خبراتهم وتصقل مهاراتهم المختلفة تمهيداً لانتقالهم الى مرحلة التخصص في مجال معين أو انطلاقهم للحياة العملية الإنتاجية وتمينتهم ليكونوا افراداً فعالين في مجتمعهم.

٥. يسلط الضوء على أهمية التضمين لمهارات التفكير المنتج في محتوى الكتب لإكساب المتعلمين مهارات التفكير العليا التي تمكّنهم من فهم هذه المعلومات، وتفسيرها، والاستنباط منها وإعادة ترتيبها وتطويرها وتطبيق ما يتعلمون من معرفة في الحياة العملية.

٦. إنّ أهمية مادة الرياضيات توصف من المواد العلمية التي تتميز بالتّطوّر والتّغير لاسيما في ظل الاكتشافات العلمية، والتّطورات التّكنولوجيّة الكبيرة، ويبرز دورها المهم في التّواصل مع المواد العلميّة/الأخرى.

٧. الأهمية المترتبة على تحليل محتوى كتب الرياضيات وفق مهارات التفكير المنتج بالنسبة لكل من مؤلفي الكتب الرياضيات ومدرسيها والعاملين في مجال الاختصاص.

هدف البحث:

هدف البحث الحالي الى التّعرّف على مهارات التّفكير المنتج المتضمّنة لدى طلاب الصف الثاني المتوسط .

دلالة الفروق في مهارات التفكير المنتج وفق متغير الجنس (ذكور ، اناث)

حدود البحث: أقتصر البحث الحالي على الآتي:

١. الحدود البشرية :طلاب الصف الثاني متوسط

٢. مهارات التّفكير المنتج (الاستنتاج، الاستنباط، التنبؤ بافتراضات، التقويم للحجج، والمناقشات، الطّلاقة، الاصالة، التفسير، المرونة).

٣. الحدود الزمنية: الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي (٢٠٢٤-٢٠٢٥)

٤. الحدود المكانية : المدارس المتوسطة (الدراسات الصباحية) للبنين والبنات التابعة مديريات (الكرخ٣، ٢، ١) في محافظة بغداد.

تحديد/المصطلحات:

مهارات التفكير المنتج: «جملة من العملياتِ العقليّةِ التي ترتبط بحواسّ الفرد، والتي تعكس قدرته على ممارسة التفكير/ بطرائق مبدعة وناقدة، وتتمثل بـ: الاستنتاج، والتنبؤ بالافتراضات، وتقويم الحجج، والمناقشات والتفسير والاصالة، والمرونة، والطلاقة». (الأسمر، ٢٠١٦:١٧)

ويعرّفها/الباحث/إجرائياً: مهارات التفكير المنتج،/المتضمنة في طلاب الصف الثاني المتوسط والتي تتضمن (الاستنتاج، الاستنباط، التنبؤ بافتراضات، التقويم للحجج، والمناقشات، الطّلاقة، الاصالة، التفسير، المرونة) وتقاس بالدرجة التي يحصلون عليها عن طريق اجابتهم عن فقرات الاختبار الذي اعده الباحث.

الخلفية النظرية والدراسات السابقة:

الخلفيةالنظرية:

التفكير المنتج: أشارت الاتجاهات/الحديثة في الانظمة التربوية الى أنّ أهميّة التفكير المنتج، يكمن في ضرورة تفعيل دورهُ في العملية التعليمية، وزيادة الاهتمام بهِ، وتتجلّى أهميّتهُ بأنّه يجمع بين/أكثر/من نوع/من أنواع التفكير/الفاعلة، وقد ثبت نجاحها، ودورها في العملية التعليمية، لأن/المبدأ الأساسي للتّفكير/المنتج يرتكز على نوعين من أنواع التفكير: الابداعي، والناقد؛ إذ يبدأ التفكير اولاً بشكلٍ إبداعي لتوليد أفضل الخيارات، وأبرز الحلول الممكنة، ثم يأتي دور التفكير بشكل نقدي كي يقيّم هذه الحلول، والخيارات، ويتمكّن من اختيار أفضلها؛ أي أنّ التفكير المنتج/يجمع بين مهارات التفكير الابداعي ومهارات التفكير الناقد؛ كي يوظفها لإنتاج مهارات وأفكار جديدة. (Hurson:٢٢, ٢٠٠٨)

ويستعرض الباحث تفصيل هذين النّوعين من التّفكير:

أولا: التّفكير الناقد: هو «العمليات العقلية والاستراتيجيات التي يستخدمها المتعلّم؛ كي يُصدر أحكاماً، ويتّخذ قراراتٍ، ويُعطي تفسيراتٍ للواقع في مواقف معينة»
(الحارثي،٢٠٠٩٢١:).

مهارات التفكير الناقد:

تشتمل مهارات التفكير الناقد جملة من المهارات الفرعيّة، حيث نجد هناك/العديد من التصنيفات لمهارات التفكير/ الناقد، وذلك تبعاً/لتعدد الآراء المفسرة له، لعل من أشهر تلك التصنيفات، تصنيف واطسون/وجليسر (١٩٩٤) اللذان قسما/التفكير الناقد الى مهارات الآتية:

١- التنبؤ بالافتراضات: وهي قدرة الفرد على تحديد الافتراضات/التي تصلح كحل/لمشكلة أو رأي في القضية المطروحة.

٢- التفسير: هو القدرة على فهم الموقف ككل بعلاقاته؛ بهدف التوصل الى أفضل النتائج.

٣- الاستنباط: هو العملية التي يستخلص الفرد منها نتائج جزئية في ضوء قاعدة عامة او مبدأ عام.

٤- الاستنتاج: هو القدرة العقلية التي نتوصل عن طريقها التمييز بين درجة صحة او خطأ نتيجة معينة تبعاً لارتباطها بمعلومات معطاة.

٥- تقويم الحجج والمناقشات: هو القدرة على التمييز بين مواطن القوة والضعف في الحكم على قضية او واقعة على ضوء الأدلة المتاحة.

ثانياً: التفكير الإبداعي: نشاط عقلي هادف ومركب توجهه الرغبة القوية في البحث، عن حلول او التوصل الى نواتج/ لم يتم التعرف عليها سابقاً، ويمتاز التفكير الإبداعي بأنهُ تفكير شمولي معقد، لاحتوائه على عناصر انفعالية، ومعرفية، واخلاقية متداخلة فيما بينها، تشكل حالة ذهنية فريدة من نوعها. (جروان، ٢٠٠٢:١٤)

مهارات/التّفكير الإبداعي:

اختلف الباحثون والمفكرون حول مهارات التّفكير الإبداعي، وعند اطلاع الباحث على العديد من الكتب والبحوث، والدراسات التي تناولت مهارات التفكير الإبداعي، اتّضح توافق أغلبها على ثلاث مهارات، والتي اعتمدها الباحث

في البحث الحالي: وهي الطلاقة، والمرونة، والاصالة.

أولا: مهارة الطلاقة:

«مهارة عقلية تستخدم من اجل توليد الفكرة، وانسيابها بحرية تامّة في ضوء جملةٍ من الأفكار/ذات العلاقة». (سعادة،١٣:٢٠٠٦)

وقد قسّم (الطيطي، ٢٢:٢٠٠١) الطّلاقة الى خمسة أقسام كالتالي:

١– طلاقة الألفاظ: وهي سرعة تفكير الفرد، في توليد الألفاظ، و الكلمات، و إعطاءها تنسيقًا معينًا.

٢– طلاقة الأفكار: وهي/استدعاء أكثر عدد، وأكبر كميّة من الأفكار في زمن محدود.

٣– طلاقة التّعبير: وهي قدرة الفرد على السرعة في التّفكير في كلمات متصلة، تتناسب مع موقفٍ معينٍ، والقدرة على صياغة الأفكار في عبارةٍ مفيدةٍ.

٤– طلاقة التداعي: وهي القدرة على الانتاج لأكبر عدد من الوحدات الأوليّة الممكنة ذات الخصائص/المعينة.

٥– طلاقة الاشكال: هي تقديم عدد من الإضافات لأشكال معيّنة كي تكوّن رسوما حقيقية.

ومما تقدم، يرى الباحث إن الطلاقة: تعني قدرة الشخص على اقتراح أكثر عدد ممكن من البدائل، والحلول، والافكار/ حول المشكلة المحددة، أو موقفٍ ما، وذلك بأقلّ مدةٍ ممكنة من الزمن.

ثانياً: مهارة المرونة:

يفهم المرونة بأنهُ «توليد أفكار غير متوقعة عن طريق ابداء الرأي او الشرح وتقديم الحل والقدرة على التغيير»، بمعنى انها القدرة على انتاج أفكار عديدة اتّجاه مشكلة، أو مواقف معينة والانتقال من نوع محدد من/التّفكير/الى نوع/اخر، عند الاستجابة الى مثير يجاري تفكير المتعلم؛ أي أنه تغير في حالة الفرد المعرفية، وذلك تبعاً للمواقف التي تواجهه، وخصائصها (فرمان، ٣٤:٢٠١٢)، تقسم المرونة الى نوعان:

١ . المرونة التلقائية: هي القدرة على اعطاء مجموعة من الأفكار التي تتناسب مع موقف أو مشكلة محددة.

٢ . المرونة التكيّفيّة: هي قدرة المتعلم على وصوله لحل المشكلة عند تعرضه لأي موقفٍ في ضوء التغذية الراجعة التي يتعلمها من ذلك الموقف، وهي مهارة معتمدة على الخصائص الكيفيّة للاستجابات وتقاس بتنوّعها. (عبد العزيز، ١٨:٢٠٠٧)

ثالثاً: الاصالة: ويقصد بها:«القدرة على انتاج جملة من الحلول وتوليد أفكار تتّسم بالنّدرة وبالجدة والنّوعية، إذ تمثّل الأصالة العنصر الأساسي في التّفكير الإبداعي، وتنتج أفكارا جديدة بطرقٍ ابداعية، أي هي التميز في الأفكار الندرة وقدرة على النّفاذ الى ما وراء المباشر، والمألوف من الأفكار، وتقاس بحساب عدد الاستجابات غير المألوفة، أو غير الشائعة التي تعدّ استجابة مقبولة لأسئلة الاختبار». (الطيطي، ٢٧:٢٠٠١)

ويشمل التفكير المنتج على تحويل الأشياء او الأفكار وتعرف العناصر ، ووصف الاستراتيجيات واعداد التصميم وعرض المواضيع والمواقع والمصادر وتحديد الوظائف والامثلة الأخرى (الزهيري، ٢٦:٢٠١٥).

وعند استخدام موهبة التفكير المنتج الموجودة والمطروحة عليك لا بد من التفكير في صور كثيرة مختلفة غير عادية من ناحية ، محاولة التفكير بأفكار لن يفكر بها شخص اخر من ناحية أخرى، والتفكير المنتج هي احد عناصر نموذج المواهب المتعددة حيث يسهم النموذج على دعم مهارات التفكير المنتج وتطوير مهارات التفكير الناقد الإبداعي.

دور المعلم في وضع مراحل التفكير المنتج داخل غرفة الصف:

–تنظيم الصف بالطريقة التي يكون فيها الطلبة مستعدين ومهيئين للتفاعل.

–تشجيع الطلبة على توجيه كثير من الأسئلة عن الموضوع او المشكلة وتوفير الوقت للتفكير وتسجيل كشف بعض الأفكار .

–تشجيع الطلبة على المشاركة بالاجابات المختلفة وغير العادية والمتعددة وقبول كل الإجابات.

–مساعدة الطلبة على نقل الفئات او الأنواع عندما يبدو انها روتينية عن طريق توجيه الأسئلة مثال: ما هي الأنواع الأخرى التي تستطيع المشاركة فيها؟

-تشجيع الاصالة عن طريق الأسئلة مثال : ما لذي تفكر فيه ويختلف عن الأشياء التي سجلناها في القائمة؟ حاول ان تفكر في شيء لا يفكر فيه احد اخر.

-تشجيع الاحكام والاتقان عن طريق دعوة الطلبة لاضافة التفاصيل اة التوسعات والزيادات لجعل الأفكار او الحلول اكثر كمالاً او اكثر متعة.

-تكليف الطلبة باختبار افضل الأفكار لديهم او اكثرها اصالة وتشجيع الطرائق والأساليب الفعالة وغير العادية وعرض النتائج وتنفيذ الحلول وانجازها((٣٣:Maker&Nielson,١٩٩٥ في (الاسدي، ٢٠١٥٢٧:).

استراتيجيات التفكير المنتج:

-تحديد المشكلة بصورة دقيقة يساعد على إزالة الحواجز التي تنشأ من الأفكار المسبقة التي تعوق هذا النوع من التفكير.

-تحديد المشكلة من حيث التناقضات الموجودة فيها سواء أكانت مادية ام غير مادية ، من اجل صياغتها بطريقة يترتب عليها تحسين بعض خصائصها.

-البحث عن مشكلات سابقة محلولة، والاسترشاد بالمؤشرات المعيارية التي ينجم عنها التناقض.

-البحث عن حلول معروفة يمكن ان تقاس عليها المشكلة موضع الدراسة (٣١:Hurson,٢٠٠٨).

دراسات سابقة تناولت التفكير المنتج

جدول (١) الدراسات السابقة

اسم الباحث	البلد	هدف الدراسة	منهج الدراسة	عينة الدراسة	أداة الدراسة	الوسائل الاحصائية	النتائج
الهجري (٢٠١٨)	السعودية	التي تحديد مهارات التفكير المنتج الواجب توافرها لدى طلاب الصف الأول متوسط في السعودية	الوصفي التحليلي.	اشتملت عينتها على (٢٨٦) طالباً وطالبة	ب اعداد قائمة بمهارات التفكير المنتج	التكرارات والنسب المئوية، ومعادلة هولستي.	اظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مهارات التفكير المنتج تعزى لمتغير الجنس. فقد حصل مهارات التفكير المنتج بنسبة(٧١.٤%) .
العبيد الله ، هادي كطفان ، الجبوري ، سلام داود (٢٠١٨)	العراق	مهارات التفكير المنتج لدى طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الفيزياء	المنهج الوصفي	٥٥ طالبا	قائمة بمهارات التفكير المنتج.	التكرارات والنسب المئوية، ومعادلة هولستي.	اظهرت النتائج الدراسة التي ان النسبة الاجمالية لتوافرها مهارات التفكير المنتج المتضمنة في قراءة الجدة جاء ضعيف وبدون المستوى المقبول .
الزهيري، حيدر عبد الكريم محسن المعيداني ، ريهف علي عايز (٢٠٢٢)	العراق	التعرف التي التفكير المنتج لدى طلبة الصف الرابع العلمي في مادة الرياضيات	الوصفي التحليلي.	٢٣٣ طالبا وطالبة	تجهيز مهارات التفكير المنتج لمادة الرياضيا ت	التكرارات والنسب المئوية، ومعادلة هولستي.	اظهرت النتائج الدراسة ان مهارات التفكير المنتج ضعيفة
الأسمر (2016)	فلسطين	التي تحديد مهارات التفكير المنتج الواجب توافرها في محتوى متاهج الرياضيات للمرحلة الأساسية العليا بفلسطين التي معرفة مدى توافر هذه المهارات في محتوى متاهج الرياضيات.	الوصفي تحليلي.	اشتملت عينتها على (110) طالبا وطالبة.	ب اعداد قائمة بمهارات التفكير المنتج.	التكرارات والنسب المئوية، ومعادلة هولستي.	اظهرت نتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مهارات التفكير المنتج تعزى لمتغير الجنس. فقد حصل التفكير الناقد بنسبة(95.54%) ، وحصل التفكير الإبداعي على نسبة 4.54)%.

الوسائل الاحصائية النتائج:

الشهري (٢٠١٨) السعودية الى تحديد مهارات التفكير المنتج الواجب توافرها لدى طلاب الصف الأول متوسط في السعودية الوصفي تحليلي. اشتملت عينتها على (٧٨٦) طالباً وطالبة. تم اعداد قائمة بمهارات التفكير المنتج. التكرارات والنسب المئوية، ومعادلة هولستي. اظهرت نتائج عدم وجود فروق ذات دلاله إحصائية في مستوى مهارات التفكير المنتج تعزى لمتغير الجنس. فقد حصل مهارات التفكير المنتج بنسبة(٤,٧١٪) .

العبد الله ، هادي كطفان ، الجبوري ، سلام داود (٢٠١٨) العراق مهارات التفكير المنتج لدى طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الفيزياء المنهج الوصفي ٥٥ طالبا قائمة بمهارات التفكير المنتج. التكرارات والنسب المئوية، ومعادلة هولستي. اظهرت نتائج الدراسة الى ان النسبة الاجمالية لتوافرها مهارات التفكير المنتج المضمنة في افراد العينة جاء ضعيف ودون المستوى المقبول .

الزهيري، حيدر عبد الكريم محسن

المشهداني ، ايلاف غني خليل (٢٠٢٢) العراق التعرف على التفكير المنتج لدى طلبة الصف الرابع العلمي في مادة الرياضيات الوصفي التحليلي. ٣٣٣ طالبا وطالبة اختبار مهارات التفكير المنتج لمادة الرياضيات التكرارات والنسب المئوية، ومعادلة هولستي. اظهرت نتائج الدراسة ان مهارات التفكير المنتج ضعيفة

الأسمر (٢٠١٦) فلسطين الى تحديد مهارات التفكير المنتج الواجب توافرها في محتوى مناهج الرياضيات للمرحلة الأساسية العليا بفلسطين الى معرفة مدى توافر هذه المهارات في محتوى مناهج الرياضيات. الوصفي تحليلي. اشتملت عينتها على (١١٠) طالباً وطالبة. تم اعداد قائمة بمهارات التفكير المنتج. التكرارات والنسب المئوية، ومعادلة هولستي. اظهرت نتائج عدم وجود فروق ذات دلاله إحصائية في مستوى مهارات التفكير المنتج تعزى لمتغير الجنس. فقد حصل التفكير الناقد بنسبة(٩٥,٥٤٪) ، وحصل التفكير الإبداعي على نسبة (٤,٥٤٪).

منهجية البحث واجراءاته:

منهج البحث: تم اتباع المنهج الوصفي ، لمناسبته هدف الدراسة، حيث يجمع الباحث البيانات ثم يحللها ويناقشها، حيث تم التركيز على وصف الظواهر من خلال جمع البيانات، وتفسيرها وتحديد العلاقات بين عناصرها او الظواهر الأخرى، بعد جمع المعلومات وتحليلها وتنظيمها والتوصل الى قرارات وتوصيات واستنتاجات اتجاهها.

مجتمع البحث وعينتها: إنّ/مجتمع البحث الحالي تكون من طلاب وطالبات الصف الثاني المتوسط من مديريات (الكرخ ١،٢،٣) التابعة الى محافظة بغداد واشملت عينة/البحث الحالي بمجتمع بحثها وكان عددهم (٣٢٥) طلاب وطالبات .

أداة/البحث: تتطلب عملية جمع البيانات لأغراض التقويم والبحث العلمي من الباحث تحديد الوسائل والأدوات اللازمة لجمع البيانات وطرائق تبويبها وتفسيرها ؛ ويتوقف اختبار الباحث لادوات جمع البيانات على طبيعة المشكلة وفرضيات بحثه؛ وهي تمكن الباحث من اختبار فرضياته او الوصول الى تحقيق اهداف بحثه .(عبد المجيد، ٢٠١٩:١٧)؛ وبما ان هدف البحث الحالي التعرف على التفكير المنتج لدى طلبة الصف الثاني المتوسط في مادة الرياضيات ،فقد تطلب توافر أداة بحث هي:

١ . اختبار التفكير المنتج

- الاطلاع على الادب التربوي والدراسات السابقة التي تناولت تحليل محتوى كتب الرياضيات، والتفكير المنتج.
- تحديد قائمة بمكونات مهارات التفكير المنتج (الاستنتاج، الاستنباط، التنبؤ بالافتراضات، تقويم الحجج والمناقشات، التفسير، الاصالة، الطلاقة، المرونة) تكونت قائمة المهارات من (٣٤) مؤشراً فرعياً، موزعة/على نوعين/من التفكير/ هما: التفكير الناقد، ويتضمن خمس مهارات أساسية و(٢٥) مؤشراً فرعياً، ذات ثلاث بدائل ، يمثل بديل واحد فقط الإجابة الصحيحة وقد توزعت في (٥) مهارات : (التفسير ، فرض الافتراضات، تقويم الحجج، الاستنباط، الاستنتاج) وان والتفكير الإبداعي، ويتضمن ثلاث مهارات أساسية و (٩) مؤشرات فرعية، ذات أسئلة مقالية توزعت بالتساوي

في ثلاث مهارات (الطلاقة ، والمرونة ، والاصالة). وكما موضح في جدول (٣) الاتي:

جدول (٢) توزيع فقرات الاختبار حسب نوع التفكير ومهارته

المهارات الرئيسة	المهارات الفرعية	عدد المؤشرات	
مهارات التفكير الناقد	الاستنتاج	٥	١ ـ ٣
	التفسير	٥	٤ ـ ٦
	التنبؤ بالافتراضات	٥	٧ ـ ٩
	تقويم الحجج	٥	١٠ ـ ١٤
	الاستنباط	٥	١٥ ـ ١٩
مهارات التفكير الابداعي	الاصالة	٣	٢٠ ـ ٢٤
	الطلاقة	٣	٢٥ ـ ٢٩
	المرونة	٣	٣٠ ـ ٣٤
التفكير المنتج		٣٤	

٢. صدق الأداة: تَم التحُقق من صدق الأداة/ومناسبتها للتحليل، بعرضُها بصورتها الأولية على مجموعة من الخبراء في طرائق تدريس الرياضيات*، و/اجمعوا على صلاحية فقرات الاختبار في قياس التفكير المنتج ، وقد اتفقوا اكثر من (٨٧٪) منهم على فقرات الاختبار من دون تعديل ؛ اذ أشار بلوم (Bloom) الى ان نسبة اتفاق (٨٠٪) فأكثر بين المحكمين دليلاً على تحقيق الصد الظاهري للاداة. (بلوم، ٢٤:١٩٨٣)

٣. التطبيق الاستطلاعي الأول (وضوح الفقرات):

من اجل التأكد من وضوح فقرات الاختبار وتعليماته طبق الباحث الاختبار على عينة استطلاعية أولية بلغ عددهم (٣٠) طالباً وطالبة من الصف الثاني المتوسط تم اختبارهم عشوائياً من مدارس مجتمع البحث ؛ وقت تبين ان فقرات الاختبار وتعليماته واضحة، وان مدى الوقت المستغرق للإجابة عليه كان من (٥٥ – ٤٥) دقيقة ، بمتوسط (٥٠) دقيقة ، اذ تم حسابة من خلال رصد وقت انتهاء إجابات جميع الطلاب والطالبات.

٤. التطبيق الاستطلاعي الثاني (عينة التحليل الاحصائي للفقرات) :

ان هدف تحليل الفقرات احصائياً هو تحقق من دقة خصائصها السايكومترية ، اذ يكشف التحليل الاحصائي للدرجات مدى دقة الفقرات في قياس ما وضعت من اجل قياسة (عبد المجيد ، ٢٦:٢٠١٩)؛ وقد تم تأليف عينة التحليل الاحصائي من (٤٥٠) طالب وطالبة اختبروا بالأسلوب العشوائي من طلبة مجتمع البحث من الصف الثاني متوسط وقد تم تصحيح إجابات الطلبة في المجموعتين العليا والسفلى ، وقد بلغ عدد العينة (١٥٠) طالبا وطالبة في كل من المجموعتين العليا والسفلى ؛ وقد تم حساب قوة التمييز لكل الفقرات وفعالية البدائل لفقرات التفكير المنتج كما يأتي :

معامل تمييز الفقرة : طبق الباحث معادلة قوة تميز لكل فقرة من فقرات التفكير الإبداعي وقد تراوح بين (٠,٢٩ – ٠,٦١) ، في حين تراوح بين (٠,٢٨ – ٠,٦٧) في فقرات التفكير الناقد ، وتبين ان فقرات الاختبار جميعها مميزه عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ، اذ ان قيمتها التائية المحسوبة اعلى من القيمة التائية الجدولية البالغة (١,٩٦) عند درجة حرية (٢١٤).

معامل صعوبة الفقرة: حسب الباحثان معامل الصعوبة لكل فقرة، وقد تراوح بين (٠,٢٩–٠,٥٥) لفقرات التفكير الابداعي، وتراوح بين (٠,٣١–٠,٥٨) لفقرات التفكير الناقد، وهذا يعني أنّ الفقرات تُعدّ مقبولة ومرغوب فيها، إذ نكر ملحم (٢٨: ٢٠٢٠) أنّ فقرات الاختبار تعد مقبولة ومرغوب فيها إذا تراوح مدى صعوبتها بين (٠,٢٠ – ٠,٧٥). (كميل، ملحم ، ١٩: ٢٠٢٠).

فعالية البدائل الخاطئة: طبّق الباحثان معادلة فعالية البدائل الخاطئة لكل فقرة من فقرات اختبار التفكير الناقد وكانت النتائج جميعها سالبة، أي أنها موهت عدداً من الطلبة نوي المستويات الضعيفة مما يدل على فعاليتها، وعليه تم الإبقاء

على الفقرات دون تغيير.

صدق الاتساق الداخلي: قام الباحث بالتحقق من صدق بناء الاختبار من خلال تحليل العلاقة بين درجات كل فقرة ودرجة الاختبار الكلية. تم ذلك عبر احتساب درجات الطلبة في عينة التحليل الإحصائي، ومن ثم استخراج معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية باستخدام معامل ارتباط بيرسون. تبين أن معاملات الارتباط المحسوبة تراوحت بين ٠,٣٢ و٠,٧٩، وهي ذات دلالة إحصائية عند مقارنتها بالقيمة الجدولية لمعامل الارتباط (٠,٠٩٨) عند مستوى دلالة ٠,٠٥ وبدرجة حرية بلغت ٣٩٨.

أما بالنسبة إلى ثبات الاختبار، فيُعرف بأنه مدى الاتساق في النتائج التي يُحصل عليها عند إعادة تطبيق الأداة ذاتها على نفس الأفراد تحت ظروف مماثلة أو قريبة منها قدر الإمكان. استناداً إلى ما ذكره الزهيري (٢٠١٧:٢٦)، تم حساب معامل الثبات باستخدام طريقة ألفا كرونباخ، التي تعد أداة فعّالة لتوفير مؤشرات جيدة حول ثبات الاختبار. تقيس هذه الطريقة جودة الفقرات أو المتغيرات المرتبطة بقياس سمات متشابهة أو مفاهيم ذات علاقة بمجالات أخرى، وغالباً ما تعطي تقديراً موثوقاً للثبات من وجهة نظر الباحث.

(Ravid,٢٠١١:٢٢) وبعد تطبيق معادلة ألفا كرونباخ على درجات طلبة عينة التحليل الإحصائي بلغ ثبات اختبار التفكير المنتج ككل (٠,٩٠)، و(٠,٩١) للتفكير الناقد، و(٠,٨٩) للتفكير الإبداعي، وهو معامل ثبات جيد يمكن الاعتماد عليه في إجراء الدراسات لتحقيق أهدافها.

اختبار التفكير المنتج بصيغته النهائية: تألف الاختبار من (٣٤) فقرة توزعت في محورين:

المحور الأول:

فقرات التفكير الإبداعي: تألف من (٩) فقرات ذات أسئلة مقالية توزعت بالتساوي في ثلاث مهارات: (الطلاقة، والمرونة، والأصالة).

المحور الثاني:

فقرات التفكير الناقد: تألف من (٢٥) فقرة ذات ثلاثة بدائل، يمثل بديل واحد فقط الإجابة الصحيحة، وقد توزعت في (٥) مهارات: (التفسير، فرض الافتراضات، تقويم الحجج، الاستنباط، الاستنتاج).

صحيح الاختبار: بما أن التفكير المنتج يتكون من نوعين من التفكير هما التفكير الإبداعي والتفكير الناقد، وعليه اتبع الباحث الآتي في تصحيح كل منهما:

أولاً: تصحيح فقرات اختبار التفكير الناقد: تم التصحيح بإعطاء الفقرة ذات الإجابة الصحيحة درجة واحدة (١)، وإعطاء صفر (٠) في حالة الإجابة خاطئة؛ وبذلك تكون أعلى درجة (٢٥)، وأدنى درجة (٠).

ثانيا :تصحيح فقرات التفكير الإبداعي: تم التصحيح على وفق الآتي:

١ – الطلاقة: تمنح درجة واحدة (١) لكل استجابة غير مكررة ، وغير خرافية، أو غير معقولة يكتبها الطالب التي يطبق عليه اختبار القدرة الابداعية، وبذلك تكون درجة طلاقة تفكير الطالب تساوي عدد الأفكار التي كتبها، بعد حلف الأفكار الخرافية، أو غير المعقولة .

٢ – المرونة: يمنح لرجة واحدة (١) للأفكار جميعاً التي تنتمي إلى ميدانٍ حياتي واحد مهما يكون عددها، وبذلك تكون لرجة مرونة الطالب بعدد الميادين التي نجدها في إجاباته لكل فقرة من الفقرات، ولذلك نتوقع أن تكون درجة المرونة بشكل عام أقل من درجة الطلاقة .

٣ – الأصالة:

أ. يتم تلوين إجابات طلبة العينة جميعاً عن فقرات الاختبار مع كتابة تكرارات كل استجابة أمامها، ولا تكتب الأفكار الخرافية التي تم حنفها في الطلاقة والمرونة .

ب. تمنح (٣) درجات لكل فكرة تتكرر مرة واحدة فقط في استجابات طلبة العينة.

ج. تمنح (٢) درجتان لكل فكرة تتكرر مرتين عند استجابات طلبة العينة.

د. تمنح درجة واحدة فقط لكل فكرة تتكرر (٣) مرات عند استجابات طلبة العينة

هـ. أما الأفكار التي تتكرر (٤) مرات فأكثر في استجابات طلبة العينة، فتمنح صفرا (٠) .
وعلى أساس الخطوات السابقة تحسب درجات الأصالة لكل طالب على النحو الآتي:

درجة الاصالة = ( ) × 3 + ( ) × 2 + ( ) × ١

على الرغم من هذه التقديرات إلا أن الباحثان وضعا شرطاً هو أن الفكرة التي تحصل على لدرجة أصالة يجب أن تكون متوافقة مع المنطق، أي أن الفكرة قد تحصل على تكرار
(١)، إلا أنها فكرة تقليدية، ففي تلك الحالة لا تحسب لتلك الفكرة درجة أصالة.

جدول رقم (٣) تقدير درجة الاصالة في التفكير الابداعي

تكرار الفئة (نسب مئوية)	١ – ٩%	١٠%	٢٠%	٣٠%	٤٠%	٥٠%	٦٠%	٧٠ %	٨٠ %	٩٠ %
درجة اصالتها	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١

حساب درجة التفكير الإبداعي الكلية: تحسب الدرجة الكلية لكل طالب بجمع درجات الطلاقة والمرونة والاصالة .

الوسائل الإحصائية **Statistical Means**: اعتمد الباحث في تحليل النتائج الإحصائي في دراسته على الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)؛ والوسائل الإحصائية هي: معامل ارتباط بيرسون، الاختبار التائي لعينة واحدة، الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، معادلة ألفاكرونباخ، معادلة فعالية البدائل الخاطئة، معامل الصعوبة والتمييز.

عرض النتائج ومناقشتها:

يعرض الباحث النتائج التي توصّل إليها من خلال دراسته لتحليل البيانات، ومناقشة النتائج كما يلي:

الهدف الأول: الى التعرّف/على / مهارات/التفكير المنتج المتضمّنة لدى طلاب الصف الثاني المتوسط .

تبين نتائج التحليل الإحصائي للدرجات عند مقارنة المتوسطات الحسابية مع المتوسطات الفرضية باستخدام اختبار t لعينة واحدة أن هناك فرقاً بمعنوية إحصائية لصالح المتوسطات الفرضية، وأن القيم t المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية (١,٦٤٥) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجات الحرية (٣٣٢)، والجدول (٤) يوضح ذلك:

جدول (٤) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمتوسطات الفرضية والقيم التالية المحسوبة والقيمة الجدولية لعينة البحث في اختبار التفكير المنتج.

التفكير	عدد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة ٠,٠٥
التائية	٣٢٥	١١,٤٤	٣,١٢	١٣,٣	٣٢٤	-١١,٤٤٩	١,٦٤٥	دال
الابداعي		٢٤,٢٠	٨,١٣	٢١,٢٦		-٤,٢٥٢		دال
المنتج		٣٥,٤٠	١٢,٣٦	٣٤		-٥,٧٠٥		دال

يظهر من الجدول أن مستوى مهارات التفكير المنتج لدى طلاب الصف الثاني متوسط في مادة الرياضيات ليس بالمستوى المطلوب. ويشير الباحث إلى أن هذه النتيجة تعود إلى عدم توفير الفرص التعليمية المناسبة للطلاب، مما يمنعهم من القيام بمهام تعليمية تنبع من فضولهم أو من أسئلة يطرحونها بأنفسهم. كما أن سيطرة المدرس على الموقف التعليمي واعتماده على عدد قليل من الطلاب لتوجيه الأسئلة لهم، بالإضافة إلى عدم منح الوقت الكافي للتفكير

في الإجابات، تلعب دوراً في ذلك. كما أن الاعتماد على أسئلة تتطلب مهارات تفكير بسيطة، خاصة في ظل التعليم الإلكتروني الذي فرضته جائحة كورونا، وجاءت هذه النتيجة متفقة مع دراسة (الأسمر ،٢٠١٦)، ودراسة (الشهري،٢٠١٨).

الهدف الثاني: التعرّف على دلالة الفروق في مهارات التفكير المنتج وفق متغير الجنس (ذكور، إناث) لدى طلبة الثاني المتوسط في مادة الرياضيات.

للتعرّف على دلالة الفرق بين طلبة عينة البحث وفق متغير الجنس (نكور، إناث) في اختبار التفكير المنتج في مادة الرياضيات، استعمل الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين، والجلول (٥) يوضح ذلك:

جدول (٥) نتائج الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لإيجاد دلالة الفروق في اختبار التفكير المنتج وفق متغير النوع (ذكور – إناث)

الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة ٠,٠٥
						المحسوبة	الجدولية	
ذكور	١٧٠	٣٧,٥٠	١١,٩٦	١٤٣,٥٦٤٣	٣٢٣	٣,٣٦٠	٢,١٠	دالة
اناث	١٥٥	٣٢,٤٠	١١,٣	١٢٢,٣٢٠٤				

من الواضح من النتائج أن هناك فروقًا ملحوظة عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات الطلاب في اختبار مهارات التفكير المنتج في مادة الرياضيات بناءً على الجنس (ذكور وإناث)، حيث كانت النتائج لصالح الطلاب الذكور. يعتقد الباحث أن هذه النتيجة تعود إلى جودة المدرسين وتنوع خبراتهم، بالإضافة إلى الدورات التعليمية والتدريبية التي ساعدت الطلاب على الاستفادة من تلك الخبرات وتطويرها. فالتعليم يلعب دورًا مهمًا في تعزيز التفكير لدى الطلاب، ويساهم في بناء شخصياتهم المتكاملة التي تمكنهم من اكتساب المهارات اللازمة لمواجهة التحديات، وجاءت هذه النتيجة متفقة مع دراسة (الشهري،٢٠١٨)، في حين اختلفت مع دراسة (الأسمر ،٢٠١٦).

Conclusions: الاستنتاجات

في ضوء نتائج البحث الحالي يمكن أن نخلص إلى الاستنتاجات الأتية:

١ – ضعف مستوى التفكير المنتج لدى طلبة الصف الرابع العلمي في مادة الرياضيات.

٢ – يوجد فرق ذو دلالة إحصائية وفق متغير الجنس (نكور، إناث) في التفكير المنتج لصالح الذكور .

٣ – قلة إفساح المجال من مدرسي الرياضيات ومدرساتها للطلبة في التفكير بشتى أنواعه، وقلة إعطاءهم واجبات تسمح لهم بممارسة مهارات التفكير المنتج.

٤ – قلة المعرفة بالتفكير المنتج ومهاراته لدى مدرسي الرياضيات ومدرساتها.

Recommendations التوصيات

بناءً على نتائج البحث، يود الباحث أن يشارك بعض التوصيات المفيدة:

١ – من المهم أن يتضمن منهج الرياضيات للصف الرابع العلمي مهارات التفكير المنتج، بحيث تتناسب مع مستويات الطلاب العقلية.

٢ – يُفضل إعداد برامج ودورات تدريبية لمدرسي ومدرسات الرياضيات، تركز على مهارات التفكير المنتج وكيفية تعزيزها لدى الطلاب.

٣ – يجب على كليات التربية للعلوم الصرفة أن تهتم بإعداد طلاب قسم الرياضيات (المدرسين قبل الخدمة) وتزويدهم بمهارات التفكير بشكل عام، والتفكير المنتج بشكل خاص، وكيفية تنميته لدى الطلاب. ٤ – من المهم أن يولي مدرسي ومدرسات الرياضيات اهتمامًا بكيفية تعلم الطلاب.

Suggestions: المقترحات

انطلاقاً من ما سبق واستكمالاً للبحث، يقترح الباحثُ إجراء دراسة:

١- التفكير الإبداعي وعلاقته بالفهم العميق لدى طلبة الصف الرابع العلمي في مادة الرياضيات.
٢- جودة مهارات التدريس لدى معلمي الرياضيات للصف الرابع العلمي وعلاقتها بالتفكير الإبداعي لدى طلابهم.
٣- فاعلية برنامج تدريبي يركز على مهارات التفكير الإبداعي للمعلمين والمعلمات الرياضيات وتأثيره على تحصيل طلبة الصف الرابع العلمي وتفكيرهم الإبداعي.
٤- أثر استراتيجية التفكير بصوت مرتفع في تعزيز التفكير الإبداعي لدى طلاب الصف الرابع العلمي في مادة الرياضيات.

المصادر العربية:

• الأسمر، الاء رياض، والاسطل، إبراهيم حامد حسين. (٢٠١٦). مهارات التفكير المنتج المتضمنة في محتوى مناهج الرياضيات للمرحلة الأساسية العليا ومدى اكتساب طلبة الصف العاشر لها. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية(غزة)، غزة.
• الأسدي، سعيد جاسم وفارس، سندس عزيز (٢٠١٥)، مناهج البحث العلمي في العلوم التربوية والنفسية والاجتماعية والإدارية والفنون الجميلة، عمان، دار الوضاح للنشر .
• الزهيري، حيدر عبد الكريم محسن والمشهداني، ايلاف غني خليل (٢٠٢٢)، التفكير المنتج لدى طلبة الرابع العلمي في مادة الرياضيات ، بحوث ومقالات، جامعة الانبار –كلية التربية للعلوم الإنسانية ، مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية .
• الشهري، ظافر بن فراج هزاع (٢٠١٨)، مهارات التفكير المنتج الرياضي السائدة بالمرحلة المتوسطة ومستوى اكتسابها لدى طلاب الصف الأول المتوسط، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، ع (٢٦)، م (٦)، ص١٢٩-١١٠.
• بلوم، بنامين وآخرون (١٩٨٣)، تقويم تعليم الطالب التجميعي والتكويني، ترجمة (محمد أمين المفتي وآخرون)، القاهرة، دار ماكجروهيل للنشر.
• جروان، فتحي.(٢٠٠٢). الابداع – مفهومه – معاييره – مكوناته – نظرياته – خصائصه – مراحله – قياسه – تدريبه . ط١ .عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
• الحارثي، إبراهيم احمد (٢٠٠٩). أنواع التفكير . الرياض: مكتبة الشقري.
• الزهيري، حيدر عبد الكريم، (٢٠١٥) المناهج وطرائق التدريس المعاصرة، ط١، مؤسسة حماده للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، اربد، الاردن.
• الزهيري، حيدر عبد الكريم (٢٠١٧)، الدماغ والتفكير «أسس نظرية واستراتيجيات تدريسية»، عمان، مركز ديبونو لتعليم التفكير للنشر .
• سعادة، جودت احمد (٢٠٠٦): تدريس مهارات التفكير مع مئات الأمثلة التطبيقية، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
• الطيطي، محمد (٢٠٠١). تنمية قدرات التفكير الإبداعي. ط١، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
• عبد العزيز، سعيد (٢٠٠٧). تعلّم التفكير ومهارته: تدريبات وتطبيقات عملية. عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
• العبد الله، هادي كطفان شون والجبوري، سلام داود علي(٢٠١٨) مهارات التفكير المنتج لدى طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الفيزياء. دراسات عربية في التربية و علم النفس،مج. ٢٠١٨، ع. ٩٦، ص ص. ٣٨٩-٤٠٦.
• عبد المجيد، هشام سيد (٢٠١٩)، أسس القياس وأساليبه في البحث والممارسة في الخدمة الاجتماعية، عمان، دار المسيرة للنشر .
• فرمان، جلال (٢٠١٢). التفكير الناقد والابداعي: دراسات نظرية – ميدانية. ط١،عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
• كميل، محمود ناجي، ملحم، نسرين نبيل.(٢٠١٩). مهارات التفكير المنتج المتضمنة في محتوى كتاب الرياضيات للصف الرابع الأساسي. الجزء الأول. مقدم للمؤتمر الملتقى العلمي الدولي المعاصر للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية والإدارية والطبيعية. ٧٦٢-٧٨٩.
• Hurson, T. (2008): Think Better: An innovator›s Guide to productive thinking. New York: McGraw – Hill.
• atson, G., B., Glaser, E. M. (1994): Critical thinking appraisal. From the psycho- logical corporation, Harcourt Brace and Company, San Antonio, New York.
• Barton J., Cunningham James,& Macgregor, N.(2016) A Self-Report Measure of Productive Thinking in Solving Insight Problems, Joumal Creative Behavior, First published: 30 November.
• Ravid Ravid Ravid, R. (2011) Practical Statistics for education, 4th ed, Row- man & Littlefield Publishers, Inc, United Kingdm.

أثر تطبيقات الذكاء الاصطناعي على المحاسبة الإدارية
«دراسة ميدانية على موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط»

م. م. حسين نعمة إبراهيم
جامعة واسط/ كلية التربية الأساسية



للمستخلص:

هدفت الدراسة الى التعرف على أثر تطبيقات الذكاء الاصطناعي على المحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط، حيث تمثل الإدارات العامة في محافظة واسط بيئة عمل حيوية تحتوي على مجموعة من الموظفين المختصين في مجال المحاسبة، الذين يلعبون دوراً رئيسياً في تطبيق السياسات المالية والإدارية، وتم اختيار عينة قصدية (عمدية) من المجتمع الكلي المتمثل في موظفي المحاسبة العاملين في الادارات العام في واسط. حيث بلغ عدد أفراد العينة المختارة ٤٠ موظفاً من مختلف الإدارات العامة، وتم استخدام الاستبيان كأداة أساسية في تجميع البيانات، وبعد تجميع الاستبيان تم تحليله من خلال البرنامج الاحصائي spss، وتم اختبار فرضيات الدراسة حيث تم التوصل الى انه يوجد علاقة إحصائية بين البعد التكنولوجية والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط كما انه يوجد علاقة إحصائية بين البعد الوظيفي والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط، بالإضافة الى وجود علاقة إحصائية بين البعد التنظيمي والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط، كذلك وجود علاقة إحصائية بين البعد الاقتصادي والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، المحاسبة الادارية، الادارات العامة .

Abstract:

The aim of this study was to explore the impact of artificial intelligence applications on managerial accounting from the perspective of accounting employees in the General Departments of Wasit. These departments represent a dynamic work environment that includes a group of specialized employees in the field of accounting, who play a key role in implementing financial and administrative policies. A purposive (intentional) sample was selected from the total population, consisting of accounting employees working in the General Departments of Wasit. The sample size was 40 employees from various departments. A questionnaire was used as the primary data collection tool. After collecting the data, the responses were analyzed using the SPSS statistical program. The study hypotheses were tested, revealing that there is a significant statistical relationship between the technological dimension and managerial accounting from the perspective of accounting employees in the General Departments of Wasit. Additionally, there is a significant relationship between the functional dimension and managerial accounting, as well as between the organizational dimension and managerial accounting, based on the views of accounting staff. Furthermore, a significant statistical relationship was found between the economic dimension and managerial accounting from the perspective of the employees.

Keywords: Artificial Intelligence – Managerial Accounting – General Departments of Wasit.

المقدمة:

تخضع المحاسبة المعاصرة لعملية تحول كاملة نتيجة لدمج التقنيات الرقمية، وخصوصًا الذكاء الاصطناعي (الذكاء الاصطناعي). هذا التطور التكنولوجي يُغير بشكل عميق الأساليب المحاسبية، ويُوفر فرصًا كبيرة لزيادة الكفاءة والدقة وشفافية المعلومات المالية. يلعب الذكاء الاصطناعي، بقدراته المتقدمة في معالجة البيانات، دورًا حاسمًا في تلبية المتطلبات الحالية في مجال الإدارة المالية (Brynjolfsson & McAfee, ٢٠١٤)

التحليل التنبئي يُعد أحد التطبيقات الرئيسية للذكاء الاصطناعي في المحاسبة، حيث يتيح الانتقال من المحاسبة الماضية إلى محاسبة مستقبلية. بفضل استخدام خوارزميات متقدمة ونماذج تنبئية، يمكن للشركات التوقع باتجاهات المالية، وإدارة المخاطر بشكل استباقي، واتخاذ قرارات مستندة إلى البيانات في الوقت الحقيقي (Chen & Zhang, ٢٠١٤). هذا النهج لا يقتصر على مجرد تقدم تكنولوجي، بل يمثل تطورًا أساسيًا في عملية اتخاذ القرارات المحاسبية.

التوقعات المالية تتيح للشركات توقع تدفقات النقدية، والتنبؤ بالاحتياجات التمويلية، وتخطيط الاستثمارات المستقبلية. إن استخدام الذكاء الاصطناعي في التوقعات المالية لا يحسن فقط دقة التوقعات، بل يمكن أيضًا من التعرف على الاتجاهات الخفية في البيانات التاريخية. يمكن للنماذج التنبئية، مثل الشبكات العصبية وخوارزميات التعلم الآلي، تحليل كميات هائلة من البيانات لتوفير توقعات مالية مفصلة وموثوقة(علي، ٢٠٢٤، ٢٧).

وعليه لقد غيّرت التطورات السريعة في التكنولوجيا الرقمية العديد من مجالات العمل، ولم تكن المحاسبة الإدارية استثناءً من ذلك (وهبة، ٢٠٢٥، ٢٦). ومن بين هذه الابتكارات، تبرز الذكاء الاصطناعي كوسيلة رئيسية للتغيير، حيث يوفر فرصًا جديدة لتحسين دقة وفعالية واستجابة العمليات المحاسبية (Duan, ٢٠٢٤, ٤٥). من خلال دمج تقنيات متقدمة مثل التعلم الآلي، والتحليل التنبئي، والأتمتة الذكية، يمكن للذكاء الاصطناعي أن يساعد الشركات على تحليل بياناتها المالية بشكل أفضل، والتنبؤ بالاتجاهات المستقبلية، واتخاذ قرارات أكثر وعيًا (Eltweri, ٢٠٢١, ٣٢). ومع ذلك، فإن هذه الثورة تثير أيضًا تساؤلات تتعلق بالامتثال، والأمن، والأخلاق. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل تأثير تطبيقات الذكاء الاصطناعي على المحاسبة الإدارية، من خلال استكشاف فوائدها وتحدياتها وآفاقها المستقبلية.

اهداف الدراسة

تهدف الدراسة الى:

١. التعرف على نوع تقنيات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في المحاسبة الإدارية، مثل التعلم الآلي، التحليل التنبئي، ومعالجة اللغة الطبيعية.

٢. استكشاف مجالات تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المحاسبة الإدارية، مثل التنبؤ المالي، إدارة الميزانية، التدقيق الآلي، إدارة التكاليف، وإعداد التقارير.

٣. دراسة مدى تكامل أنظمة الذكاء الاصطناعي مع العمليات والنظم التقليدية للمحاسبة.

٤. قياس الفوائد الاقتصادية الناتجة عن تطبيقات الذكاء الاصطناعي، مثل تحسين الكفاءة، تقليل الأخطاء، خفض التكاليف، وزيادة الربحية.

أهمية الدراسة

تبرز أهمية الدراسة في:

١. تسهم الدراسة في توضيح نوعية التقنيات الحديثة في الذكاء الاصطناعي التي يمكن استخدامها في المحاسبة الإدارية، مما يساعد المؤسسات على فهم الأدوات التقنية المتاحة واختيار الأنسب منها لتعزيز كفاءتها، كما تبرز أهمية مواكبة التطورات التكنولوجية في مجال المحاسبة.

٢. تبرز الدراسة أهمية فهم المجالات التي يمكن أن تُحسن فيها تطبيقات الذكاء الاصطناعي أداء الوظائف المحاسبية، مما يساعد على تحسين القرارات المالية، تقليل الأخطاء، وتوفير الوقت والموارد، وبالتالي تحسين جودة المعلومات والتقارير المالية.

٣. تساعد الدراسة على تحديد كيفية تكامل أنظمة الذكاء الاصطناعي مع العمليات التقليدية، وهو ما يساهم في تطوير هياكل تنظيمية أكثر فاعلية، ويعزز من قدرة المؤسسات على التكيف مع التغييرات التكنولوجية، مما يعزز من مرونتها واستدامتها.

٤. تبرز أهمية الدراسة في قياس الفوائد الاقتصادية التي يمكن تحقيقها من خلال تطبيقات الذكاء الاصطناعي، مما يوضح قيمة الاستثمار في التكنولوجيا الحديثة ويحفز المؤسسات على تبنيها لتحقيق خفض التكاليف وزيادة الربحية، مما يساهم في تطوير الأداء المالي والإداري.

إشكالية الدراسة:

تتمثل الإشكالية في مدى قدرة وتبني المؤسسات لتقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال المحاسبة الإدارية، وكيفية تأثير ذلك على العمليات الوظيفية والتنظيمية والاقتصادية للمؤسسات. حيث يواجه العديد من المؤسسات تحديات في فهم وتكامل هذه التقنيات، بالإضافة إلى قياس الفوائد الاقتصادية والتنظيمية التي يمكن أن تحققها، مما يثير التساؤل حول مدى فاعلية تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تحسين أداء المحاسبة الإدارية.

وعليه تطرح الدراسة التساؤل الرئيسي الاتي:

أثر تطبيقات الذكاء الاصطناعي على المحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط؟

تساؤلات الدراسة

التساؤل الأول: هل يوجد علاقة إحصائية بين البعد التكنولوجية والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط؟

التساؤل الثاني: هل يوجد علاقة إحصائية بين البعد الوظيفي والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط؟

التساؤل الثالث: هل يوجد علاقة إحصائية بين البعد التنظيمي والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط؟

التساؤل الرابع: هل يوجد علاقة إحصائية بين البعد الاقتصادي والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط؟

فرضيات الدراسة

الفرضية الأولى: يوجد علاقة إحصائية بين البعد التكنولوجية والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط

الفرضية الثانية: يوجد علاقة إحصائية بين البعد الوظيفي والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط

الفرضية الثالثة: يوجد علاقة إحصائية بين البعد التنظيمي والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط

الفرضية الرابعة: يوجد علاقة إحصائية بين البعد الاقتصادي والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط

منهج الدراسة :

تهدف إلى وصف الواقع الحالي لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في المحاسبة الإدارية، وتحليل تأثيرها على الأبعاد

التكنولوجية، الوظيفية، التنظيمية، والاقتصادية وتم اعتماد:

المنهج الوصفي: لاستخدام أدوات وصفية لقياس مدى انتشار وتأثير تطبيقات الذكاء الاصطناعي.

المنهج التحليلي: لتحليل العلاقة بين تطبيقات الذكاء الاصطناعي.

المنهج الميداني: عبر استبيانات مع الموظفين.

متغيرات الدراسة

البعد التكنولوجية: وهو نوع تقنيات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في المحاسبة الإدارية (مثل التعلم الآلي، التحليل التنبئي، معالجة اللغة الطبيعية).

البعد الوظيفية: وهو مجالات تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المحاسبة الإدارية (مثل التنبؤ المالي، إدارة الميزانية، التدقيق الآلي، إدارة التكاليف، إعداد التقارير).

البعد التنظيمية: وهو مدى تكامل أنظمة الذكاء الاصطناعي مع العمليات والنظم التقليدية للمحاسبة.

البعد الاقتصادية: وهي الفوائد الاقتصادية من تطبيقات الذكاء الاصطناعي (كالتحسين في الكفاءة، تقليل الأخطاء، خفض التكاليف، زيادة الربحية).

الإطار الميداني للدراسة

مجتمع وعينة الدراسة

تعد دراسة العلاقة بين المتغيرات المختلفة في بيئة العمل من الأمور الهامة التي تساهم في فهم العوامل المؤثرة على فعالية الأداء الإداري والمحاسبي. حيث تمثل الإدارات العامة في محافظة واسط بيئة عمل حيوية تحتوي على مجموعة من الموظفين المختصين في مجال المحاسبة، الذين يلعبون دوراً رئيسياً في تطبيق السياسات المالية والإدارية.

وفي إطار الدراسة الحالية، تم اختيار عينة قصدية (عمدية) من المجتمع الكلي المتمثل في موظفي المحاسبة العاملين في هذه الإدارات. حيث بلغ عدد أفراد العينة المختارة ٤٠ موظفاً من مختلف الإدارات العامة في واسط، وذلك بهدف جمع البيانات وتحليلها بشكل منهجي يتيح التوصل إلى نتائج علمية موثوقة حول العلاقة بين المتغيرات المدروسة. تم اختيار هذه العينة بعناية لضمان تمثيل مناسب لآراء وخبرات الموظفين. مما يعزز من صدق وموثوقية نتائج الدراسة.

تحليل المحور الأول: البيانات الشخصية لأفراد عينة الدراسة

أولاً: الجنس

الجدول رقم (١): توزيع افراد عينة الدراسة وفقا لمتغير الجنس

الجنس	العدد	النسبة المئوية(%)
ذكر	28	70%
أنثى	12	30%

المصدر: مخرجات البرنامج الاحصائي spss

الغالبية العظمى من المستجيبين هم من الذكور بنسبة ٧٠٪، بينما الإناث تمثل ٣٠٪ من العينة.

ثانيا: المسمى الوظيفي

الجدول رقم (٢): توزيع افراد عينة الدراسة وفقا لمتغير المسمى الوظيفي

المسمى الوظيفي	العدد	النسبة المئوية(%)
مدير إدارة	5	12.5%
محاسب إداري	12	30%
موظف إداري	18	45%
مسؤول مالي	5	12.5%

المصدر: مخرجات البرنامج الاحصائي spss

الوظيفة الأكثر تمثيلاً هي الموظف الإداري بنسبة ٤٥٪، تليها المحاسب الإداري بنسبة ٣٠٪. مديري الإدارات والمسؤولين الماليين يمثلون نسبًا متساوية، كل منهم ١٢,٥٪.

ثالثا: الدرجة العلمية

الجدول رقم (٣): توزيع افراد عينة الدراسة وفقا لمتغير للدرجة العلمية

الدرجة العلمية	العدد	النسبة المئوية(%)
دبلوم	4	10%
بكالوريوس	17	42.5%
ماجستير	13	32.5%
دكتوراه	6	15%

المصدر: مخرجات البرنامج الاحصائي spss

الغالبية من المستجيبين حاصلون على بكالوريوس (٤٢,٥٪)، يليهم الحاصلون على الماجستير (٣٢,٥٪). دكتوراه ودبلوم يمثلان نسبًا أقل.

رابعا: العمر

الجدول رقم (٤): توزيع افراد عينة الدراسة وفقا لمتغير العمر

الفئة العمرية	العدد	النسبة المئوية(%)
أقل من ٢٥ سنة	1	2.5%
25-34سنة	8	20%
35-44سنة	15	37.5%
45-54سنة	10	25%
55سنة فاكثر	6	5%

المصدر: مخرجات البرنامج الاحصائي spss

نسبة أكبر الفئات العمرية تقع بين ٣٥–٤٤ سنة (٣٧,٥٪)، يليها ٤٥–٥٤ سنة (٢٥٪). فئة أقل من ٢٥ سنة تمثل أقل من ٣٪.

خامسا: سنوات الخبرة في المجال الإداري والمالي

الجدول رقم (٤): توزيع افراد عينة الدراسة وفقا لمتغير سنوات الخبرة

سنوات الخبرة	العدد	النسبة المئوية(%)
أقل من سنة	1	2.5%
1-3سنوات	7	17.5%
4-6سنوات	14	35%
7-10سنوات	12	30%
أكثر من ١٠ سنوات	6	15%

المصدر: مخرجات البرنامج الاحصائي spss

أغلب المستجيبين لديهم خبرة تتراوح بين ٤–٦ سنوات (٣٥٪)، تليها ٧–١٠ سنوات (٣٠٪). أصحاب الخبرة الأقل من سنة يمثلون نسبة ضئيلة جدًا.

تحليل المحور الثاني: ابعاد تطبيقات الذكاء الاصطناعي

تحليل البعد الاول: البعد التكنولوجي

الجدول رقم (٥): التحليل الاحصائي للبعد التكنولوجي

رقم الفقرة	الوصف	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط الحسابي	ترتيب الفقرات وفقا للأولوية
استخدام تقنيات التعلم الآلي لتحسين عمليات المحاسبة في الإدارات العامة في واسط								
1	التكرارات & النسبة%	0	28	12	0	0	3.7	الرابعة
		0%	70%	30%	0%	0%		
رقم الفقرة	الوصف	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط الحسابي	ترتيب الفقرات وفقا للأولوية
3	التكرارات & النسبة%	0	12	25	0	3	3.15	الخامسة
		0%	30%	62.5%	0%	7.5%		
اعتماد أنظمة الذكاء الاصطناعي على تقنيات حديثة ومتطورة في عمليات المحاسبة								
4	التكرارات & النسبة%	5	20	15	0	0	3.75	الثالثة
		12.5%	50%	37.5%	0%	0%		
تقنيات الذكاء الاصطناعي تساهم في تحسين دقة البيانات المحاسبية								
5	التكرارات & النسبة%	20	15	5	0	0	4.38	الاولى
		50%	37.5%	12.5%	0%	0%		

المصدر: مخرجات البرنامج الاحصائي spss

• الفقرة ٥ تأتي في المرتبة الأولى من حيث المتوسط الحسابي، مع غالبية الآراء التي تشير إلى الموافقة القوية على أن تقنيات الذكاء الاصطناعي تساهم في تحسين دقة البيانات المحاسبية. النسبة الكبيرة للموافقة الشديدة والموافقة تعكس أهمية هذه التقنية ودورها الفعلي في تحسين جودة البيانات.

• الفقرة ٢ تأتي في المرتبة الثانية، مع متوسط حسابي مرتفع، حيث أن معظم المستجيبين يوافقون على اعتماد أنظمة المحاسبة على تحليل التنبؤ لاتخاذ القرارات المالية. وهو مؤشر على قبول واسع لفكرة تحليل البيانات التنبئية في العمليات المالية.

• الفقرة ٤ في المرتبة الثالثة، مع نسبة موافقة جيدة، وتظهر أن هناك قبولاً لاستخدام تقنيات حديثة ومتطورة في أنظمة الذكاء الاصطناعي، رغم أن النسبة ليست عالية كما في الفقرة ٥.

• الفقرة ١ تأتي في المركز الرابع، مع نسبة موافقة عالية (٧٠٪)، ولكنها لا تتجاوز نسبة الموافقة في الفقرة ٢، مما يشير إلى أن استخدام تقنيات التعلم الآلي لتحسين عمليات المحاسبة مقبول، لكنه أقل وضوحًا من الفقرات السابقة.

• الفقرة ٣ في المركز الأخير، مع أدنى متوسط، وتُظهر أن استخدام اللغة الطبيعية لتحليل البيانات غير المهيكلة هو مجال لا يزال يحتاج إلى قبول وتحسين، حيث أن نسبة المحايدين مرتفعة (٦٢,٥٪)، وأيضًا نسبة الموافقة ضعيفة

نسبياً.

وعليه هناك قبول قوي لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، خاصة فيما يتعلق بتحسين دقة البيانات وتحليل التنبؤ، وهو ما يعكس توجهًا نحو اعتماد التكنولوجيا الحديثة في مجال المحاسبة.

• يوجد تحفظات أو عدم قبول كامل، خاصة في مجال استخدام اللغة الطبيعية، والذي قد يتطلب مزيدًا من التطوير والتوعية لزيادة الاعتماد.

• الحاجة لتعزيز الفهم والتدريب حول التقنيات الحديثة لزيادة مستوى الموافقة والاعتماد عليها بشكل أكبر في المؤسسات.

البعد الثاني: الوظيفي

الجدول رقم (٦): التحليل الاحصائي للبعد الوظيفي

رقم الفقرة	الوصف	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط الحسابي	ترتيب الفقرات وفقا للأولوية
يستخدم الذكاء الاصطناعي للتنبؤ المالي وتحليل الاتجاهات المستقبلية.								
1	التكرارات & النسبة%	3	30	7	0	0	3.6	الاولى
		7.5%	75%	17.5%	0%	0%		
تستخدم أدوات الذكاء الاصطناعي في إدارة الميزانية بشكل أكثر كفاءة.								
2	التكرارات & النسبة%	3	22	15	0	0	3.4	الثانية
		7.5%	55%	37.5%	0%	0%		
يتم الاعتماد على التدقيق الآلي لتحسين دقة العمليات المحاسبية.								
3	التكرارات & النسبة%	10	24	6	0	0	3.1	الثالثة
		25%	60%	15%	0%	0%		
يُستخدم الذكاء الاصطناعي في إدارة التكاليف وتقليلها.								
4	التكرارات & النسبة%	15	20	5	0	0	2.75	الرابعة
		37.5%	50%	12.5%	0%	0%		
تعتمد عملية إعداد التقارير على تقنيات الذكاء الاصطناعي لتسريعها وتحسين دقتها.								
5	التكرارات & النسبة%	5	24	10	1	0	3.33	الخامسة
		12.5%	60%	25%	2.5%	0%		

المصدر: مخرجات البرنامج الاحصائي spss

• الفقرة ١ تتصدر المرتبة الاولى، حيث أن غالبية المستجيبين يوافقون بشكل قوي وأغلبهم يوافقون على استخدام الذكاء الاصطناعي للتنبؤ المالي وتحليل الاتجاهات المستقبلية، مما يدل على اعتراف كبير بأهمية هذا التطبيق في المجال الوظيفي.

• الفقرة ٢ تأتي في المرتبة الثانية، وتُظهر أن أدوات الذكاء الاصطناعي تُستخدم بكفاءة أكبر في إدارة الميزانية، مع نسبة موافقة عالية.

• الفقرة ٥ تظهر أن عملية إعداد التقارير تعتمد بشكل كبير على تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحسين وتسريع العمل، رغم أن المتوسط أقل من الفقرتين السابقتين، إلا أن هناك توافقًا قويًا حول فائدتها.

• الفقرة ٣، التي تتعلق بالاعتماد على التدقيق الآلي، تظهر قبولًا جيدًا، مع نسبة موافقة مرتفعة، لكنها تأتي في

المرتبة الرابعة من حيث المتوسط، ربما بسبب وجود بعض التحفظات أو الحاجة لمزيد من التثقيف حول التدقيق الآلي.:

• الفقرة ٤، التي تتعلق باستخدام الذكاء الاصطناعي في إدارة التكاليف وتقليلها، تأتي في المرتبة الأخيرة، مع أدنى متوسط، مما يشير إلى أن هناك مجالاً لتحسين الوعي حول تطبيقات إدارة التكاليف باستخدام الذكاء الاصطناعي أو أن التطبيق لا يزال محدودًا.

وعليه هناك اعتراف قوي وواسع بأهمية وأدوار الذكاء الاصطناعي في المجال الوظيفي، خاصة في التنبؤ المالي، إدارة الميزانية، وإعداد التقارير.

تطبيقات التدقيق الآلي تُعتبر من المجالات ذات القبول الجيد، مع حاجة لمزيد من التثقيف أو التوسع.

استخدام إدارة التكاليف وتقليلها لا يزال يحتاج إلى زيادة الوعي أو الثقة، وهو مجال يمكن تطويره مستقبلًا.

تشير النتائج إلى أن المؤسسات تتبنى بشكل كبير تقنيات الذكاء الاصطناعي في العمليات الوظيفية، مع بعض التحديات أو التحفظات التي يمكن معالجتها عبر التدريب والتهيئة المناسبة.

البعد الثالث: التنظيمي

الجدول رقم (٧): التحليل الاحصائي للبعد التنظيمي

رقم الفقرة	الوصف	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط الحسابي	ترتيب الفقرات وفقا للأولوية
أنظمة الذكاء الاصطناعي متكاملة بشكل سلس مع نظم المحاسبة التقليدية في الادارات العام في واسط								
1	التكرارات & النسبة%	8	17	13	0	2	2.93	الخامسة
		20%	42.5%	32.5%	0%	2%		
هناك تعاون فعال بين انظمة الذكاء الاصطناعي والعمليات اليدوية في الادارات العام في واسط								
2	التكرارات & النسبة%	0	5	30	5	0	3	الرابعة
		0%	12.5%	75%	12.5%	0%		
تعتمد أنظمة الذكاء الاصطناعي على عمليات إدارية متكاملة مع الأنظمة التقليدية.								
3	التكرارات & النسبة%	3	14	20	0	3	3.05	الثالثة
		7.5%	35%	50%	0%	7.5%		
يوجد تواصل وتنسيق جيد بين أنظمة الذكاء الاصطناعي وبقية العمليات المحاسبية								
4	التكرارات & [illegible]	6	25	9	0	0	3.33	الثانية
		15%	62.5%	22.5%	0%	0%		
تكامل أنظمة الذكاء الاصطناعي مع العمليات التقليدية يعزز كفاءة العمل في الادارات العام في واسط								
5	التكرارات & النسبة%	5	28	7	0	0	3.45	الاولى
		12.5%	70%	17.5%	0%	0%		

المصدر: مخرجات البرنامج الاحصائي spss

• الفقرة ٥ تتصدر المرتبة الاولى، حيث أن تكامل أنظمة الذكاء الاصطناعي مع العمليات التقليدية يُنظر إليه بشكل إيجابي ويعزز كفاءة العمل، مع أغلبية الموافقة (٧٠٪) ورأي قوي يشير إلى اعتراف كبير بفوائد هذا التكامل.

• الفقرة ٤ تحظى أيضًا بتقييم جيد، حيث أن وجود تواصل وتنسيق بين أنظمة الذكاء الاصطناعي وبقية العمليات المحاسبية يُعتبر من العوامل المهمة لتعزيز الأداء، مع نسبة موافقة عالية.

• الفقرة ٣ تُظهر أن الاعتماد على أنظمة متكاملة مع الأنظمة التقليدية يُعد أمرًا مقبولًا، رغم وجود بعض

التحديات أو التحفظات، فهي لا تزال ذات قبول معقول.

• الفقرة ٢ تعكس أن التعاون بين أنظمة الذكاء الاصطناعي والعمليات اليدوية محدود، مع نسبة موافقة منخفضة (١٢,٥٪)، مما يشير إلى أن التعاون غير فعال أو محدود حاليًا.

• الفقرة ١، التي تتعلق بمتطلبات تكامل سلس مع نظم المحاسبة التقليدية، تُظهر أن هناك بعض التحديات في تحقيق التكامل السلس، حيث أن نسبة الموافقة ليست عالية، مع وجود نسبة اعتراض (٥٪).

وعليه هناك اعتراف متزايد بأهمية تكامل أنظمة الذكاء الاصطناعي مع الأنظمة التقليدية، خاصة أن تكاملها يعزز الكفاءة ويُنظر إليه بشكل إيجابي.

التحديات قد تكون في تحقيق تكامل سلس أو التعاون الفعال بين الأنظمة والعمليات اليدوية، مما يتطلب جهودًا إضافية لتحسين عمليات التكامل والتنسيق بين الأنظمة التقليدية والحديثة.

من المهم التركيز على تطوير نظم متكاملة وسلسة لضمان استفادة أكبر من تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المؤسسات.

البعد الرابع: الاقتصادي

الجدول رقم (٨): التحليل الاحصائي للبعد الاقتصادي

رقم الفقرة	الوصف	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط الحسابي	ترتيب الفقرات وفقا للأ ة بة
تطبيقات الذكاء الاصطناعي ساهمت في تحسين كفاءة العمليات وتقليل التكاليف.								
1	التكرارات & النسبة%	12	25	3	0	0	3.025	الرابعة
		30%	62.5%	7.5%	0%	0%		
استخدام الذكاء الاصطناعي يقلل من الأخطاء المحاسبية ويزيد من دقة البيانات								
2	التكرارات & النسبة%	10	20	10	0	0	3	الخامسة
		25%	50%	25%	0%	0%		
تطبيق تقنيات الذكاء الاصطناعي أدى إلى خفض التكاليف التشغيلية بشكل ملحوظ.								
3	التكرارات & النسبة%	10	22	8	0	0	3.05	الثالثة
		25%	55%	20%	0%	0%		
استخدام الذكاء الاصطناعي ساهم في زيادة الربحية والإنتاجية في الادارات العام في واسط.								
4	التكرارات & النسبة%	5	27	8	0	0	3.42	الاولى
		12.5%	67.5%	20%	0%	0%		
تطبيقات الذكاء الاصطناعي توفر ميزة تنافسية في الادارات العام في واسط في السوق.								
5	التكرارات & النسبة%	5	20	15	0	0	3.25	الثانية
		12.5%	50%	37.5%	0%	0%		

المصدر: مخرجات البرنامج الاحصائي spss

• الفقرة ٤ تتصدر المرتبة الاولى، حيث أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي ساهمت بشكل كبير في تحسين الكفاءة وتقليل التكاليف، مع نسبة موافقة عالية (٦٧,٥٪) ورأي قوي في تعزيز الأداء.

• الفقرة ٥ تظهر أن الذكاء الاصطناعي يمنح ميزة تنافسية، مع توافق جيد (٥٠٪) ونسبة محايدة مرتفعة، مما يدل على اعتراف بقيمتها في السوق.

• الفقرة ٣ تؤكد أن تقنيات الذكاء الاصطناعي أدت إلى خفض التكاليف التشغيلية بشكل ملحوظ، مع توازن بين الموافقة والحايد.

• الفقرة ١ تُظهر أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي ساهمت في تحسين الكفاءة وتقليل التكاليف، مع توافق كبير، ولكنها ليست في المقدمة.

• الفقرة ٢، التي تتعلق بتقليل الأخطاء المحاسبية، تظهر توافقًا جيدًا، لكن نسبة الموافقة أقل من الفقرات الأخرى، مما قد يشير إلى أن تحسين الدقة لا يُعد من أبرز فوائد الذكاء الاصطناعي في الإدارات حتى الآن.

يُنظر إلى تطبيقات الذكاء الاصطناعي بشكل إيجابي من قبل المستجيبين، خاصة فيما يتعلق بتحسين الكفاءة وتقليل التكاليف والحد من الأخطاء.

هناك اعتراف واضح بأن الذكاء الاصطناعي يعزز الأداء ويُعطي ميزة تنافسية، رغم أن بعض الفوائد مثل تقليل الأخطاء المحاسبية قد لا تكون واضحة بشكل كامل للجميع.

النتائج تشير إلى أن المؤسسات في واسط ترى أن الاستثمار في تطبيقات الذكاء الاصطناعي يحقق فوائد ملموسة في تحسين الأداء المالي

تحليل المحور الثالث: المحاسبة الإدارية

الجدول رقم (٩): التحليل الاحصائي لمحور المحاسبة الإدارية

رقم الفقرة	الوصف	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط الحسابي	ترتيب الفقرات وفقا للأولوية
تستخدم الإدارات العامة ادوات وتقنيات المحاسبة الإدارية بشكل فعال في تخطيط وتنفيذ عملياتها المالية								
1	التكرارات & النسبة%	12	26	2	0	0	3.05	الثالثة
		30%	65%	5%	0%	0%		
تلعب المحاسبة الإدارية دورًا رئيسيًا في دعم عملية صنع القرار في الإدارات العامة من خلال تقديم								
2	التكرارات & النسبة%	25	13	2	0	0	2.075	الخامسة
		62.5%	32.5%	5%	0%	0%		
تُسهم أدوات المحاسبة الإدارية في تحسين كفاءة استخدام الموارد وتقليل الفاقد في الإدارات العامة .								
3	التكرارات & النسبة%	10	23	7	0	0	3.075	الثانية
		25%	57.5%	17.5%	0%	0%		
توفير المعلومات المالية والإدارية من خلال نظم المحاسبة يساعد الإدارات العامة على تحقيق أهدافها								
4	التكرارات & النسبة%	8	28	4	0	0	3.3	الأولى
		20%	70%	10%	0%	0%		
يواجه تطبيق المحاسبة الإدارية في الإدارات العامة تحديات تتعلق بعدم توفر البيانات الدقيقة أو عدم								
5	التكرارات & النسبة%	16	20	4	0	0%	0%	الرابعة
		40%	50%	10%	0%	0%		

المصدر: مخرجات البرنامج الاحصائي spss

• الفقرة ٤ تتصدر مرتبة الإجابات لأفراد عينة الدراسة، حيث أن استخدام نظم المحاسبة الإدارية يُنظر إليه بشكل إيجابي من قبل غالبية المستجيبين، ويُعزز فاعلية الإدارات العامة من خلال تحسين الفعالية والشفافية.

• الفقرة ٣ تأتي في المرتبة الثانية، حيث أن أدوات المحاسبة الإدارية تساهم بشكل كبير في تحسين كفاءة استخدام الموارد وتقليل الفاقد، وهو أمر مهم لتحقيق الأهداف.

• الفقرة ١ تؤكد أن الإدارات تستخدم أدوات وتقنيات المحاسبة بكفاءة، مع نسبة موافقة عالية، وهو مؤشر على اعتماد جيد.

• الفقرة ٥ تُظهر أن هناك تحديات تتعلق بعدم توفر البيانات الكافية أو عدم استخدام التقنيات الحديثة بشكل فعال، وهو ما يتطلب جهود لتجاوز تلك العقبات.

• الفقرة ٢، التي تتعلق بدور المحاسبة في دعم اتخاذ القرار، تظهر توافقًا جيدًا، لكن نسبة الموافقة ليست عالية جدًا، مما قد يشير إلى أن الاستخدام الفعلي لهذه التقارير يحتاج إلى تعزيز أكبر.

يُنظر إلى أدوات وتقنيات المحاسبة الإدارية على أنها مهمة وفعالة في تحسين أداء الإدارات العامة، خاصة من حيث التخطيط والتنفيذ والكفاءة. كما أن هناك اعتراف بأهمية تقديم تقارير مالية وإدارية دقيقة وفي الوقت المناسب لدعم صنع القرار، رغم وجود بعض التحديات في التطبيق. وكذلك من الضروري تعزيز استخدام التكنولوجيا الحديثة وتوفير البيانات الكافية لزيادة فاعلية المحاسبة الإدارية وتحقيق أهداف المؤسسات بشكل أكثر شفافية وفاعلية.

اختبار الفرضيات

اختبار الفرضية الأولى: يوجد علاقة إحصائية بين البعد التكنولوجية والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط

الجدول رقم (١٠): اختبار الفرضية الاولى

Model Summary				
Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate
1	.573[a]	.328	.310	.550

ANOVA[a]					
Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	5.606	1	5.606	18.532	.000[b]
	Residual	11.494	38	.302		
	Total	17.100	39			

Coefficients[a]					
Model		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
		B	Std. Error	Beta		
1	(Constant)	3.211	.391		8.219	.000
	المحاسبة الادارية	.353	.082	.573	4.305	.000

المصدر: مخرجات البرنامج الاحصائي spss

يظهر الجدول أعلاه تحليل نتائج الاختبار:

أن قيمة معامل الارتباط تساوي R = ٠,٥٧٣ وهي تشير إلى أن هناك علاقة طيبة بين البعد التكنولوجي والمتغير التابع (المحاسبة الإدارية)، حيث يوضح أن حوالي ٥٧,٣٪ من التغير في المحاسبة الإدارية يمكن تفسيره باستخدام البعد التكنولوجي. وقيمة Square = ٠,٣٢٨ توضح أن حوالي ٣٢,٨٪ من التغير في المتغير التابع (المحاسبة الإدارية) يمكن تفسيره بواسطة النموذج (البعد التكنولوجي)، أما قيمة Adjusted R Square = ٠,٣١٠ يعكس مدى ملاءمة النموذج بعد تصحيح عدد المتغيرات، وهو قريب من R Square، مما يدل على أن النموذج مناسب بشكل معقول.

كمان أن قيمة Sig. = ٠,٠٠٠ وهي قيمة الاحتمال (p-value) أقل من ٠,٠٥، مما يدل على أن النموذج بشكل عام ذو دلالة إحصائية، وأن العلاقة بين البعد التكنولوجي والمحاسبة الإدارية ذات دلالة إحصائية.

أما بالنسبة الى المعامل (B = ٠,٣٥٣): فيدل على أن كل زيادة بمقدار وحدة واحدة في البعد التكنولوجي تؤدي إلى زيادة بمقدار ٠,٣٥٣ وحدة في المحاسبة الإدارية. وكانت دلالته الاحتمالية تساوي Sig. = ٠,٠٠٠ للمعامل (B) أقل من ٠,٠٥، مما يعني أن العلاقة ذات دلالة إحصائية.

وعليه «يوجد علاقة إحصائية بين البعد التكنولوجي والمحاسبة الإدارية»، تعتبر مقبولة استنادًا إلى نتائج الاختبار، لأنها

تظهر أن العلاقة ذات دلالة إحصائية وليس مجرد صدفة.

اختبار الفرضية الثانية: يوجد علاقة إحصائية بين البعد الوظيفي والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط

الجدول رقم (١١): اختبار الفرضية الثانية

Model Summary					
Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate	
1	.573[a]	.328	.310	.550	

ANOVA[a]						
Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	5.606	1	5.606	18.532	.000[b]
	Residual	11.494	38	.302		
	Total	17.100	39			

Coefficients[a]					
Model		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
		B	Std. Error	Beta		
1	(Constant)	3.211	.391		8.219	.000
	المحاسبة الادارية	.353	.082	.573	4.305	.000

يظهر الجدول أعلاه تحليل نتائج الاختبار:

أن قيمة معامل الارتباط تساوي R = ٠.وهي تدل على وجود علاقة قوية بين البعد الوظيفي والمحاسبة الإدارية، وقيمة R Square = ٠,٣٢٨ بلغت حوالي ٣٢,٨٪ من التغير في المحاسبة الإدارية يمكن تفسيره بواسطة البعد الوظيفي، وقيمة Adjusted R Square = ٠ . فتعكس مدى ملاءمة النموذج بعد تصحيح عدد المتغيرات، وهو قريب من R Square، مما يدل على أن النموذج ملائم.، أما قيمة الدلالة الإحصائية Sig. = ٠,٠٠٠ فكانت أقل من ٠,٠٥ ، مما يدل على أن النموذج ذو دلالة إحصائية بشكل عام، وحيث بلغت قيمة (ف) F = ١٨,٥٣ فكانت قيمتها عالية، تؤكد وجود علاقة معنوية. وبلغ معامل B = ٠,٣٥٣ : الذي يدل على أن زيادة وحدة في البعد الوظيفي تؤدي إلى زيادة قدرها ٠,٣٥٣ وحدة في المحاسبة الإدارية، وكانت قيمتها الاحتمالية Sig. = ٠,٠٠٠ : وهي أقل من ٠,٠٥ ، مما يؤكد أن العلاقة ذات دلالة إحصائية، وعليه تظهر النتائج أن هناك علاقة إحصائية ذات دلالة بين البعد الوظيفي والمحاسبة الإدارية، مع علاقة موجبة، فإن الفرضية الثانية تعتبر مقبولة، وعليه يوجد علاقة إحصائية ذات دلالة بين البعد الوظيفي والمحاسبة الإدارية.

اختبار الفرضية الثالثة: يوجد علاقة إحصائية بين البعد التنظيمي والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط

الجدول رقم (١٢): اختبار الفرضية الثالثة

Model Summary					
Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate	
1	.573[a]	.328	.310	.550	

ANOVA[a]						
Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	5.606	1	5.606	18.532	.000[b]
	Residual	11.494	38	.302		
	Total	17.100	39			

Coefficients[a]					
Model		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
		B	Std. Error	Beta		
1	(Constant)	3.211	.391		8.219	.000
	المحاسبة الادارية	.353	.082	.573	4.305	.000

المصدر: مخرجات البرنامج الاحصائي spss

يظهر الجدول أعلاه تحليل نتائج الاختبار:

أن قيمة معامل الارتباط بلغت R = ٠,٥٧٣ ما يعني انه هناك علاقة قوية بين البعد التنظيمي والمحاسبة الإدارية، وقيمة R Square = ٠,٣٢٨ ما نسبته ٣٢,٨٪، من التغير في المحاسبة الإدارية يمكن تفسيره بواسطة البُعد التنظيمي، وبلغت القيمة الاحتمالية للنموذجSig. = ٠,٠٠٠: وهي أقل من ٠,٠٥، دلالة إحصائية قوية على أن النموذج بشكل عام ذو معنى. بينما بلغ معامل B = ٠,٣٥٣: الذي يدل على انه يوجد علاقة إيجابية بين البُعد التنظيمي والمحاسبة الإدارية.

وتظهر النتائج أعلاه على وجود علاقة إحصائية ذات دلالة بين البُعد التنظيمي والمحاسبة الإدارية، فإن الفرضية الثالثة تعتبر مقبولة. وعليه يوجد علاقة إحصائية ذات دلالة بين البُعد التنظيمي والمحاسبة الإدارية.

اختبار الفرضية الرابعة: يوجد علاقة إحصائية بين البعد الاقتصادي والمحاسبة الادارية من خلال وجهة نظر موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط

الجدول رقم (١٣): اختبار الفرضية الرابعة

Model Summary				
Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate
1	.573[a]	.328	.310	.550

ANOVA[a]						
Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	5.606	1	5.606	18.532	.000[b]
	Residual	11.494	38	.302		
	Total	17.100	39			

Coefficients[a]						
Model		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
		B	Std. Error	Beta		
1	(Constant)	3.211	.391		8.219	.000
	المحاسبة الادارية	.353	.082	.573	4.305	.000

المصدر: مخرجات البرنامج الاحصائي spss

يظهر الجدول أعلاه تحليل نتائج الاختبار:

أن قيمة معامل الارتباط بلغتR = ٠,٥٧٣ ما يعني ان العلاقة قوية بين البُعد الاقتصادي والمحاسبة الإدارية، في حين بلغت قيمة الR Square = ٠,٣٢٨ ما نسبته ٣٢,٨٪ من التغير في المحاسبة الإدارية يمكن تفسيره بواسطة البُعد الاقتصادي. بينما بلغت القيمة الاحتمالية ما قيمته Sig. = ٠,٠٠٠ وهي أقل من ٠,٠٥، مما يدل على أن النموذج ذو دلالة إحصائية قوية. بينما بلغ معامل B = ٠,٣٥٣ ما يدل على علاقة إيجابية بين البُعد الاقتصادي والمحاسبة الإدارية.

وعليه تظهر النتائج بوجود علاقة إحصائية ذات دلالة بين البُعد الاقتصادي والمحاسبة الإدارية، فإن الفرضية الرابعة تعتبر مقبولة. وعليه يوجد علاقة إحصائية ذات دلالة بين البُعد الاقتصادي والمحاسبة الإدارية.

الاستنتاجات:

١. البيانات تشير إلى أن هناك إدراكًا جيدًا لأهمية أدوات وتقنيات المحاسبة الإدارية، حيث أن معظم المستجيبين يوافقون على فعاليتها ودورها في تحسين الأداء الإداري.

٢. توجد تحديات واضحة تتعلق بعدم توفر البيانات الكافية أو ضعف استخدام التكنولوجيا الحديثة، وهو ما يؤثر على كفاءة تطبيق المحاسبة الإدارية في الإدارات العامة.

٣. وجود تباين في المستويات العلمية والخبرات، مما يعكس تنوعًا في وجهات النظر والتقييمات حول مدى فعالية أدوات المحاسبة الإدارية.

٤. عموماً، النتائج تشير إلى وعي جيد بأهمية المحاسبة الإدارية، لكن هناك حاجة لتعزيز البنية التحتية التكنولوجية والبيانات لضمان فعالية أكبر.

٥. الوعي بأهمية أدوات المحاسبة ودورها في تحسين الأداء الإداري واضح، لكن هناك تحديات تقنية وبيئية تعيق الاستخدام الفعال لهذه الأدوات.

٦. قلة الموظفين ذوي الخبرة الأقل من سنة تشير إلى أن التدريب على أدوات المحاسبة الإدارية لم يُعطَ الاهتمام الكافي في بداية مسيرتهم المهنية.

٧. هناك حاجة ملحة لتعزيز ثقافة البيانات والتحليل المالي داخل الإدارات، لضمان تحسين جودة التقارير واتخاذ قرارات مدعومة بالبيانات الدقيقة.

٨. عدم توفر البيانات الكافية أو ضعف استخدام التكنولوجيا الحديثة يعيق تطبيق نظم المحاسبة الإدارية بشكل فعال، ويحد من قدرتها على دعم القرارات الإدراية بشكل ديناميكي.

٩. قلة الوعي بأهمية التقارير المالية والإدارية الدقيقة وفي الوقت المناسب تؤدي إلى ضعف في عملية اتخاذ القرار الإداري، خاصة في الإدارات ذات الخبرات الأقل.

١٠. وجود تنوع في وجهات النظر بين الموظفين ذوي الخلفيات المختلفة يعكس أهمية التنسيق والتواصل الفعّال بين الفرق المختلفة، لضمان تطبيق موحد لأدوات وتقنيات المحاسبة.

التوصيات:

١. إعادة تقييم وتحديث البنى التحتية التكنولوجية في الإدارات العامة، لضمان استخدام أدوات حديثة ومتكاملة في العمليات المحاسبية.

٢. تشجيع الدراسات البحثية التي تستهدف فهم تحديات تطبيق المحاسبة الإدارية بشكل أعمق، وتطوير حلول عملية لها.

٣. إعداد برامج لتطوير القدرات القيادية والإدارية للعاملين، خاصة من يمتلكون خبرات تتراوح بين ٤–١٠ سنوات، لتعزيز قدراتهم في استخدام أدوات المحاسبة بشكل أكثر فاعلية.

٤. تحفيز المؤسسات على تبني ثقافة البيانات والتحليل المالي، لتسهيل عملية صنع القرار وتعزيز الشفافية.

٥. وضع سياسات وإجراءات واضحة لتعزيز استخدام التكنولوجيا الحديثة والبيانات المفتوحة، وتوفير الدعم الفني المستمر، لضمان استدامة تحسين نظم المحاسبة الإدارية.

٦. العمل على تحديث البنية التحتية التكنولوجية وتوفير البيانات اللازمة، بالإضافة إلى تنظيم دورات تدريبية لتعزيز القدرات التقنية للموظفين، لضمان استخدام أكثر فاعلية لأدوات المحاسبة.

٧. تنفيذ برامج توجيه وتدريب مكثفة للموظفين الجدد، تركز على أساسيات أدوات وتقنيات المحاسبة، لضمان بناء قاعدة معرفية قوية منذ بداية عملهم.

٨. تبني سياسات واضحة لتعزيز ثقافة البيانات، وتوفير أدوات تحليلية حديثة، بالإضافة إلى تدريب الموظفين على استخدامها بشكل فعال، لتمكينهم من اتخاذ قرارات أكثر دقة وشفافية.

٩. اللجوء إلى استثمار أكبر في نظم المعلومات والتقنيات الحديثة، مع تدريب الموظفين على استخدامها بشكل فعال، وتطوير قواعد البيانات لضمان توفر البيانات اللازمة لاتخاذ قرارات مستنيرة.

١٠. تعزيز ثقافة الدقة والشفافية من خلال برامج توعوية وتدريبية، وتطوير آليات لضمان إصدار التقارير بشكل دوري وموثوق، لدعم عملية صنع القرار بشكل أكثر كفاءة.

١١. تطوير قنوات تواصل داخلي فعالة، وتنظيم ورش عمل مشتركة لتعزيز التعاون بين الفرق المختلفة، بهدف توحيد المفاهيم وتطبيق أدوات المحاسبة بشكل منسق وموحد.

المراجع والمصادر

علي، صاري، (٢٠٢٤)، التكنولوجيا المالية وتطبيقات الذكاء الاصطناعي من أجل تعزيز الشمول المالي وتمكين الجميع من استخدام النظام المالي الرسمي، مجلة الحدث للدراسات المالية والاقتصادية، المجلد ٧، العدد١، الجزائر.

وهبة، أماني، (٢٠٢٥)، أثر استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي وتعلم الالة ومنصات الحوسبة السحابية على ممارسات المحاسبة، المجلة العلمية للدراسات والبحوث المالية والتجارية، المجلد ٦، العدد ١، الجزء ٢، جامعة الازهر، القاهرة.

Brynjolfsson, E., & McAfee, A. (2014). The second machine age: Work, progress, and prosperity in a time of brilliant technologies. W. W. Norton & Company.

C.L. Philip Chen, Chun-Yang Zhang, (2014), Data-intensive applications, challenges, techniques and technologies: A survey on Big Data, Volume 275, 10 August 2014, Pages 314-347

Duan, Y. (2024). Design of Accounting Information Big Data Analysis Platform Based on Cloud Computing. Procedia Computer Science, 247, 1128-1136

Eltweri, Ahmed, (2021), «The Artificial Intelligence Ethical Implications in Auditing Public Sector», The International EFAL-IT



التعبير القرآني وبناء الشخصية المسلمة قراءة بلاغية تربوية

م. م. مرتضى علي الموسوي م. م. هبه مرتضى الموسوي
جامعة أهل البيت/ كلية العلوم الإسلامية



المستخلص:

يمثل التعبير القرآني منظومة بلاغية وتربوية متكاملة تسهم بفاعلية في بناء الشخصية المسلمة من خلال صياغة الوعي العقدي وترسيخ القيم الأخلاقية وتوجيه السلوك الإنساني. فالخطاب القرآني لا يقوم على التوصيل المعرفي فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى تأسيس نموذج تربوي يزاوج بين العمق الدلالي والثراء البلاغي والجاذبية الجمالية، بما يجعله قادراً على التأثير في الوجدان وإعادة تشكيل البنية الفكرية والنفسية للمسلم.

تهدف هذه الدراسة إلى قراءة بلاغية تربوية للتعبير القرآني تكشف آليات توظيف الأساليب البيانية، كالتشبيه والاستعارة والكناية والإيجاز، في خدمة المقاصد التربوية، وبناء شخصية إسلامية متوازنة تجمع بين الإيمان والعقل والقيم العملية. وتؤكد النتائج أن البلاغة القرآنية لم تكن عنصراً زخرفياً، وإنما أدت وظيفة مركزية في صناعة الوعي الإسلامي وتشكيل هوية حضارية متجددة.

وتخلص الدراسة إلى ضرورة إدماج التحليلات البلاغية للنص القرآني ضمن المناهج التربوية والبرامج الأكاديمية المعاصرة، بما يعزز من قدرة القرآن الكريم على الاستمرار كمرجعية تربوية وفكرية لمواجهة التحديات الأخلاقية والقيمية والفكرية في العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: التعبير القرآني ، البلاغة القرآنية ، التربية الاسلامية ، بناء الشخصية المسلمة ، القيم القرآنية ، الاسلوب البياني ، التوجيه التربوي

Abstract:

Qur'anic expression represents a fundamental cornerstone in shaping the thought, emotions, and behavior of the Muslim individual. It is not merely a collection of words and meanings, but rather a highly structured rhetorical system that embodies the educational message and translates it into practical values that influence character formation. This study adopts a rhetorical and educational reading of the Qur'anic text, revealing how rhetorical devices—such as metaphor, simile, metonymy, brevity, and elaboration—are employed to strengthen faith, instill moral values, and guide social conduct.

The findings indicate that Qur'anic rhetoric was not a matter of artistic ornamentation, but rather an effective pedagogical tool for cultivating a well-balanced Muslim personality in terms of belief, thought, emotions, and behavior. Furthermore, the study highlights that character building in the Qur'an is based on an integration of faith-based, educational, and aesthetic dimensions, which makes the Qur'anic discourse continuously effective in guiding and inspiring across generations.

The study recommends incorporating rhetorical insights into contemporary educational curricula to reinforce the role of the Qur'an in building an authentic Islamic identity capable of addressing modern intellectual and ethical challenges.

Keywords: Qur'anic Expression _Qur'anic Rhetoric_ Islamic Education _Muslim Personality Formation _Qur'anic Values _ Rhetorical Style Educational Guidance.

المقدمة:

يُعدُّ القرآن الكريم دستورًا شاملاً للحياة، ومصدرًا أساسيًا لتكوين الشخصية المسلمة في أبعادها العقدية، الأخلاقية، الفكرية، والنفسية وقد تميّز الخطاب القرآني بأسلوبه البلاغي المعجز، الذي لا يقتصر أثره على الجانب الجمالي واللغوي فحسب، بل يمتد ليؤسس لمفاهيم تربوية تُسهم في تنمية الفرد وتهذيب سلوكه وتشكيل رؤيته لذاته ولمجتمعه. إن التعبير القرآني ـ بما يحمله من تنوّع في الأساليب، وتدرج في العرض، ودقة في اختيار الألفاظ، وتصويرٍ بلاغيّ محكم يُعدُّ من أقوى الوسائل التي اعتمدها الوحي لبناء الإنسان المؤمن بناءً متكاملًا.

وفي ظل التحديات الفكرية والثقافية المعاصرة، تبرز الحاجة إلى إعادة قراءة النص القرآني قراءة تحليلية بلاغية تربوية، تكشف عن أبعاد التعبير القرآني في تشكيل معالم الشخصية المسلمة، لا سيما في الجوانب التي ترتبط بالوعي الذاتي، والمسؤولية الأخلاقية، والضبط السلوكي، والتفاعل الإيجابي مع الآخر. فالقرآن الكريم لم يقدّم منظومة عقائدية فحسب، بل وضع نموذجًا إنسانيًا متكاملًا في بناء الشخصية المؤمنة من خلال خطاب لغويّ رفيع المستوى، يمتاز بالإقناع والتأثير والإثارة العقلية والعاطفية.

ومن هذا المنطلق، تأتي هذه الدراسة لتتقصى ملامح التعبير القرآني وآلياته البلاغية في بناء الشخصية المسلمة، من خلال تتبع بعض النماذج التعبيرية القرآنية، وتحليلها في ضوء الرؤية التربوية، بما يُبرز تكامل البنية اللغوية والوظيفة التربوية للخطاب القرآني. وتسعى هذه القراءة إلى الوقوف على الوسائل البلاغية التي استخدمها النص القرآني لتأصيل القيم، وبناء المواقف، وترسيخ الهوية، بهدف إبراز الدور الفعّال للبلاغة القرآنية في تربية الإنسان وصناعة وعيه وسلوكه.

إشكالية البحث:

إنّ القرآن الكريم ليس مجرد كتاب ديني يضم تشريعات وأحكامًا، بل هو منظومة لغوية وبلاغية متكاملة تؤثر في وجدان الإنسان وعقله وسلوكه وقد استخدم التعبير القرآني أدوات بلاغية غاية في الإحكام الفني، مثل الاستعارة، والتكرار، والإيقاع، والحقول الدلالية، التي لا تهدف فقط إلى الجمال الفني، بل تسهم في تشكيل القيم، وتعزيز البُعد التربوي، وبناء شخصية المسلم بناءً وجدانيًا وسلوكيًا متماسكًا.

تتمحور الإشكالية الرئيسة للبحث في السؤال الآتي: كيف يسهم التعبير القرآني، بما يتضمنه من خصائص بلاغية وصور بيانية وأدوات فنية، في بناء الشخصية المسلمة من منظور تربوي ونفسي؟

فرضيات البحث:

يفترض البحث أن التعبير القرآني بما يتضمنه من أدوات بلاغية فنية (كالاستعارة، والكناية، والتكرار، والإيقاع)، وما يحمله من حقول دلالية للقيم العليا (كالإيمان، والعدل، والصبر)، يسهم بفعالية في بناء الشخصية المسلمة من خلال تأثيره المباشر في العمليات النفسية الإدراكية والعاطفية، مثل الذاكرة الوجدانية، والترميز المزدوج، والدافعية، مما يجعله أداة تربوية متكاملة في تنمية البُعد الأخلاقي والوجداني والسلوكي للفرد.

منهجية البحث:

نظرًا للطبيعة المركبة للبحث، فهو يجمع بين التحليل البلاغي والتفسير النفسي التربوي للنص القرآني، ولذلك يعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي والمنهج التربوي النفسي التفسيري.

خطة البحث:

المبحث الأول: الإطار النظري للتعبير القرآني

المطلب الأول: مفهوم التعبير القرآني وخصائصه البلاغية

المطلب الثاني: الصورة البيانية الاستعارة التمثيل الكناية

المطلب الثالث: أدوات البلاغة المؤثرة الايقاع التكرار الفاصلة

المطلب الرابع: الحقول الدلالية للقيم الإيمان الصبر العدل الإحسان

المبحث الثاني: التعبير القرآني والبلاغي وأثره في بناء الشخصية المسلمة
المطلب الأول: تطبيقات بلاغية تربوية من القران الكريم
المطلب الثاني تحليل الألفاظ، الصور، الإيقاع من منظور تربوي
المطلب الثالث ربط النتائج بالمفاهيم النفسية (الدافعية، الضبط الذاتي)
الخاتمة والنتائج

المبحث الأول: الإطار النظري للتعبير القرآني

المطلب الأول: مفهوم التعبير القرآني وخصائصه البلاغية

يُعدّ التعبير في القرآن الكريم تعبيرًا فنيًا مقصودًا، يتميّز بدقة متناهية في اختيار الألفاظ وتوظيف الحروف، بحيث لا تأتي الكلمة أو الحرف في موضعهما إلا عن قصد بلاغي وجمالي يخدم المعنى الكلي للخطاب القرآني. وقد رُوعي في هذا البناء التعبيري ليس فقط السياق الداخلي للآية أو السورة، بل انسجام التعبير مع البنية الشاملة للنص القرآني بأكمله، بوصفه منظومة لغوية محكمة(١).

وقد جاء هذا الأسلوب المعجز مبهراً العرب، أهل الفصاحة والبيان، في أوج ازدهار لغتهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله أو حتى بمقدار يسير منه، رغم أن القرآن قد وجّه إليهم التحدي في مواضع متعددة، لقد تحدى القرآن العرب ثم جميع الخلق بأن يأتوا بمثله ثم أخبر أنهم لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. فقد تحداهم أولاً بأن يأتوا بعشر سور مثله إن كانوا يرون أنه مفترى فقال: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَاهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ}(٢).

خصائص التعبير القرآني البلاغية

تتجلّى أول خاصية ومظهر من خصائص الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم في تفرده الأسلوبي وبنيته التعبيرية المتميّزة، إذ يسلك القرآن نسقًا لغويًا خاصًا لا يُشبه أيًا من أنماط الكلام المألوف لدى العرب، لا من حيث الشعر وقوافيه، ولا من حيث النثر وأسجاعه، بل هو تعبير معجز خرج عن حدود التقاليد اللغوية المعروفة إلى أفق بلاغي جديد لم يُسبق إليه. ويمكن تمييز هذا التفرد البلاغي من خلال مجموعة من الخصائص(٣):

١. نظمه البديع:

التعبير القرآني قائم على نظام بلاغي فذّ، لا يخضع لموازين الشعر العربي من وزن وقافية، ولا يسير على سنن النثر بأسجاعه التقليدية، بل ينفرد ببنية لغوية تجمع بين الإيقاع الموسيقي الداخلي والتناغم الصوتي مع المعنى، فيتكوّن بذلك أسلوبٌ متماسكٌ لا مثيل له، يخاطب السمع والقلب والعقل معًا، ويأسر الألباب في تناغمه بين المبنى والمعنى.

٢. الحفاظ على جمال اللفظ وروعة التعبير:

من الخصائص الجوهرية في التعبير القرآني أنه يحافظ على مستوى رفيع من الجمال اللفظي والبياني في كل آياته، مهما اختلفت الموضوعات أو تنوّعت المقاصد. فكل لفظة منتقاة بعناية بالغة، تحمل أعمق المعاني بأوجز العبارات، وتُصاغ ضمن جمل تتّسم بالرقة تارة، وبالقوة تارة أخرى، دون أن تفقد توازنها أو تألقها البلاغي. وهذا الاتساق الفني الممتد في آيات العقيدة والتشريع والقصص والموعظة، دليل على مصدره الرباني الذي لا يدانيه بشر.

٣. توافق التعبير مع حال المخاطبين:

تميّز التعبير القرآني بمرونته العجيبة وقدرته على مخاطبة جميع فئات الناس، على اختلاف أعمارهم وثقافاتهم ومداركهم، بأسلوب واحد تتفاوت دلالاته بحسب المتلقي. فكلّ قارئ للقرآن يجد فيه ما ينسجم مع قدرته العقلية واحتياجه المعرفي، وكأن الخطاب قد صيغ على مقاسه، دون أن يشعر بأي غموض أو تعقيد. وهذه الخاصية تعبّر عن قدرة القرآن على الجمع بين العمق والبساطة، بين شمول المعنى وسهولة اللفظ.

٤. التجديد البلاغي في عرض المعاني:

يمتلك القرآن الكريم قدرة خارقة على عرض الفكرة الواحدة بصور متعددة وأساليب متجددة، تُكسب المعنى ثوبًا جديدًا في كل مرة، وتُضفي عليه طابعًا تصويريًا يملأ الحس والحياة فالمعاني تتكرر، لكن لا تكرر في العبارة، بل تتنوّع الصياغات وتتغير الألفاظ، فتظهر الأفكار وكأنها تُولد من جديد بأسلوب يثير التأمل والانبهار، ويُعمّق الوعي والوجدان مع كل قراءة.

المطلب الثاني: الصورة البيانية الاستعارة التمثيل الكناية

في التعبير القرآني، تُعَدُّ الصور البيانية (وخاصة الاستعارة، التمثيل، والكناية) من أبرز الأدوات البلاغية التي تسهم في إبلاغ المعاني بدقة وروعة، وتمنح النص القرآني بعداً جماليًا وإيحائيًا يعجز البشر عن مضاهاته(٤).

أولًا: التشبيه في التعبير القرآني

التشبيه هو نوع من الاستعارة، يُشبَّه فيه حال بحال، أو صورة بصورة، ويُستخدم لتقريب المعنى المجرد إلى أذهان الناس من خلال ضرب الأمثال(٥). كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (٦)، هنا الاستعارة تمثيلية؛ الحمار لا يفقه ما يحمل، فشُبِّه الذي لا يعمل بما في التوراة بالحمار الذي يحمل كتبًا ولا يفهمها. وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ...﴾ (٧)، في هذه الآية تمثيل لحال نور الله في قلب المؤمن، بما يراه البشر من مشكاة يشتعل فيها مصباح صافي النور.

ثانياً: الاستعارة في التعبير القرآني

الاستعارة هي تشبيه حُذف أحد طرفيه (غالبًا المشبّه) مع بقاء قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي. وتُعدّ الاستعارة في القرآن من أكثر الأساليب استخدامًا للتعبير عن المفاهيم المعنوية المجردة بلغة محسوسة تؤثر في المتلقي، كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(٨).

هنا الاستعارة تمثيلية، فالظلمات كناية عن الجهل والضلال، والنور عن العلم والإيمان، وقد شبّه الضلال بالظلمات والهداية بالنور، وقوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (٩)، الاستعارة مكنية، شبّه الشيب بالنار المشتعلة، للدلالة على شدة انتشاره ووضوحه.

ثالثًا: الكناية في التعبير القرآني

الكناية هي تعبير يُراد منه معنى غير ظاهر في اللفظ، ويُفهم من سياقه، وهي أداة بلاغية تعبر عن المعاني بطريقة غير مباشرة، مع الاحتفاظ بالجمال والإيحاء(١٠). كقوله تعالى: ﴿وَغَضَّ ٱلطَّرْفَ﴾ (١١)، الآية هنا كناية عن العفة؛ فلم يُذكر الفعل الصريح بل عُبّر عنه بطريقة موحية. وقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾(١٢)، الآية كناية عن إبراهيم عليه السلام وإنجابه إسماعيل؛ إذ إن "غلام حليم" تعني ولداً صالحاً، دون التصريح المباشر به.

ويرى الباحث أن الصورة البيانية في التعبير القرآني – بما تتضمنه من استعارة وتمثيل وكناية – ليست مجرد أدوات أسلوبية جمالية، بل هي وسائط تربوية ذات طابع معرفي ونفسي عميق فالاستعارة القرآنية، تمثل أحد أبرز الوسائل التي يعتمدها النص لتجسيد المفاهيم المجردة وتحويلها إلى صور محسوسة تترسخ في الذهن وتؤثر في الوجدان، كما في استعارة «الظلمات» و«النور» لبيان حالتي الضلال والهداية. أما التمثيل، فإنه يعد من أعظم آليات الإيضاح والتقريب، حيث تستخدم الآيات القرآنية صورًا مألوفة من الواقع لتقريب مفاهيم معنوية معقدة، كما في تمثيل الذين أوتوا التوراة بالحمار الذي يحمل أسفارًا. كذلك، فإن الكناية تمنح الخطاب القرآني طابعًا إيمائيًا راقيًا، يعبر عن المعاني بأسلوب غير مباشر، محفز للتأمل والتدبر، ويراعي في الوقت نفسه الحشمة والبلاغة.

المطلب الثالث: أدوات البلاغة المؤثرة الايقاع التكرار الفاصلة

تُعد أدوات البلاغة المؤثرة من أبرز عناصر الجمال الفني في النصوص العربية، إذ تسهم في إضفاء الإيقاع والتنغيم والتأثير العاطفي على المتلق، ومن بين هذه الأدوات الإيقاع، والتكرار، والفاصلة، التي تُستخدم لتقوية المعنى وتأكيده وإثارة الانفعال والتأمل.

١. الإيقاع في القرآن الكريم

القرآن الكريم معجزٌ بما يحمله من إيقاع لفظي عذب وجرس نغمي مؤثر، وما يُحدثه من أثر نفسي عميق وصدى شعوري في القلوب، حتى قيل: «فُتحت الأمصار بالسيوف(١٣).

ونظرًا لما للإيقاع القرآني من أثر بالغ في نفوس السامعين، فقد أمر الله تعالى بتلاوة كتابه تلاوةً عذبة، بصوتٍ مجوَّد ونغمٍ مرتّل، يخترق أعماق النفس، ويبلغ أغوار الفكر، فقال سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (١٤)وقال أيضًا: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (١٥)، وقد جاء التأكيد بالمفعول المطلق «ترتيلًا» في الآيتين ليُبرز أهمية التغني بالقرآن بنغمة إيقاعية منسّقة، تحافظ على الجرس الصوتي المعجز، وتُظهر روعة النظم القرآني وبراعته الفنية. ومن الشواهد البليغة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾(١٦)، حيث تُصوّر الآية مدى تأثير الصوت المرتّل الجميل، حتى استجابت له مظاهر الكون، من جبال وطير، تشدو وتسبّح معه، تعبيرًا عن الأثر النفسي العميق للإيقاع القرآني وقدرته على تحريك الجمادات، ناهيك عن نفوس البشر.

٢. التكرار كأداة بلاغية

يُعدّ التكرار من أبرز الأدوات البلاغية التي توظَّف في التعبير القرآني لإحداث التأكيد والتثبيت، وإبراز المعنى وتوكيده في النفس، فضلًا عن إضفاء إيقاع صوتي مميّز يزيد من التأثير النفسي والروحي في المتلقّي. فالتكرار في القرآن لا يأتي عبثًا، بل هو أسلوب مقصود يخدم المعنى والمقام، ويحقق أهدافًا بلاغية ودلالية، مثل التكرار في قوله تعالى: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} (١٧) الذي ورد في السورة أكثر من ثلاثين مرة، ليؤكد على تعدّد النعم ووجوب شكرها، ويوجّه السامع إلى التأمل في عظمة الخالق.

٣. الفواصل أسلوب بلاغي مؤثر

الفاصلة القرآنية ليست مجرد توقف صوتي، بل هي أداة بلاغية تقفز بالمعنى نحو التأثير: فهي تحدد الإيقاع، وتؤكّد المعنى، وتحقق التلاؤم بين الفكرة والموسيقيّة الداخلية للكلمة(١٨).

ويرى الباحث أن أدوات البلاغة المؤثرة، كالإيقاع والتكرار والفاصلة، تمثل عناصر فنية ووظيفية في آنٍ واحد داخل التعبير القرآني؛ فهي لا تخدم الجمال اللغوي فقط، بل تؤدي دورًا نفسيًا وتربويًا فاعلًا في ترسيخ المعاني وتحفيز التلقي الوجداني، فالإيقاع القرآني بجرسه النغمي العذب يفتح أبواب التأمل في القلوب، والتكرار يؤكد المعاني ويرسخها في الذاكرة، أما الفاصلة فتعزز التناغم الصوتي وتبرز جمال النظم القرآني بما يتلاءم مع السياق البلاغي والمعنوي.

المطلب الرابع: الحقول الدلالية للقيم الإيمان الصبر العدل الإحسان

تُشكّل القيم القرآنية الكبرى: الإيمان، الصبر، العدل، والإحسان، أساسًا متينًا في بناء الشخصية المسلمة في أبعادها النفسية والسلوكية والاجتماعية، وقد برزت هذه القيم من خلال حقول دلالية متعددة ومتنوعة في الخطاب القرآني. وفيما يلي إيضاح للقيم القرآنية الكبرى (١٩):

- الإيمان: يقوم على التصديق الجازم بالله وركائز العقيدة، ويُرتبط دلاليًا في القرآن باليقين، والعمل الصالح، والخوف والرجاء، والخشوع والطاعة، مما يعكس تداخله الوثيق مع السلوك الفردي والإيماني.
- الصبر: يصور كقيمة مركزية تتكرر في مواضع كثيرة، ويتجلى دلاليًا في مفاهيم الابتلاء، الثبات، الرضا، والظفر بالنصر، مما يجعله سلوكًا تربويًا يرسخ القوة النفسية والانضباط.
- العدل: يعد من القيم المؤسّسة للنظام الاجتماعي الإسلامي، وتحيط به دلالات مثل الميزان، الشهادة لله، العدالة في المعاملات، والمسؤولية القيادية، وهو مرادف للحق ونقيض للظلم.
- الإحسان: يمثل قمة الارتقاء السلوكي، ودلالاته تشمل الإتقان، البر، العطاء، والصفح، ويجمع بين البعد الإلهي في مراقبة الله والبعد الإنساني في معاملة الآخرين بإحسان(٢٠).

ويرى الباحث أن تحليل الحقول الدلالية لهذه القيم يكشف عن عمق التوظيف القرآني للغة في بناء نموذج الإنسان المؤمن،

فهذه القيم لا تقدم في سياق وعظي مجرد، بل من خلال منظومة بلاغية وتربوية متكاملة تؤثر في الفكر والسلوك، وتسهم في صياغة الشخصية المسلمة القادرة على التفاعل الإيجابي مع محيطها على أسس من الإيمان والخلق والعدل والإحسان.

المبحث الثاني: التعبير القرآني والبلاغي وأثره في بناء الشخصية المسلمة

المطلب الأول: تطبيقات بلاغية تربوية من القران الكريم

في القرآن الكريم تتجسد البلاغة القرآنية كوسيلة تربوية تطبيقية، توظف بأساليب متنوعة لتعميق القيم وبلورتها في نفوس المتعلمين. من أبرز هذه التطبيقات(٢١):

– أسلوب القصة القصصية كأداة تربوية:

القصص القرآنية تقدم نموذجًا حيًا للتربية بالقيم والمبادئ، مثل قصة يوسف عليه السلام قال تعالى: «إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ» (٢٢)، وكذلك قصة أصحاب الكهف، قال تعالى:«وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ...» (٢٣).

حيث تُعرض هذه القصص بأسلوب سردي مؤثر نفسيًا وعاطفيًا، يدفع المتلقي إلى التأمل والاقتداء بالصبر والثقة بالله والعدل.

– الخطاب الإلهي المباشر (نداء المؤمنين):

يستخدم القرآن أسلوب النداء المباشر لتوجيه السلوك القيمي، كما في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ...» (٢٤)، وأيضًا قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ...».(٢٥)، هذا الأسلوب يعزز التربية الذاتية ويحفّز المؤمنين على الالتزام بالقيم الأخلاقية والاجتماعية.

– البلاغة التشريعية ذات الأبعاد التعليمية:

في معالجة التشريعات كالحرام والحلال، يستخدم القرآن أساليب متنوعة مثل الخبر والإنشاء والقياس، لتوضيح المفاهيم وتثبيت السلوك القيمي، كما في قوله تعالى: «وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ»(٢٦)، وقوله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ»(٢٧)

ويرى الباحث أن هذه التطبيقات البلاغية من السرد القصصي إلى الخطاب المباشر والأساليب التشريعية أدوات فعّالة في التربية القيمية، إذ توظف اللغة القرآنية بأسلوب علمي، يعزز الإدراك والتفاعل الداخلي، ويدفع المتعلم لتطبيق القيم الإسلامية عمليًا، لا تعليمها فقط نصًا نظريًا.

المطلب الثاني تحليل الألفاظ، الصور، الإيقاع من منظور تربوي

القرآن الكريم لا يُعدّ معجزة لغوية فحسب، بل يمثل أيضًا منهجًا تربويًا بلاغيًا متكاملاً يقيم علاقة بين اللغة، والمعنى، والنفس البشرية.

١. تحليل الألفاظ:

تختار النصوص القرآنية ألفاظًا تنم عن دقة لغوية عالية تُخدم الأهداف التربوية، إذ يساهم التكرار اللغوي وانتقاء الألفاظ الموحية في ترسيخ القيم عند المتلقي وتمكينه نفسيًا من استيعابها، يستخدم القرآن التكرار للتأكيد وخلق العلاقات الدلالية بين المعاني، كما في سياقات عديدة تُبرز الثبات الإيماني وإنعاش الوعي القيمي، مما يسهم في تعليم المتلقي التركيز الفكري والسلوكي. والمقروء من المفهوم الصوتي واللغوي أن هذا التوظيف اللغوي يهيئ المتعلم لمقبولية القيم المبلغة(٢٨).

٢. الصور البيانية:

يعد توظيف التشبيه والاستعارة والكناية في القرآن الكريم أسلوبًا بلاغيًا تربويًا فاعلًا، يسعى إلى ترجمة القيم والمفاهيم المجردة إلى صور حسّية تستثير الذهن والعاطفة لدى المتلقي. فالأمثلة التشبيهيّة والبيانية تجعل من المفهوم الخيالي تجربة شبه ملموسة، مما يُسهّل تذكر القيمة ويعزز تمثّلها وجدانيًا وسلوكيًا، فعلى سبيل المثال، أوردت دراسة بعنوان «الأبعاد التربوية الأخلاقية في التشبيهات القرآنية – سورة الأحزاب أنموذجًا» أن التشبيهات القرآنية تشكل أسلوبًا تربويًا يُستخدم لغرض

ترسيخ القيم الأخلاقية، من خلال ربط المعاني المجردة بصور محسوسة توصل الرسالة بأسلوب عميق وفعّال، فالتشبيه والاستعارة ليست أدوات تجميلية فقط، بل تعمل كجسر ذهني يُحرك الخيال ويقود إلى تفكير نقدي وتأمل في النص القرآني، مما يسهم في تكريس القيم وتعزيزها بأسلوب بلاغي مميز (٢٩).

٣. الإيقاع الصوتي:

الإيقاع الصوتي في القرآن: من توزيع النغم، الوقوف، الحركة – ليس مجرد جمال صوتي، بل أداة تربوية نفسية فعالة تتحكم في القبول العاطفي للقيم، يعزز الإيقاع السياق الديني، ويعمق الشعور بالخضوع أو الرجاء فهو يُعد أحد وجوه الإعجاز الصوتي، إذ يُسهم في جذب النفوس وتوجيه المشاعر نحو القيم القرآنية(٣٠).

يرى الباحث أن التحليل البلاغي للألفاظ، والصور، والإيقاع في القرآن الكريم يكشف عن توظيف تربوي عميق يخدم بناء القيم لدى المتلقي؛ فالألفاظ الدقيقة والتكرار يعززان الاستيعاب القيمي، والصور البيانية تُقرب المفاهيم المجردة بشكل مؤثر، أما الإيقاع الصوتي فيُسهم في التوجيه النفسي والعاطفي، مما يجعل القرآن أداة تعليمية تربوية فعّالة في تشكيل السلوك والقيم.

المطلب الثالث ربط النتائج بالمفاهيم النفسية (الدافعية، الضبط الذاتي)

إن ربط النتائج بمفهوم الدافعية يمثل بعدًا نفسيًا وتربويًا بالغ الأهمية، لا سيما أن التعبير القرآني يعتمد في كثير من آياته على أساليب بلاغية تحفز النفس البشرية وتدفعها نحو السلوك القويم والبناء القيمي.

أولًا: الدافعية

تعرف الدافعية بأنها: «مجموعة من القوى الداخلية والخارجية التي تحرك الفرد نحو سلوك معين، وتوجهه للاستمرار فيه لتحقيق هدف معين»، والدافعية تُعد من المحددات الرئيسية في تشكيل السلوك الإنساني، وتظهر من خلال الرغبة في الإنجاز، والتفاعل مع القيم، والامتثال للتوجيهات الأخلاقية والدينية(٣١).

يتجلّى دور التعبير القرآني في تحفيز الدافعية لدى المسلم من خلال عدة وسائل بلاغية وتربوية، منها:

أسلوب الترغيب والترهيب: يوظّف القرآن الكريم ثنائية الترغيب (في الثواب والجنة) والترهيب (من العقاب والنار) لتحفيز الفرد داخليًا نحو السلوك الإيجابي. يقول تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٣٢)، وهي آيات تولد دافعية ذاتية قائمة على الرقابة الداخلية، وتربية الضمير.

استخدام القصص القرآني: مثل قصة يوسف عليه السلام التي تجسد صمود الشخصية المسلمة أمام المغريات، وتشكّل نموذجًا لتحفيز دافعية الامتناع الذاتي والتحكم في الشهوات.

تبرز نتائج البحث أن التعبير القرآني لا يقتصر على الإبلاغ أو التوجيه، بل يقوم بوظيفة تنشيطية داخل النفس المسلمة، فأساليب القرآن البلاغية (التكرار، التقابل، الحذف، الإطناب) تُستخدم بطريقة تؤثر على الدافعية الداخلية للفرد، من خلال بث الأمل أو تعزيز الشعور بالمسؤولية، مما يؤدي إلى بناء الشخصية المسلمة الواعية ذاتيًا والفاعلة اجتماعيًا، إن القرآن يعتمد على استراتيجية تربوية ذات بعد نفسي عميق، تحفّز الإنسان على السعي نحو الكمال الخلقي والتربوي(٣٣).

وتكمن أهمية دمج المفهوم النفسي للدافعية مع الأسلوب البلاغي القرآني في البحث يعزز الوظيفة التربوية للبلاغة القرآنية، ويبرز كيف تسهم اللغة والأسلوب في تشكيل الإرادة والنية والسلوك، بما يخدم بناء شخصية متزنة، طموحة، منضبطة ذاتيًا، وهذا يعكس تكاملًا بين البلاغة كتعبير، والدافعية كقوة نفسية.

يرى الباحث إلى أن القرآن الكريم، عبر أدواته البلاغية كأساليب الترغيب والترهيب، والنداء الإيماني، والنمذجة القصصية، ينشئ دافعية داخلية ذاتية مستدامة لدى المؤمن، تساعده على تبني القيم والعمل بها بإرادته، مما يسهم بشكل فاعل في بناء الشخصية المسلمة التربوية والنفسية وفق رؤية بلاغية متكاملة.

ثالثاً: الضبط الذاتي

يُعدّ الضبط الذاتي من المفاهيم النفسية الأساسية في فهم كيفية تنظيم الفرد لسلوكياته ومشاعره بهدف تحقيق أهداف طويلة المدى، وهو يرتبط ارتباطًا وثيقًا ببناء الشخصية المتزنة القادرة على الالتزام بالقيم(٣٤).

وفي سياق التعبير القرآني، يمكن فهم الضبط الذاتي على أنه قدرة المؤمن على التحكم في دوافعه ورغباته والتفاعل مع القيم القرآنية بأسلوب منهجي واعٍ، وهو ما تؤكده العديد من النصوص القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٣٥)، والتي تشير إلى أن الإنسان لديه القدرة على التمييز بين الخير والشر وضبط دوافعه بناءً على هذا الوعي الأخلاقي(٣٦).

من آليات الضبط الذاتي في الخطاب القرآني:

– الوعي بالقيم وتثبيتها ذهنيًا:

التعبير القرآني يستخدم أدوات بلاغية مثل التكرار، الصور البيانية، والنماذج القصصية التي تكرّس الوعي بالقيم (الإيمان، الصبر، العدل، الإحسان) وتساعد المتلقي على استيعابها بشكل عميق، وهذا التكرار المعنوي يُمكّن النفس من تثبيت القيم ويعزز قدرة الفرد على ممارسة ضبط ذاتي مستمر.

– تنمية التحكم في الانفعالات:

القرآن يحث على ضبط الغضب، الحلم، والرحمة، ويُبرز الصبر كقيمة مركزية تربوية، مما يرسخ مهارات التحكم العاطفي، وهو جانب رئيسي من جوانب الضبط الذاتي (مثل قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (٣٧).

– توجيه السلوك بالقيم الثابتة

يمثل القرآن الكريم منظومة متكاملة من القيم الثابتة التي تهدف إلى بناء شخصية متزنة وسلوك منضبط، من خلال ترسيخ مبادئ واضحة توجه الأفراد نحو الخير والصلاح ويُعد هذا الإطار القيمي أحد أعمدة الضبط الذاتي، حيث يتعلم الإنسان كيف يُراقب نفسه، ويضبط دوافعه، وينظم سلوكياته وفقًا لمعايير أخلاقية راسخة تنبع من الإيمان بالله ومخافته، فالقرآن لا يكتفي بتحديد ما هو حلال أو حرام، بل يغرس في النفس الوازع الداخلي الذي يدفع الإنسان للالتزام بالسلوك المستقيم حتى في غياب الرقابة الخارجية. يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(٣٨)، هذه الآيات توضح أن النفس الإنسانية مزودة بإمكانية التمييز بين الخير والشر، وأن مهمة الإنسان هي تزكية هذه النفس؛ أي تهذيبها وضبطها لتسلك الطريق القويم، إن هذا التوجيه الإلهي يؤسس لما يُعرف بالسلوك الأخلاقي المستدام، حيث لا ينبع من ضغط خارجي بل من اقتناع داخلي متجذر في العقيدة.

وقد أشار فخر الدين الرازي في تفسيره لهذه الآيات إلى أن النفس البشرية مهيأة بالفطرة لتمييز الخير من الشر، وأن هذا الإلهام هو نوع من الهداية الربانية التي تجعل الإنسان قادرًا على ضبط نفسه وفق معايير التقوى. يقول الرازي في تفسيره لآية «فألهمها فجورها وتقواها»: «والصحيح أن الإلهام هو إيقاع المعرفة الضرورية فيالقلب، فيعلم العبد به ما ينبغي فعله وما ينبغي تركه، وهذا أقوى من القياس والنظر»(٣٩).

ومن منظور علم النفس التربوي، يعد هذا الضبط الذاتي من أعلى مراتب النمو الأخلاقي، حيث أن القيم الإسلامية تُكسب الفرد نوعًا من الرقابة الذاتية المستمرة، فتوجه تصرفاته نحو الصواب وتجنبه الزلل(٤٠).

ويرى الباحث أن القيم الثابتة التي يرسخها القرآن الكريم لا تقتصر على التوجيه الأخلاقي العام، بل تشكل نظامًا داخليًا يضبط السلوك ويقود إلى الضبط الذاتي، وهي بذلك تسهم في بناء الشخصية الإسلامية المتزنة القادرة على مقاومة الانحرافات ومواجهة الضغوط السلوكية والانفعالية.

– أثر الضبط الذاتي على بناء الشخصية المسلمة

من خلال ممارسة الضبط الذاتي المدعوم بالدوافع القيمية التي يرسخها التعبير القرآني، تتبلور شخصية مسلمة قوية نفسيًا، مستقرة عاطفيًا، ومتكاملة سلوكيًا، مما يجعلها أكثر قدرة على مواجهة تحديات الحياة الاجتماعية والنفسية بثبات

واستقامة، إذ يرتبط الضبط الذاتي ارتباطًا وثيقًا بمفهوم تزكية النفس في الإسلام، كما قال تعالى: {قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها}(٤١)، وهو ما أكده فخر الدين الرازي في تفسيره حيث بيّن أن التزكية تعني تطهير النفس من الشهوات وضبطها بالشرع والعقل(٤٢).

الخاتمة والنتائج

– الخاتمة:

بعد هذه القراءة البلاغية والتربوية في التعبير القرآني، يمكن القول إنّ القرآن الكريم ليس مجرد نص ديني تعبّدي، بل هو خطاب إلهي متكامل يجمع بين الجمال البلاغي والوظيفة التربوية، ويهدف إلى بناء شخصية الإنسان المسلم بناءً متكاملًا في جميع جوانبها: العقلية، والروحية، والأخلاقية، والاجتماعية فقد تميز التعبير القرآني بدقة اختيار الألفاظ، وعمق التراكيب، وتناسق الإيقاع، مما يمنح الخطاب القرآني قدرة استثنائية على التأثير في وجدان المتلقي وعقله وسلوكه.

إن التعبير البلاغي لم يكن غاية جمالية فحسب، بل وسيلة تربوية فعّالة لتوجيه السلوك، وتكوين الوعي، وغرس القيم الثابتة التي يقوم عليها كيان الشخصية المسلمة. كما أن البلاغة القرآنية، بما فيها من صور بيانية، وإيقاعات لغوية، وتكرار مدروس، كانت جزءًا من المنهج التربوي الذي يُراد من خلاله التأثير في النفوس وبناء الإنسان الصالح المصلح.

وبذلك فإن فهم التعبير القرآني لا يقتصر على الجانب اللغوي أو الفني فحسب، بل يستلزم تفاعلًا واعيًا مع مضامينه التربوية التي تُشكل الأساس في بناء الإنسان المسلم في كل زمان ومكان.

– نتائج البحث

١. فاعلية التعبير القرآني في التأثير التربوي: أثبتت الدراسة أن التعبير القرآني يتمتع بطاقة تأثيرية عالية تتجاوز الإبلاغ إلى التأثير العميق في النفس، مما يجعله أداة فعّالة في البناء التربوي للشخصية.

٢. التكامل بين البلاغة والتربية: أظهرت القراءة التحليلية أن البلاغة القرآنية لم تكن منفصلة عن الجانب التربوي، بل هي جزء من منظومة متكاملة تهدف إلى تكوين شخصية مؤمنة متوازنة عقليًا ونفسيًا وأخلاقيًا.

٣. القيم التربوية في التعبير القرآني: تضمّن الخطاب القرآني مجموعة من القيم التربوية الثابتة، مثل: الصدق، الصبر، العدل، التوكل، الأمانة، والرحمة، والتي تغرس في النفس البشرية عبر أساليب بلاغية متنوعة (مثل التشبيه، والاستعارة، والحذف، والتكرار، والتقديم والتأخير).

٤. التأثير النفسي للتعبير البلاغي: لاحظ البحث أن التعبير القرآني يعتمد على استثارة مشاعر المتلقي وتفعيل وجدانه، من خلال البناء الإيقاعي واللفظي، مما يعزز من عمق الأثر التربوي.

٥. أهمية الدراسة البلاغية في فهم البعد التربوي للقرآن: أن القراءة البلاغية للنصوص القرآنية تُسهم بشكل كبير في الكشف عن الأبعاد التربوية الكامنة خلف الجمال اللفظي، مما يُبرز تكامل الوظيفة الجمالية والوظيفة التربوية في الخطاب القرآني.

٦. بناء الشخصية المسلمة من منظور قرآني: دلّ البحث على أن الشخصية المسلمة، كما يُراد لها في الخطاب القرآني، تتأسس على الإيمان، والعمل الصالح، والخلق القويم، والاستجابة لله ورسوله، وهي مقومات يتم التعبير عنها بلغة قوية مؤثرة تدفع المتلقي نحو التزكية والتقوى.

الهوامش:

١ – صلاح الدين الهواري، أثر التعبير القرآني في الإعجاز، جامعة الجنان /كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ طرابلس– لبنان، دون ذكر سنة النشر، ص ٧٨٩.

٢– سورة هود، الآية ١٣–١٤.

٣– مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب. «كتاب الواضح في علوم القرآن – المكتبة الشاملة». دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م. ص. ١٦٩،١٦٧،١٦٦،١٦٥،١٧٠.

٤– عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. تحقيق محمود شاكر. مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣ هـ –

١٩٩٢ م ، ص. ١٨٩–١٩٥.
٥– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، مرجع سابق، ص. ١٨٩–١٩٥.
٦ – سورة الجمعة، الآية ٥
٧– سورة النور، الآية ٣٥
٨ – سورة البقرة، الآية ٢٥٧.
٩ – سورة مريم: الآية ٤
١٠ – عبد الملك بن محمد بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي سالم، دار الفكر، بيروت ، ١٩٧٦م، ص. ١٥٠–١٥٥.
١١ – سورة النور، الآية ٣٠.
١٢ – سورة الصافات، الآية ١٠١.
١٣ – أسامة شكري الجميل العدوي، الإيقاع القرآني وأثره الفني وإعجازه البلاغي، مجلة البحوث التربوية والنفسية، ٢٠١٣، ص ٥٥
١٤ – سورة المزمل، الآية ٤
١٥– سورة الفرقان، الآية ٣٢
١٦ – سورة سبأ، الآية ١٠
١٧ – سورة الرحمن، الآية ١٣
١٨– فاتح بوزرى، الفاصلة القرآنية بين الوظيفة: (البلاغية والنّصية والتّداولية)، مجلة ألف، المجلد ٥، العدد١، ٢٠١٨، ص ١٣٧–١٤٥.
١٩ – منوة فهد سعد الشمري، المضامين التربوية المستنبطة من القران الكريم والسنة النبوية وتطبيقها في المدارس، مجلة الدراسات التربوية والإنسانية، ٢٠٢٤، ص ١٣٣–١٤٨.
٢٠– منوة فهد سعد الشمري، المرجع السابق ص ١٣٣–١٤٨.
٢١ – أيمن خميس عبد اللطيف أبو مصطفى، الأبعادُ التعليميةُ للأساليبِ البلاغيةِ بلاغةُ الخطابِ التشريعي في القرآن الكريم أنموذجًا، مجلة كلية اللغة العربية باسيوط، المجلد ٤٠، العدد ٢ – الرقم المسلسل للعدد ٢، ٢٠٢١، ٩١٩–٩٦١
٢٢ – سورة يوسف، الآية ٤
٢٣ – سورة الكهف، الآية ١٩
٢٤ – سورة البقرة، الآية ١٨٣
٢٥ – سورة النساء، الآية ١٣٥
٢٦ – سورة المائدة، الآية ٨٨
٢٧ – سورة الأنعام، الآية ١٥١
٢٨ – نعيمة بكوش ، الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، مجلة رفوف ، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا ، جامعة أدرار – الجزائر، العدد الثاني عشر،٢٠١٧، ص ٨٧.
٢٩ – بستان المتولي، التشبيهات القرآنية وأبعادها التربوية الأخلاقية(سورة يس أنموذجا)، مجلة المقرى للدراسات اللغوية النظرية و التطبيقية، ٢٠٢٤، ص١–١٨
٣٠ – محمد رفعت زنجير، ديناميكية الأداء الصوتي في القرآن الكريم،مقال منشور على شبكة الألوكة، ٢٠١٤، ص ١٧.
٣١ – عبد الرحمن عدس، علم النفس التربوي نظرة معاصرة. عمان: دار الفكر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥، ص ٢٠٣.
٣٢– سورة الزلزلة، الآية ٧–٨
٣٣– دانية نديم محمد صفو، تربية الدوافع السلوكية في القرآن: أساليب وطرائق. مجلة رواء، العدد ٢٣، ٢٠٢٣، بحث منشور على : https://rawaamagazine.com/
٣٤ – Duckworth, A. L., Peterson, C., Matthews, M. D.,&Kelly, D. R. (2005). Grit: Perseverance and Passion for Long-Term Goals. Journal of Personality and Social Psychology, 92(6), 1087–1101.

٣٥ – سورة الشمس ، الآية ٧–٨.

٣٦ – فخر الدين الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج٣٠، تفسير سورة الشمس، ١٤٢٠هـ .

٣٧ – سورة النحل، الآية ٢٧.

٣٨ – سورة شمس ، الآية ٧–١٠

٣٩– الرازي، التفسير الكبير، ج٣٠، تفسير سورة الشمس، ص٢٣٦ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤٠ – علي عبد الواحد وافي، التربية في الإسلام وتطورها، القاهرة: دار النهضة المصرية، ١٩٨١، ص ١١٨ .

٤١ – سورة الشمس، الآية ٩–١٠.

٤٢ – الرازي، ١٤٢٠هـ، ج٣٠، تفسير سورة الشمس، مرجع سابق.

المصادر:

– القرآن الكريم

– أسامة شكري الجميل العدوي، الإيقاع القرآني وأثره الفني وإعجازه البلاغي، مجلة البحوث التربوية والنفسية، ٢٠١٣ .

– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز. تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م

– الرازي، التفسير الكبير، ج٣٠، تفسير سورة الشمس، ص٢٣٦ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

– أيمن خميس عبد اللطيف أبو مصطفى، الأبعادُ التعليميةُ للأَساليبِ البَلاغيةِ بلاغةُ الخطاب التشريعي في القرآن الكريم أنموذجًا. مجلة كلية اللغة العربية باسيوط، المجلد ٤٠، العدد ٢ – الرقم المسلسل للعدد ٢، ٢٠٢١ .

– بستان المتولي، التشبيهات القرآنية وأبعادها التربوية الأخلاقية(سورة يس أنموذجا)، مجلة المقرى للدراسات اللغوية النظرية و التطبيقية، ٢٠٢٤ .

– دانية نديم محمد صفو، تربية الدوافع السلوكية في القرآن: أساليب وطرائق. مجلة رواء، العدد ٢٣، ٢٠٢٣، بحث منشور على : https://rawaamagazine.com/

– صلاح الدين الهواري، أثر التعبير القرآني في الإعجاز، جامعة الجنان /كلية الأداب والعلوم الإنسانية/ طرابلس– لبنان، دون ذكر سنة النشر.

– عبد الرحمن عدس، علم النفس التربوي نظرة معاصرة. عمان: دار الفكر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥ .

– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني.

– عبد الملك بن محمد ا ن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي سالم، دار الفكر، ١٩٧٦م.

– علي عبد الواحد وافي، التربية في الإسلام وتطورها، القاهرة: دار النهضة المصرية، ١٩٨١ .

– فخر الدين الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج٣٠، تفسير سورة الشمس، ١٤٢٠هـ .

– فاتح بوزري، الفاصلة القرآنية بين الوظيفة: (البلاغية والنّصية والتداولية)، مجلة ألف، المجلد ٥، العدد١، ٢٠١٨ .

– محمد رفعت زنجير، ديناميكية الأداء الصوتي في القرآن الكريم، مقال منشور على شبكة الألوكة، ٢٠١٤ .

– مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب. «كتاب الواضح في علوم القرآن – المكتبة الشاملة». دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م

– منوة فهد سعد الشمري، المضامين التربوية المستنبطة من القران الكريم والسنة النبوية وتطبيقها في المدارس، مجلة الدراسات التربوية والإنسانية، ٢٠٢٤ .

– نعيمة بكوش ، الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، مجلة رفوف ، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا ، جامعة أدرار – الجزائر، العدد الثاني عشر،٢٠١٧ .

Duckworth, A. L., Peterson, C., Matthews, M. D.,&Kelly, D. R. (2005). Grit: – Perseverance and Passion for Long–Term Goals. Journal of Personality and So– .cial Psychology, 92(6), 1087–1101

انتهاك حق الانسان في بيئة نظيفة ومسؤولية الادارة

الباحث د. علي مشهدي
استاذ مشارك، قانون عام و دولي/ جامعة قم الحكومية، قم. ايران.
الباحث: غزوان علي كاظم



للمستخلص:
حق الإنسان في أن يعيش في بيئة آمنة وصحية هو أحد الحقوق الإنسانية الجديدة التي تنتمي إلى الجيل الثالث من حقوق الإنسان، هذا الحق ليس مجرد حق، بل هو أيضاً قيمة اجتماعية يجب أن يحافظ عليها النظام القانوني سواء كان دولياً أو محلياً, هذا الحق لا يتعلق فقط بحياة الجيل الحالي في بيئة سليمة، بل يتقاطع أيضاً مع حق الأجيال المقبلة في العيش في نفس البيئة الصحية, لذا يجب العمل على الحفاظ على البيئة من أجل الأجيال القادمة، مما يجعل هذا الحق ذو بعد مستقبلي, لذلك، يتوجب على البلدان والمنظمات الدولية السعي لتحقيق التوازن بين التقدم التكنولوجي وما يتطلبه ذلك من قيود، وضرورة ضمان حق الإنسان في العيش في بيئة صحية من خلال حماية البيئة من التلوث.تظهر آثار انتهاك هذا الحق بشكل واضح، حيث يجب على المتسبب بالضرر أن يقوم بتعويض من انتهك حقهم في بيئة نظيفة ، وهذا يشمل جميع الأفراد، سواء كانوا أشخاصاً طبيعيين أو معنويين، سواء كانوا خاصين أو عامين، بما في ذلك الادارة، حيث تعتبر الادارة أحد أكبر ملوثي البيئة، بسبب قدرتها على إنتاج كميات كبيرة من الملوثات السامة، وهي تسهم بقدر كبير في تلوث البيئة رغم التزاماتها بحمايتها, وبالتالي، يتم محاسبة الدولة قانونياً على انتهاك حق الفرد في بيئة سليمة، تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف أساس التزامات الادارة بشأن التعويض، خاصة في ظل صعوبة إثبات الخطأ.

الكلمات المفتاحية: حق الانسان، البيئة النظيفة، انتهاك حق الانسان، مسؤولية الادارة .

Abstract:
The human right to live in a safe and healthy environment is one of the new human rights belonging to the third generation of human rights, This right is not just a right; it is also a social value that must be preserved by the legal system, whether international or local, This right is not only related to the current generation›s ability to live in a healthy environment, but also intersects with the right of future generations to live in the same healthy environment. Therefore, efforts must be made to preserve the environment for future generations, making this right a future–oriented one. Therefore, countries and international organizations must strive to strike a balance between technological progress and its associated restrictions, and the need to guarantee the human right to live in a healthy environment by protecting the environment from pollution.
The effects of violating this right are clear, as the perpetrator of the harm must compensate the victims. This includes all individuals, whether natural or legal persons, private or public, including the state. Administrations are among the largest polluters of the environment, due to their capacity to produce large quantities of toxic pollutants, They contribute significantly to environmental pollution despite their obligations to protect it, Thus, the state is legally held accountable for violating an individual›s right to a healthy environment, This study seeks to explore the basis of the administration›s obligations regarding compensation, especially in light of the difficulty of proving fault.

Keywords: human rights, clean environment, human rights violation, management responsibility.

أولاً: التعريف بموضوع البحث وأهميته

يشكل تلوث البيئة الخطر الأكبر الذي يواجه البشرية في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك العراق، خاصة أنه يعاني من مشكلات بيئية متعددة نتيجة الحروب والعقوبات الاقتصادية والاحتلال، مما أدى إلى تدهور كبير في بيئته. وبسبب تفاقم القضايا البيئية، قام بوضع قوانين تهدف إلى تنظيم حماية البيئة من التلوث والضرر. هذه القوانين تشمل الاتفاقيات الدولية التي تحمي البيئات البحرية والجوية والبرية، بالإضافة إلى التشريعات الوطنية التي تهدف إلى حماية البيئة بمختلف أشكالها. تتضمن هذه الجهود أيضاً الإجراءات التي يجب أن تتخذها الجهات الإدارية في الدولة، سواء كانت ردعية أو علاجية، لحماية البيئة وضمان حق الإنسان في العيش في بيئة صحية ونظيفة خالية من الأضرار.

ثانيا: اشكالية البحث

تتمثل مشكلة البحث في حق الإنسان في العيش في بيئة نظيفة. على الرغم من أهميته الكبيرة، إلا أنه لم يحصل على اهتمام كافٍ من الناحية القانونية مثل العديد من الحقوق الأخرى. أصبح التدهور في البيئة بأنواعها المختلفة تهديدًا للحياة البشرية على كوكب الأرض. هذا يثير سؤالاً حول ما إذا كانت زيادة مستويات التلوث البيئي ناتجة عن نقص القوانين التي تحمي هذا الحق وعدم كفايتها، أو ربما هناك تقصير متعمد في تطبيقها في الواقع، أو أنها صعبة التحقيق بسبب عوامل وظروف متعددة. كما يجب التساؤل عن العوامل التي تساهم في زيادة معدلات التلوث، مما يؤدي إلى تدهور البيئة المحيطة بالإنسان وجعلها غير نظيفة وغير صحية.

ثالثا :اهمية البحث

تتجلى أهمية هذا الموضوع في أنه يتناول حقًا أساسيًا من حقوق الإنسان في جوانب عديدة من حياته وهو حقه في العيش في بيئة نظيفة وصحية. بالإضافة إلى ذلك، فإن قضية حماية البيئة أصبحت تعتبر في الوقت الراهن ذات أهمية كبيرة في الدراسات القانونية بسبب الزيادة الكبيرة في معدلات تلوث البيئة، سواء كان ذلك من النفايات أو المياه الملوثة أو التلوث الإشعاعي وغيرها. ولذلك، فإن هناك حاجة ملحة لوجود نظام قانوني يحمي حق الإنسان في الحصول على بيئة نظيفة خالية من مختلف أشكال التلوث ، وبيان مسؤولية الادارة في المحافظة على حق الانسان في بيئة نظيفة .

رابعا: منهج البحث:

نظراً لأهمية الموضوع فإنه يتوجب بحثه ودراسته من خلال المنهج القانوني المقارن وتحليل القواعد القانونية ذات العلاقة.

خامساً: خطة البحث:

على وفق ما تقدم فإن الدراسة سترتكز على مبحثين الأول يتضمن ماهية الحق في بيئة نظيفة من خلال تحديد مفهوم الحق وطبيعته وصور المساس بالبيئة، أما المبحث الثاني مسؤولية الادارة عن انتهاك حق الانسان في بيئة نظيفة، مع الوسائل الادارية لحماية البيئة من التلوث.

المبحث الأول:

مفهوم الحق في بيئة نظيفة:

عندما بدأت الثورة الصناعية، أدى التقدم العلمي والتقني إلى استغلال البيئة بطرق غير منظمة وغير حكيمة مما تسبب في تلوثها بالمواد الكيميائية ونفايات المصانع ودخان السيارات والطائرات ووسائل النقل الأخرى. ونتيجة لذلك، أصبحت البيئة غير صحية للعيش بسبب تعدد الأضرار ومصادرها. وقد اختلفت الآراء حول ما إذا كان الحق في بيئة نظيفة ينتمي للحقوق الفردية أو الجماعية. لذلك، من المهم فهم ما يعنيه الحق في بيئة نظيفة وطبيعته، بالإضافة إلى كيفية حصول الأضرار على البيئة(١).

المطلب الأول :تعريف الحق في بيئة نظيفة وطبيعته

تناولت العديد من الأبحاث موضوع البيئة من زوايا متعددة، لكن لم يتم توضيح الحق في بيئة نظيفة بالتفصيل على الرغم من أهميته على الصعيدين المحلي والعالمي. وقد اختلف الفقهاء في تفسير هذا الحق وطبيعته، وما هو مؤكد هو أن الإنسان عاش في بداية حياته في بيئة نظيفة وتفتقر للكثير من التلوث الصناعي المعروف اليوم. وهذا الحق يُعتبر من الحقوق الأساسية التي تسمح للناس بالتمتع بحياة صحية. لذا، يُعتبر فهم هذا الحق ضروريًا في أي دراسة علمية. ورغم أن الفقهاء يختلفون في تحديد معنى الحق وصعوبة تحديد جوهره، إلا أنه يمكن وصف الحق بشكل عام بأنه استحواذ شخص على شيء أو قيمته بقبول من القانون وهو التفسير الأقرب.

وفيما يتعلق بمفهوم البيئة، هناك تباين واسع في تعريفها حسب العناصر المختلفة التي تتكون منها، سواء كانت مائية أو هوائية أو برية. ويختلف أيضًا التعريف بناءً على المجال العلمي الذي يتناوله، حيث يُستخدم بعض الناس كلمة «البيئة» لوصف الظروف المحيطة بالإنسان في وقت ومكان معين؛ بينما يعبر آخرون عنها بمعنى «مستوى»، مثل «البيئة الاجتماعية» أو «البيئة الثقافية». هذا التنوع في الاستخدام يمكن أن يسبب بعض الغموض، خاصة في غياب تعريف شامل يقطع الشك ويحدد كيفية استخدام الكلمة ويفسر معناها، ولكن الحقيقة تبقى سليمة طالما استُخدمت في السياق المناسب(٢)

لذلك، واجه الفقه القانوني صعوبات كبيرة في تعريف البيئة قانونيًا، حيث إن مضمون المصطلح يتسم بالطابع الفني والعلمي. وهذا يتطلب من المتخصصين محاولة دمج الأفكار القانونية مع الحقائق العلمية حول البيئة لتنظيم القواعد المطلوبة للتعامل مع البيئة بمكوناتها المختلفة، وتحديد العقوبات المناسبة على انتهاك تلك القواعد. على سبيل المثال، يستخدم الفقه القانوني الغربي عادةً تعريفًا واسعًا للبيئة. ففي فرنسا، قدم القانونيون شرحًا لمفهوم البيئة كما ورد في قاموس لاروس بأنها مجموعة من العوامل الطبيعية والصناعية التي تدعم حياة البشر. وهذا ما جعل الفقيه جان لامارك يُطلق اسم قانون حماية البيئة والطبيعة، لكن يبدو أن هذا التعريف واسعٌ بعض الشيء، كل هذا أدى إلى اختلاف وجهات النظر عند تحديد معنى القانون وما يتعلق به من عناصر محمية ضمن نظامها كقيمة جديدة في المجتمع، سواء كانت تلك العناصر طبيعية كالماء والهواء والغابات والتربة، أو تلك التي صنعها البشر مثل الحضارات والمعابد والأهرامات أو المصانع والشركات(٣).

إن مفهوم البيئة يشمل عنصرين: الأول هو العنصر الطبيعي، والذي يتضمن كل ما يحيط بالإنسان من عناصر طبيعية لا يتدخل الإنسان في وجودها، مثل الماء، الهواء، التربة، البحار، المحيطات، والأشكال الطبيعية التي تمثل إرثاً طبيعياً للبشرية. هذه العناصر تأتي من تكوينات صخرية أو رملية وتعتبر ذات قيمة ثقافية عالمية، مثل النباتات والحيوانات وغيرها. أما العنصر الثاني فيتمثل في البيئة الصناعية، التي خلقها الإنسان من خلال تدخله في الطبيعة، مثل الصناعات الثقيلة كصناعة الطائرات، سفن الفضاء، والصناعة النووية وغيرها. وبناءً على ما سبق، يمكن القول إن التعريف الأنسب للبيئة هو البيئة التي تعيش فيها الكائنات الحية، التي تتكون من عناصر مثل الماء، الهواء، والتربة(٤).

فيما يتعلق بالحق في بيئة نظيفة، يؤكد البعض أن معنى هذا الحق هو أن لكل فرد الحق في العيش في بيئة صحية وآمنة، خالية من المخاطر الصحية، وموا مواردها بطريقة تضمن له حياة كريمة وتنمية متوازنة لشخصيته. بمعنى آخر، كل القوانين البيئية والإجراءات المتخذة للحفاظ على البيئة تهدف إلى حماية الإنسان وتوفير بيئة مناسبة لحياته وتطوره. كما يمكن اعتباره الحق في حماية الطبيعة والإنسان من المخاطر البيئية المترتبة على التلوث، والتي تؤثر سلباً على سلامة الحياة الإنسانية.

ومع ذلك، يوجد من يعرف الحق في بيئة نظيفة على أنه حق كل فرد في بيئة جيدة وصحية، تشمل الحماية من الملوثات الضارة، وتتركز على الجرائم المرتبطة بالإنسان، كما تتطلب معالجة الأضرار التي لحقت بالبيئة بهدف

حمايتها(٥).

لذا، نجد أنه لا يوجد تعريف شامل للحق في بيئة نظيفة مثل التعريفات المتعلقة بالبيئة، بسبب اختلاف الآراء والمفاهيم القانونية والعلمية بين الفقهاء والمتخصصين، ولأن الموضوع يتضمن زوايا نظر مختلفة ومجالات واسعة تتعلق بالتقدم العلمي والتكنولوجي وآثاره السلبية على البيئة.

المطلب الثاني: أشكال انتهاك الحق في بيئة نظيفة

مع زيادة الاكتشافات في مجالات النفط ومصادر الطاقة الأخرى، وما تبع ذلك من تطور في الصناعات والتكنولوجيا، بدأت تظهر آثار هذه الأنشطة على البيئة ومصادرها الطبيعية، مما زاد من تفاقم المشكلات التي تؤثر عليها. تعددت أنواع التعدي على البيئة، ومن أبرزها ما يعرف بالتدهور البيئي، والذي يعني التلوث بأنواعه المختلفة، كالتلوث في الهواء والماء والتلوث الكيميائي، بجانب التلوث الضوضائي والبصري، ولكل من هذه الأنواع تأثيراتها السلبية على البيئة(٦).

لكن يجب التفريق بين مفهوم التلوث ومفهوم التدهور. فالتلوث يعني تغيير خصائص البيئة مما يؤدي إلى الإضرار بالبشر، حيث يعني التغيير فقدان التوازن في مكونات البيئة، وبالتالي التأثير على حياة البشر. بينما التدهور لا يغير مكونات البيئة الطبيعية وإنما يقلل من قيمتها. ومع مرور الوقت وزيادة عوامل التدهور، يمكن أن يؤدي ذلك إلى استنزاف الموارد مما يضر بالبشر والمواقع الأثرية.

تتعلق كلمة التلوث بتغيير سلبي في نقاء الهواء والماء والتربة نتيجة اختلاطها بمواد كيميائية ضارة، وخاصة النفايات الصناعية التي يُلقي بها البشر، أي تغيير في الخصائص الأساسية للبيئات الثلاث يُعتبر تلوثًا(٧).

ورغم صعوبة الاتفاق على تعريف موحد للتلوث بين الباحثين، فإن الكثير من التشريعات البيئية في الدول تعتمد على توصية منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية من ١٤ نوفمبر ١٩٧٤، إذ عَرَّفَت التلوث على أنه نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لتدخل البشر في إدخال مواد أو طاقة قد تؤدي إلى عواقب سلبية على البيئة أو تلحق ضررًا بالموارد الطبيعية(٨).

أما في العراق، فقد عَرَفَ قانون حماية وتحسين البيئة رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩ في المادة (٢/٨) تلوث البيئة بأنه وجود أي ملوثات تؤثر في البيئة بكمية أو تركيز غير طبيعي، مما يؤدي إلى ضرر مباشر أو غير مباشر بالبشر أو الكائنات الحية أو المكونات غير الحية. وتشمل الملوثات أي مادة صلبة أو سائلة أو غازية أو ضوضاء أو اهتزازات أو إشعاعات أو حرارة. وبناءً على ما ذكر، لكي يعتبر التلوث موجودًا قانونياً، يجب أن يتوافر ثلاثة عناصر:

العنصر الأول هو حدوث تغيير في البيئة نتيجة إدخال مواد أو طاقة تؤدي إلى تغييرات كبيرة في طبيعتها، وفي أغلب الأحيان، يحدث التلوث عندما يتم التخلص من النفايات مما يفسد البيئة، وبهذا يحدث خلل في التوازن بين عناصر النظام البيئي، مما يؤثر على كفاءة هذا النظام في التخلص من الملوثات بشكل طبيعي. التلوث البيئي يعني الإخلال بالتوازن الطبيعي ويعبر عن التغير الكمي والكيفي في عناصر الغلاف الجوي بحيث لا تستطيع البيئة التعامل مع هذه الملوثات الجديدة(٩).

العنصر الثاني يتعلق بكيفية تسبب الأنشطة البشرية في التلوث بشكل مباشر أو غير مباشر، حيث إن الإنسان هو من ينتج وينقل ويتخلص من النفايات السامة والنووية، مما يؤدي إلى تدهور البيئة. بالإضافة إلى ذلك، فإن الإنسان هو مبتكر التكنولوجيا التي لها تأثيرات مزدوجة؛ فمن جهة، تسهم في تقدم البشرية، ومن جهة أخرى، قد تؤدي إلى تهديد الحياة الإنسانية، مثل استخدام التكنولوجيا النووية وإنتاج الأسلحة النووية.

أما العنصر الثالث، فهو تدخل الإنسان الذي يسبب أضرارًا إلى أي من عناصر البيئة، وهذا الضرر يؤثر على الإنسان والكائنات الحية وغير الحية. وقد حددت بعض الاتفاقيات الأضرار البيئية بأنها «التأثيرات السلبية التي

تنتج عن تغييرات في البيئة المادية أو في الكائنات الحية، بما في ذلك التغيرات المناخية التي لها آثار ضارة على صحة الإنسان أو على تكوين الأنظمة البيئية الطبيعية المدارة من قبل الإنسان أو على الموارد المفيدة للبشرية. « يمكن أن تكون الملوثات في شكل غبار أو دخان أو غازات، وتؤدي إلى آثار بيولوجية واجتماعية، حيث إن تلوث الهواء يمكن أن يُعزى إلى عوامل بيولوجية أو حتى جغرافية تؤثر على مستوى التلوث، مثل الجسيمات الناتجة عن حرائق الغابات التي ليست من صنع الإنسان(١٠).

رغم ذلك، هناك نوعان رئيسيان من التلوث الناتج عن الأنشطة البشرية. الأول هو الذي يؤثر بشكل غير مباشر على الإنسان، ومن أمثلته التلوث الناتج عن تلوث الهواء والماء والتربة، والتي تنعكس آثارها على الشخص المتسبب. أما النوع الثاني فهو يؤثر مباشرة على الإنسان مثل التلوث الضوضائي، حيث يكون الإنسان هو أول من يتعرض لهذه الملوثات. واستنادًا إلى ما تم توضيحه، يمكن تلخيص أشكال تدهور البيئة كما يلي:

أولاً: تلوث الهواء، حيث تعتبر ملوثات الهواء الناتجة عن احتراق الوقود من أكثر الملوثات انتشارًا في البيئات. والوقود غالبًا ما يأتي من المواد النباتية المدفونة، ويتكون أساسًا من الكربون ومركباته، فالمحركات التي تعمل بمشتقات البترول تؤدي إلى تلوث الهواء، وغالبًا ما نرى الشاحنات ووسائل النقل تطلق دخانًا كثيفًا.

في العراق، يعد تلوث الهواء أحد أخطر وأبرز أشكال التلوث، حيث تنحصر مصادره في عدة نقاط: أولاً، المصادر الطبيعية، التي تشمل الغبار المتساقط، والذي يعد أحد المؤشرات على جودة الهواء في المحافظات، خاصة القريبة من المناطق الصحراوية. وقد أظهرت الدراسات سابقًا أن الغبار العالق يعد المشكلة الرئيسية، يليه الغبار الصاعد، ثم العواصف الترابية، وهي ظواهر شائعة ومتكررة في العراق، حيث لوحظت زيادة في هذه الظواهر نتيجة إزالة الغطاء النباتي وتوقف مشاريع معالجة الكثبان الرملية، خاصة في المناطق الجنوبية خلال السنوات الأخيرة(١١).

وأما الشكل الثاني، فيتعلق بالجسيمات العالقة التي أظهرت الدراسات البيئية ارتفاع تركيزاتها عن المستويات العالمية المسموح بها، حيث ذكرت التقارير أن تركيز هذه الجسيمات كان يتراوح بين ١١٥ إلى ١٢٩ ميكروغرام لكل متر مكعب في عام ١٩٩٠، بينما ارتفع إلى ١٤٧-١٤٨٢ ميكروغرام لكل متر مكعب في عام ١٩٩٩(١٢).

ولهذا النوع من التلوث أثره الكبير على الصحة مثل حدوث حالات الاختناق والتسمم نتيجة تركز الملوثات في الهواء ومعظمها ناتجة من تزايد استهلاك الطاقة من مصادرها الملوثة مع حدوث الضباب الذي يتفاعل مع هذه الملوثات منتجة مواد سامة أو انها تؤدي الى حدوث حالات الاختناق. يؤدي إلى تعرض الفرد العراقي للعديد من الأمراض الضارة بصحته، والتي قد تكون صعبة أو حتى مستحيلة العلاج في المستقبل(١٣).

ثانيا: التلوث الإشعاعي، الذي أثار القلق عالمياً بسبب تأثيره الخطير ليس فقط على البيئة ولكن أيضاً على صحة الإنسان والحياة بأنواعها. يتمثل الإشعاع في طاقة كهرومغناطيسية تتحرك بسرعة عالية من المواد المشعة أو الأجهزة التي تطلق الأشعة. يؤدي ذلك إلى تلوث بيئي وبيولوجي للكائنات الحية كنتيجة حتمية للتعرض له، ويستمر تأثيره الضار لفترة تختلف حسب نوع المادة المشعة وعمرها النصفي(١٤).

بسبب خطورة هذا النوع من التلوث، أقر المشرع العراقي عدداً من القوانين، مثل قانون حماية من الأشعة المؤينة رقم ٩٩ لعام ١٩٨٠، بالإضافة إلى أمر سلطة الائتلاف المؤقتة رقم ١٧٢ لسنة ٢٠٠٤ المتعلق بالهيئة العراقية للرقابة على مصادر الإشعاع. وهناك أيضاً النظام الداخلي رقم ١ لسنة ٢٠٠٦ الذي يختص بمراقبة استخدام مصادر الأشعة في العراق، وكذلك تعليمات الحماية من الأشعة غير المؤينة الصادرة عن أنظمة الهواتف المحمولة رقم ١ لعام ٢٠١٠.

أما تأثير التلوث الإشعاعي على سكان العراق، فيتسبب في تدهور أداء النظام الصحي نتيجة للإمكانيات

الضعيفة التي نشأت عن الحظر الاقتصادي المستمر منذ عام ١٩٩٠. وقد أدى الاستخدام المفرط وغير المسؤول لليورانيوم المنضب إلى تفاقم الوضع الصحي، مما جعل المؤسسات الصحية غير قادرة على تحديد أسباب بعض الظواهر غير المعتادة مثل الارتفاع الملحوظ في حالات الإصابة بالأمراض السرطانية، لا سيما سرطان الثدي والقولون والرئة والدماغ. في بعض المحافظات، توجد أنواع معينة من السرطان مثل سرطان الثدي في محافظة بابل وسرطان المثانة في محافظة الناصرية، دون أي جهد من الوزارة لدراسة هذه الحالات(١٥). أيضاً، شهدت الأعداد المتزايدة من الولادات المشوهة ارتفاعًا كبيرًا، مثل حالات الأطفال المصابين بمتلازمة داون. على سبيل المثال، في منطقة بها حوالي ٣٠٠ ألف شخص، تم تسجيل أكثر من ٤٠ حالة. وقد أفادت وزارة الصحة العراقية بأن بين ١٢٠ و١٤٠ ألف عراقي مصابين بالسرطان بعد عام ٢٠٠٤، مع وجود ٧٥٠٠ حالة جديدة سنوياً. كما يستقبل معهد الطب والأشعة الذري في بغداد، والذي يعد المعهد الوحيد، حوالي ١٥٠ مريضاً يومياً من جميع أنحاء العراق(١٦).

ثالثا: التلوث السمعي، المعروف أيضًا بالضوضاء أو الضجيج.

عرف الفقهاء الضوضاء بأنها أي صوت ليس له فائدة أو قيمة، سواء كان صوت الطبيعة من حولنا أو أصوات الآلات في المصانع أو وسائل النقل في الشوارع أو أصوات أجهزة الإرسال في المنازل أو حتى كلام الناس وصوتهم المرتفع(١٧). ومن بين المصادر التي تسبب التلوث السمعي نجد أصوات الباعة الجائلين، وضجيج أعمال البناء، والأصوات الناتجة عن الآلات في المصانع، بالإضافة إلى الضوضاء الناتجة عن وسائل النقل، خاصة الطائرات، بسبب ما تسببه من صخب وضوضاء عند الإقلاع والهبوط وأيضًا أثناء السير في خط الملاحة. لذلك، قام المشرع العراقي بالتعامل مع هذا النوع من التلوث لتحقيق بيئة نظيفة وصحية من خلال قانون حماية وتحسين البيئة لسنة ٢٠٠٩، حيث نصت المادة (١٦) على أنه يمنع تجاوز حدود الضوضاء المسموح بها عند تشغيل الآلات والمعدات المنزلية ومكبرات الصوت في منطقة واحدة، وذلك ضمن الحدود المسموح بها وفق تعليمات يصدرها الوزير. كما أصدر المشرع قانون منع الضوضاء رقم (٢١) لسنة ١٩٦٦، الذي حظر استخدام وسائل البث في الأماكن العامة بشكل يسبب إزعاج للناس، ومنع أيضًا وضع مكبرات الصوت بمختلف أنواعها خارج الأماكن العامة والخاصة(١٨).

يرتبط التلوث السمعي أو الضجيج ارتباطاً كبيراً بالحياة الحضرية، خصوصاً في الأماكن المتقدمة صناعياً والتي تستخدم التكنولوجيا الحديثة بكثرة. هناك أنواع متعددة من هذا النوع من التلوث مثل الضجيج المنبعث من وسائل النقل، حيث تشمل الأسباب ضوضاء الطرق والشوارع والقطارات , إلا أن الواقع يخبرنا بعكس ذلك، حيث إن العديد من الباعة الجائلين يستخدمون مكبرات الصوت، مما يسبب إزعاجاً للمواطنين ليلاً ونهاراً، ولا يوجد أحد يحاسبهم أو يردعهم، رغم وجود قوانين صارمة لمنع ذلك(١٩).

المبحث الثاني:

أنواع مسؤولية الإدارة عن الأضرار التي تلحق بحق الإنسان في بيئة صحية:

أي نشاط يسبب أضراراً للبيئة أو يتجاوز على مكوناتها، يُعتبر الشخص الذي قام به مسؤولاً أمام القانون عن تصرفاته المؤذية للموارد البيئية. من المعروف أن المسؤولية عن الأضرار البيئية تشمل جميع أشكال تعدي الإنسان على البيئة، ويشمل نطاق المساءلة عن تلوث البيئة الأنشطة العامة، وخاصة تلك التي تؤدي إلى تلوث البيئة من قبل الأفراد بشكل شخصي أو من قبل الدولة كجهة تتولى السيادة على أراضيها(٢٠).

بينما تُلزم الإدارة بحماية البيئة من التلوث وضمان حق الأفراد في بيئة صحية، فإنه يمكن أن تكون أيضاً ملوثة، كما هو الحال مع الأفراد والهيئات القانونية التي تخضع للقوانين الخاصة. وأيضاً، يمكن أن تكون الإدارة أكثر ضرراً بسبب امتلاكها لمنشآت صناعية كبيرة، وقد تكون بعضها نووية، ولأنها تتحكم في كيفية إدارة النفايات.

لذلك، قد تتحمل المسؤولية نتيجة لأخطاء موظفيها أو بسبب مسؤولية الأشياء. كما يمكن أن تكون الإدارة مسؤولة حال وقوع ضرر نتيجة خطأ من مرافقها العامة، كما حدث في قضية أصدرتها محكمة النقض الفرنسية التي قضت بمسؤولية الجهة الإدارية عن الأضرار التي وقعت للصيادين في الأنهار الفرنسية بسبب إلقاء مواد ملوثة من النفايات البلدية(٢١).

إذا زعم شخص أنه تعرض لضرر بيئي شخصي أو في ممتلكاته، بسبب تلوث أو تدهور البيئة أو النفايات الضارة، سواء كانت مكونة أو مخزنة أو مستخدمة من قبل الآخرين، فإن القوانين التقليدية توفر لهذا المتضرر مجموعة من الخيارات لمطالبة المُسبب بالضرر، وهي الإدارة في هذا السياق. ويتطلب بعض هذه القوانين إثبات الخطأ، بينما يعفي البعض الآخر من ذلك.

المطلب الأول: مسؤولية الإدارة المبنية على الخطأ

لم تكن مسؤولية الإدارة تعتبر قاعدة متعارف عليها منذ البداية، بل كان هناك مبدأ بعدم المسؤولية. لكن مع تطور الحياة وزيادة تدخل الدولة في المجالات الشخصية للأفراد، وتوسع المرافق العامة وازدياد تواصل الأفراد معها، زادت حالات انتهاك حقوقهم دون وجود ضمانات كافية لحمايتهم. وبالتالي، اتسعت الرقابة القضائية لتشمل كافة هذه الأنشطة سواء بإلغائها إذا كانت تخالف القوانين أو بإقرار تعويض عن آثارها الضارة، أو كلا الأمرين. وبالتالي، أصبح من المتعارف عليه أن الدولة تتحمل مسؤولية عن تصرفات السلطة التنفيذية غير التعاقدية(٢٢).

مسؤولية الإدارة المتعلقة بالخطأ بسبب تلوث البيئة وإهدار حق الإنسان في بيئة صحية قد تنشأ عن قرارات إدارية، سواء كانت فردية أو تنظيمية، وكذلك عن الأعمال المادية. تُسأل الإدارة إذا أصدرت تعليمات أو قرارات فردية أدت إلى الأذى بالبيئة، وقد تنشأ المسؤولية إذا خالفت الإدارة القوانين واللوائح المتعلقة بحماية البيئة، أو إذا كانت المخالفة ناتجة عن تجاهل أو إهمال في الرعاية المطلوبة، مما يُعتبر تعدياً على حق الإنسان في بيئة صحية. كل ذلك يسمح للمتضرر بالطعن في قرار الإدارة والإعلان عن إلغائه، كما يمكنه المطالبة بالتعويض في حال تسبب ذلك في أضرار. والإدارة مسؤولة عن أفعالها المادية التي تسبب الضرر للبيئة وحق الإنسان في سلامتها، مثل التخلص غير الصحيح من النفايات الضارة أو تلويث البيئة بطرق مختلفة(٢٣).

أنشأ المشرع العراقي مسؤولية الإدارة وجعلها تستند إلى خطأ محتمل، مما يعني أنها تتحمل المسؤولية عن تصرفات الآخرين. وفقاً للمادة ٢١٩ من القانون المدني العراقي، «تكون الحكومة والبلديات والمؤسسات التي تقدم خدمات عامة، وأي شخص يدير مؤسسة صناعية أو تجارية، مسؤولين عن الأضرار التي يسببها موظفوهم إذا نشأ الضرر نتيجة لسلوك غير صحيح حدث أثناء تقديمهم خدماتهم».

المسؤولية المبنية على الخطأ تستند إلى اعتبارات شخصية بدلاً من الموضوعية، فهي تعتمد على وجود عنصر الخطأ. إذا تسبب هذا الخطأ في ضرر للآخرين، يتعين على الإدارة هنا تعويض المتضرر. وإذا أرادت الشخصيات العامة (الإدارة) أن تتحمل المسؤولية ومن ثم دفع التعويض، يجب إثبات العلاقة بين نشاطها، سواء كان الخطأ شخصياً أو مرتبطاً بالخدمة، والضرر. ويُعتبر الخطأ شخصياً إذا استخدم الموظف وظيفته كوسيلة لتحقيق خطأه(٢٤).

توصل مجلس الدولة الفرنسي إلى الاعتراف بمسؤولية الإدارة في جميع حالات الخطأ الشخصي. وبالتالي، لا تخرج المسؤولية عن الأخطاء الشخصية التي لا تتعلق بالوظيفة العامة، أي الأخطاء التي تحدث في حياة الموظف الخاصة. السبب في ذلك هو رغبة القضاء الإداري في حماية المتضررين من إفلاس الموظف، لكن هذا لا يعفي الموظف من المسؤولية، حيث يمكن للإدارة الرجوع إليه لتعويض المتضررين.

تظهر الصعوبة في إثبات الخطأ الشخصي في حالات انتهاك حق الإنسان في بيئة نظيفة. تحديد مصدر الضرر

يصبح أمرًا معقدًا، حيث يصعب التأكيد على هوية المسؤول في ظل وجود العديد من العوامل التي قد تؤدي إلى الضرر، مما قد يؤدي إلى رفض دعوى التعويض(٢٥).

هذه النتيجة قد تسبب شعوراً بالإحباط وتمنع الكثير من المتضررين من المطالبة بالتعويض عن الأضرار الواضحة، وذلك استناداً إلى منطقية النظام الذي يقتضي بعدم تحميل أي شخص المسؤولية عن ضرر لم يتسبب فيه بخطأه، لأنه بالرغم من أن الضرر كان موجودًا، إلا أنه يصبح من الصعب نسبة هذا الخطأ لشخص معين.

على أي حال، تتحمل الإدارة أيضاً مسؤولية الأخطاء المتعلقة بالخدمات. يتحقق الخطأ هنا إذا اعتقد الموظف أنه ينفذ واجباته أثناء ارتكابه للخطأ، حيث يمكن إرجاع هذا الخطأ إلى المرفق نفسه حتى لو كان الشخص الذي قام بالفعل هو موظف. يظهر الخطأ في عدم قيام المرفق بالعمل المطلوب منه، مما يؤدي إلى آثار سلبية على الأشخاص. أحياناً يمكن تحديد من ارتكب هذا الخطأ بين الموظفين، بينما يصعب ذلك في أحيان أخرى، مما يجعل الخطأ يُعتبر مسؤولية تنظيم المرفق ككل. لم ينجح الفقه في وضع معيار محدد للخطأ المرفقي(٢٦)، لكنه استقر على بعض الحالات التي يمكن اعتبارها خطأ ينسب للمرفق، وتشمل:

١. قيام المرفق بتقديم الخدمة بشكل سيء.
٢. عدم قيام المرفق بتقديم الخدمة.
٣. تأخر المرفق في أداء الخدمة.

مهما كان نوع هذا الخطأ، فإن القرار النهائي يكون للمحكمة لتحدد كل حالة على حدة إذا كان الخطأ شخصياً أم متعلقاً بالوظيفة. في العراق، لم يفرق المشرع بين الخطأ الشخصي والخطأ المتعلق بالوظيفة، بل جعل مسؤولية الحكومة والأشخاص المعنويين الآخرين تعتمد على مسؤولية الشخص الذي يتبعهم لضمان حقوق المتضرر. ومع ذلك، فقد تجاهل الموظف وتركه عرضة للمسؤولية القانونية عن أي أخطاء يقوم بها خلال أداء واجباته دون تمييز بين نوعي الخطأ. كما منح الحكومة الحق في المطالبة من الموظف بتعويضات عن ما دفعته. ولا يعطي خطأ الحكومة حق التعويض لأي شخص ما لم يكن نتيجة لهذا الخطأ. ولا يرتب خطأ الإدارة حقاً في التعويض لأحد ما لم ينشأ عن هذا الخطأ ضرر. مباشر بمعنى أن تكون هنالك علاقة مباشرة بين الضرر والعمل المنسوب للدولة، فإذا انتهت العلاقة السببية بقوة قاهرة أو عمل الغير أو عمل المضرور فلا تسأل الإدارة عن التعويض، أي أنه يجب أن يكون الضرر نتيجة مباشرة للفعل نفسه، وفي حالة تعدد الاسباب يأخذ القضاء بالسبب المنتج، كما يجب أن يكون الضرر محققاً وخاصاً قابل للتقدير بالمال، وأن يخل بمركز قانوني(٢٧).

المطلب الثاني: مسؤولية الإدارة بدون خطأ

يجب التعامل مع الأضرار الناتجة عن تلوث البيئة بقواعد مختلفة عن القوانين التقليدية للمسؤولية، لأن الالتزام بهذه القوانين التقليدية يمكن أن يحرم المتضرر من التعويض، كما ذكرنا سابقًا. فوجود صعوبة في إثبات الخطأ والأذى وعلاقة السببية يجعل المتضرر غير قادر على الحصول على تعويض. وللتغلب على هذه العقبة هناك رأيان: أحدهما يدعو للإبقاء على قواعد المسؤولية المدنية كما هي مع تغيير عبء الإثبات، في حين أن الرأي الآخر، والذي نعتقد أنه الأكثر قبولًا، هو اعتماد المسؤولية الموضوعية، أي المسؤولية بدون خطأ(٢٨).

المسؤولية الموضوعية، المعروفة أيضًا بالمسؤولية المادية، لا تركز فقط على خطأ الشخص المسؤول، بل تهتم بالأذى وتستند إلى هذا الأذى، وذلك لسببين: الأول هو صعوبة إثبات الخطأ من جانب المدعي عليه وصعوبة ربط الخطأ بالأذى، مما يحرمان المتضرر من التعويض كما ذكرنا. والثاني هو نتيجة الثورة الصناعية والتكنولوجية وما نتج عنها من تدهور في البيئة، مما دفع العديد من القوانين إلى التخلي عن النظرية الشخصية لصالح النظرية الموضوعية كأساس لمسؤولية البيئة.

إذا كان أساس هذه المسؤولية هو الأذى البيئي، فيمكن تعريفه بأنه «الضرر الذي يمس الموارد بشكل مختلف

ويؤثر على الأشخاص وممتلكاتهم نتيجة للطبيعة الانتشارية لهذا الضرر». فهو قائم بذاته وله خصائص معينة تجعله صعب الإصلاح في العديد من المجالات. كما يُعرف بأنه أي شيء يضر بالبيئة بشكل مباشر، فهو مستقل ولكن له آثار على الأشخاص والممتلكات، ويعني الأذى الذي يلحق بشخص أو مجموعة بشكل مباشر أو غير مباشر في صحتهم أو ممتلكاتهم أو يؤدي إلى المساس بحقوقهم، مثل الحق في العيش في بيئة سليمة أو الحقوق المالية بفقدان مصلحة مشروعة(٢٩).

تعتمد المسؤولية الموضوعية على عدة مبادئ، وأهمها مفهوم تحمل المسؤولية أو ما يُعرف بنظرية المخاطر، التي كانت من ابتكار مجلس الدولة الفرنسي ليؤسس لمسؤولية الإدارة تجاه موظفيها دون الحاجة لإثبات الخطأ من الإدارة، بغض النظر عن كون الخطأ قد حدث أم فإذا أثبت المتضرر الأذى، فإن الجهة المسؤولة (الإدارة) تكون ملزمة بالتعويض، سواء كان فعلها خاطئًا أم لا(٣٠).

تتحمل الدولة المسؤولية على أساس أنه ما دامت أنشطة الإدارة تصب في مصلحة المجتمع، فلا ينبغي أن يتحمل من تضرر الأذى بمفرده، بل يجب على الجميع الذين تمثلهم الدولة المشاركة في تحمل الأعباء، مما يحقق مبدأ المساواة في التكاليف العامة. ويمكن استخدام المسؤولية الشيئية فيما يخص الأضرار البيئية، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالنفايات السامة التي توصف غالبًا بالأشياء الخطيرة التي تحتاج إلى اهتمام خاص في حراستها وتخزينها. وفي كثير من الحالات، يكون من السهل تصنيف تلك النفايات كأشياء، مما يعطي المتضرر ميزة حقيقية تتمثل في إعفائه من عبء إثبات خطأ المسؤول عن تلك الأشياء(٣١).

في هذا السياق، نصت المادة رقم (٢٣١) من القانون المدني العراقي على أنه كل من يمتلك آلات ميكانيكية أو أشياء أخرى تحتاج إلى رعاية خاصة لمنع ضررها يكون مسؤولًا عن أي ضرر يحدث، ما لم يثبت أنه اتخذ الاحتياطات الكافية لمنع حدوث ذلك الضرر، مع عدم الإخلال بما ينص عليه من أحكام خاصة.

يمكن تطبيق قواعد حماية الأشياء التي تحتاج إلى رعاية خاصة على العديد من الأضرار التي تسبب تدهوراً أو تلوثاً للبيئة بمختلف مكوناتها، مما يؤثر على حق الأفراد في الحصول على بيئة نظيفة، دون أن يُطلب منهم إثبات خطأ الطرف المسؤول، حيث إن هذا النوع من المسؤولية يعفيهم من هذا الواجب(٣٢).

لذا، يُعتبر الضرر هو العنصر الأساسي الذي تتحدد بموجبه المسؤولية، فإذا لم يوجد ضرر فلن تكون هناك مسؤولية بغض النظر عن مدى خطورة الخطأ، فهو الذي يعطي الحق في التعويض ويدعم الحكم بالتعويض بدلاً من التركيز على الخطأ. لم يعد ينظر إلى الضرر على أنه مجرد عنصر في المسؤولية، بل أصبح هناك توجه نحو ضرورة إزالة الضرر عن المتضرر بغض النظر عن مصدره، وأصبح موضوع إصلاح الضرر قائمًا بذاته بعيدًا عن المسؤولية كما سنوضح لاحقًا.

يجب أن يكون الضرر محقق الوقوع، أي أنه ضرر مؤكد سواء كان موجودًا بالفعل في اللحظة الحالية أو كان متوقعاً في المستقبل إذا كان وجوده مؤكدًا ولكن تأخر حدوثه. يجب أن يؤثر الضرر على حق أو مصلحة مالية مشروعة يحميها القانون. وليس من الضروري أن يكون الضرر مباشرًا، فالضرر البيئي بطبيعته يعتبر غير مباشر ولا يرتبط بشكل مباشر بالفعل، حيث تتداخل عدة عوامل بين الفعل ونتائجه، وأهمها التقدم التكنولوجي. يجب أن نلاحظ أن الضرر هنا لا يصيب فردًا معينًا، بل هو ضرر جماعي، حيث أن الأنشطة التي تؤدي إلى تلوث بيئي غالبًا ما تكون عامة، مما يصعب القول بأنها تضر أحد الأشخاص دون الآخرين(٣٣).

المبحث الثالث

نتائج مسؤولية الإدارة عن انتهاك حق الإنسان في الحصول على بيئة صحية

في العصر الحديث، هناك توجه لتوسيع المسؤولية لتشمل أكبر عدد ممكن من الأضرار. كما ذكرنا سابقاً، بدأ يظهر مبدأ المسؤولية الموضوعية، سواء كانت قائمة على الخطأ أو لا، فإن نتيجة ذلك هي حق المتضرر في

الحصول على تعويض. فالتعويض هو التأثير الذي ينجم عن تحقق المسؤولية، وعندما يحدث ذلك، يحق للمتضرر أن يرفع دعوى للمطالبة بالتعويض(٣٤).

من جانب آخر، هناك مبدأ جديد يتعلق بالتعويض عن الأضرار البيئية، وهو مبدأ الملوث يتحمل المسؤولية. من الضروري تناول هذا المبدأ لفهم جميع آثار المسؤولية عن انتهاك الحق في الحصول على بيئة صحية، وذلك وفقاً للتفاصيل التالية:

المطلب الأول: مبدأ الملوث يتحمل مسؤولية التلوث البيئي

بسبب المخاطر والأضرار التي تؤثر على البيئة، وحرصاً على تحميل الملوثين تكاليف إصلاح التلوث الذي يتسببون فيه، ظهر مبدأ الملوث يتحمل المسؤولية، والذي يعد أساسياً في قوانين البيئة على المستويين الوطني والدولي. هذا المبدأ يحدد من يتحمل مسؤولية التلوث. لقد أظهر التطبيق العملي أن قواعد المسؤولية المتعلقة بمنع التلوث غير مناسبة لحل المشكلات البيئية المعقدة مثل استنزاف الموارد والتعامل مع آثار الأنشطة الاقتصادية الحديثة، مما يؤثر على حق الإنسان في بيئة صحية. ولذلك، فإن النظام القانوني يحتاج إلى تجديد وإعادة تقييم لبناء نظام قانوني شامل لتحديد المسؤولية عن أسباب وآثار التلوث(٣٥).

كانت منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية أول جهة دولية تقر هذا المبدأ، حيث اعتمدت على فكرة أن الملوث يجب أن يتحمل النفقات المتعلقة باتخاذ تدابير لمنع ومكافحة التلوث، وذلك لضمان بقاء البيئة في حالة جيدة. كما يجب أن تعكس تكلفة السلع والخدمات الناتجة عن التلوث في الإنتاج والاستهلاك. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي ألا تكون هذه التدابير مدعومة بشكل يؤدي إلى اضطرابات في التجارة والمنافسة الدولية. أما القانون الفرنسي، فقد عرف هذا المبدأ في قانون بارني الصادر في ٢ فبراير ١٩٩٥، بحيث يتضمن أن الملوث يتحمل التكاليف الناجمة عن تدابير الرقابة والتقليل من التلوث(٣٦).

على الصعيد الفقهي، يُفسر المبدأ بأخذ تكلفة الموارد البيئية في الاعتبار عند تحديد أسعار السلع أو الخدمات المعروضة في السوق فإسقاط نفايات ملوثة في الهواء أو المياه أو التربة هو شكل من أشكال استخدام هذه الموارد في عملية الإنتاج. لذا، يجب أن يتم احتساب استخدام هذه الموارد الطبيعية ضمن تكلفة المنتج أو الخدمة. الاستخدام المجاني لهذه الموارد البيئية يمكن أن يؤدي إلى إسرافها، ويرى الاقتصاديون أن انحدار البيئة يعود إلى استخدام الموارد البيئية بلا مقابل. بمعنى آخر، يتحمل الملوث التكلفة الاجتماعية الناجمة عن التلوث الذي يتسبب فيه، مما يفرض عليه المسؤولية عن الأضرار البيئية، ليس فقط بالنسبة للممتلكات والأفراد، ولكن أيضاً للبيئة الطبيعية. يمتلك مبدأ الملوث يتحمل مجموعة من الخصائص والمميزات، وأهمها:

١. يسهم في تحقيق كفاءة اقتصادية، حيث يجب أن تعكس الأسعار التكاليف الحقيقية للتلوث.
٢. يعزز من الحوافز للحد من الإنتاج الملوث للبيئة.
٣. يحقق العدالة، إذ يجب أن يتحمل المسبب للتلوث تكاليف ما يسببه من أضرار.
٤. يعتبر مبدأً اقتصادياً، مما يجعله كافياً لوضع سياسات اقتصادية لمكافحة وتخفيض التلوث البيئي.
٥. يساهم تطبيقه للدولة في توفير دخل مهم يساعد في تمويل النفقات العامة المخصصة لحماية البيئة.
٦. تعكس تكاليف مكافحة التلوث في أسعار المنتجات والخدمات الناتجة عن التلوث(٣٧).

تساهم هذه التكاليف في تجنب حدوث مشاكل في التجارة والاستثمارات الدولية. كانت متطلبات حماية البيئة ولا تزال أكبر من بعض المفاهيم الخاطئة وغير الدقيقة حول كيفية معالجة الملوثات، مثل الرأي القائل بأن تشديد القوانين عبر الأوامر والنواهي أو التوقف الكامل عن الأنشطة الملوثة هي أفضل وسيلة للحماية. فعملية التطور مستمرة ولا يمكن إيقافها، لذا يتفق الفقهاء على أن مبدأ «الملوث يدفع» يعني أن الملوث يجب أن يتحمل تكاليف الأضرار البيئية الناتجة عن أنشطته. ومع ذلك، هذا المبدأ ما هو إلا إعادة صياغة لمبدأ تقليدي معروف

ينص على أن أي شخص يتسبب بخطأه في ضرر للآخرين يجب أن يعوض عنه. هذا المبدأ لا يمنع التلوث، لكنه يهدف إلى تصحيح الوضع بعد حدوثه(٣٨).

إلزام الملوث بدفع تكلفة تقليل الأضرار الناتجة عن أنشطته السلبية سيدفعه إلى استخدام أساليب إنتاج أقل تلويثًا، طالما أن ذلك يكون أقل كلفة بالنسبة له، أو طواعية عندما يصبح واعيًا لدوره في حماية البيئة.

يعتقد الفقيه الفرنسي دوجي أن مبدأ «الملوث يدفع» يعد أساسًا صحيحًا لتأسيس المسؤولية عن الضرر البيئي. كما يعتقد البعض أن هذا المبدأ يمثل طرحًا جديدًا للمسؤولية المدنية مع بعض الملاحظات، حيث إنه يختلف عن ما هو متعارف عليه في القواعد العامة، فهو مسؤولية اجتماعية تتطلب من الملوث تحمل التكلفة الاجتماعية للأضرار البيئية التي تسبب فيها. لذلك، يعتبر مبدأ «الملوث يدفع» طريقة جديدة تتماشى مع طبيعة الأضرار التي تلحق بالبيئة، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، فهو المبدأ الوحيد الذي يغطي الضرر بمفهومه الفني المعروف بـ «الضرر الخاص(٣٩).

ينسب بعض الفقه إلى فكرة «من يلوث يدفع» دوراً في تحسين قواعد المسؤولية عن الأضرار الناتجة عن التلوث. هذا المبدأ يسهل على المتضررين ويجنبهم التعقيدات القانونية والفنية المرتبطة بالحصول على تعويض كافٍ ومناسب عن الأضرار الناتجة عن التلوث. ومع ذلك، نرى أن العلاقة بين مبدأ «من يلوث يدفع» ومبدأ المسؤولية لا تزال غير واضحة، خاصة عند تحديد من يجب عليه دفع التعويض. كما لاحظنا، لا يشير هذا المبدأ إلى المسؤول بقدر ما يشير إلى الشخص الملوث. تحديد هوية الملوث يساعد على تسهيل تطبيق هذا المبدأ من خلال الكشف عن الشخص الذي يتحمل مسؤولية الدفع، وعادة ما يكون كل من يسهم في التلوث. هذا يفتح المجال لعدد من الاحتمالات بسبب تنوع الفاعلين الذين يهددون البيئة، والذين قد يساهمون بتصرفاتهم، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، حسب مواقعهم بين المشرف على النشاط، والمراقب، والمستفيد من التلوث بشكل مباشر أو بتفويض. ومن أبرز هؤلاء الفاعلين هي الدولة التي تعتبر مساهماً تقليدياً في التلوث، بالإضافة إلى الفاعلين من غير الدولة، مثل الأفراد والكيانات القانونية، أي كل من يمتلك أو يدير نشاطًا أو يستخدم أرضًا أو بناية أو أدوات تصدر عنها مواد ملوثة(٤٠).

بمعنى آخر، فإن اعتبار هذا المبدأ كأساس للمسؤولية يتطلب تحديد المسؤول، وهو أمر في غاية الصعوبة، لأن التلوث يحدث غالبًا نتيجة سلسلة من المتسببين، مما يؤدي إلى تداخل المسؤوليات. علاوة على ذلك، فإن قضايا المسؤولية لا تُطرح إلا عندما يكون هناك نزاع أمام المحاكم لإثبات المسؤولية والحكم بالتعويض من قبل القاضي المختص. بينما تطبيق مبدأ «من يلوث يدفع» لا يحتاج إلى متابعة قانونية، بل تعود مسؤولية المتابعة إلى السلطات الإدارية التي تراقب الملوث وتفرض عليه غرامات مالية.

ومع ذلك، فإن كل هذه الملاحظات لا تنفي أن مبدأ «من يلوث يدفع» هو مبدأ قانوني مهم في قانون البيئة، وقد يشكل نوعاً من المسؤولية الموضوعية كأساس للمسؤولية عن الأضرار البيئية. ولكنه يأتي بصيغة جديدة تختلف عن الأسس المعمول بها في المسؤولية المدنية، سواء بشكلها التقليدي أو الحديث. في الواقع، نظام المسؤولية المدنية وفقًا لمبدأ الملوث الدافع يستجيب للمخاوف الناتجة عن زيادة الأخطار، حيث يتماشى في معالجة الأضرار البيئية مع المسؤولية على أساس المخاطر، مما يمثل استمراراً للجهود المبذولة لتسهيل الأمور على الضحية التي لا تملك القدرة على إثبات الخطأ(٤١).

المطلب الثاني: التعويض

إذا توفرت شروط المسؤولية المذكورة سابقاً، سواء كانت تعتمد على وجود خطأ أم لا، وحصل الضرر البيئي، فإن الشخص المتسبب في الضرر يجب أن يلتزم بإصلاح الأضرار عن طريق التعويض، الذي هو النتيجة التي تترتب على تحقق المسؤولية. إذا حدث ذلك، فإن للمتضرر الحق في تقديم دعوى للمطالبة بالتعويض. التعويض

هو جوهر المسؤولية ووظيفتها وأحد أهم أهدافها، وهو البديل المتاح لإزالة آثار المخالفة، عندما يكون من المستحيل محو الضرر الناتج عنها، ولذلك يؤخذ من مال المخالف بقدر يعيد تنظيم الأمور. كما يعد نظامًا إصلاحيًا للبيئة لأنه يعيد الوضع إلى ما كان عليه قبل وقوع الضرر، وهذا يتناسب مع طبيعة الأضرار البيئية البحتة(٤٢).

من خلال التعويض، يتم استعادة التوازن الذي تضرر بسبب الأذى، حيث يعاد الشخص المتضرر إلى الحالة التي كان من المفترض أن يكون عليها، وذلك على حساب الشخص المسؤول عن التعويض. بما أن الأذى يكون نتيجة انتهاك حق أو مصلحة الشخص المتضرر، فإن التعويض يعني إزالة آثار هذا الانتهاك. إلى جانب معاقبة الشخص المخطئ، يسهم التعويض في إعادة تنظيم النظام الاجتماعي ومنع السلوكيات غير المقبولة، لأنه يؤثر على سلوك الأفراد لتحسينه ودفعهم نحو السلوك الصحيح وفقاً للمفاهيم الاجتماعية السائدة. بعبارة أخرى، يأخذ التعويض العيني في الأنشطة البيئية نمطين: الأول هو إرجاع الوضع كما كان قبل حدوث الأذى بالنسبة للبيئة أو الشخص الآخر المتضرر، والثاني هو إيقاف الأنشطة الضارة المسؤولة عن التلوث ومنعها في المستقبل. نظرًا لطبيعة الأضرار البيئية، فإن إرجاع الوضع كما كان قبل حدوث الأذى يصبح أمرًا صعبًا. وتعتمد صعوبة هذا التعويض بشكل عام على الجرائم البيئية، لأن قضايا الاعتداء على البيئة تتسم بالتعقيد، خصوصًا عندما يكون هناك مصادر متعددة للتلوث. وبالتالي، يلجأ القاضي غالبًا إلى التعويض النقدي، وهو نوع معروف من التعويض وفقًا للقواعد العامة. التعويض النقدي يعني منح المتضررين مبلغا من المال نتيجة الأذى الذي وقع عليهم، ويكون ذلك بموجب حكم قضائي. يشمل هذا التعويض الأضرار التي تعرض لها الشخص من النواحي المادية أو الجسدية، كما يمتد ليشمل التعويض عن الأضرار التي تلحق بالممتلكات(٤٣).

يُمكن أن يتم الدفع دفعة واحدة أو على أقساط، أو كدخل منتظم، أو يوفر الشخص المسؤول تأمينًا كما نصت المادة ٢٠٩ من القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١، حيث تحدد المحكمة طريقة التعويض بناءً على الظروف، حيث يمكن أن يكون على شكل أقساط أو دخل منتظم، ويمكن في هذه الحالة أيضًا إلزام المدين بتقديم تأمين.

هذا يعني أن التعويض يتم قياسه بناءً على مدى الأذى المباشر الذي تعرض له الشخص، سواء كان التعويض عينيًا أو نقديًا. عند تقدير الأذى المباشر، يتم الأخذ بعين الاعتبار خسارة الشخص والفوائد التي فقدها. لا تُعتبر صفة الأذى، سواء كان متوقعًا أو غير متوقع، ذات أهمية في تقدير التعويض. في حالات المسؤولية التقصيرية، يشمل التعويض جميع الأضرار، سواء كانت متوقعة أو غير متوقعة(٤٤).

الخاتمة

اولا : النتائج

١. يعتبر حق الإنسان في الحصول على بيئة صحية ليس مجرد حق فحسب، بل هو أيضاً قيمة مهمة للمجتمع. لذا، يجب على النظام القانوني العمل على حمايته، لأن هذا الحق يتضمن جوانب عديدة تشمل الفرد والبيئة التي يعيش فيها. أصبح هذا الحق يجب احترامه في القوانين المحلية، وبدأت العديد من الدول تتضمنه في دساتيرها وقوانينها لحمايته من الاعتداءات الممكنة. وازداد الاعتراف به كجزء من حقوق الجيل الثالث من حقوق الإنسان، والتي تُعرف بحقوق التضامن.

٢. أن الباحثين لم يتفقوا على تعريف محدد لهذا الحق في بيئة صحية؛ فهناك أفكار مختلفة وكثيرة عنه، حيث يعتبر مفهوماً معقداً وغير واضح من حيث مبادئه ودراسته القانونية، كما أنه مائع وغير محدد في عناصره وخصائصه،

سواء في ما يتعلق بمفهوم البيئة نفسها أو من له الحق في الحماية، سواء كانت البيئة أو الإنسان.

٣. يتصل حق الإنسان في بيئة صحية بشكل وثيق ببقية حقوق الإنسان الأخرى. هذه العلاقة تعطي معنى أعمق لبقية حقوق الإنسان وتمكنها من التأثير المتبادل. علاوة على ذلك، فإن هذا الحق لا يتعلق فقط بالجيل الحالي، بل يشمل أيضاً حق الأجيال القادمة في العيش في بيئة صحية، ما يجعل الحفاظ على الطبيعة أمراً ضرورياً من أجل المستقبل.

٤. لذلك، يجب على الدول والمنظمات الدولية والأفراد العمل على التوفيق بين تطورات التكنولوجيا الحديثة وما تتطلبه من قيود، والعمل على ضمان تمتع الإنسان ببيئة صحية من خلال حماية البيئة من التلوث.

٥. تعتبر الدولة مسبباً رئيسياً لتلوث البيئة، وذلك بسبب قدرتها على إنتاج العديد من الملوثات. ولهذا السبب، يجب عليها التعويض عن الأضرار التي تلحقها بالأفراد نتيجة انتهاك القوانين المتعلقة بحماية البيئة، سواء كان ذلك عمدًا أو بشكل غير مقصود. وتكون المعاملة هنا مشابهة لمعاملة الأفراد العاديين، لكن الصعوبة تكمن في تحديد المسؤولية عن الخطأ وكذلك كيف يمكن إلزام الدولة بالتعويض.

٦. تكون الإدارة مسؤولة عن الأضرار التي تلحقها بالأفراد بسبب انتهاك حقهم في بيئة صحية، إما بسبب ارتكاب خطأ، حيث يمكن إثبات الضرر المتسبب عن هذا الخطأ وبالتالي تكون ملزمة بالتعويض. يمكن أيضاً أن تكون الإدارة مسؤولة في حالة حدوث ضرر للشخص دون أن يكون هناك خطأ، مما يعني أنها تُطالب بالتعويض حتى بدون إثبات الخطأ، وكل ما يتطلبه الأمر هو حدوث الضرر. كما تتحمل الإدارة مسؤولية فيما يتعلق بالأشياء الخطرة التي تحت حراستها، حيث يُطلب منها التعويض إذا سببت تلك الأشياء ضرراً للآخرين.

٧. لا يمكن تجاهل الأهمية الكبيرة لمبدأ «الملوث يدفع»، من النواحي المالية والاقتصادية، خاصة في توفير مصادر مالية لحماية البيئة. ومع ذلك، يعاني هذا المبدأ من بعض الغموض في تحديد المسؤول الحقيقي عن التلوث، وذلك بسبب وجود عدة مسببات للتلوث، والوقت الطويل الذي قد يستغرقه ظهور آثار التلوث. رغم ذلك، يعتبر هذا المبدأ وسيلة فعالة للتعويض عن الأضرار البيئية دون الحاجة للجوء إلى القضاء.

ثانياً: التوصيات

١. يعد الإنسان العامل الأساسي في الحفاظ على البيئة، لذلك يجب العمل على تغيير سلوكه بطرق تساعد في حماية البيئة. يمكن ذلك من خلال تنظيم ورش عمل تهدف إلى توعية الناس بحقهم في الحصول على بيئة نظيفة وصحية. كما يمكن توزيع منشورات تهدف إلى توعية الأفراد بكيفية الاهتمام بالبيئة ومنع التلوث. يجب أن نحرص على الحفاظ على المياه، والتربة، والهواء، والحفاظ على الغابات والنباتات، لضمان جودة هواء الكائنات الحية بما فيها البشر. يمكن أن تصبح مسألة حماية البيئة ثقافة عامة ومبدأ يتربى عليه الأجيال في المنزل، ورياض الأطفال، والمدارس، والجامعات.

٢. لقد بذل المشرعين جهوداً كبيرة في سن قوانين تهدف إلى خلق بيئة نظيفة، مع الأخذ بعين الاعتبار التطور الاقتصادي والتكنولوجي. ومع ذلك، تواجه هذه القوانين تحديات كبيرة عند تطبيقها على أرض الواقع، مثل مشكلات فرض الغرامات. نرى أنه لو تم تطبيق الغرامات بشكل فعّال ودون تهاون تجاه أي شخص يسبب التلوث، لما عانت البيئة من تلوث. ينبغي فرض غرامات مالية كبيرة على الأشخاص الذين يلقي النفايات في أماكن غير مخصصة، وكذلك على المؤسسات العامة والخاصة التي تسبب تلوث المياه والهواء. يجب أن تكون التشريعات ليست فقط تعبيراً عن النصوص الدولية، بل أن تتماشى مع آليات تنفيذ هذه الاتفاقيات على المستوى الدولي، وأن تعتمد أساليب فعالة تعزز ثقافة حماية البيئة وتلزم الأفراد والادارة بالالتزام بها لان الادارة

تتحمل المسؤولية الى جانب الافراد.

٣. عند مقارنة التشريعات القانونية العراقية بالتشريعات في الأنظمة القانونية الدولية والأجنبية والعربية، نجد أن العراق لم يبتعد كثيراً في النصوص القانونية التي تعرف التلوث وأنواعه ووسائل مكافحته, لكن لم تحقق تلك التشريعات نفس المستوى من النجاح في معالجة التلوث أو في فعاليتها، بالإضافة إلى تقصير المؤسسات الحكومية المعنية في التأكيد على تطبيق هذه النصوص وفرض العقوبات المناسبة.

٤. نوصي الادارة باتباع الطرق التكنلوجية الحديثة في الحفاظ على البيئة وتحقيق حق الانسان في الحصول على بيئة نظيفة وعدم انتهاك حقة بذلك لما له من اهمية كبيرة .

الهوامش:

١. د. حمدي عبد الرحمن، فكرة الحق، دار الفكر العربي، بلا مكان نشر ١٩٧٩ ، ص ٨.

٢. د. عبد الهادي فوزي العوضي النظرية العامة للحق، دار النهضة العربية، القاهرة ، ٢٠٠٦,ص ٢٣.

٣. د. صالح محمد محمود بدر الدين الالتزام الدولي بحماية البيئة من التلوث على ضوء قواعد القانون الدولي للبيئة وقرارات وتوصيات المنظمات الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة ٢٠٠٦, ص ١٦.

٤. د. داوود عبد الرزاق الباز الاساس الدستوري لحماية البيئة من التلوث دراسة تحليلية في اطار المفهوم القانوني للبيئة والتلوث دار الفكر الجامعي الاسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٢٨ ص ٢٩.

٥. د. صالح محمد محمود بدر الدين مصدر سابق، ص ١٨.

٦. د. داوود عبد الرزاق الباز، مصدر سابق، ص ٣٦.

٧. حارث حازم أيوب، فراس عباس فاضل البياتي التلوث البيئي معوقاً للتنمية ومهددا للسكان بحث منشور على الموقع الالكتروني:

٨. http://www.mracpc.uobaghdad.edu.iq/uploads/Magazen/AI%٢٠PDF%٢٠Adad%٢٠٣/١٤.pdf

٩. طاوسي فاطنة الحق في البيئة السليمة في التشريع الدولي والوطني رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠١١-٢٠١٥، ص ١٤، منشورة على الموقع الالكتروني:

١٠. http://bu.univ-ouargla-dz/Taoussi-fatna.pdf?idthese=٤٩٥٠ طاوسي فاطنة مصدر سابق، ص ١٥.

١١. المصدر السابق، ص ١٥.

١٢. رائف محمد لبيت الحماية الاجرائية للبيئة رسالة ماجستير كلية الحقوق جامعة المنوفية (مصر) ٢٠٠٨ ص ٢ منشورة على الموقع الالكتروني:

١٣. rar.faculty.ksu.edu.sa/shaimaaatalla/Documents/doctor/env١

١٤. د. سيد محمدين حقوق الإنسان واستراتيجيات حماية البيئة دراسات عربية في الحماية التشريعية والامنية للبيئة الطبيعية الوكالة العربية للصحافة والنشر والاعلان القاهرة، ٢٠٠٦ ص ٤٠ – ص ٤١٠

١٥. د. هدى حامد قشقوش التلوث بالإشعاع النووي في نطاق القانون الجنائي، دار النهضة العربية القاهرة بلا سنة نشر، ص. ١٠٠

١٦. عبد الهادي يحيى الصانع أروى شاذل طاقة التلوث البيئي جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠٠٢، ص ٢٩٨

١٧. المادة (٢/٧) من قانون حماية وتحسين البيئة رقم (٢٧) لسنة ٢٠٠٩.

١٨. د. صالح محمد محمود بدر الدين مصدر سابق، ص ٢٧

١٩. والايكولوجيا مفهوم حديث نسبياً مشتق اصلاً من اللفظ اليوناني Oikos الذي يعني منزلاً أو مكاناً تعيش به. وفي مطلع القرن العشرين انتقل هذا المفهوم الى العلوم الاجتماعية حيث توسع نطاق الدراسات الايكولوجية في مجال العلاقات الإنسانية ليشمل موضوعات وحقول معرفية عديدة كالجغرافية وعلم الاجتماع والديموغرافيا وعلم النفس والانثروبولوجيا والاقتصاد. أنظر حارث حازم.

٢٠. أيوب، فراس عباس فاضل البياتي، مصدر سابق،ص٥٨.

٢١. أزهار جابر، تلوث الهواء والماء انواعه مصادره، آثاره، بحث منشور على الموقع الالكتروني www.uobabylon-do-١٠-edu.iq/publications/humanlities-ed٥

٢٢. د. صالح محمد محمود بدر الدين مصدر سابق، ص ٢٨٠

٢٣. المصدر السابق، ص ٢٨ – ٢٩

٢٤. المصدر السابق، ص ١١

٢٥. غلا سامح لطفي غيدان، سلطة الادارة في حماية البيئة من التلوث في القانون العراقي دراسة مقارنة رسالة ماجستير، كلية القانون جامعة بغداد، ٢٠١٤ ، ص ٣٢.

٢٦. Cunningham, W. P., Cunningham, A. M. and Sagio, B. W. Environment science (A Global Concern), Ninth Edition, ٢٠٠٧, p٦٢٠.

٢٧. حارث حازم أيوب فراس عباس فاضل البياتي مصدر سابق.

٢٨. حارث حازم ايوب فراس عباس فاضل البياتي المصدر السابق.

٢٩. ازهار جابر مصدر سابق . ص٥٢.

٣٠. غلا سامح لطفي غيدان، مصدر سابق، ص ٣٢

٣١. حارث حازم أيوب فراس عباس فاضل البياتي، مصدر سابق.

٣٢. محمد عبد الله المكان، حماية البيئة دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون الكويتي رسالة ماستر، منشورة على الموقع الالكتروني http://www.meu.edu.jo/ar/images

٣٤. حارث حازم ايوب فراس عباس فاضل البياتي، مصدر سابق، ص. ٢٥٢

٣٥. هالة صلاح ياسين الحديثي المسؤولية المدنية الناجمة عن تلوث البيئة – دراسة تحليلية تطبيقية، ط١، دار جهينة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣، ص ٥٤.

٣٦. سمير حامد الجمال الحماية القانونية للبيئة، دار النهضة العربية القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٢٨١ (٢٠) نبيلة إسماعيل رسلان المسؤولية عن الأضرار البيئية، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٧، ص ١٥٧

٣٧. عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، نظرية الالتزام بوجه العام، مصادر الالتزام، ج ١، دار أحياء التراث العربي، بيروت ، ١٩٦٤، ص ٣٠٣. (٢٢) أي العلاقة السببية بين الخطأ والضرر معناها أن توجد علاقة مباشرة ما بين الخطأ الذي ارتكبه المسؤول والضرر الذي أصاب المتضرر، فيجب أن يكون هنالك فعل ضار صادر اصابه بضرر، وأن يكون الفعل هو السبب في وقوع هذا الضرر .

٣٨. هالة صلاح ياسين الحديثي، مصدر سابق، ص ١٠٣.

٣٩. مصطفى ابو زيد فهمي القضاء الاداري ومجلس الدولة، ط٣، بدون دار نشر، ١٩٦٦، ص ٩١٣.

٤٠. علي حسون طه الوجيز في النظرية العامة للالتزام مصادر الالتزام، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧١، ص ٣٧٧ (٢٥) سليمان محمد الطماوي، القضاء الإداري ورقابته الأعمال الإدارة، ط٣، دار الفكر العربي القاهرة، ١٩٦١، ص ٩٠١. (

٤١. المادة (٢٢٠) من القانون المدني العراقي رقم ١٠ لسنة ١٩٥١ المعدل.

٤٢. محمد عبد الحميد ابو زيد القضاء الاداري – ولايتا الإلغاء والتعويض، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٢٧٠

وما بعدها.

٤٣. هالة صلاح ياسين الحديثي، مصدر سابق، ص ٧٥ وما بعدها.

٤٤. حميدة جميلة، النظام القانوني للضرر البيئي وآليات تعويضه، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١، ص ٧٦.

٤٥. شنوف فيروز أثر مبدأ الملوث يدفع على تطوير نظام المسؤولية المدنية مجلة البحوث العلمية في التشريعات البيئية، المجلد ٢٤٥ ٢٠١٨، ص ٤٢٦

٤٦. مصطفى العوجي، القانون المدني، ج ٢، المسؤولية المدنية، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، بيروت، ص ١٤٠ (٣٢) انور احمد رسلان، وسيط القضاء الإداري دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٧٤١.

٤٧. بن شنوف فيروز، مصدر سابق، ص ٤٣٤.

٤٨. ماجد راغب الحلو، مصدر سابق، ص ١٤٣.

٤٩. حسن علي ذنون مصدر سابق، ص ٢٢٥

٥٠. عبد الرزاق السنهوري، مصدر سابق، ص ٨٥٨.

٥١. قدي عبد المجيد عوائق وفرص تطبيق مبدأ الملوث يدفع مجلة الاقتصاد الجديد، ع١٣، المجلد ٢، ٢٠١٥، ص ٦.

المصادر والمراجع:

اولا: الكتب:

١. د. احمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة مكافحة التلوث – تنمية الموارد الطبيعية، دار النهضة العربية القاهرة، ٢٠٠٢-٢٠٠٣٠

٢. د. حمدي عبد الرحمن، فكرة الحق، دار الفكر العربي بلا مكان نشر ١٩٧٩

٣. د. داوود عبد الرزاق الباز الاساس الدستوري لحماية البيئة من التلوث دراسة تحليلية في اطار المفهوم القانوني للبيئة والتلوث)، دار الفكر الجامعي الاسكندرية، ٢٠٠٦ .

٤. د. صالح محمد محمود بدر الدين الالتزام الدولي بحماية البيئة من التلوث على ضوء قواعد القانون الدولي للبيئة وقرارات وتوصيات المنظمات الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة ٢٠٠٦٠

٥. د. عادل عبد العال خراشي جريمة التلوث الضوضائي ومواقف الفقه الاسلامي منها المركز القومي للإصدارات القانونية، بلا مكان نشر، ١٥، ٢٠٠٨

٦. د. عبد الهادي فوزي العوضي النظرية العامة للحق، دار النهضة العربية القاهرة ٢٠٠٢

٧. د. سيد محمدين حقوق الإنسان واستراتيجيات حماية البيئة دراسات عربية في الحماية التشريعية والامنية للبيئة الطبيعية، الوكالة العربية للصحافة والنشر والاعلان القاهرة ٢٠٠٦.

٨. عبد الهادي يحيى الصانع أروى شاذل طاقة التلوث البيئي جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠٠٢

٩. حسن محمد بدير، مظاهر لتلوث مياه الخليج العربي بالنفط، مركز علوم البحار، جامعة البصرة . ١٩٨٤

١٠. د. هدى حامد قشقوش التلوث بالإشعاع النووي في نطاق القانون الجنائي، دار النهضة العربية القاهرة بلا سنة نشر.

ثانياً: الرسائل والاطاريح

١١. رائف محمد لبيت الحماية الاجرائية للبيئة رسالة ماجستير كلية الحقوق جامعة المنوفية (مصر)، ٢٠٠٨، منشورة على الموقع الالكتروني: rar.faculty.ksu.edu.sa/shaimaaatalla/Documents/doctor/env١

١٢. طاوسي فاطنة الحق في البيئة السليمة في التشريع الدولي والوطني رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠١٤-٢٠١٥، منشورة على الموقع https://bu.univ-ouargla.dz/Taoussi_Fatna.pdf?idthese=٤٩٥٠ :الالكتروني

١٣. علا سامح لطفي غيدان، سلطة الادارة في حماية البيئة من التلوث في القانون العراقي (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير،

كلية القانون، جامعة بغداد، ٢٠١٤

١٤. قانة يحيى الجهود الدولية لحماية البيئة البحرية اثناء النزاعات المسلحة، رسالة ماجستير كلية الحقوق، جامعة قسنطينة، ٢٠١٢-٢٠١٣، منشورة على الموقع الالكتروني:

pdf.http://bu.umc.edu.dz/theses/droit/AGUA٤٠٠٤ .

ثالثا: البحوث والمقالات

١٥. ايمن عبد اللطيف كويس الربيعي دراسة بيئية ومورفولوجية لأهوار جنوب العراق ، مركز علوم البحار مجامعة البصرة، بحث منشور على الموقع الالكتروني:

١٦. ٤٩٨٧٧-http://www.iasj.net/iasj?func-fulltext&ald

١٧. بن قري سفيان النظام القانوني لحماية البيئة في الجزائر، مذكرة تخرج لنيل اجازة المدرسة الوطنية للقضاء، منشورة على الموقع الإلكتروني: ٢٣٣٤٦٢=http://www.dieelf.infolvb/showthread.php?t

١٨. جوزيف ناجي التلوث البحري، ج ١، مقال منشور على الموقع الالكتروني: http://www.gafrd.org/ ٢٨٦١٦٧/posts

١٩. غزالي نصيرة، الجزاءات الادارية الوقائية لحماية البيئة في التشريع الجزائري، بحث منشور على :الموقع الالكتروني ://:http www-droitetentre prise.org/web

٢٠. علاء نافع كطافة دور الجزاءات الادارية في حماية البيئة دراسة قانونية مقارنة بحث منشور على الموقع الالكتروني ://:http www.uokafu.edu/iq/journas/indox

٢١. حارث حازم أيوب فراس عباس فاضل البياتي التلوث البيئي معوقاً للتنمية ومهددا للسكان بحث منشور على الموقع الالكتروني:

٢٢. ٢٪.٢٠PDF/AI٪http://www.mracpc.uobaghdad.edu.iq/uploads/Magazen

٢٣. pdf.١٤/٢٠٣٪٠Aad

٢٤. أزهار جابر، تلوث الهواء والماء انواعه مصادره آثاره، بحث منشور على الموقع الالكتروني: www.uobabylon-do-١٠-edu.iq/publications/humanlities-ed٥

رابعا: القوانين والانظمة والتعليمات

٢٥. قانون منع تلويث المياه الصالحة للملاحة بالزيت الكويتي رقم ٢١ لسنة ١٩٦٤.

٢٦. قانون منع الضوضاء العراقي رقم (٢١) لسنة ١٩٦٦

٢٧. قانون حماية الحيوانات والطيور البرية العراقي رقم (٢١) لسنة ١٩٧٩

٢٨. قانون الوقاية من الأشعة المؤينة العراقي رقم (٩٩) لسنة ١٩٨٠

٢٩. قانون وزارة البيئة لإقليم كردستان – العراق رقم (١٠) لسنة ٢٠٠٦.

٣٠. قانون وزارة الموارد المائية العراقي رقم (٥٠) لسنة ٢٠٠٨.

٣١. قانون حماية وتحسين البيئة العراقي رقم (٢٧) لعام ٢٠٠٩

٣٢. قانون مكافحة التدخين العراقي رقم (١٩) لسنة ٢٠١٢

٣٣. نظام الحفاظ على الموارد المائية رقم (٢) لسنة ٢٠٠١.

٣٤. نظام حماية الهواء المحيط من التلوث رقم (٤) لسنة ٢٠١٢.

٣٥. تعليمات الوقاية من الاشعة غير المؤينة الصادرة عن الهاتف المحمول، جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٢٥٧، ٥/٧/٢٠١٠

٣٦. أمر سلطة الائتلاف المؤقتة رقم ٧٢ لسنة ٢٠٠٤.

الاشارات التفسيرية عند السيد الطباطبائي في تفسيره كتاب الميزان في تفسير القرآن دراسة وصفية

م. علاء جبار كريم جبر
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة واسط
م. م سارة أياد ياسين جابر
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة ميسان

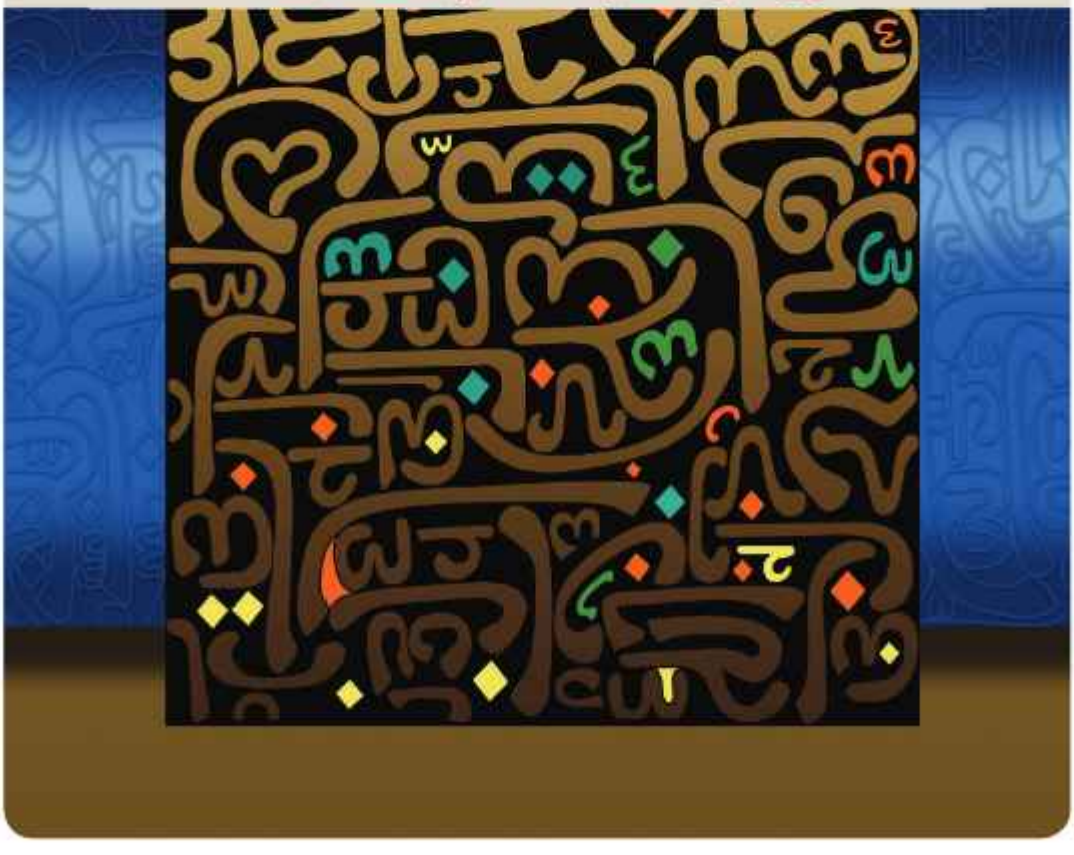

المستخلص:
يُعد علم التفسير من أشرف العلوم الشرعية ، لما فيه من خدمة لكتاب الله تعالى وفهم معانيه وأسراره ، وقد تنوعت مناهج المفسرين واتجاهاتهم في تناول النص القرآني ، ومن بين هذه المناهج يبرز مفهوم الإشارات التفسيرية وهي اللمحات والدلالات الدقيقة التي قد لا تكون مقصودة بشكل مباشر في ظاهر النص ؛ لكنها تُستنبط بالتأمل العميق وتُضيء معاني جديدة تزيد القارئ فهماً وتدبراً .
الكلمات المفتاحية: التفسير، مناهج المفسرين، النص القرآني، الإشارات التفسيرية.

Abstract:
The science of exegesis (tafsir) is considered one of the noblest of the Islamic sciences, due to its service to the Book of God Almighty and the understanding of its meanings and secrets. The methods and approaches of Quranic commentators have varied in their treatment of the Quranic text. Among these methods, the concept of interpretive allusions stands out. These are subtle hints and indications that may not be directly intended in the apparent meaning of the text, but are deduced through contemplation. It offers profound insights and illuminates new meanings, enhancing the reader's understanding and contemplation.
Keywords: Interpretation, Methodologies of Quranic Exegesis, Quranic Text, Interpretive Signs.

المقدمة :
الحمد لله رب العالمين الذي أنزل القرآن هدى للناس وبين ما فيه من كل مثل ، والصلاة والسلام على خير من فسر كلام ربه وبيانه وسنته وعلى آله الطيبين الطاهرين .

اعتمد عدد من العلماء على مفهوم الإشارات التفسيرية لفهم أبعاد روحية ومعنوية في الآيات شرط إلا تُعارض النصوص المحكمة أوتخالف العقيدة ، ثم يأتي هذا البحث إلى تقديم دراسة وصفية للإشارات التفسيرية المتنوعة في تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي ، وذلك يهدف فهم أعمق لكتاب الله تعالى ، وتقدير الجهد العلمي الكبير الذي بذله العلامة الطباطبائي ، والذي أقوم بالسعي إليه قدر الإمكان بتحديد أنواع الإشارات التفسيرية المختلفة ، وكيفية استخدام هذه الإشارات في تفسير الميزان ، ودور الطباطبائي بتقييم هذه الإشارات في فهم معاني القرآن الكريم ، وقد تميز هذا التفسير بعمقه الفكري وشموليته ، نجده يجمع بين الدراسات اللغوية والأسلوبية والفقهية والتأريخية والفلسفية .

فاقتضى طبيعة البحث أن أقسم بحثي إلى مباحث ثلاثة يشمل المبحث الأول : لمحة موجزة عن التفسير الإشاري ، و المبحث الثاني : نظرة عامة في حياة العلامة الطباطبائي ومنهجه ، والمبحث الثالث : جهود الطباطبائي في تفسير الميزان والإشارات المتنوعة ، دراسة تفسيرية وصفية ، والخاتمة ، ثم قائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول : لمحة موجزة عن التفسير الإشاري .

المطلب الأول :

أولاً : تعريف التفسير في اللغة والاصطلاح :

قال ابن منظور: «(الفسر) البيان ، فسر الشيء يفسر بالكسر ويفسره بالضم فسرا، وفسره: أبانه ، والتفسير مثله ، ثم قال : الفسر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل»(١).

وخلاصة كلام ابن منظور أقول أن لفظ التفسير جاء بمعانٍ عَدّة منها : بمعنى (الإبانة والتوضيح والكشف والإظهار) . ، كما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ ولا يأتونك بمثل إلاّ جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾(سورة الفرقان : ٣٣) .

أما اصطلاحاً : عرّفه الزركشي:(ت : ٧٩٤ هـ) قائلاً : «هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه»(٢).

ثانياً: تعريف الإشارة لغةً واصطلاحاً .

إن لفظ الإشارة في اللغة تعني العلامة ، أو الرمز ، أو رأي ما للدلالة على أمر ما.

في اللغة : « أشِرْ، إشارةً ، فهو مُشير، والمفعول مشار إليه ، أشار إليه بيده أو نحوها: لوّح ، أومأ إليه معبّرًا عن معنى من المعاني ...»(٣).، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾(سورة مريم : ٢٩) .

أما اصطلاحاً: « وَالْإِشَارَة عبارَة عَن أَن يُشِير الْمُتَكَلّم إِلَى معَان كَثِيرَة بِكَلَام قَلِيل يشبه الْإِشَارَة بِالْيَدِ، فَإِن المشير بِيَدِهِ يُشِير دفْعَة وَاحِدَة إِلَى أَشْيَاء لَو عبر عَنْهَا لاحتاج إِلَى أَلْفَاظ كَثِيرَة وَمن أمثلتها قَوْله تَعَالَى:﴿ وَغِيضَ الْماءُ ﴾(سورة هود : ٤٤)، فانه أَشَارَ بِمَاتَيْنِ اللفظتين إِلَى انْقِطَاع مَادَّة الْمَطَر وبلع الأَرْض وَذَهَاب مَا كَانَ حَاصِلا من المَاء على وَجهَهَا من قبل»(٤).

ثالثاً: تعريف التفسير الاشاري المركب الاضافي :

هنالك تعاريف عِدّة للتفسير الإشاري سوف أكتفي بذكر تعريفين فقط .

١ـ «هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا» (٥).

٢ـ « هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظاهر المرادة»(٦).

ويرى الباحث بان التفسير الإشاري : هو أحد أنواع التفاسير القرآنية باعتماده على بحث المعاني الباطنية ، والرمزية في الآيات القرآنية الكريمة فيكون إشارة كلامه تدور حول النص القرآني .

توطئة :

التفسير الإشاري أو التفسير بالإشارة : ويسمى أيضا التفسير الصوفي أو التفسير الفيضي، هو نوع من تفسير القرآن الكريم ينتمي إلى نمط مُعَيّن من الفهم، وهو فهم المعاني التي قد لا تظهر لأوّل وهلة وإنّما تحتاج لتدبُّر وتأمُّل، وهذه المعاني تكون من إشارات الآيات وتظهر لأرباب السلوك وأولي العلم، وممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، وانقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة(٧).

المطلب الثاني : شروط التفسير الإشاري :

ونستطيع القول: إن التفسير الإشاري لا يحكمه منهج معين ؛ لكن له شروطًا لابد من توافرها حتى يكون تفسيرًا مقبولاً، وهي خمسة شروط كالآتي:

١ـ ألا يتعارض مع دليل شرعي أو عقلي ، بل يكون له شاهد شرعي يؤيده.

٢ـ ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.

٣ـ يجب ألا يتنافى مع المعنى الظاهر في نظم القرآن.

٤ـ ألا يكون تأويلاً بعيدًا عن النص القرآني

٥ـ ألا يكون فيه تشويه على أفهام الناس .

وبدون هذه الشروط لا يقبل التفسير الإشاري، ويكون عند ذلك من قبيل التفسير بالهوى والرأي المنهي عنه(٨).

المطلب الثالث : آراء العلماء فيه أو حكمه

وقد وقع خلاف بين العلماء حول التفسير الإشاري: فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، ومنهم من عده من كمال الإيمان... ومنهم من اعتبره زيغًا وضلالاً وانحرافًا عن دين الله تبارك وتعالى(٩).

المطلب الرابع : أهم كتب التفسير الإشارى

(١ـ تفسير القرآن العظيم (للتسترى).

٢ـ حقائق التفسير (للسلمى).

٣ـ عرائس البيان فى حقائق القرآن (لأبى محمد الشيرازى).

٤ـ التأويلات النجمية (لنجم الدين داية، وعلاء الدولة السمنانى).

٥ـ التفسير المنسوب لابن عربى(١٠).

المبحث الثاني : نظرة عامة في حياة العلامة الطباطبائي ومنهجه .

المطلب الأول : إطلالة موجزة في حياة الطباطبائي وتفسيره الميزان .

أولاً : أ ـ اسمه ، ولادته : محمد حسين الطباطبائي بن السيد محمد بن السيد محمد حسين الميرزا علي اصغر شيخ الاسلام الطباطبائي التبريزي القاضي ولد في تبريز في التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٣٢١هـ (١١) ،. تبدأ ولادته وتنتهي بهجرته من تبريز إلى النجف الاشرف سنة ١٣٤٤هـ(١٢).

ب ـ قال عنه محمد هادي معرفة « من رجالات الفكر الإسلامي القلائل الذين انتجتهم الحياة العلمية الإسلامية في العصر الاخير»(١٣).

ج ـ مرحلة النضوج الفلسفي والعلمي : « تبدأ هذه المرحلة بهجرته من تبريز إلى النجف الإشرف سنة ١٣٤٤هـ وتنتهي بعودته من النجف إلى تبريز سنة ١٣٥٤هـ وتعتبر هذه المرحلة أخصب مرحلة تكامل فيها البعد الفلسفي والعرفاني والعلمي في شخصية الطباطبائي بعد ان احتضنته في الحوزة العلمية في النجف مجموعة من الاساتذة الكبار الذين نبغ كل واحد منهم في حقل أو أكثر من حقول التراث الإسلامي» (١٤).

د ـ آثاره العلمية منها :

١ـ أصول الفلسفة

٢ـ تعليقات على كتاب الاسفار الاربعة لصدر المتألهين الشيرازي .

٣– بداية الحكمة والفلسفة.

٤ـ والميزان في تفسير القرآن وغيرهم (١٥).

هـ ـ وفاته ومدفنه : يوم الاحد ١٨ ، من محرم سنة ١٤٠٢هـ ، في مدينة قم (١٦).

ثانياً : موقف الطباطبائي من النظريات العلمية الحديثة

موقف الطباطبائي من النظريات العلمية الحديثة في التفسير فهو يستأنس أحياناً بقسم منها لتأييد الإشارات العلمية في القرآن الكريم لها دون أن يقحم الآيات في تفسيرات علمية مادية كما حصل لبعض أصحاب هذه النزعة ومنهم الشيخ طنطاوي جوهري(١٧). ، « وعن أثر النهضة الحديثة في التفسير على الميزان نجد الطباطبائي يقترب بشكل واضح من جملة معطيات مدرسة الإمام محمد عبده في التفسير ، ومن أوجه هذه المشابهة المتوفرة في الميزان .

التخلص من الاستطرادات والاستغراقات المملة وصوارف التفسير ، وأن ما يستعين به الطباطبائي في هذه المدرسة من اللغة والإعراب والبلاغة وغيرها»(١٨).

ثالثاً : التصوير الدقيق للمسائل :

طالما نشأت الإشكالات في الفلسفة من عدم تصور المسائل الفلسفية تصوراً فيجري نزاع واسع في البحث الفلسفي ، لذلك حرص العلامة الطباطبائي على تصوير المسائل تصويراً دقيقاً وبيان المصطلحات بوضوح وربما استعان بتحديد معنى

المصطلح بالاشارة إلى المعاني المختلفة له(١٩).

المطلب الثاني : التعريف بكتاب الميزان

أولاً : منهجية الطباطبائي في تفسير الميزان :

١ـ تُعد طريقة الطباطبائي في التفسير بان يذكر الآية ثم يسوق كل ما يتصل بها من آيات مع بيان السورة والرقم لكل آية ثم يستخلص المعنى الظاهر الذي دل عليه مجموع الآيات كما لو كانت في سياق واحد لأن المفروض أن مصدر القرآن واحد وأنه يعتمد القرائن المنفصلة تماماً كالمتصلة ثم يعزز المعنى الظاهر ويدعمه بمنطق العقل إن كان من الموضوعات العقلية.

٢ـ بُعد نظره وسعة ثقافته وقوة ملكاته المتعددة المتنوعة وقد ظهر أثر ذلك جلياً في آرائه الخاصة وإن كان في بعضها مجال للنظر(٢٠).

٣ـ لقد اعتمد الطباطبائي على مصادر كثيرة في التفسير والحديث والتاريخ وغيرها .

٤ـ قام بتوزيع الآيات على مقاطع ينتظمها سياق واحد ، وقدم غرض السورة الأساسي في مفتتح تفسيره لها ونبه إلى ما تعالجه هذه المقاطع القرآنية من أغراض في بداية تفسيره لكل مقطع .

٥ـ استعان باسباب النزول باعتبارها قرائن يمكن توضيح النص القرآني .

٦ـ استعان باقوال الصحابه والتابعين رحمهم الله في تفسير بعض الآيات .

٧ـ وقف الطباطبائي من الإسرائيليات موقفاً متشدداً للغاية .

٨ـ تعرض الطباطبائي لمناقشة آراء المفسرين والترجيح بينها على أُسس كالسياق والنصوص القرآنية .

٩ـ أخذ الطباطبائي بالباطن الذي يوافق الظاهر من الآيات وحقائق الشريعة(٢١) .

ثانياً: من مزايا تفسير الميزان :

١ـ جمع بين نمطي التفسير الموضوعي والترتيبي ، فقد فسر القرآن آية فآية ، وسورة سورة ؛ لكنه إلى جنب ذلك نراه يجمع الآيات المتناسبة بعضها مع البعض .

٢ـ عنايته التامة بجانب الوحدة الموضوعية السائدة في القرآن كل سورة هي ذات هدف أو أهداف معينة هي تشكل بنيان السورة بالذات فلا تتم السورة إلا عند اكتمال الهدف الموضوعي الذي رامته السورة .

٣ـ الاستعانة بمنهج تفسير القرآن بالقرآن(٢٢)، والمقصود منها آية تفسر آية .

٤ـ ممارسته لبحوث مختلفة إضافة للبيانات القرآنية وهذه البحوث توزعت في ابواب هي البحث الروائي والاجتماعي والتاريخي والفلسفي والعلمي وقد جاءت مستقلة من دون ان تختلط مع البحوث الاخرى او تمتزج بها (٢٣).

وخلاصة القول يتضح بان هذا التفسير قد جمع بين المعنى الظاهر والمعنى الباطن للقرآن الكريم ، ومن جهة أخرى جمع بين النقل والعقل .

المبحث الثالث : جهود الطباطبائي في تفسير الميزان والإشارات المتنوعة ، دراسة تفسيرية وصفية.

القسم الأول : لمحات الطباطبائي وإشاراته في تفسيره الميزان ، والذي يشمل :

أـ إشاراته بعد عرض أقوال العلماء المتعددة ، ومن ثم التعقيب عليها سواء بضعف ، أويفند أو يرجح ومن الأمثلة التطبيقية عن الخلافات التفسيرية في كتاب الميزان في تفسير القرآن وهي :

أولاً : قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ (سورة الكهف : ١٠٢)

يبين الطباطبائي الوجوه التفسيرية والخلافات في هذه الآية الكريمة ثم يرجح بعد ما يعرض الاقوال .

ينقل لنا الطباطبائي قول صاحب مجمع البيان إذ يقول : ((معناه أ فحسب الذين جحدوا توحيد الله أن يتخذوا من دوني أربابا ينصرونهم و يدفعون عقابي عنهم و المراد بالعباد المسيح و الملائكة الذين عبدوهم من دون الله و هم براء منهم و

من كل مشرك بالله تعالى و قيل معناه أ فحسب الذين كفروا أن يتخذوا من دوني آلهة و أنا لا أغضب لنفسي عليهم و لا أعاقبهم عن ابن عباس و يدل على هذا المحذوف قوله « إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا »)(٢٤) .

وهناك وجه ثان منقول عن ابن عباس وهو أن المعنى أ فحسب الذين كفروا أن يتخذوا من دوني آلهة وأنا لا أغضب لنفسي عليهم و لا أعاقبهم.

ووجه ثالث: و هو أن «أن يتخذوا» إلخ مفعول أول لحسب بمعنى ظن و مفعوله الثاني محذوف، و التقدير أ فحسب الذين كفروا اتخاذهم عبادي من دوني أولياء نافعا لهم أو دافعا للعقاب عنهم، و الفرق بين هذا الوجه و الوجهين السابقين أن «أن» وصلته قائمة مقام المفعولين فيهما و المحذوف بعض الصلة فيهما بخلاف الوجه الثالث فأن و صلته فيه مفعول أول لحسب، و المفعول الثاني محذوف.

ووجه رابع: و هو أن يكون أن و صلته سادة مسد المفعولين و عناية الكلام متوجهة إلى إنكار كون الاتخاذ اتخاذا حقيقة على معنى أن ذلك ليس من الاتخاذ في شيء إذ الاتخاذ إنما يكون من الجانبين و المتخذون متبرئون منهم لقولهم:

﴿ سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ (سورة سبأ : ٤١)

ثم يعقب الطباطبائي بعد ذكره لهذه الآراء فيرجح القول الأول من حيث سياق العام للآية وذلك ؛ لأن سياق الآية تتحدث عن زينة الحياة وما يجري عليها من الفتن إذ يقول : والوجوه الأربعة مترتبة في الوجاهة وأوجهها أولها وسياق هذه الآيات يساعد عليه فإن هذه الآيات بل عامة آيات السورة مسوقة لبيان أنهم فتنوا بزينة الحياة الدنيا و اشتبه عليهم الأمر فاطمأنوا إلى ظاهر الأسباب فاتخذوا غيره تعالى أولياء من دونه فهم يظنون أن ولايتهم تكفيهم و تنفعهم و تدفع عنهم الضر والحال أن ما سيلقونه بعد النفخ و الجمع يناقض ذلك فالآية تنكر عليهم هذا الظن و الحسبان بعد ما كان مآل أمرهم ذلك»(٢٥).

ثانياً : قال تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ (سورة الدخان : ٣٥) .

ينقل لنا الطباطبائي في تفسير هذه الآية آراء العلماء فيقوم بسرد لنا الأقوال حيث يقول : « فقولهم: « إن هي إلا موتتنا الأولى» الضمير فيه للعاقبة و النهاية أي ليست عاقبة أمرنا و نهاية وجودنا و حياتنا إلا موتتنا الأولى فنعدم بها و لا حياة بعدها أبدا.

ووجه تقييد الموتة في الآية بالأولى، بأنه ليس بقيد احترازي إذ لا ملازمة بين الأول والآخر أو بين الأول و الثاني فمن الجائز أن يكون هناك شيء أول و لا ثاني له و لا في قباله آخر، كذا قيل.

وهناك وجه آخر ذكره الزمخشري : (ت : ٥٣٨هـ) : في الكشاف(٢٦)، فقال : فإن قلت: كان الكلام واقعا في الحياة الثانية لا في الموت فهلا قيل: إلا حياتنا الأولى و ما نحن بمنشرين كما قيل: إن هي إلا حياتنا الدنيا و ما نحن بمبعوثين، و ما معنى قوله: «إلا موتتنا الأولى»؟ و ما معنى ذكر الأولى؟ كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها و جحدوها و أثبتوا الأولى. قلت: معناه – و الله الموفق للصواب – أنهم قيل لهم: إنكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة و ذلك قوله عز و جل: «و كنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم» فقالوا: إن هي إلا موتتنا الأولى يريدون ما الموتة التي من شأنها أن تتعقبها حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية، و ما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلا للموتة الأولى خاصة فلا فرق إذا بين هذا و بين قوله: «إن هي إلا حياتنا الدنيا» في المعنى و يمكن أن يوجه بوجه ثالث و هو أن يقولوا: «إن هي إلا موتتنا الأولى» بعد ما سمعوا قوله تعالى: «قالوا ربنا أمتنا اثنتين و أحييتنا اثنتين» الآية، و قد تقدم في تفسير الآية أن الإماتة الأولى هي الموتة بعد الحياة الدنيا، و الإماتة الثانية هي التي بعد الحياة البرزخية فهم في قولهم: «إن هي إلا موتتنا الأولى» ينفون الموتة الثانية الملازمة للحياة البرزخية التي هي حياة بعد الموت فإنهم يرون موت الإنسان انعداما له و بطلانا لذاته.

ويمكن أن يوجه بوجه رابع و هو أن يرجع التقيد بالأولى إلى الحكاية دون المحكي و ذلك بأن يكون الذي قالوا إنما هو «إن هي إلا موتتنا» و يكون معنى الكلام أن هؤلاء ينفون الحياة بعد الموت و يقولون: إن هي إلا موتتنا يريدون الموتة

الأولى من الموتتين اللتين ذكرنا في قولنا: «قالوا ربنا أمتنا اثنتين» الآية.

ان سياق الآية تتحدث عالم البرزخ وما يجري فيه من حياة وموت فنجد الطباطبائي بعد ذكره لهذه الأقول فيقوم بالترجيح ، ويتبين لي من خلال كلامه لقد رجح القول وترجيحه كان ترتيباً يبدأ الأقرب ثم الأقرب للصواب فيقول : « والوجوه الأربع مختلفة في القرب من الفهم فأقربها ثالثها ثم الرابع ثم الأول»(٢٧).

ثالثاً : قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (*) قُمْ فَأَنْذِرْ (*) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (*) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (*) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (*) ﴾ (سورة المدثر : ١-٥)

قام الطباطبائي بذكر الاقوال في تفسير (وثيابك فطهر) فيقول : « قوله تعالى: «و ثيابك فطهر» قيل: كناية عن إصلاح العمل، و لا يخلو من وجه فإن العمل بمنزلة الثياب للنفس بما لها من الاعتقاد فالظاهر عنوان الباطن، و كثيرا ما يكنى في كلامهم عن صلاح العمل بطهارة الثياب.

وقيل: كناية عن تزكية النفس و تنزيهها عن الذنوب و المعاصي.

وقيل: المراد تقصير الثياب لأنه أبعد من النجاسة و لو طالت و انجرت على الأرض لم يؤمن أن تتنجس.

وقيل: المراد تطهير الأزواج من الكفر و المعاصي لقوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ﴾ (سورة البقرة : ١٨٧) .

وقيل: الكلام على ظاهره و المراد تطهير الثياب من النجاسات للصلاة و الأقرب على هذا أن يجعل قوله: «و ربك فكبر» إشارة إلى تكبير الصلاة و تكون الآيتان مسوقتين لتشريع أصل الصلاة مقارنا للأمر بالدعوة.

ولا يرد عليه ما قيل: إن نزول هذه الآيات كان حيث لا صلاة أصلا و ذلك أن تشريع الفرائض الخمس اليومية على ما هي عليها اليوم و إن كان في ليلة المعراج وهي جميعا عشر ركعات ثم زيد عليها سبع ركعات إلا أن أصل الصلاة كان منذ أوائل البعثة كما يشهد به ذكرها في هذه السورة و سورتي العلق و المزمل، و يدل عليه الروايات.

وذكر: المراد بتطهير الثياب التخلق بالأخلاق الحميدة و الملكات الفاضلة.

وفي معنى تطهير الثياب أقوال أخر أغمضنا عن نقلها لإمكان إرجاعها إلى بعض ما تقدم من الوجوه .

يتبين لي بعد عرض وذكر الآراء ان ارجح الآراء للطباطبائي والذي مال إليه هو الرأي الأول ، والخامس بدليل قوله : وأرجح الوجوه المتقدمة أولها و خامسها»(٢٨).

ب ـ الجرأة في نقد أقوال المفسرين : يستخدم الطباطبائي أسلوب النقد والتهجم في عباراته اتجاه المفسرين واصفاً إياهم بالفساد أو السخافة ، ومن الأمثلة على ذلك هي :

١ـ من عباراته وأسلوبه لفظ (الفساد)

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (سورة الصف : ٥).

ينقل لنا الطباطبائي رأي المفسرين ، ثم يقوم بعد ذلك بالرد على المفسر إذ يقول عن لفظة الزيغ : « الزيغ الميل عن الاستقامة و لازمه الانحراف عن الحق إلى الباطل.

وإزاغته تعالى إمساك رحمته و قطع هدايته عنهم كما يفيده التعليل بقوله: «و الله لا يهدي القوم الفاسقين» حيث علل الإزاغة بعدم الهداية، و هي إزاغة على سبيل المجازاة و تثبيت للزيغ الذي تلبسوا به أولا بسبب فسقهم المستدعي للمجازاة كما قال تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة البقرة : ٢٦) ، وليس بإزاغة بدئية و إضلال ابتدائي لا يليق بساحة قدسه تعالى»(٢٩)»، ومن هنا يظهر فساد ما قيل: إنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله: «أزاغ الله قلوبهم» الإزاغة عن الإيمان لأن الله تعالى لا يجوز أن يزيغ أحدا عن الإيمان، و أيضا كون المراد به الإزاغة عن الإيمان يخرج الكلام عن الفائدة لأنهم إذا زاغوا عن الإيمان فقد صاروا كفارا فلا معنى لقوله: أزاغهم الله عن الإيمان.. وجه الفساد أن قوله: لا يجوز له تعالى أن يزيغ أحدا عن الإيمان ممنوع بإطلاقه فإن الملاك فيه لزوم الظلم و إنما يلزم فيما كان من الإزاغة و الإضلال ابتدائيا و أما ما كان على سبيل المجازاة و حقيقته إمساك الرحمة و قطع الهداية لتسبيب العبد لذلك بفسقه و إعراضه عن الرحمة و الهداية فلا دليل على منعه لا عقلا و لا نقلا.

وأما قوله: إن الكلام يخرج بذلك عن الفائدة فيدفعه أن الذي ينسب من الزيغ إلى العبد و يحصل معه الكفر تحقق ما له بالفسق و الذي ينسب إليه تعالى تثبيت الزيغ في قلب العبد و الطبع عليه به فزيغ العبد عن الإيمان بسبب فسقه و حصول الكفر بذلك لا يغني عن تثبيت الله الزيغ و الكفر في قلبه على سبيل المجازاة»(٣٠).

يتبين لي بعد ذكر كلام الطباطبائي في تفسير هذه الآية يتضح نقده للمفسرين وذلك ظاهراً من خلال رأيه إذ يقول : ومن هنا يظهر فساد ما قيل: إنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله: « أزاغ الله قلوبهم» الإزاغة عن الإيمان لأن الله تعالى لا يجوز أن يزيغ أحدا عن الإيمان ، وهذا يدل على أن الطباطبائي مرة أجده يذكر الاقوال ويرجح ومرة أجده يذكر الاقوال وينتقد .

٢ـ من عباراته وأسلوبه لفظ (السخافة)

قال الطباطبائي : « ومن غريب الكلام في هذا الباب ما ذكره الزمخشري في الكشاف: أنه يجوز أن يراد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن به على أن الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان، و يعلمهم نزوله، و ما أنزل له، و يؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم، و هذا قول بالرجعة.

وفي معنى الآية بعض وجوه رديئة أخرى: منها: ما يظهر من الزجاج أن ضمير قوله «قبل موته» يرجع إلى الكتابي و أن معنى قوله «و إن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته» أن جميعهم يقولون: إن عيسى الذي يظهر في آخر الزمان نحن نؤمن به.

وهذا معنى سخيف فإن الآيات مسوقة لبيان دعواهم قتل عيسى (عليه السلام) وصلبه والرد عليهم دون كفرهم به و لا يرتبط ذلك باعترافهم بظهور مسيح في آخر الزمان يحيي أمر شعب إسرائيل حتى يذيل به الكلام.

على أنه لو كان المراد به ذلك لم يكن حاجة إلى ذكر قوله: « قبل موته» لارتفاع الحاجة بدونه، و كذا قوله « ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا» لأنه على هذا التقدير فضل من الكلام لا حاجة إليه(٣١).

وخلاصة القول يبدو لي من خلال طرح قول الزمخشري فإن الطباطبائي يصف هذا الرأي بالسخف .

القسم الثاني : أنواع الإشارات في تفسير الميزان للسيد الطباطبائي .

توطئة : يُعد تفسير الميزان من أهم تفاسير القرآن الكريم في القرن العشرين يتميز هذا التفسير بعمقه الفكري وشموليته ، حيث يجمع بين الدراسات اللغوية والأسلوبية والفقهية والتأريخية ، والفلسفية.

تحليل الإشارات التفسيرية في تفسير الميزان.

نجد ان تفسير الميزان أعتمد في تفسيره على المنهج اللغوي وتميز الطباطبائي بأسلوبه العميق والتحليلي حيث استخدم أدوات اللغة العربية للوصول إلى معنى الآيات القرآنية، وأهتمامه الكبير بدراسة معاني الكلمات والجمل في القرآن الكريم .

المطلب الأول : الإشارات اللغوية .

أمثلة عن أنواع الإشارات اللغوية في تفسير الميزان :

١ـ الإشارة إلى المعنى اللغوي الأصلي : مثال على ذلك .

أ ـ قال تعالى : ﴿ وَلَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾(سورة هود : ٢٠) .

الإشارة إلى المفترين على الله الموصوفين بما مر في الآيتين السابقتين.

والمقام يدل على أن المراد من كونهم غير معجزين في الأرض أنهم لم يكونوا معجزين لله سبحانه في حياتهم الأرضية حيث خرجوا عن زي العبودية فأخذوا يفترون على الله الكذب و يصدون عن سبيله و يبغونها عوجا فكل ذلك لا لأن قدرتهم المستعارة فاقت قدرة الله سبحانه و مشيتهم سبقت مشيته، و لا لأنهم خرجوا من ولاية الله فدخلوا في ولاية غيره و هم الذين اتخذوهم أولياء من أصنامهم و كذا سائر الأسباب التي ركنوا إليها، و ذلك قوله: «و ما كان لهم من دون الله من أولياء»، و قوله: «يضاعف لهم العذاب» ذلك لأنهم فسقوا ثم لجوا عليه أو لأنهم عصوا الله بأنفسهم و حملوا غيرهم على معصية الله فيضاعف لهم العذاب كما ضاعفوا المعصية .

و قوله: «ما كانوا يستطيعون السمع و ما كانوا يبصرون» في مقام التعليل و لذا جيء بالفصل يقول تعالى إنهم لم يكفروا و لم يعصوا لظهور إرادتهم على إرادة الله و لا لأن لهم أولياء من دون الله يستظهرون بهم على الله بل لأنهم ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا ما يأتيهم من الإنذار و التبشير من ناحيته أو يذكر لهم من البعث و الزجر من قبله و ما كانوا يبصرون آياته حتى يؤمنوا بها كما وصفهم في قوله : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (سورة الاعراف : ١٧٩).، و في قوله :﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ (سورة الانعام : ١١٠).، و قوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ (سورة البقرة : ٧) .، وآيات أخرى كثيرة تدل على أنه تعالى سلبهم عقولهم و أعينهم و آذانهم غير أنه تعالى يحكي عنهم مثل قولهم : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ(*) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(سورة الملك : ١٠-١١) ، اعترافهم بأن عدم سمعهم وعقلهم كان ذنبا منهم مع أن ذلك مستند إلى سلبه تعالى منهم ذلك يدل على أنهم أنفسهم توسلوا إلى سلب هذه النعم بالذنوب كما يدل عليه ما تقدم من قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (سورة البقرة : ٢٦) .

وذكروا في معنى قوله : «ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون» وجوها أخرى: منها : أن قوله: ما كانوا « إلخ «، في محل النصب بنزع الخافض وهو متعلق بقوله: يضاعف « إلخ «، و الأصل: بما كانوا يستطيعون السمع و بما كانوا يبصرون، و المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون»(٣٢)، ومن الممكن أن يكون في الآية إشارة إلى عدة من أهل مكة آمنوا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولما تخلص قلوبهم من الشك خرجوا مع المشركين إلى بدر لحرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فابتلوا بما ابتلي به مشركوا قريش(٣٣).

ويرى الباحث بان الطباطبائي استخدم المعنى اللغوي الأصلي لكلمة صاحب وذلك ليؤكد على عمق العلاقة بين الكافر والنار ، وكأنهما رفيقان لا يفترقان ، كما نجده يستدل بآيات أخرى بالضم معها الدالة على نفس الموضوع .

ب ـ ومن دراسة أصول الكلمات :قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(سورة البقرة : ٢٦٠) .

« و فيه: أن مجرد صحة أن تسأل الآية لزيادة الإيمان واطمئنان القلب لا يصحح حمل سؤالهم عليه»(٣٤).

« والإيمان مطلق في كلامه تعالى ، و فيه دلالة على أن الإيمان بالله سبحانه لا يتحقق مع الشك في أمر الإحياء و البعث، ولا ينافي ذلك اختصاص المورد بالإحياء لأن المورد لا يوجب تخصيص عموم اللفظ و لا تقييد إطلاقه»(٣٥).

وفي تفسير آية ثانية :

قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾(سورة النحل : ١١٢) .

« وصف القرية بثلاثة أوصاف متعاقبة غير أن الأوسط منها و هي الاطمئنان كالرابط بين الطرفين فإن القرية إذا أمنت المخاطرات كمهاجمة الأشرار و شن الغارات و قتل النفوس و سبي الذراري و نهب الأموال و كذا أمنت الحوادث الطبيعية كالزلازل و غيرها اطمأنت و سكنت فلم يضطر أهلها إلى الجلاء و التفرق.

و من كمال اطمئنانها أن يأتيها رزقها رغدا من كل مكان و لا يلجأ أهلها إلى الاغتراب و قطع الفيافي و ركوب البحار و تحمل المشاق البالغة في طلب الرزق و جلبه إليها.

فاتصاف القرية بصفاتها الثلاث المذكورة: الأمن و الاطمئنان و إتيان رزقها إليها من كل مكان يتم و يكمل لها جميع النعم المادية الصورية»(٣٦).

يتضح لي ان من خلال تفسير الآيتين المذكورتين أعلاه استطاع الطباطبائي ان يدرس أصل كلمة (الإيمان) مثلاً ويربطها بالثقة والاطمئنان مما يعطي صورة واضحة عن معنى الإيمان في الإسلام .

٢ـ الإشارة إلى المعنى المجازي :

« و من هنا يظهر أن الذين في قلوبهم مرض غير المنافقين كما لا يخلو تعبير القرآن عنهما بمثل قوله: «المنافقون و الذين في قلوبهم مرض» في غالب الموارد عن إشعار ما بذلك، و ذلك أن المنافقين هم الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم، و الكفر الخاص موت للقلب لا مرض فيه قال تعالى: «أ و من كان ميتا فأحييناه و جعلنا له نورا يمشي به في الناس»: الأنعام: ١٢٢ و قال: «إنما يستجيب الذين يسمعون و الموتى يبعثهم الله»: الأنعام: ٣٦.

فالظاهر أن مرض القلب في عرف القرآن هو الشك و الريب المستولي على إدراك الإنسان فيما يتعلق بالله و آياته، و عدم تمكن القلب من العقد على عقيدة دينية.

فالذين في قلوبهم مرض بحسب طبع المعنى هم ضعفاء الإيمان، الذين يصغون إلى كل ناعق، و يميلون مع كل ريح، دون المنافقين الذين أظهروا الإيمان و استبطنوا الكفر»(٣٧).

يتضح لي من خلال كلام الطباطبائي : أن مرض القلب هنا لا يشير إلى مرض عضوي بل إلى مرض عقائدي وإيماني ، فقد استخدم المعنى المجازي للمرض ليوضح حالة الكفر الذي يزداد كفراً وكأن هذا الكفر هو مرض عضال يزداد سوءاً .

٣ـ الإشارة سياق المعنى : يذكر الطباطبائي الأوجه الاعرابية في الآية .

قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (سورة الشعراء : ٨٩) .

« قال الراغب: السلم و السلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة.

فالسياق يعطي أنه في مقام ذكر معنى جامع يتميز به اليوم من غيره و قد سأل ربه أولا أن ينصره و لا يخزيه يوم لا ينفعه ما كان ينفعه في الدنيا من المال و البنين، و مقتضى هذه التوطئة أن يكون المطلوب بقوله: «إلا من أتى الله بقلب سليم» بيان ما هو النافع يومئذ وقد ذكر فيه الإتيان بالقلب السليم.

فالاستثناء منقطع، والمعنى: لكن من أتى الله بقلب سليم فإنه ينتفع به، و المحصل أن مدار السعادة يومئذ على سلامة القلب سواء كان صاحبه ذا مال و بنين في الدنيا أو لم يكن.

وقيل: الاستثناء متصل و المستثنى منه مفعول ينفع المحذوف و التقدير يوم لا ينفع مال و لا بنون أحدا إلا من أتى الله بقلب سليم.

وقيل: الاستثناء متصل و الكلام بتقدير مضاف، والتقدير لا ينفع مال ولا بنون إلا مال وبنو من أتى «إلخ».

وقيل: المال و البنون في معنى الغنى و الاستثناء منه بحذف مضاف من نوعه و التقدير يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله بقلب سليم، و سلامة القلب من الغنى فالاستثناء متصل ادعاء لا حقيقة»(٣٨).

أما معنى قوله تعالى إذ يقول الطباطبائي : « إذ جاء ربه بقلب سليم» مجيئه ربه كناية عن تصديقه له و إيمانه به، و يؤيد ذلك أن المراد بسلامة القلب عروه عن كل ما يضر التصديق و الإيمان بالله سبحانه من الشرك الجلي و الخفي ومساوىء الأخلاق وآثار المعاصي و أي تعلق بغيره ينجذب إليه الإنسان و يختل به صفاء توجهه إليه سبحانه، و بذلك يظهر أن المراد بالقلب السليم ما لا تعلق له بغيره تعالى»(٣٩)، وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: « (بقلب سليم) قال: القلب السليم الذي يلقى الله عز وجل و ليس فيه أحد سواه»(٤٠) .

يشير الطباطبائي إلى أن القلب السليم هنا لا يعني مجرد خلو القلب من الأمراض العضوية،بل يعني قلباً مؤمناً خالصاً لله .

٤ـ الإشارة إلى معنى الاشتقاق :

قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(سورة النحل : ٨٩) .

إن « المراد بالتبيان الأعم مما يكون من طريق الدلالة اللفظية فلعل هناك إشارات من غير طريق الدلالة اللفظية تكشف عن أسرار و خبايا لا سبيل للفهم المتعارف إليها، والظاهر على ما يستفاد من سياق هذه الآيات المسوقة للاحتجاج على الأصول الثلاثة: التوحيد و النبوة و المعاد، و الكلام فيها ينعطف مرة بعد أخرى عليها أن قوله: « ونزلنا عليك الكتاب» ، ليس باستئناف بل حال عن ضمير الخطاب في «جئنا بك» بتقدير «قد» أو بدون تقديرها – على الخلاف

بين النحاة في الجملة الحالية المصدرة بالفعل الماضي، والمعنى: وجئنا بك شهيدا على هؤلاء و الحال أنا نزلنا عليك من قبل في الدنيا الكتاب وهو بيان لكل شيء من أمر الهداية يعلم به الحق من الباطل فيتحمل شهادة أعمالهم فيشهد يوم القيامة على الظالمين بما ظلموا و على المسلمين بما أسلموا لأن الكتاب كان هدى و رحمة و بشرى لهم وكنت أنت بذلك هاديا و رحمة و مبشرا لهم»(٤١).

يتضح من قول الطباطبائي هنا لكلمة تبيان جاءت بمعنى الإيضاح ، والتوكيد على أن القرآن الكريم يوضح كل شيء للإنسان.

٥ـ الإشارة المعنى الإصلاحي :

قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾(سورة العنكبوت : ٤٥)

« قوله تعالى: «و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي يعظكم لعلكم تذكرون» قال في المفردات: الفحش و الفحشاء و الفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال و الأقوال.

ولعل الأصل في معناه الخروج عن الحد فيما لا ينبغي يقال: غبن فاحش أي خارج عن حد التحمل و الصبر و السكوت.

والمنكر ما لا يعرفه الناس في مجتمعهم من الأعمال التي تكون متروكة عندهم لقبحها أو إثمها كالمواقعة أو كشف العورة في مشهد من الناس في المجتمعات الإسلامية»(٤٢).

« ان الظاهر من سياق قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ، أن قوله (ولذكر الله أكبر) متصل به مبين لأثر آخر للصلاة وهو أكبر مما بين قبله . فيقع قوله (ولذكر الله أكبر) موقع الاضراب والترقي ويكون المراد الذكر القلبي الذي يترتب على الصلاة ترتب الغاية على ذي الغاية فكأنه قيل : أقم الصلاة لتردعك عن الفحشاء والمنكر بل تفيده من ذكر الله الحاصل بها أكثر من ذلك أي من النهي عن الفحشاء والمنكر لأنه أعظم ما يناله الإنسان من الخير وهو مفتاح كل خير والنهي عن الفحشاء والمنكر بعض الخير»(٤٣) .

يبدو لي بان رأي الطباطبائي اشار إلى معنى الفحشاء تعني كل ما هو قبيح من الأفعال والأقوال ، وأما المنكر يشمل كل ما يخالف الشرع والعقل .

هنالك أمثلة أخرى عن الإشارات اللغوية في تفسير الميزان منها :

١ـ المثال الأول : قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥) لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(سورة البقرة : ٢٢٤– ٢٢٧) .

إذ يقول عن معنى هذه الآية : « (كلام في معنى القلب في القرآن)

وهذا من الشواهد على أن المراد بالقلب هو الإنسان بمعنى النفس و الروح، فإن التعقل و التفكر و الحب و البغض و الخوف و أمثال ذلك و إن أمكن أن ينسبه أحد إلى القلب باعتقاد أنه العضو المدرك في البدن على ما ربما يعتقده العامة كما ينسب السمع إلى الأذن و الإبصار إلى العين و الذوق إلى اللسان، لكن الكسب و الاكتساب مما لا ينسب إلا إلى الإنسان البتة .

ونظير هذه الآية قوله تعالى : « ﴿ فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾(سورة البقرة : ٢٨٣) ، وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾(سورة ق : ٣٣) .

والظاهر: أن الإنسان لما شاهد نفسه و سائر أصناف الحيوان و تأمل فيها ورأى أن الشعور والإدراك ربما بطل أو غاب عن الحيوان بإغماء أو صرع أو نحوهما، والحياة المدلول عليها بحركة القلب ونبضانه باقية بخلاف القلب قطع على أن مبدأ الحياة هو القلب ، أي أن الروح التي يعتقدها في الحيوان أول تعلقها بالقلب وإن سرت منه إلى جميع أعضاء الحياة ، وأن الآثار والخواص الروحية كالإحساسات الوجدانية مثل الشعور والإرادة والحب والبغض والرجاء والخوف وأمثال ذلك كلها للقلب بعناية أنه أول متعلق للروح ، وهذا لا ينافي كون كل عضو من الأعضاء مبدأ لفعله الذي يختص به

كالدماغ للفكر والعين للإبصار والسمع للوعي والرئة للتنفس ونحو ذلك، فإنها جميعا بمنزلة الآلات التي يفعل بها الأفعال المحتاجة إلى توسيط الآلة.

وربما يؤيد هذا النظر: ما وجده التجارب العلمي أن الطيور لا تموت بفقد الدماغ إلا أنها تفقد الإدراك ولا تشعر بشيء وتبقى على تلك الحال حتى تموت بفقد المواد الغذائية و وقوف القلب عن ضربانه»(٤٤).

ولنرجع إلى الآية ولا يخلو قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ عن مجاز عقلي ، فإن ظاهر الاضراب عن المؤاخذة في بعض أقسام اليمين وهو اللغو إلى بعض آخر أن تتعلق بنفسه ولكن عدل عنه إلى تعليقه بأثره وهو الإثم المترتب عليه عند الحنث ففيه مجاز عقلي وإضطراب للإشارة إلى أن الله سبحانه لا شغل له إلا بالقلب .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ، إشارة إلى كراهة اللغو من اليمين ، فإنه مما لا ينبغي صدروه من المؤمن(٤٥).

يتبين من خلال رأي السيد الطباطبائي في تحليل معنى كلمة قلب : يقوم الطباطبائي بتحليل معنى كلمة (قلب) مشيراً إلى معانيها المختلفة كالعضو الجسدي و العقل وكيفية ترابطها وتكاملها .

٢ـ المثال الثاني : اعتماده على البلاغة : قوله تعالى: « ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ...﴾ (سورة النور : ٣٥) .

أشار الطباطبائي في تفسيره إن المشبه به مجموع ما ذكر من قوله مشكاة فيها مصباح المصباح «إلخ» لا مجرد المشكاة و إلا فسد المعنى، تشبيه الزجاجة بالكوكب الدري من جهة ازدياد لمعان نور المصباح وشروقه بتركيب الزجاجة على المصباح فتزيد الشعلة بذلك سكونا من غير اضطراب .

وقال الطباطبائي : « المشكاة على ما ذكره الراغب وغيره: كوة غير نافذة و هي ما يتخذ في جدار البيت من الكو لوضع بعض الأثاث كالمصباح و غيره عليه وهو غير القانوس... و قوله :

﴿ الله نور السماوات و الأرض﴾ النور معروف و هو الذي يظهر به الأجسام الكثيفة لأبصارنا فالأشياء ظاهرة به و هو ظاهر مكشوف لنا بنفس ذاته فهو الظاهر بذاته المظهر لغيره من المحسوسات للبصر.

هذا أول ما وضع عليه لفظ النور ثم عمم لكل ما ينكشف به شيء من المحسوسات على نحو الاستعارة أو الحقيقة الثانية فعد كل من الحواس نورا أو ذا نور يظهر به محسوساته كالسمع و الشم و الذوق و اللمس، ثم عمم لغير المحسوس فعد العقل نورا يظهر به المعقولات كل ذلك بتحليل معنى النور المبصر إلى الظاهر بذاته المظهر لغيره، فهو سبحانه نور يظهر به السماوات والأرض ، و هذا هو المراد بقوله: ﴿ الله نور السماوات و الأرض﴾ حيث أضيف النور إلى السماوات والأرض ثم حمل على اسم الجلالة ، وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول من قال: إن المعنى الله منور السماوات و الأرض، و عمدة الغرض منه أن ليس المراد بالنور النور المستعار القائم بما و هو الوجود الذي يحمل عليها تعالى الله عن ذلك و تقدس ، فقد تحصل أن المراد بالنور في قوله: ﴿ الله نور السماوات و الأرض﴾ نوره تعالى من حيث يشرق منه النور العام الذي يستنير به كل شيء و هو مساو لوجود كل شيء و ظهوره في نفسه و لغيره و هي الرحمة العامة.

قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ فلا ضير في رجوعه إليه تعالى مع الاحتفاظ على المعنى الصحيح»(٤٦).

وفي التوحيد، وقد روي عن الصادق (عليه السلام) : أنه سئل عن قول الله عز وجل: « الله نور السماوات و الأرض – مثل نوره كَمِشْكَاةٍ فيها مصباح فقال: هو مثل ضربه الله لنا فالنبي والأئمة (صلى الله عليه وآله وسلم) من دلالات الله وآياته التي يهتدى بها إلى التوحيد و مصالح الدين و شرائع الإسلام و السنن و الفرائض، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(٤٧) .

أقول: الرواية من قبيل الإشارة إلى بعض المصاديق وهو من أفضل المصاديق وهو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والطاهرون من أهل بيته (عليهم السلام) وإلا فالآية تعم بظاهرها غيرهم من الأنبياء (عليهم السلام) والأوصياء و الأولياء(٤٨)، « يصف تعالى نوره، و إضافة النور إلى الضمير الراجع إليه تعالى – و ظاهره الإضافة اللامية – دليل على أن المراد ليس هو وصف النور الذي هو الله بل النور المستعار الذي يفيضه، و ليس هو النور العام المستعار الذي

يظهر به كل شيء و هو الوجود الذي يستفيضه منه الأشياء و تتصف، به و الدليل عليه قوله بعد تتميم المثل: «يهدي الله لنوره من يشاء» إذ لو كان هو النور العام لم يختص به شيء دون شيء بل هو نوره الخاص بالمؤمنين بحقيقة الإيمان على ما يفيده الكلام»(٤٩).

يتضح من خلال قول السيد الطباطبائي : عن تفسير هذه الآية بان هذا النص القرآني يشير إلى أن الله تعالى هو مصدر كل نور ، وأن نوره يحيط بكل شيء في الكون ، أما قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فهنا السيد الطباطبائي قام بتشبيه نور الإيمان بنور المصباح الذي يضيء الظلمات ويؤكد على أن نور الايمان هو هدى للناس

المطلب الثاني : الإشارات التأريخية : إن الأسلوب التأريخي في تفسير الميزان يعتبر أحد أهم الأساليب التي اعتمد عليها الطباطبائي في فهم معاني القرآن والذي نعني بالإشارات التأريخية هنا عندما يتناول الطباطبائي تفسير آية قرآنية فإنه غالباً ما يستعين بالأحداث التأريخية المعاصرة للوحي أو الأحداث التي وقعت للأمم السابقة ومن الأمثلة على الإشارات التأريخية في تفسير الميزان وهي :

١ـ الأحداث التأريخية :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾(سورة الرعد : ٣٨) .

قال الطباطبائي : « لما نهى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن اتباع أهوائهم فيما اقترحوا عليه من إنزال آية غير القرآن ذكره بحقيقة الحال التي تؤيسه من الطمع في ذلك و يعزم عليه أن يتوكل على الله و يرجع إليه الأمور.

وهو أن سنة الله الجارية في الرسل أن يكونوا بشرا جارين على السنة المألوفة بين الناس من غير أن يتعدوها فيملكوا شيئا مما يختص بالغيب كأن يكونوا ذا قوة غيبية فعالة لما تشاء قديرة على كل ما أرادت أو أريد منها حتى تأتي بكل آية شاءت إلا أن يأذن الله له فليس للرسول و هو بشر كسائرهم من الأمر شيء بل لله الأمر جميعا.

فهو الذي ينزل الآية إن شاء غير أنه سبحانه إنما ينزل من الآيات إذا اقتضته الحكمة الإلهية و ليست الأوقات مشتركة متساوية في الحكم و المصالح و إلا لبطلت الحكمة و اختل نظام الخليقة بل لكل وقت حكمة تناسبه و حكم يناسبه فلكل وقت آية تخصه، وهذا هو الذي تشير إليه الآية فقوله: ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا و ذرية﴾ إشارة إلى السنة الجارية في الرسل من البشرية العادية ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ إشارة إلى حكم مقتضي مكتوب يخصه إشارة إلى ما يلوح إليه استثناء الإذن وسنة الله الجارية فيه ، والتقدير فالله سبحانه هو الذي ينزل ما شاء ويأذن فيما شاء لكنه لا ينزل ولا يأذن في كل آية في كل وقت فإن لكل وقت كتاباً كتبه لا يجري فيه إلا ما فيه ، ومما تقدم يظهر أن ما ذكره بعضهم أن قوله : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ من باب القلب وأصله : لكل كتاب أجل أي إن لكل كتاب منزل من عند الله وقتاً مخصوصاً ينزل فيه ويعمل عليه فللتوراة وقت وللإنجيل وقت وللقرآن وقت» (٥٠).« ثم الأغراض والغايات الاجتماعية أو الدينية سنت بين الناس سنة النكاح الاجتماعي الاعتباري الذي فيه نوع من الاختصاص بين الزوجين و قسم من التحديد للزوجية الطبيعية المذكورة فالفطرة الإنسانية و الخلقة الخاصة تهديه إلى ازدواج الرجال بالنساء دون الرجال و ازدواج النساء بالرجال دون النساء، وأن الازدواج مبني على أصل التوالد و التناسل دون الاشتراك في مطلق الحياة»(٥١).

يتضح من تفسير هذه الآية ان الطباطبائي أشار إلى قصص الانبياء (عليهم السلام) ليؤكد على أهمية الزواج والذرية في حياة الإنسان وأن هذا الأمر ليس مقتصراً على الأنبياء (عليه السلام) فقط ، بل هو سنة كونية .

٢ـ الأمم السابقة : يشير السيد الطباطبائي إلى قصص الأمم السابقة كعبرة لمن يأتي بعدهم فمثلاً يستشهد بقصة قوم لوط لتوضيح عواقب الفساد والمعاصي بدليل على ذلك :

قال الطباطبائي : « إشارة إلى بعض ما فيه مزدجر من أنباء الأمم الدارجة خص بالذكر من بينهم قوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط وآل فرعون فذكرهم بأنبائهم و أعاد عليهم إجمال ما قص عليهم سابقا من قصصهم و ما آل إليه تكذيبهم

بآيات الله و رسله من أليم العذاب وهائل العقاب تقريرا»(٥٢)، لقوله: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ (سورة القمر: ٤)، « المزدجر وهو الاتعاظ وقوله (من الانباء) بيان لما فيه مزدجر ، والمراد بالأنباء أخبار الأمم الدارجة الهالكة أو اخبار يوم القيامة وقد احتمل كل منهما»(٥٣).

« ولتوكيد التقرير وتمثيل ما في هذه القصص الزاجرة من الزجر القارع للقلوب عقب كل واحدة من القصص بقوله خطابا لهم: «فكيف كان عذابي و نذر» ثم ثناه بذكر الغرض من الإنذار و التخويف»(٥٤).

٣ـ التأريخ الإسلامي : يربط الطباطبائي بين الأحداث التأريخية للإسلام ، مثل الهجرة والغزوات ويبين معاني الآيات القرآنية فمثلاً يشرح آيات الجهاد في ضوء سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مثال على ذلك :

قال الطباطبائي : ثم نزلت آيات القتال فمنها آيات القتال مع مشركي مكة ومن معهم بالخصوص كقوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾(سورة الحج : ٣٩) ، ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا ﴾ (سورة الحج : ٤٠) .

نجد إن هذه الآية ، وغيرها تشير إلى مضامين عدة منها :

١ ـ ظاهر السياق أن المراد بقوله: ﴿ أُذِنَ ﴾ إنشاء الإذن دون الإخبار عن إذن سابق وإنما هو إذن في القتال كما يدل عليه قوله: ﴿ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾(٥٥) .

٢ ـ من الممكن أن تكون هذه الآية نزلت في الدفاع الذي أمر به في بدر وغيرها، وكذا قوله: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(سورة الانفال : ٣٩–٤٠) ، وكذا قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(سورة البقرة : ١٩٠) .

٣ـ فيه إشارة إلى أن المشركين انحرفوا في فهمهم وألحدوا عن الحق إلى حيث جعلوا قول القائل ربنا الله وهو كلمة الحق يبيح لهم أن يخرجوه من داره (٥٦).

٤ـ في الآية إشارة إلى أن القتال في الإسلام من فروع هذه السنة الفطرية الجارية.

٥ ـ هي دفع الناس بعضهم بعضا عن شئون حياتهم. وإذا نسب إلى الله سبحانه كل ذلك دفعه الناس بعضهم ببعض حفظا لدينه (٥٧) .

المثال الثاني : الآيات التي تتحدث عن قتال أهل الكتاب .

قال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (سورة التوبة : ٢٩) .

المثال الثالث : ومنها آيات القتال مع المشركين عامة ، وهم غير أهل الكتاب كقوله تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾(سورة التوبة : ٥) .

وكقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾(سورة التوبة : ٣٦)»(٥٨).

٤ـ المزج بين العقل والنقل : يجمع الطباطبائي بين التفسير العقلي والنقلي مستعيناً بالأحاديث ، والسيرة النبوية الشريفة لغرض تفسير آيات القرآن الكريم مثال على ذلك من ضمن تفسير الآية التي تخص موضوع الجهاد ، والهجرة ، والغزوات وغيرها فقد يستدل بجملة من الأحاديث منها :

أ ـ [عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن محبوب عن الاحول عن سلام بن المستنير عن ابي جعفر (عليه السلام) في قوله : « قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، قال ذاك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والأوصياء من بعدهم»] (٥٩).

ب ـ عن أبو علي الاشعري عن محمد بن سالم عن أحمد بن النضر عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله إني راغب في الجهاد نشيط فقال له

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فجاهد في سبيل الله فإنك تقتل تكن حياً عند الله ترزق وإن تمت فقد وقع أجرك على الله وإن رجعت رجعت من الذنوب كما ولدت قال يا رسول الله إن لي والدين كبيرين يزعمان أنهما يأنسان بي ويكرهان خروجي فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فَقِرّ مع والديك فو الذي بيده لأُنْسُهُمَا بِكَ يَوْماً وليلة خيرٌ من جهاد سنةٍ] (٦٠) .

وخلاصة القول قام الطباطبائي في تفسيره بالربط بين الماضي والحاضر : ان الكثير من الآيات القرآنية تحمل إشارات إلى الأحداث التأريخية القديمة ، ومن خلال ذلك يحاول أن يستخلص العبر والدروس والغاية منها تطبيقها على حياة المسلمين .

المطلب الثالث : الإشارات العلمية : التأكيد على حقيقة القرآن المقدس بان هذه الإشارات تدل على أن القرآن الكريم يتماشى مع الحقائق العلمية ، مما يؤكد حقيقة أنه كلام الله تعالى ولعل أبرز ما يميز هذا التفسير هو اهتمامه الكبير بالإشارات العلمية الكامنة في آيات القرآن والتي تتوافق مع الاكتشافات العلمية.

١ـ الإشارة إلى الجنين .

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(سورة فاطر : ١١) .

« قوله تعالى: «والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا « إلخ.

يشير تعالى إلى خلق الإنسان فابتدأ خلقه من تراب وهو المبدأ البعيد الذي تنتهي إليه الخلقة ثم من نطفة وهي مبدأ قريب تتعلق به الخلقة.

وقيل المراد بخلقهم من تراب خلق أبيهم آدم من تراب فإن الشيء يضاف إلى أصله وقيل: بل المراد خلق آدم نفسه و قيل: بل المراد خلقهم خلقا إجماليا من تراب في ضمن خلق آدم من تراب و الخلق التفصيلي هو من نطفة كما قال: ثم من نطفة.

والفرق بين الوجوه الثلاثة أن في الأول نسبة الخلق من تراب إليهم على طريق المجاز العقلي، و في الثاني المراد بخلقهم خلق آدم و لا مجاز في النسبة، و في الثالث المراد خلق كل واحد من الأفراد من التراب حقيقة من غير مجاز إلا أنه خلق إجمالي لا تفصيلي و بهذا يفارق ما قدمناه من الوجه»(٦١).

يبدو لي بان كلام الطباطبائي فيه تفصيل عن مراحل تكوين الجنين في بطن أمه .

٢ـ الإشارة إلى نظام الكون .

« فقوله: «خلق السماوات و الأرض و جعل الظلمات و النور» إشارة إلى نظام الكون العام الذي عليه تدبر الأشياء على كثرتها و تفرقها في عالمنا في نظامه الجاري المحكم إلا عالم الأرض الذي يحيط به عالم السماوات على سعتها ثم يتصرف بها بالنور والظلمات اللذين عليهما يدور رحى العالم المشهود في تحوله و تكامله فلا يزال يتولد شيء من شيء، ويتقلب شيء إلى شيء، و يظهر واحد و يخفى آخر، و يتكون جديد و يفسد قديم، و ينتظم من تلاقي هذه الحركات المتنوعة على شتاتها الحركة العالمية الكبرى التي تحمل أثقال الأشياء، و تسير بها إلى مستقرها»(٦٢).

٣ـ الإشارة إلى الطبيعة : مثل الإشارات إلى الظواهر الطبيعية كالرعد والبرق والفصول الأربعة .

أ ـ ما يتعلق بالرعد والبرق .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ(*) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾(سورة الرعد : ١٢-١٣) .

قوله تعالى: «هو الذي يريكم البرق خوفا و طمعا و ينشىء السحاب الثقال» السحاب بفتح السين جمع سحابة بفتحها و لذلك وصف بالثقال.

والاراء إظهار ما من شأنه أن يحس بالبصر للمبصر ليبصره أو جعل الإنسان على صفة الرؤية والإبصار، و التقابل بين

قوله: «يريكم» و قوله: «ينشىء» يؤيد المعنى الأول.
وقوله: «خوفا و طمعا» مفعول له أي لتخافوا و تطمعوا، و يمكن أن يكون مصدرين بمعنى الفاعل حالين من ضمير «كم» أي خائفين و طامعين.
والمعنى: هو الذي يظهر لعيونكم البرق ليظهر فيكم صفتا الخوف و الطمع كما أن المسافر يخافه و الحاضر يطمع فيه، و أهل البحر يخافونه و أهل البر يطعمون فيه ويخاف صاعقته و يطمع في غيثه، ويخلق بإنشائه السحابات التي تثقل بالمياه التي تحملها، و في ذكر آية البرق بالإراءة وآية السحاب بالإنشاء لطف ظاهر.
قوله تعالى: «و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء» إلخ، الصواعق جمع صاعقة وهو القطعة النارية النازلة من السماء عن برق و رعد»(٦٣).

ب ـ اما مايتعلق بالفصول الأربعة .

وقال تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾(سورة الرحمن : ١٧) .
« قوله تعالى: «رب المشرقين ورب المغربين» المراد بالمشرقين مشرق الصيف و مشرق الشتاء، و بذلك تحصل الفصول الأربعة و تنتظم الأرزاق، و قيل: المراد بالمشرقين مشرق الشمس و القمر و بالمغربين مغرباهما»(٦٤).
وخلاصة القول أقول إن استخدام الطباطبائي في تفسيره الإشارات العلمية وذلك يُعد أمراً إيجابياً حيث يساهم ويساعد في الفهم الديني وتقريب وجهات النظر ما بين المؤمنين والعلماء .

المطلب الرابع : الإشارات الروائية :

المثال الأول : قال تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (*) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (*) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾(سورة الرحمن : ١٧ – ١٩) .
قوله تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ : « المراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء ، وبذلك تحصل الفصول الأربعة و تنتظم الأرزاق، وقيل: المراد بالمشرقين مشرق الشمس والقمر وبالمغربين مغرباهما.
قوله تعالى: «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان» المرج الخلط والمرج الإرسال، يقال: مرجه أي خلطه ومرجه أي أرسله والمعنى الأول أظهر، والظاهر أن المراد بالبحرين العذب الفرات والملح الأجاج»(٦٥)
ثم ذكر الطباطبائي « وفي الدر المنثور: « أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك في قوله : {مرج البحرين يلتقيان} قال : علي وفاطمة (عليهما السلام)(٦٦)، «بينهما برزخ لا يبغيان» قال: النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» قال: الحسن و الحسين (عليهما السلام) :. أقول: ورواه أيضا عن ابن مردويه عن أنس بن مالك مثله، و رواه في مجمع البيان، عن سلمان الفارسي و سعيد بن جبير و سفيان الثوري(٦٧) ، وهو من البطن .
إذ إنَّ الطباطبائي يستخدم الروايات لتفسير بعض الآيات التي تحمل معاني رمزية مثل آيات البحرين اللذين يلتقيان .

المثال الثاني : بيان الاحكام الشرعية .

قال تعالى :﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(سورة المائدة : ٦).
يستعرض لنا الطباطبائي آراء العلماء في تفسير هذه الآية فيقول : وربما ذكر بعضهم أن «إلى» في الآية بمعنى مع كقوله تعالى: ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ (سورة النساء: ٢) ، وقد استند في ذلك إلى ما ورد في الروايات أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)كان يغسلهما إذا توضأ(٦٨)، بينما قال الطباطبائي : « تتضمن الآية الأولى حكم الطهارات الثلاث: الوضوء وغسل الجنابة والتيمم قوله تعالى: «فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق» الغسل بفتح الغين إمرار الماء على الشيء، و يكون غالبا لغرض التنظيف و إزالة الوسخ و الدرن و الوجه ما يستقبلك من الشيء، و غلب في

الجانب المقبل من رأس الإنسان مثلا، و هو الجانب الذي فيه العين و الأنف و الفم، و يعين بالظهور عند المشافهة، و قد فسر في الروايات المنقولة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بما بين قصاص الشعر من الناصية و آخر الذقن طولا، و ما دارت عليه الإبهام و الوسطى و السبابة، وهناك تحديدات أخر ذكرها المفسرون و الفقهاء.

وهذا الاشتراك هو الموجب لذكر القرينة المعينة إذا أريد به أحد المعاني، ولذلك قيد تعالى قوله: « وأيديكم» بقوله: «إلى المرافق» ليتعين أن المراد غسل اليد التي تنتهي إلى المرافق، ثم القرينة أفادت أن المراد به القطعة من العضو التي فيها الكف، و كذا فسرتها السنة.

والذي يفيده الاستعمال في لفظة «إلى» أنها لانتهاء الفعل الذي لا يخلو من امتداد الحركة، و أما دخول مدخول «إلى» في حكم ما قبله أو عدم دخوله فأمر خارج عن معنى الحرف، فشمول حكم الغسل للمرافق لا يستند إلى لفظة «إلى» بل إلى ما بينه السنة من الحكم.

ويختم بالمرفق، لكن الأخبار الواردة من طرق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تفتي بالنحو الأول دون الثاني»(٦٩).

ثم يستدل الطباطبائي بأحاديث عدّة إذ يقول ، وردت الروايات عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كثيرة منها :

١ – عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن شاذان بن الخليل النيسابوري عن معمر بن عمر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: يجزئ من المسح على الرأس موضع ثلاث أصابع وكذلك الرجل.

٢ – علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: الاذنان ليسا من الوجه ولا من الرأس، قال: وذكر المسح فقال: امسح على مقدم رأسك وامسح على القدمين وابدأ بالشق الايمن.

وأرجلكم إلى الكعبين « فعرفنا حين وصلها بالرأس أن المسح على بعضها ثم فسر ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للناس فضيعوه ثم قال: « فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه « فلما وضع الوضوء إن لم تجدوا الماء أثبت بعض الغسل مسحا لانه قال: « بوجوهكم « ثم وصل بها « وأيديكم « ثم قال: « منه « أي من ذلك التيمم لانه علم أن ذلك أجمع لم يجر على الوجه لانه يعلق من ذلك الصعيد ببعض الكف ولا يعلق ببعضها، ثم قال: « ما يريد الله ليجعل عليكم (في الدين) من حرج « والحرج الضيق.

٣ – علي، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن زرارة قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): المرأة يجزئها من مسح الرأس أن تمسح مقدمه قدر ثلاث أصابع ولا تلقى عنها خمارها.

٤ – عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال سألته: عن المسح على القدمين كيف هو؟ فوضع كفه على الاصابع فمسحها إلى الكعبين إلى ظاهر القدم، فقلت: جعلت فداك لو أن رجلا قال بإصبعين من أصابعه هكذا؟ فقال: لا إلا بكفه.

محمد بن يحيى، عن علي بن إسماعيل، عن علي بن النعمان، عن القاسم بن محمد، عن جعفر بن سليمان عمه قال: سألت أبا الحسن موسى (عليه السلام) قلت: جعلت فداك يكون خف الرجل مخرقا فيدخل يده فيمسح ظهر قدمه أيجزئه ذلك؟ قال: نعم.

٥ – الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: توضأ علي (عليه السلام) فغسل وجهه وذراعيه ثم مسح على رأسه وعلى نعليه ولم يدخل يده تحت الشراك .

٦ – محمد بن يحيى، رفعه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في الذى يخضب رأسه بالحناء ثم يبدو له في الوضوء؟ قال: لا يجوز حتى يصيب بشرة رأسه بالماء»(٧٠).

قال الطباطبائي « وبالجملة الآية تدل على اشتراط الصلاة بما تذكره من الغسل و المسح أعني الوضوء و لو تم لها إطلاق لدل على اشتراط كل صلاة بوضوء»(٧١).

وخلاصة ما تم ذكره فإن الطباطبائي يستدل باقوال الفقهاء إذ يقول : « على أن الأمة أجمعت على صحة وضوء من

بدأ في الغسل بالمرافق وانتهى إلى أطراف الأصابع كما في المجمع ، وليس إلا ؛ لأن الآية تحتمله : وليس إلا لأن قوله « إلى المرافق» قيد للأيدي دون الغسل»(٧٢).

الخاتمة :

١ـ التأكيد على حقيقة القرآن المقدس بان هذه الإشارات تدل على أن القرآن الكريم يتماشى مع الحقائق العلمية ، مما يؤكد حقيقة أنه كلام الله تعالى ولعل أبرز ما يميز هذا التفسير هو اهتمامه الكبير بالإشارات العلمية الكامنة في آيات القرآن والتي تتوافق مع الاكتشافات العلمية.

٢ـ إن دراسة الإشارات اللغوية في تفاسير القرآن الكريم تتطلب معرفة جيدة باللغة العربية وأصولها .

٣ـ لابد من التعامل مع التفسير الإشاري بحذر والتمييز بين التأويل الصحيح والتأويل الباطل والاعتماد على التفسيرات الموثوقة التي تستند إلى الادلة الشرعية .

٤ـ يحاول ان يربط بين الماضي والحاضر من خلال ذكر الآيات القرآنية التي في طياتها إشارات تأريخية سابقة .

٥ـ كما يحاول أيضاً ان يستخلص الدروس والعبر من خلال تلك القصص القديمة .

٦ـ نجده أيضاً اعتماده على النقل من خلال شرح الآية الكريمة ويستعين بالاحاديث النبوية الشريفة والسيرة النبوية لتفسير الآيات القرآنية سواء كانت في آيات من احكام التشريع أو غيرها .

٧ـ التفسير الإشاري هوتأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظاهر المرادة .

٨ـ وقد وقع خلاف بين العلماء حول التفسير الإشاري: فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه ، ومنهم من عده من كمال الإيمان... ومنهم من اعتبره زيغًا وضلالاً وانحرافًا عن دين الله تبارك وتعالى .

٩ـ طريقته في التفسير ان يذكر الآية ثم يسوق كل ما يتصل بها من آيات مع بيان السورة والرقم لكل آية ثم يستخلص المعنى الظاهر الذي دل عليه مجموع الآيات كما لو كانت في سياق واحد .

١٠ـ استعان باقوال الصحابه والتابعين رحمهم الله في تفسير بعض الآيات

الهوامش

١) لسان العرب : ابن منظور ٦/ ٣٦١.

٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٢٨٧ ، وينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد الزُرقاني (ت : ١٣٦٧هـ) : ٢/٧٨، وينظر : التفسير والمفسرون : محمد الذهبي : ١/١٣ .

٣) معجم اللغة العربية المعاصرة : د أحمد عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) : ٢/ ١٢٤٥ .

٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أيوب بن موسى الكفوي : (ت: ١٠٩٤هـ) : ١/ ١٢٠ .

٥) مناهل العرفان في علوم القرآن : الزرقاني : ٢ / ٧٨.

٦) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ) : ٢ / ٢٦١ .

٧) ينظر : تفسير الماتريدي: محمد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) : ١/ ٢٨١ ، وينظر : لطائف الإشارات : عبد الكريم بن هوازن القشيري : (ت: ٤٦٥هـ) : ١/ ٢٥ .

٨) ينظر : تفسير الماتريدي : محمد بن محمود الماتريدي : (ت : ٣٣٣هـ) : ١/ ٢٨٣

٩) تفسير الماتريدي : الماتريدي : ١/ ٢٨١ .

١٠) ينظر : التفسير والمفسرون : محمد الذهبي : ٢ / ٢٨١ –٢٩٥ .

١١) ينظر : لمحات من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي : كمال الحيدري : ١١ .

١٢) ينظر : لمحات من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي : كمال الحيدري : ١١ .

١٣) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب : ٢ / ١٠٢٥ .

١٤) ينظر : لمحات من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي : السيد كمال الحيدري : ١٤ .

١٥) ينظر : ينظر : لمحات من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي : السيد كمال الحيدري : ٦٨–٧٢

١٦) ينظر : لمحات من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي : السيد كمال الحيدري : ٤٩ .
١٧) الميزان في تفسير الميزان : الطباطبائي : ١/ ٥ .
١٨) المصدر نفسه : ١ / ٤ .
١٩) ينظر : لمحات من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي : السيد كمال الحيدري : ٩٣ .
٢٠) ينظر : لمحات من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي : كمال الحيدري : ١٣١ .
٢١) ينظر : الميزان في تفسير الميزان : ١/١ .
٢٢) ينظر : لتفسير والمفسرون في ثوبه القشيب : محمد هادي معرفة : ٢ / ١٠٢٦-١٠٢٧ .
٢٣) ينظر : لمحات من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي : السيد كمال الحيدري : ١٣٥ .
٢٤) مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي : (ت: ق.٦هـ) : ٦/ ٣٥٠ .
٢٥) الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ١٩٢ .
٢٦) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : محمود بن أحمد الزمخشري : (ت: ٥٣٨هـ) : ٤/ ٢٧٩.
٢٧) الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ٧٧ .
٢٨) الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٤٥ .
٢٩) الميزان : ١٩/ ١٣٦ .
٣٠) الميزان : ١٩/ ١٣٧ .
٣١) الميزان في تفسير القرآن : ٥ / ٧٨-٧٩ .
٣٢) تفسير الميزان : ١٠ / ٩٩ .
٣٣) تفسير الميزان : ٩ / ٢٢ .
٣٤) تفسير الميزان : ٦ / ١٢٧ .
٣٥) تفسير الميزان : ٢ / ٢١٤ .
٣٦) المصدر نفسه : ١٢/ ١٨٨ .
٣٧) تفسير الميزان : ٥ / ٢١٨ .
٣٨) الميزان : ١٥ / ١٤٨ .
٣٩) المصدر نفسه : ١٧/ ٧٤ .
٤٠) المصدر نفسه : ١٧/ ٧٧ .
٤١) المصدر نفسه : ١٢ / ١٦٨ .
٤٢) تفسير الميزان : ١٢/ ١٧٢ .
٤٣) الميزان : ١٦ / ٧٠ .
٤٤) تفسير الميزان : ٢ / ١٢٩ .
٤٥) ينظر : تفسير الميزان : ٢ / ١٣٠ .
٤٦) تفسير الميزان : ١٥ / ٦٣ .
٤٧) ينظر : الكافي : الكليني : رقم الحديث (٥) : ١/ ١٩٥ .
٤٨) ينظر : تفسير الميزان : الطباطبائي : ١٥ / ٧٢ .
٤٩) تفسير الميزان : الطباطبائي : ١٥ / ٦٣ .
٥٠) تفسير الميزان : ١١ / ١٩٨ .
٥١) تفسير الميزان : ١٥ / ١٥٨ .
٥٢) الميزان : ١٤ / ٢٠٤ .
٥٣) الميزان : ١٩ / ٣١ .
٥٤) المصدر نفسه : ١٩ / ٤٣ .
٥٥) تفسير الميزان : ١٤ / ٢٠٤ .
٥٦) الميزان : ١٤ / ٢٠٤ .

٥٧) الميزان : ١٤ / ٢٠٥ .
٥٨) تفسير الميزان : ٢ / ٣٧ .
٥٩) الكافي : الكليني : باب نادر : رقم الحديث (٦٦) : ١ / ٤٢٥ ، وينظر: وسائل الشيعة : الحر العاملي : ١٥ / ٣٥ .
٦٠) الكافي : الكليني : باب بر الوالدين : رقم الحديث (١٠) : ٢ / ١٦٠ ، وينظر : بحار الانوار : المجلسي : رقم الحديث (١٠) : ٧١ / ٥٢ .
٦١) تفسير الميزان : ١٧ / ١٢ .
٦٢) تفسير الميزان : ٧ / ٢ .
٦٣) تفسير الميزان : ١١ / ١٦٨ ، ١١ : ١٦٨ .
٦٤) تفسير الميزان : ١٩ / ٥٤ .
٦٥) الميزان : ١٩ / ٥٤ .
٦٦) ينظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١هـ) : ٧ / ٦٩٥ ، وينظر : وسائل الشيعة : الحر العاملي : باب كراهة لبس صاحب الاهل الخشن من الثياب وانقطاعه عن الدنيا : رقم الحديث (١) : ٥ / ١١٢ .
٦٧) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي : (ت:٥٤٨هـ) : ١ / ٢٣٦ .
٦٨) ينظر : الميزان : ١٢٨/٥ .
٦٩) تفسير الميزان : الطباطبائي : ٥ / ١٢٧ – ١٣٩ .
٧٠) الكافي : الكليني : باب مسح الرأس والقدمين : ٣/ ٣٣–٣٧ .
٧١) الميزان : ٥ / ١٢٧ .
٧٢) الميزان : ٥ / ١٢٨ .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .
١ـ البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت : ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٦ هـ .
٢ـ تفسير الماتريدي : محمد بن محمود الماتريدي (ت : ٣٣٣هـ) ، المحقق: مجدي باسلوم ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٢٦ هـ .
٣ـ التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي (ت : ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة .
٤ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (ت : ٩١١هـ) ، الناشر: دار الفكر – بيروت .
٥–الكافي : محمد بن يعقوب الكليني : (ت:٣٢٩هـ) ، الناشر ، منشورات الفجر ، بيروت –لبنان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ .
٦ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : محمود بن أحمد، الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٣ – ١٤٠٧ .
٧ـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : موسى الحسيني الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت .
٨ـ لسان العرب : محمد بن جمال الدين ابن منظور: (ت : ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر – بيروت ، ط٣ – ١٤١٤ هـ .
٩ـ لطائف الإشارات : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت : ٤٦٥هـ) ، المحقق: إبراهيم البسيوني ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ، ط٣ .
١٠ـ لمحات من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي : السيد كمال الحيدري .
١١–مجمع البيان في تفسير القرآن : أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي : (ت:٥٤٨هـ) ،الناشر، دار المعرفة .
١٢ـ معجم اللغة العربية المعاصرة :أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت : ١٤٢٤هـ) ، الناشر: عالم الكتب ، ط١، ١٤٢٩هـ
١٣ـ مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت : ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط٣ .
١٤–الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي:(ت:١٤٠٢هـ)، صححه واشرف على طباعته ، حسين الاعلمي ، الناشر ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، المكان ، بيروت – لبنان ، ط١ .

أثر استجراتيجية اوريلي في تحصيل طالبات الخامس العلمي في مادة الكيمياء

م. م. هبه حسن كاظم
وزارة التربية / المديرية العامة لتربية محافظة بغداد الرصافة /٢



للمستخلص:
هدف البحث الحالي التعرف على اثر استراتيجية اوريلي في تحصيل طالبات الصف الخامس العلمي في مادة الكيمياء، تحددت عينة البحث الحالي بطالبات الصف الخامس العلمي التابعة لمدارس تربية الرصافة الثانية التابعة لمحافظة بغداد للعام الدراسي(٢٠٢٤ – ٢٠٢٥)، تم اختيار عينة البحث في ثانوية (الاء الرحمن للبنات) ليكون طالبتها عينة البحث بصورة قصدية وتم اختيار شعبتين بصورة غير قصدية من مجموع أربع شعب من المُدرسة ، أحد المجموعتين تجريبية والأخرى ضابطة ، وقد بلغت عينة البحث (٨٢) طالب بواقع (٤١) طالبة في المجموعة التجريبية، و (٤١) طالب في المجموعة الضابطة وقد كافأت الباحثة مجموعتا البحث في متغيرات (اختبار الذكاء، العمر الزمني، المعلومات السابقة)، إذ تم صياغة (٤٠)، فقرة بما يتناسب مع محتوى المادة والاغراض السلوكية (معرفة، فهم، تطبيق، تحليل)، وتم تحليل البيانات ومعالجتها إحصائياً باعتماد البرنامج الإحصائي (SPSS) إذ اظهرت النتائج بتفوق طالبات المجموعة التجريبية الذين درسوا بوفق استراتيجية اوريلي على طالبات المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة الاعتيادية في اختبار التحصيل الدراسي ، وبناءً على نتائج البحث توصي الباحثة بضرورة اعتماد استراتيجية اوريلي في تدريس مادة الكيمياء لما لها من أثر إيجابي في زيادة التحصيل الدراسي لدى الطالباتِ، ولغرض التحقق من هدف البحث وضعت الباحثة الفرضية الصفرية الآتية:
– لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية اللاتي يدرسن وفق استراتيجية اوريلي،وبين درجات المجموعة الضابطة اللاتي يدرسن بالطريقة الاعتيادية في التحصيل.
الكلمات المفتاحية: استراتيجية اوريلي،التحصيل، طالبات الخامس العلمي ، مادة الكيمياء.

Abstract:
The current research aims to identify the effect of the O›Relly Strategy on the achievement of fifth–grade scientific female students in the subject of Chemistry.
The research sample was determined to include fifth–grade scientific female students from schools under the Directorate of Education of Rusafa Second, affiliated with Baghdad Governorate, for the academic year (2024–2025). The research sample was intentionally selected from Alaa Al–Rahman Secondary School for Girls, where two sections were randomly chosen out of four available sections in the school. One of the two groups was designated as the experimental group and the other as the control group,The research sample consisted of (82) students, with (41) students in the experimental group and (41) students in the control group. The researcher ensured the equivalence of the two groups in the variables of (intelligence test, chronological age, and prior knowledge).A test comprising (40) items was developed, consistent with the content of the material and the behavioral objectives (knowledge, comprehension, application, and analysis). Data were analyzed and processed statistically using the (SPSS) statistical program,The results indicated the superiority of the experimental group students, who were taught using the O›Reilly Strategy, over the control group students, who were taught using the traditional method, in the academic achievement test,Based on the research results, the researcher recommends adopting the O›Reilly Strategy in teaching

Chemistry due to its positive impact on increasing students' academic achievement.,To verify the research objective, the researcher formulated the following null hypothesis:There are no statistically significant differences at the (0.05) significance level between the mean scores of the experimental group students who study according to the O›Reilly Strategy and the scores of the control group students who study according to the traditional method in achievement.

Keywords: O'Reilly strategy, achievement, fifth grade science students, chemistry subject.

الفصل الاول/ التعريف بالبحث

اولا/ مشكلة البحث Research Problem :

أن انخفاض مستوى التحصيل الدراسي للطالباتِ في العلوم بشكل عام ، وفي مادةِ الكيمياء بشكل خاص تعد من المشكلات الهامة والتي تواجه التربويين بسبب كون اعداد الطالباتِ كبير وقصر الحصة الدراسية وعدم توفر مختبرات في اغلب المدارس وعدم تطبيق استراتيجيات تعلم النشط الحديثة مما ادى ضعف في مستوى التفكير الذي يرفع من مستوى التحصيل ، و من أجل هذا و التأكد من تشخيص المشكلة قامت الباحثة بمناقشة المُدرسات حول أسباب انخفاض مستوى التحصيل لدى الطالباتِ، وتعريف المُدرسات باستراتيجيات التعلم النشط الحديثة واستراتيجية اوريلي التي تعد احدى استراتيجات التعلم النشط الحديثة من خلال توزيع إستبانة استطلاعية على عدة مدارس تشتمل مدرسات للصف الخامس العلمي للمدارس الثانوية وتضمنت الاستبانة ثلاث أسئلة تم التوصل بها الى النتائج الاتية :

١-(٨٠٪) ليس لديهم اي معلومات استراتيجات التعلم النشط الحديثة .

٢-(٩٢٪) لا يعتمدون الطرائق الحديثة في التدريس للصف الخامس العلمي .

٣-(١٠٠ ٪) لم يطلعوا على استراتيجية اوريلي .

ومن النتائج اعلاه تبين انهم لا يملكن معلومات عن استراتيجية اوريلي وعدم االعناية بالاستراتيجيات التي تنادي بها الاتجاهات الحديثة والتي تستلمر الجهد والوقت والوصول الى نتاجات تعليمية أفضل، وأكدت العديد من الدراساتِ انخفاض مستوى التحصيل لدى الطالباتِ بصورة عامة ومن هذه الدراسات دراسة (عبد السادة،٢٠٢٢) ودراسة (الابراهيمي ،٢٠٢٠) لذا ارامت الباحثة اجراء بحثها وتطبيق استراتيجية اوريلي لطالباتِ الصف الخامس العلمي لمعرفة أثره على التحصيل الدراسي للطالباتِ ولهذا حددت مشكلة البحث بالسؤال الاتي :

ما أثر استراتيجية اوريلي في التحصيل الدراسي عند طالبات الصف الخامس العلمي ؟

ثانياً / أهمية البحث Research Importance

يَشهد العالم اليوم تغيرات سريعة و وستمرة في جميع مجالات المعرفة بسبب الثورة العلمية الهائلة التي يشهدها العالم، مما يضع مسؤولية كبيرة على عاتق التعليم لإعداد الطلبة وتزويدهم بما يساعدهم على مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي للتكيف معه حتى أصبح هذا التقدم من سماتِ العصر التي تواجه البشرية (نوفل، ٢٠٠٧: ١٣١). فالتعليم هو وسيلة لنقل الحضارة من جيلٍ إلى جيلٍ، وتطويرها في سياق إطار ثقافي وتطور تاريخي ، وتطويرها في سلسلة من الحلقات المتصلة والمتواصلة (الذهب ، ٢٠٠٢ : ٣٥)، و يتسم التغير العلمي والتكنلوجي بالتقدم المستمر، و الذي يشمل كافة المجالات المختلفة، مما يتحتم على المؤسسات التربوية المسؤولية الكبيرة لمتابعة تطوير اهذا التقدم ، وذلك لإعداد طلبة قادرين على مواكبة تلك التطورات والتغيرات والقدرة على تطبيقها في المواقف الحياتية المختلفة ، لذا وكلت المؤسسات التربوية مهمة الأعتناء بأكساب االطلبة المفاهيم والحقائق، ويتطلب ذلك التغيير في وظائف المدرسة و دور المُدرس. (العياصرة ٢٠١١: ١٠٩)

واكد العاملين بمجال التربية العملية ان التعليم بوجهٍ العام وتدريس العلوم بوجه خاص ليس مجرد نقل المعرفة العلمية من المُدرس الى الطالب، بل تعني عملية نمو الطالب في مجالات الثلاثة معرفي ووجداني ومهاري، لكي تنمو شخصية الطالب في جميعِ جوانبها، فالخطوة المهمة والأساسية في تدريس مادةٍ علمية هي تعلم الطالب كيف يفكر لا كيف يحفظ من دون ادراكها وتوظيفها في الحياة ،وان نوع التربية التي يجب ان تقدم للمتعلم هي ان تهتم بالجانب الفكري لديهم (تعلم التفكير) بشكل رئيس، وتعلمهم كيف يستخدمون المعرفة التي اكتسبها وتكوين الاستقصائيةالاستكشافية ليكون الطالب في النهاية مواطناً متعلم يواجه مجتمعه بوعي ويحل مشاكله ويكتسب رؤيةصحيحة تؤهلهُ للمشاركة في عمليةِ التغير المستمر . زيتون،٢٠٠٥: ١٣)

لذا اهتم العاملين في التربيةِ والتعليمِ باستراتيجيات التدريس والسعي على تطويرها لتتماشى مع الخبرة المتزايدة، والتركيز على الجوانب التربوية والنفسية للطالب ، وتزويده بالعلوم والخبرات والمعارف، وتطوير استراتيجيات التدريس وتحسينها بما يناسب النظريات العلمية والتربوية الحديثة باعتبار ان استراتيجياتَ التدريس والنظريات العلمية التربوية عنصران أساسيان مهمان لنجاح الموقف التعليمي، وأن الطرائق التي يتبعها المدرسون في تدريسهم واستخدامهم للأساليب والأنشطة المساعدة تشد انتباه الطلبة وتدفعهم للأقبال على المادة التعليمية والاستفادة منها ورفع مستوى التحصيل . (الحريري ،٢٠١١: ٣١٤-٣١٥)

وتعد استراتيجية اوريلي من اهم الاستراتيجيات التي تجعل من الطالب محوراً للعملية التعليمية ،لانها تستند على عمليات التفكير الناقد وعمليات حل المشكلات وتجعله قادراً على اتخاذ القرار من خلال التصنيف والمناقضة والموازنة والمقارنة وتقيمها ،وايضا تنمي عملية البحث والتفحص للاحداث ، وتحليل وتفسير كل ماتوصل اليه بصورة واضحة مما يؤدي الى رفع مستواهم التحصيلي. (خطيب ،٢٠١٩ :٢٣)

وترى الباحثة ان توظيف استراتيجية اورايلي تعزز من قدرات الطالبات على فهم واستيعاب المادة العلمية في منهج الكيمياء للصف الخامس العلمي وتعمل على التفاعل الفعال بين الطالبات والمُدرسة ، وبين الطالبات انفسهن من خلال المناقشة والتحاور فيما بينهن.

وتتضح أهمية البحث الحالي فيما يلي:

١- يـواكب التطور العلمي والتكنلوجي في العالم بكافة الاختصاصات العلمية.

٢- اعتماد استراتيجية حديثة في العملية التعليمية، قد تجعل من التعلم عملية فعالة و منتجة وتساعد في زيادة نجاح عملية التعلم وتساعد الطالب الاهتمام بالتقنيات الحديثة ومعرفته بها ، وذلك يؤدي رفع مستوى التفكير لديهم.

٣- استراتيجية اوريلي هي استراتيجية تدريس مرنة تتلائم مع العمليات العقلية للطلبة وهي مهمة في محاكاة القدرات العقلية المتنوعة ومهارات التفكير العليا وحل بعض المشكلات والمساعدة على تعزيز عملية التفكير .

٤- تزويد مدرسي العلوم بنموذج إجرائي لكيفية تنفيذ خطوات استراتيجية اوريلي في تدريسهم ودعم استخدام استراتيجية اوريلي في الفصل الدراسي في مراحل التدريس المختلفة.

٥- تقييم جوانب تعلم الكيمياء لدى طالبات الخامس العلمي ، إذ يوفر أداة تقويمية تتكون من اختبار تحصيلي يمكن تطبيقه.

٦- تستجيب هذه المادة الضرورة لتطويرِ وتحسينِ عملية تدريس مادة الكيمياء بما يتوافق مع الاتجاهات التربوية المعاصرة وبما يحقق الأهداف التربوية.

ثالثاً: هدف البحث Research Objective:

يهدف البحث التعرف على اثر استراتيجية اوريلي في التحصيل عند طالبات الصف الخامس العلمي.

رابعاً: فرضية البحث Research Hypothese:

لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عِند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط الدرجات الطالباتِ اللاتي يدرسن على وفق استراتيجية اوريلي ومتوسط درجات طالباتِ اللاتي يدرسن على وفق الطريقة الاعتيادية في التحصيل.

خامساً/ حدود البحث Research Limitations:

يتحدد البحث بالاتي:

١. طالبات الصف الخامس العلمي في مدارس مديرية تربية بغداد/ الرصافة الثانية .

٢. الفصل الدراسي الأول للعام (٢٠٢٤-٢٠٢٥) م.

٣. الفصول الأولى من المنهج ، الفصل الاول (تطور المفهوم الذري) ،والثاني (قوى الترابط والاشكال الهندسية للجزيئات)و الثالث (الجدول الدوري وكيمياء العناصر الانتقالية) والرابع (المحاليل) من كتاب الكيمياء للصف الخامس العلمي المعتمد تدريسه ، ط٨، ٢٠١٩ ، وزارة التربية، جمهورية العراق.

سادساً/ تحديد المُصطلحات Definition of the Terms

اولا الأثر وعرفهُ كلاً من :

١. (شحاتة وزينب، ٢٠٠٣): هي محصلة التغيرات التي نرغب بها وتغيرات لا نرغب بها والتي تحدث للمتعلم اثناء عملية التعلم. (شحاتة وزينب، ٢٠٠٣ :٢٢)

٢. (السعدون،٢٠١٢): التغيير المقصود احداثهِ في المتغيرِ التابع بموجب تأثير المتغيير المستقل عليه. (السعدون ،٢٠١٢ : ٢٢)

وتعرفه الباحثة اجرائياً:

التغيير المعرفي المقصود الذي يطرأ لدى طالباتِ الصف الخامس العلمي نتيجة تعرضهن لـ استراتيجية اوريلي (المتغير المستقل) على(المتغير التابع) وهو التحصيل لطالبات المجموعة التجريبية ويقاس باختبار التحصيل في مادة الكيمياء.

ثانياً: استراتيجية اوريلي وقد عرفها كلاً من:

١- (عبيدات،٢٠٠٧): اجراءات تدريسية تقوم على مهارات تحديد الدليل وتقويمه ،وتحديد اسباب ونتائج ومقارنة الحجج وتحديد الافتراضات وتقييمها ثم تعميمها ، بما يحقق تزويد الطلبة بمهارات التفكير للتعامل مع المعطيات بصورة ناقدة ليحقق لهم الوصول الى قناعات مستندة الى الادلة الموجودة. (عبيدات،٢٠٠٧ : ١٩٨)

٢- (شربجي ، ٢٠١٠): الخطة التي تسهم في تحقيق الاهداف بصورة فعالة. (شربجي ، ٢٠١٠: ٢٩)

٣- (خطيب ،٢٠١٩) :استراتيجية تدريس تعتمد على مبدأ الانجذاب التنافسي ،اذ يتم تحليل طريقة المنافسة ونقاط قوة المتنافسين للاستفادة منها بالتفوق على بعضهم . (خطيب ،٢٠١٩)

وتعرفها الباحثة اجرائياً:

احدى استراتيجات التعلم النشط الحديثة والتي تجعل من الطالبة محوراً للعملية التعليمية بتحولها من متلقنة سلبية الى مفكرة وناقدة للمادة العلمية التي تتلاقها من خلال التشكيك والتحقق في المادة والوصول الى نقاط القوة والضعف فيها،وتقويمها.

ثالثاً: التحصيل عرفه كل من :

١- (ربيع ، ٢٠٠٨) : اداة للحكم على ما تم تدريسه للطلبة من موضوعاتِ تتعلق بمادة دراسية معينة بذاتها وليس ينتظر أو يتوقع تدريسهالهم . (ربيع ، ٢٠٠٨ : ١٧٠)

٢- (علام ، ٢٠٠٠) :درجة التي يكتسبها الطالب التي يحققها او مستوى النجاح الذي يصل اليهِ في مادةِ معينة . (علام ، ٢٠٠٠: ٥٥)

وتعرفه الباحثة اجرائياً:

اداة قياس مقدار المعرفة والمفاهيم والحقائق التي اكتسبتها طالبات الصف الخامس علمي في عينة الدراسة بعد تدريسهم كتاب مادة االكيمياء في الفصل الدراسي الأول من خلال مجموع الدرجات التي حصلوا عليها من

استجاباتهم للاختبارات التحصيلية ا وفقا لمستوى المعرفة والفهم والتطبيق والتحليل .

الفصل الثاني: الاطار النظري والدراسات السابقة

اولاً:النظرية البنائية constructivist theory

تعد النظرية البنائية من النظريات التي تعالج التعليم والتعلم والعلاقة بين هذه البنى، وهي تفسر الإفتراضات والمبادئ لهذه النظرية البنائية بشكل أكثر تحديداً. وتعرض خصائص مختلفة بصورة أساسة عن النماذج التعليمية الأخرى، و الطريقة التي يمكن فيها توجيه عملية التعلم والتعليم بوساطة نظرية التعلم في الترتيبات الحقيقية في مواقف صفية أكثر فاعلية، إن ممارسات التعليم البنائي الهادفة تتطلب توفير نظرية التعلم للتوجيه والتركيز من خلال عملية التصميم التعليمية إذ لا يمكن الاستغناء عنها، إذ يفترض أي إطار تعليمي أن يأخذ في حسبانهِ الأسس النظرية التي تستند إليها، وفي الوقتِ نفسه يتوقع التربوي أن يفهم النظرية التعليميةِ التي يمكن تصنيف فئاتها إلى مجالاتٍ رئيسة ثلاثة هي السلوكية و المعرفية والبنائية وتوضيح الأسس المفهومية للبنائية، والمتغيرات ومضامينها للتعليم في الغرفة الصفية. (الخزاعلة وآخرون،٢٠١١: ٢٠٧). اختلفت النظرة إلى مفهوم البنائية، فمن وجهة نظر زكريا فإن البنائية: « نظرية في العلم تؤكد أهمية النموذج أو البناء في كل معرفة علمية، وتجعل للعالقات الداخلية والنسق الباطن قيمة كبرى في اكتساب أي علم»(زكريا ، ١٩٨٠: ٩)

من وجهة نظر ناصر على أنها: « منهج تحليلي تركيبي يعتمد إلى تحليل كل بناءٍ إلى جزئياتهِ التي يتكون منها للكشف عن العالقات الموضوعية التي تربطها بعضها ببعض، و ثم إعادة تركيبها في بناء كلي جديد يكون أرقى من البناء السابق وأكثر تطورا».(ناصر ، ٢٠٠١: ٤٢٢)

في حين ينظر اليه ازيتون فهي: «عملية استقبال تتضمن إعادة بناء الطالبين لمعان جديدة داخل سياق معرفتهم الحالية مع خبراتهم السابقة وبيئة التعلم، إذ تمثل كل من خبرات الحياة الحقيقية والمعلومات السابقة بجانب مناخ تعلم الجوانب الأساسية للنظرية البنائية»(زيتون، ٢٠٠٢: ٢١٢).

عناصر النظرية البنائية: وتتكون من

اولاً: التراكيب المعرفية الموجودة لدى الطالب.

ثانياً: المعرفة التي يتعرض لها الطالب في الموقف التعليمي التعلمي الراهن.

ثالثاً: بيئة التعلم بما تتضمنه من متغيرات متعددة. (عفانة، وابو ملوح، ٢٠٠٦: ١١)

مبادئ النظرية البنائية: للبنائية مبادئ عديدة منها:-

١- أن يكون الدرس من أجل الفهم وجعل الطالب نشطاً ومحور عملية التعلم والمدرس موجهاً ومرشداً.

٢- تزويد الطلبة بتغذية راجعة مستمرة.

٣- الابتعاد عن المبالغة وتقديم تصورات عن الواقع.

٤- مد الطالب بالخبرات المناسبة في عملية بناء المعرفة.

٥- حث الطالب على ممارسة عملية التفكير لتكوين خبرات جديدة والحصول على معلومات جديدة.

٦- الاهتمام بحاجات واهتمامات الطالب في عملية بناء المعرفة .

(قطامي، ٢٠١٣: ٧٥٨) (الحلفي ونجم، ٢٠١٩ : ٢٧٧).

ثانياً: استراتيجية اوريلي O›Relly strategy

تنسب استراتيجية اوريلي الى مؤسسها الباحث(كيفن اوريلي) الذي يعد من اول المؤسسين للجمعية التاريخية العلمية في امريكا، والذي شغل منصب في مجلس الادارة فيها والذي درس في كلية (راريتان–فالي) كأستاذ للدرسات الاجتماعية وعمل ايضا في جامعات كولومبيا و (بريستون وروتجز) في امريكا،وطرح فكرة الاستراتيجية كواحدة من استراتيجيات تعلم التفكير عندما نشأت مناقشات حادة عند مناقشة القضايا التاريخية التي كانت تؤدي

الى عدم اتفاق في وجهات نظر مؤرخي حول الشخصيات و الحوادث التاريخية، مما يسهم تنمية مهارات التفكير عند حدوث تلك المناقشات ونتيجة المناقشة كانوا مفكرين وناقدين ، وبذلك يمكن للمدرس تقديم موضوع يثير به نقاش طلبته ، ويبين لهم نقاط الضعف والقوة ، وايضا يمكنه تعليمهم كيفية تحليل الادلة وتقييمها.
(O›Relly ، Denisse،٧:٢٠١٠)

-مفهوم استراتيجية اوريلي

تنبثق استراتيجية اوريلي من النظرية البنائية التي تهدف الى خلق بيئة تعليمية تفاعلية لانها تعتمد كون الطالب معتمدا اعتمادا كلياً على معايير التدريس التفاعلي (شكر وهادي، ٢٠٢٥: ٢٨٨)وتخلق بيئة تعليمية تشجع على التفكير الابتكاري والناقد من خلال تحفيز الطالب على التعاون و الاكتشاف و تطبيق المفاهيم على ارض الواقع.
(Beal،2002;168)

مميزات استراتيجية اوريلي:

تتميز استراتيجية اوريلي بانها تساعد الطلبة على :

١- تنمية مهارات البحث والتفكير النقدي والتحليل.
٢-تمكينهم من فحص المشكلات وتحليل الاحداث وتفسيرها بشكل دقيق.
٣-اتخاذ القرار بناءا على الفهم الصحيح للمعلومات المتوفرة.
٤-اعادة بناء الاحداث وصياغة رؤية جديدة للمعلومات وصياغة رؤية جديدة ومفاهيم مبتكرة.
٥-تنمية حب التعلم وتشجيعهم على التفكير الابداعي.
(O›Relly، ١:٢٠٠٦)
٧-تنمية قدراتهم على المناقشة والحوار المتواصل مع اقرانه.
٨-تعزز قدرته على تحديد الادلة وتقيمها نتيجة المساركة الفعالة.
(Grivas،٣٥:٢٠٠٨)

مهارات استراتجية اوريلي :

١- مهارات التحليل: و تتمثل بـ
-التمييز بين النتائج و الاسباب
-يتعرف على انواع النقد (التفكير و الالتعقل)
- تكوين الافتراضات والاحكام والمفاهيم
٢- مهارات التقييم: وتتمثل بتقييم
- العلاقة بين الاسباب والنتائج
-تقييم الافكار والمصادر
-الافتراضات والمفاهيم والاحكام
-النتائج للاحتفاظ بنتائج التعلم لفترة اطول.
(أفليس ، ٢٠١٤: ٥٩)

خطوات استراتيجية اوريلي

المرحلة الاولى:تتم فيها تحديد المصادر وتقييمها وتهدف هذه المرحلى الى زيادة ققدرة الطالبة على التفكير بشكل نقدي حول المصادر المتوفرة لديها ووتقدير مدى صحة المصادر من خلال التمييز بين المصادر المزثوقة وغير الموثوقة وتسمى هذه المرحلة (عملية التحليل النقدي)

المرحلة الثانية:تتمثل في تنمية تحديد المسببات والنتائج تحديد العلاقات و الاستدلالية والمنطقية ، وبهذا المرحلة

تتعلم الطالبة فهم العلاقات السببية ونتائجها بين الظواهر والاحداث.

المرحلة الثالثة: بفضل هذه المرحلة تحصل موازنة الحجج وتقييمها،حيث تقوم الطالبة بتحليل وتصنيف وتقييم مدى قوتها وصحتها.

المرحلة الرابعة: تنمية مهارات تكوين الافتراضات والاحكام العامة ، وتساعد هذه المرحلة على التفكير النقدي بشكل وتوجيه افكارهن بشكل منطقي. (أفليس ،٢٠١٤: ٦٠-٦٣)

رابعا: التحصيل Achievement

التحصيل ا هو المعرفة التي يكتسبها الطالب وذلك عن طريق برنامج او منهج دراسي مُعد ،وهو مستوى محدد من الاداء او الكفاءة في العمل الدراسي ،يقيم من قبل المدرس او عن طريق الاختبارات ويركز مفهوم التحصيل الدراسي على مستوى الاداء وعلى طريقة التقويم التي يقوم بها المدرس (شهاب ،٢٠١٧ :٥٣) وهو محصلة ما يتعلمه الطالب بعد مرور مدة زمنية معينة ويمكن قياسه بالدرجة التي يحصل عليها في الاختبار التحصيلي لغرض معرفة مدى نجاح الاستراتيجية التي يصنعها ويخطط لها المدرس وما يحصل عليه الطالب تترجم الى درجات. :٤٢)

شروط التحصيل الدراسي الجيد:

١- الذكاء:مما لا شك فيه أن عامل الذكاء شرطاً أساساً في عمليةِ التحصيل الدراسي فقد أثبتت العديد من الدراساتِ العلاقات الارتباطية الموجبة بين الذكاء والتحصيل الدراسي، إذ إنه يلعب دورا مهما في عمليةِ التفوق أو التحصيل الدراسي.

٢- الدافع:أكدت العديد من الدراساتِ والأبحاثِ العلاقة الطردية بين الدافعية و التحصيل الدراسي وأهمية الدافعية في ارتفاع مستوى التحصيل، فكلما زاد احدهما زاد الاخر.

٣- التكرار: إن للتكرارَ فوائد غير خافية في ترسيخِ حفظ المادة العملية مما يؤدي الى تحسين الأداء وتدبر المادة العلمية.

٤- الإرشاد والتوجيه: إن التعليمَ القائم على أساس الإرشادِ والتوجيهِ من طرفِ المؤطرين والمختصين يعمل على رفعِ المستوى التحصيلي للطالب،إذ عن طِريق التوجيهِ والإرشاد يتعلمُ الطالب الأساليب الصحيحة منذ البداية.

النشاط الذاتي: إن الذي يقومُ على النشاطِ الذاتي يجعل الطالب فعالاً في عمليةِ البحثِ والإطلاعِ واكتشاف الحقائق العلمية بنفسه ولاشك أن هذا يساعد في ترسيخِ المعلومات واستذكارها كما من أهم مميزات النشاط الذاتي زيادة الثقة بالنفس والاعتماد على الفكر وتدبير في الأمور والتحليل والمناقشة ونقد البناء وهذا من شأنه أن يولدَ روح المبادرة وتحمل المسؤولية. (صاحي ، ٢٠١٩: ٥٦)

أدوات التحصيل الدراسي :

وضحت الباحثة اداوات التحصيل الدراسي باعتمادها على ((خالد، ٢٠١٧: ٣٦-٣٧)) بمخطط الاتي :



(اعداد الباحثة)

رابعاً: الدراسات السابقة

تُعدُّ الدراسات السابقة خطوة مهمة في تخطيط لمشروع بحث جديدٍ ، فهذه المراجعة تزيدُ من ثقة الباحث بنفسه، وتساعده في تحديد مشكلة بحثه بنحوٍ جيدٍ. و تسهم في وضع فرضية قابلة للاختبار والتطبيق، فضلاً عن ذلك أنَّ الاطلاع على الدراسات السابقة، ما هو إلّا استثمار نجاحات الآخرين في إعداد دراساتهم، ومن شأنها تنمية مداخل جديدة للتفكير عند الباحث، وتطوير أساليبه في التعامل مع إجراءات بحثهِ ؛ ومن هنا ترى الباحثة أنَّ مراجعة الدراسات السابقة لها دور فاعل في الابتعاد عن الأخطاء وعدم تكرارها، وتجنب الأمور المظلمة أو ما يسمى بالنهايات الميتة، وبذلك تكون حلاً ذكيا ومنطقيالأي باحث حاذق.

وبعد البحث وجدت الباحثة درستين عربية حول استراتيجية اوريلي وهما:

١-(دراسة فليس، ٢٠١٤) : فاعلية برنامج مقترح وفق استراتيجية اوريلي في تنمية المفاهيم السياسية في مادة التربية الوطنية لدى طلبة الصف العاشر واتجاهم نحوها

٢-(دراسة شكر وراند، ٢٠٢٥):اثر استراتيجية اوريلي في اكتساب المفاهيم النحوية لدى طالباتِ الصف الخامس الاعدادي في قواعد اللغة العربية

١٢

اسم الباحث، والسنة، والمكان	هدف الدراسة	المرحلة الدراسية	عدد العينة، والجنس	المادة	تكافؤ	الوسائل الاحصائية	ابرز النتائج
فليس، ٢٠١٤ سوريا (دمشق)	١-قياس فعالية برنامج مقترح وفق استراتيجة اوريلي في تنمية مفاهيم السياسية لدى طلبة الصف الاول الثانوي ٢-قياس اتجاهات طلبة الصف الاول الثانوي نحو مادة التربية الوطنية	العاشر	١٢٠ ذكور	التربية الوطنية	١-العمر الزمني ٢-المستوى الاقتصادي والاجتماعي ٣-التحصيل الدراسي في موضوعات التربية الوطنية ٤-زمن التدريس	١- اختبار تي تيست ٢- معامل ارتباط بيرسون	١-يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين مجموعتي البحث ٢-تسهم استراتيجية اوريلي في تنمية اتجاهات الطلبة
شكر وراند، ٢٠٢٥ العراق (ديالى)	التعرف على اثر استراتيجية اوريلي في اكتساب المفاهيم النحويلدى طالبات الصف الخامس الاعدادي في قواعد اللغة العربية	الخامس الاعدادي	٧٤ انث	اللغة العربية	اختبار التحصيل الدراسي للعام السابق	١- مربع كاي ٢- اختبار التائي ٣- معامل ارتباط بيرسون	تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة

(اعداد الباحثة)

الفصل الثالث : منهجية البحث واجراءاتهِ

اولا: منهجية البحث Research Methology

اعتمدت الباحثة في البحث الحالي المنهج التجريبي لملائمته لطبيعة البحث.

ثانياً: التصميم التجريبي Experimental Design

اعتمد ت الباحثة في البحث الحالي التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي المعروف بتصميم المجموعتين مع اختبار يوضح ذلك.

ت	المجموعة	التكافؤ	المتغير المستقل	المتغير التابع	الاختبار البعدي
1.	التجريبية	ـالعمر الزمني(بالأشهر) ـ اختبار الذكاء ـالمعلومات السابقة	استراتيجية اوريلي	التحصيل	اختبار التحصيل
٢ـ	الضابطة		الطريقة الاعتيادية		

جدول (٢) التصميم التجريبي المعتمد بالدراسة

ثالثاً: تحديد مجتمع البحث وعينته Research Population and Sample

أ – حدد مجتمع البحث بطالبات الخامس العلمي في مدارس تربية الرصافة الثانية التابعة لمحافظة بغداد في العام الدراسي (٢٠٢٤ – ٢٠٢٥). وقد وقع االختيار الباحثةعلى ثانوية الاء الرحمن للبنات لتكون عينة لبحثها بصورة قصدية، وبصورة عشوائية أيضا حددت الباحثة مجموعتي البحث، وعلى وفق ذلك مثلت شعبة (ج) المجموعة التجريبية التي ستدرس طالباتها مادة الكيمياء باستعمال الاستراتيجية اوريلي، ومثلت شعبة (د) المجموعة الأخرى (الضابطة) التي سيدرس طالباتها المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية ، إذ بلغ عدد طلاب مجموعتي البحث (٨٢) طالب، بواقع (٤١) طالبة في المجوعة التجريبية، و (٤١)طالبة في المجموعة الضابطة وبعد ما استبعدت الطالبات الراسبات والمتسربات البالغ عددهم (٨) ، علماً أن استبعاد الطالبات كان للأغراض الإحصائية فقط..

رابعاً: اجراءات الضبطControl procedure

أجرت الباحثة قبل أن تباشر بتطبيق تجربته التكافؤ الإحصائي للمجموعتين في عدد من المتغيرات التي يخشى أن تكون لها أثر في سلامةِ نتائج التجربة، وهذه المتغيرات هي:

أ – العمر الزمني للطلبة محسوباً بالشهور : حسبت الباحثة المتوسط الحسابي لأعمار طلاب المجموعتين، وباستعمال اختبار (T-test) للعينتين المستقلتين للتعرف على دلالة الفرق بين المتوسطين، تبين أن الفرق لم يكن دالا إحصائيا بمستوى دلالة (٠,٠٥) ؛ فقد كانت القيمة التائية المحسوبة (٠,٠٥) أصغر من قيمتها الجدولية (٢)، وبدرجة حرية قدرها (٦٢)، وهذا يعني أن المجموعتين متكافئتان إحصائياً في هذا المتغير.

ب– درجات تحصيل الطالبات في مادة الكيمياء للعام السابق : حَسَبَت الباحثة المتوسط الحسابي لدرجات طالبات المجموعتين، وباستعمال اختبار (T) للعينتين المستقلتين؛ لتعرف دلالة الفرق بين المتوسطين، اتضح أن الفرق لم يكن دالا إحصائيا بمستوى دلالة (٠,٠٥)؛ فقد كانت القيمة التائية المحسوبة (٠,٥٥) أصغر من قيمتها الجدولية البالغة (٢) بدرجة حرية قدرها (٦٢)، مما يعني أن مجموعتي البحث متكافئتان إحصائياً في هذا المتغير.

ج– اختبار الذكاء : تم استعمال اختبار (اوتيس–لينون) للقدرات العقلية لملائمتهِ لعينة البحث، وتكيفه مع البيئة العراقية (القريشي ،١٩٩٠)،ولغرض معرفة التكافؤ بين المجموعتين تطلب معرفة مدى تجانس التباين بين المجموعتين وذلك باستخدام اختبار ليفين (Leven s Test)،و الذي تبينّ انه غير دال ، حيث كانت القيمة الفائية (٠,٣١) اصغر من القيمة الفائية الجدولية (٤,٠) عند مستوى دلالة (٠,٠٥)، وهذا يدل على ان مجموعتي البحث متجانسة في متغير الذ١كاء.

ضبط المتغيرات الدخيلة:وتشمل:-

أ – الفروق في اختيار العينة : لتجنب ما يحدثه هذا المُتغيّر من تأثير سلبي اختارت الباحثة مجموعتي بحثه عشوائيا بالإضافة إلى قيامها بالتكافؤ الإحصائي بين المجموعتين.

ب – الحوادث المصاحبة : لم تتعرض التجربة أي حادث أو ظرف عرقل سيرها .

ج – الاندثار التجريبي : لم يتأثر طلاب التجربة الحالية بمثل هذا الأثر.

د – أداتا القياس : كانت أداتا القياس موحدتين وقد أعتمدتها الباحثة بنفسها.

هـ – أثر الإجراءات التجريبية : اجتهدت الباحثة في الحدِ من أثر تلك الإجراءات على مجرى التجربة، وسلامتها، ودقة نتائجها، فقد حرصت الباحثة على الآتي :

١ – المدُرسة : درست الباحثة طالبات المجموعتين بنفسها، لتلافي الأثر الذي قد يحدثه اختلاف شخصية المدُرسة.

٢ – المادة الدراسية : كانت موضوعات الكيمياء الداخلة في التجربة موحدة بين مجموعتي البحث، فقد حدد لكلا المجموعتين نفس موضوعات الاجتماعيات المقررة في الفصل الاول من الكتاب المنهجي.

٣–توزيع الحصص : تمكنت الباحثة من تجاوز هذا المتغير من طريق توزيع الحصص بشكل متساوي بين المجموعتين،بالاتفاق مع ادارة المدرسة.

خامساً: مستلزمات البحث Requirements

وتتضمن كُل مما يأتي

١ –تحديد المادة العلمية : كما تم ذكرها سابقا في حدود البحث

٢–صوغ الاهداف التعليمية : بما ينسب المرحلة العلمية و عمر الطالبات ، صاغت الباحثة حسب مستويات بلوم الاربعة وهي(تذكر ، استيعاب ، تطبيق ، تحليل) وعرضتها على عدد من المحكمين، واعتمدت نسبة اتفاق (٨٠٪) فاكثر مع مراعات التعديلات المقترحة.

٣–اعداد الخطط التدريسية:اعتمدت الباحثة خطط تدريسية لكل من مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) وفي ضوء الفصول الاربعة الاولى من كتاب كيمياء الخامس العلمي ، وعرضتها على مجموعة من المحكمين في اختصاص الكيمياء الصرفة وطرائق تدريس الكيمياء ،وباعتماد على موافقة(٨٠ ٪)معيارا لصلاح الخطة التدريسية.

سادسا: أداة البحث The Research Scales

اعدت الباحثة اختبار تحصيلي و اتبعت في إعداد الاختبار التحصيلي ما يأتي :

١ – تحديد الهدف من الاختبار : يرمي هذا الاختبار لتعرف أثر استراتيجية اوريلي في تحصيل مادة الكيمياء لدى عينة البحث.

٢ – تحديد المادة العلمية : تم تحديدها سابقاً ضمن فقرات متطلبات البحث.

٣ – تعيين عدد فقرات الاسئلة ونوعها: عينّت الباحثة (٤٠) فقرة للاختبار، كانت منها (٣٠ فقرة) اختيار من متعدد، (١٠) مقالية.

٤ – جدول المواصفات (الخارطة الاختبارية) : ، ثم استخرج الأوزان المئوية لكل من المحتوى والأهداف وعدد الفقرات.

٥ – تعليمات الاختبار : صاغت الباحثة تعليمات الاختبار بوضوح ووضعها في بدايتهِ.

٦ – صدق المحتوى : عرضت الباحثة الاختبار مع جدول المواصفات والأهداف السلوكية على مجموعة من الخبراءِ والمتخصصين في مجالِ الكيمياء الصرفة وطرائق التدريس لمعرفة مدى تضمن الاختبار للمحتوى وعلى ضوء ما أبداه الخبراء من ملاحظات عدلت الباحثة صياغة بعض الفقرات ، إذ حظيت الفقرات جميعها باتفاق الخبراء بنسبةِ (٨٦٪).

– التطبيق الاستطلاعي : نفذت الباحثة الاختبار على عينةِ استطلاعية تكونت من (٤٠) طالبة من طالبات

الخامس العلمي في ثانوية الجوهرة للبنات ، بهدف التعرف على مدى وضوح الفقرات والزمن المستغرق للإجابة عليه، وقد اتضح أن الفقرات جميعها كانت واضحة،وان الزمن المستغرق للإجابة على الاختبار هو (٤٠) دقيقة.

– التحليل الإحصائي : طبق الاختبار على عينة مشكلة من (٦٦) طالبة من (ثانوية الجوهرة للبنات) وهو حجم مناسب بحسب رأي (٢٦٢ :Nuannally،١٩٧٤)، ويشمل مايأتي:

أ– صعوبة فقرات الاختبار وقوة تمييزها: بحساب معاملي الصعوبة والتمييز الفقرات الاختبار تبين أن صعوبتها قد تراوحت بين (٠,٤٤ – ٠,٧٠) وأن قوتها التمييزية تراوحت بين (٠,٣٣ – ٠,٥٠)، وهذا يعني الفقرات جميعها ذات مستوى صعوبة وقوة تمييزية جيدين.

ب–فاعلية البدائل الخاطئة: بحساب فاعلية هذه البدائل تبين أنها تراوحت ما بين (٠,١٢ و ٠,٣)، وهذا يعني أن البدائل جميعها تعد صالحة للتطبيق.

ج–ثبات الاختبار: لحساب ثبات الاختبار استعملت التجزئة النصفية، فكانت قيمة معامل الارتباط بيرسون بين جزئي الاختبار (٧٢) وبعد تصحيحهُ بمعادلةِ سبيرمان–براون بلغ (٨٨٪)، وهو معامل ثبات جيد في الحالتين.

د–الاختبار التحصيلي بصورتهِ النهائية : بعد استكمال الاجراءات السابقة أكتمل الاختبار بصورتهِ النهائية وأصبح جاهزا للتطبيق.

سابعاً: الوسائل الاحصائية Statistical Means

استخدمت الباحثة في هذا البحث الحزمة الإحصائية للعلوم التربوية – SPSS لاستخراج نتائج البحث وهي:

الاختبار التائي ذو النهايتينَ مستقلتين.

–معادلة معامل ارتباط بيرسون.

–معادلة معامل صعوبة الفقرات.

–معادلة معامل الصعوبة

–معادلة معامل تمييز الفقرات

–معادلة فعالية البدائل البدائل الخاطئة.

–معادلة الفاكرونباخ

–معادلة حجم الاثر

–معادلة كوبر

الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها View&Lnterpretation of Result

اولاً: عرض النتائج View of Result

فرضية البحث : ليس هناك فرق دال إحصائيا عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين التجريبية والضابطة في اختبار التحصيل البعدي لمادة الكيمياء، و باستعمال اختبار(T–test) للعينتين المستقلتين؛ لتعرف دلالة الفرق بين متوسطي المجموعتين، تبين أن الفرق دال إحصائيا، فقد كانت القيمة التائية المحسوبة (٤,٩) أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (٢) بمستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية قدرها (٦٢) وهذا يعني تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة، وبذلك ترفض الفرضية الصفرية. ولبيان حجم الاثر وحساب مدى فعالية استراتيجية اوريلي ، استخدمت الباحثة معادلة (ايتا) فوجدت انه يساوي (٠,٠٥٦) وهذا يدل مادي على وجود الاثر بين استراتيجية اوريلي والطريقة الاعتيادية.

ثانياً: تفسير النتائج Lnterpretation of Result

يتضح من خلال نتائج البحث التي توصلت اليها الباحثة ان استراتيجية اوريلي لها اثر في رفع مستوى التحصيل لدى طالبات الصف الخامس العلمي ، وتعزو الباحثة سبب ذلك الى :

١- ان أستراتيجية اوريلي عملت على تشجيع الطالبات على التفكير بالاشياء الصحيحة وتحويلها من حالةِ الأستقبال المباشر للمعلومات الى باحثات عنهن بأنفسهن ، حيث جعلت دور الطالبة محور العملية التعليمية وهذا عكس الطريقة الاعتيادية التي يكون فيه الطالبات مُتلقية للمعلومات ودورها من يقتصر على الحفظ والاستظهار دون التفكير واستعمال القدرات العقلية .

٢- ان توظيفَ نماذج التدريس الحديثة ولاسيما إستراتيجية اوريلي على المهمةِ يساعد على تنمية قوة الملاحظة والتفسيرات للظواهر، والوصول إلى استنتاجات عِبر تعديل وتيسير المعلومات والبيانات والحقائق التي يتم تقديمها بما يتلائم مع طبيعة المادة الدراسية، فضلاً عن أنها تمثل العمود الفقري لدراسة وفهم واستيعاب مادة الكيمياء

٣- تتيح هذه الإستراتيجية الفرصة للطالبات للقيام بعمليةِ تحليل المادة إلى مفاهيم رئيسة وفرعية ومناقشتها مع المدرس، مما ساعد على تعزيز دورهم الإيجابي في الدرس.

ثالثاً: الاستنتاجات Conclusions

في ضوءِ نتائج البحث الحالي يمكن أن نخلص إلى الاستنتاجات الآتية:

١. ساعدت إستراتيجية اوريلي طالبات المجموعة التجريبية على تنظيم أفكارهن في سياقات متسلسلة من الخبرات السابقة إلى خبرات مكتسبة جديدة بحيث جعلت الطالبة تفكر في المادة الدراسية كعملية عقلية منظمة له القدرة على إتقان الأنشطة وأداء الواجبات أفضل من طالبات المجموعة الضابطة.

٢. تبيَّن أنَّ لإستراتيجية اوريلي أثراً أكبر في تحصيل طالبات الصف الخامس العلمي في مادة الكيمياء، مُقارنةً بالطريقة الاعتيادية.

٣. إنَّ هذه الإستراتجية تُراعي مسألة الفروق الفردية عن طريق توزيع الطُلاب على مجموعات حسب استعداداتهم.

رابعاً: التوصيات Recommendation

١- إجراء المزيد من الأبحاث وعقد اللقاءات العلمية في موضوع الاستراتيجيات التعليمية أمر بالغ الأهمية، لتزويد العاملين في الميدان التربوي بأهم الاستراتيجيات التعليمية وتدريبهم عليها، مما يسهم في تجويدِ العملية التعليمية، كما أن تدعيم المقررات في الخطط الدراسية لإعداد مدرسي صعوبات المتعلم بالمزيد الاستراتيجيات التعليمية المتنوعة والحديثة، ستساهم في رفع كفاءتهم المهنية.

٢- تضمين تدريس الاستراتيجيات التعليمية مثل: (اوريلي) كمهارات مستقلة ضمن الخطط التربوية الفردية للطلاب يشكل تطورا نوعيا في طبيعة التدريس المُقدم لهم، ويستحسن أن يتم ربط المناهج بشكل عام بمهاراتِ استراتيجية اوريلي ، لكي تكون الطالبات أكثر ثقة عند أداء الاختبارات.

٣- يحتاج المدرس للمزيد من التطويرِ والتدريبش في موضوعِ الاستراتيجيات التعليمية ليستمروا في تقديم رسالتهم بكلِ كفاءة واقتدار،وأن تبادل الخبرات بين المُدرسين والاستفادة من طرق التدريسي والاستراتيجيات المستخدمة مع طلبتهم ، ستعود بالفائدةِ على أدائهم في الميدان التربوي.

٤-إن توفير البيئة التعليمية المناسبة لأبنائكم، وتلبية الاحتياجات الضرورية لهم سينعكس أثره إيجابيا على الاداء وتحسن مستواهم الدراسي ويعتبر دور الأسرة أساسيا في إعداد الخطة التربوية الفردية لأبنائهم الطلبة.

خامساً: المقترحات Proposal

استكمالاً لهذهِ البحث يقترح الباحثة إجراء دراسات أخرى كما يأتي:

١- إجراء دراسة لمعرفة اثر إستراتيجية اوريلي في تنمية التفكير في مراحل دراسية اخرى من المرحلة المتوسطة أوالاعدادية.

٢- إجراء دراسات أخرى تستعمل إستراتيجية اوريلي على المهمة على مواد أو مراحل دراسية أخرى.

٣- إجراء دراسة مماثلة للبحث الحالي للمقارنة بين إستراتيجية اوريلي على المهمة مع طرائق وأساليب تدريسية أخرى في المتغيرات نفسها.

المصادر العربية

١- الابراهيمي ، زينب عبد الامير (٢٠٢٠):»اثر استراتيجية (P.E.C.S) في تحصيل مادة الكيمياء و التفكير الشمولي عند طالبات الصف الخامس علمي» رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة بغداد ، العراق.

٢- ابو جادو، صالح محمد (٢٠٠٩) : علم النفس التربوي، ط٧ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.

٣- اقليس، ماري (٢٠١٤):ستراتجيات التعلم النشط ، ط٤، دار المعرفة ، مصر .

٤- الحريري، رافدة (٢٠١١): الجودة الشاملة في المناهج وطرائق التدريس ،ط١، دار المسيرة،عمان.

٥- الخلفي، ماجد رحيمة ونجم عبد الله الموسوي(٢٠١٩) : طرائق التدريس الحديثة رؤية أكاديمية(تربوية نفسية)، ط١،الأردن ، عمان، دار، رضوان للنشر والتوزيع.

٦- خالد، الشايب (٢٠١٧):علاقة الصلابة النفسية بالتحصيل الدراسي لطالب التربية البدنية والرياضية، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

٧- الخزاعلة، محمد سلمان وآخرون(٢٠١١): طرائق التدريس الفعال، ط١، دار صفاء للطباعة والنشر، عمان.

٨- خطيب ، عبد الله (٢٠١٩): استراتيجية اوريلي وتحقيق التفوق التنافسي ، مجلة ادارة الاعمال الحديثة ، العدد٨، ٤٠-٥٥.

٩- الذهب ، محمد عبد العزيز (٢٠٠٢): التربية والمتغيرات الاجتماعية في الوطن العربي، بغداد.

١٠- زكريا، فؤاد (١٩٨٠): الجذور الفلسفية للبنائية، حوليات كلية الآداب ، الكويت.

١١- زيتون، حسن حسين. (٢٠٠٢) : استراتيجيات التدريس رؤية معاصرة لطرق التعليم والتعلم. مكتبة عالم الكتب، القاهرة.

١٢- زيتون، عايش محمود (٢٠٠٥): اساليب تدريس العلوم، ط٥، دار الشروق، عمان .

١٣- السعدون ،زينة عبد المحسن (٢٠١٢) : اثر برنامج تعليم التفكير في حل المشكلات والتحصيل الدراسي لدى تلاميذ من المرحلة الاعدادية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الصرفة – ابن الهيثم ، جامعة بغداد ، العراق.

١٤- شحاتة،حسن و زينب النجار(٢٠٠٣):معجم المصطلحات التربوية والنفسية، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

١٥- شكر، ازهار جبار ورائد حميد هادي (٢٠٢٥): اثر استراتيجية اوريلي في اكتساب المفاهيم لدى طالبات الصف الخامس اعدادي في قواعد اللغة العربية ،مجلة الفتح ،كلية التربية الاساسية ، جامعة ديالى ٢٨٠-٣١٢.

١٦- شهاب، وسام حمد(٢٠١٧) : اثر إستراتيجية البيت الدائري في التحصيل لدى طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الحاسوب وتنمية ذكائهم المنطقي،(رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة العراقية، كلية التربية، بغداد

١٧- صاحي، عبد الرؤوف (٢٠١٩): التأثـأة وتأثيرها على التحصيل الدراسي لدى عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائية دراسة ميدانية ببعض إبتدائيات أم البواقي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الرطوفونيا، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي.

١٨- عبد السادة، تبارك نجم (٢٠٢٢):»اثر استراتيجية الصف المقلوب في تحصيل مادة الكيمياء والتفكير الحاذق عند طالبات الصف الخامس العلمي» رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة بغداد ، العراق

١٩- عبيدات ،ذوقان وسهيلة ابو السميد (٢٠٠٧):استراتيجات التدريس القرن الحادي والعشرين ،دار الفكر ، عمان.

٢٠- عفانة، عزو إسماعيل، و أبو ملوح ، محمد سلمان (٢٠٠٦) : أثر استخدام بعض استراتيجيات النظرية البنائية في تنمية التفكير المنظومي في الهندسة لدى طلاب الصف التاسع الأساسي بغزة لدى طلاب الصف التاسع الأساسي بغزة، أطروحة غير منشورة، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية التربية.

٢١- علام ، صلاح الدين محمود (٢٠٠٠): القياس والتقويم التربوي والنفسي ،ط١ ،دار الفكر العربي ، القاهرة.

٢٢- العياصرة، وليد توفيق (٢٠١١): استراتيجيات تعليم التفكير ومهاراته، ط١، دار اسامة للنشر، عمان .

٢٣- قطامي، يوسف(٢٠١٣): استراتيجيات التعلم والتعليم المعرفية، ط١، الأردن ، عمان ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

٢٤- ناصر، إبراهيم (٢٠٠١): فلسفات التربية، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع.

٢٥- نوفل، محمد بكر (٢٠٠٧): الذكاء المتعدد في غرفة الصف النظرية والتطبيق، دار المسيرة، عمان.

Reference

1- Grivas, J. (2008): Teaching strategies that promote thinking. Open University Press.3 –Dalgarno, B., & Lee, M. J. W. (2010). What are the learning affordances of 3-D virtual environments?. British Journal of Educational Technology.

2- O›Reilly, D. (2006): Active Learning: Strategies for College Success. Boston, MA: Thomson.

3- O›Reilly, Denisse. (2010): «Teaching Thinking Strategies: Developing Historically Specific Critical Thinking Skills.

إلزامية التعليم في القوانين العراقية

م. م. ستار جبار مزعل
وزارة التربية/المديرية العامة لتربية محافظة بغداد الرصافة الثالثة



المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الأنظار على موضوع إلزامية التعليم في القوانين العراقية باعتباره حقاً أساسياً لكل طفل، وقاعدة اساسية من قواعد بناء المجتمع وتطوره. تناول البحث النصوص القانونية والتشريعية التي تُنظم إلزامية التعليم في العراق، بدءًا من الدستور العراقي والتشريعات ذات الصلة، وصولاً إلى الالتزامات والاتفاقيات الدولية التي أقرّها العراق في هذا المجال. كما استعرض البحث الأهداف الرئيسة لإلزامية التعليم ، وفي مقدمتها الحد من الأمية، وتحقيق العدالة في نيل الفرص التعليمية، وترسيخ وعي الأفراد بحقوقهم وواجباتهم ..

لم يغفل البحث عن التحديات التي تواجه تطبيق إلزامية التعليم، مثل الظروف الأمنية والاوضاع التي يمر بها البلد منها اثارة النزاعات العشائرية والتهجير والطائفية المقيتة لبعض المناطق التي مر بها العراق والاحوال الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى النقص في البنية التحتية للابنية المدرسية والكوادر التدريسية، خاصة في المناطق الريفية والنائية. كما تناول الجهود الحكومية والدولية الهادفة إلى تعزيز التعليم الإلزامي، من خلال خطط بناء المدارس، وتطوير المناهج، وتقديم الدعم للأسر الفقيرة.

وخلص البحث إلى التأكيد على أهمية تنفيذ القوانين المتعلقة بإلزامية التعليم، وضرورة تنشيط وتفعيل كل الجهود بين الدولة والمجتمع للوصول الى تعليم شامل ومستدام، باعتباره الهدف الأساس لبناء عراق متقدم متطور.

الكلمات المفتاحية: الزامية التعليم ، القانون العراقي، بناء المجتمع.

Abstract:

This research aims to shed light on the issue of compulsory education in Iraqi law, considering it a fundamental right for every child and a fundamental foundation for building and developing society. The research examines the legal and legislative texts regulating compulsory education in Iraq, beginning with the Iraqi Constitution and related legislation and extending to the international commitments and agreements ratified by Iraq in this area. The research also reviews the main objectives of compulsory education, most notably reducing illiteracy, achieving equity in access to educational opportunities, and strengthening individuals› awareness of their rights andduties. The research does not overlook the challenges facing the implementation o compulsory education, such as the security situation and the conditions facing th country, including the incitement of strife, displacement, and abhorrent sectarianism in some areas of Iraq, as well as the economic and social conditions. Furthermore, it examines the shortage of infrastructure for school buildings and teaching staff, especially in rural and remote areas. It also addresses governmental and international efforts aimed at promoting compulsory education through school construction plans, curriculum development, and support for poor families. The study concluded by emphasizing the importance of implementing laws related to compulsory education and the need to activate and leverage all efforts between the state and society to achieve comprehensive and sustainable education, as this is the fundamental goal of building an advanced and prosperous Iraq.

Keywords: Compulsory education, Iraqi , Community building.

المقدمة

١ . بيان المسالة

يُعدّ التعليم من اهم الحقوق الأساسية التي ضمنتها القوانين الدولية والتشريعات الوطنية، باعتباره الوسيلة الابرز والاهم للنهوض بالمجتمع وبناء أفراده تربويا وأخلاقياً واقتصادياً. وانطلاقاً من شعور الدول بأهمية التعليم، توجهت أغلب الحكومات إلى جعل التعليم إلزامياً، لضمان حصول جميع الأطفال على المستوى الأدنى من التعليم الأساسي الذي يُمكّنهم من الاندماج في المجتمع والمشاركة في تطوره وازدهاره .

وفي هذا الموضوع، تبنّى العراق منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة مفهوم إلزامية التعليم، ايمانا منه بأن التعليم ليس حقا فردياً فحسب، بل مسؤولية تقع على عاتق جميع العوائل والحكومة على حد سواء. وقد اقر الدستور العراقي والقوانين ذات العلاقة على إلزامية التعليم، خاصة في المرحلة الاولية الاساسية، لما لها من تأثير عميق في القضاء على الأمية، وتحقيق العدالة والمساواة، وتمينة الأجيال للمشاركة في بناء الوطن ومع ذلك، فإن تفعيل إلزامية التعليم في العراق لا يمكن ان تتحقق بدون مواجهة بعض التحديات والمعوقات، سواء كانت متعلقة بالظروف الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو الأمنية، وبالتحديد خلال وقت ما شهده العراق ايام العقود الماضية من أزمات ونزاعات أثرت بشكل عميق على البنية التحتية للمؤسسة التعليمية وعلى قدرة الحكومة في تنفيذ هذا الالتزام بالشكل المطلوب.

وعليه، فإن هذا البحث سيتناول مفهوم إلزامية التعليم، وتطورها في القوانين العراقية، وأهدافها، وأبرز التحديات التي تواجه تطبيقها، بالإضافة إلى استعراض الجهود الحكومية والدولية والاقليمية المبذولة لضمان التزام الكل بهذه القوانين وتحقيق الهدف الامثل وهو تعليم عام وعادل ومستدام لكل طفل عراقي .

٢ .اهمية البحث

تكمن اهمية هذه الدراسة في انها تتناول موضوعا معينا . الا وهو الزامية التعليم في القانون العراقي . والتعرف على مختلف القوانين والنصوص التي ألزمت التعليم وجعلته واجب وطني يجب ان يتمتع بيه جميع افراد الشعب. كما تظهر اهمية الدراسة في انها تعزز تطبيق القوانين التي تتناول الزامية التعليم والتعلم التي تساهم في تقليل نسبة الامية بين الاجيال الصغيرة وحتى الكبيرة من خلال توفير تعليم مجاني والزامي لجميع ابناء البلد وأظهرت الدراسة تعزيز المساواة في التعليم بمنح التعليم الالزامي فرصة لكل طفل للتعلم بغض النظر عن الوضع الاجتماعي او الوضع المادي لأسرة الطفل كما بينت الدراسة تحسين المستوى التنموي من خلال بناء جيل يتمتع بالمستوى الثقافي الذي يحافظ على استدامة التنمية للمجتمع وتوعية الاجيال بحب الوطن والمواطنة وترسيخ القيم العريقة للمجتمع وقوانين البلد مما يساعد على البناء والالتزام الصحيح بالمبادئ الوطنية.

٣ .هدف الدراسة

يكمن هدف الدراسة في انه يتصدى لموضوع الزامية التعليم في القانون العراقي دراسة تبحث في القوانين العراقية الصادرة منذ تأسيس الدولة العراقية التي تنص على تطبيق وسن القوانين التي توجب الزامية التعليم.

ومما لاشك فيه ان عدم تطبيق الزامية التعليم له اثر في تفشي ظاهرة الامية وما لهذه الظاهرة من خطورة على المجتمع والافراد فهي ظاهرة خطيرة تواجهها معظم المجتمعات المحلية والدولية لما لها من تأثير على تحقيق رفاهية المجتمع وتطور افرادة . حيث هدفت الدراسة الى بيان نسبة الامية والتعليم خلال حقبة من الزمن مرت بها الدولة العراقية وتحقيق ترسيخ المساواة في تلقي التعليم ورفع مستوى الازدهار والتطور التنموي من خلال الكشف في مدى تطبيق فرص التعليم الالزامي لكل طفل وبغض النظر عن الوضع المادي والمعيشي لاسرته . كما بينت الدراسة نشر حالة الوعي للاجيال بحب الوطن والمواطنة والذي يتطلب المساهمة في ترسيخ المواطن للاخلاق والقيم العريقة وتطبيق القوانين مما يساعد في بناء جيل مؤمن وملتزم بمبادئ المواطنة . كما بينت الدراسة اثر المعوقات والتحديات التي تحول دون تطبيق إلزامية التعليم بالشكل الذي يضمن حصول غالبية الشعب على فرص التعليم وسبل تذليلها في جميع الاصعدة الوطنية بغية تطبيق القوانين الهادفة

لتطبيق الزامية التعليم في العراق.

٤. الدراسات السابقة

أ. هنالك بعض الدراسات المحلية والعربية السابقة التي تناولت موضوع الزامية التعليم واثاره في تطور المجتمع عند تطبيق الالزامية بصورة فعلية على ارض الواقع.

فقط تطرق الاستاذ (أ.م.د رحيم حسن محمد) في رسالتة الموسومة(واقع التعليم في العراق) المنشورة في مجلة الدراسات المستدامة جانب من تطور التعليم في العراق ولكنة لم يتطرق الى الالزامية في التعليم ومدا تطبيق قانون الزامية التعليم في العراق بشكل موسع وانما اقتصر على تطور التعليم الابتدائي في العراق .

ب. كما بينت دراسة تقدم بها كل من (سماح حليم ثامر وحسين عليوي الزيادي)كلية الاداب جامعة ذي قار (الامية والتسرب المدرسي) واقع الامية وتفشيها في محافظة ذي قار حيث اكدت الدراسة على ضرورة الزامية التعليم وازالة كل العقبات والتحديات التي تحول دون القضاء على خطورة الامية ولم تتطرق الدراسة عن القوانين التي من شأنها معالجة ظاهرة التسرب الدراسي من خلال سن القوانين التي تتيح التعليم والتعلم بصورة مجانية وملزمة وواجبة لكل افراد الشعب

ج- دراسة (قطران عباس مجبل) بعنوان (تطور التعليم الإلزامي بعد ثورة ١٤ تموز في العراق والمنشورة في مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ٢٠٢١ حيث لم نجد في هذه الدراسة محاولات لتطور التعليم الالزامي وماهي الاجراءات المتخذة من قبل الحكومة للقضاء على الامية وجعل التعليم متاح لكل افراد الشعب من خلال اصدار القوانين والقرارات التي من شأنها اتاحة التعليم وجعله الزاميا لكل الاعمار .

د. لم اجد في مواقع البحوث العلمية اي دراسة عربية تهدف الى معالجة الزامية التعليم اما فيما يخص بحثنا سنتناول فيه مجمل القوانين والحلول والمعالجات التي من شانها ان تكون خارطة طريق لمعالجة آفة محو الامية وسبل مكافحتها من خلال التعليم واطلاق ابوابه امام كل فئات المجتمع العراقي.

٥. أسئلة البحث

السؤال الرئيسي

ما هي الزامية التعليم و القوانين التي تنص على الزامية التعليم في القانون العراقي؟

الأسئلة الفرعية

أ. ما هي الزامية التعليم ؟

ب. ما هي القوانين التي نصت على الزامية التعليم في العراق ؟

٦. منهجية البحث

لقد اعتمدنا في هذا البحث منهج (دراسة تحليلية وصفية) تقوم على دراسة النصوص الدستورية القانونية الخاصة حيث نفترض في هذه الدراسة ضرورة التعامل مع امر واقعي يتمثل بوجود حالة الامية لدى الشعب وعدم توفر فرص التعليم وما هي الامكانيات المتاحة في تذليل العقبات نحو تنفيذ النصوص القانونية الدستورية الخاصة بألزامية التعليم وفق ضوابط ومحددات معينة تهدف الى معرفة مدى الرغبة لدى الحكومة والمواطن في القضاء على الامية وتطبيق الزامية التعليم متمثلة بقرارات واحكام القانون العراقي في مختلف جوانية دراسة تبين حجم التلاميذ المتسربين وغير الملتحقين بالمقاعد الدراسية دراسة مستفيضة لجميع القرارات والنصوص القانونية الخاصة للوصول الى نتائج مرضية ومطابقة للتطور والواقع العملي.

المبحث الاول:

مفهوم الزامية التعليم:

١,١ تعريف الزامية التعليم:

يقصد بإلزامية التعليم إلزام أولياء الأمور بتسجيل أطفالهم في المدارس من سن معينة حتى سن معينة، لضمان حصولهم على الحد الأدنى من التعليم الأساسي. هذا التعليم يكون مجانيًا، وتتحمل الدولة نفقاته لضمان عدم حرمان الأطفال من

التعليم بسبب الظروف الاقتصادية.وفي العراق تتلخص الالزامية بتسجيل الاطفال من الذين بلغو من العمر ٦ سنوات كاملة وتنتهي حتى سن ١٢ سنة من عمر الطفل وانتقالة الى المرحلة الثانوية من الدراسة. (١)

٢,١ الزامية التعليم حق من الحقوق الانسانية

تعتبر إلزامية التعليم جزءًا من حق التعليم الذي نصت عليه المواثيق الدولية مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان واتفاقية حقوق الطفل. وقد أقر العراق هذه الاتفاقيات ما يُلزم الدولة بضمان حصول جميع الأطفال على التعليم الاولي

٣,١ : منهجية ألزامية التعليم وفق القانون العراقي

لقد شهد العراق العديد من التطورات في مجال التعليم.حيث اهتمت الحكومة المنبثقة منذ تأسيس الدولة العراقية حتى ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ الاهمية الاساسية في تطور التعليم والمجتمع من الناحية الاقتصادية والسياسية لذلك ونتيجة لهذا التوسع و الاهتمام بالتعليم سعت الحكومة العراقية إلى ضمان التحاق جميع الأطفال بالمدارس. (٢)

ويعتبر قانون التعليم الإلزامي لعام ١٩٧٦ أحد أبرز التشريعات في هذا المجال. وتم تطوير هذا القانون في عدة مناسبات لتلبية احتياجات المجتمع المتغيرة، حيث فرض على الأهل تسجيل الأطفال في المدارس من سن ٦ إلى ١٢ سنة كمرحلة إلزامية ان قانون التعليم الالزامي رقم (١١٨) لسنة ١٩٧٦ يعد من القرارات المهمة التي صدرت بحق الشعب العراقي فقد اصبح التعليم الاولي الاساسي بصورة مجانية والزامية على جميع الصغار تحت سن ٦ سنوات كما سبق قانون ١٩٧٦ قرار الحكومة العراقية المرقم (١٠٢)في ١٩٧٤/٢/٧ القاضي بمجانية التعليم والذي بدورة جعل من مسؤولية وزارة التربية مسؤولية كبيرة في ادارة وتنظيم الشؤون التعليمية والادارية بصورة عامة في العراق وذلك من خلال مواجهة الامور الادارية من قرارات وقوانين ذات الصلة الى عمل ملموس على ارض الواقع عن طريق توفير الارضية المناسبة لهذه القرارات والتي تحولت الى بيئة مناسبة تتوفر فيها جميع المستلزمات التعليمية من الكتب وعلى مختلف المراحل الدراسية كما ترجمت الحكومة تلك القرارات الى التوسع في ادامة الابنية المدرسية وتوفير الهيئات التعليمية ومستلزماتها من الاثاث المدرسي .(٣)

٤,١ الاطار العام لمفهوم الزامية التعليم في القوانين الحالية

بموجب الدستور العراقي لسنة ١٩٧٠ والتوسع الذي شهد قطاع التعليم عام ١٩٦٨ الزم الحكومة بالتكفل بمعالجة حق التعليم وشمول غالبية الشعب بمجانية التعليم والتعلم في مختلف مراحل الدراسة كما سبق صدور الدستور العراقي لسنة ١٩٧٠ انعقاد المؤتمر الاول للتربية والتعلم بتاريخ ١٩٦٠/٩/١٥ حيث كانت اول مبادراته بفتح ما يسمى بدار المعلمين للمرحلة الابتدائية لاعداد الهيئات التعليمية والكوادر التي من شأنها ان تطور من قانون التعليم ، حتى يكون التعليم إلزاميًا ومجانيا. (٤)

وتنص القوانين على ضرورة التزام الأهل بتسجيل أبنائهم في المدارس من سن ٦ سنوات، وتتولى الحكومة تغطية نفقات التعليم الأساسي لضمان عدم وجود عوائق اقتصادية تعيق الحصول على التعليم . (٥)

مرت الدولة العراقية بعدة احداث منها ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ و تغيير النظام السياسي عام ١٩٦٣ مما اتاح لوزارة التربية والتعليم (المعارف) على مسؤوليتها إعادة ومراجعة النصوص القانونية لرفع مستوى التعليم في الدولة واصدرت وزارة التربية القرار (٣٩) في ١٩٦٥/١٠/٣٠ الذي ينص على فقرات قانون مكافحة الامية كما اعقبه قرار رقم (٤) لسنة ١٩٦٦/١/١٧ المتضمن التعديل الاول لنظام المدارس والقرار رقم (٣٧) لسنة ١٩٦٤ اعقبها صدور قانون التعليم الإلزامي لعام ١٩٧٦ رقم (١١٨) و الذي كان بداية انطلاق مجانية التعليم الإلزامي في العراق. (٦)

المبحث الثاني:

اهداف الزامية التعليم في العراق:

١,٢ مكافحة ظاهرة الامية:

يسعى نظام التعليم الإلزامي إلى تقليل نسبة الأمية من خلال توفير تعليم مجاني لجميع الأطفال. وفي ظل ارتفاع معدلات

الأمية في الكثير من مناطق العراق، تسعى الحكومة جاهدةً لتطبيق نظام إلزامي يتيح للأطفال التعليم الضروري للتعامل مع المجتمع فقد اصدرت وزارة التربية العراقية استرتيجية جديدة تهدف اعادة جميع المتسربين الى مقاعد الدراسة من خلال تفعيل مشروع (العودة الى التعليم) . (٧)

٢,٢ تحقيق المساواة والعدالة في التعليم:

ان الهدف الاساسي لقانون التعليم الإلزامي هو تحقيق المساواة بين جميع أفراد المجتمع، بغض النظر عن ظروفهم الاجتماعية (الاقتصادية أو الاجتماعية). إذ يتيح هذا القانون لجميع الأطفال فرصة متساوية للتعليم، ويعزز ذلك من العدالة في توزيع فرص الحياة بشكل عادل ومتساوي. (٨)

٣,٢ بناء مجتمع واع ومتعلم:

يساعد قانون التعليم في تنشئة ابناء المجتمع من خلال إكسابهم ثقافة ومهارات القراءة والكتابة، مما يساهم على خلق مجتمع واع و مثقف يشارك في تحقيق التقدم والازدهار الوطني .

٤,٢ ترسيخ مبدأ المواطنة وتعزيزها:

من المبادئ المهمة التي تنشدها الزامية التعليم هي المساهمة في بناء الوعي لدى الأفراد وتوثيق ادراكهم لحقوقهم وواجباتهم امام المجتمع. كما يهدف التعليم على نبذ حالات التطرف وبرسخ حالة الشعور بالمسؤولية الوطنية. (٩)

المبحث الثالث:

التحديات والصعاب التي تعيق إلزامية التعليم في العراق:

١,٣ التحديات والصعاب الامنية:

ان عدم استقرار الوضع الامني داخل البلد وما له من تبعات امنية مؤثرة على ابسط الحقوق في الحياة وهي التعليم فنتيجة الظروف الأمنية غير المستقرة في العراق، خاصة في المناطق الساخنة بالنزاعات، اثر على حصول الأطفال في مسارهم إلى التعليم.

إذ تضطر العديد من العوائل إلى تغير اماكنهم السكنية أو حتى منع أبنائهم من الالتحاق بالمدارس خوفًا على سلامتهم

٢,٣ الفارق المادي والاقتصادي:

يعتبر الوضع المادي ومردوداته الاقتصادية المتذبذبة و المتفاوتة في العراق هي من أبرز الصعوبات و العقبات التي تعيق تطبيق قانون إلزامية التعليم. فحالات الفقر التي يشهدها العراقو الذي تعاني منه العديد من الأسر في المناطق النائية يدفع الكثير من العوائل على الاستغناء عن حصول ابناهم فرص التعليم من أجل العمل و كسب لقمة العيش . (١٠)

٣,٣ عدم وجود المرافق التعليمية والكوادر المؤهلة الكافية:

قلة الابنية المدرسية والمدرسين والمعلمين المتدربين بشكل كفوء يشكل احد العقبات أمام تطبيق إلزامية التعليم، حيث تعاني الكثير من المناطق من قلة اعداد المدارس والابنية التعليمية الأساسية، ما يحول دون التحاق الأطفال بالمدارس . (١١)

المبحث الرابع:

اجراءات معالجة وتحسين الزامية التعليم:

١,٤ التعاون على المستوى الاقليمي والدولي:

تعاون الحكومة العراقية مع منظمات دولية مثل اليونسكو واليونيسف والبنك الدولي لتنفيذ مشاريع تهدف إلى تحسين جودة التعليم وإعادة بناء المدارس المدمرة في المناطق المتأثرة بالنزاعات واقامة المؤتمرات والندوات الدولية مع الحكومات التي سبقت العراق بالزامية التعليم وطرق نشر الوعي الثقافي الهادف الى عدم ترك المقاعد الدراسية والالتحاق بها في سن مبكرة.

٢,٤ التوسع في النهوض بالبنى التحتية لانشاء الابنية المدرسية : تعمل وزارة التربية على دراسة الخطط لبناء وتوسيع الابنية المدرسية، خاصة في المناطق التي تشهد كثافة سكانية عالية،والمناطق الحديثة لضمان تلبية احتياجات كافة الطلاب

الملتحقين بالمدارس.

٣,٤ تطوير المناهج وتدريب الكوادر التعليمية : من المشاريع الحيوية التي تكفلت بها وزارة التربية العراقية هي استثمار كل الجهود الساعية إلى توفير تعليم بمستوى عالي من خلال تطوير المناهج الدراسية وتدريب الكوادر التعليمية لتقديم تعليم يليق بالمستوى الدولي والعربي. (١٢)

٤,٤ توعية ابناء المجتمع بضرورة الاهتمام بالتعليم

من البرامج المهمة التي اخذت على عاتقها وزارة التربية السعي في تنفيذها هي تضافر كل الجهود الحكومية ومنظمات المجتمع المدني بتنظيم حملات التوعية الثقافية لتشجيع الأهالي على تسجيل أطفالهم في المدارس وايضاح أهمية التعليم في بناء مستقبل أطفالهم. (١٣)

المبحث الخامس

الاحكام الدستورية والقانونية المنظمة لحق التعليم

يعد دستور ١٩٦٤ أول دستور اشار إلى اعتبار التعليم حقاً، وكفل مجانيته في مراحله المختلفة ، واضاف دستور ١٩٧٠ إلى ذلك النص على أن يكون الحق في التعليم الزامياً وتطبيقاً له صدر قانون التعليم الالزامي رقم (١١٨) لسنة ١٩٧٦ ، وكذلك ينص دستور ٢٠٠٥ على الحق في التعليم وعلى كونه الزامياً في المرحلة الابتدائية وعلى اعتباره مجانياً لكل العراقيين في مختلف مراحله. (١٤)

كما تنص المادة (١) من قانون التعليم الالزامي على أن التعليم في مرحلة الدراسة الابتدائية مجاني والزامي لجميع الأولاد الذين يكملون السادسة من العمر وهو نص مطلق لا يتحدد بالمواطنين ويقصر الالزام فيه على المرحلة الابتدائية فقط، وهي ست سنوات.(١٥)

وبموجب المادة (١٢) من القانون فيجب على ولي الأمر تسجيل ابنه، وعند مضي أسبوع واحد على بدء الدراسة دون تسجيله، فتستدعي إدارة المدرسة والهيئة التعليمية ولي الأمر لإقناعه وبخلافه يعاقب بموجب المادة (١٣) بالغرامة أو بالحبس لمدة لا تقل عن اسبوع ولا تزيد عن شهر، وعند تكرار المخالفة تكون العقوبة بالحبس فقط. وحسناً فعل المشرع العراقي بوضع هذه العقوبة توخياً لتحقيق الالتزام بتطبيق القانون وبفعل تنفيذ هذه النصوص استطاع العراق أن يخطوا خطوات هامة في مجال الزامية التعليم الابتدائي، إلا إن تلك الجهود تعرضت لانتكاسة بعد اندلا ع الحرب العراقية الايرانية في عام ١٩٨٠ ومن ثم حرب الخليج عام ١٩٩٠ ، وما تلا ذلك من عقوبات جسيمة فرضت على العراق مما أثر على مستوى التعليم وبمختلف مراحله، كما إن النظام السياسي في تلك المرحلة سعى لفرض أيدلوجيته من خلال التعليم، إذ أشار دستور ١٩٧٠ صراحة إلى ذلك وفق المادة (٢٦) منه التي تنص على أن يستهدف التعليم ... وخلق جيل قومي متحرر تقدمي قوي في بنيته وأخلاقه، يعتز بشعبه ووطنه وتراثه ويتحسس بحقوق قومياته كافة، ويناضل ضد الفلسفة الرأسمالية والاستغلال والرجعية والصهيونية والاستعمار من أجل تحقيق الوحدة العربية والحرية والاشتراكية، وهذا يعني تلقين التلاميذ أفكار الحزب الحاكم، وذلك ما حصل من حيث التطبيق، إذ كتبت المناهج الدراسية لاسيما في موضوعات التاريخ والتربية الوطنية بما يخدم تلك الأفكار.(١٦)

ويتعزز مثل هذا التوجه في قانون وزارة التربية رقم (٣٤) لسنة ١٩٩٨ (الملغي) ، كما حظر هذا القانون في المادة (٣٨) منه سماع الدعاوى التي تقام على وزارة التربية في كل ما يتعلق بالقبول والانتقال او الامتحانات او العقوبات الانضباطية التي تفرض على التلاميذ والطلاب، ويكون للوزارة والدوائر التابعة لها كل حسب اختصاصه حق البت في الشكاوى التي تنشأ عن هذه الأمور، وهو نهج يضر بالتمتع بحق التعليم وتوفير ضمانات للأفراد يعتبر الحق بالتقاضي من أهمها.(١٧)

وعلى الرغم من صدور دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ الذي تنص المادة (١٠٠) منه على يحظر النص في القوانين على تحصين أي عمل أو قرار اداري من الطعن إلا إن قانون وزارة التربية رقم (٢٢) لسنة ٢٠١١ يتضمن ذات الحكم الوارد في القانون السابق، إذ تنص المادة (٤٠) منه على لا تسمع المحاكم الدعاوى التي تقام على الوزارة أو الدوائر التابعة

لها أو المدارس والمعاهد في كل ما يتعلق في القضايا الفنية التي تخص الامتحانات أو العقوبات الانضباطية التي تفرض على التلاميذ والطلاب بسبب الرسوب وغيره، ويكون للوزارة والدوائر التابعة لها كل حسب اختصاصها حق البت في الشكاوى التي تنشأ عن هذه الأمور، وتحدد بتعليمات يصدرها الوزير أصول التظلم والجهات التي تمتلك حق البت فيه وهذا ما يتضح فيه عدم انسجام هذا النص مع قيم دستور ٢٠٠٥ ، إذ ان وزارة التربية هي الجهة المسؤولة عن سياسة التعليم و وضع الخطط لتحقيق الزاميته، وتطوير جوانبه الفنية، والاشراف على سير اعماله الميدانية ، ولا يمكن ضمان ممارستها لهذا الدور دون توفير الضمانات الكافية وفي مقدمتها خضوع عملها هذا الرقابة القضاء.(١٨)

وحيث نص دستور ٢٠٠٥ على مجانية التعليم وجعله حقاً لكل العراقيين من جهة، وعلى إن التعليم الخاص والأهلي مكفول، وعليه صدر نظام التعليم الأهلي رقم (٥) لسنة ٢٠١٣ ، والذي يهدف إلى تنظيم الاستفادة من قدرات القطاع الخاص في تطوير التعليم في جمهورية العراق ونقل الخبرات الأجنبية في هذا المجال ، واشترط في منح اجازة التأسيس أن تكون الشخصيات معنوية كالنقابات والجمعيات العلمية والمؤسسات الأهلية ذات النفع العام، أو لثلاثة عراقيين يكون لأحدهم خبرة تربوية لا تقل عن خمس سنوات. وهي شروط مهمة لضمان التزام المدارس الخاصة بتحقيق الغاية المتوخاة من اجازتها ولم ينص النظام على شروط في منح اجازة التأسيس ترتبط بالتخطيط العام للتعليم واحتياجات المحافظة وترك صلاحية ذلك لوزارة التربية. (١٩)

كما لوزير التربية الموافقة على تدريس أكثر من لغة أجنبية، والمواضيع التخصصية الاضافية والمناهج غير الرسمية وعلى الرغم مما قد يرد من آراء تنتقد اضطلاع القطاع الخاص بتولي حق دستوري كالتعليم بما يؤثر على مبدأ دستوري أصيل ألا وهو المساواة، فلا يمكن التغافل عن اسباب اللجوء إلى التعليم الاهلي باعتباره رافداً لا يستغنى عنه لمواجهة تحديات تزايد اعداد السكان، وعدم كفاية البنى التحتية للقطاع العام، والقدرة الفنية والعلمية للمدارس الخاصة.(٢٠)

ويرى الباحث أن تكييف النصوص الدستورية التي تقرر حق مجانية التعليم مع كفالة التعليم الأهلي، والحاجات الواقعية للتعليم الخاص بلحاظ تفاوت المواطنين في مدخولاتهم يتحقق من خلال اعتبار تكفل الدولة بتعليم المواطنين أعم من مباشرتها لهذا العمل، بل ينصرف ذلك إلى تحمل نفقاته وتحديد سياسته العامة والإشراف على مفرداته والرقابة على تحقيق الاهداف المرجوة منه.

الخاتمة:

إلزامية التعليم في العراق تمثل انتقالة نوعية من حالة الامية وحالة ترك المقاعد الدراسية الى تحقيق التقدم والتطور التعليمي والازدهار الثقافي المجتمعي، إذ تسعى القوانين العراقية إلى ضمان حق التعليم لكافة الأطفال، وتعمل الحكومة بالمشاركة مع المنظمات الدولية والاقليمية لتذليل كافة الصعاب و العقبات التي تواجه هذا المشروع. ولا شك أن إلزامية التعليم تعتبر قاعدة أساسية لبناء مجتمع مزدهر، وتوفير مستقبل أفضل للأجيال القادمة، مما يُعد تقدما جوهريًا في التنمية الوطنية.

أولاً : الاستنتاجات

١ . إلزامية التعليم تمثل مطلبا دستورياً في العراق، وقد نص عليها الدستور العراقي بنصوص واضحة، مما يدل التزام الدولة لتوفير التعليم المجاني والإجباري في مراحله الأساسية لكنها خطوة لا تخلو من الصعوبات مالم تتكاتف كل الجهات الحكومية لتنفيذ تلك النصوص.

٢ . التشريعات العراقية عملت على تنظيم الية تنفيذ إلزامية التعليم من خلال قوانين متعددة، أهمها قانون التعليم الإلزامي وقانون وزارة التربية، لكنها تحتاج إلى تعديل وصياغة حديثة وتفعيل أكثر بما يتلاءم مع الواقع المعاصر الحديث.

٣ . رغم وجود القوانين، إلا أن التنفيذ العملي للقانون يعاني من ضعف واضح، خاصة في البلدات النائية والريفية، بسبب التحديات الأمنية والاقتصادية والاجتماعية .

٤ . لا تزال اعداد التلاميذ المتسربين من المدارس وتفشي ظاهرة الأمية مرتفعة نسبياً، وهو ما يشير إلى ضعف جدية تطبيق النظام الإلزامي للتعليم في العراق بالرغم من وجود الغطاء القانوني والتشريعي

٥ . الجهود الحكومية الحالية غير كافية لوحدها، وتحتاج إلى التكاتف المجتمعي عن الطريق الشراكات مع منظمات المجتمع المدني والمنظمات الدولية مثل اليونسكو واليونيسف

٦ . ضعف البنية التحتية للمدارس وقلة الهيئات التعليمية يشكل عائقاً اساسيا ضد تنفيذ إلزامية التعليم بشكل فعّال وشامل .

ثانياً : التوصيات

١ .التأكيد على تفعيل وتحديث قوانين إلزامية التعليم، والعمل على تنظيم الية تنفيذ واضحة تشمل المحاسبة والمتابعة والتقييم الدوري

٢ . زيادة التخصيصات المالية المخصصة لقطاع التربية والتعليم، من خلال رصد الميزانيات السنوية الملائمة للنهوض بواقع التعليم الالزامي وبما يضمن تحسين البنية التحتية للمدارس وتوفير مستلزمات التعليم الأساسي في جميع المحافظات

٣ . نشر حملات التثقيف والتوعية المجتمعية بأهمية التعليم الإلزامي، خاصة في المناطق الفقيرة والريفية التي تنتشر فيها ظاهرة الامية و التسرب الدراسي

٤ . العمل على ادخال البرامج الدولية حيز التنفيذ النابعة من الشراكات الدولية مع المنظمات الداعمة للتعليم، للمشاركة في إعادة تأهيل الابنية المدرسية وتدريب الكوادر وتطوير المناهج

٥ . انشاء نظام رقابي للاشراف المباشر والفاعلية الجادة لمتابعة تسجيل الأطفال في المدارس،وتشكيل لجان متخصصة للحصر الميداني للمناطق السكنة وتحديد أسباب التسرب ووضع الحلول والبرامج لمعالجة عملية ترك المقاعد الدراسية .

٦ . نشر ثقافة التعليم في الخطاب الديني والإعلامي، لترسيخ ثقافة المجتمع بأن التعليم هو مستقبل أبنائكم و ضرورة أساسية من متطلبات الحياة الكريمة وبناء مستقبل أفضل.

الهوامش:

(١) خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الانسان، ط٤ ، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، لبنان، ٢٠١١ ص٣٥٠

(٢) د. محمد بشير الشافعي، قانون حماية حقوق الانسان، ط١ ، منشأة المعارف للنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٩، ص ٢٤٢

(٣) Geralidine Van Bueren, The International Law on The Rights of the Child, save the children ١٩٩٥

(٤) د. عصام علي الدبس، النظم السياسية، الكتاب السادس، الحقوق والحريات العامة وضمانات حمايتها، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١ ، ص ٣٦٦.

(٥) جون إس جيبسون، معجم قانون حقوق الانسان، ترجمة: سمير عزت نصار، دار النسر للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٩ ص ١٤٢

(٦) د. سعدي محمد الخطيب، حقوق الانسان وضماناتها الدستورية في اثني وعشرين دولة عربية، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت ٢٠٠٧، ص٢٩

(٧) د. محمد علي سويلم، مبادئ الاصلاح الدستوري، ط١، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، ٢٠١٥، ص٣٠٧

(٨) Jean revero – les liberties–temis–p.u.f. – ١٩٦٧

(٩) د. عبد السلام علي المزوغي، مركز الانسان في المجتمع الجماهيري دراسة تاريخية عن حقوق الانسان، ط٢ مطابع الشروق القاهرة، ١٩٩٠، ص٢٠

(١٠) د. شحاتة أبو زيد شحاتة، مبدأ المساواة في الدساتير العربية في دائرة الحقوق والواجبات العامة وتطبيقاته القضائية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٣٣

(١١) د. ثروت بدوي، النظم السياسية، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦١ ، ص٣٩٤.

(١٢) د. محمد يوسف علوان و د. محمد خليل الموسى، القانون الدولي لحقوق الانسان الحقوق المحمية ، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩، ص ٣٠٧

(١٣) كريم يوسف كشاكش، الحريات العامة في الانظمة السياسية المعاصرة ، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، ١٩٨٧، ص١٥٤

(١٤) قانون التعليم الالزامي رقم (١١٨) لسنة ١٩٧٦
(١٥). UNESCO Situation Analysis of Education in Iraq Paris ٢٠٠٣
(١٦) د. أحمد سليم سعيفان، الحريات العامة وحقوق الإنسان، ج٢، منشورات الحلبي، بيروت، ٢٠١٠، ص١٧٠
(١٧) قانون وزارة التربية رقم (٣٤) لسنة ١٩٩٨ (الملغي)
(١٨) خالد أمجيدي، التوجيه المدرسي والادماج المهني وقيم العدالة الاجتماعية، ط١، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠١٥، ص٤٧
(١٩) د. مصطفى أبو زيد فهمي، الدستور العراقي، والأنظمة السياسية، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة ٢٠٠٤، ٤٠١
(٢٠) . ISBN Magna Carta Cambridge – Cambridge University Press JOC.Holt١٩٩٢

المصادر والمراجع :

١. خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الانسان، ط٤ ، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، لبنان، ٢٠١١.
٢. د. محمد بشير الشافعي، قانون حماية حقوق الانسان، ط١ ، منشأة المعارف للنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٩.
٣. د. عطا بكري، الدستور وحقوق الانسان، ج٢، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٤ .
٤. د. عصام علي الدبس، النظم السياسية، الكتاب السادس، الحقوق والحريات العامة وضمانات حمايتها، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١ .
٥. جون إس جيبسون، معجم قانون حقوق الانسان، ترجمة: سمير عزت نصار، دار النسر للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٩ .
٦. د. سعدي محمد الخطيب، حقوق الانسان وضماناتها الدستورية في اثني وعشرين دولة عربية، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت.٢٠٠٧.
٧. د. محمد علي سويلم، مبادئ الاصلاح الدستوري، ط١، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، ٢٠١٥.
٨. د. رمزي محمد دراز حقوق الانسان، جامعة الاسكندرية، القاهرة، ٢٠٠٥.
٩. د. عبد السلام علي المزوغي، مركز الانسان في المجتمع الجماهيري دراسة تاريخية عن حقوق الانسان، ط٢ مطابع الشروق القاهرة، ١٩٩٠.
١٠. د. شحاتة أبو زيد شحاتة، مبدأ المساواة في الدساتير العربية في دائرة الحقوق والواجبات العامة وتطبيقاته القضائية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١.
١١. د. ثروت بدوي، النظم السياسية، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦١ .
١٢. د. محمد يوسف علوان و د. محمد خليل الموسى، القانون الدولي لحقوق الانسان الحقوق المحمية ، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩.
١٣. كريم يوسف كشاكش، الحريات العامة في الانظمة السياسية المعاصرة ، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، ١٩٨٧.
١٤. د. يزيد عيسى السورطي، السلطوية في التربية العربية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ٢٠٠٩.
١٥. د. أحمد سليم سعيفان، الحريات العامة وحقوق الإنسان، ج٢، منشورات الحلبي، بيروت، ٢٠١٠.
١٦. خالد أمجيدي، التوجيه المدرسي والادماج المهني وقيم العدالة الاجتماعية، ط١، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠١٥.
١٧. د. مصطفى أبو زيد فهمي، الدستور العراقي، والأنظمة السياسية، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة ٢٠٠٤.
١٨. أحمد حقي الحلي، التنمية والتربية، في كتاب محو الأمية وخطط التنمية الشاملة، مطبوعات الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، بغداد، ١٩٨١.

القوانين

١. قانون التعليم الالزامي رقم (١١٨) لسنة ١٩٧٦
٢. قانون وزارة التربية رقم (٣٤) لسنة ١٩٩٨ (الملغي)
٣. قانون وزارة التربية رقم (٢٢) لسنة ٢٠١١

المصادر باللغة الاجنبية :

1. Geralidine Van Bueren, The International Law on The Rights of the Child, save the children 1995
2. . Jean revero – les liberties–temis–p.u.f. – 1967
3. .UNESCO Situation Analysis of Education in Iraq Paris 2003
4. . ISBN Magna Carta Cambridge – Cambridge University Press JOC.Holt 1992

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

الاحزاب السياسية الايرانية في عهد رضا شاه بهلوي (١٩٢٥ – ١٩٢٦) وأثرها على الحياة العامة

م. م. ندى وحيد حسين
جامعة ذي قار / مركز ذي قار للدراسات التاريخية والاثارية



للستخلص:
يتناول هذا البحث دراسة اثر الاحزاب السياسية الايرانية في المرحلة الأولى من حكم رضا شاه بهلوي وهي فترة انتقالية شهدت تحولات سياسية واجتماعية خاصة بعد سقوط الدولة القاجارية وتأسيس الدولة البهلوية بصعود رضا شاه الحكم . كان للأحزاب السياسية الايرانية فيها أثر على الحياة العامة . يسلط البحث الضوء على دور الاحزاب في تشكيل الحياة العامة لاسيما في المجالات السياسية , التعليمية , الثقافية والاقتصادية كما يناقش طبيعة العلاقة بين هذه الاحزاب والسلطة الجديدة. بالرغم من النشاط النسبي للأحزاب في تلك الفترة إلا ان سياسة رضا شاه بهلوي المركزية والسلطوية ادت الى تقويض دورها تدريجياً مما حد من تأثيرها المباشر على الحياة العامة مع بقائها كعامل مؤثر في تشكيل الوعي السياسي والاجتماعي للمجتمع الإيراني.

الكلمات المفتاحية: الحياة النيابية، رضا شاه بهلوين الاحزاب السياسية.

Abstract:

This research examines the impact of Iranian political parties during the initial phase of Reza Shah Pahlavi›s reign, a transitional period marked by significant political and social transformations following the fall of the Qajar dynasty and the establishment of the Pahlavi dynasty with Reza Shah›s ascension to power. Iranian political parties exerted an influence on public life during this period. The research sheds light on the role of these parties in shaping public life, particularly in the political, educational, cultural, and economic spheres, and discusses the nature of the relationship between these parties and the new regime. Despite their relative activity during that period, Reza Shah Pahlavi›s centralized and authoritarian policies gradually undermined their role, thus limiting their direct impact on public life, although they remained a significant factor in shaping the political and social consciousness of Iranian society.

Keywords: Parliamentary life, Reza Shah Pahlavi, Political parties .

المقدمة:

تمثل المرحلة الممتدة بين سقوط الاسرة القاجارية وصعود رضا شا ب لوي سدة الحكم منعطفاً حاسماً في التاريخ السياسي الحديث لإيران. واعادة لتشكيل الدولة الإيرانية على اسس مركزية. في خضم هذه التحولات الكبرى ظهرت الاحزاب السياسية كأحد العوامل التي حاولت ان تساهم في توجيه مسار البلاد السياسي والاجتماعي مستندة بذلك إلى إرث الحركة الدستورية الايرانية

(١٩٠٦ – ١٩١١) ومستلهمة ذلك من التحولات الفكرية , الاجتماعية , الاقليمية والدولية.

وبالرغم من ان الاحزاب الإيرانية في تلك الفترة لم تكن ناضجة تنظيما أو مؤسسياً فأنها أنتجت تنوعاً فكرياً وسياسياً يعكس طموحات فئات مختلفة من مثقفين وقوى مدينة ناشئة في المجتمع الايراني . الا ان صعود رضا شاه بهلوي الحكم وما رافقه من توجه واضح نحو احتكار السلطة وتقليص دور المؤسسات السياسية المستقلة ادى تحجيم دور هذه الاحزاب وتقييد تأثيرها في الحياة العامة .

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل طبيعة الاحزاب السياسة في ايران خلال هذه المرحلة المفصلية وتقييم اثرها الفعلي على

الحياه العامة سواء من حيث مشاركتها في النقاشات السياسية والاجتماعية أومن حيث علاقتها بمشروع الدولة الجديدة التي سعى رضا ها بهلوي الى بنائها.

المبحث الأول : لمحة عن الوضع السياسي في ايران قبل وبعد صعود رضا شاه بهلوي سدة الحكم ونشأة وتطور الحياة الحزبية في ايران

شهدت الفترة الاخيرة التي سبقت صعود رضا شاه بهلوي إلى الحكم حالة من الفوضى والإرباك السياسي والتدهور الاقتصادي حيث كانت الاسرة القاجارية (١) تعاني من الضعف الشديد والتبعية المتزايدة للقوى الاجنبية لاسيما بريطانيا وروسيا وقد ساهمت هذه العوامل مجتمعة في تمهيد الطريق امام شخصية عسكرية مثل رضا شاه بهلوي (٢) فكانت ايران آنذاك خاضعة للاسرة القاجارية (١٧٩٤ – ١٩٢٥) التي تميز عهدها بالضعف الإداري والتبعية السياسية للخارج خصوصاً مع ازدياد التدخل الروسي البريطاني في الشؤون الداخلية لإيران اذ كان التنافس البريطاني الروسي من المحاور الاساسية في ذلك الصراع الذي ادى الى زيادة تغلغل الرأسمال الاجنبي في ايران الأمر الذي انعكس على اوضاع ايران الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مما أدى الى بروز تيارات وطنية تدعوا الى تغير ومحاربة التغلغل الاجنبي (٣)اذ لم يتمكن الملوك القاجاريين من فرض سلطة مركزية قوية بل كانت مناطق واسعة من البلاد خاضعة تحت نفوذهم.

يذكر الدكتور كمال مظهر احمد في كتابه «تاريخ ايران السياسي» ان الدولة القاجارية كانت دولة تقليدية ضعيفة عاجزة عن مجاراة التغيرات الحاصلة آنذاك , ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهدت ايران تحولات اجتماعية واقتصادية كبيرة (٤) فاتسمت الحياة السياسية الايرانية أواخر العهد القاجاري بالاضطراب والانقسام وكان يسودها الجهل والانحطاط فكان الشعب الايراني في غالبيته يرزح تحت اعباء ثقال فرضها الحكام القاجاريون (٥) , وبالرغم من قيام الثورة الدستورية (٦) عام (١٩٠٦) الا ان التجاوزات الدستورية بقيت شكلية إلى حد كبير بسبب مقاومة البلاط القاجاري من جهة وتدخل القوى الاجنبية من جهة اخرى حيث اصبحت ايران في تلك الفترة ساحة ميدان للصراع بين النفوذ البريطاني والروسي حيث قسمت البلاد الى منطقتي نفوذ تابعتين لهما بموجب اتفاقية عام (١٩٠٧) التي عقدت بين الجانب البريطاني والروسي وبلا علم الحكومة الايرانية حيث فقدت ايران بموجبها جزءاً كبيراً من سيادتها الاقتصادية والسياسية . ولم يأتي هذا الاتفاق بما كان مأمولاً منه بين الطرفين حيث لم يوقف تنافسهما في ايران بل اشتد هذا التنافس عن ما كان في السابق , هذا بالإضافة إلى تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية حيث عانت ايران من تدهور خطير في الزراعة والتجارة بسبب غياب وفساد الادارة بالإضافة الى فشل الدولة في تنفيذ اي اصلاحات بنيوية .

فقدت التجارة الايرانية في العهد القاجاري الكثير من ازدهارها نتيجة لخراب الطرق وانعدام الأمن وتوالي المجاعات واقتصار التجارة الخارجية الايرانية بشكل واسع على روسيا وبريطانيا في حين كانت الضرائب غير عادلة في توزيعها مما ساهم بزيادة معاناة الطبقات الفقيرة بينما كان كبار ملاك الاراضي ورجال الدين يتمتعون بامتيازات خاصة (٨) , اما على المستوى الاجتماعي فكانت الأمية منتشرة على نطاق واسع ولم يكن هناك تعليم رسمي شامل باستثناء المدارس التقليدية فاصبح النظام القاجاري في ايامه الاخيرة صورة عاكسة للواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي المضطرب الذي عانى منه الشعب الايراني آنذاك فبلغ النظام القاجاري اوج درجات الضعف والانحلال فكان عبئاً ثقيلاً على شعبه وغدت ايران في ظله حلبة لصراع عنيف بين القوى الاجنبية وجاءت احداث الحرب العالمية الأولى لتكون « ضغثاً على ابالة « بموقعها الحساس والاستراتيجي في الشرق الاوسط لمتاخمتها لحدود الدول المتحاربة بحيث تتصادم وتتشابك المصالح فأصبحت احد الميادين الرئيسية للقتال رغم تبنيها للحياد في ٢ – تشرين الثاني ١٩١٤ (٩) فظهر رضا شاه بهلوي الذي كان ضابطاً في لواء القوزاق (١٠) الذي كان الروس قد انشأوه على غرار القوزاق الروسي والذي قاد انقلاباً عسكرياً ناجحاً ضد الاسرة القاجارية في ٢١ – شباط ١٩٢١ فمثل بداية مرحلة مهمة في تاريخ ايران الحديث وشكل بداية النهاية لسقوط القاجارين وتشكيل نظام جديد للحكم في ايران وهو حكم الاسرة البهلوية (١١) مستفيداً من الدعم البريطاني ورغبة الإيرانيين في الاستقرار واصلاح الدولة فبعد الانسحاب الروسي اثر قيام الثورة البلشفية عام

١٩١٧ اصبحت بريطانيا القوى الاجنبية المهيمنة في ايران .

كانت بريطانيا قلقة من انتشار الشيوعية فبدأت تبحث عن شخصية قوية موالية نسبيا وتحافظ على الاستقرار فوجدوا ان من المناسب ايجاد سلطة قوية تستطيع حفظ نفوذهم في البلاد ، لذلك شجع الجنرال البريطاني السير ادموند ايرونسايد رضا شاه بهلوي على الانقلاب وانقاذ بلاده من السلطة الفاسدة والتفكك السياسي باللجوء إلى القوة العسكرية التي كان يترأسها آنذاك (١٢) حيث تعاون مع الصحفي سيد ضياء الدين طباطبائي (١٣) والذي قام بدور كبير في ذلك الانقلاب اذ يرجح بداية الاحتكاك المباشر لضياء الدين طباطبائي بالحياة السياسية الى سنوات الثورة الدستورية عند مشاركته في القتال بجناحها الليبرالي اذكان مؤمناً بأن بلاده تستطيع الوقوف على قدميها من جديد بمساعدة البريطانيين (١٤) حيث كان منتقداً للنظام القاجاري و مطالباً بتغيره لنظام افضل منه وذلك من خلال صحيفته المشهورة رعد .

كان طباطبائي مدركاً ان بلا التقرب من الشخصيات العسكرية القادرة على الانقلاب فانه لن يتمكن من فعل ذلك بمفرده (١٥) , وفي ١٣ – شباط من العام نفسه اجتمع قادة الانقلاب في قزوين للاتفاق على توزيع المناصب بينها فأسند منصب قائد القوزاق لرضا شاه بهلوي فيما كان منصب رئيس الوزراء (١٦) من نصيب ضياء الدين طباطبائي الذي قدم وزارته التي ضمت شخصيات جديدة كان بعضها يطرق ابواب السياسة لأول مرة كما اعلن ولائه للنظام الجديد ولم تمض سوى فترة قليلة على تشكيل وزارته حتى بدأت الخلافات بينه وبين رضا شاه بهلوي تأخذ منحى اخر اذ عمل الأخير على الهيمنة شيئا فشيئا على المراكز الحساسة في اجهزة الدولة لاسيما الجيش فكان يحضر اجتماعاتهم بصورة مستمرة ويبدي رأيه بكل التفاصيل وبالرغم من محاولات سيد ضياء الدين طباطبائي المتعددة لحمله على عدم التدخل في امور لا تخصه الا انه لم ينجح في ذلك(١٧) حيث ظهر ذلك التدخل جلياً في مشكلة الجندرمة اذكان رضا شاه راغباً في ضمه للجيش في حين رفض السيد ضياء الدين طباطبائي ذلك أما المسألة الأخرى التي دار حولها الخلاف فكانت محاولة ضم المستشارين الاجانب الذين كان رضا شاه بهلوي يعترض عليهم على عكس السيد ضياء الدين طباطبائي الذي كان راغباً في ضمهم الامر الذي ادى برضا شاه بهلوي الى اصدار قرار بحل وزارته وتشكيل وزارة جديدة (١٨) في حزيران عام ١٩٢١ برئاسة احمد قوام السلطنة .

ان رضا شاه بهلوي وعلى ما يبدوا كان يطمح للوصول للحكم وانهاء الحكم القاجاري بكل الوسائل الممكنة مستغلاً ضعف الشاه القاجاري من جهة والتذمر الحاصل في البلاد آنذاك من جهة اخرى محاولاً الظهور بمظهر المخلص للبلاد لما يملكه من خبرة عسكرية في هذا المجال (١٩) وباختصار شديد يمكننا القول ان رضا شاه بهلوي كان يعرف «من اين تؤكل الكتف» فترك زميله السيد ضياء الدين طباطبائي يتورط في مشاكله لينعزل عن الجميع بينما انهمك هو في تعزيز موقعه داخل الجيش مما حقق له مكاسب كثيرة في الاشهر التي تبعت الانقلاب (٢٠) وكمحصلة لذلك فقد اثمرت مساعيه بإصدار الشاه فرمانا يقضي بإقالة السيد ضياء الدين طباطبائي ليغادر طهران متوجها نحو بغداد تحت الحماية البريطانية فكانت هذه الخطوة بمثابة انقلاب ثانٍ نم عن الرغبة الحقيقية لرضا شاه في احكام قبضته على زمام الامور وارتقاء سلم السلطة (٢١) فتمكن من السيطرة على مقاليد السلطة منهياً بذلك حكم الاسرة القاجارية التي حكمت ايران لمدة ١٣٤ سنة ثم اعلن نفسه شاهاً لإيران عام ١٩٢٥ , وكنتيجة للتحولات الاجتماعية والسياسية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والتي اثرت بشكل مباشر وعميق على ظهور الحياة الحزبية في ايران فقد كان للثورة الدستورية (١٩٠٦ – ١٩١١) دور بارز وفعال في تعزيز الحياة الحزبية في ايران اذ دفعت رضا شاه لتشكيل احزاب سياسية تمثل مختلف التيارات الفكرية والاجتماعية اذ لم يكن لإيران أحزاب سياسية بالمعنى الحديث قبل عام ١٩٠٥ بل كانت هنالك تجمعات من العلماء والمثقفين الذين كان لهم نشاط داخل اطار مجتمعي تقليدي دون تنظيم سياسي واضح فكانت ايران بعيدة عن أي مظهر من مظاهر الحياة النيابية (٢٢) , الا انه كانت هنالك عوامل متعددة ساهمت في ظهور الحياة الحزبية منها ضعف الدولة القاجارية آنذاك وسيطرة النفوذ الاجنبي (الروسي , البريطاني) لتزايد الوعي الشعبي والسياسي بين طبقة المثقفين والطلاب لاسيما بعد الانفتاح على الحياة السياسية في الغرب (٢٣) وقد

لعبت تلك العوامل دورا مهماً في تأسيس الجمعيات السرية وشبه السرية ومنها جمعية الأخوة (انجمن) (٢٤) , جمعية الترقي الاسلامي , جمعية الرجال الاحرار , الجمعية السرية , اللجنة الثورية , الحزب الاشتراكي الديمقراطي , المركز السري في تبريز , الجمعية السرية الثانية .

ان تلك الجمعيات وان لم تستطع تحقيق كامل اهدافها الا انها ساهمت في يقظة الوعي الايراني بشكل او باخر من اجل الدستور والحياة النيابية كما ساهمت هذه الاحزاب بتحول نوعي في السياسية الايرانية حيث لم تعد السياسة حكراً على البلاط الملكي او رجال الدين بل اصبح للمجتمع المدني دور واضح في التأثير على القرار السياسي .

اكتسب النشاط الحزبي بعد عام ١٩٠٩ صيغة جديدة حيث ظهرت تنظيمات سياسية بصيغة احزاب منها الحزب الديمقراطي العامي (٢٦) والاخر هو الاجتماعي المعتدل وقد اشتد الصراع بينها فكان الحزب الأول امتداداً طبيعياً للجمعيات السرية المتطرفة سواءاً السياسية اوالثقافية وتزعم هذا الحزب تقي زاده , سليمان ميرزا اسكندري , محمد رضا في حين تزعم الاعتداليين كلاً من سردار اسعد البيختياري , سبهدار تنكابي , محمد صادق طباطبائي , ميرزا محمد علي دولة آبادي , ميرزا علي اكبر خان دهخدا (٢٧) حيث حاولت تلك الاحزاب آنذاك قلب الحكم الملكي الى جمهوري .

المبحث الثاني: موقف رضا شاه بهلوي من الاحزاب السياسية الايرانية واثرها على الحياة العامة .

تسلم رضا شاه بهلوي الحكم رسميا عام ١٩٢٥ في ايران وجرى حفل تتويجه في قصر كلستان بطهران يوم ٢٤ – نيسان ١٩٢٦ حيث حكم ايران حكماً دكتاتوريا قاسيا محاولا من خلاله الحد من ممارسة النشاط الحزبي واخماد الروح الثورية في البلاد وقد فرض رقابة صارمة على حرية الصحافة وحرية الرأي ولجأ إلى الأمن السياسي والمخابرات لمراقبة الناشطين والمعارضين الا ان ذلك لم يمنع من ظهور بعض الاحزاب المعارضة لحكمه ومنها الحزب الشيوعي الايراني (توده) الذي اثقل كاهل الحكومة الايرانية (٢٨) فكانت سياسة رضا شاه بهلوي ديكتاتورية تستهدف اي انتماء او تحرك حزبي الامر الذي ادى إلى اضعاف دور الجماهير في الحياة السياسية بسبب غياب مؤسساتها التنظيمية فاصبح كل من ينطق بكلمة (حزب) (٢٩) معرضاً للسجن فأصبحت الحياة الحزبية شبه مجمدة , فلم تكن مزدهرة او حرة بل العكس هو الصحيح فقد تميزت هذه الفترة بالسيطرة الشديدة على النشاط السياسي وقمع الاحزاب المعارضة اذ سعى رضا شاه بهلوي بعد توليه السلطة الى اقامة دولة مركزية قوية ومع ذلك فأنه سمح في بداية حكمه بتأسيس بعض الاحزاب ومنها حزب تجدد (التحديث) فكان حزبا اصلاحي التوجه ضم كبار الملاكين وكذلك الصغار الذين وزعت عليهم الاراضي بعد انقلاب ١٩٢١ بزعامة سيد محمد تدين الذي كان من ابرز المنادين بقيام الجمهورية والغاء الملكية وكان هذا الحزب من الاحزاب الفاعلة على الساحة الايرانية حيث ان فصل الدين عن السياسة كان من ابرز اهدافه بالإضافة الى انشاء جيش قوي ونظام اداري فعال , انهاء الامتيازات الاقتصادية , التوجة بإيران الى التصنيع , استبدال رؤوس الاموال الاجنبية برؤوس اموال محلية , تحسين نظام ضريبة الدخل والاهتمام بتعليم المرأة (٣٠) وغيرها من الاهداف التي سعى الحزب لتحقيقها أما فيما يخص الحزب ودوره في المجلس النيابي في دورته الخامسة التي افتتحت في شباط ١٩٢٤ فقد ضم المجلس ٤٣ نائباً من الحزب واللذين كان لهم الدور الأبرز في انهاء حكم الاسرة القاجارية (٣١) , اما الحزب الاشتراكي (سوسياليت) بزعامة سليمان ميرزا اسكندري فكان احد قواعد الحزب الشيوعي الايراني الذي كان تابعاً للحزب الاشتراكي (فصيل منظم داخل الحزب الاشتراكي) وكان ذا تأثير بالغ على العمل التنظيمي والاسلوب السياسي للحزب حيث كان ينادي بوجوب تنفيذ المناهج الاشتراكية ويؤكد على ابرام اللوائح القانونية والاصلاحية (٣٢) , اما حزب اصلاحيون طالبان (المطالبون بالإصلاح) فهو الكتلة التي برزت داخل مجلس النواب وخارجه في الدورة النيابية الرابعة وقد ضم بين صفوفه غالبية الزعماء السياسيين العامين والاعتداليين القدامى الذين كانو بارزين وعلى راسهم تيمورتاش والذي عين وزيراً للدولة وحاكما لكيلان , حسن مدرس و محمد مصدق . كان هؤلاء ينظرون بحذر شديد للسياسة الروسية والبريطانية على حد سواء لكن مالبث ان دب الخلاف بين الحزبين حول رئاسة الوزراء وتشكيل الحكومة (٣٣) فقد رشح حزب

الإصلاحيين كلاً من احمد قوام السلطنة (٣٤) و(الحسن بهرنيا) لرئاسة الوزراء بينما رشح الحزب الاشتراكي ميرزا حسن مستوفي الممالك .

يتضح من ذلك ان مفهوم الحزبية لم يكن واضحاً في اذهان الحزبين آنذاك ويمكن القول ان كل منهما كان يفتقر الى الاستقرار والتنظيم .

اما حزب ايران الحديثة (حزب ايران نو) فهو الحزب الذي قام بتشكيله عبد الحسين تيمورتاش (٣٥) بهدف السيطرة على المجلس النيابي وتقديم الدعم للشاه رضا بهلوي .

كان للحزب هدفان رئيسيان كان الاول حماية الاسرة البهلوية اما الثاني فتحديث وعصرنة ايران بكل وسيلة ممكنة حيث ضم الحزب في عضويته مجموعة من رجال البلاط و المسؤولين الحكوميين وكذلك العسكريين واعضاء من المجلس النيابي بالإضافة إلى الفئات الأخرى , هذا واصدر الحزب صحيفة ناطقة بإسمه (صحيفة ايران الحديثة) وما لبث أن طغى التوجه الفاشي على الحزب حيث عمل على مناهضة رجال الدين اذ يرون في التوجه الديني عائقاً امام حركة التحديث في ايران , وفي النهاية وبعد ان شعر رضا شاه بهلوي بأن الحزب لم يصبح قاعدة لتثبيت حكمه بل على العكس من ذلك تماماً صار قاعدة لـ تيمورتاش فأقدم على حله هذا بالإضافة الى ان جميع الطامحين الى المناصب كانوا حريصين على الانضمام إليه (٣٦) . نستنتج من ذلك أن فترة حكم رضا شاه بهلوي كانت من اشد فترات الحكم الاستبدادي وان طبيعة الاستبداد والطغيان المتجذر في شخصيته هي التي كانت وراء اختياره للقيام بالدور المطلوب فقام بإصدار الاحكام العرفية الصارمة بغية السيطرة على الأوضاع (٣٧) خصوصاً بعد تسلمه الحكم فلم يسمح لأي قوة من القوى السياسية في البلاد وفي مقدمتها الاحزاب ان تلعب دوراً سياسياً في وجوده بسبب تعطل المؤسسات الدستورية والانفراد بالسلطة يضاف إلى ذلك طبيعة نظام الحكم العسكري .

قام رضا شاه بهلوي بحل جميع الأحزاب السياسية ما عدا حزب تجدد فحكم البلاد حكماً مركزياً حتى ان المجلس الوطني الذي ابقاه كان شكلياً ولم يعد له تأثير في توجيه السياسة ففي خلال هذه المدة لم تجر اي انتخابات حقيقية او حرة تذكر حتى الاعضاء الذين وصلوا إلى المجلس كانوا باختياره بالإتفاق مع الشرطة السرية بمعنى ان هذا المجلس اصبح عبارة عن واجهة لرضا شاه بهلوي ليغطي فيه حكمه الديكتاتوري (٣٨) كما قام بتقييد الحريات ومنع اي نشاط سياسي أو نقابي في البلاد.

تعتبر الاحزاب عاملاً طبيعيا ملازماً لكل نظام سياسي معروف فالأحزاب السياسية موجودة في كل الانظمة السلطوية والليبرالية اذ تميزت الاحزاب المعاصرة بكياناتها وتنظيمها فاصبحت ايران اسيرة تطورات سياسية مهمة تركزت آثارها على مجمل الأوضاع العامة وكان النظام البهلوي امتداداً طبيعياً للنظام القاجاري الى حد ما (٣٩) , وعلى الرغم من سعيه الى تحديث الدولة الايرانية وبناء مؤسسات حديثة فقد قام بقمع التعددية الحزبية وصادر حرية التعبير ومع ذلك قامت بعض الاحزاب و المنظمات السياسية الايرانية من اداء دورها بشكل مهم على الساحة الإيرانية بكل تشكيلاتها وتوجهاتها الايدلوجية التي أثرت في مستويات الحياة الاجتماعية , الاقتصادية , السياسية والفكرية حيث كان للأحزاب السياسية دور مباشر وغير مباشر في رسم ملامح الحياة العامة بالرغم من هشاشتها وحداثة تكوينها فعلى الجانب السياسي كما اسلفنا سابقا ان رضا شاه بهلوي انتهج سياسة ديكتاتورية تستهدف اي انتماء او تحرك نقابي او حزبي (٤٠) حيث عمل على تحجيم المجتمع المدني وشل الحركة الحزبية لأحكام قبضته على النظام وربط كافة النشاطات السياسية بمركزية الدولة (٤١) حتى ان بعض الاحزاب التي تشكلت في بداية عهده ساعدت على اضفاء طابع مؤسسي على الحكم في بداياته اذ تم استخدامها كأدوات لبناء ودعم مشروعه التحديثي وكان الشاه رضا بهلوي هو المتحكم في تشكيل والغاء الاحزاب الموالية في حين كانت الاحزاب المعارضة تولد وهي ميته في حكومته (٤٢) فأبعد اغلب منافسيه ومعارضيه عن الساحة السياسية منفرداً بالسلطة اذكان من المقرر ان تكون وزارة الداخلية هي المسؤولة رسمياً عن خطوات اجراء الانتخابات الا ان الحقيقة كانت عكس ذلك تماماً فكان للشاه التأثير الواضح في سير العملية الانتخابية (٤٣) وأن الحياة العامة كانت

مفتقرة الى الحياة النيابية الأمر الذي انتج مجتمعاً مشلولاً وهذه الاشكالية قد ارقت السياسة الايرانية .

اما فيما يخص الجانب الاجتماعي والثقافي فيمكن القول ان دور الاحزاب المقربة من النظام كانت داعمة للشاه فقد أولى الجوانب الاجتماعية والثقافية جانباً كبيراً من اهتمامه و جهوده من الزامية التعليم للمرأة ، نزع الحجاب عن النساء واحداث تغيرات في قوانين الزواج والطلاق (٤٤) بحيث ركز الشاه اهتمامه على تعديل ورفع وضع المرأة وشأنها في المجتمع الإيراني والسماح لها بالدخول إلى المؤسسات التعليمية مما جعلها قادرة ومؤهلة للعمل والتوظيف في دوائر الدولة و مؤسساتها هذا بالإضافة الى إصداره قراراً قيد فيه امتيازات الطلاق الكثيرة التي كان يتمتع بها الزوج ، كما شجع المرأة على ارتداء الملابس الغربية الامر الذي جعله يصطدم مع رجال الدين وهو في بداية حكمه ، كما شجع التعليم ايضاً وسعى لتطويره ورفع كفاءته فقد توسعت حركة انشاء المدارس وفتح عدد من الكليات وقام بتغيير المناهج الدراسية حيث اعتمدت المناهج التعليم الفرنسي (٤٥)لتطبقها في المدارس الايرانية كما اقر مجلس النواب الايراني قانون التعليم الاجباري لجميع الاطفال في الدراسة ، وظهور حركات ترمي لإلغاء الحروف العربية التي تكتب بها اللغة الفارسية إلى اللاتينية الا ان تلك الدعوات لم يكتب لها النجاح فقد جوبهت بمعارضة شديدة .

صمم نظام تعليم الدولة على نسق المدارس الفرنسية وكما حظر التدريس باللغات الأخرى (٤٦) لأن فرنسا كانت من بين الدول الأوربية المفضلة على غيرها من قبل اصحاب الفكر الايراني والنخبة المثقفة باعتبارها لغة الثقافة فضلاً عن فتح فرنسا لمدارس عديدة وتهيئة المعلمين لها و امتيازها العالي (٤٧) .

كان للأزمة الاقتصادية العالمية وانعكاسها على المبادلات التجارية الخارجية من جهة وعدم تحقيق قدر ملموس من التقدم في ميدان الصناعة في العشرينيات من القرن الماضي من خلال المبادرة الخاصة والحرف التقليدية دافعاً في اتجاه الدولة للتدخل بشكل متزايد في تنظيم الحياة الاقتصادية من خلال ما يسمى بسياسة اقتصاد الدولة (٤٨) فسعى الشاه رضا بهلوي منذ توليه الحكم إلى تثبيت سلطته والارتقاء ببلاده لا سيما بعد اضطراب اوضاعها الاقتصادية على أثر التدخلات الاجنبية في شؤونها الداخلية (٤٩) فقام بإجراء سلسلة من الاصلاحات الاقتصادية لمعالجة الآثار التي تركتها تلك الازمة فشملت كافة المجالات الاقتصادية , الزراعية , الصناعية والتجارية فكانت خطته الأولى لتحسين الانتاجية الزراعية القائمة على تحسين وسائل العمل بإدخال المكننة والآلات الزراعية واعفائها من الضرائب وتأسيس البنك المركزي لتقديم بعض القروض لامتلاك الاراضي هذا بالإضافة الى الاستعانة بخبراء زراعيين من الخارج لرفع انتاجية المحاصيل الزراعية (٥٠) ومع كل تلك الاجراءات فلم يطرأ اي تحسن على وضع الانتاج الزراعي الذي بقي متدنيا الا بحدود كانت تخدم مصالح الاقطاعين هذا بالاضافة الى قيام رضا شاه بهلوي بدعم الصناعة فأولاها اهتماماً خاصاً يهدف لجعل ايران بلداً حديثاً ومكتفياً قدر الامكان فشجع الصناعات الوطنية وفرض التعريفة الكمركية على البضائع المستوردة ، شجع الصناعات اليدوية التراثية في ايران ثم اصدر بعد ذلك قانون انشاء الشركات الصناعية وكانت جميعها تغذي الانتاج الصناعي الإيراني (٥١) أيضاً .

كان القطاع التجاري احد الميادين التي حظيت باهتمام الشاه رضا بهلوي الذي سيطر على التجارة الداخلية والخارجية مؤسساً شركات احتكارية للسيطرة على الاستيراد والتصدير ومع هذا بقي الميزان التجاري الايراني يعاني من نسبة عجز تقدر بـ ١١٪ تقريباً من مجموع التبادل التجاري مع الدول الاخرى (٥٢) الامر الذي أضطر الحكومة الايرانية الى عقد اتفاقيات تجارية قائمة على مبدأ المقايضة كان ابرزها الاتفاقية مع الاتحاد السوفييتي الذي كان يستورد جميع المنتجات الزراعية الموجودة في شمال ايران لكن الشاه رضا بهلوي فرض رسوماً كمركية عالية قلصت حجم المستورد و هددت استمرار التجارة بين البلدين واسفرت عن العديد من الازمات التي بلغت ذروتها اثناء الحرب العالمية الثانية . (٥٣)

يتضح مما سبق ان الاصلاحات التي قام بها الشاه رضا بهلوي وبالرغم من تعدد ميادينها الا ان اغلب المهتمين بالشأن الايراني اتفقوا على انها إصلاحات تقليدية وغير جذرية لأن الغاية من معظمها كان لإرساء أسس حكمه وسلطته المركزية

. الخاتمة:

إنَّ دراسة تجربة الاحزاب السياسية الايرانية في عهد رضا شاه بهلوي اثبتت بوضوح كيف ان المحددين السياسي والاقتصادي لا يمكن ان ينجحا في ظل غياب الحريات العامة وقمع التعددية وتهميش دور المجتمع المدني .

وبالرغم من الإنجازات التي قام بها رضا شاه بهلوي لبناء الدولة الحديثة الا ان تلك الانجازات جاءت على حساب الحياة النيابية الحرة اذ عمد الى الغاء شبه تام للنشاط الحزبي واستبداله بحكم فردي سلطوي مركزي تام حيث اتسمت سياسته تجاه الاحزاب بالقمع والتضييق والتهميش الأمر الذي ادى الى اجهاض اي محاولة لبناء حياة حزبية حقيقية ومع ذلك فإن الاحزاب التي ظهرت في تلك الفترة رغم محدودية تأثيرها اسهمت بشكل وآخر في رفع الوعي السياسي والاجتماعي وساهمت في تهيئة الأرضية الفكرية والسياسية للانفتاح النسبي الذي شهدته ايران بعد تنحي رضا شاه بهلوي عن الحكم .

الهوامش :

١ – الأسرة القاجارية : رغم اختلاف المؤرخين في اصلهم الا انهم من سلالة قاجار نويان احد امراء المغول وهم احدى القبائل التركية وكانوا يقطنون الشاطئ الجنوبي الشرقي من بحر قزوين للمزيد ينظر :– كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية نبيه امين فارس ، منير البعلبكي ، ط١ دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤ ، ص٦٥٦

٢ – ولد رضا شاه بهلول: في مقاطعة مازندران عام ١٨٧٨ ، نظم إلى فرقة القوزاق الايرانية واصبح قائداً لها فيما بعد، قام بإنقلاب حوت شباط / ١٩٢١ ، تمكن من خلع الاسرة القاجارية عام ١٩٢٥ واصبح شاهاً لإيران استمر حكمه حتى عام ١٩٤١ ، توفي في جوها نبرغ في ٢٦/ حزيران / ١٩٤٤ للمزيد ينظر :– محمد وصفي ابو مغلي ، دليل الشخصيات الايرانية المعاصرة ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٣ ، ص٤٠

٣ – لازم لفتة المالكي ، دراسات تاريخ ايران الحديث و المعاصر ، ط١، جامعة البصرة ، ٢٠٠٧ ، ص٢٢

٤ – كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر, بغداد، ١٩٨٥ ، ص١٠٣

٥ – طلال (مجذوب) ، ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية (١٩٠٦ – ١٩٧٩) ، دار ابن رشد للطباعة والنشر، ص٢٩

٦ – الثورة الدستورية:– هي الحركة الوطنية التي حدثت في ايران (١٩٠٦ – ١٩١١) ويطلق عليها الدستورية للإشارة إلى ذلك الحدث الذي استهدف وجود اسلوب دستوري جديد للحكم في ايران قائم على اساس المشاركة النيابية

٧ – احمد محمود الساداتي، رضا شاه بهلوي (نهضة ايران الحديثة) ، ط١ ، مكتبه النهضة المصرية ، ١٩٣٩ ، ص٢٧

٨ – طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص ٣٣–٣٤

٩ – فرح صابر ، رضا شاه بهلوي ، التطورات السياسية في إيران (١٩١٨ – ١٩٣٩) ، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية ، السليمانية ، ٢٠١٣ ، ص٦١

١٠ – القوزاق : هي فرقة عسكرية انشاها ناصر الدين شاه (١٨٤٨ – ١٨٩٥) على غرار الفرقة الروسية وذلك حينما وقع اتفاق عام ١٧٧٦ مع روسيا القيصرية تقضي بأن تقوم روسيا بإنشاء قوة عسكرية تسمى القوزاق الايرانية يعهد بقيادتها الى ضابط روسي .

١١ – فوزيه صابر محمد ، ايران بين الحربين العالميتين تطور السياسة الداخلية (١٩١٨ – ١٩٣٩) ، كليه التربية ، جامعه البصرة ، ١٩٨٦ ، ص١٠٦

١٢ – طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٢٨٨

١٣ – ضياء الدين طباطبائي:– صحافي و سياسي ايراني ولد في عام ١٨٨٨م ، والده عالم دين ، ارتبط مع بريطانيا بعلاقات قوية وعمل معهم في تنفيذ ونجاح انقلاب رضا شاه بهلوي واسقاط الحكم القاجاري

١٤ – كمال مظهر احمد ، المصدر السابق ، ص١٢٨

١٥ – قحطان جابر اسعد رحيم التكريتي ، دور المثقفين الثورة الدستورية الايرانية (١٩٠٥ – ١٩١١) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة تكريت ، ٢٠٠٥

١٦ – حسن كريم الجاف ، موسوعة تاريخ ايران السياسي من سقوط الدولة القاجارية وظهور رضا شاه الى سقوط النظام البهلوي في عهد محمد رضا شاه وقيام الجمهورية الايرانية ، مج٤ ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٨ ، ص٥٠–٥١

١٧ – فرح صابر ، المصدر السابق ، ص١١٣

١٨ – كريم مطر الزبيدي ، تاريخ ايران الحديث ، ص٩٠

١٩ – المصدر نفسه ، ص٩١

٢٠ – نقلاً عن كمال مظهر احمد ، المصدر السابق ، ص١٣٨

٢١- فرح صابر ، المصدر السابق ، ص١١٥

٢٢- روافد جبار شرهان ، الاحزاب الملكية في ايران (١٩٤١ - ١٩٧٩) اطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٣ ، ص٥٣

٢٣- صديق محمود حسن ابراهيم ، الاحزاب السياسة الايرانية منذ العصر الدستوري حتى سقوط رضا شاه ، كليه الآداب بقنا ، جامعة جنوب الوادي ، العدد (٥٧) ، اكتوبر ٢٠٢٢ ، ص٧٢٦

٢٤- انجمن:-كلمة فارسية تعني مجلس او مجمع او جمعية وظلت زمناً طويلاً تدل على تلك الجمعيات الدينية التي ظهرت في ايران وكان اغلب اعضائها من رجال الدين.

٢٥- صديق محمود حسن ابراهيم ، المصدر السابق ، ص٧٢٦-٧٣٢

٢٦- احمد شاكر عبد العلاق ، الاحزاب والمنظمات السياسية في إيران (١٩٦٣ - ١٩٧٩) ، دراسة تاريخية ، الرافد للمطبوعات ، بغداد ٢٠١٥ ، ص١٧

٢٧- وداد جابر غازي:- الحياة البرلمانية في إيران ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٠ ، ص٢١

٢٨- روافد جبار شرهان ، المصدر السابق ، ص٣٤

٢٩- هو تنظيم او اجتماع مجموعات صغيرة متواجدة في البلاد كأن تكون شعب ، لجان ، جمعيات ترتبط فيها بينها وتنظم عملها المشترك

٣٠- صديق محمود حسن ابراهيم ، المصدر السابق ، ص٧٤٣

٣١- وداد جابر غازي ، المصدر السابق ، ص٤٤

٣٢- المصدر نفسه ، ص٤١

٣٣- روافد جبار شرهان ، المصدر السابق ، ص٣١

٣٤- تولى قوام السلطنة رئاسة الوزراء في ايار ١٩٢٢ و بعد ازدياد حجم المعارضة في مجلس الشورى ضد رضا خان وخاصة من قبل السيد حسن المدرس حاول قوام السلطنة تذكير النواب وخاصة المدرس بالمميزات التي قام بها وزير الدفاع من اجل امن البلاد وفي مقدمتها القضاء على العنف والاضطرابات وسط الأمن الاستقرار الا ان محاولاته سببت له ضعفاً سياساً عميقا هذا من جهة ومن جهة كان للاسناد والدعم الذي حصل عليه رضا خان من الانكليز الأكبر في موقف قوام السلطنة من البرلمان لذلك اضطر الى تقديم استقالته من منصبه فخلفه مستوفى الممالك في ١٤ شباط / ١٩٢٣ الذي بقي في الحكم مدة قصيرة حتى٢٢/ شباط ثم تنازل عن منصبه لمشير الدولة نقلا عن روافد جبار شرهان ، الاحزاب الملكية في ايران (١٩٠٦ - ١٩٤١) ، ص٣١

٣٥- تيمورتاش :- هو عسكري خريج كلية بطرسبورغ (لينغراد) الحربية ومن اشهر الساسة الايرانيين و له الر كبير في صعود رضا شاه بهلوي للحكم وكان وزير بلاطة ونائبا لمجلس النواب بطهران وكان ذا نفوذ وقوة حتى ان الشاه قال يوماً في مجلس الوزراء « قول تمور هو قولي انا «

٣٦- صديق محمود حسن ابراهيم ، المصدر السابق ، ص٧٥٠

٣٧- غلام رضا لجاني ، التاريخ الايراني المعاصر ايران في العهد البهلوي ، ترجمه عبد الرحيم الحمراني ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، ط١، ٢٠٠٨ ، ص٤١

٣٨-كريم مطر حمزة الزبيدي ، المصدر السابق ، ص٩١

٣٩- عبد الهادي كريم سلمان ، ايران في سنوات الحرب العالمية الثانية ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، ١٩٨٦ ، ص٢١

٤٠- روافد جبار شرهان ، المصدر السابق ، ص٦٠

٤١- غنية ضحوة ، السياسة الداخلية الايرانية في عهد محمد رضا بهلوي (١٩٤١ - ١٩٧٩) ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خضير بسكرة ، ٢٠١٨ ، ص٣٢

٤٢- روافد جبار شرهان ، المصدر السابق ، ص٦٤

٤٣- وداد جابر غازي ، المصدر السابق ، ص٣٧

٤٤- احمد يونس زويد ، نعيم جاسم محمد ، اوضاع المرأة في الحياة الايرانية في ظل اصلاحات رضا شاه بهلوي وموقف المؤسسة الدينية (١٩٢٥ - ١٩٤١)، مجلة آداب البصرة، العدد (٤٩) لسنة ٢٠٠٩ ، ص١٨٩

٤٥-كريم مطر الزبيدي ، المصدر السابق ، ص١٦

٤٦- ارنولد ابراهيمان، تاريخ ايران الحديثة ، ترجمة صبحي مجدي ، عالم المعرفة للنشر، ٢٠١٤، ص١٢٢

٤٧- محمد حاتم خلف الشرع ، التطورات الاجتماعية في ايران (١٩٢٥ - ١٩٤١) ، أطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٥ ، ص٣١

٤٨-كريم مطر الزبيدي ، المصدر السابق ، ص٩٨

٤٩- زينب فليح محمد، الأوضاع الاقتصادية في إيران (١٩٤٥ - ١٩٥٣) ، دراسة تاريخية ، الجامعة المستنصرية ,كلية التربية ، ٢٠٢٠ ، ص٤

٥٠- غنية ضحوة ، المصدر السابق ، ص٣٣

٥١- امال السبكي ، تاريخ ايران السياسي بين ثورتين (١٩٠٩ - ١٩٧٩) ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٩ ، ص٧٢

٥٢- زينب فليح محمد، المصدر السابق ، ص٥

٥٣- امال السبكي ، المصدر السابق ، ص٧٤

المصادر:

اولاً :- الكتب العربية والمترجمة

١- لازم لفته المالكي ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، جامعة البصرة ، ط١، ٢٠٠٧

٢- امال السبكي ، تاريخ ايران السياسي بين ثورتين (١٩٠٩-١٩٧٩) ، المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٩

٣- ارنولد ابراهميان ، تاريخ ايران الحديثة ، ترجمة صبحي مجدي ، عالم المعرفة للنشر ،

٤-كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، بغداد ، ١٩٨٥

٢٠١٤

٥- احمد محمود الساداتي ، رضا شاه بهلوي «نهضة ايران الحديثة» ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٩

٦- فرح صابر ، رضا شاه بهلوي التطورات السياسية في ايران (١٩١٨ - ١٩٣٩) ، منشورات مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية ، السليمانية ، ٢٠١٣

٧- حسن كريم الجاف ، موسوعة تاريخ ايران السياسي (من سقوط الدولة القاجارية وظهور رضا شاه إلى سقوط النظام البهلوي في عهد محمد رضا شاه وقيام الجمهورية الايرانية ، مج٤ ، ط١، الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٨

٨-كريم مطر حمزة الزبيدي ، تاريخ ايران الحديث

٩- احمد شاكر عبد العلاق ، الاحزاب والمنظمات السياسية في ايران (١٩٦٣-١٩٧٩) ، دراسة تاريخية ، الرافد للمطبوعات ، ط١، بغداد ، ٢٠١٥

١٠- غلام رضا نجاتي ، ايران في العصر البهلوي، ترجمة عبد الرحيم الحمراني ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، ط١، ٢٠٠٨

١١- عبد الهادي كريم السلمان ، إيران في سنوات الحرب العالمية الثانية ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٣

ثانياً : الرسائل والأطاريح

١- احمد شاكر عبد العلاق ، الاحزاب و المنظمات السياسية في ايران (١٩٦٣ - ١٩٧٩) ، دراسة تاريخية ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعه الكوفة ، ٢٠٢١

٢- وداد جابر غازي ، الحياة البرلمانية في ايران ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٠

٣- روافد جبار شرهان ، الأحزاب الملكية في ايران (١٩٧٩ - ١٩٤١) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة البصرة، ٢٠١٣

٤- محمد حاتم خلف الشرع ، التطورات الاجتماعية في ايران (١٩٢٥ - ١٩٤١) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٥

٥- قحطان جابر اسعد ارحيم التكريتي ، دور المثقفين في الثورة الدستورية (١٩٠٥ - ١٩١١) ، رسالة ماجستير، جامعة تكريت ، ٢٠٠٥

٦- زينب فليح محمد ، الأوضاع الاقتصادية في ايران (١٩٣٥ - ١٩٤٥) ، دراسة تاريخية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٢٠

٧- فوزية صابر محمد ، ايران بين الحربين العالمتين تطور السياسة الداخلية (١٩١٨ - ١٩٣٩) ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب، جامعة البصرة ، ١٩٨٦

ثالثاً المجلات :

١- احمد يونس زويد، نعيم جاسم محمد ، اوضاع المرأة الايرانية في ظل اصلاحات رضا شاه بهلوي وموقف المؤسسة الدينية (١٩٢٥ - ١٩٤١) ، مجلة آداب البصرة ، العدد (٤٩) ، ٢٠٠٩

٢- صديق محمود حسن ابراهيم ، الأحزاب السياسية الايرانية منذ العصر الدستوري حتى سقوط رضا شاه ،كلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادي ، العدد (٥٧) ، ٢٠٢٢

دور الكرد في الدبلوماسية العراقية ١٩٣٤-١٩٦٨

م. م. عماد علي مهدي
وزارة التربية / المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ الثانية



للمستخلص:
شارك الدبلوماسين الكرد وساهموا مساهمة حقيقية في خدمة السياسة الخارجية العراقية على الصعيدين الإقليمي والدولي في العهد الملكي أو الجمهوري ورغم قلة أعدادهم لكن عطائهم كان كبيراً فقد شغلوا سفارات مهمة بالنسبة للعراق ونجحوا في حماية العراقيين في الخارج فضلاً عن فتح آفاق جديدة لمستقبل العلاقات السياسية بين العراق والدول سواءاً كانت أوربية أو عربية.
أن السبب الحقيقي لنجاح الدبلوماسين الكرد في وزارة الخارجية يرجح الى عدة أسباب منها الكفاءة والنزاهة وعفة اليد من جهة وتقديم أنفسهم في المحافل الخارجية على أنهم يمثلون العراق الكامل المتكامل على أرضه وسيادته ولم يمثلوا قوميتهم الكردية وهذه الصفات لازمتهم حتى نهاية خدماتهم في الدولة.
الكلمات المفتاحية: الكرد، الدبلوماسية، السفارة، العراق.

Abstract:
Kurdish diplomats participated and made a real contribution to the service of Iraqi foreign policy at the regional and international levels in the royal or republican era. Be it European or Arab.The real reason for the success of the Kurdish diplomats in the Ministry of Foreign Affairs is likely to be several reasons, including competence, integrity, and chastity of hand on the one hand, and presenting themselves in foreign forums as representing a complete and integrated Iraq on its land and sovereignty, and they did not represent their Kurdish nationality, and these qualities are necessary for them until the end of their services in the state.
Keywords: Kurds, diplomacy, embassy, Iraq.

المقدمة :
الكرد جزء لا يتجزء من الشعب العراقي، سكنوا المنطقة منذ آلاف السنين، وعندما تأسست الدولة العراقية الحديثة بعد الحرب العالمية الأولى واختيار الدولة العثمانية ساهموا مساهمة فعالة في أرساء أسس تلك الدولة ورسم معالمها الحقيقية.
فضلاً عن ذلك كان للمتعلمين الكرد الدور الفاعل في الحركة الوطنية العراقية من خلال الانخراط في الأحزاب السياسية التي أنشأة كالحزب الشيوعي العراقي والحزب الوطني الديمقراطي ووصلوا الى مراكز قيادته في تلك الأحزاب.
كما ساهم الشباب الكردي المتعلم في خدمة العراق من خلال الوزارات ودوائر الدولة ومنها وزارة الخارجية التي تبنت تلك الطاقات للعمل الدبلوماسي في سفاراتها وملحقاتها في الخارج فاثبتوا جدارة ومهارة قل نظيرها.
من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة التي تسلط الضوء على دور الدبلوماسيين الكرد في سياسة العراق الخارجية منذ تأسيس وزارة الخارجية وحتى عام ١٩٣٤ لأن الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق بعد هذا التاريخ كانت توصي وتصور الكرد على أنهم مواطنين عاصين ومتمردين على الدولة العراقية لأسباب عديدة لا مجال لذكرها هنا.
اعتمدت الدراسة بالدرجة الأساس على بعض الوثائق المحفوظة في دار الكتب والوثائق العراقية لاسيما ملفات البلاط الملكي وملفات مجلس السيادة العراقي فضلاً عن الوثائق الموجودة في مكتبة معهد الخدمة الخارجية التابع الى وزارة الخارجية والبحوث والدراسات التي أنجزت في المعهد.
ولا ننسى الفائدة الكبيرة التي أفادتنا بها جريدة الوقائع العراقية في دراسة القرارات والمراسيم الجمهورية المتعلقة بتعيين السفراء والقناصل والدبلوماسيين الكرد سواءاً في ديوان الوزارة أو مؤسساتها في الخارج.

دور الكرد في العمل الدبلوماسي
تأسست وزارة الخارجية العراقية بصورة رسمية عام ١٩٢٤(١) واسندت رئاستها الى رئيس الوزراء وكانت إدارة ملحقه بالمجلس، وكان للعراق بعض الممثليات الدبلوماسية والقنصلية في كل من طهران وأنقرة ولندن وبعض القنصليات في بومبي وكرمنشاه والخمرة وبيروت(٢).

وبعد دخول العراق الى عصبة الأمم عام ١٩٣٢، أصبحت وزارة الخارجية مستقلة عن مجلس الوزراء وصدر نظام لوزارة الخارجية وعين لها وزير وملاك خاص وميزانية مستقلة(٣).

كان هدف وزارة الخارجية هو رسم السياسة الخارجية للعراق على ضوء قرارات وتوصيات القادة السياسيين وتوجيه كافة الشؤون المتعلقة به وتوطيد علاقات العراق مع الدول الأجنبية والمنظمات الدولية والإقليمية ورعاية مصالح المواطنين العراقيين وحمايتهم في الخارج(٤).

حرصت الوزارة منذ تأسيسها على اختيار دبلوماسيها من بين الذين تميزوا بالكفاءة والتخصص العلمي والمعرفة الشخصية وقد يكونوا من الذين تدرجوا بالسلك الدبلوماسي حتى وصلوا الى قمته أو من ذوي الكفاءة كالأساتذة ورجال القضاء والطب والأدب أو من رجال الجيش بمعنى أنها ركزت على شرطي الكفاءة والتخصص العلمي على جميع الشروط الأخرى كالجنس والقومية والدين(٥).

لذلك قدمت الدبلوماسية العراقية نماذج يحتذا بها من سفراء وقناصل من كافة أطياف الشعب العراقي من المسيحيين واليهود والمندائيين فضلاً عن الدبلوماسيين الكرد.

لابد أن نشير الى أن أول دبلوماسي كردي عمل في وزارة الخارجية هو بهاء الدين نوري(٦) الذي عين عام ١٩٤٩ في ديوان وزارة الخارجية، ثم نقل في ٢٤ أيار ١٩٥١ وزيراً مفوضاً لدى إيران(٧) ولعب دوراً كبيراً في تقريب وجهات النظر بين بغداد وطهران، وحاول بالطرف الدبلوماسية حل المشاكل بين البلدين لاسيما فيما يتعلق بمشاكل الحدود والتهريب والصيد في مياه شط العرب وتجاوز البحارة الإيرانيين على قواعد الملاحة في الخليج العربي(٨).

نتيجة لنشاطه وخبرته السياسية رقي في ١٨ آذار ١٩٥٤ الى سفير(٩) وبقي في طهران يدير شؤون السفارة العراقية هناك، وقد واجهته بعض المشكلات من الجانب الإيراني لاسيما فيما يخص قضية دفن الأموات في مقبرة النجف الأشرف، حيث قدم مجموعة من الإيرانيين طلبات الى السفارة العراقية يرغبون فيها دفن أمواتهم في مقبرتي النجف وكربلاء. وسبق أن طرح الأمر في مناسبات عديدة لكن الحكومة العراقية رفضت فرضاً قاطعاً تلك القضية لما فيها من مخاطر صحية على المجتمع العراقي خصوصاً وأن نقل الرفات يتطلب أيام عديدة لوصولها الى النجف وهذا من شأنه أن ينشر الأوبئة والأمراض. فكانت رد السفير العراقي نهائياً وقاطعاً بعدم جواز الدفن في العراق(١٠).

في ٧ نيسان ١٩٥٥ ألقت شرطة الحدود العراقية على مجموعة من المهربين الإيرانيين بين عبادان والفاو فاستدعت وزارة الخارجية الإيرانية السفير العراقي وطلبت منه توضيح الأمر وبعد مراسلات بين وزارة الخارجية العراقية والداخلية أفرج عن المهربين الإيرانيين(١١).

ومع قيام الاتحاد الهاشمي(١٢) بين العراق والمملكة الأردنية، كان على وزارة الخارجية، أن ترسل سفيراً مشهود له بالكفاءة فلم تجد غير بهاء الدين نوري ليكون سفيراً فوق العادة لدى الاتحاد عام ١٩٥٨(١٣).

– سيف الله خندان(١٤):

عين مديراً عاماً للتشريفات في وزارة الخارجية(١٥) عام ١٩٤٩، واستغل خبرته الإدارية في تنظيم شؤون دائرته، وتنقل بين اوروقة وزارة الخارجية كمدير عام بالوكالة لدائرة الشعوب العربية والدائرة القنصلية وشعبة المالية والقانونية ووضع لمساته في كل مفصل عمل فيه حتى نقل وزيراً مفوضاً في ألمانيا الغربية عام ١٩٥٣(١٦) في ذروة الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي لاسيما وأن العراق في حينها كان محط أنظار الدول العظمى التي تسعى الى سحبه الى جانبها، لكن الدبلوماسية العراقية نجحت الى حد كبير بأبعاد العراق عن صراع المحاور وعبور المرحلة بأقل الخسائر(١٧).

وفي ٥ أيلول ١٩٥٦ نقل سيف الله خندان من ألمانيا الغربية الى إسبانيا(١٨) وبنفس درجة وزير مفوض، وكانت المهمة الملقاة على عاتقه هي فتح آفاق جديدة للعلاقات بين العراق وإسبانيا التي كانت تعاني من عزلة دولية(١٩).

قدم خندان أوراق اعتماده كسفير لبلاده الى وكيل الشؤون الخارجية الإسبانية ألفونسوا لأكاليس Al fonsoi gless(٢٠).

في ٣٠ تشرين الأول ١٩٥٦ وعقب العدوان الثلاثي على مصر، تعرض مبنى السفارة العراقية في مدريد الى رشق بالحجارة من قبل بعض اليهود الأسبان المتشددين الأمر الذي دفع سيف الله قندان الى تقديم احتجاج رسمي لدى الخارجية الإسبانية التي يدورها شددت من الإجراءات الأمنية على محيط السفارة العراقية وتقية السفارات العربية الأخرى(٢١).

كما شارك سيف الله خندان بالحملة التي قادها أعضاء السلك الدبلوماسي العربي في مدريد للتنديد بعمليات اعتقال الثوار الجزائريين اللاجئين في إسبانيا من كان من الحكومة الإسبانية إلا الإفراج عنهم(٢٢).

فضلاً عن ذلك نضمت السفارة العراقية في مدريد يوم ٧ آذار ١٩٥٧ مهرجاناً لدعم القضية الفلسطينية وكان من ضمن جدول الأعمال افتتاح معرضاً للصور الفوتوغرافية التي توثق الأعمال الوحشية التي تقوم بها العصابات الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني(٢٣).

لكن السفير (الإسرائيلي) لدى إسبانيا قدم مذكرة احتجاج الى وزارة الخارجية الإسبانية التي طالبت البعثة العراقية بأغلاق المعرض بعد أن استدعت سيف الله خندان الى مقر وزارة الخارجية الإسبانية(٢٤).

أحيل على التقاعد بناءاً على طلبه بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وعاد الى السليمانية مسقط رأسه وأخذ يمارس أعماله المعتادة(٢٥).

– علي حيدر سلمان :

عين علي حيدر سليمان(٢٦) سفيراً في ديوان وزارة الخارجية عام ١٩٥٦(٢٧) ولم يلبث كثيراً في بغداد حيث نقل سفيراً في ألمانيا الشرقية عام ١٩٥٧(٢٨).

أنهمك علي حيدر بالعمل الدبلوماسي والقنصلي وكان وجوده في ألمانيا فرصة ذهبية لتعزيز علاقات العراق الخارجية مع الدول الأوربية عاد الى ديوان وزارة الخارجية بعد ١٤ تموز ١٩٥٨(٢٩).

عام ١٩٦٠ نقل سفيراً في الولايات المتحدة الأمريكية(٣٠) وكرس جل وقته لتعزيز الصلات الثقافية بين بغداد وواشنطن ونجح في الحصول على زمالات دراسية للطلبة العراقيين بكافة التخصصات العلمية ومن جامعات أمريكية رصينة(٣١).

بعدها نقل الى ألمانيا الغربية عام ١٩٦٣(٣٢) للمرة الثانية ثم سفيراً في إيطاليا عام ١٩٦٦(٣٣) حتى تقاعده في ٩ مايس ١٩٦٨(٣٤).

– حقي نوري البرزنجي :

عين حقي نوري عبد الله البرزنجي(٣٥) في ديوان وزارة الخارجية عام ١٩٦٠(٣٦) بوظيفة مشاور قانوني في الدائرة العربية ثم نقل وزيراً مفوظفاً في السفارة العراقية بلاغوس(٣٧) أعيد الى ديوان وزارة الخارجية في ٧ كانون الثاني ١٩٦٣(٣٨).

الخاتمة :

استندت الدبلوماسية العراقية على أسس صحيحة وقوية في بناء هيكله السياسة الخارجية للبلاد عندما وضعت الكفاءة والمهنية والتحصيل العلمي معياراً للعمل الدبلوماسي في وزارة الخارجية، دون الاعتماد على المحسوبية أو التعكز على القومية أو الطائفة والدين لذلك حققت سياسة العراق الخارجية نقلات نوعية على الصعيدين العربي والدولي.

وثمة حقيقة لابد من الإشارة إليها وهي أن القادة السياسيين سواءاً في العهد الملكي أو الجمهوري الأول لم تكن لديهم خطوط حمراء ضد القومية الكردية بالخصوص وباقي الطوائف الدينية الأخرى عموماً وأصدق مثال على ذلك هو اختيار الدبلوماسي بهاء الدين نوري سفيراً للاتحاد الهاشمي العربي وهي من القومية الكردية.

بالمقابل قدم الدبلوماسيين الكرد خدمات كبيرة للبلاد وقدموا أنفسهم في المحافل الخارجية على أنهم عراقيون أولاً وأخيراً وتبنوا في الوقت ذاته قضايا مصيرية تمس أبناء الشعب العراقي.

مثل الكرد في العهد الملكي ثلاثة من الدبلوماسيين من أصل سبعة وستون دبلوماسياً وهي نسبة لا بأس بها إذا قارن نسب المتعلمين والحاصلين على شهادات جامعية من الكرد في ذلك العهد الجمهوري فقد مثل الكرد أربعة من الدبلوماسيين من أصل ستة وسبعون دبلوماسياً

الهوامش:

(١) دار الكتب والوثائق (سنرمز لها لاحقاً د. ك. و)، ملفات البلاط الملكي، ملفة رقم (٣١١/١٧٢)، وثيقة رقم (١٨) صدور الإرادة الملكية بتأسيس وزارة الأمور الخارجية في ٢٩/ تشرين الثاني /١٩٢٤.

(٢) وزارة الخارجية العراقية، سبعون عاماً من العطاء، كراس خاص بمناسبة الذكرى السبعون، ١٩٩٤، ص٣.

(٣) ينظر : النظام الداخلي لوزارة الخارجية وتشكيلاتها الرقم (٢١) لسنة ١٩٣٣ المنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد (١٣٧٥) في ١٩٣٣/٧/٢٠.

(٤) خيري صالح علي، الوجيز في الدبلوماسية العراقية، ط٢، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦١، ص٨٠.

(٥) مازن الرمضاني، الإطار الفكري لدراسة السلوك السياسي والدبلوماسي، مجموعة محاضرات ألقيت على طلبة كلية القانون والسياسية (

مطبوع بالرونيو)، بغداد، ١٩٧٨، ص٣١.
(٦) ولد في السليمانية عام ١٨٩٧، درس القانون في الاستانة، ثم العلوم العسكرية في بريطانيا، عاد الى العراق فأسس كلية الأركان عام ١٩٣٧ وعين عميداً لها، شغل منصب متصرف لواء السليمانية عام ١٩٤٠ ووزيراً للشؤون الاجتماعية في وزارة نوري السعيد العاشرة ٦ تشرين الأول – ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٩ بعدها نقلت خدماته الى وزارة الخارجية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ استقال وطلب اللجوء السياسي. للمزيد ينظر: وليد خوشناو، شذرات من تاريخ مدينة السليمانية، مطبعة هاوكاري، السليمانية، ١٩٩٢، ص٧٣.
(٧) ينظر: القرار المرقم (٣٨٨) المنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد (٣٠٠٧)، في ١٣ آب ١٩٥١.
(٨) فهد خطاب العاني، المشاكل الحدودية بين العراق وإيران، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١، ص٤٣.
(٩) ينظر: القرار المرقم (٤٩٣) المنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد (٣٤٣١) في ١٦ تموز ١٩٥٤.
(١٠) مصطفى عبد القادر الحيتي، سنوات الصراع العربي – الفارسي، مطبعة الحكمة، بغداد، ١٩٨٤، ص٥٥.
(١١) فهد خطاب العاني، المصدر السابق، ص٤٦–٤٧.
(١٢) مشروع اتحاد بين المملكة العراقية والمملكة الأردنية الهاشمية أعلن عنه في ١٤ شباط ١٩٥٨ بحكم وجود الأسرة الهاشمية التي تحكم في كلا البلدين، وجاء هذا الاتحاد رداً على الوحدة العربية بين سوريا ومصر، أنهى ذلك الاتحاد بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. للمزيد ينظر: عبد القهار فهمي، مشاريع الوحدة العربية، ط٢، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٥٩، ص٥٩.
(١٣) ينظر: القرار المرقم (٧٦) المنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد ٣٧٧٨ في ١٩٥٨/٢/٢٦.
(١٤) ولد في السليمانية عام ١٨٩٧، درس الابتدائية هناك وأكمل الثانوية في بغداد، درس القانون في كلية الحقوق وحصل على شهادتها، انتخب نائباً عن لواء السليمانية لأربعة دورات، ثم انتقل للعمل في وزارة الخارجية عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٥٨ ينظر: الحكومة العراقية، جدول كبار موظفي الدولة لسنة ١٩٥٣، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٥٤، ص١٠؛ عمر حقي زيباري، شخصيات كردية، ط٣، بيروت، ١٩٩١، ص٨٨.
(١٥) ينظر: القرار المرقم (٣٢٦) المنشور في جريدة الوقائع العراقية، العدد (٢٧١٩) في ١٩٤٩/٨/٢٩.
(١٦) ينظر : القرار المرقم (٦١٣) المنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد (٣٢٨٦) في ١٩٥٣/٨/٨.
(١٧) خيري صالح علي، المصدر السابق، ص٨٨.
(١٨) ينظر: القرار المرقم (٧١٥) المنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد (٣٨٨٧) في ١٩٥٦/١٠/٢٤.
(١٩) حسين علي مهدي وفائن محي محسن، النشاط الدبلوماسي العراقي في إسبانيا ١٩٥٠ – ١٩٥٨ دراسة تاريخية، مجلة كلية التربية الاساسية، الجامعة المستنصرية، العدد (٣٠٤)، ٢٠٢٢م، ص٦١٢.
(٢٠) عمر مزاحم الحديثي، العلاقات مع مملكة إسبانيا وسبل تطورها بحث مقدم الى معهد الخدمة الخارجية للترقية الى درجة وزير مفوض، بغداد، ١٩٩٤، ص٤١.
(٢١) منصور عبد الهادي الشرقاوي، الدبلوماسية العربية والصراع العربي – الصهيوني، ط٢، القاهرة، ١٩٦٦، ص٨١.
(٢٢) سعدون محي الدين الحيتي، الإطار الدولي في سياسة العراق الخارجية، مكتبة العاني، بغداد، ١٩٧٥، ص٤٥.
(٢٣) منصور عبد الهادي الشرقاوي، المصدر السابق، ص٨٩.
(٢٤) عمر مزاحم الحديثي، المصدر السابق، ص٤٩.
(٢٥) عمر حقي زيباري، المصدر السابق، ص٩٠.
(٢٦) ولد في أربيل عام ١٩٠٥، درس الثانوية في الموصل ثم سافر الى بيروت ملتحقاً بالجامعة الأمريكية عام ١٩٢٤، حصل على شهادة العلوم السياسية عام ١٩٣٠، بعد عودته الى العراق انتخب نائباً عن الموصل عام ١٩٤٨ ولثلاث دورات متتالية شغل مناصب وزارية منها وزيراً للمالية في وزارة مزاحم الباجه جي عام ١٩٤٩ والمواصلات والاشغال في وزارة علي جودت الأيوبي عام ١٩٥٠ و١٩٥٢ ثم وزيراً للأعمار في وزارة محمد فاضل الجمالي ١٩٥٤ وزيراً للاقتصاد في نفس الوزارة له العديد من المؤلفات العلمية منها تاريخ المدنية الأوربية عام ١٩٣٢ وتاريخ أوربا الحديث عام ١٩٣٧ ينظر: عمر حقي زيباري، المصدر السابق، ص١٠١.
(٢٧) ينظر: القرار المرقم (٥٥٨) المنشور في جريدة الوقائق العراقية، العدد (٣٨٧٩) في ١٩٥٦/١٠/٨.
(٢٨) ينظر: القرار المرقم (٧٤٨) المنشور في جريدة الوقائع العراقية، العدد (٣٨٩٣) في ١٩٥٧/١١/٣.
(٢٩) عمر حقي زيباري، المصدر السابق، ص١٠٣.
(٣٠) د. ك. و، ملفات مجلس السيادة، قرارات مجلس الوزراء، قرار رقم (٨٧٢)، الجلسة السابعة المنعقد في ٢٠ كانون الثاني ١٩٦٠، ص١٤٣.
(٣١) عبد الحسين زلزلة، البعثات العلمية العراقية في اوربا دراسة تحليلية، ط٢، النجف، ١٩٦٥، ص١٢٣.
(٣٢) د. ك. و، ملفات مجلس السيادة، قرارات مجلس الوزراء قرار رقم (٢٨)، الجلسة الاعتيادية العاشرة، المنعقدة في ١٩٦٣/١/١٤، ص٦٠.
(٣٣) ينظر: القرار المرقم (٢٢١) المنشور في جريدة الوقائع العراقية، العدد (١٢٤٤)، ١٩٦٦/٢/٢٨.
(٣٤) عمر حقي زيباري، المصدر السابق، ص١٠٣.

(٣٥) ولد في بغداد عام ١٩٢١، أنهى دراسته الثانوية في الإعدادية المركزية في بغداد، بعدها دخل كلية الحقوق وحصل على شهادة البكالوريوس في القانون، عين في وزارة الخارجية وندرج في المناصب الدبلوماسية حتى أحيل على التقاعد عام ١٩٧٠. ينظر: عمر حقي زيباري، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٣٦) ينظر: نص المرسوم الجمهوري المرقم (٤٥) المنشور في جريدة الوقائع العراقية، العدد (١٥١٩) في ١٩٦٧/١٢/٢٠.

(٣٧) العاصمة القديمة لينجبر يافيل أبوجا.

(٣٨) ينظر: القرار المرقم (٢٢٣) المنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد (١٥٧٦) في ١٩٦٨/٢/٣.

المصادر :

أ – ملفات البلاط الملكي :

١ – ملفه رقم (٣١١/١٧٢) وثيقة رقم (١٨)، صدور الإرادة الملكية بتأسيس وزارة الأمور الخارجية في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٤.

٢ – ملفات مجلس السيادة، قرارات مجلس الوزراء قرار رقم (٨٧٢)، الجلسة السابعة المنعقدة في ٢٠ كانون الثاني ١٩٦٠.

٣ – ــــــــــــ، قرارات مجلس الوزراء رقم القرار (٢٨)، الجلسة الاعتيادية العاشرة المنعقدة في ١٩٦٣/١/١٤.

ثانياً : المطبوعات الحكومية

١ – وزارة الخارجية العراقية سبعون عاماً من العطاء، كراس خاص بمناسبة الذكرة السبعون، ١٩٩٤.

٢ – الحكومة العراقية، جدول كبار موظفي الدولة لسنة ١٩٥٣، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٥٤.

٣ – وزارة الخارجية، دليل الخدمة الدبلوماسية، الموظفين والدبلوماسين، بغداد، ١٩٦٧.

ثالثاً : الكتب العربية

١ – خيري صالح علي، الوجيز في الدبلوماسية العراقية، ط٢، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦١.

٢ – مازن الرمضاني، الإطار النظري لدراسة السلوك السياسي والدبلوماسي، مجموعة محاضرات ألقيت على طلبة كلية القانون والسياسة (مطبوع بالروينو)، بغداد، ١٩٧٨.

٣ – دلير خوشناو، وشذرات من تاريخ مدينة السليمانية، مطبعة هاوكاري، السليمانية، ١٩٩٢.

٤ – فهد خطاب العاني، المشاكل الحدودية بين العراق وإيران، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.

٥ – مصطفى عبد القادر الطيبي، سنوات الصراع العربي – الفارسي، مطبعة الحكمة، بغداد، ١٩٨٤.

٦ – عبد الغفار فهمي، مشاريع الوحدة العربية، ط٢، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٥٩.

٧ – عمر حقي زيباري، شخصيات كردية، ط٣، بيروت، ١٩٩٠.

٨ – عمر مزاحم الحديثي، العلاقات مع مملكة إسبانيا وسبل تطورها بحث مقدم الى معهد الخدمة الخارجية للترقية الى درجة وزير مفوض، بغداد، ١٩٩٤.

٩ – منصور عبد الهادي الشرقاوي، الدبلوماسية العربية والصراع العربي – الصهيوني، ط٢، القاهرة، ١٩٦٦.

١٠ – سعدون محي الدين الطيبي، الإطار الدولي في سياسة العراق الخارجية، مكتبة العاني، بغداد، ١٩٧٥.

١١ – عبد الحسين زلزلة، البعثات العلمية العراقية في أوربا دراسة تحليلية، ط٢، النجف، ١٩٦٥.

رابعاً : البحوث والدراسات

١ – حسين علي مهدي وفاتن محي محسن، النشاط الدبلوماسي العراقي في إسبانيا، ١٩٥٠ – ١٩٥٨، دراسة تاريخية، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، العدد ٣٠٤، ص٢٠٢٢.

خامساً : جريدة الوقائع العراقية

١ – العدد (١٣٧٥ في ١٩٣٣/٧/٢٠.

٢ – العدد (٣٠٠٧) في ١٩٥١/٨/١٣.

٣ – العدد (٣٤٣١) في ١٩٥٤/٧/١٦.

٤ – العدد (٣٧٧٨) في ١٩٥٨/٣/٢٦.

٥ – العدد (٢٧٦٩) في ١٩٤٩/٨/٢٩.

٦ – العدد (٣٢٨٦) في ١٩٥٣/٨/٨.

٧ – العدد (٣٨٨٧) في ١٩٥٦/١٠/٢٤.

٨ – العدد (٣٨٧٩) في ١٩٥٦/١٠/٨.

٩ – العدد (٣٨٩٣) في ١٩٥٧/١١/٣.

١٠ – العدد (١٢٤٤) في ١٩٦٦/٢/٢٨.

١١ – العدد (٣٩٢٦) في ١٩٦٥/٤/١٧.

١٢ – العدد (٤٠٠١) في ١٩٦٦/٥/٨.

١٣ – العدد (١٥١٩) في ١٩٦٧/١٢/٢.

المدد الإلهي وتجليه في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) وبعدها

م.م. إيناس محمد راضي م. شيماء داود لطيف
جامعة بغداد/كلية العلوم الاسلامية



المستخلص:

لا شك ولا ريب بأن ثورة الامام الحسين (عليه السلام) هي تجسيدٌ وتطبيق عملي لإحياء أمر الدين والاسلام وهذا الإحياء والتطبيق العملي جاء نتيجة مقدماتٍ وإمداداتٍ هيئها الله سبحانهُ وتعالى لنبيهِ ابتداءً وأتمّ وأستمر بها الى واقعة الطف الخالدة إضافة الى الروح التواقة للإمام الحسين (عليه السلام) التواقة الى المعاني السامية والبعيدة عن الغوص في الأمور المادية الحقيرة، فروح الامام (عليه السلام) روحٌ كبيرة والامنيات واسعة، وروحه الطاهرة صاحبة إرادة كبيرة ومطالب أكبر تمنيات هذهِ الروح لتتأصل فيها تعاليم الإسلام وتمتدِ جذوره التي حاول الاعداء والظالمين قطعها على مر العصور، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وأصبح طريق الثورة هو طريق المجاهدين والثوار وهنالك العديد من الشخصيات الفذة التي تمثلت في السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) والسيد الشهيد محمد صادق الصدر وأولاده (قدس الله أسرارهم) والشهيد أحمد ياسين ، والشهيد عباس الموسوي ، والشهيد فتحي الشقاقي ، والشهيد عماد مغنية ، والشهيد عبد العزيز الرنتيسي ، والشهيد أبا مهدي المهندس ، ثم القامة الرفيعة بشهداء المقاومة الشهيد قاسم سليماني ، وأيقونة العصر في الشهادة الشهيد الخالد (حسن نصر الله). لذا سيتناول بحثنا المحور الخاص بالدراسات الإنسانية التي اشتملت عليها واقعة الطف الخالدة من خلال ما تضمنه هذا المحور تأثير الثورة على الفكر الديني الذي يضم الخوض في محور الإمدادات بأنواعها الكثيرة اختصرناها بنوعين من الإمدادات، وهي الإمدادات الباطنية الخفية، والامدادات الظاهرية، نضف الى ذلك التأثير الفلسفي على المجتمع التي تجلت في ثورة الامام الحسين بعد أن بينا أسباب وعوامل تخص ثورة الإمام الحسين الخالدة ومن ثم تطرقنا الى أنواع الإمدادات وعلى ماذا تشمل هذه الامدادات وما المحاور التي ناقشنا فيها ورأينا بأنها كانت محط النظرة الإلهية في رعاية هذهِ الثورة المباركة واستمرارها.

الكلمات المفتاحية:الإمام الحسين(عليه السلام، الثورة، المجاهدين، الثوار.

Abstract:

There is no doubt that the revolution of Imam Hussein (peace be upon him) is a manifestation and practical application of reviving the principles of religion and Islam. This revival and practical application came as a result of preparations and support that Allah, the Almighty, initially provided to His Prophet and continued until the tragic event of Karbala. We also add to the spirit of Imam Hussein (peace be upon him), a spirit that yearned for noble meanings far removed from the petty material concerns. His soul was great, and his aspirations were vast. His pure soul possessed great willpower and even greater demands, which allowed this spirit to be deeply rooted in the teachings of Islam, with roots that the enemies and oppressors attempted to sever throughout the ages. But Allah refuses anything but the completion of His light, even if the disbelievers dislike it. Thus, the path of the revolution became the path of the mujahideen and revolutionaries. Many distinguished figures embodied this path, such as the martyred Sayyid Muhammad Baqir al-Sadr (may his soul rest in peace), the martyred Sayyid Muhammad Sadiq al-Sadr and his sons (may their secrets be sanctified), martyr Ahmad Yassin, martyr Abbas al-

Moussawi, martyr Fathi Shiqaqi, martyr Imad Mughniyeh, martyr Abdel Aziz al-Rantisi, martyr Abu Mahdi al-Muhandis, and then the towering figures among the martyrs of the resistance, martyr Qassem Soleimani, and the icon of the era in martyrdom, the immortal martyr (Hassan Nasrallah). So we will address the axis of the human studies that the eternal essence of the immortal Al-Taff Incident included through what this axis includes the impact on the revolution on the thought that includes the specialization in the axis of supply with its many types, we summarized it with two types of supplies, which are sufficient under the covert, and the apparent supplies, we add to that the philosophical psychology on which it was manifested in the revolution of Imam Hussein after we showed the reasons and factors related to the eternal revolution of Imam Hussein and then we move to different types and what these supplies include and so on, we discussed it and saw it became the focus of the divine view in caring for this blessed revolution and its continuation.

Keywords: Imam Hussein (peace be upon him), revolution, mujahideen, revolutionaries.

يتألف البحث من محورين:

المحور الاول: التعريف بمفردات البحث والتي شملت على تعريف (المدد لغة واصطلاحا، التعريف بالتجلي لغة واصطلاحاً، التعريف بثورة الامام الحسين (عليه السلام).

المحور الثاني: بيان ثورة الامام الحسين (عليه السلام)، المدد إلهي ظاهري تمثل في استمرار مبادئ الثورة وتطبيقها على أرض الواقع ومن التطبيقات أي بعد الواقعة، التأييد الروحي والمعنوي، الكرامات والتدخل الغيبي لما لهذا المحور من تأثيرات فكرية وفلسفية.

المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث

المحور الاول: التعريف بمفردات البحث:

أولاً: المدد:

وتعريفه في اللغة: تأتي كلمة المدد في اللغة العربية بمعانٍ مختلفة وباستخدامات متعددة منها (المداد) اي ما يُكتبُ به يقال: مددت من الدواة واستمددتُ منهُ أي أخذت منها بالقلم للكتابة (الحموي، (د.ت)، صفحة ٢/٥٦٦)، ومد البحر مداً أي زادهُ، وأمتد الشي أي انبسط واستمر، والمددُ بفتحتين أي أمددتهُ بمددٍ وأعنتهُ وقويتهُ بهِ (الحموي، (د.ت)، صفحة ٢/٥٦٦) ، وهو المعنى المطلوب والمحدد هنا، وهنالك العديد من المعاني الأخرى (منظور، (د.ت)، الصفحات ٣/ ٣٩٨-٣٩٦).

المدد اصطلاحا: وهو الدعم المقدم الى المحاربين والجيش، ويمكن أن تطلق هذه الكلمة على كل عون مقدم، سواءً كانت المعونة مادية أو معنوية (المطهرى، (د.ت)، صفحة ٧).

ويجب أن نذكر هنا الى للمدد تعاريف أخرى منها التعريفات الفقهية والشرعية التي لا نريد الاطالة بذكرها في هذا البحث،

لأنها ستخرج البحث عن مضمونه وموضوعه.

أنواع الإمدادات:

والإمدادات من الله تعالى انواع منها امدادات خفية، وإمدادات ظاهرية.

القسم الاول: الامدادات الخفية:

وهو العون الذي يمنحه الله تعالى للنفوس المؤمنة، فيمنحها الطمأنينة والسكينة. وقد وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تشير إلى هذا النوع من الإمداد الروحي، بأشكاله المختلفة، إذ إن للمدد الباطني عدة أقسام، ومنها قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (سورة الانفال: الآية (١٦)).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة التوبة: الآية (٢٦))

وهنالك العديد من الآيات الكريمة التي تحدثت عن المدد الغيبي او الخفي في مختلف أقسامه.

القسم الثاني: المدد الظاهري:

شروط التوفيق والحصول على المدد الإلهي: حدد الله سبحانه وتعالى شروطاً للإمداد الغيبي، وحددهما ب الهداية وربط القلب وهما يتوفران في نفس المعصوم (عليه السلام) وكل من الهداية وربط القلب التي لها التأثير الفلسفي للمجتمعات ويشترط فيهما عاملين:

١. القيام: وهو متحقق في الامام الحسين (عليه السلام) ومصداقهُ قولهُ (صلى الله عليه وآله وسلم): (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا))"((الصدوق، ٢٠٠٩، صفحة ١ / ٢٠٨) (المجلسي، (د.ت)، صفحة ٢ / ٤٤) (الصدوق، علل الشرائع، ٢٠٠٩، صفحة ١ / ٢٠٨)، وتمثل هذا القيام بقيام الامام الحسين (عليه السلام)، ومحاربته طغاة بني أمية.

٢. أن يقترن هذا القيام بالعمل وفي سبيل الله لمحاربة الظلم والطغيان، وهو الطريق الذي رسمه الله لـ (الإمام الحسين) (عليه السلام) ومن سار على نهجه ليكون طريق الامتداد الغيبي ليشمله رعاية المولى تبارك وتعالى، وهو من باب اللطف الإلهي، ليستمر هذا الدعم إلى وقتنا الحاضر(المطهرى، (د.ت)، صفحة ٧) .

أما كون هذا الامداد إلهي: أي إنه من الله سبحانه وتعالى نستنتجهُ مما أشتمل عليه البحث من تأثير فكري ديني مستندا الى الآيات القرآنية الكريمة والروايات المطهرة ومنها:

الآيات التي دلت على المدد الإلهي وصور تطبيقاتها سواء كانت لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أو لوصيه أو للائمة المعصومين بعده ومن هذهِ التطبيقات:

أشار القرآن الكريم في العديد من آياته المباركة على المدد الإلهي على مختلف أنواعه سواء كان من الامدادات الخفية، أو الظاهرية وسنتناول أنواعاً من الامداد الخفي أو الغيبي منها:

أولاً: آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن الامداد الخفي وهي:

١. قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة: الآية (٤٠)).

وجه الدلالة من الآية الكريمة: وردت الآية الكريمة في شأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أي أن الله سبحانه أنزل السكينة على رسوله بإلقاء السكينة في قلبه، وعلم إنهم غير واصلين اليه ونصرهُ الله بجنودٍ لم يروها أي بملائكة يضربون وجوه الكفار وأبصارهم من أن يروه، وقيل أيضا أن الله تعالى قواه بالملائكة يدعون الله تعالى له، وقيل أيضا اعانه الله تعالى بالملائكة يوم بدر، وجعل الله بذلك كلمة الكافرون السفلى اي نازلة، وكلمة الله هي العليا المؤيدة بنصر الله وكلمة الله هي المرتفعة (الطبرسي، ١٩٥٤، صفحة ٥ / ٥٨).

٢. قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الذين كَفَرُواْ الرعب بِمَآ أَشْرَكُواْ بالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النار وَبِئْسَ مثوى الظالمين﴾ (سورة ال عمران: الآية (١٥١)).

وجه الاستدلال من الآية الكريمة:

إن الله سبحانه وتعالى ملأ قلوب الكافرين الرعب والفزع، وكان العامل الاول في رجوعهم عن القتال أمام المسلمين، لضعف ووهن قلوبهم وخوفهم من قوة إيمان المسلمين لما تحمله انفسهم من الشرك والظلم وبعدهم عن رحمه الله في مقابل الايمان بقوة الله وسلطانه في قلوب المؤمنين، فكان المدد الالهي هو إضعاف نفوس المشركين امام قوة ايمان المسلمين، وبهذا يطبق التأثير الفلسفي في التفكر بقوة الله سبحانه وتعالى وقدرته في نصر المؤمنين في رد كيد المعتدين (الحنفي، (د.ت)، صفحة ٣/ ١٠٨).

٣. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾. (سورة الاحزاب: الآية (٩).

وجه الاستدلال من الآية الكريمة:

إن الدعم الظاهر في هذه الآية الكريمة تمثل بإرسال أنواع الدعم في هذه الواقعة، وهي واقعة الخندق التي وقعت في السنة الخامسة من الهجرة، وأول دعم أرسله الله تعالى للمسلمين تمثل بالدعم المعنوي، وهو تقوية نفوس المؤمنين، وهذه التقوية هي تقوية للفكر الديني وترسيخه في القلوب المؤمنة وشملت هذه الواقعة المباركة ا أحداث مباركة نقلتها لنا كتب التاريخ والسير ، ومنها: «لما كان سلمان مع تسعة يحفرون في المساحة التي حددها الرسول لهم، وإذ بصخرة بيضاء اعترضتهم وهم يحفرون فأعجزتهم ولم تصنع بها المعاول شيئاً. فقالوا لسلمان اذهب الى رسول الله وأخبرهُ بذلك فلعلهُ يأمرنا بالعدول عنها، فإنا لا نريد أن نتخطى أمره، ولما أخبره بذلك أقبل عليهم وهبط بنفسهِ الى الخندق وأخذ المعول من سلمان وضرب الصخرةَ ضربة صدعتها وخرجَ منها بريقٌ أضاء أجواء المدينة حتى لكأنها مصباحٌ في بيتٍ مظلم على حد تعبير الراوي، وكبر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ثم ضربها ضربة ثانية فتصدعت وخرج منها نفس البريق الأول وفي الضربة الثالثة تكسرت وضهر لها بريق أضاء ما وراء المدينة، فكبر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وأشرقت نفسهُ للنصر المؤمل، وهنا رسخ الله أما أنصار المسلمين القوة الايمانية في النهاية» (الحسني، ٢٠٠٧، الصفحات ٤٨٦ – ٤٨٧) وجاء بالنصر المحقق لرسوله الكريم من خلال الآيات التي أراها الله سبحانه لنبيه الكريم (صلى الله عليهِ وآله وسلم). ثم تلا ذلك إرسال جنود الله الخفية التي كانت متهيئة لخوض غمار المعركة مع المسلمين وهو محور عقائدي في الايمان بجنود الله الخفية، أما الامداد الظاهري تمثل بإرسال الرياح القوية الباردة التي قلبت احوال المشركين وهزت كيانهم واقتلعت عنادهم، فضلاً عن إنها قلبت لهم الامور المادية التي كانت متهيئة لهم لمساعدتهم على خوض المعركة امام المسلمين وكانت هذهِ الرياح ذات أثر واضح امام ابصارهم فقذف الله بها الرعب في قلوب المشركين فهذه الرياح جندها الباري عز وجل وكانت من اسباب تقوية نفوس المؤمنين وبالتالي قوة العقيدة وغرسها .

وهناك صور وتطبيقات أخرى كثيرة كشفت عن نوع الإمدادات التي أرسلها الله تعالى، وهذه الإمدادات بأنواعها وغيرها مما لا يعلمه إلا الله تعالى أضيفت للإمام الحسين (عليه السلام)، ولثورته الخالدة إلى زماننا هذا ولن تتوقف حتى تقوم الساعة، والنصر الإلهي لا يقتصر على هذه الأمور التي ذكرناها فقط، بل هناك أمور غيبية أو ظاهرة تعدت ما ذكرناه، ومنها المطر، وتعتبر الرياح من الإمدادات الظاهرة التي ترى بالعين المجردة، والملائكة وهم جنود الله الخفية التي لا ترى من الإمدادات الخفية ، ولكن يمدها الله تعالى في النفوس المؤمنة، وهي (الوحي الإلهي).

ثانياً: تعريف التجلي:

التجلي في اللغة: جاءت هذه المفردة بمعانٍ متعددة في اللغة منها التجلي هو الانكشاف والوضوح (الحموي، (د.ت)،

صفحة ١/ ١٠٦) ، ويقال أيضاً التجلي هو نقيض الخفي من ناحية ضهوره ووضوحه، وقد يأتي بمعنى الاجلاء أي المغادرة عن الاهل والوطن (الفارابي، ١٩٨٧، صفحة ٦/ ٢٣٠٤)، ومهما اختلفت المعاني اللغوية فهي لا تخرج عن الجوهر المراد من التجلي وعن المعنى الدقيق والمقصد منه التجلي اي الظهور والانكشاف والبيان (القزويني الرازي، ١٩٧٩، صفحة ١/ ٤١٧)، مثل أن نقول تجلت رحمة الله على فلان إي ظهرت عليه علامات قبول الله ورحمته.

تعريف التجلي اصطلاحا: تعددت كلمات العلماء في تعريف التجلي اصطلاحا وننقل نماذج من تعريفاتهم: عرفها العلامة الطبرسي (رحمه الله) بقوله: « هو ظهر أمر ربّه وهو بمعنى الظهور» (الطبرسي، ١٩٥٤، صفحة ٤/ ٣٥٢) .

وعرفه العلامة الطبطبائي (رحمه الله): « تجلي ربك وظهورهُ « (الطباطبائي، صفحة ٨/ ٢٤٢).

وعرفه الفيض الكاشاني: «إن المراد من التجلي هو ظهور عظمته وتصدى له إقتداره» (الكاشاني، صفحة ٢/ ٢٣٢).

وقد وردت هذه الكلمة (التجلي) في القرآن الكريم بآياتٍ متعددة وبأحوالٍ مختلفة سواءً كانت في بيان آيات الله من الليل والنهار، ولبيان رحمته وبيان أسراره الكونية منها:

١. قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ (سورة الشمس: الآية (٣)).: «أي إن السماء كانت خفية فكشف عنها خفائها» (مصطفوي، (د.ت)، صفحة ٢/ ١٢٢).

٢. قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (سورة الليل: الآية (١ –٢)). « فالليل هو الغاش والمانع عن جلاء النهار و إذا انكشف الليل تجلى النهار « (مصطفوي، (د.ت)، الصفحات ٢/ ١٢٢ – ١٢٣) .

٣. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ (سورة الاعراف: الآية (١٤٣)) ، « أي ظهر له على الوجه اللائق بجنابه تعالى بعد جعله مدركاً لذلك ودكوكا متفتتاً « (الألوسي، ١٩٩٥، صفحة ٩ / ٤٦).

٤. قوله تعالى:

وهذه آياتٍ واضحةً في ورود معنى التجلي في القرآن الكريم، أما ما ورد لها من الفاظ في خطابات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو من خطاب وصيه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أو الائمة الاطهار (عليهم السلام) نذكر نماذج منها:

١. قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «نعم العيد الحجامة، تجلوا البصر وتذهب بالداء» (العاملي، (د.ت)، صفحة ١٧/ ١١٣).

٢. قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إذا رأيتم ذلك فأفزعوا الى الصلاة حتى تتجلى» (المقدسي، ١٩٩٥، صفحة ٢/ ٢٨٠)، أي وقت صلاة الكسوف.

٣. قول الإمام علي (عليه السلام) في إحدى خُطبه: «فَصَمْداً صَمْداً حتى ينجلي بكم عمود الحقّ « (البحراني، ١٤٣٠ هـ، صفحة ٢/ ١٧٨)

فإن معناها الانكشاف والوضوح كما ورد في السنة المطهرة.

ثالثاً: المدد الالهي وتجليه في ثورة الامام الحسين (عليه السلام) ويتضمن.

بيان ثورة الامام الحسين (عليه السلام) وما رافقها من إمدادات.

ثورة الإمام الحسين (عليه السلام):

ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ثورة إلهية بحتة لأن الله سبحانه وتعالى كتب لها الخلود، وهذه الثورة بكل أبعادها أعدّ الله تعالى لها الإعداد المُحكم لتستمر الرسالة الاسلامية الخالدة لتصبح الرسالة الإلهية الخاتمة لكل الرسالات وهي المحور العقائدي المهم في الثورة، فهذهِ الرسالة الخاتمة التي أُعطيت بيد الصادق الآمين (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأتمها وأتم كل جوانبها على الرغم من وجود المنافقين والظالمين واليهود اللذين حاولوا إخراج هذهِ الرسالة عن مضمونها وطمسها

والاحداث التي جرت على رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) واختتمت بشهادته (صلى الله عليه وآله وسلم) خيرِ دليلٍ على إن العداء لهذهِ الرسالة السماوية مُستمر، وما نتج بعد شهادته (صلى الله عليه وآله وسلم) من سرقةِ وصاية الرسالة من قائدها لتكون بيد الظالمين والمنافقين، ومع سرقتها من يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إلا إنها بقيت عالية بأنفاسهِ الطاهرة ووجوده، وهذا كله مدد من الله تعالى بنُصرة دينهِ ونصرةَ من يحمله ولا يخاف لومة لائم في حملها وتكللت بشهادة الوصي وهنا ثبتت القواعد العقائدية في استمرار وحي الله (عليه السلام) وهنا ثبتت القواعد العقائدية في استمرار وحي الله ، فحملها السبط المجتبى لتكونِ مُمهدةً لثورةٍ عظيمة بعد أن أعدَ الماكرون لها مؤامراتهم ليطمسوا معالمها الراسخة لتتجلى النهضة على يد سيد الشهداء أبي الاحرار (عليه السلام) الذي أعده الله اعداداً ثورياً وقائداً فذاً لثورتهِ العظيمة المعطاءة بعد ان رأى ان الوضع بدأ يأخذ بالتردي لتولي الطاغية يزيد (لعنه الله) السلطة، وأمر واليه على المدينة الوليد بن عتبة أمراً أتسم بالشدة بقوله له: «أما بعد، فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبيد الله بن الزبير أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا» (البلاذري، ١٩٩٦، صفحة ١/ ١٢٤).

إذن الامام الحسين (عليه السلام) يعلم بأنه هو المطلوب لأنه يعلم دسائس البيت الاموي ويعلم مبتغاهم في قتله ونسف الشريعة الاسلامية لكون البيت الاموي بقيادة معاوية وحاشيته وحكومته هدفهم إنهاء هذه الرسالة الالهية وهو الخط ذاته الذي رسمه الجبت والطاغوت وحزبهم قبلهم لتبقى سلطتهم مستمرة وهدم أركان الدين فهو الطريق الذي رُسم بتأييد ومباركة من الشيطان واعوانهِ (الزنجاني، ٢٠٠٠، صفحة ١٤٦)، لذا كانت المواجهة الحقيقية في هذه الثورة أمر الله سبحانه وتعالى المتمثل بشخص الإمام الحسين وأصحابه (عليهم السلام) وبين السلطة الجائرة التي أخذت امتدادها من السقيفة ورزية الخميس وهم حزب الشيطان (لعنهم الله أجمعين) واشتمل بذلك على توضيح الفكر الديني وتنبيه الناس عليه، ومن كلمات الامام الحسين (عليه السلام)، التي قالها عند قبر جدهِ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مدى تمسكه بهذهِ الرسالة وسعيه في تغير المنكر الذي أصاب وحل بالأمة الاسلامية من أول يوم أسس لهذا المنكر بقوله: «اللهم هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم إني أحب المعروف وأنكر المنكر، وانا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه، إلا اخترت لي ما هو لك رضا ولرسولك رضا» (الخوارزمي، (د.ت)، صفحة ١٨٦)، إذن فإن الامر الالهي حضرَ للإمام الحسين (عليه السلام) بالخروج الى إقامة ما تم اعوجاجه من أمور شملت كل نواحي الحياة في المجتمع وأدى خروجه الى تثبت المحور الديني والعقائدي لهذه الثورة المباركة.

ولعلنا في هذا المبحث الصغير لا نتطرق الى التعريف بالإمام الحسين (عليه السلام) لعدة أسباب أهمها:

١. لا نعتقدُ بأنَ احدٍ من المسلمين لا يعرف الإمام الحسين (عليه السلام) أو يعرف تفاصيل حياتهِ من ناحية ولادتهِ وحياتهِ ونشأتهِ ووفاتهِ الشريفة ولو من ناحية يسيرة، لان الشخص الذي عرفته ملائكة السماء وبكته ونطقت وتجلت لمقتله الجمادات قبل الاحياء أشهر من أن لا يعرفه أحد، فأهل البيت (عليهم السلام) قرآن الله ووحيهِ.

٢. ثورة الامام الحسين (عليه السلام) يتجدد ذكراها في كل سنةٍ وعامٍ إمام انظار العالم بحيث لا تبقى محطة اعلامية لا تعلم بهذه الثورة ، كأن الله سبحانه وتعالى يدير الكون بعينه الكريمة ليرى ويحس الناس في مختلف البقاع هذه الثورة، مما جعلها سبب من أسباب المعرفة الشخصية التي قادت هذهِ الثورة الخالدة، والعالم اليوم يستطيع ان يتناوله أي شخص بيد واحد من خلال الاجهزة الالكترونية وشبكات التواصل العالمية، نضف الى ذلك وان أراد قائل يقول بأنه لا يستطيع ان يمتلك الأدوات التي تساعده في معرفة هذهِ أو معرفة من قاد هذه الثورة أن نقول له إن المؤمنين اللذين يحملون عقيدة وفكر الامام الحسين (عليه السلام) من جهةٍ ثانية موجودين وينقلون مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) في كل مكانٍ وهو ما يعرفه المخالف قبل المؤالف اذن قوة النقل لهذهِ الثورة متحقق وملموس .

٣. الخروج الى إقامة واحياء ثورة الامام الحسين والتي تبلورت في الزيارة الاربعينية المتمثلة بالسير على الاقدام هو خروج

روحي وعقائدي وبهذا الحجم والعدد الهائل ولله الحمد ومن كل بقاع العالم نستدل به الى ان قضية الإمام الحسين (عليه السلام) وثورته الخالدة هو شأن رسالي عالمي ومسألة عقائدية ابعادها روحية ودينية منذ أول يوم خرج به (عليه السلام)، فلا يبقى مع هذا الخروج وبهذا العدد الهائل، مع أدواته العديدة والمختلفة أن يبقى قائل بأنه لا معرفة لديه بإمامهِ أو على أقلّ تقديرٍ انه لم يسمع بهذه الواقعة الأليمة.

٤ . الخروج من النطاق الاكاديمي المتكرر وتناول محاور أخرى ليستوعبها البحث بصورة شاملة.

أنواع الإمدادات لثورة الامام الحسين (عليه السلام):

لثورة الامام الحسين أمدادات إلهية كثيرة سنبرزها في محورين:

المحور الاول: الإمدادات الالهية قبل واقعة الطف وفي الواقعة.

المحور الثاني: مدد إلهي تمثل في استمرار مبادئ الثورة وتطبيقها على أرض الواقع (المطهري، (د.ت)، صفحة ٧٧٦).

المحور الاول: الإمدادات الإلهية قبل واقعة الطف وتتمثل في:

المدد الإلهي في استمرار رسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة المعصومين من بعدهِ.

والكلام حول هذا المحور يتمثل في استمرار المدد الالهي لحفظ شرائعه السمحاء سواءً كانت الشريعة الاسلامية أو غيرها من الشرائع التي سبقتها، ولكن نخص الشريعة الإسلامية كونها الرسالة الخاتمة والخالدة لكل الشرائع الاخرى، لذا نجد إن فلسفة المدرسة الحسينية هي امتداد لهذا الخط الإلهي ، كونها البديل الدائم لمصدر الوحي والالهام النبوي . وتثبيت المحور الفكري العقائدي ، لأننا نعلم إن المدد الإلهي بوجود الأنبياء (عليهم السلام) متمثلاً بنزول التعاليم الدينية على الرسول بالوحي، ومع صدور الامر الالهي المتمثل بأن تكون الرسالة الاسلامية هي الخاتمة لهذهِ الرسالات كان لابد من وجود مصدر آخر يكون طريقاً لإبقاء على جوهر الشرائع الاسلامية الا وهو الخط المتمثل بثورة الامام الإمام الحسين (عليه السلام) وإذا بحثنا عن العلة في ذلك كون المسألة أصبحت تمس بجوهر الانسان ومبادئه وجوهر التعاليم الدينية فلو عرضنا قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في معركة بدر الكبرى بقولهِ: « اللهم ان تهلك هذهِ العصابة لا تعبد في الارض» (الذهبي، ٢٠٠٣، صفحة ٢ / ٨٨)، وكلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) حمله الامام الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف وقال: « إني لم اخرج بطرا ولا أشراً ولا ظالماً ولا مفسداً ولكن خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي « (ابن شهر، ١٩٩١، صفحة ٤/ ٨٩)، إذن المنطلق الالهي والرباني هو المحرك الاساس للمبادئ والاهداف الاصلاحية وهدف اسلامي مؤيد بنصر الله وإعلاءً لكلمة الله العليا، لذا سنتطرق الى الابعاد من الامداد الالهي الذي تجلى في ثورة ابي الاحرار ابي عبد الله (عليه السلام) وان لم نحط بجميع هذهِ الابعاد لكننا سنتناول نماذج منها:

١ . ثورة الإمداد الحسين عليه السلام (هي إمداد لما جاء به الانبياء) .

ثورة الامام الحسين، ليس مجرد ثورة حدثت وخاض غمارها سيد الشهداء مع ثلة من خيرة الاصحاب دارت أحداثها وقضت وانتهت وبقيت مطوية لا يُقلبها أحد مدفونة في كتب التاريخ ، أو من خلال كتب التراجم حين يُترجم لاحدٍ من أصحابها ، بل كانت هذهِ الثورة المنطلق لكل الثورات التي ترفض الظلم وتقف إمام الطغاة، فكانت الثورة منطلق لولادةِ الثوار اللذين اصطفاهم الله ليسيروا على نفس النهج الرسالي للرسل والانبياء الذي رسمه الله تعالى لتبقى الرسالة الاسلامية خالدة على مر العصور، لذا نجد أمثلة متعددة من الثوار قاموا بهذا الدور، ولعل الشخصيات الفذة كثيرة وكثيرة جداً نحتاج الى موسوعات عظيمة لنقل أسمائهم فقط، لذا سنقتصر على ذكر من شهدنا تضحياتهم في حياتنا فمثلاً في حقبة الثمانينات انبرى للوقوف امام الطغاة اللذين هم (يزيد عصرهم) السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) والسيد الشهيد محمد صادق الصدر واولاده (قدست أسرارهم)، والكثير من الشهداء اللذين وقفوا كموقف الامام الحسين (عليه السلام) وحملوا مبادئه وطبقوها على أرض الواقع ليبقى نهج الله هو المنهج القويم ولا بد أن نذكر السيد

الشهيد (حسن نصر الله) وهو الشهيد الحاضر بيننا في هذهِ المرحلة الذي جسد هذهِ المبادئ حتى إن بشهادته جعلها الله تعالى طريقاً في كشف زيف المنافقين اللذين لا يريدون لمنهج الله تعالى بالاستمرار وهم اليهود، وأتباع بني أمية في هذا العصر، والمنافقين اللذين يدعّون الاسلام، والعديد من اللذين قدموا التضحيات في سبيل الاسلام وتثبيت المبدأ الديني والعقائدي للأجيال القادمة واللذين ذكرهم السيد علي الخامنئي (حفظه الله) الذي نعى في كثير من خُطبهِ شهداء المقاومة ومنها كلامهُ: (السلام على شهداء المقاومة وعلى رعيل المجاهدين الذين ضحوا بحياتهم على هذا الطريق، وأخص بالذكر الشهيد أحمد ياسين، والشهيد عباس الموسوي والشهيد فتحي الشقاقي، والشهيد عماد مغنية، والشهيد عبد العزيز الرنتيسي، والشهيد أبا مهدي المهندس، ثم القامة الرفيعة بشهداء المقاومة الشهيد قاسم سليماني..... فكل واحدٍ نموذجا خالصاً لحياتهم المعطاءة المباركة وتركوا بشهادتهم آثاراً مهمة في صرح المقاومة» فأبن (السيد الخامنئي) وأيضا السيد علي الحسيني السيستاني (أدام الله ظله الوارف) في نعيهِ وكلامهِ حول الشهداء في أكثر من مناسبة، وبمختلف طرق الشهادة ومنها نعيه للسيد حسن نصر الله، وشهداء الارهاب، وشهداء شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في كثير من المناسبات، فهم مثلوا طريق شهادة الامام الحسين (عليه السلام)، وينبغي الى أن نشير الى ان ثورة الامام الحسين (عليه السلام) كتب الله لها الاستمرار من خلال ما هيء الله لها من عوامل أهما:

١. النسب الشريف والمقدس لإمام الحسين (عليه السلام)، وهذا النسب كان العامل الاساس الذي جعل الناس تتمسك بالإمام الحسين (عليه السلام) لحبهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «حسين مني وأنا من حسين» (الترمذي، ١٩٧٥، صفحة ٥/ ٦٥٨) (المفيد، (د.ت)، صفحة ٢/ ١٢٧)، فهذا الامداد الالهي أعطى للإمام الحسين (عليه السلام) ولثورته الديمومة الخالدة.

٢. امد الله سبحانهُ وتعالى الامام الحسين (عليه السلام) بأخٍ ليس له مثيل في الدنيا (العباس بن علي بن أبي طالب) (عليه السلام)، فهو لوحدهِ جيشٍ وكتيبة، وما نقلته لنا المصادر من شجاعتهِ وبسالته وأخوتهِ للإمام الحسين وللسيدة الطاهرة الجليلة (زينب) (عليها السلام)، ليس في واقعة الطف فقط بل منذ أول يوم من ولادته المباركة فهو تجسيد بالكامل لمعنى الاخوة الحقيقية فهو عاشق وعشقه لأخوته الهي الصدور منبعه الايمان المطلق بمعشوقهِ، فبمجرد ما أن نطلق اسم العباس (عليه السلام) ينصرف الذهن مباشرة الى (الحسين. وزينب) (عليهما السلام) فياله من مدد الهي . للتأسيس الديني والعقائدي أعده الله سبحانه بتدبيرهِ وحكمتهِ في البيت العلوي الطاهر ويكفي أن نذكر بعض أقول الإمام الحسين في حقه (عليه السلام) منها وهي اروع ما ذكر: (يا عباس أركب بنفسي أنت يا أخي) (*). ومقولة ثانية قالها الامام الحسين (عليه السلام) عند شهادة الامام العباس عليه السلام: (الان أنكسر ضهري وقلت حيلتي وشمت عدوي)، وهو حامل لواء الامام يوم الطف.

أما عن شجاعته وبسالته فلا مثيل لها لأنها شجاعة ربانية ، أخذ امتدادها من أبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام)ومن جهة أخوالهِ فهم بني عامر، حتى يقال في حقهِ (عليه السلام)ظهرت عليه الشجاعتان الهاشمية والعامرية ، فأسم العباس (عليه السلام) كافٍ في إثبات شجاعته فأصبح في الشجاعة والفداء والاخوة عنوان لا يضاهيه فيهِ أحد.

٣. تهيئة أشخاص حاملين القوة الايمانية الكاملة (المجاهدين) لحمل هذه المبادئ وتطبيقها على ارض الواقع.

٤. التأييد الروحي والمعنوي: بالرغم من قلة العدد وكثرة الأعداء، كان الإمام الحسين وأصحابه يتمتعون بثبات عجيب وإيمان راسخ. لم يتسلل إليهم الخوف أو التراجع، بل واجهوا المصاعب بشجاعة قلّ نظيرها.

٥. الكرامات والتدخل الغيبي: هناك روايات تتحدث عن مظاهر غيبية، مثل رؤية الملائكة وهم يستأذنون الله لنصرة

الحسين، أو بكاء السماء والأرض بعد الواقعة.

٦. سريان حب الامام الحسين في قلوب المؤمنين ، ونود بالذكر (الناس البسطاء) اللذين تكون قلوبهم على الفطرة الاسلامية الخالدة التي وضحها لنا نبينا الكريم هذهِ القلوب بقوله: «إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدا» (النوري، ١٩٨٧، صفحة ١٠/ ٣١٨). وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) امتداداً لقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ (سورة طه: الآية (٣٩))، فهذا السريان والحب الالهي تجلى في قلوب المؤمنين حتى أصبح نقطة الافتراق بين الحق والباطل، وهذه القلوب جعلها الله خالدة في كل زمان ومكان وفي تزايد واستمرار، لترسيخ القواعد الالهية.

٧. الدور الاعلامي الفذ الذي حملتهُ السيدة الطاهرة الجليلة زينب (عليها السلام)، حتى أصبحت كلماتها مدوية وقارعة في أذهان الظالمين، ردتهم على أعقابهم ببسالتها وشجاعتها فهي مثلت علي بن أبي طالب (عليه السلام) في وقوفها أمامهم، ففي كلماتها المثال الحي في استمرار للمدد الالهي لهذهِ الرسالة السماوية ولهذهِ الثورة الخالدة بقولها « فكد كيدك واسعى سعيك وناصب جهدك فو الله لن تمحوا ذكرنا ولن تميت وحينا « (ابن طاووس، ١٩٩٧، الصفحات ١٩٢– ١٩٣) وبهذهِ الكلمات حققت السيدة زينب (عليها السلام) رؤيتها من خلال نتائج الثورة وهي:

[١] انتصار الامام الحسين (عليه السلام) في هذهِ الثورة وانتصار مبادئها وهي اسقاط حكم الظالمين وإبقاء تعاليم الله الإلهية وحفظ شريعته السمحاء واعلاء كلمة الحق على مدى العصور (المطهري، (د.ت)، الصفحات ٧٠٦ – ٧٠٨) .

[٢] نسف الظلم والجور عن اهل البيت (عليهم السلام) وخاصة في كل مرحلة تعرضوا لها منذ اليوم الاول من ارسال الرسالة الالهية يكشف الله لنبيه كل المؤامرات التي ستحل عليه وعلى آل بيته الطاهرين، وعلى الائمة المعصومين وعلى المؤمنين بعده، فتتجلى الرحمة الالهية بأبعاد كل من يريد المساس بهذا الخط الإلهي ومحاربته وكشف زيفه.

٨. دور الامام السجاد (عليه السلام) من التمسك بالطريق العلمي ونقل تعاليم الرسالة الاسلامية وعلوم البيت النبوي لأنه رأى فيه الطريق الامثل في المحافظة على التعاليم الدينية التي أمر الله بتبليغها فأداها على أحسن الوجوه.

٩. الثورة الحسينية هي النقطة الفاصلة بين الحق والباطل، لهذا كانت هي نفسها النقطة الفاصلة في كل الثورات والمواجهات التي تطرأ على المجتمع الاسلامي أي منها يستمد المدد والقوة والصلابة في أي مواجهة.

المحور الثاني: مدد إلهي ظاهري تمثل في استمرار مبادئ الثورة وتطبيقها على أرض الواقع ومن التطبيقات أي بعد الواقعة:

أ. النهوض العلمي والمعرفي: إن أول تطبيق عملي بعد ثورة ابي الشهداء (عليه السلام)، هو ما قام به الامام السجاد (عليه السلام)، هو النهوض بالعلم النبوي ونقله واتخذه المسلك الاساسي للإبقاء على الرسالة المحمدية واشتماله على الفكر الفلسفي والديني وتقويته، لأنه شاهد ما جرى على أبيه الحسين (عليه السلام) ورأى الفاجعة التي هي أقوى فاجعة على وجه الارض تمثلت في الطريقة التي أستشهد بها الامام الحسين (عليه السلام) وصحبه الكرام (عليهم السلام)، مع علم فريق الطغاة إنه الامام الحسين (عليه السلام) وإن اللذين معه أهل بيتهِ الاطهار وصحابته الافذاذ ! حتى إن شيخ القُراء والخطابة في الكوفة خاطب جيش بني أمية (لعنهم الله) بقولهِ: (يا قوم، إن ثقل محمد (صلى الله عليه واله) قد أصبح بين أظهركم، وهؤلاء ذريته وعترته وبناته « (الخوارزمي، (د.ت)، صفحة ٢/ ١٩٥) .

إذن في هذا المحور نجد تأسيساً لأكبر مدرسة علمية وتشريعية على أرض الواقع هي امتدادا للرسالة الالهية التي كانت بداياتها مع بداية نزول التشريع وبقيادة المؤسس والمعلم الاول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه المدرسة بابها وصيهُ الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مصداقاً لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أنا مدينة العلم وعلي بابها».، فهنا تحدد المدد الالهي بإمداد رسالته والحفاظ عليها بأيدٍ حافظت على الدين الاسلامي وأرست مبادئه الثابتة وأبعاده العقائدية

والفكرية والدينية، وبعد الامام السجاد (عليه السلام) أكمل التأسيس الامام محمد الباقر (عليه السلام) وهو التأسيس الأشمل والأعم فأسس أول جامعة إسلامية برزت كثقل علمي لا يمكن أن ينكره أحد ، لان الله فتق العلوم على يديه لحفظ تعاليم الرسالة الالهية الخالدة، ولتكون المنبع الاول للمدارس الاسلامية الاخرى، وبعد الامام الباقر (عليه السلام) أكمل المسير الامام الصادق (عليه السلام) فكان الرائد الأول لا يضال علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بلغ عدد طلابهِ أكثر من أربعة الالف طالب كلهم يقول حدثني جعفر ابن محمد (القزويني، ٢٠١٣)، وأكمل المسيرة العلمية والجهادية لائمة الاطهار (عليهم السلام) ولعلنا ذكرنا بداية التأسيس للمدرسة الالهية وامتدادها لان هذه المدرسة أنجبت خيرة العلماء الذين هيئهم الله تعالى وأمدهم بالأيمان والعلم فكانوا بحق الشعلة المنيرة لكافة ابناء المجتمع في عصر ولكُلٍ منهم له الفضلُ الاكبر في الحفاظ على النهج النبوي والحفاظ على تعاليم الدين الاسلامي ونقل العلوم المختلفة ، فهم يواجهون في كل عصر طاغية ظالم يحارب ويحاول طمس تعاليم الله الالهية ولكن لله القول الفصل بقوله تعالى: (والله متم نوره ولو كره الكافرون)، فأعطى هذا الخط الإلهي طريقاً خالصا للشهداء مبدأهُ الاصلاح وإقامة الدين وهو المبدأ نفسه لثورةِ سيد الشهداء (عليه السلام). وتمثلت هذهِ المدرسة الالهية بالحوزات العلمية في بقعتين مباركتين وهما الحوزة العلمية في النجف الاشرف (العراق)، والحوزة العلمية في قم المقدسة (الجمهورية الاسلامية الايرانية)، ومنهما تتفرع المدارس التي تطبق التعاليم الالهية الحقة القائمة على قول المولى عز وجل والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة المعصومين، ولو أردنا أن نتطلع الى سيرة العلماء اللذين قادوا هاتين الحوزتين لقصرنا كل التقصير من ذكر فضائلهم لانهم سلكوا المسلك الجهادي الأكبر المتمثل ببذل النفس والجهاد في سبيل الله وكانوا مصداقاً لقولهِ تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (سورة الاحزاب، الآية) (٢٣)، اذن حققت ثورة الامام الحسين (عليه السلام) قضيتين في هذا المحور وهما:

١ . استمرار تعاليم دينه الحنيف من خلال رسمهم الطريق م العلمي والمعرفي للمسلم .

٢ . استمرار الخط الجهادي ودعمه وهو الدعامة الاساسية للحفاظ على التعاليم الدينية والابقاء عليها ممن يحاول حرف المسلك الالهي.

ب. التطبيق الثاني: استمرار محاربة الظلم والظالمين في كل زمان ومكان:

ولهذا التطبيق مساران المسار الاول (الطريق الجهادي) والمتمثل ببذل النفس تجاه كل من يحاول محاربة شريعة الله الخالدة ودينه الحنيف:

تمثل هذا التطبيق بقول الامام الحسين (عليه السلام) لإصحابه: «الا ومن كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله» وكان الامام الحسين بخروجه على الظلم والطغاة مؤيداً بنصر الله لقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (سورة الانفال، الآية: (١٧)) فجسد الامام الحسين بهذهِ الكلمات النورانية كل قيم رفض الظلم وإعداد العدة الحقة لمواجهة هذا الظلم، لذا فالبعد الإيماني الراسخ بالله سبحانه وتعالى والايمان بالحق والعدالة وهو الطريق المستقيم، والبعد الجهادي والمتمثل بالدرع الحافظ لهذا الايمان وهذا الطريق المستقيم نتائج هذين البعدين هو طريق الشهادة الحتمية، لان عكس هذين البعدين فيكون طريق الاستسلام والرضا بالجور والظلم وهو الذي يؤدي الى ضعف الايمان بالتالي تكون الشريعة مهددة بالخطر في أي لحظة أذن الجهاد هو محور الخير والصلاح للأمة، فنجد لفظتي الايمان والجهاد مترابطة مع بعضها دوما منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ (سورة البقرة ، الآية (٢١٨))، وقوله تعالى ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

بالْآخِرَةِ﴾ (سورة النساء، الآية (٧٤))، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة المائدة ، الآية (٣٥))، لذا نجد أن طريق الجهاد والشهادة مزروع في قلوب جميع المؤمنين اللذين قرروا السير على نهج المدرسة الحسينية، ومن تطبيقاتها أنواع كثيرة في الواقع لاسيما الثورات التي قامت ضد الظلم والكفر على مدار العصور وما شهدناهُ في حقبة الثمانينيات من هذا العصر الا مثالا فذا للقيام ضد الظلم تمثل في الانتفاضة الشعبانية المباركة التي قادها أبناء علي (عليه السلام) ضد الطاغية المقبور وأتباعه من البعث البائد واعمالهم الشيطانية تجاه (شيعة أمير المؤمنين) لانهم استمداد للطريق الاموي الحاقد، وفي عصرنا الحاضر الذي تمثل في الفتوى الجهادية التي أطلقها السيد السيستاني (حفظه الله)، فبمجرد انطلاقها المبارك أخذ المؤمنون من كل أرجاء بلدنا ينضمون الى هذه الفتوى الجهادية ضد المارقين على الدين الاسلامي فتحقق مدد الله تعالى في تقوية أنفسهم وبذل مهجهم للدفاع عن الدين المقدس وولد قادة وأبطال في هذه الحادثة فكان الانتصار الأثر الحقيقي والواقعي لهذه الفتوى العظيمة التي حفظ الله بها دينه والانسانية وقيمها الدينية والاجتماعية، وتحققت فيها الكثير من المصاديق للآيات القرآنية منها لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (سورة الصافات، الآيات (١٧١ – ١٧٢ – ١٧٣))، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (سورة المائدة ، الآية (٥٦))، ففي هذهِ الآيات الكريمة وغيرها نجد الثبات في العقيدة لدى نمن سار على النهج الحسيني، وهذا ضمانٌ إلهي بهذا النصر على الباطل والظلم والجور، فبهذه الفتوى أعادت ما جرى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حروبه ضد المشركين والمنافقين واليهود، وأعادت صور معارك الامام علي بن أبي طالب(عليه السلام) في حروبه، وكأنها الصورة الحقيقة لنرى بأعيننا مقدار الاذى الذي تعرض له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت الكرام من ظلم وعدوان؛ فكانت ثورة الامام الحسين هي المنطلق لكل الناس لرد الظلم ومحاربة أهله.

ج. التطبيق الثالث: تقوية المعرفة الاجتماعية عند الناس و الحفاظ على العبادات والتكاليف الشرعية وتقوية المبادي الاخلاقية التي جاءت في ثورة الامام الحسين (عليه السلام) لأجلها من خلال:

١. الجانب العبادي:

فالثورة الحسينية لم تكن معركة خاضت غمارها وانقضت وانما حملت في طياتها تطبيقاً للعبادات تطبيقاً صلباً ففي شدة الامر لم يترك الامام الحسين (عليه السلام) عبادته، فمنذ خروجه من مكة وهو في الحج طبق المسلك العبادي الأول وهو أن لا يُسفك الدم في بيت الله الحرام وهو من اعظم الامور التي قام بها الامام الحسين فمنع أراقة دمه الشريف عند بيت الله الحرام وعلمه المسبق بآن دمه الطاهر سيريقه أعداء الدين. لهذا جاء الوعد الالهي للإمام (عليه السلام) بحفظ دمه نتيجة لحفاظه على بيت الله الحرام، بأن جعل مرقده الطاهر قبلة للأحرار وتجلى هذا الامر بقوله (عليه السلام): « لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد « (المجلسي، (د.ت)، صفحة ٧/ ٤٥) وهنا الفيض الالهي تحقق بأن جعله قبلة للأحرار في كل العالم الاسلامي وعدم الخضوع لأي سلطة جائرة على مر العصور تريد هتك الدين وحرمته، وحرصه على استمرار الطريق الجهادي، وحرصهِ على إقامة الصلاة وأداء العبادة في وقتها، حتى وهو في أشد أوقاته في واقعة الطف وقد شهد له الكثير من الطرف الآخر بهذه الالتزام منها ما نقله ابن الاثير في كتابه: « وكان الحسين رضى الله عنه فاضلاً كثير الصوم والصلاة، والحج والصدقة، وأفعال الخير جميعها « (الأثير، ١٩٨٩، الصفحات ٢/ ٢٣ – ٢٤) وكيف يكون الامام الحسين على عكس ذلك وهو امتداد لشجرة النبوة الطاهرة فهنا طبق الامام (عليه السلام) الجانب العبادي وبصورة عملية وهنالك أحداثٍ كثيرة طبق بها الامام الحسين(عليه السلام). الجوانب العبادية بصورتها العملية

منذ صغر سنه الشريف (القرشي، ١٩٧٤، صفحة ٦٢)، وكان مرجعا للمسائل الدينية الكثيرة واليه رجع كبار الصحابة في عصره في مسائل الدين، والف السيد أبو بشير محمد بن علي الدولابي (ت ٣٢٠هـ)، مسندا له ذكر فيه رواياته وما أثر عنه من أحكام الشريعة وآداب الدين وأدرجه في غضون كتابه (الذرية الطاهرة) (القرشي، ١٩٧٤، صفحة ٦٢).

٢. الحفاظ على الجانب الاجتماعي وتقوية المسلمين ووحدة الصف:

وهو من الامور المهمة والضرورية عند الامام الحسين (عليه السلام)، لان القرآن الكريم أسس لهذه المبادي كما قولهِ تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (سورة آل عمران، الآية (١٠٣))، والاعتصام بدين الله المتمثل بكلام الله المقدس (القرآن الكريم) والعترة الطاهرة وكلاهما يقوي المجتمع الاسلامي ويمنع التفرق وينبذ التشتت والضياع، وهو مبدأ وهدف الهي ونبوي جعله الائمة المعصومين ليس فقط في مناسبة ذكرى ثورة الامام الحسين (عليه السلام)، انما تطبق في كل يوم ، وهو مما يفرح ويعجل بضهور إمامنا المنتظر (عجل الله تعالى له الفرج) ومن العوامل الاساسية التي تنهض بهذا العامل الاساسي ما يلي:

١. اتخاذ قاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

قاعدة اساسية في قيام مبدأ الاخوة بين المجتمع، اي إقامة التدقيق ومراقبة تصرفاتنا في حياتنا اليومية وتنفيذ الواجب تجاه هذه القاعدة وأساسيات هذهِ القاعدة، التبليغ بكل تعاليم الدين الاسلامي التشريعية والتكليفية والاخلاقية (المطهري، (د.ت)، الصفحات ٣٦٣ – ٣٦٤) التي اسس اساسها الاول نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فالمبادئ موجودة ولكن يراد لها التطبيق على ارض الواقع، احياء مبادئ الامام الحسين (عليه السلام)ونقل الشعائر الحسينية الاصلية بكل ثقافة وموضوعية بصورتها الايمانية العميقة ونقل فلسفتها الاجتماعية التي اراد الامام الحسين (عليه السلام) ايصالها لنا وأوصلها لنا علماءنا الافذاذ فالواجب تطبيقها بصورتها الاصيلة وتتمثل بهذه الصورة إضافةً الى التبليغ، صورة المسير الى ضريح الامام القائد الحسين (عليه السلام)، فيكون السير الإيماني هو الصفة الشاملة على هذا المسير، وايضا التآخي الإيماني بين ابناء المجتمع في اقامة المواكب الحسينية وما تقدمه من خدمات كثيرة على طول طريق المسار الحسيني فهو مسار الهي، فأول من أقام العزاء على الامام الحسين (عليه السلام) الملك جبرائيل (عليه السلام) وهو امر الهي بامتياز ويأتي المؤمنون بالسير اليهِ من أقصى بقاع الارض الى ضريح سيد الشهداء فهو الطريق الذي يمد الانسان المؤمن بالطاقة الايمانية فينبغي لهذا المسار الالهي أن يدير بالتعاليم الدينية بكل جدية وايمان ، ونقل الشعائر الحسينية ومبادئها من خلال الخُطب الدينية والواقعة التي نقلت أحداث واقعة الطف، ولمراثي التي نقلت اخلاق أهل البيت (عليهم السلام) والقصائد التي تحاكي ظلامة اهل البيت (عليه السلام)، نقلاً موضوعيا دينياً وفكرياً إيمانا له هدفهُ الاسمى في ارجاع هذه المبادئ والتمسك بها والابقاء على النهج العقائدي، وكل هذه الامور سهلة في التطبيق ويمكن لأي شخص حسيني أن تتمثل به هذه المبادئ والصفات إن كان قلبه حسينياً صادقاً ويكون ولاءه الأول والأخير لله سبحانه ولرسوله الكريم وللأهل البيت الكرام (عليهم السلام) ، فبهذا التطبيق تعكس مرآة المجتمع وتكون نافذه للعالم اجمع التي تراقب تفاصيل هذا الاحياء الشعائري السنوي، فهنا يتحقق المدد الالهي استمرار المبادي الحسينية الاصيلة واستمرارها بمختلف العصور وبكل مكان، نضف الى ذلك، الله سبحانهُ وتعالى جعل لأهل البيت (عليهم السلام) وأبنائهم ومحبيهم أضرحة ومقامات شاخصة ومعروفة يأتي اليها الناس من كل بقعة من أرضه قاصدين لهم ومحبتهم بهم وحبهم لنبيهم الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه الاضرحة والمقامات هي مهبط لملائكة الله ورحمته إذنَ الله تعالى ان يستمر فيها ذكرهُ ومصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾، فتكثر في

حضرتهم الصلاة والدعاء والابتهال الى الله تعالى ويذكر فيها أسمه وتصفوا النفوس عندهم وترفع الذنوب ويقبلُ العملُ فأصبحَ مكانهم مكان ممدود بالرحمة الالهية، وحتى الهواء الذي يستنشقه المؤمن وفيه محبة أهل البيت فيه من الرحمة الالهية التي لا توصف وهي نفسها المودة التي أمر الله تعالى في محكم كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (سورة الشورى، الآية (٢٣)).

٣. السير على مبدأ ان الثورة الحسينية خالدة.

ضمت الثورة الحسينية جميع الابعاد الدينية والفلسفية والروحية ،لان سبب النهوض الحسيني لم يكن لأجل الدين فقط، قد يكون المحرك الرئيس والاساس والجواهر هو إحياء أمر الدين وإقامة تعاليمه، وهنالك أبعادٌ اخرى كثيرة ضمت كل مفاصل الحياة لان السلطة الاموية الجائرة ومن سبقها من حكام جائرين غيروا كل ما طبقه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته وراحوا يحكمون وفق مطلق سياستهم وأطماعهم ، وقد وضح ذلك سيد الشهداء (عليه السلام) في خطبته الثورية صور الظلم والعدوان الذي شمل كل النواحي وقال: «يا أيها الناس من رأى سلطاناً جائراً....» فالجور هو السلطة التي ليس فيها مراعاة العدل والمساواة والحكم بصورة مستبدة ومبدأ العدالة والحق هو المحور الاساسي للشريعة الاسلامية، فشملت الثورة كل الابعاد السياسية و والاقتصادية والاجتماعية (الفرحي، ١٩٩٢، الصفحات ٣٩٨ – ٣٩٩)، لان حال المجتمع كحال جسد شخص أصيب بمرض خبيث (والعياذ بالله) فأراد الامام الحسين برفع هذا المرض واجتثاثه منه ليعود المجتمع على النهج الذي اراده الله برسالته الخالدة فالنهوض جاء نتيجة واقع أصبح السكوت عنه هو غاية الضعف والنفاق، وهيهات أن لا يخرج أبا عبد الله على طاغية عصره وهو أبن سيد الانبياء والمرسلين، لذا فالثورة خالدة، لان السلطة الحاكمة التي لا تقوم على مبدأ الخط الالهي والنبوي المتمثل بأهل البيت (عليهم السلام) هي سلطة دنيوية جائرة حتما وهو ما شهدته المجتمعات على مدى العصور بعد واقعة الطف الخالدة وهو مدد الهي رباني قائم على محاربة الجائرين والظالمين على ايدي المجاهدين السائرين على نهج سيد الشهداء (عليه السلام). وهنالك أبعاد غيبية في المسألة وتتمثل في استمرار عطايا وفيوضات أهل البيت (عليهم السلام) في إمداد السائرين على الحق وبشتى المسالك بمدد روحاني إيماني وكأنهم (عليهم السلام) واقعاً مستمرين في إحياء أمر الدين وتعاليمه، لذا نجد في قراءة زيارة سيد الشهداء (عليه السلام) والدعاء عنده بالقول: «يا أبا عبد الله أشهد إنك تشهد مقامي وتسمع كلامي، وإنك حي عند ربك ترزق، فأسأل ربك وربي في قضاء حوائجي» (النوري، ١٩٨٧، صفحة ١ / ٣١٨) ، وهو مدد غيبي إلهي في إن أهل البيت يحضرون لإمداد المجتمع والمؤمنين بكل نوع الإمدادات وهي فيوضات الهية أضافها الباري عز وجل للنبي (صلى الله عليه وآله) ولأهل بيته الكرام (عليهم السلام) وما حدث على أرض الواقع يؤكد هذه الامدادات فهم حبل الله الممدود من السماء الى الارض، فهم محطة الله ورحمته في الدنيا لكل المسلمين ، وليس هذا من الناحية السياسية أو الجهادية لإقامة العدل ورد الجور، وانما هنالك إمدادات غيبية كثيرة لأهل البيت (عليه السلام) من شتى النواحي سواء كانت على صعيد المستوى الاجتماعي أو الفردي، فجعلهم الله بابه الذي يأتي العبد منه في طلب حوائجه وبمختلف الأمور سواء كانت مادية أو معنوية وكراماتهم في تزايد وفضلهم أصبح يدرك ويلمس والحمد لله على فضله.

فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته أجمعين وكل من كان من نسلهم (عليهم السلام) هم محطة الرحمة الإلهية ويبقى مددهم إن شاء الله تعالى الى قيام الساعة، وبهم يتحقق مصداق قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فأنضروا كيف تخلفوني فيهما»(*) (البغوي، (د.ت)، صفحة ٥٠) (الترمذي،

١٩٧٥، صفحة ٥/ ٦٦٢) ، فلا يتوقع أن يفترق القرآن عن العترة الطاهرة ولا يمكن ذلك لان أحدهما مكمل للآخر ولا يمكن أن يقوم أساس في الحياة الا بهما، فهما النور للكون بأجمعه.

٤ . القضية الحسينية المحور في تبلور الشخصية الحسينية:

مما تقدم من مقدمات ومحاور على اختلاف المسميات فإن ثورة سيد الشهداء، ثورة إنسانية بالدرجة الاساس وهي المحور الأساس التي خلد الله بها هذه الثورة لأن إنسانية الامام الحسين غطت على هذهِ الثورة، فنجدهُ عليه السلام جسد الإنسانية بكل معانيها منذ صغره، ولا بد أن نذكر إن الامام الحسين (عليه السلام) حاملاً لصفات كثيرة حملها كما قلنا عن جدهِ المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) الا إنه تميز بصفة الانسانية والتواضع ونقلت لنا الكتب التي روت لنا سيرة أهل البيت الكرام العديد من الروايات على فذهِ الصفات ومن هذهِ الروايات: إن الامام الحسين عليه السلام كان يخالط الفقراء ويجالسهم ويفيض عليهم ببرهِ وإحسانهِ، حتى لا يتبيغ بالفقير فقره، ولا يبطر الغني ثراءهُ نضف الى ذلك صفة الرأفة والعطف التي كانت هي الاخرى لا تفارق سيد الشهداء (عليه السلام)، ومن الروايات التي نقلت عن هذه الصفة المباركة: «عطفه ورأفتهِ بالناس أنه لما استقبله الحر بجيشهِ البالغ ألف فارس، وكان قد أرسل لمناجزتهِ وقتالهِ ، فرآهُ الامام وقد أشرف على الهلاك من شدة العطش فلم تدعهُ أريحيتهُ ولا سمو ذاتهِ أن لا يقوم بإنقاذهم، فأمر (عليه السلام) غلمانه وأهل بيتهِ أن يسقوا القوم عن آخرهم ويسقوا خيولهم فسقوهم عن آخرهم وكان فيهم علي بن الطعان المحاربي الذي أشتد به العطش فلم يدر كيف يشرب، فقام الامام (عليه السلام) بنفسهِ فسقاهُ ، وكانت هذه البادرة من أروع ما سجل من في قاموس الانسانية من الشرف والنبل (القرشي، ١٩٧٤، صفحة ١٢٧)وهنالك العديد من الاحداث التي نقلت إلينا إنسانية سيد الشهداء ولم تقتصر هذه الصفة التي حملها الامام الحسين (عليه السلام) عليه فقط وإنما هي امتداد الهي أودعه الله سبحانه وتعالى في نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأستمر هذا الامتداد الى أهل بيتهِ الطيبين الطاهرين فهم مثلوا الانسانية بكل جوانبها حتى إنهم آثروا بأخلاقهم على أنفسهم ونقلت لنا العديد من الكتب الروايات المباركة التي دلت على قمة الانسانية عندهم وكيف بلغوا بإنسانيتهم هذا المبلغ الكبير الذي هو منهج بحد ذاته الى كل إنسان وليس لشخص أو طائفة معينة

وهذا المثال وغيره من الامثلة كفيلة أن تبين إن قضية الحسين (عليه السلام) قضية إنسانية أعمدتها الاخلاق وهذهِ الاخلاق هي الامدادات الربانية من الله سبحانه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم) مصداقاً لقولهِ تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم، الآية (٤))، فمن هذه الاخلاق ومن هذه الآداب والمنطلقات ضحى الامام القائد الحسين (عليه السلام) وسقى بدمه الطاهر الارض لتصبح كل ما يطلق عليها تسمية الارض له فيها شجر وتثمر مبادئه وقيمهِ الدينية والاخلاقية وهذه الاشجار هم العلماء والمجاهدين والصادقين وكل إنسان سار على مبدأهِ، وهو أمرٌ بإحياء الدين أصولاً وفروعاً، ونجد تطبيق هذا عندما نقرأ زيارتهِ: « أشهد إنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وجاهدت في الله حق جهادهِ « ، وبهذه الثورة العظيمة أعاد للإسلام وأرجع اليه روحه العظيمة وأبقى على الاسس العقائدية والدينة والانسانية التي غرسها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبذلك تحقق المدد الالهي الرباني بأعلاءِ كلمته وبقيت كلمة الله هي العليا وثورة الحسين خالدة بكلمات الله التامات وتحقق قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ (سورة الفتح) فثورة الإمام الحسين جاءت بالفتح الإلهي المحقق التي سيكمل مسارها إن شاء الله تعالى الإمام الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

المصادر:

القرآن الكريم.

١. الفيومي الحموي، أحمد بن علي. (د.ت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. نشر المكتبة العلمية.

٢. ابن منظور الأنصاري، لسان. (د.ت). لسان العرب. مجموعة من المحققين (تحقيق). نشر دار المعارف.

٣. المطهري، مرتضى. (د.ت). الإمداد الغيبي في حياتنا (ترجمة محمد علي آذرشب). شبكة الفكر.

٤. الصدوق، الشيخ. (٢٠٠٩). علل الشرائع (ط. ٢). نشر دار المعرفة.

٥. المجلسي، محمد باقر. (د.ت). بحار الأنوار. مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية.

٦. الطبرسي، أبو الفضل بن الحسن. (١٩٥٤). تفسير مجمع البيان (ط. ١). مطبعة العرفان.

٧. الحنفي، أبو الفداء. (د.ت). روح البيان في تفسير القرآن. نشر دار الفكر.

٨. الحسني، هاشم معروف. (٢٠٠٧). سيرة المصطفى (نظرة جديدة) (ط. ١). دار التعارف.

٩. الجوهري الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد. (١٩٨٧). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار). دار العلم للملايين.

١٠. القزويني الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا. (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة (تحقيق عبد السلام محمد هارون). دار الفكر.

١١. مصطفوي، حسن. (د.ت). التحقيق في كلمات القرآن الكريم (ط. ١). وزارة الإرشاد الإسلامي.

١٢. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (١٩٩٥). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (ط. ١). دار الكتب العلمية.

١٣. الحر العاملي، محمد بن الحسن. (د.ت). وسائل الشيعة. مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث.

١٤. البحراني، كمال الدين. (١٤٣٠ هـ). شرح نهج البلاغة. مؤسسة الحبيب.

١٥. المقدسي، ابن قدامة. (١٩٩٥). الشرح الكبير (تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، عبد الفتاح محمد الحلو). دار هجر.

١٦. البلاذري، أحمد بن يحيى. (١٩٩٦). أنساب الأشراف (ط. ١). دار الفكر.

١٧. النجفي، محمد باقر. (٢٠٠٠). سليم بن قيس الهلالي أسرار آل محمد (ط. ١). مطبعة الهادي.

١٨. الخوارزمي، علي. (د.ت). مقتل الإمام الحسين (تحقيق محمد السماوي). مكتبة المقبل.

١٩. المطهري، مرتضى. (د.ت). الملحمة الحسينية. دار المرتضى.

٢٠. الذهبي، شمس الدين. (٢٠٠٣). تاريخ الإسلام (تحقيق بشار عواد معروف). دار الغرب الإسلامي.

٢١. ابن شهر آشوب، م. (١٩٩١). مناقب آل أبي طالب (ط. ٢). دار الأضواء.

٢٢. الترمذي، محمد بن عيسى. (١٩٧٥). سنن الترمذي (تحقيق أحمد محمد شاكر). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٢٣. المفيد، الشيخ. (د.ت). الارشاد. مؤسسة آل البيت للنشر.

٢٤. النوري، الشيخ حسين. (١٩٨٧). مستدرك الوسائل. مؤسسة آل البيت عليهم.

٢٥. ابن طاووس، السيد. (١٩٩٧). اللهوف في قتلى الطفوف (ط. ١). أنوار الهدى.

٢٦. القزويني، آية الله العلامة محمد كاظم. (٢٠١٣). موسوعة الإمام الصادق (عليه السلام) (ط. ١). مؤسسة الرافد للمطبوعات.

٢٧. ابن الأثير، علي. (١٩٨٩). أسد الغابة في معرفة الصحابة (ط. ١). دار الفكر.

٢٨. الفرحي، السيد علي الحسيني. (١٩٩٢). النهضة الحسينية، دراسة وتحليل (ط. ٢). مركز الطباعة والنشر للمجمع العلمي لأهل البيت.

٢٩. القرشي، الشيخ باقر شريف. (١٩٧٤). حياة الإمام الحسين عليه السلام (ط. ١). مطبعة الآداب.

٣٠. البغوي، عبد الله. (د.ت). المناقب.

جذور العلاقات العراقية ، الكويتية من العهد العثماني الى العهد الجمهوري

م. م. أسامة كاظم مغتاض
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة بغداد الرصافة الثانية



المستخلص:
بقيت سمة التنازع والتصارع سائدة بين دول الشرق الأوسط حتى بعد تخلصها من الحكم العثماني ونفوذه وتشكيل الدول العربية المتمتعة باستقلاليتها وإن كانت الصورة العامة لتلك الدول مختلفة وتردد شعارات رنانة بشكل ظاهري فقط، وخير مثال على ذلك دولتي العراق والكويت المتجاورتين جغرافياً واللتان تتشاركان اللغة والتاريخ والدين وحتى العادات والتقاليد كانت مشتركة، كل ذلك كان له دور في حتمية التواصل بشكل مستمر بين الدولتين واستحالة مقاطعة أي منهما للأخرى رغم التنازع والاختلاف حول بعض الأمور .

الكلمات المفتاحية: العلاقات الدولية ،العراق، الكويت.

Abstract:

The characteristic of conflict and strife remained prevalent among the countries of the Middle East even after they got rid of Ottoman rule and influence and the formation of Arab countries enjoying their independence, even if the general image of those countries was different and they echoed resonant slogans only superficially. The best examples of this are the countries of Iraq and Kuwait, which are geographically adjacent and share language, history, religion, and even Customs and traditions were common, and all of this played a role in the inevitability of continuous communication between the two countries and the impossibility of either of them boycotting the other despite the conflict and disagreement over some matters.

Keywords: international relations, Iraq, Kuwait

المقدمة:

تتشارك كل دولتين متجاورتين علاقات تسير في طريقين الأول صلة تصارع وتناحر يعود لإشكالات موروثة عبر التاريخ والآخر صلة تعاون وتكافل بسبب ما تتمتع به الدولتان من سمات مشتركة تزيد من فعالية التعاون المشترك والتنسيق بينهما وما سبق يمكن أن ينطبق على دولتي العراق والكويت والعلاقات بينهما، كذلك فإن نبذ الطرف الآخر والصراع والتناحر لايزال قائماً وبشكل خاص لدى دولة الكويت الأمر الذي بات مكنوناً ضمن منظومة القوانين السياسية العقائدية للكويت والذي أضفى تأثيراته على منهجيات التفاعل والتعاون في السياسة الخارجية. ومنذ نشوء دولة العراق سنة١٩٢١ نشبت تلك العلاقات المتسمة بالتوتر وعدم الاستقرار، والجدير بالذكر أن ذلك الخلاف المتوارث والدائم لم يكن عائداً لماهية نظام الحكم العراقي، فليس للنظام الملكي أو الجمهوري يد بذلك، كذلك الأمر بالنسبة للأحزاب الدينية والسياسية التي تتالت على حكم العراق لم يكن لها تأثير في ديمومة الخلاف مع أي سلطة كويتية. وإلى الجانب الآخر لم يكن لشيخ أو أمير كويتي يد بذلك، إنما المعضلة تاريخية الأصل بسبب عائديه الكويت في العهد العثماني للبصرة.

أهمية البحث

تكمن أهمية بحثنا في استكشاف الأحداث الهامة والتي طبعت بصمتها على معالم العلاقة بين دولتي العراق والكويت بداية من العهد العثماني وانتهاءاً بالحكم الملكي.

اهداف البحث

يهدف البحث الى دراسة العلاقات العراقية الكويتية، بوصفها من أكثر العلاقات العراق تأزماً بدول الجوار وتحاول هذه الدراسة الوقوف على احداث الماضي من اجل الاستفادة منها في المستقبل كما انها تقف على القضايا الخلفية التي من شأنها تعيق تطور هذه العلاقة وبناءها بالشكل الصحيح الذي يخدم العراق اولاً.

مشكلة البحث

تتمحور المشكلة البحثية لدينا في سؤال جوهري والذي يمكن صياغته بالشكل: لماذا يسود التصارع والخلاف على العلاقات بين دولتي العراق والكويت المتجاورتين؟

فرضية البحث

إن دولتي العراق والكويت متجاورتين جغرافياً وذلك خلق نوعاً من التصارع والخلاف استمر على مر السنين ويروي التاريخ الحديث مراحل وتطور العلاقات على مدى السنين والتبدلات التي سادت كلا الدولتين من تغير في الحكام والولاء وتلونت تلك العلاقة بين التعاون تارة والشك تارة والتصارع والخلاف تارة ثالثة.

منهجية البحث:

تم الاعتماد على منهجين لتحقيق الأهداف المرجوة من البحث هما المنهج التحليلي والمنهج التاريخي.

هيكلية البحث:

يمكن تقسيم الخطة البحثية لمباحث ثلاث يتمحور الأول حول الصراع البريطاني – العثماني على الكويت في حين يتناول المبحث الثاني النزاع العراقي – الكويتي في العهد الملكي وينتهي البحث بمبحثه الثالث بالنزاع خلال العهد الجمهوري.

المبحث الأول:

العلاقات العراقية الكويتية في عهد الدولة العثمانية:

نشأت الدولة الكويتية حسب المصادر التاريخية في باكورة القرن الثامن عشر وتحديداً عام ألف وسبعمائة وستة عشر، وقد كانت الكويت أحد أجزاء الدولة العثمانية، وقضاءاً تحت راية البصرة(١)، وقبيل ذلك الوقت لم تكن الكويت أكثر من مستوطنة عربية ذات قلعة صغيرة تذود عنها وقد كان سكانها قبيلة عربية تدعى (العتوب) وتضم فروعاً رئيسية ثلاثة هي : آل خليفة والجلاهمة وآل صباح (٢) .

وفيما سبق كان بنو خالد هم سكان الكويت إلى أن استحوذت عليها قبيلة العتوب سنة ١٧١٦ والذين أعلنوا ولاءهم وتبعيتهم للدولة العثمانية بشكل اسمي ونصب علم الدولة العثمانية في أرجاء الكويت، وتم تعيين صباح الأول شيخاً على الكويت من (١٧١٨ إلى١٧٧٦م) ، وقد سدد الضرائب للحاكم العثماني في البصرة.

ومع بداية سنة١٧٧٥ ارتبطت الكويت بالبصرة بشكل إداري(٣)، أما مع حلول ١٨٦٩ وتنصيب والي العراق مدحت باشا (١٨٦٩ – ١٨٧٢م) ارتبط الكويت بشكل أوضح بولاية البصرة، حيث تم تعميم قرار بتبعية الكويت التي كانت قائمقامية لولاية البصرة في ذلك العام، وبعدها تم الإعلان بشكل رسمي عن تسمية شيخ الكويت عبد الله الصباح بقائمقام ويعين براتب سنوي تمنحه خزانة البصرة له(٤) .

كان السائد في تلك الفترة الزمنية أن تقوم كافة السفن الإماراتية برفع العلم البريطاني أما ومع تلك التبدلات فقد أحدثت الكويت شيئاً جديداً في الدول الخليجية وهو تعهدها بأن ترفع سفنها علم الدولة العثمانية(٥)، وأصدرت الدولة العثمانية قراراً بترقية مدينة البصرة في ذات العام أي ١٨٧١م من متصرفية إلى ولاية ذات استقلالية عن بغداد، وبات تحت لوائها متصرفية الإحساء وسنجق الكويت، وبذلك باتت الكويت ترتبط بالعراق بشكل مباشر(٦) .

ولعبت بريطانيا دوراً حساساً أدى لانفصال الكويت عن العراق وذلك حين أبرمت معاهدة في السر في الثالث والعشرين من يناير سنة١٨٩٩ مع مبارك الصباح، وكان فحواها أن لا يتخلى الشيخ الكويتي عن أرض من الأراضي الكويتية دون أن تقبل حكومة بريطانيا بذلك، وتقدم بريطانيا حمايتها له ضد أي تهديد مقابل ذلك(٧) .

وأثارت تلك المعاهدة المبرمة في ١٨٩٩ بين شيخ الكويت والحكومة البريطانية حفيظة الدولة العثمانية التي سعت جاهدة لتأكيد خضوع الكويت لها، وشاعت في فبراير سنة ١٨٩٩م أنباء تفيد بحشد قوات عسكرية عثمانية ضد الكويت، وتموجب ذلك قامت حكومة بريطانيا بتوجيه سفيرها في القسطنطينية لإصدار إنذار للباب العالي مفاده بأن مشكلة هائلة وحساسة ستشتعل في حال محاولة الدولة العثمانية لبسط نفوذها على الكويت دون أن يكون ذلك بقبول من الدولة البريطانية، وقوبل ذلك الإنذار برد من الدولة العثمانية بعدم وجود رغبة لدى الحكومة العثمانية بتوجيه حملة عسكرية للكويت (٨). ولم يرغب شيخ الكويت مبارك (شيخ الكويت) عقب إبرام معاهدة الحماية البريطانية عام١٨٩٩ بإعلان

استقلاله تماماً عن الحكومة العثمانية، بل بات ذو ولاء مزدوج بعد تواصله مع أصحاب الأمر في الأستانة وإعلان خضوعه وولاءه لهم(٩).

وكرد على الاتفاقية السرية المبرمة في ٢٣ يناير ١٨٩٩ قامت الحكومة العثمانية بتولية حمدي باشا الداعم لأبناء أخوي الشيخ مبارك على البصرة ، وبذلك حظيت مطالب الأخيرين المتعارضة مع مبارك بدعم تركيا والذي يعزز من نفوذها على الكويت، وعلى خلفية ذلك فقد التقى القنصل البريطاني مع حمدي باشا في البصرة راتسلو) في الرابع من أيار ١٨٩٩ ، وتم مناقشة أمر إقلاق راحة السلطان عبد الحميد بسبب المشاريع البريطانية في الكويت حيث عمد الأخير لعقد اجتماع في الأستانة مع عدد من السفراء وطرح عليهم رؤية الدولة العثمانية تجاه الكويت .

وطرح حمدي باشا فكرة تفسير الأمر للسلطان على السفير البريطاني في الأستانة، وبسبب وجود تهديد عسكري من قبل تركيا ضد الكويت يهدف لإعادة الكويت للخضوع للدولة العثمانية بشكل فعلي، فقد وجه المقيم البريطاني السياسي في الخليج إنذاراً للمسؤولين في تركيا بضرورة الإحجام عن أي تهديد هجومي كهذا، ومن جهة أخرى فقد منحت بريطانيا تفويضها لنائب الملك في الهند يقضي بإقرار أي توجيهات لردع الاعتداء، وأبدى سفير بريطانيا (أوكور) اقتراحاً قبيل ممارسة أي نشاط عسكري (١٠) .

وقد أقرت الدولة العثمانية أمراً في تشرين الثاني من عام ألف وتسعمائة وواحد لإيقاف دور الشيخ مبارك، والذي يقضي بخروج الشيخ مبارك منفياً من الكويت بشكل اختياري وإلا فسوف يتم نفيه عنوة.

وبالفعل قوبلت الصفقة العثمانية بالاعتراض والرفض من قبل شيخ الكويت مبارك والذي بادر سريعاً بالحماية تحت كنف الحكومة البريطانية، والتي بدورها سارعت بإرسال سفينة حربية للشاطئ الكويتي، وواجه المفوض بأمر السفينة المبعوثين من قبل الدولة العثمانية بالتهديد بإطلاق النار على سفينتهم في حال لم يخرج من الدولة الكويتية فوراً، وفعلاً غادر الوفد مرغماً. وفي نوفمبر عام١٩٠١م لجأ حاكم حائل عبد العزيز ابن الرشيد بدعم مالي وعسكري عثماني لإطلاق حملة عسكرية توجهت ضد الكويت سعياً لإزاحة الشيخ مبارك عن حكمه، وباءت جهود حاكم حائل بالفشل في تنحية شيخ الكويت مبارك مع أن حملته العسكرية حققت نصراً كبيراً على شيخ الكويت(١١). وأخفقت كل المحاولات العثمانية في إخضاع الكويت لها لذا توجهوا لتحجيم دائرة نفوذ الشيخ الكويتي بمحاصرة الكويت من الخارج، وفي محاولة منهم لبسط نفوذهم على خور عبد الله وشعابه بنوا لهم قواعد عسكرية عام ١٩٠٢ في كل من أم قصر وصفوان وجزيرة بوبيان، وشيّدوا مقراً للبريد داخل أم قصر وبوبيان تحت حراسة حربية من فرقة صغيرة، وفي ذات العام تواصل الشيخ الكويتي مع الحكومة العثمانية محتجاً على تصرفها الأخير على اعتبار أن تلك المناطق ضمن الأراضي الكويتية، وقوبل احتجاجه بتجاهل العثمانيين، في حين حاولت الحكومة البريطانية بشكل غير جدي لثني الدولة العثمانية عن فعلتها، وجعلها تنسحب من تلك المناطق، وهكذا بقي النفوذ العثماني سائداً على المناطق تلك حتى قبيل الحرب العالمية الأولى بفترة بسيطة(١٢). وكنتيجة للمراوغات العثمانية في كل من البصرة وبغداد لبسط نفوذها وإخضاع الكويت لها، وخصوصاً أن بريطانيا كانت حاضرة على الساحة بسبب لجوء الشيخ مبارك لها منذ توليه مقاليد الأمور الكويتية؛ فتم إبرام اتفاقية بين الحكومة العثمانية والبريطانيين سنة١٩١٣م كان مفادها أن الكويت هي إحدى الولايات العثمانية لكنها تتمتع بالسيادة داخلياً(١٣).

شكلت الكويت نقطة معقدة في علاقات بريطانيا بالدولة العثمانية، فرغم أن شيخ الكويت مبارك قد أعلن وفائه للحاكم العثماني ورفع علم العثمانيين في الكويت، إلا أنه في ذات الوقت بقي يحاول باستمرار التخلي عن الاعتراف بسيادة الدولة العثمانية على الكويت بشكل حقيقي بوصفها قضاءً يتبع سلطتهم المباشرة.

وبقيت حالة الاحتدام قائمة بين بريطانيا والدولة العثمانية على الكويت مستمرة لعام ١٩١٣م، وشاءت الظروف في ذاك العام وبالتزامن مع تراجع النفوذ العثماني من الخليج لعقد معاهدة دعيت (اتّفاقية الخليج)؛ وتقضي الاتفاقية بإقرار العثمانيين بالاتفاقيات الكويتية البريطانية التي تم إبرامها سابقاً وبدورها بريطانيا تقر بسيادة الدولة العثمانية على الكويت بشكل اسمي، دون أن تمتلك الحق بالتدخل بأمور الكويت على الصعيد الخارجي أو الداخلي. وبموجب اتفاقية يوليو١٩١٣ غير المبرمة الآنفة الذكر فإن حالة الكويت القانونية هي عد الكويت قضاء يخضع لولاية البصرة العثمانية

بالتزامن مع حرية إدارة أموره داخلياً بشكل ذاتي مستقل دون الرجوع للدولة العثمانية (١٤) . وبهذا بدأت أولى ملامح رسم للحدود الكويتية العراقية، ففي مادة اتفاقية ١٩١٣م السابعة أقر بأن خط الإشارات الحدودية يسود بداية من مدخل خور الزبير شمالاً ويسير مباشرة لجنوب صفوان وأم قصر وجبل سنام انتهاء بوادي الباطن، وبحلول الحرب العالمية الأولى لم يتم تطبيق تلك الاتفاقية، وتواصلت بريطانيا مع شيخ الكويت مبارك عام ١٩١٤م مؤكدة رغبتها بالاعتراف باستقلال دولة الكويت وبقاءها في كنف الحماية البريطانية إلا أنها اشترطت مساعدة الكويت لها في الاستحواذ على البصرة، وبالفعل وافقت الكويت وظلت خلال الحرب العالمية الأولى تحت النفوذ البريطاني وأحد العسكرية البريطانية الرئيسة التي استخدمت لاحتلال العراق من قبل بريطانيا.

وانتهى بذلك التصارع العثماني البريطاني على الكويت وخُطّت أولى خرائط الكويت، وهنا بدأ تنازع عراقي كويتي يلوح في الأفق كنتيجة للإبهام في رسم الحدود بين الكويت وولاية البصرة ، إلى جانب إشكالية التبعية الواقعية للكويت، وذلك عقب نشوء دولة العراق الحديثة عام ١٩٢١م(١٥).

المبحث الثاني:

العلاقات العراقية الكويتية في ظل الحكم الملكي:

شهد عام ١٩٢١ نشأة الحكم الوطني العراقي عمدت برطانيا حينها لفصل الكويت بشكل تام عن ولاية البصرة، والتي بدورها باتت متصرفية (محافظة) ضمن العراق الحديث، وأرادت الحكومة البريطانية جعل الأراضي الكويتية أكثر امتداداً واتساعاً بالتعدي على المناطق العراقية، وطالبت الشيخ الكويتي أحمد الجابر بإرسال مكتوب لمندوب بريطانيا السامي ضمن العراق مفاده المطالبة بضم جزيرتي وربة وبوبيان إلى الكويت، فتجاوب السير بيرسي كوكس المندوب السامي وبعث لوكيل بريطانيا السياسي في الكويت مطالباً تبليغ الشيخ الكويتي بموافقة بريطانيا على توصيف ورسم الحدود العراقية الكويتية وذلك في ١٩ نيسان ١٩٢٣م (١٦).

وفي الثالث من أكتوبر عام١٩٣٢ انضم العراق لعصبة الأمم وحينها بدأت الدعوة الصريحة لضم الكويت للعراق عبر دعوة نشرتها إذاعة قصر الزهور بأشراف الملك غازي (١٩٣٣-١٩٣٩) (١٧). وما إن نال العراق استقلاله وحريته حتى نادى مطالباً بحقه الشرعي في قضاء الكويت، وفي ١٩٣٢ بدأت الصحافة في العراق بالمناشدة للتدخل بتغيير الأحوال الاجتماعية والثقافية للكويت وتحسينها، ولاقى ذلك استحسان الكويتيين الذين وجدوا في الانضمام للعراق وسيلة لتحسين أحوالهم الاجتماعية والثقافية، وأداة إنقاذ لهم لتبديل ظروفهم السياسية القصرية من قبل بريطانيا، لاسيما أن العراق بات أحد أعضاء عصبة الأمم، وكون وجود أواصر عراقية كويتية ذات أصل تاريخي حيث كانت الكويت امتداداً للعراق اجتماعياً وسياسياً وحتى جغرافياً، ولايخفى على أحد وجود الأواصر القومية التي وطدت التلاحم بينهما، وتم دعم المطالبة بعودة الكويت للكنف العراقي من قبل الصحافة العراقية(١٨).

سعت الصحافة العراقية جاهدة لتحصل على دعم حكومي من قيادة العراق لإرجاع الكويت الى العراق، وفي تلك الأثناء توفي الملك فيصل الأول في ٨الثامن من سبتمبر٩ ١٩٣٣م وانتقلت مقاليد الحكم لابنه الملك غازي ذو التوجهات القومية، لذا لاقت الدعوة تلك استحسانه ودعمه، وهنا بدأت بريطانيا بالتحرك لإحساسها بخطر عراقي يهدد مصالحها.

وفي سنة ١٩٣٨ ناشدت بعض الصحف العراقية بضم الكويت للعراق، ولاقى ذلك دعم واستحسان الملك غازي الذي شدد على ان الكويت ليست سوى ارض عراقية.

وقد أوكلت حكومة العراق لوزير خارجيتها نوري السعيد بتاريخ التاسع من حزيران ١٩٤٠م للتناقش مع بريطانيا بمسألة مساهمتها في المشروع التنموي لتطوير ميناء أم قصر، وذلك فحواه التناقش مع بريطانيا بأمور تعيين الحدود الواضحة بين بين الكويت والعراق. وكان من مقومات نجاح المشروع ضم جزيرتي بوبيان وربة الخاليتين من التواجد البشري إلى العراق.

وفي مذكرة لسفارة بريطانيا بتاريخ الرابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤١م بينت كون الحدود العراقية – الكويتية نقطة التباس دائماً، وأن توصيفها ينسجم مع ما بعث لعصبة الأمم سنة ١٩٣٢، إلا أن ذلك لم يتم توثيقه على الواقع، أي أنها لاتزال مشوبة بالتشويش ولم يتم تعيين الحدود الصريحة من قبل الطرفين حتى تاريخ ذلك التصريح.

في اليوم السادس عشر من تشرين الثاني لعام١٩٤٩م اتخذ المجلس الوزاري في العراق تحت رئاسة نوري السعيد بتعديل

تصاريح عبور الكويتيين للعراق ودخوله طبقاً لمعاملة الرعايا العراقيين المتواجدين في الأراضي الكويتية، وبلغت قيمة التصريح (٨٤ فلساً)(١٩).

ومع باكورة الخمسينات راوغت بريطانيا بمحاولة منها لإجبار العراق على تنسيق أواصر صلته بالكويت، وحسب ما أورد مارتا دوكاس فإن العراق آنذاك ظل يطالب ببسط نفوذه وسيطرته فوق الأراضي الكويتية، وظل محجماً عن الاعتراف بها بشكل قانوني، وفي سنة١٩٥٣م تم التفاوض والتناقش بشكل أولي، حيث تم اقتراح خطة تنموية بمساهمة كل من الكويت والعراق يحصل بموجبها العراق على حق تشييد ميناء في الخليج العربي جنوب ميناء أم قصر لإعانة ميناء البصرة، وبالمقابل تحظى الكويت بمائة مليون غالون من مياه الشرب من الأنبوب من شط العرب بشكل يومي، إلا أن العراقيين جعلوا المفاوضات تبوء بالإخفاق لأنهم أحجموا عن القبول بالخطة المنسقة بين شيخ الكويت وبريطانيا حيث أنها في المضمون تفيد بتنازل العراق عن حقوقه الأزلية في أن الكويت كانت ولازالت أحد أجزاء الأراضي العراقية (٢٠) .

وأثناء المشاورات العراقية البريطانية لفض المعاهدة بين العراق وبريطانيا المبرمة في ١٩٣٠عاد أمير الكويت للعرض في ساحة الحديث، كذلك الأمر سنة ١٩٥٥حينما أصبحت بريطانيا عضواً في حلف بغداد، وبغية تدعيم حلف بغداد وتنمية دوره الاستراتيجي في الدول العربية بشكل عام والخليج العربي بشكل خاص ازداد تطلع العراق لضم الكويت، وتزامناً مع زيارة وزير خارجية بريطانيا سلوين لويد لبغداد قبل أن يكمل طريقه لجنوب شرق آسيا مكان انعقاد اجتماع ميثاق سيتو نهاية شتاء١٩٥٦م أعيد فتح ملف المفاوضات العراقية البريطانية بشأن الكويت، وشرح الجانب العراقي تطلعاته لتأسيس اتحاد عربي، وضرورة التحاق الكويت بذلك الاتحاد، فتجاوب الوزير البريطاني ووعد بمناقشة الأمر مع المجلس الوزاري البريطاني، الذي بدوره لم يُبدي اعتراضه وإنما خوّل وزير الخارجية لويد لتناول الأمر وحله مع الجهات العراقية(٢١).

وتتالت الأحداث الحساسة والساخنة في شتاء ١٩٥٦، ففي أكتوبر شن العدوان الثلاثي على الجمهورية المصرية، واحتدمت حركة القومية العربية، وباتت بريطانيا وحلفائها في تواجد هش على الساحة العربية، وفي إطار بحث بريطانيا عن حل لوضعها هذا سعت جاهدة لتنسيق مصالحها ضمن الوطن العربي، بسبب تنامي الحراك الشعبي الجماهيري وتحسباً من قيام أي ثورات كويتية مناهضة لآل الصباح.

واقترح رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد انضمام الكويت للاتحاد الهاشمي الذي تم بين الدولة الأردنية والدولة العراقية في الرابع عشر من فبراير ١٩٥٨م وتواصل مع السعودية لدعم اقتراحه وقوبل ذلك بتأييد السعودية وتشجيعها، كذلك أيضاً تواصل مع أمريكا والتي تجاوبت مع المقترح بدورها، وتم إبداء القبول المبدئي لبريطانيا بذلك الانضمام على لسان سفيرها في بغداد مع وعد بمناقشة التفاصيل في العاصمة البريطانية، لكن الأمر لم يتم بسبب نشوب ثورة ١٩٥٨(٢٢) .

المبحث الثالث :

العلاقات العراقية الكويتية في ظل الحكم الجمهوري:

اندلعت الثورة العراقية في الرابع عشر من تموز١٩٥٨م وقد قوبلت برحابة صدر من قبل الأمير الكويتي الشيخ عبد الله السالم الصباح، حيث بادر بإرسال رسالة في ١٢ أغسطس ١٩٥٨م يهنئ بها عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء سابقاً بالنجاح الذي أحرزته الثورة. ومن ثم أتبع رسالته بزيارة للعراق في الخامس عشر من تشرين الأول١٩٥٨ ليناظر عن قرب موقف قيادي الثورة العراقية تجاه بلده.

وقد أعلنت وزارة الخارجية في بريطانيا في فبراير سنة١٩٦٠م عن ضرورة ترتيب موقف بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية حول أمور الذود عن الدولة الكويتية، ومع توافر المناقشات والتفاوضات بين كلا البلدين لكن ذلك لم يثمر إيجاباً بخلق اتفاقية أو تخطيط وتنسيق عسكري مشترك كرد ضد أي خطر يهدد الدولة الكويتية (٢٣).

وقد أولت سياسة بريطانيا الخارجية عناية كبيرة لأي ممارسات أو تحركات عسكرية في الخليج العربي(٢٤)

وبتاريخ الرابع عشر من أيلول ١٩٦٠ عقدت الدول المنتجة للبترول اجتماعها الأول في العاصمة العراقية عاود خلاله عبد الكريم قاسم الطلب باسترجاع الكويت، حتى أنه عارض إطلاق لقب دولة على الكويت(٢٥).

والجدير بالذكر أن أول أزمة وقعت حقاً بين العراق والكويت كانت عام١٩٦١م، حيث تمت معاودة الطلب باسترجاع

كامل الكويت، بعد إعلان عبد الكريم قاسم بضم الكويت للعراق، فالكويت حسب مزاعم رئيس الوزراء المذكور هي جزء من الأراضي العراقية لايمكن فصله، حيث أن الكويت تاريخياً كانت قضاءً تابعاً لولاية البصرة ذات التبعية للدولة العثمانية، وحينها تم تنصيب قائمقام للكويت وهو بدوره سيكون تابعاً لسلطة لواء البصرة الإدارية(٢٦).

وتم فسخ الاتفاقية البريطانية لحماية الكويت المبرمة سنة١٨٩٩ وتم ذلك من قبل بريطاني بتاريخ التاسع عشر من حزيران ١٩٦١م مع بقاء بريطانيا على استعداد لمنح الكويت أي عون تحتاجه متى تتطلب الأمر ذلك، وبهذا فقد نالت الكويت استقلالها آنذاك(٢٧).

وقد سر الجانب العراقي بفسخ تلك المعاهدة على اعتبار أنها ليست مشروعة وقد تم إبرامها دون أن يكون للدولة العثمانية أي علم أو قبول بها، لاسيما أن من وقع ذلك الاتفاق هو قائمقام الكويت

الذي كان تابعاً لولاية البصرة وكل ذلك قد دونه رئيس الوزراء السابق قاسم ضمن برقية أرسلها للأمير الكويتي عبد الله مهنئاً إياه بما حدث. (٢٨).

وقد ألقى عبد الكريم قاسم بياناً إذاعياً بشأن الكويت في الخامس والعشرين من حزيران ١٩٦١م أعلن من خلاله أن الكويت هي أحد أجزاء الأراضي العراقية حيث ذكر بتبعيتها فيما سبق لولاية البصرة ذات الولاء للدولة العثمانية، كما عين بموجب ذلك البيان حاكم الكويت كقائمقام لها، ويتبع في حكمه قيادة متصرف البصرة (٢٩).

والتمست العلاقات العراقية الكويتية شيئاً من التحسن وذلك عقب الانقلاب العراقي الذي تم تحت قيادة عبد السلام عارف بتاريخ الثامن فبراير ١٩٦٣م وكنتيجة لذلك الانقلاب تم إقصاء عبد الكريم قاسم وتنحيته، وفي إطار التعاون بين العراق والكويت أبدى العراق التزامه بمنح مياه الشرب للكويت(٣٠).

وفي الثالث من تشرين الأول ١٩٦٣م شهد الموقف العراقي تجاه الكويت تبدلاً ملموساً حيث زار العاصمة العراقية وفد من الكويت ونتج عن اجتماعه مع قيادي العراق بيان مشترك تضمن الاعتراف الصريح من قبل العراق بأن الكويت دولة مستقلة ذات سيادة وتتمتع بحدود ذكرت عام ١٩٣٢م ضمن رسائل متبادلة بين رئيس الوزراء العراقي وشيخ الكويت، وبموجب ذلك البيان اتفق الطرفان على توطيد العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين وتعيين سفراء لدى كل منها(٣١).

وعلى إثره أبرم بين الطرفين اتفاقاً في الحادي عشر من فبراير ١٩٦٤م يلتزم العراق وفقه بمنح مياه الشرب للدولة الكويتية، وتمت المصادقة على ذلك الاتفاق ببنوده ال١٥ عشر في الثامن والعشرين من نيسان١٩٦٤م (٣٢).

لكن التحسن في العلاقات بين البلدين سرعان ما تلاشى وعاد للتوتر عام ١٩٦٥م وذلك على إثر تجديد عبد السلام عارف رئيس العراق آنذاك لمخطط قديم يسعى لبناء مسار للمياه بعمق أكبر ويربط خطوط البصرة وبغداد بميناء أم القصر العراقي، لذا تم عرض مقترح على الأمير الكويتي مفاده تأجير الجزيرة الكويتية وربة للعراق بعقد يستمر (٩٩) سنة وذلك بسبب مرور ذلك المجرى ضمن أراضي تلك الجزيرة لكن المقترح قوبل برفض الأمير الكويتي(٣٣) .

كما أن ذلك التوتر قد ساد مجدداً في ساحة العلاقات بين البلدين عقب وفاة عبد السلام عارف في الثالث عشر من آذار ١٩٦٦م، واستلم مقاليد الحكم من بعده شقيقه عبد الرحمن عارف الذي عمد لإشعال أزمتين مع الدولة الكويتية :

١ . اقتحم الجيش العراقي جزيرة بوبيان الكويتية في الأول من تشرين الأول ١٩٦٦م كرد معارض للتفاوض الكويتي الإيراني في تلك الفترة حول توزيع المجرى (القاري) فيما بينهما دون أن يكون للعراق حصة في ذلك.

٢ . أنذر الجانب العراقي الحكومة الكويتية بشكل رسمي في الثامن عشر من نيسان١٩٦٧م بإزالة علم الكويت عن جزيرتي (وربة وبوبيان) اللتان تقعا على بعد ١٠ أميال من الحدود تقريباً (٣٤).

وفي السابع عشر من يوليو ١٩٦٨م تم عزل حكومة عبد الرحمن عارف واستلم مقاليد الحكم العراقي أحمد حسن البكر تحت راية حزب البعث، وهنا بذلت الحكومة العراقية الجديدة مساعيها لخفض التوتر العام في علاقاتها مع الكويت، والقبول بالوضع الراهن دون أن يكون هناك حدوداً واضحة بين الدولتين إلى جانب توليد صيغة يستطيع العراق على إثرها أن ينفتح على الخليج بانضمام جزيرتي (وربة و بوبيان) للأراضي العراقية، أو بأدنى تقدير امتلاك الحق بالاستفادة من الشريط الساحلي(٣٥).

وقد بات الموقف العراقي هشاً وضعيفاً في ملاحة شط العرب، وذلك على إثر شطب وتمزيق إيران لاتفاقية الحدود

لعام١٩٣٧ المبرمة بينها وبين العراق، حيث طالبت إيران بجعل خط منتصف شط العرب هو الخط الحدودي الفاصل بينها وبين العراق، واتجه حينذاك العراق نحو الكويت طلباً لمنح العراق الإذن بإنشاء تواجد عسكري عراقي في الشمال الكويتي تحسباً لأي اعتداء إيراني قد يقع على ميناء أم قصر، لكن ذلك الطلب قوبل برفض كويتي مما دفع قيادي العراق بإصدار أمر بتاريخ عشرين مارس ١٩٧٣م يقضي بالاستيلاء العسكري على أرض غنية بالنفط وهي مخفر (الصامتة) الحدودي(٣٦)، وذلك جعل الاضطراب يجتاح الكويت التي ردت معلنة حالة الطوارئ، ومغلقة حدودها كافة مع دول الجوار، وشنت الصحف الكويتية هجوماً شرساً ضد العراق موجهة له تهماً تحاول فيها إثارة حفيظة الدول الغربية ضد العراق وأشارت لمحاولة العراق خلق قاعدة مرفوضة في الخليج العربي تعود للأسطول السوفيتي(٣٧)، ومن جهته العراق أعلن عدم إقراره باتفاقية عام١٩٦٣م موجهاً ذلك للجامعة العربية وطالب بعقد محادثات بين العراق والكويت للتباحث بشأن الحدود، إلا أن تلك الأزمة تم إنهاءها واحتواءها من قبل جامعة الدول العربية، وتم إعادة التواصل بين العراق والكويت حيث توجه جابر الأحمد الصباح ولي عهد الكويت ليزور العراق ليبحث مع قادته قضية الحدود ولإيجاد حل لتلك المعضلة وذلك في أغسطس ١٩٧٣م، إلا أن الجانب العراقي عاود طلبه لاستئجار جزيرتي (وربة وبوبيان) من الكويت بعقد يستمر ٩٩ سنة مع استمرار تواجد النفوذ الكويتي عليهما، وللمرة الثانية قوبل طلبه بالرفض، مما أصاب زيارة ولي العهد الكويتي بالفشل في تحقيق الهدف منها (٣٨).

وبقيت الجامعة العربية تسعى جاهدة للتوسط بين دولتي العراق والكويت، وفي عام ١٩٧٥ استطاعت أن تثني العراق عن قرار تواجده العسكري في مخفر الصامتة، وفي عام١٩٧٩م تم فض المشكلة بشكل مؤقت بسبب عدم توافر اتفاق مقبول حول رسم الحدود بين الطرفين وذلك تم تحت رعاية الجامعة العربية، وبقيت مساعي العراق في استثمار جزيرتي (وربة و بوبيان) دون تحقيق أي تقدم لها (٣٩) .

وباءت كافة المساعي لفض الخلاف والتنازع بين الدولتين دون حل جذري وبقيت في طور الركود رغم عقد المناقشات والتفاوضات بين الدولتين عدة مرات، ورغم تشكيل لجان مشتركة مهمتها حل الخلاف بشأن الحدود الفاصلة بين الدولتين، وبقيت التشاورات والمفاوضات دون تقدم يذكر بسبب تنازل أحمد حسن البكر عن منصبه أثره في القضية، إلى جانب نجاح الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م، كذلك نشوب حرب عام ١٩٨٠م بين العراق وإيران، والتي أبقت التشاورات العراقية الكويتية بحالة جمود طوال فترة الحرب.

الهوامش:

(١) سيف الدين الراوي ، العراق والكويت أزمات مستديمة ومتوارثة ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٦، ص ١٤.

(٢) جي. ج. لوريمر، الكويت في دليل الخليج، الجزء الأول، السفر التاريخي، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨١ ,ص٢١-٢٢.

(٣) لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٣، ترجمة مكتب أمير دولة قطر، ١٩٧٥ ، ص ١٥٠٤.

(٤) مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي، البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة ١٩٧٥، ص ٦٧.

(٥) سالم مشكور، نزاعات الحدود في الخليج، معضلة السيادة والشرعية، مركز الدراسات الستراتيجية، البحوث والتوثيق، ط١، بيروت، ١٩٩٣، ص٢٩-٣٠.

(٦) مصطفى عبد القادر النجار وآخرون، العراق والكويت في الوثائق التاريخية، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٠، ص ١٩٢.

(٧) حسن سليمان محمود، الكويت، ماضيها وحاضرها، المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٨.

(٨) جي.ج. لوريمر، مصدر سبق ذكره، ص١٥٢،١٥١.

(٩) د. حسن سليمان محمود، مصدر سبق ذكره، ص٢٠٣.

(١٠) أنظر : جريدة المقطم (العدد ٤٠٥) في ٢٤-٧- ١٩٠٢، القاهرة، مصر.

(١١) نجاة عبد القادر، التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين ١٩١٤ - ٩٣٩، منشورات جامعة الكويت، ١٩٧٣، ص٢١.

(١٢) نورية محمد ناصر الصالح ، مصدر سبق ذكره، ص٧٩،٧٨.

(١٣) نجاة عبد القادر، مصدر سبق ذكره، ص١٤٥، ١٤٦
(١٤) Tuson, Penelope, and Quick, Emma, (editors), Arabian Treaties ١٦٠٠ – ١٩٦٠, Archive Editions, ١٩٩٢, Vol. ١, pp.٩٣–١١٠.
(١٥) سالم مشكور، مصدر سبق ذكره، ص٦٤، ٦٥.
(١٦) مذكرات ، صبحي عبدالحميد ، العراق في سنوات الستينات ١٩٦٠–١٩٦٨، إصدار بابل للدراسات ، دمشق ، ٢٠١٠ ، ص١٠٨–١١٠ .
(١٧)لطفي جعفر فرج، الملك غازي ودوره في السياسة العراقية في المجالين الداخلي والخارجي ١٩٣٣–١٩٣٩، مكتبة اليقظة، بغداد، ٣٩٨٧ ، ص . ٢٢١
(١٨) لطفي جعفر فرج، المصدر نفسه ، ص٢١٨ .
(١٩) سيف الدين الدوري ، العراق والكويت أزمات مستديمة، بغداد ، مكتبة اليقظة العربية،١٩٨٧، ص٢١.
(٢٠) مارتا ، دوكاس، ازمة الكويت، العلاقات العراقية – الكويتية ١٩٦١ – ١٩٦٣ ، بيروت ، دار النهار للنشر، ١٩٧٣، ص ٣٣ .
(٢١) توفيق السويدي، مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية، بيروت ، دار الكاتب العربي،١٩٦٩، ص ٥٨٣ – ٥٨٤ .
(٢٢)خالد السرجاني، مصدر سابق، ص١٥.
(٢٣) Memorandum, Anglo-US Planning for Intervention in the Persian Gulf, London, ٢٤ May ١٩٦١, p.١. FO ١٥٦٦٩٤/٣٧١ XC ١٦٤٢٩٣.
(٢٤) Ibid,p.٢١; Smith, Britain›s Revival and Fall in the Gulf: Kuwait, Bahrain, Qatar, and the Trucial States, ١٩٥٠–١٩٧١, pp.٣٧–٣٨
(٢٥) خليل إبراهيم حسين، سقوط عبد الكريم قاسم ، بغداد، دار الحرية للطباعة ١٩٨٩، ص٢٤٩.
(٢٦) محمد غسان الشبوط , مراحل تطور السياسة الخارجية العراقية , مجموعة باحثين السياسة الخارجية بعد عام ٢٠١٤، ط ١ المركز الديمقراطي العربي ، برلين ، ٢٠١٨، ص١٠٠.
(٢٧) Smith, Britain›s Revival and Fall in the Gulf: Kuwait, Bahrain, Qatar, and the Trucial States, 1950–1971, pp.37–38; Butler, Britain and Empire: Adjusting to a Post-Imperial World, p.144.
(٢٨) محمد عزيز عبد الحسن، الامم المتحدة والازمات الدولية. دراسة في ازمة الخليج الثانية، رسالة ماجستير كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٤، ص١٠٧.
(٢٩) فيبي مار، تاريخ العراق المعاصر، العقد الجمهوري الأول، الجزء الأول، ترجمة مصطفى أحمد، دار مصر للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٦٣ .
(٣٠) جعفر عباس حميدي ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري (١٩٥٨ – ١٩٦٨) ، الجزء التاسع ، بيت الحكمة ، بغداد،٢٠٠٤، ص٥٨.
(٣١) جواد هاشم ، مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام ، جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٩١٣ في ٤/١٢/ ٢٠٠٣ ، ص ١٥ .
(٣٢) جعفر عباس حميدي ، المصدر السابق ، الجزء التاسع ، ص٥٨ .
(٣٣) عدنان أحمد سلّوم، د. أسامة مرتضى، الآفاق المستقبلية للعلاقات العراقية الكويتية ما بعد نيسان ٢٠٠٣، ط١، دار مكتبة البصائر، بيروت، ٢٠١١، ص٢٢.
(٣٤) خالد العصيمي، ترسيم الحدود الكويتية العراقية وأثره على السياسة الخارجية الكويتية، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢، ص ٦٣ .
(٣٥) محمد محمود الطناحي، النفط وعلاقات الكويت السياسية بدول الجوار ١٩٩٠– ١٩١١، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠١١ ، ص ١٩٤ .
(٣٦) محمد عبد العظيم الشيمي، تنفيذ السياسة الخارجية المصرية في ازمة الخليج الثانية، القاهرة: المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٤.
(٣٧) صلاح العقاد، نزاع الحدود بين العراق والكويت، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات والبحوث، العدد (٣٣) تموز ١٩٧٣، ص١١١.
(٣٨) سالم مشكور، المصدر السابق ، ص١٠٣
(٣٩) صلاح العقاد، المصدر السابق ، ص١٢١

المصادر :

١. جي. ج. لوريمر، الكويت في دليل الخليج، الجزء الأول، السفر التاريخي، الطبعة الأولى، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨١.
٢. مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي، البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة ١٩٧٥.
٣. سالم مشكور، نزاعات الحدود في الخليج، معضلة السيادة والشرعية، مركز الدراسات الستراتيجية، البحوث والتوثيق، ط١، بيروت، ١٩٩٣.
٤. حسن سليمان محمود، الكويت، ماضيها وحاضرها، المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٨.
٥. محمد حسنين هيكل، حرب الخليج، أوهام القوة والنصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٢.
٦. جريدة المقطم (العدد ٤٠٥) في ٢٤-٧-١٩٠٢، القاهرة، مصر.
٧. Tuson, Penelope, and Quick, Emma, (editors), Arabian Treaties ١٦٠٠ – ١٩٦٠, Archive Editions, ١٩٩٢, Vol. ١.
٨. مصطفى عبد القادر النجار وآخرون، العراق والكويت في الوثائق التاريخية، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٠.
٩. سيف الدين الراوي، العراق والكويت أزمات مستديمة ومتوارثة، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.
١٠. نورية محمد ناصر الصالح، علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٧٧.
١١. نجاة عبد القادر، التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين ١٩١٤-١٩٣٩، منشورات جامعة الكويت، ١٩٧٣.
١٢. لطفي جعفر فرج، الملك غازي ودوره في السياسة العراقية في المجالين الداخلي والخارجي ١٩٣٣-١٩٣٩، مكتبة اليقظة، بغداد، ١٩٨٧.
١٣. خالد السرجاني، جذور الازمة بين العراق والكويت، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، العدد ١٠٢، ١٩٩١.
١٤. محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبدالله العثيمين، الدمام، ١٩٩٥.
١٥. مارتا، دوكاس، ازمة الكويت، العلاقات العراقية – الكويتية ١٩٦١ – ١٩٦٣، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٣.
١٦. محمد غسان الشبوط، مراحل تطور السياسة الخارجية العراقية، مجموعة باحثين السياسة الخارجية بعد عام ٢٠١٤، ط ١ المركز الديمقراطي العربي، برلين، ٢٠١٨.
١٧. خليل إبراهيم حسين، سقوط عبد الكريم قاسم، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٩.
١٨. وداد غازي دبخ حسن الملا، «موقف الصحافة العراقية إزاء الكويت»، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة بغداد ٢٠٠١.
١٩. محمد عزيز عبد الحسن، الامم المتحدة والازمات الدولية، دراسة في ازمة الخليج الثانية، رسالة ماجستير كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٤.
٢٠. فيبي مار، تاريخ العراق المعاصر، العقد الجمهوري الأول، الجزء الأول، ترجمة مصطفى أحمد، دار مصر للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٩.
٢١. وداد غازي دبخ حسن الملا، «موقف الصحافة العراقية إزاء الكويت»، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة بغداد ٢٠٠١.
٢٢. Memorandum, Anglo-US Planning for Intervention in the Persian Gulf, London, ٢٤ May ١٩٦١, p.١. FO ٣٧١/١٥٦٦٩٤ XC١٦٤٢٩٣.
٢٣. Ibid,p.٢١; Smith, Britain›s Revival and Fall in the Gulf: Kuwait, Bahrain, Qatar, and the Trucial States, ١٩٥٠-١٩٧١, pp.٣٧-٣٨.
٢٤. جعفر عباس حميدي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري (١٩٥٨ – ١٩٦٨)، الجزء التاسع، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٤.
٢٥. عدنان أحمد سلّوم، د. أسامة مرتضى، الآفاق المستقبلية للعلاقات العراقية الكويتية ما بعد نيسان ٢٠٠٣، ط١، دار مكتبة البصائر، بيروت، ٢٠١١.
٢٦. صلاح العقاد، نزاع الحدود بين العراق والكويت، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات والبحوث، العدد (٣٣) تموز ١٩٧٣.
٢٧. جواد هاشم، مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام، جريدة الشرق الأوسط، العدد ٩١٣ في ٤/١٢/٢٠٠٣.
٢٨. خالد العصيمي، ترسيم الحدود الكويتية العراقية وأثره على السياسة الخارجية الكويتية، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢.
٢٩. محمد محمود الطناحي، النفط وعلاقات الكويت السياسية بدول الجوار ١٩٩٠- ١٩١١، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠١١.
٣٠. محمد عبد العظيم الشيمي، تنفيذ السياسة الخارجية المصرية في ازمة الخليج الثانية، القاهرة: المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٤.

مسيرة جهاد الرسول (صلى الله عليه وآله) ومعاناته من اجل نشر الإسلام

م. م. رجاء فاضل ضمد
وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد الكرخ الثانية



المستخلص:
يتناول هذا البحث مسيرة جهاد النبي محمد ﷺ في سبيل نشر الإسلام، منذ بداية الدعوة السرّية في مكة إلى إعلانها العلني رغم الأذى والمعاناة. واجه النبي صنوفاً من الجهاد، بدأ بجهاد النفس والدعوة بالكلمة، ثم جاهد المشركين والمنافقين واليهود. هاجر إلى المدينة ليبدأ جهاداً عسكرياً وإدارياً لبناء الدولة الإسلامية. خاض معارك كبرى مثل بدر وأحد والخندق بنفسه، وكان مثالاً في الشجاعة والصبر. كما تحمل إيذاء الأقارب والخصوم دون أن يتراجع عن دعوته. تجلى في سيرته أعظم صور الجهاد الأخلاقي والإنساني.
الكلمات المفتاحية: جهاد النبي ﷺ، الدعوة السرّية، الهجرة النبوية، جهاد المشركين، جهاد المنافقين، جهاد اليهود.

Abstract:
This research explores the jihad of Prophet Muhammad (PBUH) for spreading Islam, from the secret call in Mecca to the public mission despite hardships. He faced various forms of struggle, starting with self-discipline and verbal preaching, then fighting polytheists, hypocrites, and Jews. After migrating to Medina, he led both military and administrative jihad to build the Islamic state. He personally led major battles like Badr, Uhud, and the Trench, showing unmatched courage. He endured harm from relatives and enemies without retreat. His life reflected the highest ethical and humanistic jihad.
Keywords: The Prophet's jihad, the secret call, the Prophet's migration, the jihad against the polytheists, the jihad against the hypocrites, the jihad against the Jews.

المقدمة:
فرض الجهاد على المسلمين كافة، على مختلف أنواعه وعدد أشكاله، ابتداء من جهاد النفس وهواها الى جهاد المشركين والكفار أعداء الله، وهذا الجهاد أعظم مراحل الجهاد فهو جهاد يكون بالنفس وهي اعز ما يملك الإنسان، وبالمال وهو اشد ما يحرص عليه الإنسان.

وكان الرسول الكريم ﷺ قدوة للمسلمين والأسوة الحسنة لهم في كل شيء، وهو السباق في إداء ما أمر الله فكان جهاده ﷺعظيم في سبيل الله، فاحتمل أذى قومه في مكة، وحصارهم له في شعاب أبي طالب، وما شهده ذلك الحصار من وفاة عمه وزوجه فكان عام الحزن له، إلا أن كل هذه الخطوب لم تثن عزيمته ﷺ عن الاستمرار في النهج الجهادي ضد الكفار ليعلو كلمة الله.

ولتأتي الهجرة النبوية المطهرة وما تحمله من دروس وعبر في الصبر لتبدأ مرحلة جديدة من الجهاد في سبيل الله، فكانت هناك العديد من المعارك والغزوات التي خاضها ﷺ بنفسه، وتحت قيادته المباركة الحكيمة لقتال رؤوس الكفر والشرك في جزيرة العرب.

وقف البحث على أبرز نقاط السيرة المطهرة للرسول الكريم ﷺوما تخللته تلك السيرة العطرة من فترات جهادية عظيمة كان لها الأثر الكبير في نفوس المسلمين، من خلال حثهم على الجهاد وتلبية نداء الله جل وعلا.

المبحث الأول: الجهاد في الاصطلاح واللغة والشرع:
عرف الفراهيدي(ت١٧٠هـ) الجهاد بأنه من الفعل جهد فيقول « جهد: الجَهْدُ: ما جَهَد الإنسانَ من مَرَضٍ، أو أمرٍ شاقّ فهو مَجهودٌ والجَهْدُ لغة بهذا المعنى، والجُهدُ: شيءٌ قليلٌ يعيش به المُقِلُّ على جَهْدِ العَيْش. والجَهْدُ: بلوغُكَ غايةَ

الأمرِ الّذي لا تألو عن الجهد فيه ومنه قوله جل وعلا ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]. وتقول: جَهَدْتُ جَهْدي، واجتهدتُ رأيي ونفسي حتّى بلغتُ مجهودي. وجَهَدْتُ فلاناً: بلغتُ مشقّته، وأجْهدتُه على أن يفْعَلَ كذا. وأجْهَدَ القومُ علينا في العداوة. وجاهدتُ العدوَّ مُجاهدةً، وهو قتالُك إيّاه»(١).

ويذكر الجوهري (ت٣٩٣هـ)، «[جهد] الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقةُ»(٢).

الجهاد في اللغة هو مصدر للفعل الرباعي جاهد على وزن (فعال) بمعنى المفاعلة من طرفين، مثل الخصام بمعنى المخاصمة، مصدر خاصم والجدال بمعنى المجالدة مصدر جادل(٣).

وَالْجُهْدُ بِالْفَتْحِ الْمَشَقَّةُ يُقَالُ: (جَهَدَ) دَابَّتَهُ وَ (أَجْهَدَهَا) إِذَا حَمَلَ عَلَيْهَا فِي السَّيْرِ فَوْقَ طَاقَتِهَا وَ (جَهَدَ) الرَّجُلُ فِي كَذَا أَيْ جَدَّ فِيهِ وَبَالَغَ وَبَابُهُمَا قَطَعَ. وَ (جُهِدَ) الرَّجُلُ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ فَهُوَ (مَجْهُودٌ) مِنَ الْمَشَقَّةِ. وَ (جَاهَدَ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ (مُجَاهَدَةً) وَ (جِهَادًا) وَ (الِاجْتِهَادُ) وَ (التَّجَاهُدُ) بَذْلُ الْوُسْعِ وَ (الْمَجْهُودِ)(٤).

وللجهاد أشكال عديدة وهو ما جاء في قوله ﷺ«جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»(٥).

ومن أنواع الجهاد جهاد النفس الذي هو عبارة عن مجاهد العبد هواه، كما ورد عن النبي ﷺعندما خاطب أصحابه قائلاً: « قدمتم بخير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه»(٦).

أما في الاصطلاح فقد عرفه الجرجاني (ت٨١٦) بأنه» الجهاد: هو الدعاء إلى الدين الحق»(٧)، وعرف أيضاً على أنه « الجِهاد: الدعاء إلى الدين وقتالُ من لم يقبله حقيقة أو حكماً بأداء الجزية أو المصالحة»(٨).

المبحث الثاني: جهاد النبي ﷺ قبل الهجرة

ينقسم جهاد النبي ﷺفي مكة المكرمة الى قسمين بحسب نوع الدعوة المباركة ففي المراحل الأولى من البعثة المطهرة كانت الدعوة سرية، وفيها تعاليم القاها الله جل وعلى على الرسول الكريم (ﷺ) واستمرت هذه الدعوة ثلاث سنوات، في حين أن المرحلة الثانية وتستمر منذ اعلان الدعوة المباركة على الملأ وما تلاها من محاولات لاغتيال شخص الرسول الكريم ﷺ ومضايقات وهو ما سنبينه في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: جهاد الرسول ﷺ في الدعوة السرية

بدأت الدعوة السرية ببداية نزول الوحي على الرسول الكريم ﷺ في غار حراء(٩)، ونزول قوله جل وعلا على الرسول الكريمﷺ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]. فكان الرسول الكريم ﷺ يختلي في الغار لأيام عديدة يتدبر في هذا الكون، ويتفكر في حال الإنسان ومدى ضعفه، ويفكر في ما آل إليه حال قومه من الفساد الديني والاجتماعي والأخلاقي(١٠).

بدأت الدعوة بالأمر الإلهي بنزول قوله جل وعلا ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾ [المدثر: ١-٧]. فكان نزول هذه الآيات المباركات إيذاناً ببداية مرحلة الجهاد ضد النفس أولاً وضد المشركين ثانياً. فضد النفس من خلال ترك الراحة والثاني من خلال توجه الرسول الكريم ﷺ الى الدعوة، وكانت بدايات هذه الدعوة موجهة الى أهل النبي وذويه، وأصحابه المقربين منه، فكان من أول من آمن به الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وزوجه خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، ثم تلا ذلك إسلام زيد بن حارثة، والذي كان مولى لرسول الله ﷺ، ومن ثم اسلم أبو بكر الصديق، وبدأت الدعوة تنتشر بين الناس كالنار في الهشيم، بشكل سري وغير معلن مقتصرة على الأهل والأصحاب، حتى بلغ عدد المسلمين في تلك المرحلة أربعين شخصاً.

ويذكر صاحب الطبقات « دعا رسول اللهﷺ، إلى الإسلام سِرًّا وجَهْرًا. فاستجاب لله مَن شاء من أحداث الرّجال وضُعفاء النّاس حتى كثر مَن آمن به وكُفّارُ قريش غير منكرين لما يقول. فكان إذا مَرّ عليهم في مَجالسهم يشيرون إليه أن غلام بنى عبد المطّلب لَيُكَلِّم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه. وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكُفر، فَشَنِفوا لرسول الله ﷺ عند ذلك وعادَوْه»(١١).

لم تكن بدايات الدعوة بالأمر الهين وعلى الرغم من كونها سرية إلا أن قريش استشعرت بها، وسمعت بها إلا أنها في بادئ الأمر لم تكترث لها الى أن اخذ القرآن الكريم يصف آلهة المشركين ويبطلها ومن هنا كانت بدايات الإيذاء للنبي ﷺ فكان أول هذا الأمر أن قامت قريش بعد أن علمت بتمسك عم النبيﷺ أبا طالب (رضوان الله عليه)، قد تمسك بالرسول الكريم ﷺ ولم يخذله أن عرضوا عليه عمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له «فِيمَا بَلَغَنِي– يَا أَبَا طَالِبٍ، هَذَا عُمَارَةُ ابْنُ الْوَلِيدِ، أَنْهَدُ فَتَى فِي قُرَيْشٍ وَأَجْمَلُهُ، فَخُذْهُ فَلَكَ عَقْلُهُ وَنَصْرُهُ، وَاتَّخِذْهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ، وَأَسْلِمْ إِلَيْنَا ابْنَ أَخِيكَ هَذَا، الَّذِي قَدْ خَالَفَ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ، وَفَرَّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ، فَنَقْتُلَهُ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَبِئْسَ مَا تَسُومُونَنِي! أَتُعْطُونَنِي ابْنَكُمْ أَغْذُوهُ لَكُمْ، وَأُعْطِيكُمْ ابْنِي تَقْتُلُونَهُ! هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا»(١٢).

فكانت بدايات قريش تجاه الرسول بداية سوء، إذ أرادوا قتله ﷺ من خلال إغراء أو إجبار عمه أبو طالب (رضوان الله عليه) على تركه لقريش، وهو ما رفضه عمه (رضوان الله عليه) جملة وتفصيلاً.

المطلب الثاني: جهاد النبي ﷺ في مرحلة الدعوة العلنية:

بدأت الدعوة العلنية للبعثة النبوية في السنة الثالثة منها وتحديداً عند نزول قوله جل وعلا ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٤–٩٥]، فكانت هذه الآية الكريمة بمثابة أمر إلهي بضرورة بدء الدعوة العلنية، وانتهت بهجرة الرسول الكريم ﷺ الى المدينة المنورة، وفي هذه المرحلة زادت قريش من تنكيلها للمسلمين، ومضايقاتها للرسول الكريم ﷺ، ولم تكن مضايقات فحسب بل حاولت عدة مرات قتل الرسول ﷺ، فكان جهاد الرسول في تلك المرحلة هو جهاد بالنفس من خلال ما تعرض له، فضلاً عن جهاده الفكري من خلال نشر ما أنزل عليه من الله جل جلاله، ومن ثم تعليمه للصحابة رضوان الله عليهم.

ولعل أشد الجهاد الذي بذله الرسولﷺ في تلك المرحلة جهاده في شعاب بني طالب، عندما فرض المشركون حصاراً على النبي الكريم ﷺ ومن معه من المسلمين، فضلاً عن أن هذه الفترة شهدت وفاة أم المؤمنين (خديجة) رضوان الله عليها، ووفاة عمه (أبو طالب(رضوان الله عليه)، وفي نفس العام، مما ولد حزن كبير للرسولﷺ، وبوفاة أبي طالب (رضوان الله عليه) نالت قريش من النبيﷺ من الأذى بعد وفاته ما لم تنله به في حياته(١٣).

كذلك فقد جاهد الرسول قومه من الكفار وما اخذوا يكيلونه عليه من ألقاب واتهامات بحقه، بغية صرف الناس عن الرسالة النبوية الكريمة، فتارة يوصف بالشاعر وتارة يوصف بالمجنون، وقد جاء القرآن الكريم ليبين كيل التهم التي وجهت الى الرسول الكريم ﷺ بقوله جل وعلا ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦]، وقوله جل وعلا ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾، فكان صبره ﷺ على إيذاء قومه شكل من إشكال الجهاد في سبيل الله، فلولا الدعوة التي أوكلت إليه لم يكن ليتعرض لهذا(١٤).

كذلك ما شهده الرسول من عداء سادات قريش له، ومحاولاتهم إيذائه ويتجلى ذلك بموقف أبو جهل حين قال مخاطباً قريش «هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه. فأتى رسول الله ﷺ، وهو يصلي ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ قال: إن بيني وبينه لخندقا من نار»(١٥).

ولعل اشد أنواع الإيذاء التي تعرض لها الرسول هو ما تعرض من عمه أبو لهب، فتذكر كتب السيرة إن النبي ﷺ، وبينما هو يدعو الناس في سوق ذي المجاز ويخبرهم ﷺ: «يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. وإذا رجل خلفه يرميه؛ قد أدمى ساقيه وعرقوبيه، ويقول: أيها الناس، إنه كذاب فلا تصدقوه»(١٦).

المبحث الثالث: جهاد النبي ﷺ في المدينة المنورة:

اتسعت رقعة الجهاد في المدينة المنورة، لاسيما بعد تعاظم التحديات والتي باتت تواجه الدين الإسلامي، وتحوله من دعوة دينية مقتصرة على مدينة بعينها وهي مكة، الى دعوة أممية تشمل كل الأمم، مما جعل النبي ﷺ نصب أعين أعداءه، ويمكن تقسيم أوجه الجهاد النبي في تلك المرحلة الى ثلاث أوجه الوجه الأول هو جهاده ضد المنافقين، ممن اعتنقوا

الإسلام في المدينة المنورة ولم يكن الإسلام قد بلغ قلوبهم بعد، وجهاده ضد اليهود والذين كانوا يقيمون بحصون قرب المدينة المنورة، أما الوجه الثالث فجهاده المشركين العرب، والمتمثلين بقريش ومن التف حولهم في معركة الخندق.

المطلب الأول: جهاد النبي ﷺ للمنافقين:

وفي موضوع جهاد المنافقين خاطب الله جل وعلا رسوله الكريم ﷺ بالآية ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، فكان النبيﷺ يصبر على أذى المنافقين؛ فمن الحوادث التي وقعت بالمدينة وكان للمنافقين دور بارز فيها ما حدث يوم حنين، فقد «آثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ(١٧).

فأعطى ﷺغنائم حنين الكثيرة الضخمة الى سادات القبائل، وأشراف القبائل؛ تأليفًا لهم وهم أناس حدثاء عهد بالإسلام، إذ كانﷺيخشى عليهم، فأراد أن يثبتهم على الدين الإسلامي، وأن يبلغ الدين محله في قلوبهم ونفوسهم، فضلاً عن أنه ﷺ ابتغى أن يكف شر أناس منهم وجلبهم الى الدين الحق، فاغدق عليهم العطاء، ومن هؤلاء الناس أناس عرفوا بعدواته ﷺ والتأليب عليه، فكان رد الرجل بكون هذه القسمة غير عادلة، أثر كبير على الرسولﷺوهي عبارة غاية في الكفر وأدمت قلب النبيﷺ نت الاتهام الموجه إليه من كون الرسول ﷺغير عادل، وحاشا للرسول من ذلك، وهذا اتهام باطل جملة وتفصيلاً، لاسيما وان هذه الكلمة تثير في نفوس المسلمين الكثير من التساؤلات الباطلة مثل عدم العدل، والمحاباة، والتقسيم على الهوى، وهي كلها كلمات خطيرة وبعيدة عن واقع شخصية الرسول الكريم ﷺ. فضلاً عن الأفكار التي تحملها من التفريق بين المجتمع الإسلامي والذي عمد الرسول الكريمﷺ الى بنيانه بناء صحيح ورصين وهو ما يتجلى في قوله ﷺ «مثل الْمُؤْمِنِينَ فِي توادهم وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الْجَسَد إِذا اشْتَكَى مِنْهُ عضوا تداعى لَهُ سَائِر الْجَسَد بالسهر والحمى»(١٨).

كما أن الحديث في هذه المواضيع يسهم في فت عضد المسلمين وتفتيت وحدتهم، مما يجعلهم لقمة سائغة لأعداهم من المشركين والكفار.

مؤامرات وخطط وأشياء فيها فتّ من عضد المسلمين، التهوين من شأن النبوة، كانت تبلغ للنبي عليه الصلاة والسلام ليتعامل معها؛ لأنه لا بدّ من اتخاذ موقف لا يُسكت عليه، منكر عظيم لا يُسكت عليه، هذه ليست نميمة، هذه الآن نصرة لله ورسوله، التبليغ هنا نصرة؛ لأن هذا المنكر لا بدّ من إيقاف صاحبه عند حده، لا يمكن السكوت على أصحاب هذه المقالات، لا بدّ من رد ومعالجة، فأتيتُه، فأخبرته بما قال هذا الرجل المنافق، هذه قسمة مُا عدل فيها، وما أريد بها وجه الله.

وكان رد الرسولﷺ حازماً لخطورة الكلام فقال ﷺ« فَمَنْ يَعْدِلُ، إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ، قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ، فَقُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا»(١٩).

كذلك في موقعة تبوك وحين أخلف الرسولﷺ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) استغل المنافقون هذه الحادثة، إدراكاً منهم لأهمية علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالنسبة للإسلام فضلاً عن معرفة مكانته الشريفة في قلب الرسول الكريمﷺ فعمدوا الى القول (استثقله) ليضعوا أسفين في بيت النبوة المطهرة، فقَالَ رسول الله ﷺ: كذبُوا، إِنَّمَا خلفتك لما تركت ورائي، فَارْجِع فَاخْلُفْنِي فِي أَهلِي وَأَهْلك، فَأَنت مني بِمَنْزِلَة هَارُون من مُوسَى، إِلَّا أَنه لَا نَبِي بعدِي»(٢٠).

و كان الإمام عليّ (عليه السلام) ممّن ثبتَ مع رسول اللهﷺ يوم أُحُدٍ حين انهزم النّاس، وبايعه على الموت، كما وبعثه رسول الله ﷺبسريّة إلى بني سعد بفَدَك في مائة رجل، وكان معه(عليه السلام) إحدى رايات المهاجرين الثلاث يومَ فتح مكّة، وبعثه الرسول الكريم ﷺ بسريّة إلى الفُلْس إلى قبيلة طَيّئ، فضلا عن أن الرسول الكريم ﷺ بعثه إلى اليمن، ولم يتخلّف الإمام علي (عليه السلام) عن رسول الله ﷺفي غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك إذ خَلّفه الرسول الكريم ﷺ في أهله، ولا يمكن عد هذا تخلفاً وإنما امتثال لأوامر الله ورسوله(٢١).

ولعل من أبرز ما آذى الرسولﷺ من المنافقين عبد الله بن سلول والذي كاد نفاقه أن يشعل حرب أهلية بين الأنصار والمهاجرين، إذ أن رسول ﷺ لما خرج في غزوة تبوك نزل في منصرفة منزلا قليل الماء، وكان عبد الله بن أبي بن سلول رجلا شريفا مطاعا في قومه، وكان يضرب قبته وسط العسكر فيجتمع إليه قومه من الخزرج، ومن كان على مثل رأيه من المنافقين. فاجتمع الناس على بئر كانت في ذلك المنزل قليلة الماء، وكان في العسكر رجل من المهاجرين يقال لها: جهجهان بن وبر، فأدلى دلوه وأدلى معه رجل يقال له: سنان بن عبد الله من الأنصار فتعلق دلوه بدلو جهجهان، فتواثبا وأخذ جهجهان شيئا فضرب به رأس ابن سنان فشجه شجة موضحة، وصاح جهجهان إلى قريش والمهاجرين. فسمع عبد الله بن أبي بن سلول نداء المهاجرين فقال: ما هذا؟! قالوا: جهجهان ينتدب المهاجرين وقريشا على الخزرج والأوس، فقال: أو قد فعلوها؟

قالوا: نعم، قال: أما والله لقد كنت كارها لهذا المسير، ثم أقبل على قومه فقال لهم: قد قلت: لا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا ويخرجوا عنكم، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

ولما سمع زيد بن أرقم ذلك جاء إلى رسول ﷺ وكان ابن أرقم أصغرهم سنا فيمن كان في مجلس عبد الله ابن أبي بن سلول، فقال زيد، يا رسول الله قد علمت حال عبد الله بن أبي بن سلول فينا وشرفه ولا يمنعني ذلك أن أخبرك بما سمعت ثم اخبره بالخبر(٢٢).

فأمر رسول الله ﷺ بالمسير فقال أصحابه: والله ما هذا وقت مسير، وإن ذلك الأمر حدث، ولما بلغ الأنصار ما قاله زيد بن أرقم لرسولﷺ حق به سعد بن عبادة وقال: يا رسول اللهﷺ إن زيد بن أرقم كذب على عبد الله بن أبي بن سلول وإن كان عبد الله قال شيئا من هذا فلا تلمه فان كنا نظمنا له الجزع اليماني تاجا له لنتوجه فيكون ملكا علينا، فلما وافيت يا رسول الله رأى أنك غلبته على أمر قد كان استتب له.

ثم أقبل سعد على زيد فقال: يا زيد عمدت إلى شريفنا فكذبت عليه، فلما نزل رسول اللهﷺ المنزل الثاني مشى قوم عبد الله بن أبي بن سلول إليه فقالوا له: امض إلى رسول اللهﷺ حتى يستغفر لك، فلوى عبد الله بن أبي بن سلول عنقه واستهزأ، فلم يزالوا به حتى صار معهم إلى رسول الله ﷺ فحلف لرسول اللهﷺ أنه لم يقل من ذلك شيئا، وأن زيد بن أرقم كذب عليه.

فأنزل الله تعالى « ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] « إلى قوله جل وعلا ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦]»(٢٣).

لم يكتف المنافقين بإيذاء النبي في تلك الأساليب فقط بل عمدوا الى الطعن في عرض النبي الشريف ﷺ، وذلك بالافتراء على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بما عُرِفَ في السيرة النبوية بـ(حادثة الإفك)، والذي كان القصد منه النيل من النبيﷺ ومن الدين الإسلامي الحنيف، ففي السنة الخامسة للهجرة النبوية المباركة، وفي شهر شعبان أجمع النبيُّ صلى ﷺ قتال بني المصطلق والتي عرفت باسم غزوة المريسيع(٢٤) ، فأخذ معه زوجه عائشة وأم سلمة رضوان الله عليهما وكان أن وهذا السفر الذي سقط فيه عقد عائشة رضي الله عنها (٢٥).

فلمّا فرغ رسولُ الله ﷺ من هذه الغزوة (المريسيع) قفل راجعاً إلى المدينة المنورة، وفي طريق عودته نزلت عائشة رضي الله عنها من هَوْدَجِها لبعض شأنها، فلما عادت افتقدت عقداً لها، فرجعت تبحث عنه، وحمل الرجال الهودج ووضعوه على البعير الخاص بها وهم يحسبون أنها فيه، وحين عادت رضي الله عنها لم تجد الرَّكْب، فمكثت مكانها تنتظر أن يعودوا إليها بعد أن يكتشفوا غيابها، وصادف أن مرَّ بها أحد أفاضل أصحاب النبيﷺ هو صفوان بن المعطل السلمي ، فحملها على بعيره، وأوصلها إلى المدينة المنورة(٢٦).

حمل المنافقون على هذه الحدث محامل عدة واتهموا فيه عرض النبيﷺ وكان على رأسهم زعيمهم عبد الله بن أبي بن سلول، ونسجوا حوله الإشاعات الكاذبة الباطلة، وعملوا على نشر الأكاذيب في المدينة المنورة بشأن الحادث، ومما فاقم

الأمر على الرسول الكريم ﷺانقطاع الوحي عن الرسول ﷺ لمدة شهر(٢٧)، مما زاد في آلامه، فكان جهاده جهاد صبر على ما قيل فيه وفي زوجه، من المنافقين. ثم نزل الوحي من الله عز وجل مُبرّئاً عائشة رضي الله عنها، وذلك في قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] وقد قال النبيﷺ لعائشة رضي الله عنها حين نزلت براءتها في هذه الآيات «أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك»(٢٨).

ثُمَّ خَرَجَ رسول اللهﷺ إِلَى النَّاسِ، فَخَطَبَهُمْ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ أَمَرَ بِمِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ، وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَحَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَكَانُوا مِمَّنْ أَفْصَحَ بِالْفَاحِشَةِ، فَضُرِبُوا حَدَّهُمْ(٢٩) .

لقد جاهد الرسول الكريم ﷺ المنافقين في المدينة المنورة جهاداً عظيماً لما ناله منهم من أذى، سواء في أهل بيته، أم في التشريعات والتقسيمات التي أقرها ووضعها، لاسيما وأن العصبيات القبلية المتمثلة بالقبائل الرئيسة في المدينة كانت لم تهدأ بعد، وقد عمل المنافقون عملهم في تعميق الخلاف بين المهاجرين والأنصار، لا بل عملوا على التأثير على بيت النبوة مستغلين إخلاف النبي الكريم(ص) للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في المدينة.

المطلب الثاني: مجاهدة الرسول لليهود:

كان المجتمع المدني يتكون من قبائل مختلفة وأديان متنوعة، وجدت فيها الوثنية، واليهودية وقلة من النصارى، ومن قبائل اليهود القوية بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة، وكانت تسكن في قلاع منفصلة خاصة بها، وكانت تمتلك مالا وافرا نتيجة لعملها بالتجارة وكذا التعامل بالربا، أما من ناحية موقفهم من الإسلام ومن نبينا محمد بن عبد الله ﷺ، فلم يختلف اليهود كثيرًا عن المشركين، في إيذائهم للرسول الكريم ﷺ، وفي إذكاء الفتنة بين المسلمين وتحديداً بين المهاجرين والأنصار، فبعد أن عاهدهم رسول الله ﷺ ووفّى بعهدهم، وأحسن معاملتهم، ماكان منهم إلا الإساءة، ونكران الجميل، والتقوّل على الله ورسولهﷺ وعلى المؤمنين، ومحاولة تشكيك المسلمين فيما يعتقدونه من الحق، وقد صبر عليهم رسول الله ﷺ كثيرًا، وتغاضى عن الكثير من أخطائهم، ولم يعاقبهم عليها رغم فداحتها، إلا أن الأمر بلغ حدًّا لا يُطاق، وأصبح من الحكمة بمكان أن يتمّ اتخاذ موقفٍ حازمٍ إزاء ما يفعله اليهود (٣٠).

بنو قينقاع

بدأت قبائل اليهود في نقض العهود الواحدة تلو الأخرى ويذكر ابن هشام « أَنَّ امْرَأَةً مِنْ الْعَرَبِ قَدِمَتْ بِجَلَبٍ لَهَا، فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَجَلَسَتْ إلَى صَائِغٍ بِهَا، فَجَعَلُوا يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا، فَأَبَتْ، فَعَمِدَ الصَّائِغُ إلَى طَرَفِ ثَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إلَى ظَهْرِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوْأَتُهَا، فَضَحِكُوا بِهَا، فَصَاحَتْ. فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ يَهُودِيًّا، وَشَدَّتْ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ، فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعَ»(٣١).

واليهود بهذا الفعل الفاحش، وهذه الجريمة التي ارتكبوها، أصبحوا ناقضين لعهدهم مع رسول الله ﷺ، وقد قبل الرسولﷺ بإجلائهم وهو على استطاعة تامة أن يقتلهم جميعًا، وما فعله الرسول ﷺمن قبول الاكتفاء بإجلائهم عن المدينة يُعَدُّ عفوًا عظيمًا عن أناسٍ يستحقون القتل لنقضهم العهد، واعتدائهم على حرمات المسلمين، وتمالئهم على ذلك.

بنو النضير:

أن بني النضير من اليهود غدروا به بعد مهادنة كانت بينه وبينهم، فأرسل اليهم بعد أن سار اليهم ونزل عليهم: أنكم غدرتم بي ونقضتم الصلح الذي كان بيني وبينكم، ومع هذا يصعد عمرو بن جحاش ليطرح عليّ صخرة ليقتلني حتى أطلعني الله على ذلك، / فاخرجوا من حواريّ. فأرسل اليهم عبد الله بن أبي بن سلول بغير واحد من أصحابه يشجعهم ويقول لهم: لا تخرجوا من دياركم فأنا معكم ومن ورائكم، فإن قاتلكم محمد قاتلنا معكم ونصرناكم، وإن أخرجكم خرجنا معكم، فأطلع الله نبيّه على ذلك، فقال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ

أَخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ [الحشر: ١١-١٢]، فتلا رسول الله صلّى الله عليه وسلم هذه على الناس وأخبرهم بما كان من المنافقين وبما أسرّوه إلى اليهود ونادى بفضحهم، ثم أخرج بني النضير من ديارهم وأجلاهم فلم يخرج معهم عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه كما ضمن لهم وقد قاتلهم النبيّ صلّى الله عليه وسلم فما نصروهم(٣٢).

إن الخيانة التي تسري في دماء اليهود قد دفعتهم إلى هذه الجريمة التي لا عقاب لها إلا القتل جزاءً وفاقًا على ما دَبّروا، ومع ذلك فقد حقن رسول الله ﷺ بعدما مكّنه الله عز وجل من رقابهم، وقذف في قلوبهم الرعب – وأجلاهم خارج المدينة، وتلك رحمة غير مسبوقة، ونادرة الحدوث من غير المسلمين في التاريخ البشري.

بنو قريظة:

ولم يعاقب رسول الله ﷺ باقي يهود المدينة غير بني النضير، ولم يؤاخذهم بجُرم إخوانهم الذين أرادوا قتله، فقد كان بالمدينة يهود بني قريظة وكانوا على عهد وميثاق مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين، أن يدافعوا مع المسلمين ضد أي عدوٍ يهاجم المدينة، ولكنّهم خانوا المسلمين في أشد المواقف حرجًا، فقد راسلوا الأحزاب المتجمّعة حول المدينة، والآتية من مكة وما حولها لغزو المدينة واستباحتها، وتأكد الرسول ﷺ من صحة هذا الأمر. فما رواه سعيد بن المسيب رحمه الله: فبينما هم كذلك إذ جاءهم نعيم بن مسعود الأشجعي، وكان يأمنه الفريقان، كان موادعًا لهما، فقال: إني كنت عند عيينة بن حصن وأبي سفيان إذ جاءهم رسول بني قريظة: أن اثبتوا فإنا سنخالف المسلمين إلى بيضتهم أي أن اليهود يعدون الأحزاب إن خرج المسلمون إلى قتالهم أن يعتدي اليهود على نساء المسلمين وذراريهم وأموالهم وهو معنى مخالفة المسلمين إلى بيضتهم. فهي إذن خيانة عظمى من هذه الفئة التي كانت على عهد وميثاق مع الدولة الإسلامية، ثم هي في أحلك الظروف تنقض العهد، وتتعاون مع العدو المهاجم من خارج الدولة(٣٣).

يهود خيبر:

أما يهود خيبر؛ فقد تحالفوا مع من جاءهم من يهود بني النضير كحيي بن أخطب، وكنانة ابن أبي الحقيق وهَوذة بن قيس الوائلي، وَكَانَتْ يَهُودُ خَيْبَرَ لَا يَظُنُّونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَغْزُوهُمْ لِمَنَعَتِهِمْ وَحُصُونِهِمْ وَسِلَاحِهِمْ وَعَدَدِهِمْ. كَانُوا يَخْرُجُونَ كُلَّ يَوْمٍ عَشْرَةَ آلَافِ مُقَاتِلٍ صُفُوفًا ثُمَّ يَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ يَغْزُونَا؟ هَيْهَاتَ! هَيْهَاتَ! وَكَانَ مَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْيَهُودِ يَقُولُونَ حِينَ تَجَهَّزَ النَّبِيّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ(٣٤).

وخرج هؤلاء إلى قريش يدعوهم للتجمع والتحزب لاستئصال المسلمين في غزوة الأحزاب، ثم خرجوا إلى غطفان؛ فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وجعلوا لهم ثمر خيبر سنةً، إنْ هم نصروهم، وأخبروهم أنّ قريشًا قد تابعوهم على ذلك، واجتمعوا معهم فيه، ثم خرجت يهود إلى بني سُلَيْم فوعدوهم المسير معهم إذا خرجت قريش.. لقد كانوا – إذن – العقل المدبر لتحالف الأحزاب ضد المسلمين. وعندما فرغ رسول الله ﷺ من أمر قريش وأمن جانبها بصلح الحديبية تفرّغ ليهود خيبر وحاربهم.

المطلب الثالث: جهاد المشركين

إستراتيجية العمل مع المشركين في ذلك الوقت داخل الدولة في الحالة السلمية كانت إيصال الدعوة وحسن الجوار، وتجنب الصدام بقدر المستطاع، بل التعاون في القضايا المشتركة هو الأساس، ولنلقِ نظرة على مشركي المدينة، وكيف كان تعامل رسول الله ﷺ معهم.

المشركون في المدينة

قرر بعض المشركين الخروج من المدينة لما دخلها رسول الله ﷺ، وكان من هؤلاء (أبو عامر الفاسق) الذي كان معروفًا بأبي عامر الراهب، الذي كان قد قرّر أن يخرج عند دخول الرسول ﷺ إلى المدينة، ودار بينه وبين الرسول ﷺ حوارًا أوضح فيه ما في داخله، وقرر الخروج من المدينة. واسمه أبو عامر عبد عمرو بن صَيْفِيّ الأوسيّ، وهو أبو الصحابي الجليل (حنظلة

بن أبي عامر) غَسِيلُ الملائكة الذي استشهد في غزوة أُحُد(٣٥).

وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ قَدْ خَرَجَ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قومه حَتَّى قَدِمَ بِهِمْ مَكَّةَ حِينَ قَدِمَ النَّبِيّ ﷺ، فَأَقَامَ مَعَ قُرَيْشٍ وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ مُحَمَّدًا ظَاهِرٌ فَاخْرُجُوا بِنَا إِلَى قوم نوازرهم فَخَرَجَ إِلَى قُرَيْشٍ يُحَرِّضُهَا وَيُعْلِمُهَا أَنَّهَا عَلَى الْحَقِّ، وَمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ بَاطِلٌ، فَسَارَتْ قُرَيْشٌ إِلَى بَدْرٍ وَلَمْ يَسِرْ مَعَهَا، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أُحُدٍ سَارَ مَعَهَا، وَكَانَ يَقُولُ لِقُرَيْشٍ: إِنِّي لَوْ قَدِمْتُ عَلَى قَوْمِي لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ رَجُلَانِ، وَهَؤُلَاءِ مَعِي نَفَرٌ مِنْ قَوْمِي وَهُمْ خَمْسُونَ رَجُلًا. فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ وَطَمِعُوا بِنَصْرِهِ(٣٦).

كان هذا الرجل يدَّعي أنه راهب، وأنه على دين الحنيفية، ولبس المسوح، وادَّعى هذا العلم أيام الجاهلية. لما ذهب الرسول ﷺ للمدينة المنوّرة ذهب إليه أبو عامر الراهب، وبدأ يحاوره، قال أبو عامر: ما هذا الدين الذي جئت به؟ قال ﷺ: «جِئْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ». قال الراهب: فأنا عليها. فقال ﷺ: «إِنَّكَ لَسْتَ عَلَيْهَا». أي أن هناك تحريفًا كبيرًا جدًّا في الديانة التي هو عليها. قال أبو عامر: بلى عليها، إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها. فقال ﷺ: «مَا فَعَلْتُ، وَلَكِنِّي جِئْتُ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً». قال الراهب: الكاذب أماته الله طريدًا وحيدًا غريبًا(٣٧).

وهو بقوله ذلك يُعرّض برسول الله ﷺ ويتهمه بالكذب، وأن الله عزوجل سيميته طريدًا وحيدًا غريبًا، إلا أن رسول الله ﷺ ردَّ عليه بكل ثباتٍ قائلاً: «أَجَلْ، مَنْ كَذَبَ فَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ذَلِكَ». فكان أبو عامر الراهب كذلك؛ فبعد هذا الحوار بينه وبين رسول الله ﷺ، وبعد أن رأى أبو عامر المهاجرين والأنصار متحمسين للرسول ﷺ ويتعاملون معه كزعيم للمدينة المنوّرة، بعد أن رأى ذلك لم يستطع أن يجلس في المدينة، وخرج من المدينة، وسماه الرسول ﷺ بأبي عامر الفاسق، بدلاً من أبي عامر الراهب. عاش أبو عامر الفاسق هذا في مكة المكرمة ثماني سنوات إلى أن جاء الفتح الإسلامي لمكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة، فهرب من مكة واتجه إلى الطائف، وحين أسلمت الطائف في سنة تسع من الهجرة، هرب من الطائف، وعاش في الشام، وهناك مات طريدًا وحيدًا غريبًا. وكان كل من خرج من المدينة بضعة عشر رجلاً.

فمن ذلك ما رواه البخاريُّ أن رسول الله ﷺ ركب على حمار، وأردف أسامة بن زيد وراءه، وذهب ليعود سعد بن عبادة وهو من سادات الخزرج، كان ذلك في أول أيام المدينة المنوّرة قبل بدر وقبل إسلام عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، فمر ﷺ على مجلس وكان بالمجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وكان المسلمون يختلطون بمن هم غيرهم من المشركين وأصحاب الديانات الأخرى الموجودة في المدينة المنورة ولكنهم لا يتأثرون بشركهم، ولا آثامهم، ولا معاصيهم. وهو ما جاء في قوله ﷺ «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى آذَاهُمْ، أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُهُمْ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»(٣٨).

فمرَّ رسول الله ﷺ على هذا المجلس، وكان من المسلمين في المجلس عبد الله بن رواحة، وكان من الجالسين أيضًا عبد الله بن أُبيّ ابن سلول سيد الخزرج، فلما مرّ حمار رسول الله ﷺ على القوم غبَّر فقال عبد الله بن أُبيّ ابن سلول يرفع صوته على رسول الله ﷺ يقول: لا تغبروا علينا(٣٩). قالها بشيءٍ من الحدة، إنه يوضح أنه غاضب من رسول الله ﷺ، وبداخله حقد يبدو من كلماته تلك، ولكن الرسول ﷺ تجاهل هذه الكلمة، ولم يهتم بها ونزل من على حماره، وسلم عليهم، ثم وقف ودعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم من القرآن الكريم، فهو ﷺ ما كان يترك رجلاً ولا قبيلة ولا مجموعة من الناس، إلا وعرَّفهم بدعوته، وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أُبيّ ابن سلول – وهو يتميز من الغيظ –: أيها المرء –مخاطباً الرسول الكريم ﷺ، إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقًّا، ولكن لا تؤذنا به في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة – وهو مسلم –: بلى يا رسول الله، ألا فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك. وهكذا دافع ابن رواحة(رض) عن رسول الله ﷺ، على عكس عبد الله بن أُبيّ ابن سلول تمامًا، فاستَبَّ المسلمون والمشركون واليهود، وقامت معركة كل فريق يناصر واحدًا منهم، فريق المسلمين مع عبد الله بن رواحة، وفريق المشركين مع عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، لكن اللطيف في الرواية هو موقف اليهود، فعلى الرغم من أن اليهود لم يسبهم أحد، أو يتحدث معهم، إلا أنهم وجدوها فرصة لإثارة الفتنة، حتى كادت تقوم بينهم معركة بالسيوف، فلم يزل النبي ﷺ يُخَفِّضُهم

حتى سكنوا.

وذهب الرسول الكريم ﷺ إلى سعد بن عبادة أحد زعماء الخزرج، فقال له: «أرأيت الذي فعل أبو حباب (يريد عبد الله بن أُبيّ ابن سلول)، قال كذا وكذا». فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله، اعفُ عنه واصفح، فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، لَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ، فَلَمَّا أَبَى اللهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ. فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللهِ(٤٠) .

كان احتمال النبيﷺ على الأذى الموجه إليه من مشركي المدينة كبير، ولاسيما من رؤوس الشرك فيها، إذ كان هؤلاء يرون أن الرسول منافس لهم في الملك، مما جعلهم يحيكون الدسائس ضد الرسول الكريم ﷺ وضد المسلمين.

جهاد المشركين خارج المدينة:

اتسم الجهاد الذي خاضه الرسول الكريم ضد المشركين خارج المدينة بكونه اعلى أنواع الجهاد ألا وهو الجهاد بالروح والنفس، إذ خاض الرسول الكريم ﷺ معارك وغزوات بنفسه ضد المشركين وكان من ابرز هذه المعارك معركة بدر، وأحد، والخندق، فاشترك في هذه المعارك ﷺبصورة مباشرة بصفته القائد والنبي للمسلمين ففي معركة بدر كان أخذ النبي على عاتقه تحريض المسلمين على القتال، والاشتراك في المعركة بنفسه، وفي معركة احد وعندما اشتد وطيس المعركة لم ينسحبﷺ بل ظل يقاتل المشركين حتى جرح وجهه وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَهُشِّمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ وَأَنْزَلَ اللهُ جل وعلا قوله ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥](٤١) .

الخاتمة:

واجه الرسول الكريمﷺ شتى أنواع الأذى في سبيل الله جل وعلا، منذ بدء الدعوة الى أن توفاه الله جل وعلا في السنة الحادية عشر للهجرة المباركة، وشهد الرسول الكريم كافة أوجه الجهاد في سبيله، ابتداء من الجهاد في النفس والمال، والجهاد بالأهل، فضلاً عن الاصطبار على الأذى الذي لحق بهﷺمن قومه ومن ثم من المنافقين واليهود في المدينة.

فسطرت السيرة النبوية المعطرة كافة دروس الجهاد، وكل معانيه، فكان ﷺ يضرب لنا الأمثال تلو الأمثال في جهاد المشركين والكفار، وجهاد النفس والصبر على الشدائد والأزمات.

والمتتبع للسيرة النبوية المطهرة يجد أن هذه الصعاب والخطوب لم تغير من خلق النبي الكريم شيء فبقي كما وصفه الله جل وعلا بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فبقي ﷺرحيماً بين قومه لا بل حتى مع أعدائه ولعل الأمثلة التي ضربها ﷺ حين أوصى المسلمين بضرورة حسن معاملة الأسير خير الأمثلة على ذلك.

الهوامش:

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ٣/٣٨٦.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م: ٢/٤٦٠.

(٣) الشيخ الركابي، الجهاد في الإسلام، دراسة موضوعية تحليلية تبحث بالدليل العلمي الفقهي عن الجهاد وعناصره في التنزيل والسنة، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت– لبنان، ١٩٩٧: ١٤.

(٤) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: ٦٣.

(٥) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م: ٤/٢٦٩.

(٦) المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري، المحقق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ: ٦/ ٣٥٤.

(٧) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م: ٨٠.

(٨) التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م: ٧٤.

(٩) وهو الّذي كان يتحنّث فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل الوحي، وفيه نزل عليه جبريل أوّل ما أوحي إليه وفيه بشّره بالنبوّة. وبينه وبين مكّة ميل ونصف، وهو جبل منفرد على طريق حنين من مكّة، وهو منيف صعب المرتقى لا يصعد إلى أعلاه إلّا من موضع واحد في صفاة ملساء. والموضع الّذي نزل فيه جبريل عليه السّلام في أعلاه من مؤخّره، ينظر: المسالك والممالك، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢ م: ٤٠٢/١.

(١٠) صلاح الدين نامق، الدعوة السرية وفقهها، مجلة العلوم الإسلامية، المجلد الأول، العدد الثاني، ٢٠١١: ١٧١.

(١١) الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ)، المحقق: الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م: ١٦٩/١.

(١٢) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م: ٢٦٧/١.

(١٣) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ «بَحْرَق» (ت ٩٣٠هـ)، دار المنهاج – جدة، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ: ١٩٣.

(١٤) تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم: ٣٥٩٥/٦.

(١٥) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م: ١٢٢/١.

(١٦) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٤م: ١٣٠/٢٩.

(١٧) صحيح مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي – القاهرة (وصوّرتْها: دار إحياء التراث العربي – بيروت): ٧٣٩/٣.

(١٨)خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة – لبنان – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م: ٨٨١/٢.

(١٩) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م: ١٦٠/١١.

(٢٠) سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي: ٤٥/١.

(٢١) الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ)، المحقق: الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م: ٢١/٢.

(٢٢) بحار الانوار، العلامة المجلسي، ٨١/٩٠.

(٢٣) بحار الانوار، العلامة المجلسي، ٨٢/٩٠.

(٢٤) المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩: ٤٢٦/٢.

(٢٥) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م: ٢١٢/١.

(٢٦) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ: ١٨٨/٣.

(٢٧) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م: ٢١٥/١.

(٢٨) صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ١٠٦/٦.

(٢٩) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م: ٣٠٢/٢.

(٣٠) رحمة للعالمين، محمد سليمان المنصورفوري (ت ١٣٤٨هـ)، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى: ٨٨.

(٣١) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ): ٤٧/٢.

(٣٢) تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي (ت ٤١٥هـ)، دار المصطفى – شيرا– القاهرة، الطبعة: –: ٤٩٠/٢.

(٣٣) المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات – دار التأصيل (هذه الطبعة الثانية أُعيد تحقيقها على ٧ نسخ خطية)، دار التأصيل، الطبعة: الثانية، ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٣ م: ٤٢/٦.

(٣٤) مغازي الواقدي، المصدر السابق: ٦٣٧/٢.

(٣٥) البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي (ت نحو ٣٥٥هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد: ٢٠٥/٤.

(٣٦) الواقدي، مغازي الواقدي، المصدر السابق: ٢٠٥/١.

(٣٧) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م: ٢٠٤/١٠.

(٣٨) السنن الكبير، أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ – ٤٥٨ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور / عبد السند حسن يمامة)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م: ٢٤٥/٢٠.

(٣٩) تاريخ المدينة لابن شبة، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (ت ٢٦٢هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة، ١٣٩٩ هـ: ٣٥٦/١.

(٤٠) صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني: ٣٨/٦.

(٤١) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩: ٣٥٨/٧.

المصادر:

١- ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

٢- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٣- ابن شبة عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (ت ٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة لابن شبة، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة، ١٣٩٩ هـ.

٤- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٥- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٤م.

٦- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.

٧- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.

٨- الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢ م.

٩- البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني.

١٠- البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١١- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ – ٤٥٨ هـ)، السنن الكبير، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور / عبد السند حسن يمامة)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

١٢- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

١٣- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

١٤- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

١٥- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٦- الزهيري، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبير، المحقق: الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة

– جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
١٧– الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم.
١٨– الشيخ الركابي، الجهاد في الإسلام، دراسة موضوعية تحليلية تبحث بالدليل العلمي الفقهي عن الجهاد وعناصره في التنزيل والسنة، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت– لبنان، ١٩٩٧.
١٩– صلاح الدين نامق، الدعوة السرية وفقهها، مجلة العلوم الإسلامية، المجلد الأول، العدد الثاني، ٢٠١١.
٢٠– الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات – دار التأصيل (هذه الطبعة الثانية أُعيد تحقيقها على ٧ نسخ خطية)، دار التأصيل، الطبعة: الثانية، ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٣ م.
٢١– الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٢٢– المجلسي، محمد باقر المجلسي، (١١١٠)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: لجنة من العلماء، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.
٢٣– محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ «بَحَرق» (ت ٩٣٠هـ)، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، دار المنهاج – جدة، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.
٢٤– المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري، المحقق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ.
٢٥– المعتزلي، تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد آبادي، أبو الحسين المعتزلي (ت ٤١٥هـ)، دار المصطفى – شبرا– القاهرة، الطبعة.
٢٦– مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.
٢٧– المقدسي، المطهر بن طاهر المقدسي (ت نحو ٣٥٥هـ)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
٢٨– المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
٢٩– المنصورفوري، محمد سليمان المنصورفوري (ت ١٣٤٨هـ)، رحمة للعالمين، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى.
٣٠– النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٣١– النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ–١٩٩٨م.
٣٢– النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، المحقق: حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة – لبنان – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٣٣– النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، أبو الحسين، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي – القاهرة (وصَوّرتْها: دار إحياء التراث العربي – بيروت).
٣٤– الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩.

دور القنوات التلفزيونية الفضائية في نشر الوعي البيئي في محافظة ذي قار
دراسة مسحية على طلبة جامعة ذي قار

م. م. أسماء يوسف راضي
جامعة ذي قار /كلية الزراعة والاهوار



للستخلص:
هدفت هذه الدراسة إلى تقييم وفهم الدور المحوري الذي تلعبه القنوات التلفزيونية الفضائية كوسيلة إعلامية رئيسية في تشكيل ونشر الوعي البيئي بين شريحة مهمة من المجتمع، وهم طلبة جامعة ذي قار. وسعت الدراسة كذلك إلى تحديد طبيعة المحتوى البيئي الذي يُقدم عبر هذه القنوات والأشكال المعرفية التي تتحقق لدى الجمهور المستهدف.
لتحقيق هذه الأهداف، اعتمد البحث على المنهج الوصفي المسحي، واستُخدمت الاستبانة كأداة أساسية لجمع البيانات الميدانية. شملت عينة الدراسة ٢٥٠ طالباً وطالبة من طلبة المرحلة الرابعة في مختلف كليات جامعة ذي قار، تم اختيارهم بطريقة عشوائية منتظمة. وقد امتد الإطار الزمني للدراسة بين ١ نوفمبر ٢٠٢٤ و ١ يناير ٢٠٢٥.
أبرز النتائج الرئيسية:
* الاعتراف بتأثير الإعلام: أقرّت الغالبية العظمى من المبحوثين (٨٨٪) بأن لوسائل الإعلام مساهمة واضحة وكبيرة في جهود نشر الوعي البيئي.
* جاذبية المحتوى: أظهر ٧٨٪ من الطلبة أن لديهم اهتماماً وميلاً لمتابعة المواضيع البيئية التي تُعرض على الشاشات الفضائية.
* تقييم الأداء الفعلي: بالرغم من الاعتراف بالتأثير، جاء تقييم (٦٦٪) من المبحوثين لدور وسائل الإعلام في نشر الوعي البيئي بأنه «مقبول»، مما يشير إلى وجود فجوة بين الإمكانات والواقع.
* تفضيل الأشكال الإعلامية: كشفت النتائج عن تفضيل واضح لـ «التقارير» (٤٠٪) و«الفيديوهات» (٣٦٪) كأكثر الأشكال إثارة للاهتمام.
الإشباعات المعرفية: احتلت الإشباعات «الاجتماعية» (٥٠٪) المرتبة الأولى من حيث ما تحققه وسائل الإعلام، في حين رأى ٨٦٪ من الطلبة أن أهم قدرة معرفية اكتسبوها هي «زيادة الوعي البيئي».
دور العوامل الذاتية: أشارت نتيجة لافتة إلى أن ٦٨٪ من المبحوثين لا يوافقون على أن اهتمامهم الشخصي بالبيئة هو نتاج مباشر لما قدمته وسائل الإعلام، مما يفتح الباب لافتراض تأثير عوامل أخرى.
توصيات الدراسة:
بناءً على النتائج، أوصت الدراسة بضرورة العمل على رفع مستوى الأداء الإعلامي من خلال:
* تأهيل الكوادر: إعداد إعلاميين متخصصين ومؤهلين بشكل كافٍ للعمل في مجال التوعية البيئية.
* التعاون المؤسسي: تعزيز التنسيق بين وسائل الإعلام والمؤسسات الحكومية المعنية بشؤون البيئة لإنتاج برامج تلفزيونية ذات أهداف واضحة ومحتوى هادف.
* توسيع التغطية: دعوة وسائل الإعلام المختلفة إلى تناول موضوع الوعي البيئي بصورة أوسع وأكثر كثافة، نظراً لأهميته الاستراتيجية.

الكلمات المفتاحية: القنوات الفضائية التلفزيونية، الوعي البيئي، جامعة ذي قار، دراسة مسحية، الإشباعات المعرفية

Abstract:
This study aimed to evaluate and understand the pivotal role played by satellite television channels as a primary media outlet in shaping and disseminating environmental awareness among a significant segment of society: students at the University of Dhi Qar. The study also sought to identify the nature of the environmental content presented through these channels and the cognitive outcomes achieved by the target audience.
To achieve these objectives, the research adopted a descriptive survey methodology, using a questionnaire as the primary tool for collecting

field data. The study sample consisted of 250 fourth-year students from various colleges at Thi-Qar University, selected using systematic random sampling. The study period extended from November 1, 2024, to January 1, 2025.

Key findings:

* Recognition of Media Influence: The vast majority of respondents (88%) acknowledged that the media makes a clear and significant contribution to efforts to raise environmental awareness.

* Appeal of Content: 78% of students indicated an interest in and inclination to follow environmental topics presented on satellite television.

* Assessment of actual performance: Despite acknowledging the impact, 66% of respondents rated the role of media in raising environmental awareness as «acceptable,» indicating a gap between potential and reality.

* Preference for media formats: The results revealed a clear preference for «reports» (40%) and «videos» (36%) as the most engaging formats.

Cognitive gratifications: "Social" gratifications (50%) ranked first in terms of what the media achieves, while 86% of students saw that the most important cognitive ability they acquired was "increased environmental awareness."

The Role of Subjective Factors: A striking finding indicated that 68% of respondents disagreed that their personal interest in the environment was a direct result of media portrayals, suggesting the influence of other factors.

Study Recommendations:

Based on the findings, the study recommended improving media performance through:

* Training personnel: Developing specialized and adequately qualified media professionals to work in the field of environmental awareness.

* Institutional cooperation: Enhancing coordination between media outlets and government institutions concerned with environmental affairs to produce television programs with clear objectives and meaningful content

* Expanding Coverage: Various media outlets are urged to address environmental awareness more broadly and intensively, given its strategic importance.

Keywords: Satellite TV channels, environmental awareness, University of Dhi Qar, survey study, cognitive gratification

المقدمة:

أصبحت البيئة من الموضوعات الأساسية التي توليها الكثيرّ من المجتمعات أهمية بالغة ، ذلك أن المجتمع في أي مكان هو الضحية الأولى في الحالات التي تتلوث فيها البيئة وتعتبر خطراً ، كما إن المجتمع هو المنتفع صحياً و نفسياً و اجتماعيا

عندما تتوافر شروط السلامة في بيئته , ولهذا فأن المجتمعات التي يرتفع فيها مستوى الوعي بالبيئة يرتفع فيها الاهتمام بما يزيد من سلامة البيئة ومما يقّلل من أخطارها , لهذا السبب، لم تعد الموضوعات البيئية حكراً على جهة واحدة، بل أصبحت محط أنظار الجميع؛ الحكومات، والجمعيات الأهلية، والمؤسسات الأكاديمية (مراكز الدراسات البيئية)، والمنظمات ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي, في الوقت الراهن، تولي وسائل الإعلام اهتماماً متزايداً بالقضايا البيئية، وتخصص محطات البث الإذاعي والتلفزيوني مساحات لنشر الوعي البيئي ومتابعة مستجدات هذه القضايا. لقد أسهمت الثورة التكنولوجية، المتمثلة في تطور وسائل الاتصال وشبكة الإنترنت والقنوات الفضائية، في تحويل العالم إلى قرية صغيرة، مما زاد من قوة الإعلام الفضائي والمنافسة بين القنوات على استقطاب الشباب بتقديم برامج اجتماعية، وثقافية، وعلمية متنوعة لكافة شرائح المجتمع.

ورغم الأصوات المتزايدة الداعية لحماية البيئة عالمياً، لا يزال التلوث واستنزاف الموارد يشكلان أبرز المشكلات التي تتطلب حلولاً جذرية. من هذا المنطلق، يبرز الدور المحوري للإعلام كصوت أساسي للدعوة إلى الحفاظ على البيئة، وبوصفه الأسلوب الأمثل للوصول إلى الجمهور لحثهم على المبادرة بحماية البيئة والحد من تلوثها.

بناءً على إدراك الباحثتين لأهمية الإعلام البيئي ودوره في التوعية والتثقيف والإرشاد، يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على دور وسائل الإعلام في نشر الوعي البيئي لدى طلاب جامعة ذي قار. يكتسب البحث أهميته من الدور الحيوي الذي يلعبه الوعي البيئي في حفظ الموارد وصيانتها.، ودوره الداعم لعملية التنمية، وأهمية التلفزيون كوسيلة اتصال رئيسية في تحقيق ذلك.

وقد اعتمدت الباحثتان المنهج الوصفي المسحي لدراسة أداء الوسيلة والرسالة الاتصالية. واستُخدمت الاستبانة كأداة بحثية لجمع البيانات ميدانياً من عينة من طلبة الجامعة واستطلاع آرائهم حول دور وسائل الإعلام. وقد حدد منهج البحث إطار المجتمع والعينة، وإجراءات جمع البيانات، وتصميم الاستبانة.

تنظيم البحث: تضمن البحث (الذي ركز على دور القنوات التلفزيونية الفضائية في نشر الوعي البيئي بمحافظة ذي قار) مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة احتوت على الاستنتاجات والتوصيات. تناول الفصل الأول الإطار المنهجي (مشكلة البحث، أهميته، أهدافه، منهجه، مجالاته، مجتمعه وعينته، وتعريف المصطلحات). فيما تناول الفصل الثاني الإطار النظري (مفهوم التوعية البيئية، أهميتها، أهدافها، ودورها في حل المشكلات). أما الفصل الثالث فقد خُصص للإطار الميداني، متضمناً تحليل وتفسير نتائج الاستبانة.

الفصل الاول:

الإطار المنهجي للبحث:

اولاً : مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في معرفة الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام ومنها القنوات التلفزيونية الفضائية في نشر الوعي البيئي في محافظة ذي قار بما إن القنوات التلفزيونية الفضائية تعتبر مؤسسة تربوية توجه الكثير من الرسائل التربوية إلى فئات كبيرة ومتنوعة من الجمهور في محافظة ذي قار وبالتالي فهي واسعة الانتشار ومن المهم دراسة دورها في نشر وتنمية الوعي البيئي, وبالتالي يمكن تحديد مشكلة البحث بالسؤال الآتي: ما الدور الذي تقوم فيه وسائل الاعلام في نشر الوعي البيئي في محافظة ذي قار؟

ثانياً : اهمية البحث :

تستمد أهمية البحث من أهمية الوعي البيئي للحفاظ على الموارد الطبيعية والبشرية ودوره في محافظة ذي قار الداعم لعملية التنمية وأهمية وسائل الإعلام كمؤسسة تربوية في نشر الوعي البيئي. وعلى الرغم من اهتمام الدولة ومؤسساتها بالبيئة وتخصيص وزارة لشؤون البيئة وجهود الجمعيات الأهلية والمنظمات الاقتصادية والاجتماعية التي تعمل في مجال البيئة ومراكز الدراسات البيئية التابعة للجامعات، إلا إن المشكلات البيئية تتزايد بشكل مستمر مخلفة الكثير من الآثار

السلبية على المجتمع وصحة افراده. وهذا دليل على وجود تقصير واضح لدى المؤسسات التربوية في ممارسة دورها في نشر الوعي البيئي بين أفراد المجتمع، إلا إن للقنوات التلفزيونية الفضائية دور كبير في هذا المجال بما أنها تعتبر إحدى أكبر المؤسسات التربوية في المجتمع بما تمتلكه من خواص الانتشار والاتساع في الرقعة الجغرافية وأيضاً لما لها من الخواص الفنية والتقنية واساليبها في مخاطبة الجماهير بكل أنواعهم وفئاتهم المختلفة.

ثالثاً : أهداف البحث :

يسّعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية :

اولاً : التعرف على دور القنوات التلفزيونية الفضائية في نشر الوعي البيئي في محافظة ذي قار .

ثانياً : التعرف على طبيعة الموضوعات التي تخص الوعي البيئي في القنوات التلفزيونية الفضائية .

ثالثاً : التعرف على أشكال الاشباعات المعرفية التي يُحققها القنوات التلفزيونية الفضائية في مجال الوعي البيئي في محافظة ذي قار .

رابعاً : منهج البحث :

يُعتبر هذا البحث وصفيًا من حيث طبيعته، ويُطبق المنهج المسحي الذي يسمح بفحص أداء كل من الوسيلة والرسالة الاتصالية، وفقًا لمتطلبات البحث. وينبغي على هذا المنهج أن يقتصر على البيانات الصريحة والواضحة الواردة في الوثيقة، دون محاولة استخلاص الاستنتاجات منها. وفي هذا الإطار، تُمثل صحيفة الاستبيان الأداة البحثية الرئيسية لدراسة الجمهور وأخذ آرائه حول [الوسيلة الاتصالية المحددة] بوصفها وسيلة فعالة في نشر الوعي البيئي في المجتمع، وقد طُبّق البحث ميدانيًا على عينة من طلبة جامعة ذي قار. وقد اشتملت الإجراءات المنهجية على تحديد مجتمع البحث وعينته، وأنواع ومصادر وطرق جمع البيانات، وتصميم استمارة الاستبيان.

خامساً : المجتمع المستهدف :

يتكون المجتمع المستهدف لهذه الدراسة من طلبة جامعة ذي قار ضمن مستوى)الدراسات الاولية) من الذكور والإناث للعام الدراسي (٢٠٢٤ – ٢٠٢٥) وتم اختيار عينة عشوائية منتظمة من مجتمع البحث , اذ تم اختيار(٢٥٠) طالب وطالبة من كلا الجنسين بواقع (١٥٠) ذكر و (١٠٠) انثى , وتحديداً من طلبة المرحلة الرابعة من جميع الاقسام كونهم أكثر نضجاً ووعياً والماماً بالمعلومات وتمكنهم من الإجابة عن استمارة البحث بشكل أفضل من طلبة المراحل الأخرى .

سادساً : مجالات البحث :

حدود البحث

تحددت مجالات هذا البحث على النحو التالي:

الحدود المكانية: اقتصر البحث على نطاق جامعة ذي قار.

الحدود الزمانية: امتدت الفترة الزمنية للبحث، والتي شملت استكمال الإجراءات الميدانية من توزيع استمارات الاستبيان وجمعها وتفريغ بياناتها وتحليلها، من تاريخ ١ نوفمبر ٢٠٢٤ حتى ١ يناير ٢٠٢٥.

الحدود البشرية: شملت عينة البحث الشباب الجامعي من طلبة المرحلة الرابعة، من كلا الجنسين، في جميع أقسام وكليات جامعة ذي قار.

سابعاً : إجراءات البحث :

١ – صدق الاستبانة

يُعد الصدق شرطًا أساسيًا لضمان جودة أي أداة بحث، حيث تكون الأداة صادقة وصالحة إذا كانت قادرة على قياس ما صُممت لقياسه بالفعل.( )

ولتحقيق أهداف الدراسة الحالية، اعتمدت الباحثتان على بناء استمارة استبيان كأداة لجمع البيانات. اشتملت هذه الاستبانة على مجموعة من الأسئلة المصممة خصيصًا لتعكس أهداف البحث والتركيز على الجوانب الرئيسية لموضوع

الدراسة.

للتأكد من صدق الأداة وصلاحيتها لموضوع البحث، استخدمت الباحثتان طريقة الصدق الظاهري. وقد أُجريت التعديلات اللازمة والمناسبة على الاستبانة بناءً على هذه الإجراءات.

ثبات الاستبانة( ) :

للتأكد من ثبات البيانات (Reliability) التي ستُجمع، اعتمدت الباحثتان على طريقة إعادة الاختبار (Test–Retest Method).

طُبقت الأداة على عينة عشوائية مكونة من عشرة مبحوثين، وهو ما يمثل (١٠٪) من حجم العينة الأصلية، وتمت إعادة تطبيقها عليهم بعد فترة زمنية مدتها أسبوعان.

وبناءً على هذه الإجراءات، حُسبت نسبة الاتفاق بين إجابات المبحوثين في التطبيقين، حيث أسفرت عن قيمة معامل ثبات (ارتباط) بلغت ٠,٩٠ . تُعد هذه القيمة مرتفعة جدًا، وتؤكد على الثبات العالي للمقياس، مما يشير إلى دقته وقدرته على جمع بيانات صالحة وموثوقة لتحقيق أهداف البحث.

.ثامناً : تحديد المصطلحات :

توضح الباحثتان المصطلحات الأساسية الآتية لضمان فهم سياق ومحتوى البحث بدقة:

١– القنوات الفضائية التلفزيونية. :–القنوات تعرف بانها وسائل اتصال فضائية تهدف الى ايصال الرسالة. ( )

٢. الدور (Role)

يُعرف الدور بأنه نمط من الأفعال أو السلوكيات المُنظمة التي يؤديها أو يمارسها فرد مُعين يشغل وضعًا اجتماعيًا محددًا، وذلك في إطار علاقته وتفاعله مع فرد أو أكثر.

٣. الوعي البيئي (Environmental Awareness)

يُقصد بالوعي البيئي إدراك الفرد لدوره في التفاعل مع البيئة، وهو إدراك يقوم على الإحساس العميق بالعلاقات والمشكلات البيئية. يتضمن هذا الوعي فهم آثار هذه المشكلات وأسبابها والوسائل الممكنة والمتاحة لحلها.

الفصل الثاني:

الاطار النظري للبحث:

اولاً أولاً: تعريف التوعية البيئية وأهميتها:

تُعرف التوعية البيئية بأنها برامج أو نشاطات تُوجه لعامة الناس أو لشريحة مُحددة بهدف توضيح وتعريف مفهوم أو مشكلة بيئية معينة. وتهدف هذه البرامج إلى خلق اهتمام وشعور بالمسؤولية تجاه البيئة، مما يقود إلى تغيير الاتجاهات والنظرة السلوكية، وإشراك الأفراد في إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات البيئية.

وتتمثل أهمية ودور التوعية البيئية في تنمية الوعي لدى الأفراد والجماعات، وإكسابهم المعرفة اللازمة، ومن ثم تغيير سلوكهم نحو البيئة. هذا التغيير يتحقق بمشاركتهم الفعّالة في تحديد المشكلات البيئية ومنع الأخطار، من خلال تنمية مهاراتهم في متابعة القضايا البيئية والإدارة البيئية التي تدعم التطور دون المساس بالبيئة، وصولاً إلى تحقيق التنمية المستدامة.

ثانياً: أهداف التوعية البيئية

تهدف التوعية البيئية، خاصة في مجال التلوث البيئي، إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الرئيسية:

* تزويد الفرد بالمعرفة والمهارة والالتزام الكافي لتحسين البيئة والمحافظة عليها، بما يضمن تحقيق التنمية المستدامة.
* تحسين نوعية معيشة الإنسان من خلال تقليل أثر التلوث على صحته.
* تطوير أخلاقيات بيئية لتصبح بمثابة الرقيب الذاتي على سلوك الإنسان عند تعامله مع البيئة.
* تفعيل دور الجميع في المشاركة باتخاذ القرار مع مراعاة الظروف البيئية المتاحة.
* مساعدة الفرد في اكتشاف المشكلات البيئية واقتراح وإيجاد الحلول المناسبة لها.

* تعزيز السلوك الإيجابي لدى الأفراد في التعامل مع جميع عناصر البيئة.

ثالثاً: دور التوعية في حل المشكلات البيئية

تُساهم التوعية البيئية بشكل فعال في التخفيف من المشكلات البيئية عبر برامجها المختلفة. وقد أثبتت الدراسات أن فعاليتها تسير جنباً إلى جنب مع الوسائل الأخرى، حيث تُشكل التشريعات البيئية والبحوث العلمية والتوعية البيئية الوسائل المثلى لحماية البيئة.

إن البشرية بحاجة ماسة إلى أخلاق اجتماعية عصرية ترتبط باحترام البيئة، ولا يمكن الوصول إليها إلا عبر توعية حيوية تُوضح للإنسان مدى ارتباطه بالبيئة، وما يقابل هذه الحقوق من واجبات نحوها. لذلك، أصبح من الضروري تنمية الوعي البيئي لدى المواطنين للمحافظة على البيئة وصيانتها، والحد من المخالفات مثل الصيد الجائر أو عدم الالتزام بإجراءات الحماية في المشروعات الصناعية بالمناطق المأهولة. إن نشر الوعي البيئي بين المواطنين يؤدي إلى ترشيد النفقات التي تتحملها الدولة لحماية البيئة، كما يُسهم في تنمية السلوك الحضاري لديهم.

ويتطلب ذلك تكثيف جهود جميع الأجهزة المعنية بالبيئة من خلال حملات التوعية الإعلامية، ووضع برامج تدريبية للعاملين في هذا المجال، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات، والتوسع في مناهج حماية البيئة والمحافظة على الحياة الفطرية في جميع مراحل التعليم.

إن أهمية التوعية تكمن في قدرتها على خلق الوعي واكساب المعرفة لدى الأفراد والجماعات لتغيير اتجاههم وسلوكهم نحو البيئة، وإشراكهم في تحديد المشكلات ومنع الأخطار عبر تطوير المهارات في متابعة القضايا البيئية والإدارة البيئية التي تدعم التطور دون الإضرار بالبيئة.

كيفية تحقيق التوعية البيئية:

يتم تحقيق التوعية البيئية بشكل واضح ومباشر من خلال:

* وضع القوانين والسياسات والتشريعات والأنظمة البيئية التي تهدف إلى حماية البيئة، والحد من الأنشطة السلبية للإنسان عليها عبر السيطرة على التلوث والإدارة السليمة للمصادر الطبيعية وحماية النظام البيئي الحيوي.

* تحقيق التنمية المستدامة (الحماية + التطور = التنمية المستدامة)، حيث تتناغم عوامل اجتماعية (الصحة، العادات، القيم الدينية)، وبيولوجية (الحفاظ على النظام البيئي والمصادر الطبيعية)، واقتصادية (تلبية حاجات الإنسان الأساسية) لتشكيلها

* إجراء مسح شامل ورسم خريطة لمكونات البيئة في البلد لتوثيقها والاستفادة منها في وضع خطط تنموية مدروسة توازن بين الاستثمار والحماية.

* دعم الهيئات والجمعيات المتخصصة في حماية البيئة وتأسيسها في المدارس والجامعات عبر النشاط الأهلي والحكومي.

* إعداد مرجع خاص للثقافة البيئية ومجمع لمفاهيم البيئة والتربية البيئية، وتوفير الوسائل السمعية والبصرية لخدمة هذا الغرض.

* عقد ندوات في وسائل الإعلام وتنظيم لقاءات للخبراء لتبادل الخبرات ودراسة المشكلات الحالية والمستقبلية في هذا المجال، وإصدار موسوعة للتشريعات البيئية.

* دراسة البيئة المحلية ميدانياً لمسح الموارد والمؤسسات والمشكلات، وتكريم الرموز الذين أسهموا بجهد متميز في النهوض ببيئاتهم.

الفصل الثالث

الاطار الميداني للبحث (نتائج تحليل الاستبيانة)

يتضمن هذا الجزء من الدراسة عرض نتائج تحليل بيانات الاستبانة وتفسيرها. اعتمد التحليل على المعطيات التي جُمعت من استمارات الاستبيان الموزعة على عينة البحث في جامعة ذي قار. وقد نُظمت الإجابات في جداول إحصائية تشمل

التكرارات والنسب المئوية، وسيتم التعليق عليها لاستخلاص التفسيرات والدلالات المرتبطة باستجابات المبحوثين، وذلك على النحو التالي:

جدول رقم (١) يبين جنس المبحوثين

الجنس	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
ذكر	١٥٠	٦٠%	الاولى
انثى	١٠٠	٤٠%	الثانية
المجموع	٢٥٠	١٠٠%	

واضح من الجدول رقم (١) ان فئة الجنس (ذكر) جاءت بالمرتبة الاولى بتكرار(١٥٠) وفئة الجنس (أنثى) جاءت بالمرتبة الثانية بتكرار (١٠٠) وهذا يدل ان افراد العينة ٦٠٪ ذكور و ٤٠٪ اناث .

جدول رقم (٢) يبين مدى مساهمة وسائل الاعلام في نشر الوعي البيئي .

مساهمة التلفزيون في نشر الوعي البيئي	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
نعم	٢٢٠	٨٨%	الاولى
كلا	٣٠	١٢%	الثانية
المجموع	٢٥٠	١٠٠%	

تبين من الجدول رقم (٢) ان الاجابة (نعم) جاءت في المرتبة الاولى بتكرار (٢٢٠) ونسبة (٨٨٪) اما في المرتبة الثانية فقد جاءت (كلا) بتكرار (٣٠) ونسبة (١٢٪) ويتبين من خلال النتائج ان الاجابة (نعم) هي السائدة في هذا أي النسبة الاكبر من المبحوثين يرون ان وسائل الاعلام لها مساهمة كبيرة في نشر الوعي البيئي .

جدول رقم (٣) يبين اهتمامك بالبيئة ناتج عن ما يقدمه وسائل الاعلام من قضايا التوعية البيئية .

التلفزيون والتوعية البيئية	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
كلا	١٧٠	٦٨%	الاولى
نعم	٨٠	٣٢ %	الثانية
المجموع	٢٥٠	١٠٠%	

تبين من الجدول رقم (٣) ان الاجابة (كلا) جاءت في المرتبة الاولى بتكرار (١٧٠) ونسبة (٦٨٪) اما في المرتبة الثانية فقد جاءت (نعم) بتكرار (٨٠) ونسبة (٣٢٪) وهذا يدل ان الاجابة (كلا) هي السائدة في هذا السؤال وبذلك فأن النسبة الاكبر من المبحوثين يقولون ان اهتمامهم بالوعي البيئي ليس له علاقة بالتأثر بوسائل الاعلام

جدول رقم (٤) يبين هل لديك اهتمام في الوعي البيئي

الاهتمام بالوعي البيئي	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
نعم	٢١٠	٨٤%	الاولى
كلا	٤٠	١٦%	الثانية
المجموع	٢٥٠	١٠٠%	

تبين من الجدول رقم(٤) إن الإجابة (نعم) جاءت في المرتبة الأولى بتكرار (٢١٠) ونسبة (٨٤٪) أما في المرتبة الثانية فقد جاءت)كلا(بتكرار(٤٠) ونسبة (١٦٪) وهذا يدّل إن الإجابة)نعم(هي السائدة في هذا السؤال وبذلك فأن النسبة الأكبر من المبحوثين البالغة(٢١٠) من أصل (٢٥٠) أجاب بنعم .

جدول رقم (٥) يبين هل تستهويك المواضيع التي تخص الوعي البيئي في وسائل الاعلام

الانجذاب نحو مواضيع الوعي البيئي	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
نعم	١٩٥	٧٨%	الاولى
كلا	٥٥	٢٢%	الثانية
المجموع	٢٥٠	١٠٠%	

تبين من الجدول رقم (٥) ان الاجابة (نعم) جاءت في المرتبة الاولى بتكرار (١٩٥) ونسبة (٧٨٪) اما في المرتبة الثانية فقد جاءت (كلا) بتكرار (٥٥) ونسبة (٢٢٪) وهذا يدل ان الاجابة (نعم) هي السائدة في هذا السؤال أي ان اغلب المبحوثين تستهويهم المواضيع التي تخص الوعي البيئي المعروضة في وسائل الاعلام .

جدول رقم (٦) يبين طبيعة الموضوعات التي تخص الوعي البيئي في وسائل الاعلام .

طبيعة المواضيع البيئية في التلفزيون	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
التقارير	١٠٠	%٤٠	الاولي
الفيديوهات	٩٠	%٣٦	الثانية
الصور	٤٠	% ١٦	الثالثة
الاخبار	٢٠	%٨	الرابعة
المجموع	٢٥٠	%١٠٠	

تبين من الجدول رقم (٦) إن فئة)التقارير جاءت في المرتبة الأولى بتكرار(١٠٠) ونسبة(٤٠٪) وفي المرتبة الثانية فقد جاءت فئة)الفيديوهات(بتكرار (٩٠) ونسبة (٣٦٪) اما فئة) الصور(فقد جاءت في المرتبة الثالثة بتكرار(٤٠) ونسبة (١٦٪) وفي المرتبة الرابعة والأخيرة جاءت فئة)الإخبار(بتكرار(٢٠) ونسبة (٨٪) وتبين من ذلك إن فئة)التقارير) و) الفيديوهات(هي السائدة في هذا السؤال أي إن النسبة الأكبر من المبحوثين تثيرهم التقارير والفيديوهات التي يعرضها وسائل الاعلام والتي تخص الوعي البيئي وبنسبة متساوية تقريباً .

جدول رقم (٧) يبين تقييم المبحوثين لدور وسائل الاعلام في نشر الوعي البيئي.

دور التلفزيون في نشر الوعي البيئي	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
مقبول	١٦٥	%٦٦	الاولي
متوسط	٦٠	%٢٤	الثانية
ضعيف	٢٥	%١٠	الثالثة
المجموع	٢٥٠	%١٠٠	

تبين من الجدول رقم (٧) إن الإجابة)مقبول(جاءت في المرتبة الأولى بتكرار (١٦٥) ونسبة (٦٦٪) وفي المرتبة الثانية فقد جاءت)متوسط(بتكرار (٦٠) ونسبة (٢٤٪) أما)ضعيف(فقد جاءت في المرتبة الثالثة والاخيرة بتكرار (٢٥) ونسبة (١٠٪) ونلاحظ من خلال النتائج إن الإجابة)مقبول(و)متوسط(هي السائدة في هذا السؤال أي إن النسبة الأكبر من المبحوثين يقيمون دور وسائل الاعلام في نشر الوعي البيئي بالمقبول .

جدول رقم (٨) يبين أشكال الاشباعات المعرفية التي يحققها وسائل الاعلام في مجال الوعي البيئي .

أشكال الإشباعات المعرفية	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
اجتماعية	١٢٥	%٥٠	الاولي
اعلامية	٨٠	%٣٢	الثانية
نفسية	٤٥	%١٨	الثالثة
المجموع	٢٥٠	%١٠٠	

تبين من الجدول رقم (٨) إن فئة)اجتماعية) جاءت في المرتبة الأولى بتكرار (١٢٥) ونسبة (٥٠٪) وفي المرتبة الثانية فقد جاءت فئة) إعلامية) بتكرار (٨٠) ونسبة (٣٢٪) أما فئة)نفسية(فقد جاءت في المرتبة الثالثة والأخيرة بتكرار (٤٥) ونسبة (١٨٪) وهذا يدّل إن فئة)اجتماعية (و)إعلامية(هي السائدة في هذا السؤال .

جدول رقم (٩) يبين طبيعة الاشباعات الإعلامية التي يحققها وسائل الاعلام في مجال الوعي البيئي .

طبيعة الإشباعات الاعلامية	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
الاطلاع على الاحداث البيئية حول العالم	١٢٠	%٤٨	الاولى
التعرف على أخبار البيئة	٨٩	%٣٥,٦	الثانية
الالمام بمختلف الموضوعات البيئية	٤١	%١٦,٤	الثالثة
المجموع	٢٥٠	%١٠٠	

تبين من الجدول رقم (٩) إن الإجابة)الاطلاع على الأحداث البيئية حول العالم(جاءت في المرتبة الأولى بتكرار (١٢٠) ونسبة (٤٨٪) و في المرتبة الثانية فقد جاءت (التعرف على أخبار البيئة(بتكرار (٨٩) ونسبة (٣٥,٦٪) أما)الإلمام بمختلف الموضوعات البيئية فقد جاءت في المرتبة الثالثة والأخيرة بتكرار(٤١) ونسبة (١٦,٤٪) وهذا يدل إن الإجابة)الاطلاع على الأحداث البيئية حول العالم) و)التعرف على أخبار البيئة(هي السائدة في هذا السؤال .

جدول رقم (١٠) يبين القدرات المعرفية التي تحققها وسائل الاعلام في مجال الوعي البيئي.

القدرات المعرفية	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
زيادة الوعي البيئي	٢١٥	%٨٦	الاولى
زيادة رصيدك المعرفي المتعلق بالبيئة	٣٥	%١٤	الثانية
المجموع	٢٥٠	%١٠٠	

تبين من الجدول رقم (١٠) ان الاجابة (زيادة الوعي البيئي) جاءت في المرتبة الاولى بتكرار (٢١٥) ونسبة (٨٦٪) اما في المرتبة الثانية فقد جاءت (زيادة رصيدك المعرفي المتعلق بالبيئة) بتكرار (٣٥) ونسبة (١٤٪) وهذا يدل ان الاجابة (زيادة الوعي البيئي) هي السائدة في هذا السؤال .

الاستنتاجات

اولا : النتائج : توصل البحث الى عدد من النتائج هي :

١ – إن غالبية المبحوثين لا يوّافقون على أن اهتمامهم بالبيئة ناتج عن ما قُدمته وسائل الاعلام من قضايا التوعية البيئية .

٢ – إن غالبية المبحوثين لديهم اهتمام في الوعي البيئي .

٣ – إن غالبية المبحوثين تستهويهم الموضوعات التي تحث على الوعي البيئي في وسائل الاعلام .

٤ – إن غالبية المبحوثين تثير اهتمامهم التقارير التي تحث على نشر الوعي البيئي .

٥ – إن غالبية المبحوثين كان تقييمهم مقبول بالنسبة لوسائل الاعلام في نشر الوعي البيئي .

٦ – إن غالبية المبحوثين يعّتقدون إن التلفزيون ساهم في نشر الوعي البيئي .

٧ – إن غالبية المبحوثين يرّون إن الاشباعات الاجتماعية هي الأكثر في وسائل الاعلام في نشر الوعي الثقافي .

٨ – إن غالبية المبحوثين يرّون إن الاطلاع على الأحداث البيئية حول العالم من أهم الاشباعات الإعلامية التي حققتها وسائل الاعلام في مجال الوعي البيئي

٩ – إن غالبية المبحوثين يرّون إن زيادة الوعي البيئي من أهم القدرات المعرفية التي حّققتها وسائل الاعلام .

١٠ – إن غالبية المبحوثين يرّون إن الاهتمام بالبيئة المحيطة وتوعية الناس من أهم الجوانب الاجتماعية التي حّققها التلفزيون .

ثانيا : التوصيات :

إن التوصيات التي يرّى الباحثتانتان أهميتها هي :

١ – إعداد الإعلاميين المؤهلين للعمل في مجال الوعي البيئي .

٢ – التنسيق بين وسائل الإعلام والمؤسسات الحكومية التي تقدم خدمات في مجال الوعي البيئي لعمل برامج تلفزيونية الهدف منها التوعية البيئية .

٣ – تناول الباحثتانتانين بحوث ودوريات في مجال الوعي البيئي لأنه من المجالات التي تمس المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وخصوصا الدارسين في مجال الإعلام .

٤ – تناول موضوع الوعي البيئي بصورة أوسع وأكثف من قبل وسائل الإعلام المختلفة نظرا لأهميته .

المصادر والمراجع

١- ابراهيم احمد يونس , البيئة والتشريعات البيئية , دار المسيرة للنشر والتوزيع , عمان , ٢٠٠٥ .

٢ـ دسوقي ممدوح محمد , بحوث تطبيقية في مجالات خدمة الفرد , المكتب الجامعي الحديث , القاهرة , ٢٠٠٨ .
٣ـ ربيع عادل هادي ومشعان هادي, التربية البيئية , ط١ , النهار للنشر والتوزيع , عمان , ٢٠٠٦.
٤ـ رجاء وحيد دويدري , البحث العلمي : اساسياته النظرية وممارسته العلمية , دار الفكر , دمشق , ٢٠٠٠.
٥ـ رياض الجبان , البيئة والمجتمع (دراسة في علم اجتماع البيئة) , جامعة الاسكندرية , ٢٠٠٦.
٦ـ زين الدين عبد المقصود , الانسان والبيئة (علاقات ومشكلات) منشأة المعارف الاسكندرية , ١٩٨١ .
٧ـ ماجي حسين الحلواني , مقدمة في الفنون الاذاعية والسمعبصرية , مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح , القاهرة , ١٩٩٩.
٨ـ محمد منير حجاب , اساسيات البحوث الاعلامية والاجتماعية , دار الفجر للنشر والتوزيع , القاهرة , ٢٠٠٣.
٩ـ الوعي البيئي , منشور على شبكة المعلومات العالمية www.ahewer.org .

الملاحق

استمارة استبيان

الطلبة الاعزاء :

يرجى التفضل بملأ استمارة استبانة البحث عن (دور وسائل الاعلام في نشر الوعي البيئي لدى طلاب جامعة ذي قار) علما ان الاستمارة هي لأغراض البحث العلمي وسوف لن يطلع عليها احد سوى الباحثتانتان . مع التقدير

١ــ جنس المبحوثين

ذكر ☐ انثى ☐

٢ـ هل تسهم وسائل الاعلام في نشر الوعي البيئي

نعم ☐ كلا ☐

٣ــ هل اهتمامك بالعناية في البيئة ناتج عن ما تقدمه وسائل الاعلام من قضايا التوعية

نعم ☐ كلا ☐

٤ــ هل لديك اهتمام في الوعي البيئي

نعم ☐ كلا ☐

٥ــ هل تستهويك المواضيع التي تخص الوعي البيئي في وسائل الاعلام

نعم ☐ كلا ☐

٦ــ ما طبيعة المواضيع البيئية في وسائل الاعلام التي تثير اهتمامك والتي تخص الوعي

صور ☐ فيديوهات ☐ اخبار ☐ تقارير ☐

٧ــ ما هو تقييمك لدور وسائل الاعلام في نشر الوعي البيئي

متوسط ☐ مقبول ☐ ضعيف ☐

٨ ــ ماهي اشكال الإشباعات المعرفية التي حققتها وسائل الاعلام في مجال الوعي البيئي

اجتماعية ☐ اعلامية ☐ نفسية ☐

٩ــ ماهي طبيعة الإشباعات الاعلامية التي حققتها وسائل الاعلام في مجال الوعي البيئي

- التعرف على اخبار البيئة ☐
- الاطلاع على الاحداث البيئية حول العالم ☐
- الالمام بمختلف الموضوعات البيئية ☐

١٠ـ ماهي القدرات المعرفية التي حققتها وسائل الاعلام في الوعي البيئي

- زيادة رصيدك المعرفي المتعلق بالبيئة ☐
- زيادة الوعي البيئي ☐

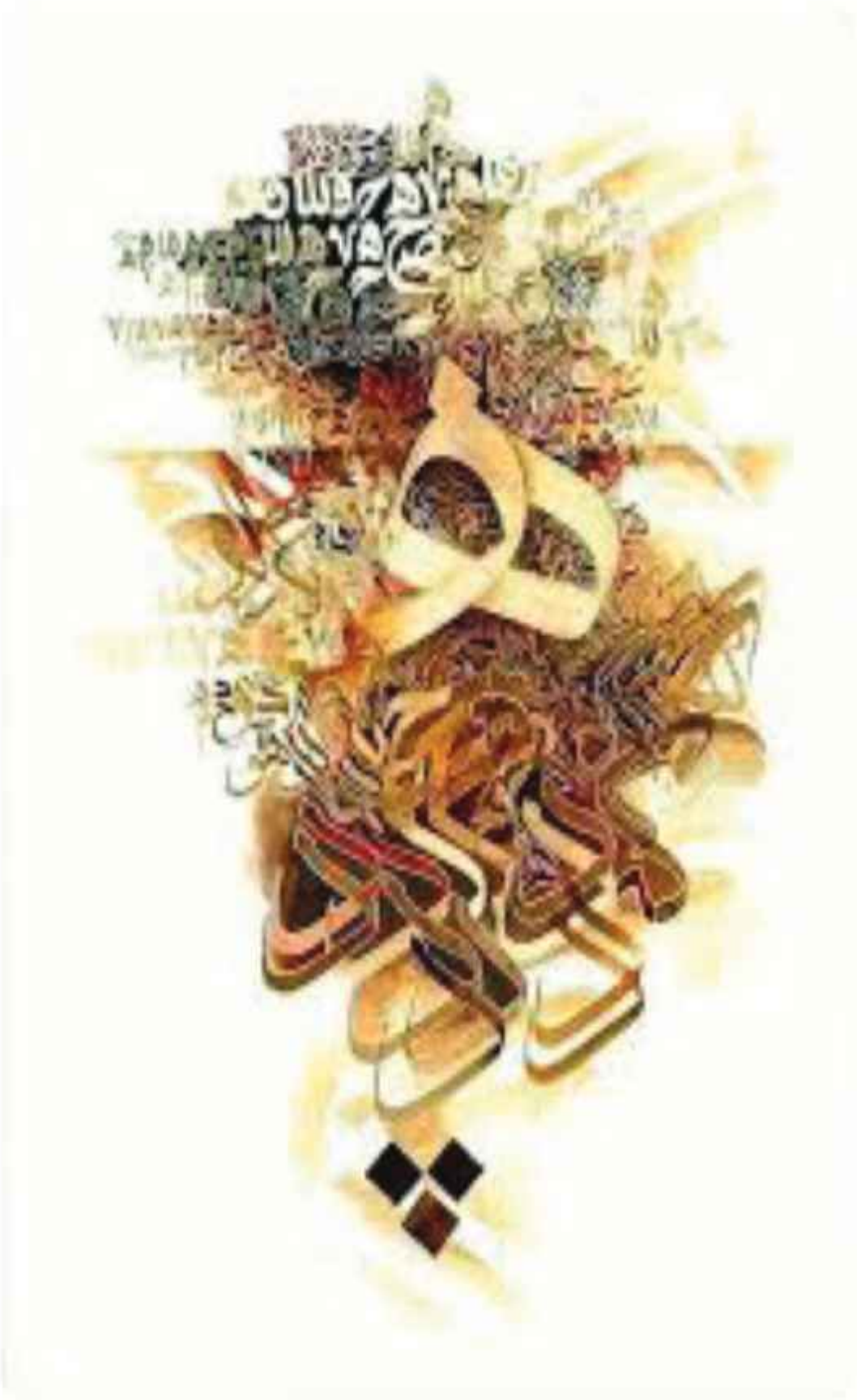

تأثير وسائل الإعلام على السياسة العامة في عصر المعلومات

م.م. رائد كريم خميس
جامعة واسط/ كلية التربية الأساسية



المستخلص:
يهدف هذا البحث إلى استكشاف تأثير وسائل الإعلام على السياسة العامة في عصر المعلومات، مع التركيز على كيفية تأثير وسائل الإعلام التقليدية والحديثة على تشكيل الرأي العام، صنع القرار السياسي، وتعزيز الشفافية والمساءلة. كما يبحث في التحديات المرتبطة بوسائل الإعلام، مثل انتشار الأخبار الكاذبة والتوازن بين حرية الإعلام والأمن الوطني.
الكلمات المفتاحية: وسائل الإعلام، السياسة العامة، الرأي العام، الشفافية

Abstract:
This research aims to explore the impact of media on public policy in the information age, focusing on how traditional and modern media influence public opinion, political decision-making, and the promotion of transparency and accountability. It also examines media-related challenges, such as the spread of fake news and the balance between media freedom and national security.
Keywords: Media, Public Policy, Public Opinion, Transparency

المقدمة:
في عصر المعلومات الحالي، أصبحت وسائل الإعلام عنصرًا حيويًا في تشكيل السياسة العامة وتوجيه العمليات السياسية. اذ تشهد وسائل الإعلام تحولًا سريعًا من النموذج التقليدي، مثل الصحافة المطبوعة والراديو والتلفزيون، إلى النموذج الحديث الذي يتضمن الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي. هذا التحول قد أثر بشكل كبير على الطريقة التي يتفاعل بها الجمهور مع القضايا السياسية وعلى كيفية اتخاذ القرارات السياسية.

المنهج: تم استخدام منهج تحليل المحتوى ومراجعة الأدبيات لدراسة تأثير وسائل الإعلام على السياسة العامة. شملت المنهجية تحليل دراسات حالة، مراجعة الدراسات الأكاديمية السابقة، واستعراض التقارير الإعلامية حول تأثير وسائل الإعلام في مختلف السياقات السياسية. كما تم جمع بيانات نوعية وكمية من مصادر متعددة تشمل الأبحاث الأكاديمية والمقالات الصحفية.

النتيجة: أظهرت نتائج البحث أن وسائل الإعلام تلعب دورًا حيويًا في تشكيل الرأي العام وصنع القرار السياسي من خلال التأثير على كيفية فهم الجمهور للقضايا السياسية. كما أن وسائل الإعلام تساهم في تعزيز الشفافية والمساءلة الحكومية، لكنها تواجه تحديات كبيرة مثل انتشار الأخبار الكاذبة. تحقيق التوازن بين حرية الإعلام والأمن الوطني هو أحد أكبر التحديات، حيث تحتاج الحكومات إلى تنظيم الإعلام دون المساس بالحقوق الأساسية للمواطنين.

أهمية البحث:
تتجلى أهمية هذا البحث في فهم تأثير وسائل الإعلام على السياسة العامة، وخاصةً في سياق تطور وسائل الإعلام واستخدامها في تشكيل الرأي العام واتخاذ القرارات السياسية. في الوقت الذي تتيح فيه وسائل الإعلام للأفراد والمنظمات التعبير عن آرائهم وتبادل المعلومات، فإنها أيضًا تمثل قوة مؤثرة يمكن أن تؤدي إلى تغييرات كبيرة في السياسات العامة. هذا البحث يهدف إلى تسليط الضوء على كيفية تأثير وسائل الإعلام في تشكيل وتوجيه السياسات العامة، بالإضافة إلى التحديات والمخاطر المرتبطة باستخدام وسائل الإعلام في هذا السياق.

تطور وسائل الإعلام وتأثيرها على السياسة العامة:
لقد شهدت وسائل الإعلام تطورًا ملحوظًا منذ بداية القرن العشرين، من الصحافة المطبوعة إلى ظهور الراديو والتلفزيون، ثم الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي. في كل مرحلة من مراحل هذا التطور، كانت وسائل الإعلام تلعب دورًا حاسمًا في تشكيل الرأي العام والتأثير على السياسات العامة. على سبيل المثال، في القرن العشرين، كانت الصحافة المطبوعة تلعب دورًا رئيسيًا في نقل الأخبار والتأثير على الرأي العام من خلال المقالات والتقارير الإخبارية. ومع ظهور الراديو والتلفزيون، أصبحت الأخبار تُنقل بسرعة أكبر وبطريقة أكثر جاذبية، مما أثر بشكل مباشر على كيفية إدراك الجمهور

للأحداث السياسية.

مع دخول الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي إلى المشهد الإعلامي، أصبح التأثير على السياسة العامة أكثر تعقيدًا. هذه الوسائل الجديدة أتاحت للأفراد والمنظمات فرصة أكبر للتعبير عن آرائهم ومشاركة المعلومات، مما أدى إلى ظهور تأثيرات جديدة على السياسة العامة. يمكن لوسائل التواصل الاجتماعي أن تساهم في تنظيم الحملات السياسية، تحفيز الحركات الاجتماعية، وحتى التأثير على نتائج الانتخابات من خلال نشر المعلومات والأخبار بسرعة كبيرة.

التحديات المرتبطة بوسائل الإعلام في السياسة العامة:

مع زيادة استخدام وسائل الإعلام في السياسة العامة، ظهرت أيضًا تحديات جديدة. أحد التحديات الرئيسية هو انتشار الأخبار الكاذبة والمعلومات المضللة. في عصر الإنترنت، يمكن لأي شخص نشر المعلومات دون التحقق من صحتها، مما يؤدي إلى انتشار الأخبار الكاذبة التي يمكن أن تؤثر على قرارات السياسة العامة بشكل كبير. إضافة إلى ذلك، فإن التوازن بين حرية الإعلام والحفاظ على الأمن الوطني يمثل تحديًا آخر. بينما تُعتبر حرية الصحافة حقًا أساسيًا، فإن هناك حاجة إلى تنظيم الإعلام لضمان عدم استخدامه كأداة لزعزعة الاستقرار أو نشر المعلومات التي قد تهدد الأمن الوطني.

سؤال البحث:

ما هو تأثير وسائل الإعلام على السياسة العامة في عصر المعلومات، وكيف يؤثر هذا التأثير على تشكيل الرأي العام وصنع القرار السياسي؟ وكيف يمكن لوسائل الإعلام أن تعزز الشفافية والمساءلة في السياسة العامة، وما هي التحديات المرتبطةباستخدامها؟

الفرضيات:

الفرضية الأولى: وسائل الإعلام الحديثة، مثل الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، تلعب دورًا أكبر في تشكيل الرأي العام مقارنة بوسائل الإعلام التقليدية، مما يؤثر بشكل مباشر على قرارات السياسة العامة.

الفرضية الثانية: توفر وسائل الإعلام منصة فعالة لتعزيز الشفافية والمساءلة في السياسة العامة من خلال الكشف عن الفساد ومراقبة أداء المسؤولين.

الفرضية الثالثة: الانتشار الواسع للأخبار الكاذبة والمعلومات المضللة يمثل تحديًا كبيرًا يؤثر سلبًا على فعالية وسائل الإعلام في تشكيل الرأي العام واتخاذ القرارات السياسي

الفرضية الرابعة: هناك توازن دقيق بين حرية الإعلام والأمن الوطني، حيث أن التنظيم المفرط للإعلام قد يقيد حرية الصحافة، بينما عدم التنظيم قد يؤدي إلى نشر المعلومات التي تهدد الأمن والاستقرار السياسي.

الأهداف:

١. تحليل تأثير وسائل الإعلام التقليدية والحديثة على السياسة العامة:

دراسة كيفية تأثير الصحافة المطبوعة، الراديو، التلفزيون، والإنترنت على تشكيل الرأي العام وصنع القرارات السياسية.

تقييم كيفية استخدام وسائل الإعلام لتوجيه النقاشات السياسية وتغيير السياسات العامة.

٢. استكشاف دور وسائل الإعلام في تعزيز الشفافية والمساءلة:

تحليل كيف تساهم وسائل الإعلام في كشف الفساد وتعزيز الشفافية الحكومية.

تقييم فعالية الصحافة الاستقصائية والإعلام الرقمي في متابعة ومراقبة أداء المسؤولين.

٣. تقييم التحديات المرتبطة بوسائل الإعلام:

دراسة تأثير الأخبار الكاذبة والمعلومات المضللة على السياسة العامة، وكيفية تأثيرها على القرارات السياسية والرأي العام.

تحليل التحديات المتعلقة بالتوازن بين حرية الإعلام والأمن الوطني، وتقديم اقتراحات لتحقيق توازن فعال بين الحقوق والحماية.

٤ – تقديم استراتيجيات لتحسين دور وسائل الإعلام في السياسة العامة:

اقتراح استراتيجيات لمكافحة الأخبار الكاذبة وحماية الديمقراطية.

استعراض السياسات الممكنة للتوازن بين حرية الإعلام وضرورات الأمن الوطني.

* خلفية تاريخية لوسائل الإعلام والسياسة العامة

المبحث الأول: تطور وسائل الإعلام وتأثيرها على السياسة العامة

المطلب الأول: نشأة وسائل الإعلام التقليدية وتطورها

الفرع الأول: الصحافة المطبوعة وأثرها على السياسة

منذ ظهور الصحافة المطبوعة في القرن السابع عشر، لعبت دورًا محوريًا في تشكيل السياسة العامة ونقل المعلومات إلى الجمهور. الصحف والمجلات، باعتبارها وسائط الإعلام الأساسية في تلك الفترة، ساهمت في نشر الأفكار السياسية وتعزيز النقاش العام حول القضايا السياسية والاجتماعية. على سبيل المثال، لعبت الصحافة في فترة الثورة الفرنسية دورًا كبيرًا في تحفيز الرأي العام ضد النظام الملكي، مما ساعد في تغيير مجرى الأحداث السياسية في ذلك الوقت.(١)

مع تطور الصحافة، بدأت الصحف تصبح أكثر تخصصًا، مما أتاح للقراء الحصول على معلومات دقيقة حول القضايا السياسية. تزامنًا مع ذلك، تطورت تقنيات الطباعة التي جعلت الصحافة أكثر وصولًا وانتشارًا، مما زاد من تأثيرها على الرأي العام وصناعة السياسة.(٢)

الفرع الثاني: الراديو والتلفزيون وتأثيرهما على اتخاذ القرارات السياسية

مع بداية القرن العشرين، أحدثت تقنيات الراديو والتلفزيون ثورة في عالم الإعلام. أصبحت الإذاعة والتلفزيون أدوات قوية لنقل المعلومات بسرعة إلى جمهور واسع، مما غير طريقة وصول الأخبار والسياسة إلى الناس.(٣)

أدى ظهور الراديو إلى تغيير المشهد الإعلامي من خلال تقديم الأخبار والتعليقات السياسية بشكل مباشر ومباشر. كما ساعد التلفزيون في تحقيق نفس التأثير ولكن من خلال الوسائط البصرية، مما سمح للمشاهدين برؤية الأحداث السياسية وتطوراتها بوضوح.(٤)

مثال على تأثير الراديو والتلفزيون على السياسة هو استخدام الرئيس الأمريكي فرانكلين ديلانو روزفلت للإذاعة لتقديم «خطاباته الودودة» التي ساعدت في بناء علاقة وثيقة بينه وبين الشعب الأمريكي خلال فترة الكساد الكبير.(٥)

المبحث الثاني: ظهور وسائل الإعلام الرقمية والتواصل الاجتماعي

المطلب الأول: الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي كقوى جديدة في السياسة

شهدت نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين بروز الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي كقوى مؤثرة في السياسة. أحدثت هذه التقنيات تحولاً جذرياً في كيفية توزيع المعلومات وتفاعل الجمهور مع القضايا السياسية.(٦)

من خلال المنصات الرقمية، أصبحت المعلومات تنتشر بشكل أسرع وأكثر شمولاً. كما أتاحت وسائل التواصل الاجتماعي للأفراد التفاعل مباشرة مع السياسيين والمشاركة في النقاشات العامة.(٧)

على سبيل المثال، لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورًا مهمًا في الاحتجاجات العربية في ٢٠١١، حيث استخدم المتظاهرون منصات مثل فيسبوك وتويتر لتنظيم احتجاجاتهم ونشر معلومات حول قضاياهم.(٨)

المطلب الثاني: التغيرات في طريقة نشر المعلومات وتفاعل الجمهور

أدت وسائل الإعلام الرقمية إلى تغييرات كبيرة في كيفية نشر المعلومات. أصبحت المعلومات متاحة على مدار الساعة، مما أثر على كيفية تلقي الجمهور للأخبار وتحليلها.(٩)

كما ساهمت هذه الوسائل في تسهيل الوصول إلى مصادر متنوعة للأخبار، مما أدى إلى زيادة التفاعل بين الجمهور وصناع السياسة. من خلال منصات التواصل الاجتماعي، يمكن للجمهور التعليق على الأخبار ومشاركة آرائهم، مما يزيد من تأثيرهم على صناعة السياسة.(١٠)

* تأثير وسائل الإعلام الحديثة على السياسة العامة

المبحث الأول: تأثير وسائل الإعلام على الرأي العام والسياسيين

المطلب الأول: تشكيل الرأي العام من خلال وسائل الإعلام

الفرع الأول: دور وسائل الإعلام في تشكيل توجهات الرأي العام

تلعب وسائل الإعلام الحديثة دورًا محوريًا في تشكيل الرأي العام من خلال نشر المعلومات والأخبار وتحليلها. مع ظهور الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، أصبحت المعلومات متاحة على نطاق واسع، مما يعزز من قدرتها على تشكيل وجهات نظر الأفراد حول القضايا السياسية.(١١)

وسائل الإعلام تؤثر في كيفية إدراك الناس للقضايا السياسية والاقتصادية من خلال تقديم الأخبار وتحليلها بطرق تؤثر في فهم الجمهور.(١٢)

الفرع الثاني: استخدام وسائل الإعلام لتوجيه النقاشات السياسية

تستخدم وسائل الإعلام لتوجيه النقاشات السياسية عن طريق تسليط الضوء على مواضيع معينة أو تقديم المعلومات بطرق تؤثر على كيفية مناقشتها بين الجمهور. الحملات الدعائية والإعلانات السياسية تلعب دورًا مهمًا في هذا المجال.(١٣)

وسائل الإعلام تساعد في توجيه النقاشات السياسية من خلال تعزيز بعض القضايا على حساب أخرى، مما يؤثر على كيفية مناقشة هذه القضايا بين الأفراد.(١٤)

المطلب الثاني: استجابة السياسيين لوسائل الإعلام

الفرع الأول: استراتيجيات التواصل السياسي عبر وسائل الإعلام

تعتمد استراتيجيات التواصل السياسي بشكل كبير على وسائل الإعلام الحديثة، مثل وسائل التواصل الاجتماعي والبث المباشر، لتفاعل السياسيين مع الناخبين ونقل رسائلهم السياسية. تستخدم الحملات السياسية هذه الوسائل للوصول إلى جمهور أوسع بشكل مباشر.(١٥)

تعتبر استراتيجيات التواصل من خلال الإعلام أدوات أساسية في السياسة الحديثة، حيث تساعد السياسيين على بناء صورة إيجابية والتفاعل مع الناخبين.(١٦)

الفرع الثاني: تأثير الضغوط الإعلامية على قرارات السياسيين

تتعرض قرارات السياسيين للضغوط الإعلامية بشكل متزايد، حيث يتعين عليهم التعامل مع ردود فعل الجمهور ووسائل الإعلام في الوقت الفعلي. وسائل الإعلام يمكن أن تلعب دورًا كبيرًا في تشكيل كيفية اتخاذ السياسيين لقراراتهم من خلال تسليط الضوء على قضايا معينة أو الضغط على صانعي السياسات.(١٧)

تظهر الدراسات أن استجابة السياسيين لضغوط الإعلام يمكن أن تؤدي إلى تغييرات في السياسات أو حتى في اتخاذ القرارات بناءً على كيفية تقديم وسائل الإعلام للمعلومات.(١٨)

* تأثير وسائل الإعلام الحديثة على السياسة العامة

المبحث الثاني: الشفافية والمساءلة في السياسة العامة بفضل وسائل الإعلام

المطلب الأول: دور وسائل الإعلام في تعزيز الشفافية الحكومية

الفرع الأول: تغطية القضايا السياسية والفضائح

تعتبر وسائل الإعلام الحديثة أداة أساسية في تعزيز الشفافية الحكومية من خلال تغطيتها للقضايا السياسية والفضائح. وسائل الإعلام تقوم بدور الرقابة على الأنشطة الحكومية والسياسية من خلال كشف الفساد والممارسات غير الشفافة.(١٩)

الفضائح السياسية مثل فضيحة ووترغيت في الولايات المتحدة، كانت مثالاً واضحاً على كيفية استخدام وسائل الإعلام للكشف عن الأنشطة غير القانونية وتعزيز الشفافية.(٢٠)

وسائل الإعلام تساهم في تعزيز الشفافية من خلال تقديم تقارير مفصلة حول الأنشطة الحكومية، مما يسمح للجمهور بمراقبة وتصحيح الأنشطة الحكومية غير المشروعة.(٢١)

الفرع الثاني: تأثير الصحافة الاستقصائية على السياسة العامة

تلعب الصحافة الاستقصائية دورًا حيويًا في تعزيز الشفافية والمساءلة من خلال البحث والتحقيق في القضايا التي قد تكون مغفلة من قبل وسائل الإعلام الأخرى. الصحافة الاستقصائية توفر تقارير مفصلة ومبنية على أدلة قوية، مما يساهم في الكشف عن الفساد والتحقق من المعلومات التي تقدمها الجهات الحكومية.(٢٢)

الدور الذي تلعبه الصحافة الاستقصائية في التأثير على السياسة العامة يظهر في كيفية تعاطي الحكومات مع القضايا بعد أن تتعرض للتدقيق الإعلامي. في بعض الحالات، أدت التحقيقات الصحفية إلى تغييرات في السياسات العامة وإجراءات إصلاحية داخل المؤسسات الحكومية.(٢٣)

* تأثير وسائل الإعلام الحديثة على السياسة العامة

المبحث الثاني: الشفافية والمساءلة في السياسة العامة بفضل وسائل الإعلام

المطلب الثاني: وسائل الإعلام والمساءلة الحكومية

الفرع الأول: مراقبة الأداء الحكومي وتحقيقات الرأي العام

تلعب وسائل الإعلام دورًا محوريًا في مراقبة الأداء الحكومي من خلال تغطيتها المستمرة للأداء العام والإبلاغ عن الانتهاكات والأداء الضعيف. تُسهم وسائل الإعلام في تحقيق الرأي العام من خلال تقديم معلومات حول كيفية إدارة الحكومة لشؤون الدولة، مما يعزز من المساءلة.(٢٤)

التحقيقات الصحفية والأخبار الاستقصائية تساهم في كشف المعلومات المتعلقة بسوء الإدارة أو الفساد، مما يؤدي إلى زيادة الضغط على المسؤولين الحكوميين لتحسين أدائهم أو اتخاذ إجراءات تصحيحية.(٢٥)

الفرع الثاني: تأثير الحملات الإعلامية على مساءلة المسؤولين

الحملات الإعلامية تلعب دورًا كبيرًا في تعزيز مساءلة المسؤولين من خلال تسليط الضوء على القضايا الهامة التي تتطلب التدخل الحكومي أو التغيير في السياسات. الحملات الإعلامية، مثل تلك التي تنظمها وسائل الإعلام للتنديد بالفساد أو سوء الإدارة، يمكن أن تخلق ضغوطًا على المسؤولين لتحسين أداءهم أو اتخاذ إجراءات إصلاحية.(٢٦)

وسائل الإعلام تستخدم حملات قوية لتسليط الضوء على قضايا معينة، مما يساهم في تحفيز ردود فعل عامة تتطلب من المسؤولين تقديم تفسيرات أو تغييرات في السياسات.(٢٧)

* التحديات والمخاطر المرتبطة بوسائل الإعلام في السياسة العامة

المبحث الأول: انتشار الأخبار الكاذبة والمعلومات المضللة

المطلب الأول: أسباب انتشار الأخبار الكاذبة

الفرع الأول: عوامل التكنولوجيا والألگوريثمات في تعزيز الأخبار الكاذبة

تلعب التكنولوجيا والألگوريثمات دورًا كبيرًا في تعزيز انتشار الأخبار الكاذبة والمعلومات المضللة. تساهم الألگوريثمات، التي تُستخدم في منصات التواصل الاجتماعي ومحركات البحث، في تحديد نوع المحتوى الذي يراه المستخدمون بناءً على اهتماماتهم وتفاعلاتهم السابقة.(٢٨)

تستفيد الأخبار الكاذبة من هذه الألگوريثمات لأن المحتوى المثير والمستفز عادةً ما يحقق تفاعلًا أكبر، مما يؤدي إلى انتشاره بسرعة أكبر بين المستخدمين. الدراسات أظهرت أن الأخبار الكاذبة يمكن أن تنتشر بشكل أسرع من الأخبار الصحيحة بسبب طبيعة الألگوريثمات التي تروج للمحتوى الأكثر جذبًا للانتباه.(٢٩)

الفرع الثاني: دور المصادر غير الموثوقة وتأثيرها على السياسة

تُعتبر المصادر غير الموثوقة، مثل المواقع الإخبارية المزيفة والمجموعات التي تنشر معلومات مضللة، جزءًا كبيرًا من المشكلة المرتبطة بالأخبار الكاذبة. هذه المصادر غالبًا ما تنشر معلومات مبنية على الأجندات السياسية أو الاقتصادية، مما يؤدي إلى تضليل الجمهور حول القضايا السياسية.(٣٠)

هذه المصادر قد تؤثر على السياسة من خلال نشر معلومات غير دقيقة التي يمكن أن تغير آراء الناس أو تعزز تصورات معينة عن الأحداث السياسية، مما يؤدي إلى نتائج سلبية على الوعي العام واتخاذ القرارات السياسية.(٣١)

المطلب الثاني: تأثير الأخبار الكاذبة على السياسة العامة

الفرع الأول: التأثير على القرارات السياسية والرأي العام

الأخبار الكاذبة تؤثر بشكل كبير على القرارات السياسية والرأي العام، حيث يمكن أن تقود إلى تشكيل آراء غير دقيقة حول القضايا السياسية. هذه الأخبار يمكن أن تُضلل الجمهور وتؤثر على كيفية استجابته للسياسات والقرارات الحكومية.(٣٢)

عند انتشار معلومات مضللة، يمكن أن يتأثر الرأي العام بشكل غير مباشر، مما يؤدي إلى تغييرات في توجهاته واستجابته للسياسات. الدراسات أظهرت أن الأخبار الكاذبة يمكن أن تعزز الانقسامات الاجتماعية وتزيد من الاستقطاب السياسي، مما يعقد عملية صنع القرار السياسي.(٣٣)

الفرع الثاني: استراتيجيات مكافحة الأخبار الكاذبة وحماية الديمقراطية

لمواجهة تأثير الأخبار الكاذبة على السياسة العامة وحماية الديمقراطية، تتبنى الحكومات والمؤسسات استراتيجيات متعددة. تشمل هذه الاستراتيجيات تحسين التعليم الإعلامي، وتعزيز الشفافية في وسائل الإعلام، وتطوير تقنيات للكشف عن الأخبار الكاذبة.(٣٤)

التعليم الإعلامي يُعتبر من الاستراتيجيات الأساسية لمساعدة الأفراد على التمييز بين المعلومات الموثوقة وغير الموثوقة. كما تسعى الحكومات إلى تطوير أدوات وتقنيات يمكنها الكشف عن الأخبار الكاذبة وتقييد انتشارها على وسائل الإعلام.(٣٥)

المبحث الثاني: تأثير الإعلام على الاستقرار السياسي

المطلب الأول: الإعلام كوسيلة للتحفيز أو التقويض

لفرع الأول: دور الإعلام في تحفيز الحركات الاجتماعية والمظاهرات

الإعلام، سواء كان تقليديًا أو حديثًا، يلعب دورًا حاسمًا في تحفيز الحركات الاجتماعية والمظاهرات. من خلال تسليط الضوء على القضايا الاجتماعية والسياسية، يمكن للإعلام أن يلهم الأفراد للانخراط في الحركات الاجتماعية ويحفزهم على المشاركة في المظاهرات.(٣٦)

مثال على ذلك هو دور وسائل الإعلام في الثورة العربية، حيث ساهمت المنصات الاجتماعية في تنظيم المظاهرات والترويج لقضايا الحقوق المدنية.(٣٧) وسائل الإعلام تسهم أيضًا في تعزيز حركات الاحتجاج من خلال توفير منصة للأصوات التي قد لا تُسمع في السياقات التقليدية، مما يمكن أن يؤدي إلى زيادة الضغط على الحكومات لاتخاذ إجراءات معينة.(٣٨)

الفرع الثاني: الإعلام كمصدر لزعزعة الاستقرار السياسي

من جهة أخرى، يمكن أن يكون للإعلام تأثيرات سلبية على الاستقرار السياسي من خلال نشر الأخبار الكاذبة والترويج لخطاب الكراهية. الإعلام يمكن أن يُستخدم كأداة لزعزعة الاستقرار من خلال إثارة الفتنة ونشر المعلومات المضللة التي تؤدي إلى تفاقم التوترات الاجتماعية والسياسية.(٣٩)

أمثلة على ذلك تشمل الحملات الإعلامية التي تستهدف تفرقة المجتمع أو التحريض على العنف، مما يؤثر على الاستقرار السياسي ويؤدي إلى عدم الاستقرار الاجتماعي. هذه الأساليب يمكن أن تسهم في تأجيج الصراعات وتعميق الانقسامات بين الجماعات المختلفة.(٤٠)

المطلب الثاني: التوازن بين حرية الإعلام والأمن الوطني

الفرع الأول: القوانين والسياسات لتنظيم الإعلام

تُعتبر القوانين والسياسات التي تنظم الإعلام جزءًا أساسيًا من التوازن بين حرية الإعلام والأمن الوطني. العديد من الحكومات تعتمد على تشريعات لتنظيم وسائل الإعلام بهدف الحفاظ على الاستقرار السياسي وضمان عدم استخدام الإعلام كأداة لنشر الفوضى أو التهديد للأمن الوطني.(٤١)

تتضمن هذه القوانين تنظيم المحتوى الإعلامي، مثل قوانين منع التحريض على العنف، قوانين مكافحة الأخبار الكاذبة،

وقوانين حماية الأسرار العسكرية والأمنية. تهدف هذه السياسات إلى الحد من التأثيرات السلبية التي قد تنجم عن نشر المعلومات التي قد تهدد الأمن الوطني أو تؤدي إلى زعزعة الاستقرار.(٤٢)

الفرع الثاني: التحديات القانونية والأخلاقية المتعلقة بحرية الصحافة

تواجه الحكومات تحديات كبيرة في تحقيق التوازن بين حرية الصحافة وحماية الأمن الوطني. من ناحية، يجب أن تضمن حرية الصحافة كحق أساسي في الأنظمة الديمقراطية، مما يسمح للصحفيين بنشر المعلومات وممارسة الرقابة على السلطة.(٤٣)

من ناحية أخرى، قد تواجه هذه الحرية تحديات قانونية وأخلاقية عندما يتطلب الأمر حماية الأمن الوطني أو الحفاظ على النظام العام. النقاش حول حدود حرية الصحافة يتضمن تساؤلات حول مدى إمكانية فرض قيود دون المساس بالحقوق الأساسية للمواطنين أو التأثير على حرية التعبير.(٤٤)

النتائج

بعد تحليل تأثير وسائل الإعلام على السياسة العامة في عصر المعلومات، يمكن استخلاص النتائج التالية:

١. تأثير وسائل الإعلام على الرأي العام وصنع القرار السياسي:

تشكيل الرأي العام: وسائل الإعلام تلعب دورًا حيويًا في تشكيل وتوجيه الرأي العام من خلال تقديم المعلومات وتحليل الأحداث السياسية. تستطيع وسائل الإعلام أن تؤثر على كيفية فهم الجمهور للقضايا السياسية وتشكيل اتجاهات الرأي العام تجاه السياسات والمبادرات الحكومية.

اتخاذ القرارات السياسية: التغطية الإعلامية يمكن أن تؤثر بشكل كبير على قرارات السياسيين من خلال زيادة الوعي بالقضايا، الضغط على صانعي القرار، وخلق بيئة من الشفافية أو الرقابة.

٢. الشفافية والمساءلة:

تعزيز الشفافية: وسائل الإعلام تساهم في تعزيز الشفافية الحكومية من خلال تغطية القضايا السياسية والفضائح. الصحافة الاستقصائية تلعب دورًا مهمًا في كشف الفساد وتحقيق المساءلة.

المساءلة الحكومية: الإعلام يعمل كأداة لمراقبة الأداء الحكومي، من خلال التحقيقات والتقارير التي تكشف عن سوء الإدارة أو الفساد. الحملات الإعلامية يمكن أن تؤدي إلى زيادة الضغط على المسؤولين لتصحيح الأخطاء.

٣. التحديات المرتبطة بوسائل الإعلام:

انتشار الأخبار الكاذبة: الأخبار الكاذبة والمعلومات المضللة تُمثل تحديًا كبيرًا، حيث تؤثر على استقرار السياسة العامة من خلال تغيير التصورات حول القضايا وتشكيل الرأي العام بطريقة مضللة.

التوازن بين حرية الإعلام والأمن الوطني: التحديات تكمن في تحقيق التوازن بين الحفاظ على حرية الصحافة وضمان عدم استخدام الإعلام لزعزعة الاستقرار السياسي. القوانين والسياسات يجب أن تُنظم الإعلام بشكل يضمن عدم المساس بالحقوق الأساسية مع الحفاظ على الأمن الوطني.

٤. دور الإعلام في الاستقرار السياسي:

تحفيز الحركات الاجتماعية :الإعلام يمكن أن يكون قوة دافعة للحركات الاجتماعية والمظاهرات من خلال توفير منصة للتعبير عن القضايا وتعزيز المشاركة العامة.

زعزعة الاستقرار: في المقابل، يمكن للإعلام أن يسهم في زعزعة الاستقرار السياسي من خلال نشر الأخبار الكاذبة والتحريض على العنف، مما يؤدي إلى زيادة الانقسامات والتوترات في المجتمع.

الهوامش:

(١) Howard, M. (2012). The Press and Politics: Historical Perspectives. London: Routledge, p. 45.

(٢) Smith, J. (2008). The Evolution of Print Media. New York: Columbia University Press, p. 102.

(٣) Thompson, G. (2010). "Radio and Television in Political Communication". Cambridge: Cambridge University Press, p. 76.
(٤) Davis, M. (2011). "Television and Political Power". Oxford: Oxford University Press, p. 134.
(٥) Johnson, L. (2009). "Franklin D. Roosevelt and the Radio". New York: HarperCollins, p. 59.
(٦) Lee, C. (2013). "Digital Media and Political Change". London: Palgrave Macmillan, p. 98.
(٧) Williams, R. (2014). "Social Media and Democracy". New York: Routledge, p. 121.
(٨) Al-Jazeera (2012). "The Role of Social Media in the Arab Spring". Retrieved from www.aljazeera.com, p. 35.
(٩) Brown, A. (2015). "The New Media and Politics". Cambridge: Cambridge University Press, p. 82.
(١٠) Green, K. (2016). "Digital Influence and Public Opinion". Oxford: Oxford University Press, p. 144
(١١) Pew Research Center. (2018). "How Social Media is Shaping Political Opinions". Washington D.C.: Pew Research Center, p. 56.
(١٢) Anderson, C. (2019). "Media Influence and Public Opinion". Oxford: Oxford University Press, p. 112.
(١٣) Davis, A. (2020). "Media Strategies and Political Influence". New York: Routledge, p. 67
(١٤) Miller, P. (2021). "Political Campaigns in the Digital Age". Cambridge: Cambridge University Press, p. 143.
(١٥) Reynolds, M. (2021). "Political Communication in the Digital Era". London: Sage Publications, p. 88.
(١٦) Thomas, L. (2022). "Campaign Strategies in the Age of Social Media". New York: Columbia University Press, p. 134.
(١٧) Cooper, R. (2020). "The Role of Media in Political Decision-Making". Boston: MIT Press, p. 97.
(١٨) Evans, C. (2019). "Media Influence on Political Policy". Cambridge: Cambridge University Press, p. 145.
(١٩) Johnson, M. (2018). "Media and Government Transparency". Washington D.C.: Brookings Institution Press, p. 64.
(٢٠) Bernstein, C. (2017). "The Watergate Crisis and Its Impact on Media". New York: HarperCollins, p. 123.
(٢١) Carter, R. (2020). "Investigative Journalism and Government Accountability". Oxford: Oxford University Press, p. 89.
(٢٢) Smith, L. (2019). "The Power of Investigative Journalism". London: Palgrave Macmillan, p. 78
(٢٣) Walker, T. (2021). "Impact of Investigative Reporting on Public Policy". Cambridge: Cambridge University Press, p. 142.
(٢٤) Brown, A. (2019). "Media Accountability and Government Performance". Chicago: University of Chicago Press, p. 103.
(٢٥) Peters, J. (2020). "Public Opinion and Government Accountability". New York: Routledge, p. 56
(٢٦) Lewis, S. (2021). "Media Campaigns and Political Accountability". Boston: Har-

.vard University Press, p. 120
White, E. (2022). "Impact of Media Campaigns on Government Accountability". (٢٧)
.Cambridge: Cambridge University Press, p. 77
Allcott, A., & Gentzkow, M. (2017). "Social Media and Fake News in the 2016 Elec-(٢٨)
.tion". Journal of Economic Perspectives, 31(2), pp. 211–236
Vosoughi, S., Roy, D., & Aral, S. (2018). "The Spread of True and False News On-(٢٩)
.line". Science, 359(6380), pp. 1146–1151
Lewandowsky, S., Ecker, U. K. H., & Cook, J. (2017). "Beyond Misinformation: (٣٠)
Understanding and Coping with the "Post-Truth" Era". Journal of Applied Research
.in Memory and Cognition, 6(4), pp. 353–369
Marwick, A. E., & Lewis, R. (2017). "Media Manipulation and Disinformation On-(٣١)
.line". Data & Society Research Institute, p. 58
Lazer, D. M. J., et al. (2018). "The Science of Fake News". Science, 359(6380), pp. (٣٢)
1094–1096
Pennycook, G., & Rand, D. G. (2018). "Fighting misinformation on social media (٣٣)
using crowdsourced judgments of news source quality". Proceedings of the National
.Academy of Sciences, 115(16), pp. 4364–4372
.Zarocostas, J. (2018). "How to Fight an Infodemic". The Lancet, 395(10225), p (٣٤)
Rini, R. (2020). "The Ethics of Information Literacy and the Fight Against Misin-(٣٥)
.formation". Journal of Media Ethics, 35(4), pp. 302–317
Tilly, C. (2017). "Social Movements, 1768–2012". Boulder: Paradigm Publishers, (٣٦)
p. 89
Howard, P. N., & Hussain, M. M. (2013). "Democracy's Fourth Wave? Digital (٣٧)
.Media and the Arab Spring". Oxford: Oxford University Press, p. 142
Castells, M. (2015). "Networks of Outrage and Hope: Social Movements in the (٣٨)
.Internet Age". Cambridge: Polity Press, p. 114
Hjarvard, S. (2013). "The Mediatization of Society: A Theory of the Media as (٣٩)
.Agents of Social and Cultural Change". London: Routledge, p. 98
Kaldor, M. (2012). "New and Old Wars: Organised Violence in a Global Era". Stan-(٤٠)
.ford: Stanford University Press, p. 145
Norris, P. (2009). "Public Sentinel: News Media and Governance Reform". Wash-(٤١)
.ington D.C.: Brookings Institution Press, p. 134
McQuail, D. (2010). "McQuail's Mass Communication Theory". London: Sage (٤٢)
.Publications, p. 159
Levy, D. A. L., & Nielsen, R. K. (2010). "The Changing Business of Journalism and (٤٣)
.Its Impact on Democracy". New York: Columbia University Press, p. 76
Cottle, S. (2013). "Media and the Politics of Disaster". London: Sage Publications, (٤٤)
p. 102

المصادر:

Howard, M. (2012). The Press and Politics: Historical Perspectives. London: Rout-.1
.ledge, p. 45
Smith, J. (2008). The Evolution of Print Media. New York: Columbia University .2
.Press, p. 102
Thompson, G. (2010). "Radio and Television in Political Communication". Cam-.3
.bridge: Cambridge University Press, p. 76
Davis, M. (2011). "Television and Political Power". Oxford: Oxford University Press, .4

.p. 134
Johnson, L. (2009). "Franklin D. Roosevelt and the Radio". New York: HarperCol- .5
.lins, p. 59
Lee, C. (2013). "Digital Media and Political Change". London: Palgrave Macmillan, .6
.p. 98
.Williams, R. (2014). "Social Media and Democracy". New York: Routledge, p. 121 .7
Al-Jazeera (2012). "The Role of Social Media in the Arab Spring". Retrieved from .8
.www.aljazeera.com, p. 35
Brown, A. (2015). "The New Media and Politics". Cambridge: Cambridge Univer- .9
.sity Press, p. 82
Green, K. (2016). "Digital Influence and Public Opinion". Oxford: Oxford Univer- .10
sity Press, p. 144
Pew Research Center. (2018). "How Social Media is Shaping Political Opinions". .11
.Washington D.C.: Pew Research Center, p. 56
Anderson, C. (2019). "Media Influence and Public Opinion". Oxford: Oxford Uni- .12
.versity Press, p. 112
Davis, A. (2020). "Media Strategies and Political Influence". New York: Routledge, .13
p. 67
Miller, P. (2021). "Political Campaigns in the Digital Age". Cambridge: Cambridge .14
.University Press, p. 143
Reynolds, M. (2021). "Political Communication in the Digital Era". London: Sage .15
.Publications, p. 88
Thomas, L. (2022). "Campaign Strategies in the Age of Social Media". New York: .16
.Columbia University Press, p. 134
Cooper, R. (2020). "The Role of Media in Political Decision-Making". Boston: .17
.MIT Press, p. 97
Evans, C. (2019). "Media Influence on Political Policy". Cambridge: Cambridge .18
.University Press, p. 145
Johnson, M. (2018). "Media and Government Transparency". Washington D.C.: .19
.Brookings Institution Press, p. 64
Bernstein, C. (2017). "The Watergate Crisis and Its Impact on Media". New York: .20
.HarperCollins, p. 123
Carter, R. (2020). "Investigative Journalism and Government Accountability". Ox- .21
.ford: Oxford University Press, p. 89
Smith, L. (2019). "The Power of Investigative Journalism". London: Palgrave Mac- .22
millan, p. 78
Walker, T. (2021). "Impact of Investigative Reporting on Public Policy". Cam- .23
.bridge: Cambridge University Press, p. 142
Brown, A. (2019). "Media Accountability and Government Performance". Chi- .24
.cago: University of Chicago Press, p. 103
Peters, J. (2020). "Public Opinion and Government Accountability". New York: .25

Routledge, p. 56
Lewis, S. (2021). "Media Campaigns and Political Accountability". Boston: Harvard .26
.University Press, p. 120
White, E. (2022). "Impact of Media Campaigns on Government Accountability". .27
.Cambridge: Cambridge University Press, p. 77
Allcott, A., & Gentzkow, M. (2017). "Social Media and Fake News in the 2016 Elec– .28
.tion". Journal of Economic Perspectives, 31(2), pp. 211–236
Vosoughi, S., Roy, D., & Aral, S. (2018). "The Spread of True and False News On– .29
.line". Science, 359(6380), pp. 1146–1151
Lewandowsky, S., Ecker, U. K. H., & Cook, J. (2017). "Beyond Misinformation: .30
Understanding and Coping with the "Post–Truth" Era". Journal of Applied Research
.in Memory and Cognition, 6(4), pp. 353–369
Marwick, A. E., & Lewis, R. (2017). "Media Manipulation and Disinformation On– .31
.line". Data & Society Research Institute, p. 58
Lazer, D. M. J., et al. (2018). "The Science of Fake News". Science, 359(6380), pp. .32
1094–1096
Pennycook, G., & Rand, D. G. (2018). "Fighting misinformation on social me– .33
dia using crowdsourced judgments of news source quality". Proceedings of the Na–
.tional Academy of Sciences, 115(16), pp. 4364–4372
.Zarocostas, J. (2018). "How to Fight an Infodemic". The Lancet, 395(10225), p .34
Rini, R. (2020). "The Ethics of Information Literacy and the Fight Against Misin– .35
.formation". Journal of Media Ethics, 35(4), pp. 302–317
Tilly, C. (2017). "Social Movements, 1768–2012". Boulder: Paradigm Publishers, p. .36
89
Howard, P. N., & Hussain, M. M. (2013). "Democracy›s Fourth Wave? Digital Me– .37
.dia and the Arab Spring". Oxford: Oxford University Press, p. 142
Castells, M. (2015). "Networks of Outrage and Hope: Social Movements in the In– .38
.ternet Age". Cambridge: Polity Press, p. 114
Hjarvard, S. (2013). "The Mediatization of Society: A Theory of the Media as Agents .39
.of Social and Cultural Change". London: Routledge, p. 98
Kaldor, M. (2012). "New and Old Wars: Organised Violence in a Global Era". Stan– .40
.ford: Stanford University Press, p. 145
Norris, P. (2009). "Public Sentinel: News Media and Governance Reform". Wash– .41
.ington D.C.: Brookings Institution Press, p. 134
McQuail, D. (2010). "McQuail›s Mass Communication Theory". London: Sage .42
.Publications, p. 159
Levy, D. A. L., & Nielsen, R. K. (2010). "The Changing Business of Journalism and .43
.Its Impact on Democracy". New York: Columbia University Press, p. 76
Cottle, S. (2013). "Media and the Politics of Disaster". London: Sage Publications, .44
p. 102

التعدى على مقدسات الغير مرتكزاتة ومحذوراته وموجبات تحريمه في الفقه الإسلامي و القانون العراقي

الباحث: مهدي عبد مسلم كريم
الدكتور حسن متهجَد عسكرى
استاذ مساعد كلية القرآن والحديث / جامعة الاديان والمذاهب قم – ايران
الدكتور احمد صاحب سوارى
استاذ مشارك كلية علوم القران والحديث/ جامعة الاديان والمذاهب قم – ايران



المستخلص:

منذ اليوم الذي دخل فيه الإنسان مجال الوجود، من أجل مواصلة الحياة الاجتماعية، احتاجوا إلى معايير ومقدسات من أجل تبرير جهودهم في البقاء على قيد الحياة التي اعتبروا في ضوئها أنه من الضروري حماية قدسيتها والحفاظ عليها، و أن يحترمها، ولانه كان يعلم أنها خطيئة لا تغتفر. في دين الإسلام، ان بعض الأمور مثل: الطبيعة الإلهية، والنبوة، والقيامة... تُعرف بالمقدسات الدينية التي لها احترام خاص، وبالتالي فإن الإسلام لا يرى جواز تدنيسها؛ وتجدر الإشارة إلى أن إهانة المقدسات في الإسلام من أهم قضايا الفقه، ولها أبواب مختلفة تم بحثها في محاور: وجوب الانحناء للشعائر، وشرف وإهانة النساء المحترمات، وقد تم ذكر كل منها. في الفقه والأحاديث.

الكلمات المفتاحية: الإنسان، التعدي،المقدسات، النبوة، القيامة.

Abstract:

From the day humankind entered the realm of existence, in order to sustain social life, they needed standards and sacred values to justify their efforts at survival. They considered it necessary to protect and preserve these values, and to respect them, knowing that violating them was an unforgivable sin. In Islam, some things, such as the divine nature, Prophecy and resurrection are considered sacred religious matters deserving of special respect, and Islam therefore forbids their desecration. It is worth noting that the issue of insulting sacred things in Islam is a major topic of Islamic jurisprudence, addressed in various sections, including: the obligation to bow before religious symbols, and the honor and dignity of respectable women, each of which is discussed in Islamic jurisprudence and hadith.

Keywords: Man, transgression, sacred things, prophecy, resurrection.

المقدمة:

يمكننا حصر المقدسات التي تم تدنيسها بشكل عام على النحو التالي: إهانة مبادئ الدين، وسبحان الله، هو أقدس حرمة بين المسلمين، ومن وجهة نظر جميع ديانات الإسلام نجد أن قتل. جميع الأنبياء السماويين ولا سيما نبي الإسلام الاكرم. والأئمة الاثني عشرية وحضرة فاطمة سلام الله عليها. وإهانة المذاهب الدينية. والأماكن المقدسة؛ والكتب المقدسة وهي عوامل التدنيس والاستثناءات وأمثلة التدنيس فإن احترام المقدسات أمر ضروري، اذ تكمن أهمية هذه الدراسة في أهمية المقدسات، خاصة بالنسبة للمسلمين والذين لديهم إيمان ويحترمون المقدسات. في هذه الحالة، فإن إهانتهم يسبب لهم عدم الراحة، لذلك تكمن أهمية هذه الدراسات في أهمية المعتقدات الإسلامية، حتى لا نرتكب إثمًا ولا نتعرض لعقوبة شرعية من خلال التعرف عليها. وهناك العديد من البراهين الفكرية السردية التي تثبت ذلك. من أمثلة الاحترام الإسلامي. ومن ناحية أخرى، فإن إهانة المقدسات في العراق هو عمل يمكن أن يؤدي إلى ضرر جسيم في المجتمع ويؤدي إلى مزيد من الخطر لأن إهانة المقدسات في العراق يتناقض بشدة مع احترام العادات الدينية والثقافية. للمجتمع ويمكن أن تثير التوترات الاجتماعية وتزيدها في الواقع، وعليه فان إهانة المقدسات في العراق معترف بها كجريمة وتخضع بالكامل للقانون والعقاب القانوني تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على جريمة إهانة المقدسات في العراق من منظور الإسلام وحكمه الشرعي. القدرة على منع تدنيس الأشياء المقدسة بتقديمها والتعرف عليها وكذلك الاعتراف بالقيمة العالية للأشياء المقدسة. المبحث الاول

المحور الأول المفاهيم والمصطلحات:

مفهوم الاهانة لغة: مصدر أهان، وأصل الفعل: هان، بمعنى: ذل وحقر، وفيه مهانة: أي ذل وضعف، والإهانة من صور الاستهزاء والاستخفاف. اصطلاحا: هي الأمر الخارق للعادة الصادر على يد من يدعي النبوة المخالف كما هو المشهور عن مسيلمة الكذاب: أنه دعا لأعور أن تصير عينه العوراء صحيحة فتحولت عوراء، وغير ذلك.

المقدسات :هو المبارك، والارض المقدسة هي الارض المطهرة، ويقال ارض مقدسة ارض طاهره.(١) وورد في مختار الصحاح القدس بسكون الدال وضمها الطهر اسم و مصدر، ومنه قيل حظيرة القدس، وروح القدس جبريل عليه السلام، والتقديس يعني التطهير، وتقدس تطهر.(٢) اما تعريف المقدسات الدينية « هي مجموعة الامور التي انعقدت عليها نفس الإنسان وارتبطت بها روحه، فلا ينفصل عنها، وإن اختلفت درجة منحه لها وإعانته بها ورسوخه فيها».

.(٣) أقرت الشرّعة الإسلاميّة حرية العقيدة وان لكل إنسان الحق المطلق في ان يعتنق من العقائد ما يشاء بل عملت على كفالة هذه الحرية وحمايتها الى أقصى الحدود، فليس لأحد ان تحمل غيره على ترك عقيدته أو يحمله على اعتناق غيرها أو يمنعه من ممارسة شعائر عقّيدته.(٤) هذا و ان الشريعة الإسلامية تقرر حماية أماكن العبادة سواء كانت هذه الأماكن إسلامية أم لأي طائفة أخرى معترف لها بذلك. فقد جاءت الشريعة الإسلامية في مسالة حماية المقدسات الدينية لتسجل العرف القديم الذي ساد بين العرب والذي مؤداه إعطاء حصانة كاملة للاماكن المقدسة لذلك يقول عز من قائل(٥) و يقول تعالى في أية أخرى« فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ».(٦)

مفهوم الجريمة

تُعرَّف الجريمة (بالإنجليزية Crime): بأنّها أيّ انحراف عن مسار المقاييس الجمعيّة، التي تتميّز بدرجةٍ عاليةٍ من النوعيّة والجبريّة والكليّة؛ ومعناه أنه لا يُمكن للجريمة أنْ تكون إلّا في حالة وجود قيمة تحترمها الجماعة فيها، كما أنّها توجّه عدواني من قِبل الأشخاص الذين يحترمون القيمة الجمعيّة، تجاه الأشخاص الذين لا يحترمونها.(٧)كما عرّفها البعض بأنّها عمل أو امتناع عن عمل شيء ينصُّ القانون عليه، ويُجازى فاعله بعقوبةٍ جنائيّة.(٨) ويختلفُ مفهوم الجريمة كذلك بحسب المنظور الذي يُنظر له من خلاله، ومنها:

الجريمة في الشّريعة الإسلاميّة: عرّف الماوردي الجريمة بأنّها محظور شرعيّ نهى الله عن فعله إما بحدّ أو تعزير، والمحظور هو عملُ أمرٍ نهى الله عنه، أو عدم عمل أمرٍ أمَرَ به.(٩)

الجريمة من النّاحية القانونيّة: هي عملٌ غير مشروع ناتج عن إرادة جنائيّة، ويُقرّر القانون لها عقوبةً أو تصرّفاً احتياطيّاً.

الجريمة من النّاحية الاجتماعية والنّفسية: هي عملٌ يخترقُ الأسس الأخلاقية التي وُضعت من قبل الجماعة، وجعلت الجماعة لاختراقها جزاءً رسمياً.

أما تعريفُ المُجرم فهو: الإنسان البالغ الراشد الذي ارتكب فعلاً مؤذياً نصّ عليه قانون مُعيّن؛ مما تترتّب عليه عقوبات جنائية مُحدّدة في القانون ذاته.(١٠)

مفهوم التعدي

الاعتداء لغة: من العدو، بمعنى الظلم و مجاوزة الحدّ و الحقّ، يقال: اعتدى عليه إذا ظلمه. واعتدى على حقّه، أي جاوز إليه بغير حقّ(١١)

التَّعَدِّي عَلَى حُرْمَةِ الغَيْرِ يُعَاقِبُ عَلَيْهِ القَانُونُ : خَرْقُ حُرْمَتِهِ، انْتِهَاكُهَا

مُجاوَزَةُ الشَّيءِ إلى غيرِه، و منه تَعْدِيةُ الفِعْلِ عِنْدَ النُّحَاةِ، و هو جَعْلُ الفِعْلِ لفاعِلٍ يَصِيرُ مَنْ كانَ فاعِلاً له قَبْلَ التَّعْدِيَةِ مَنْسوباً إلى الفِعْلِ نَحْو خَرَجَ زَيْدٌ فأَخْرَجْتَه (١٢)

الاعتداء في الاصطلاح: ولا يخرج معناه الاصطلاحي عن معناه اللغوي، حيث يستعمله الفقهاء بمعنى مجاوزة الحدّ المأذون فيه شرعاً، كمجاوزة الحلال إلى الحرام، أو مجاوزة مقتضى العقد مثل عقد الإجارة أو الاستعارة أو غيرهما.(١٣)

تعدي يتعدى تعديا، وتعدى على فلان أي ظلمه، وتعدى الأمر أي تجاوز الحد ومنه قولهم إذ تعدى المستعير أو المستأجر أو غيرها في استعمال العين فهو ضامن أي إذا تجاوز الحد المأذون فيه شرعا. وأيضا تعدى على مال الغير أي أتلفه ظلما وعدوانا، والتعدي بهذا المعنى موجب للضمان على المتعدي .

المحور الثاني:

أهميّة المحافظة على حرمة المقدسات في الاسلام والقانون العراقي:

في أول لقاء بين الإسلام والنصرانية، عندما استقبل رسول الله وفد نصارى نجران، بالمدينة المنورة سنة ١٠ هـ ٦٣١م، كان احترام الإسلام لمقدسات الآخرين الدينية معلمًا من المعالم البارزة التي أرساها الإسلام في النظر وفي التعامل مع هؤلاء الآخرين .ولم يكن ذلك مجرد سماحة من رسول الإسلام، لا والله ولا محض سياسة في التعامل مع هؤلاء الآخرين، غير المسلمين .. وإنما كان – فوق ذلك وقبله . انطلاقاً من الإيمان الديني الإسلامي، الذي لا يكتمل إلا بالاعتراف بكل الشرائع والكتب التي يتعبد بها هؤلاء الآخرون.

هذا هو فالمسلمون يتلون في قرآنهم الكريم قول الله – سبحانه وتعالى . وصفا لهم : آمن و هذا هو الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ و هذا هو من رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] – وكتابهم – القرآن الكريم – قد جاء مصدقا لما بين يديه من و هذا هو وحي الله – سبحانه وتعالى – إلى. الرسل والأنبياء : ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ هذا هو مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بين يديه و الكتاب لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ هذا هو لسنس : ٣٧] فهذا اللوح القرآن والفصل الخاتم والجامع والمفصل في سلسلة الوحي الإلهي.

بل إن هذه القاعدة الإسلامية قد طبقها المسلمون مع اهل الديانات الوضعية . ومع مقدساتهم – انطلاقا من حديث رسول الله : سنوا فيهم سنة أهل الكتاب – رواه الإمام مالك في الموطأ . . فاحترم المسلمون الخصوصيات الدينية، ودور العبادة لأهل تلك الديانات، وعاش في عالم الإسلام وحضارته المجوس والبوذيون والصابئة ام المقدسات والهندوس، وكل ألوان الطيف الديني – مع أهل الديانات السماوية . يتعبدون في معابدهم، التي احترمها وصانها وقدسها الإسلام والمسلمون .

ولأن رسول الله قد جمع إلى النبوة والرسالة قيادة الدولة الإسلامية الأولى، فلقد قنّن هذا المعلم من معالم الدين والدولة في الإسلام، منذ اللحظة الأولى للقاء الإسلام والنصرانية، عندما جاء وفد نصارى نجران إلى المدينة المنورة، في عام الوفود سنة ١٠هـ. ٦٣١م . لقد فتح رسول الله مسجد النبوة لنصارى نجران فصلوا فيه صلاة عيد الفصح، الذي حان موعده وهم ضيوف على الرسول (صلى الله عليه وآله) . كما تم التقنين – تفصيليا – لاحترام جميع المقدسات غير الإسلامية في الوثيقة و هذا هو الدستور . «العهد» – الذى كتبه رسول الله النصارى نجران، ولكل المتدينين بالنصرانية.

أن وجود الأديان يعني بالضرورة وجود أماكن للعبادة وهذا أمر بديهي ذلك إن العقيدة الدينية أيا كانت لابد لها إن تقتضي من المؤمن بها ممارسة المظاهر المعّبرة عنها، وهذه الممارسة إنما تكون في مكان معين يختاره الإنسان لهذا الغرض بشكل دائم أو مؤقت، والعتبات المقدسة هي أحدى هذه الأماكن فهي لا تقل أهمية عن أماكن العبادة الأخرى في الدين الإسلامي فقد كانت وما زالت العتبات المقدسة للأئمة المعصومين (عليهم السلام) مهوى لأفئدة الناس، وتعبدهم لله تعالى وتلاقيهم وتعارفهم.وقد كانت العتبات المقدسة على مر العصور إلى يومنا هذا محلاً للأستخفاف بها و الأعتداء عليها بشتى صور الأعتداء. عرفت (الفقرة أ من المادة الأولى) من نظام العتبات المقدسة رقم (٢١) لسنة ١٩٦٩ العراقي المعدل العتبات المقدسة حيث نصت على أن (العتبات المقدسة – وهي التي تضم أضرحة الأئمة عليهم السلام بما تدور عليه أسوار الصحن في الروضة الحيدرية في النجف الأشرف والروضتين الحسينية والعباسية في كربلاء والروضة الكاظمية في بغداد والروضة العسكرية في سامراء ومراقد الأئمة من آل البيت التابعة لتلك الرياض سواء كانت داخل سور الروضة أو خارجه(١٤).

أما قانون أدارة العتبات المقدسة والمزارات الشيعية الشريفة رقم ١٩ لسنة ٢٠٠٥ فقد عرف العتبات المقدسة في المادة

(الثانية) منه والتي جاء فيها (العتبات المقدسة هي العمارات التي تضم مراقد أئمة أهل البيت عليهم السلام والبنايات التابعة لها في النجف الأشرف وكربلاء و الكاظمية وسامراء ويلحق بها مرقد العباس عليه السلام في كربلاء) .

يلاحظ على التعريفين السابقين للعتبات المقدسة أنهما مختلفان من حيث عتبار بعض المراقد من قبيل العتبات المقدسة في أحدهما وعدم أعتبارها كذلك في الآخر، فنجد أن (الفقرة أ من المادة الأولى) من نظام العتبات المقدسة قد أعتبرت أضرحة الأئمة (عليهم السلام) في كل من الروضة الحيدرية والروضتين الحسينية والعباسية والروضة الكاظمية والروضة العسكرية ومراقد الأئمة التابعة لتلك الرياض من قبيل العتبات المقدسة فضلاً عن ذلك فقد نصت المادة (٢٧) من هذا النظام على أنه (تعتبر المراقد التالية ملحقة بالعتبات المقدسة .....

١- مرقد الحر- في كربلاء ٢- المخيم الحسيني - في كربلاء ٣- مسجد الكوفة وتوابعه - الكوفة ٤- مرقد ميثم التمار- الكوفة ٥- مرقد مسلم بن عقيل - الكوفة ٦- مقام زين العابدين - النجف ٧- مرقد كميل بن زياد - النجف ٨- مرقد زيد بن علي - الكفل ٩- مرقد السيد الشريف الرضي - الكاظمية ١٠- مرقد السيد الشريف المرتضي - الكاظمية ١١- السيد محمد بن علي الهادي - بلد ١٢- مرقد الحمزة الغربي - حلة - المدحتية ١٣- القاسم بن موسى بن جعفر ١٤- ولد مسلم بن عقيل - المسيب ١٥- مرقد الحمزة الشرقي - الديوانية - ناحية الحمزة ١٦- مرقد عون بن عبد الله - كربلاء) .

في حين أن المادة (الثانية) من قانون إدارة العتبات المقدسة والمزارات الشيعية الشريفة حددت العتبات المقدسة بمراقد أهل البيت (عليهم السلام) والبنايات التابعة لها في النجف الأشراف وكربلاء و الكاظمية وسامراء ومرقد سيدنا العباس (عليه السلام) .

أما المراقد الأخرى والتي أعتبرها نظام العتبات المقدسة ملحقة بالعتبات المقدسة في المادة (٢٧) أعلاه فقد عدها قانون إدارة العتبات المقدسة والمزارات الشيعية الشريفة من قبيل المزارات بموجب المادة (الثانية) منه والتي نصت على (..... والمزارات الشيعية الشريفة هي : العمارات التي تضم مراقد مسلم بن عقيل وميثم التمار وكميل بن زياد والسيد محمد ابن الأمام الهادي (عليه السلام) والحمزة الشرقي والحمزة الغربي والقاسم والحر وأولاد مسلم وغيرهم من أولاد الأئمة وأصحابهم والأولياء الكرام من المنتسبين إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام في مختلف أنحاء العراق(١٥) .

فبالنسبة للدساتير العراقية، نجد أن القانون الأساسي لسنة ١٩٢٥ قد أقر حرية الاعتقاد وحرية ممارسة شعائر العبادة في المادة (١٣) منه والتي جاء فيها « الإسلام دين الدولة الرسمي، وحرية القيام بشعائره المألوفة في العراق على اختلاف مذاهبه محترمة لا تمس، وتضمن لجميع ساكني البلاد حرية الاعتقاد التامة، وحرية القيام بشعائر العبادة، وفقاً لعاداتهم ما لم تكن مخلة بالأمن والنظام، وما لم تناف الآداب العامة(١٦)».

ولم يختلف عنه في ذلك دستور سنة ١٩٥٨ حيث نصت المادة (١٠) منه على أن « حرية الاعتقاد والتعبير مضمونة وتنظم بقانون « . ونصت المادة (١٢) على « حرية الأديان مصونة ويجب احترام الشعائر الدينية على أن لا تكون مخلة بالنظام العام ولا متنافية مع الآداب العامة « .

أما دستور سنة ١٩٦٣ و دستور ٢٢ نيسان سنة ١٩٦٤ فلم يتضمنا نصاً يقرر هذا الحق، في حين نصت المادة (٢٨) من دستور ٢٩ نيسان سنة ١٩٦٤ على أن «حرية الأديان مصونة وتحمي الدولة حرية القيام بشعائرها على أن لا يخل ذلك بالنظام العام أو ينافي الآداب « .

وكذلك هو الحال بالنسبة لدستور سنة ١٩٦٨ حيث نصت المادة (٣٠) على أن « تصون الدولة حرية الأديان وتحمي القيام بشعائرها على أن لا يخل ذلك بالنظام العام أو ينافي الآداب « .

كما كفل دستور سنة ١٩٧٠ ذلك بموجب المادة (٢٥) والتي نصت على أن « حرية الأديان والمعتقدات وممارسة الشعائر الدينية مكفولة، على أن لا يتعارض ذلك مع إحكام الدستور والقوانين، وان لا ينافي الآداب و النظام العام «.

أما قانون أدارة الدولة العراقية في الفقرة الانتقالية لسنة ٢٠٠٤، فقد نص على حرية المعتقد بصفة خاصة للعراقيين في

(الفقرة و من المادة ١٣) حيث جاء فيها « للعراقي الحق بحرية الفكر والضمير والعقيدة الدينية وممارسة شعائرها ويحرم الإكراه بشأنها(١٧)» .

أما دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ فقد أقر وبنص صريح حماية العتبات المقدسة بصفة خاصة إذ نصت المادة (١٠) على أن « العتبات المقدسة، والمقامات الدينية في العراق، كيانات دينية وحضارية، وتلتزم الدولة بتأكيد وصيانة حرمتها، وضمان ممارسة الشعائر بحرية فيها « .

كما نص على حرية العقيدة وذلك في المادة (٤٢) حيث نصت على أن « لكل فرد حرية الفكر والضمير والعقيدة « . يضاف إلى ذلك كفل هذا الدستور حرية العبادة وحماية أماكنها حيث نصت (الفقرة ثانياً من المادة (٤٣) على أن « ثانياً : تكفل الدولة حرية العبادة وحماية أماكنها(١٨)».

المبحث الثاني:

التعدي في الأديان اسبابه و حدوده:

أولاً: اسباب و مكونات التعدي في الأديان:

التعدي في الأديان يمكن أن يأخذ أشكالاً مختلفة، وقد تختلف المكونات التي يتم التعدي عليها من دين لآخر. ومن المكونات الأساسية التي يتم التعدي عليها في الأديان(١٩):

١- المقدسات الدينية: وتشمل ذلك الأماكن المقدسة والأشخاص المقدسين والرموز والأدوات الدينية.

٢- العقائد: وتشمل ذلك الاعتقاد بالله والملائكة والكتب السماوية والأنبياء واليوم الآخر.

٣- الشعائر والطقوس: وتشمل ذلك الصلاة والصوم والحج والذبح وغيرها من الشعائر والطقوس الدينية.

٤- حرية المعتقد والعقيدة: وهي حقوق الأفراد في اختيار دينهم ومعتقداتهم والتعبير عنها.

٥- الأخلاق والأعمال الصالحة: وتشمل ذلك الأخلاق الحميدة والأعمال الصالحة التي يدعو إليها الدين.

٦- حقوق الآخرين: وتشمل ذلك حقوق الأفراد في الحياة والمال والعرض والشرف والحرية والأمن والسلامة.

ويعتبر التعدي على هذه المكونات في الأديان من الأفعال الخطيرة التي تؤثر على الإنسان والمجتمع، وتعاقب عليها الفاعل بموجب القوانين واللوائح التي تنظم السلوك الإنساني وحفاظ الحقوق والمقدسات. ولذلك، يجب على الناس احترام المكونات الدينية والمعتقدات والحقوق والأخلاق وتجنب التعرض لها أو التجاوز عليها، والتقيد بالأحكام الشرعية والقانونية التي تنظم السلوك الإنساني والحفاظ على المقدسات والحقوق.

ثانياً: التعدي على مقدسات الغير في اليهودية و المسيحيه

إذا اعتبرنا أن دائرة ونطاق الأشياء المقدسة أوسع قليلاً مما تبدو عليه، وبناءً على ذلك، فإننا نطلق على كل ما يعتبره اليهود مقدسًا في العهد القديم وفي الشريعة، ثم انتهاك الجميع. هذه الأشياء يمكن أن تكون مثالاً، يجب اعتبارها إهانة للمقدسات. يذكر الكتاب المقدس أيضًا انتهاك هذه التعاليم في العديد من الآيات وحدد عقوبات عليها. إهانة الله من أبرز الأمثلة على إهانة المقدسات والتجديف. في بعض آيات العهد القديم، يحرم إهانة الله ؛ على سبيل المثال، في الفصل ٢٢ من سفر الخروج، نقرأ، «لا تجدف على الله ولا تلعن قائد شعبك».

بالإضافة إلى تحريم هذا العمل، في بعض الآيات الأخرى من العهد القديم، شوهدت عقوبة الإعدام لها، بما في ذلك في سفر اللاويين الفصل ٢٤، يذكر بوضوح أن كل من، باسم الله ؛ يهوه يهينه ليقتله سوف يتحمل خطيئته (لاويين ٢٤ : ١٥-١٠)

تم تسجيل عقوبة أخرى للتجديف على الله في دانيال. حيث يقول: صدر مني مرسوم يقضي بتمزيق كل أمة ولغة تتفوه بكلام بذيء ضد إله شدرخ وميشخ وعبد النغو، وتتحول بيوتهم إلى نفايات، لأن لا يوجد إله آخر يمكنه أن ينقذ مثل هذا. «(دانيال ٢٩ (٣)) أيضًا، في الفصل السابع من هذا الكتاب، في وصف الوحش الرابع من بين أربعة حيوانات رآها دانيال في حلمه، نقرأ ذلك من صفاته أنه يجدف: يتكلم بكلام على الرسول الكريم وأولياء الرسول، ويذل الله عز

وجل وينوي تغيير الأزمنة والشرائع، ويخضعون له زمانا مرتين، و نصف مرة (دانيال ٢٥ : ٧) وقد ذكر الله بطلان إهانة الهيكل والطقوس، بما في ذلك أمثلة على إهانة مقدسات اليهود، وتم تحديد العقوبة عليهم.

ثالثاً: مواجهة العهد الجديد مع تدنيس المقدسات

العهد الجديد، مثل العهد القديم، ولكن بمزيد من التفصيل في الأمثلة، يذكر العديد من حالات إهانة الأشياء المقدسة وحكمها. في العهد الجديد، يتم تصوير إهانة الأشياء المقدسة في شكل تجديف. كما أوضحنا في البداية التجديف هو مصطلح عام هنا والشتائم أمثلة على ذلك. على الرغم من أن التجديف يشمل أيضًا مصطلح التجديف على الله، والتجديف على الروح القدس وإنكار يسوع المسيح هي من بين الحالات المذكورة في العهد الجديد، إلا أن عدم الغفران هو أهم عقاب للتجديف في العهد الجديد.

١ – التجديف على الروح القدس

في الفصل الثاني عشر من إنجيل متى، هناك حديث عن أولئك الذين أنكروا معجزات يسوع التي تمت بالروح القدس، ووفقًا لتفسير هذه الآيات، فقد أنكروا الروح القدس نتيجة لذلك.

لذلك أقول لكم أن كل نوع من الذنوب والتجديف يغفر، ولكن التجديف

لن يغفر الروح القدس للإنسان، وكل من يتكلم ضد ابن الإنسان يغفر له، ولكن من تحدث ضد الروح القدس لن يغفر له أبدًا في هذا العالم أو في العالم الآتي(٢٠).

محتوى الآيتين المذكورتين هو تجديف على الروح القدس كمثال على إهانة الأشياء المقدسة. بناءً على هاتين الآيتين، هاجم يسوع الفريسيين لأنكارهم المتعمد للأعمال التي كانوا يعلمون أن الله قد قام بها(٢١) لأنهم لم يتمكنوا من فهم حقيقة ما حدث. لقد فعل الروح القدس. وعندما أنكروا ما كان يفعله يسوع، نسبوه إلى إبليس. لذلك، لم يكن هناك غفران لهؤلاء الفريسيين لأنهم كانوا شهودًا مباشرين على معجزات المسيح وعرفوا أن ادعاءاته كانت صحيحة. جدف على الروح القدس(٢٢)

٢– ورد ذكر التجديف على الله التجديف على الله كمثال آخر للإهانة والتجديف في رسالة بولس إلى أهل رومية. وفي الفصل الثاني من هذه الرسالة، كتب بولس في توبيخه لليهود: هل تفتخرون بالناموس؟ الله بمخالفة الناموس؟ لأنه من أجلك، فإن اسم الله يسمى تجديفًا بين الأمم كما هو مكتوب

في هذا الفصل من رسالة بولس، يخاطب اليهود بنبرة قاسية ولديه أسئلة لهم، بما في ذلك هذه الأسئلة والتوبيخ، وهي الأعمال القبيحة التي قام بها اليهود في نهب هياكل المشركين وبيع ممتلكاتهم لأنفسهم، و تسبب هذا في إهانة الآخرين ليهوه إله اليهود وأخذ اسم الله في الكفر والباطل.

٣– الكفر بيسوع المسيح:

ومن مظاهر التجديف الواردة في العهد الجديد حكم الكهنة اليهود بالتجديف على يسوع المسيح بسبب أقواله وأفعاله، وقد ورد في إنجيل مرقس أن القائد اليهودي القديم خاطب الجميع أثناء محاكمة يسوع المسيح. والإعلان أن يسوع هو ابن الإنسان، لقد سمعتم تجديفه، ما رأيكم في نفعه؟ لذلك حكم عليه الجميع. الذي يبرر القتل

يمكن رؤية نفس الرواية في متى ٢٦، الآيات ٦٠ إلى ٦٦، حيث الجملة هي قتل يسوع المسيح. إن التجديف المنسوب إلى يسوع المسيح في هذه الآيات والآيات المماثلة ناتج في الواقع عن تجاهل المجموعة اليهودية المقدسة به ما أصر عليه الكتبة والفريسيون، وهو تعبير عن التجديف. ورويت هذه القصة بطريقة مماثلة في الفصل العاشر من إنجيل يوحنا. في كل هذه الآيات، يُتهم يسوع المسيح بالتجديف ويُحكم عليه بالموت بسبب ذلك، ومن ناحية أخرى، يُظهر أنه في نظر اليهود، يُعاقب على التجديف على الله بالموت.

بالإضافة إلى الحالات المذكورة أعلاه، فقد اتهم اليهود يسوع المسيح بالتجديف لقيامه بعمل يعتبره خاصًا عند الله، فأتوا به مستلقيًا على سرير. فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج: « أيها الطفل، تذكر أن خطاياك قد غُفرت ؛ ثم قال بعض

الكتبة لأنفسهم: أهذا يجدف؟(٢٣)

رابعاً: التعدي على مقدسات الغير في الإسلام

ازدراء الأديان هو إساءة أو استخفاف يصدره شخص أو هيئة ما بشأن معتقدات وأفكار ديانة أخرى، والبعض يرى بأن التجريم فيه مساس خطير لحرية الرأي والفكر، بينما يرى آخرون بأنه يعزز الكراهية الدينية بين البشر، وبالتالي يطالبون بتجريمه بصفة قانونية ومحاسبة مرتكبي هذه الأفعال ولتوضيح هذه المسألة سنتطرق إلى تعريف هذه الجريمة

كفلت الكثير من النصوص القرآنية والسنة النبوية الصحيحة حرية الاعتقاد الديني، دون تفرقة أو تمييز بين الأفراد، وبغض النظر عن لونهم أو جنسهم أو عرقهم، ليكون لجميع الناس الحرية في أن يعتقدوا ما يشاورا مما تطمئن له ضمائرهم، وهذا ما سنبينه من خلال التعرض إلى ما جاء النص عليه في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.(٢٤)

خامساً: القرآن الكريم:

لقد وضعت الشريعة الإسلامية قاعدة هامة تمثلت في عدم إجبار أحد على ترك دينه واعتناق الدين الإسلامي، ومن ثم فلا إكراه في الدين في مفهوم أحكام وأس الشريعة الإسلامية. وهذا ما يتضح من خلال قوله تعالى: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي لمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى(٢٥)، وقوله تعالى أيضا ولو شاء ربك لامن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكون مؤمنين(٢٦)، وقوله تعالى أيضا: من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر(٢٧)، وعليه تبين من خلال هذه الآيات القرآنية أن الشريعة الإسلامية لا تكره أحداً على الاعتقاد بما فمن ساء فليؤمن بعقيدة الإسلام، ومن شاء فليكفر بها، وبذلك فقد أرسلت الشريعة الإسلامية مبدأ هاما تمثل في حرية الاعتقاد، وعدم الاعتداء على دين الغير.

وقد جاءت لتخاطب كافة الشعوب على قدم المساواة لتمنحهم نوراً وهداية من الله عز وجل، وإذا كان هذا هو الأصل والأساس فإن الشريعة الإسلامية لم تترك مجالا للقائلين بأنها تخير الناس بحد السيف للدخول فيها رغما عنهم أو تعتدي على دينهم وعقيدتهم أو التشويش وتعطيل إقامة شعائرهم لقوله تعالى: «لكم دينكم ولي دين».(٢٨)

وبهذا فإن الشريعة الإسلامية برينة من تصرفات بعض معتنقيها الذين لم يفهموا الأسس التي قامت عليها. ونشير كذلك إلى انها قامت على نوع من التوازن في العلاقة بين إلزام الآخرين بعدم التعدي عليها سواء بالقبول أو بالفعل، وبين حريته في ممارسة شعائرهم الدينية تحت سلطان الدولة الإسلامية، وكفالة حرة الأديان وعدم الإساءة إليها أو ازدراءها لقوله تعالى: أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين».(٢٩)

السنة النبوية:

لقد جاءت السنة النبوية كمصدر ثاني للتشريع الإسلامي، وبذلك احتوت العديد من الأسس التي تحرم وتمنع الإساءة للأديان السماوية، على غرار ما نص عليه القرآن الكريم الذي جاء مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية الأخرى، ولذلك جاء رسولنا الكريم مبلغا للناس جميعا على اختلاف مللهم ونحلهم لقوله تعالى: «وما أرسناك إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا لكن أكثر الناس لا يعلمون».(٣٠)

والمسلمون مكلفون بعد رسولهم الكريم بالدعوة الإسلامية إلى الشريعة الإسلامية دون إكراه أو إجبار امتثالا لقوله تعالى: «ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون».(٣١)

وبذلك فالشريعة الإسلامية حريصة كل الحرص على عدم تنفير معتنقي الديانات الأخرى منها وذلك بتقريرها لمبدأ أو أساس احترام عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم.

وفي هذا السياق فقد اعترفت الشريعة الإسلامية لكافة الديانات السماوية السابقة لينجم عن هذا الاعتراف مبدأ هام تمثل في احترام معتنقي تلك الديانات ليكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وكنتيجة لهذا يكون من حقه ممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية والشاهد على ذلك هو ما قام به النبي (ص) في السنة الأولى من الهجرة حيث عقد مع يهود المدينة عقد اسمي بعقد الأمان ليمنحهم بذلك الحق والحرية في أن يعتنقوا الإسلام بلا إكراه ولا إجبار، وفي

المقابل لهم الحرية في أن يبقوا على عقيدتهم ويمارسوا شعائرهم الدينية تحت سلطان الدولة الإسلامية بعيدا عن كل ضغط أو إساءة مهما كان نوعها».(٣٢)

سادساً: المكونات المقدسة في الإسلام

أصل كلمة مكان لغة هو م ك ن ويعرف المكان لغة بأنه الحاوي للشيء المستقر، كمقعد الإنسان من الأرض وموضع قيامه وإضجاعه.(٣٣)

وقد سبق تعريف المقدس في الفصل التمهيدي لغة واصطلاحا بما يغني عن تكرار ذلك هنا. وعليه فإنه يمكن القول بأن الأماكن المقدسة هي الأماكن التي تحتل مكانة عظيمة ومنزلة مباركة في الإسلام مستمدة هذه المكانة من كتاب الله، ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فيما يلي عرض لأماكن مقدسة في الإسلام وذلك على سبيل الذكر لا الحصر:

مكة المكرمة

في القرآن الكريم، الله أقسم بها لما حلّ بها رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم. قال تعالى: (لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَد). و لمكة أسماء كثيرة. والله قد توعد من ينوي الإلحاد في مكة بأن يذيقه عذاباً أليماً؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ). يعني أن تستحل من الحرام ما حرم الله عليك من لسان أو قتل، فتظلم من لا يظلمك، وتقتل من لايقتلك، فإذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم.(٣٤)

المدينة المنورة

والاسم العام هو المدينة. وهذا الاسم، وإن وقع على كل بلدة، فقد صار بإطلاقه مختصا بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. والمدينة على وزن فعيلة والجمع مدن وتسمّى المدينة: طابة وطيبة.وكل طاهر طيب وقد ورد ذكر المدينة في القرآن في عدة مواضع نذكر منها قوله تعالى: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).

(٣٥) وفي فضل المدينة أحاديث كثيرة. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم « إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طَيِّبَهَا».(٣٦) والكير هو الزق الذي ينفخ فيه الحداد على الحديد وينصع يخلص وناصع كل شيء: خالصه).

(٣٧) وقال عليه وسلم « إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا – وَقَالَ – الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَا يَدَعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».(٣٨)

بيت المقدس:

وهي من المدائن العظيمة القديمة، وبها قبور الأنبياء، صلوات الله عليهم، وآثارهم. وبها محراب داود عليه السلام وبها الصخرة المعلقة،وبها جبل عظيم منه رفع عيسى عليه السلام إلى السماء. وبها مسجد عظيم جدا، وهو أعظم مساجد الدنيا.(٣٩) وقد شدّد الله عز وجل ملك داود في بيت المقدس. وسخر الله له الجبال والطير يسبحن ببيت المقدس، ووهب الله عز وجل له سليمان بها، وغفر لسليمان ذنبه وفهمه الحكمة في بيت المقدس، وكانت أنبياء بني إسرائيل تقرب بها، واصطفى الله عزّ وجل مريم بها على نساء العالمين.

الكعبة:

قبلة المسلمين وبيت الله الحرام ذكر وهب بن منبه(٤٠) أن الله تبارك وتعالى، لما أهبط «آدم» إلى الأرض، حزن واشتد بكاؤه على الجنة، فعزّاه الله بخيمة من خيام الجنة، فوضعها له ب «مكة» في موضع «الكعبة»، قبل أن تكون «الكعبة، وكانت الخيمة ياقوتة حمراء، من ياقوت الجنة، فيها قناديل من ذهب من تير الجنة ونزل معها الركن يومئذ، وهو ياقوتة بيضاء، وكان كرسيال «آدم» يجلس عليه، فلما كان الغرق زمن «نوح» – عليه السلام رفع ومكثت الأرض خرابا ألفى

سنة، حتى أمر الله تبارك وتعالى «إبراهيم» أن يبين بيته، فجاءت السكينة كأنها سحابة فيها رأس يتكلم، له وجه كوجه الإنسان، فقالت: يا إبراهيم، خذ ظلي فابن عليه، فبنى هو و «إسماعيل» البيت، ولم يجعل له الله «آدم» و «البيت» بالملائكة في «الحرم» مقام الملائكة يومئذ. ولم تزل خيمة «آدم» – عليه السلام إلى أن،قبض، ثم رفعها الله إليه، وبنى بنو «آدم» من بعده في موضعها بيتا من الطين والحجارة، ثم نسفه الغرق فعفّى مكانه، حتى ابتعث الله تعالى «إبراهيم» – عليه السلام– وحفر عن قواعده وبناه على ظل الغمامة، فهو أول بيت وضع للناس.(٤١)

بئر زمزم

البشر المعروف في المسجد الحرام ويقع شرقي المسجد، ويعود تاريخه كما هو معروف إلى زمن إبراهيم وإسماعيل وهاجر.

مقام إبراهيم عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى».(٤٢) وقال تعالى: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا».(٤٣)

غار حراء

وهو الموضع الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتحنث فيه قبل النبوة(٤٤)، حيث كان يخلو الرسول صلى الله عليه وسلم فيتعبد الليالي وفيه شهد نزول الوحي عليه.(٤٥)

غار ثور

وهو غار في جبل أسفل مكة لجأ إليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر الصديق بعدما جاء أمر الله بالهجرة من مكة للمدينة.(٤٦)

عرفات والمشعر الحرام

قال تعالى: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ».(٤٧) عن مجاهد قال: قال إبراهيم رب أرنا مناسكنا، فأتاه جبريل فأتى به البيت فقال: ارفع القواعد، فرفع القواعد، وأتم البنيان ثم أخذ بيده فأخرجه فانطلق به نحو منى فلما كان عند العقبة فإذا إبليس قائم عند الشجرة، فقال، كبر وارمه، فكبر و رماه، فذهب إبليس، حتّى أتى الجمرة الوسطى ففعل به إبراهيم كما فعل في الأولى، ثم كذلك في الجمرة الثالثة، ثمّ أخذ جبريل بيد إبراهيم حتى أتى به المشعر الحرام فقال: هذا المشعر الحرام، ثم ذهب حتّى أتى به عرفات، قال: و قد عرفت ما أريتك؟ قالها ثلاثا، قال: نعم، قال: فإذن في الناس بالحج، قال: كيف أؤذن؟ قال: قل يا أيّها الناس أجيبوا ربّكم ثلاث مرّات، فأجاب العباد: لبيك اللهم لبيك.(٤٨)

المسعى:

يقع بجانب المسجد الحرام، وهو المسافة التي ينبغي على الحجّاج أن يسعوا فيها بين جبلي الصفا والمروة. قال تعالى:﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ فَمَن حَجَّ أَوِ اعتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عليه أن يُطَّوَّفَ بِهِمَا وَ مَن تَطَوَّعَ خَيراً فإنَّ اللهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ».(٤٩) والصفا في اللغة هي الحجارة الصلبة الصلدة التي لاتنبت شيئاً، وهو جمع واحدة صفاة وصفا، مثل: حصاة وحصى. والمروة: الحجارة اللينة و هذان الموضعان من شعائر الله، أي من أعلام متعبداته.و واحد الشعائر: شعيرة والشعائر: كل ماكان من موقف أو مسعى أو ذبح. والشعائر: من شعرت بالشيء: إذا علمت به، فسمّيت الأعلام التي هي متعبدات الله: شعائر. والحج في اللغة: القصد، وكذلك كلّ قاصد شيئاً فقد اعتمره. والجناح: الإثم، أخذ من جنح: إذا مال وعدل، وأصله من جناح الطائر، و إنّما اجتنب المسلمون الطواف بينهما، لمكان الأوثان، فقيل لهم: إن نصب الأوثان بينهما قبل الإسلام لايوجب اجتنابهما فأعلم الله عزّ وجلّ أنّه لاجناح في التطوف بهما، و أن من تطوع بذلك فإنّ الله شاكر عليم.والشكر من الله، المجازاة والثناء الجميل.(٥٠)

المساجد ودور العبادة

و أقدس المساجد في الإسلام على وجه الخصوص المسجد الحرام والمسجد النبوي. قال الله تعالى: ﴿سبحان الذي

أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ». (٥١) وعن أبي هريرة، عن النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم: « لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلا إِلى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الحَرَامِ وَمَسْجِدِ الأَقْصَى».(٥٤) ومن المساجد التي لها مكانة مباركة مطهرة مسجد قباء. وبشكل عام فإنَّ المساجد من الأماكن التي لها قدسيتها في الإسلام فهي بيوت الله التي يذكر فيها اسمه، ويلحق بها الكنائس ودور العبادة.

قبر الرسول والروضة التي بين منبره وقبره

عَنْ أَبِي هريرة، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ : « مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي».(٥٣)

المقابر

كمقبرة شهداء أحد. عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: «رَأَيْتُ قُبُورَ شُهَدَاءِ أُحُدٍ وَهِيَ جُثِيٌّ يَهْتَزُّ عَلَيْهَا النَّضْرُ، يَعْنِي النَّبْتَ»( ) ومقبرة بني هاشم ونذكر بالمثال منهم (ضريح الامام علي وضريح الامام الحسين وضريح الامام الرضا وغيرهم من الائمة الاطهار والمقابر التي تجمع زرية محمد وال محمد) ومقبرة جنة البقيع في المدينه المنوره .

النتائج:

بعد تطرقنا إلى دراسة هذا الموضوع من مختلف جوانبه خاصة الجانب الديني والجانب القانوني ولتناولنا لمختلف الأحكام والأنظمة القانونية التي عالجت هذا الموضوع أو كانت لها صلة به من خلال اعتمادنا دراسة تحليلية اختتمنا بحثنا هذا بذكر أهم النتائج وبعض الحلول التي توصلنا إليها بتوفيق من الله وعونه ثم بجهدنا والتي لخصناها في نقاط كالآتي:

أولاً: اتفاق كل من الشريعة الإسلامية والقانون العراقي على ضرورة حفظ الدين وحمايته من أية انتهاكات قد تطاله.

ثانياً: الحماية الجزائيه للدين لا تعارض مبدأ الحرية الدينية وانما تضبطه وتحدد كيفيات ممارسته دون المساس بحرمة الدين ولا بالنظام العام وآداب العامة.

ثالثاً: درجة الحماية الجزائية للدين في الشريعة الإسلامية أكبر من الحماية الجزائية للدين في القانون العراقي كذلك جاءت الشريعة الإسلامية بصورة أعم وأشمل في مجالات هذه الحماية على عكس التشريع العراقي من خلال أن الشريعة الإسلامية حرمت كل إساءة أو انتهاك يمس بالدين في أصله أو انكاره أو استهزاء أو التشكيك به أو ترك الشعائر التعبدية الإسلامية أو الردة في حين المشرع العراقي لم يجرم شيئا من ذلك إلا قليل وبمفهوم ضيق.

كذلك نجد ان الشريعة الإسلامية صرحت وفصلت في تجريم الإساءة إلى الدين في شتى المجالات، فنجد أن لكل أصل من أصول العقيدة نص صريح أو أكثر يجرم إساءة إليه وكذا كل شعيرة من شعائر الإسلام صغيرة كانت أم كبيرة.

رابعا: ما جاءت به الشريعة الإسلامية من أحكام لحماية الدين كان كفيلا بتحقيق الحماية اللازمة وضرورية لقمع أي اعتداء أو مساس بحرمة الدين وأصول العقيدة.

على عكس القانون العراقي الذي لم يوفق إلى حد كبير لتجسيد الحماية القانونية لحماية الدين الإسلامي من اعتداءات وانتهاكات وذلك راجع إلى ضيق مجالات الحماية فيه وقلة صور هذه الحماية وضعف درجتها.

و أما بالنهاية؛ النتيجة الرئيسية للإساءة إلى المقدسات في العراق هي تعريض الجاني للمساءلة القانونية والعقوبات التي ينص عليها قانون العقوبات العراقي.

ومن الناحية القانونية، فإن الإساءة إلى المقدسات في العراق تعتبر جريمة جنائية وتخضع للعقوبات المنصوص عليها في القانون، وتشمل ذلك الإساءة إلى القرآن الكريم وغيره من المقدسات الدينية.

وبموجب قانون العقوبات العراقي، فإن العقوبات الممكنة تتراوح بين السجن والغرامة، وتعتمد على خطورة الجريمة وتأثيرها على المجتمع والأفراد.

ومن المهم الإشارة إلى أن الحفاظ على المقدسات الدينية يعتبر من القضايا الحساسة في العراق، وتحرص السلطات العراقية على الحفاظ على المقدسات وحمايتها من أي إساءة أو تجاوز، وذلك بتكثيف الإجراءات الأمنية والقانونية اللازمة.

ومن المهم أيضاً توعية الجمهور بأهمية المقدسات الدينية والحفاظ عليها، وتعزيز القيم الدينية والاجتماعية التي تعزز الاحترام والتسامح بين المختلفين الدينيين.

وفي النهاية، ينبغي على الجميع احترام المقدسات الدينية وتجنب الإساءة إليها، والالتزام بالقوانين والأنظمة المعمول بها في العراق لحماية المقدسات والحفاظ على السلم الاجتماعي والديني.

تعالى:﴿إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ فَمَن حَجَّ أوِ اعتَمَرَ فَلا جُناحَ عليهِ أن يُطَوَّفَ بِهِمَا وَ مَن تَطَوَّعَ خَيراً فإنَّ اللهَ شاكِرٌ عَليمٌ». والصفا في اللغة هي الحجارة الصلبة الصلدة التي لاتنبت شيئاً، وهو جمع واحدة صفاة وصفا، مثل: حصاة وحصى. والمروة: الحجارة اللينة و هذان الموضعان من شعائر الله، أي من أعلام متعبداته.و واحد الشعائر: شعيرة والشعائر: كل ماكان من موقف أو مسعى أو ذبح. والشعائر: من شعرت بالشيء: إذا علمت به، فسمّيت الأعلام التي هي متعبدات الله: شعائر. والحج في اللغة: القصد، وكذلك كلّ قاصد شيئاً فقد اعتمره. والجناح: الإثم، أخذ من جنح: إذا مال وعدل، وأصله من جناح الطائر، و إنّما اجتنب المسلمون الطواف بينهما، لمكان الأوثان، فقيل لهم: إن نصب الأوثان بينهما قبل الإسلام لايوجب اجتنابهما فأعلم الله عزّ وجلّ أنّه لاجناح في التطوف بهما، و أن من تطوع بذلك فإنَّ الله شاكر عليم.والشكر من الله، المجازاة والثناء الجميل.

المساجد ودور العبادة

و أقدس المساجد في الإسلام على وجه الخصوص المسجد الحرام والمسجد النبوي. قال الله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ». وعن أبي هريرة، عن النّبي صلى الله عليه وسلم: « لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلا إِلى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الأَقْصَى». ومن المساجد التي لها مكانة مباركة مطهرة مسجد قباء. وبشكل عام فإنَّ المساجد من الأماكن التي لها قدسيتها في الإسلام فهي بيوت الله التي يذكر فيها اسمه، ويلحق بها الكنائس ودور العبادة.

قبر الرسول والروضة التي بين منبره وقبره

عَنْ أَبِي هريرة، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ : « مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي».

المقابر

كمقبرة شهداء أحد. عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: «رَأَيْتُ قُبُورَ شُهَدَاءِ أُحُدٍ وَهِيَ جُثِيٌّ يَهْتَزُّ عَلَيْهَا النَّضْرُ، يَعْنِي النَّبْتَ»(٥٤). ومقبرة بني هاشم ونذكر بالمثال منهم (ضريح الامام علي وضريح الامام الحسين وضريح الامام الرضا وغيرهم من الائمة الاطهار والمقابر التي تجمع زرية محمد وال محمد) ومقبرة جنة البقيع في المدينه المنوره .

النتائج

بعد تطرقنا إلى دراسة هذا الموضوع من مختلف جوانبه خاصة الجانب الديني والجانب القانوني ولتناولنا لمختلف الأحكام والأنظمة القانونية التي عالجت هذا الموضوع أو كانت لها صلة به من خلال اعتمادنا دراسة تحليلية اختتمنا بحثنا هذا بذكر أهم النتائج وبعض الحلول التي توصلنا إليها بتوفيق من الله وعونه ثم بجهدنا والتي لخصناها في نقاط كالآتي:

أولا: اتفاق كل من الشريعة الإسلامية والقانون العراقي على ضرورة حفظ الدين وحمايته من أية انتهاكات قد تطاله.

ثانيا: الحماية الجزائيه للدين لا تعارض مبدأ الحرية الدينية وانما تضبطه وتحدد كيفيات ممارسته دون المساس بحرمة الدين ولا بالنظام العام وآداب العامة.

ثالثا: درجة الحماية الجزائية للدين في الشريعة الإسلامية أكبر من الحماية الجزائية للدين في القانون العراقي كذلك جاءت الشريعة الإسلامية بصورة أعم وأشمل في مجالات هذه الحماية على عكس التشريع العراقي من خلال أن الشريعة الإسلامية حرمت كل إساءة أو انتهاك يمس بالدين في أصله أو انكاره أو استهزاء أو التشكيك به أو ترك الشعائر التعبدية الإسلامية أو الردة في حين المشرع العراقي لم يجرم شيئا من ذلك إلا قليل ومفهوم ضيق.

كذلك نجد ان الشريعة الإسلامية صرحت وفصلت في تجريم الإساءة إلى الدين في شتى المجالات، فنجد أن لكل أصل من أصول العقيدة نص صريح أو أكثر يجرم إساءة إليه وكذا كل شعيرة من شعائر الإسلام صغيرة كانت أم كبيرة.

رابعا: ما جاءت به الشريعة الإسلامية من أحكام لحماية الدين كان كفيلا بتحقيق الحماية اللازمة وضرورية لقمع أي اعتداء أو مساس بحرمة الدين وأصول العقيدة.

على عكس القانون العراقي الذي لم يوفق إلى حد كبير لتجسيد الحماية القانونية لحماية الدين الإسلامي من اعتداءات وانتهاكات وذلك راجع إلى ضيق مجالات الحماية فيه وقلة صور هذه الحماية وضعف درجتها.

و أما بالنهاية؛ النتيجة الرئيسية للإساءة إلى المقدسات في العراق هي تعريض الجاني للمساءلة القانونية والعقوبات التي ينص عليها قانون العقوبات العراقي.

ومن الناحية القانونية، فإن الإساءة إلى المقدسات في العراق تعتبر جريمة جنائية وتخضع للعقوبات المنصوص عليها في القانون، وتشمل ذلك الإساءة إلى القرآن الكريم وغيره من المقدسات الدينية.

وبموجب قانون العقوبات العراقي، فإن العقوبات الممكنة تتراوح بين السجن والغرامة، وتعتمد على خطورة الجريمة وتأثيرها على المجتمع والأفراد.

ومن المهم الإشارة إلى أن الحفاظ على المقدسات الدينية يعتبر من القضايا الحساسة في العراق، وتحرص السلطات العراقية على الحفاظ على المقدسات وحمايتها من أي إساءة أو تجاوز، وذلك بتكثيف الإجراءات الأمنية والقانونية اللازمة.

ومن المهم أيضاً توعية الجمهور بأهمية المقدسات الدينية والحفاظ عليها، وتعزيز القيم الدينية والاجتماعية التي تعزز الاحترام والتسامح بين المختلفين الدينيين.

وفي النهاية، ينبغي على الجميع احترام المقدسات الدينية وتجنب الإساءة إليها، والالتزام بالقوانين والأنظمة المعمول بها في العراق لحماية المقدسات والحفاظ على السلم الاجتماعي والديني.

الهوامش :

١. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص:٥١
٢. الرازي، مختار الصحاح: ص٥٢٤
٣. الرازي، مختار الصحاح: ص٥٢٤
٤. عبدالله، الحق في حماية أماكن العبادة: ص ٣٢١
٥. سورة البقرة، الاية، ١٢٥
٦. سورة آل عمران، الاية ٩٧
٧. عبدالقادر، الاماكن المقدسة الدينية: ص ٣٨
٨. عبدالفتاح، الحماية الجنائية لحرية العقيدة و العبادة: ص٤٢
٩. ابراهيم، تقييم الاوضاع الامنية في الوطن العربي: ص ١١
١٠. رياض، الاماكن الدينية المقدسة في منظور القانون الدولي: ص ٥٣
١١. الفيومي،المصباح المنير: ج١، ص٣٩٧
١٢. الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس : ج١٩ ، ص٦٦٠
١٣. فتح الله،معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ج١، ص١١٥
١٤. عبدالعال، جريمة التعدي على حرمة الاديان و ازدراءها في التشريعات الجنائية الوضعية: ص٣٩
١٥. الصادق، الامكنه المقدسة: ص ٧٩
١٦. شربيني، الحماية للاديان: ص ٥٨
١٧. الصالح و الأحمد، المعجم الصافي في اللغة العربية: ص ٤٩

١٨. الحسني، شرح قانون العقوبات العراقي الجديد: ص ٤٥
١٩. عبداللطيف، جرائم الأموال العامة: ص١٠٢
٢٠. متى ١٢:ص ٣١٣٢
٢١. يوحنا ٤٨:١١ أعمال الرسل ١٦:٤ ومرقس٢٢
٢٢. آرتور، تعليق على العهد الجديد: ص ١٥٦
٢٣. آرتور، تعليق على العهد الجديد: ص١٥٦
٢٤. عقاب عبد الصمد، المرجع السابق، ص ٧٥
٢٥. سورة البقرة، الآية رقم ٢٥٦
٢٦. سورة يونس، الآية رقم ٩٩
٢٧. سورة الكهف، الآية رقم ٢٩
٢٨. سورة الكافرون، الآية رقم ٦
٢٩. سورة سبأ، الآية رقم ٩٩
٣٠. سورة سبأ، الآية رقم ٢٨
٣١. سورة المائدة، الآية رقم ٩٩
٣٢. الرفاعي، المسؤولية الجنائية الدولية للمساس بالمعتقدات والمقدسات الدينية: ص٣١
٣٣. الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ج ١، ص ٨٢٦
٣٤. ابن الجوزي، مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن: ص ٤٥١
٣٥. سورة التوبة، الآية: ١٢٠
٣٦. مسلم، صحيح مسلم: كتاب الحج: ص ٤٨٩
٣٧. الجوزي ، كشف المشكل من حديث الصحيحين: ج٣، ص ١٢٠
٣٨. مسلم، صحيح مسلم: كتاب الحج: ص٤٥٩
٣٩. المنجم، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان: ج ١، ص ٣١٣٢
٤٠. وهب بن منبه الابناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القائمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات يعد في التابعين أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن وأمه من حمير ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها (انظر الزركلي، مرجع سابق، ج٨، ص ١٢٥) الدينوري، المعارف: ج ١، صص ٥٥٨-٥٥٩
٤١. حين ترك إبراهيم الخليل عليه السلام إسماعيل وهاجر بموضع الكعبة وانصرف، والقصة مشهورة قالت له هاجر: يا إبراهيم الله أمرك أن تتركنا في هذه البرية الحارة وتنصرف عنا؟ قال: نعم قالت: حسبنا الله إذا فلا نضيع فأقامت عند ولدها حتى نفد ماء الركوة فبقي إسماعيل يتلظى من العطش فتركته وارتقت الصفا تلتمس غوثاً أو ماء فلم تر شيئاً، فبكت ودعت هناك واستسقت ثم نزلت حتى أتت المروة وتشوفت ودعت مثل ما دعت بالصفا، ثم سمعت أصوات السباع فخافت على ولدها فسعت إليه بسرعة فوجدته يفحص برجليه الأرض وقد انفجر من تحت عقبه الماء، فلما رأت هاجر الماء حوطت عليه بالتراب من خوفها أن يسيل فلو لم تفعل ذلك لكان الماء جارياً (انظر: ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب: ج ١، ص ٢٧٢
٤٢. سورة البقرة، الآية ١٢٥
٤٣. آل عمران: الآية ٩٧
٤٤. الحازمي، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة: ج١: ص ٢١٧
٤٥. العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ج١، ص ١٨٩
٤٦. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار: ج١، ص ٤٢٥

٤٧. سورة البقرة، الآية ١٩٨

٤٨. الشوكاني، فتح القدير: ج١، ص ١٧٦

٤٩. سورة البقرة، الآية ١٥٨

٥٠. الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: ج١، ص ١٢٦

٥١. سورة الإسراء: الآية ١

٥٢. مسلم، صحيح مسلم: كتاب الحج: ص ٥١١

٥٣. مسلم، صحيح مسلم: كتاب الحج: ص ٥٠

٥٤. النميري، تاريخ المدينة لابن شبة: ج١، ص ١٣١

المصادر والمراجع :

القران الكريم

١. إبن أبي ثعلبة، يحيى بن سلام.(٢٠٠٤).تفسير يحيى بن سلام. تحقيق هند شلبي ، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢. ابن أبي موسى الأشعرى، أبو الحسن على بن إسماعيل.(١٤١٣). رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب. تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدى، المملكة العربية السعودية : عمادة البحث العلمى بالجامعة الإسلامية.

٣. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات.(١٩٧٩).النهاية فى غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ؛ ومحمود محمد الطناحى، بيروت: المكتبة العلمية.

٤. ابن الجوزي، جمال الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن علي.(١٤٢٢). زاد المسير في علم التفسير. تحقيق: عبدالرزاق المهدي، بيروت، دارالكتاب العربي.

٥. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي.(١٩٩٥). مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن تحقيق. مصطفى محمد حسين الذهبي، القاهره: دار الحديث.

٦. ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق.(١٤٢٣). إصلاح المنطق. تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربى.

٧. ابن بطال، أبو الحسن على بن خلف.(٢٠٠٣). شرح صحيح البخارى. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد.

٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الصارم المسلول على شاتم الرسول. تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، المملكة العربية السعودية: الحرس الوطنى السعودى.

٩. ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد.(١٤٢٢). جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم. تحقيق: شعيب الأرناؤوط و إبراهيم باجس، بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٠. ابن سعد.(١٩٩٨). الطبقات الكبرى. بيروت: دار الكتب العلمية.

١١. ابن سيده المرسى، أبو الحسن على بن إسماعيل.(١٤١٧). المخصص. تحقيق: خليل إبراهم حفال ط، بيروت: دار إحياء التراث العربى.

١٢. ابن عابدين، علاء الدين محمد بن محمد، قرة عيون الأخيار لتكملة رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار. مطبوع بآخر رد المحتار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر.(١٤١٢). رد المحتار على الدر المختار. بيروت: دار الفكر.

١٤. ابن عيسى، أحمد بن إبراهيم.(١٤٠٦). توضيح المقاصد وتصحيح القواعد فى شرح قصيدة الإمام ابن القيم. تحقيق: زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامى.

١٥. ابن فرحون، إبراهيم بن على بن محمد.(١٩٨٦). تبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام. مكتبة الكليات الأزهرية.

١٦. ابن منظور، جمال الدين.(١٤١٤). لسان العرب. بيروت، دار صادر.

١٧. أبو حبيب، سعدى.(١٩٨٨). القاموس الفقهى لغه و اصطلاحا. دمشق: درا الفكر.

١٨. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد.(١٤٢٦). شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية فى عقد أهل الفرقة المرضية. الرياض: دار الوطن للنشر.

١٩. العسقلاني، أحمد بن على، الاصابة فى تمييز الصحابة. تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركى، المملكة العربية السعودية: دار العلم للطباعة والنشر.

٢٠. العسكرى، أبو هلال الحسن بن عبدالله.(١٤١٢). معجم الفروق اللغوية. تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، موسسه النشر الاسلامى.

٢١. العكيلى، عبدالامير ، سليم حربه.(١٩٨٧). شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية. بغداد: شركة أياد.

٢٢. العليمي، عبدالرحمن بن محمد، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. تحقيق: عدنان يونس عبدالمجيد، عمان: مكتبة دنديس.

٢٣. عمار، محمد .(٢٠٠٥). احترام المقدسات. هذا هو الاسلام. مصر: دار النهضة.

٢٤. عمر، أحمد مختار عبد الحميد.(١٤٢٩). معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب.

٢٥. العواء، محمد سليم .(٢٠٠٦). في اصول النظام الجنائي الاسلامي. دراسة مقارنة. القاهرة: نهضة مصر للطباعة و النشر.

٢٦. عودة، عبدالقادر .(١٩٩٣). التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي. القاهرة: مكتبه كليات الازهريه.



السيدة زينب عليها السلام في ضوء السنن القرآنية من الابتلاء الى التمكين دراسة موضوعية

م. م. اكرام نوري مصطفى
جامعة بغداد /كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية



للمستخلص:
يتناول هذا البحث شخصية السيدة زينب (عليها السلام) في ضوء السنن القرآنية، لا سيّما سنة الابتلاء والتمكين، بوصفها من أهم القواعد الإلهية التي تحكم حركة التاريخ ومسار الرسالات. وقد اعتمد البحث المنهج التفسيري الموضوعي في تتبّع الآيات التي تتحدث عن الابتلاء والتمكين، وربطها بمواقف السيدة زينب (عليها السلام) بعد فاجعة كربلاء، لبيان عظمة ثباتها وعمق إدراكها لسنن الله في التغيير. ويسعى البحث إلى إثبات أن السيدة زينب (عليها السلام) لم تكن مجرد شاهدة على المصاب، بل كانت فاعلة في تحويل الهزيمة الظاهرية إلى تمكين معنوي وفكري واجتماعي، مستندة في ذلك إلى وعي قرآني عميق، وإيمان راسخ بموعود الله. وقد خلُص البحث إلى أن شخصية السيدة زينب (عليها السلام) تمثل أنموذجًا حيًّا للمرأة المؤمنة الواعية التي جسّدت السنن القرآنية في أحلك الظروف..

الكلمات المفتاحية:السيدة زينب، السنن القرآنية، الابتلاء، التمكين، التفسير الموضوعي، كربلاء.

Abstract:
This research explores the character of Lady Zainab (peace be upon her) in light of Qur'anic laws (Sunan), particularly the divine laws of trial and empowerment. It adopts the thematic exegesis approach to trace Qur'anic verses related to tribulation and divine support, and examines how these concepts are reflected in Lady Zainab's stances after the tragedy of Karbala. The study aims to demonstrate that Lady Zainab was not merely a passive witness to the calamity but a key figure in transforming apparent defeat into spiritual, intellectual, and social empowerment. Her unwavering stance was rooted in deep Qur'anic awareness and firm faith in divine promise. The findings suggest that Lady Zainab (PBUH) is a living model of the conscious believing woman who embodied the Qur'anic laws of change in the most difficult circumstances.

Keywords:Lady Zainab, Qur'anic laws, trial, empowerment, thematic interpretation, Karbala.

المبحث الاول: الابتلاء في حياة السيدة زينب (عليها السلام) في ضوء السنن القرآنية

المطلب الأول:

سنّة الابتلاء في القران الكريم «المفهوم والدلالات»

من بين السنن الإلهية التي بيّنها القرآن الكريم للناس كافة، وأكّد على شموليتها وثباتها، سنة الابتلاء التي تُعدُّ من أعمق السنن القرآنية أثرًا في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتوجيهه نحو الكمال، فقد عالجت النصوص القرآنية الابتلاء باعتباره أحد الوسائل الأساسية التي يربي بها الله عباده ويقودهم من طور الاستكانة والجهل إلى طور النضج والتمكين، ولأن السنة الإلهية لا تتبدل ولا تتحول، كما ورد في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (١)، فقد جاءت هذه السنة حاضرة في مسيرة الأنبياء والمؤمنين، لتصنع من الصابرين أئمة، وتجعل من الممتحنين أمناء على الرسالة.

وقد حملت لفظة الابتلاء في القرآن الكريم معاني متعدّدة تدور جميعها حول الامتحان والاختبار، ليس فقط في مواطن الشدة والعسر، بل حتى في مواضع الرخاء، لأن الغنى واليسر قد يكونان أشد فتنة من الفقر والضيق. ولذا جاء قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٢) ليؤكد أن مجمل ما يعيشه الإنسان من تقلبات هو ابتلاء مستمر، يُبنى به الإيمان، ويُصفّى به القلب، وتُكشف به معادن الرجال والنساء على حد سواء. والابتلاء في حقيقته ليس جزافًا، بل هو

فعل رباني نابع من حكمة مطلقة، يُوظّف لغايات عليا، من أبرزها تطهير النفوس، وتمييز الصفوف، وتقوية العزائم، وبناء الصبر الحقيقي الذي لا يتزعزع أمام العواصف (٣).

لقد عرض القرآن الكريم نماذج عديدة من قصص الممتحنين والمبتلين، بدءًا من سيدنا آدم (عليه السلام) الذي بُلي بإبليس والاختيار، ثم نوح الذي بُلي بقومه الرافضين، ثم إبراهيم الذي ابتُلي في عقيدته وولده ونفسه، ومرورًا بموسى الذي واجه طغيان فرعون، وعيسى الذي واجه تآمر قومه، وختامًا بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي جمع الله له صور الابتلاء كلها، فكان النموذج الأتم للممتحَن الصابر، الذي استحق النصر والتمكين في النهاية. ولعل القاسم المشترك بين هذه النماذج كلها هو أن الابتلاء لم يكن أبدًا دليلَ غضب، بل كان أحيانًا وسيلة اصطفاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٤) بعد أن اجتاز إبراهيم سلسلة من الابتلاءات العظمى..

وإذا ما تأملنا في هذه السنة الربانية من حيث أثرها التربوي، نجد أنها تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان أمام نفسه أولًا، وإعداده لمسؤولية أكبر ثانيًا، وتحقيق التوازن النفسي بين الرجاء والخوف ثالثًا، وتثبيت علاقة العبد بربه رابعًا. فالإنسان في لحظة الابتلاء يُنزع منه زيف الادّعاء، ويسقط عنه قناع التظاهر، ليظهر على حقيقته، فإن صبر ثبت، وإن جزع انكشف. ولذلك قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٥)، فالإيمان لا يُصدّق عليه إلا بالابتلاء، وهو معيار يميز المؤمن الصادق عن مدّعي الإيمان، ويُغربل المجتمع من الداخل.

وما من شك أن الابتلاء القرآني يتخذ أشكالًا متعدّدة؛ فقد يكون بالنفس، كما في المرض أو القتل أو الأَسْر، وقد يكون بالمال، كما في الفقر أو الخسارة، وقد يكون بالولد، كما في الفقد أو الانحراف، وقد يكون في المبادئ، كما في لحظة المفاضلة بين الحق والحياة، أو بين الدين والمصلحة (٦). وهذه الأشكال تتكامل لتصنع شخصية قرآنية حقيقية، لا تتعلق بالمظاهر، وإنما تثمر في القلب روحَ الصبر واليقين. ومن هنا، لا يكون الصبر موقفًا سلبيًا، بل هو تفاعل حيٌّ مع سنن الله، يترقّى فيه العبد من مرتبة الرضا إلى مقام الرؤية الباطنية للجمال الإلهي حتى في أحلك اللحظات. وهو ما عبّرت عنه السيدة زينب (عليها السلام) بقولها الخالد أمام الطاغية: "ما رأيت إلا جميلًا"، وهو ليس كلامًا عاطفيًا، بل فهم عميق لسنة الابتلاء بوصفها طريقًا للارتقاء (٧)

إنّ المتأمّل في سيرة السيدة زينب (عليها السلام) يجد أن الابتلاء كان سُنّة ملازمة لمسيرتها المباركة، منذ نعومة أظفارها وحتى آخر لحظة من حياتها، وقد جسّدت هذه السُنّة الإلهية في أسمى معاني الصبر والثبات. فابتلاؤها لم يكن عارضًا أو لحظة عابرة، بل كان منهجًا ربّانيًا أظهر من خلاله الله تعالى مقام أوليائه وميزان تمكينهم. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه السنن بقوله تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ} (العنكبوت: ٢)فجاء هذا الابتلاء تمحيصا وتكريما لا تعذيبا واقصاء،

إنّ زينب الكبرى (عليها السلام) لم تكن شاهدة على البلاء فحسب، بل كانت مؤمنة عاملة في قلبه، فهي لم تنهَر في الشدائد، ولم تتراجع أمام المحن، بل وقفت خطيبةً وموجّهة، واعيةً بموقعها الرسالي، عالمةً بمقامها في منظومة السنن الإلهية، وهذا ما يجعل سيرتها مثالًا حيًا على أن الابتلاء ليس عكس التمكين، بل طريقٌ له، وقد قال تعالى:

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص: ٥)وكان تمكين زينب (عليها السلام)هو تمكين للكلمة والموقف لا للملك والسلاح ، فخاطبت يزيد بوعي رساليّ يتجاوز لحظة الأسر إلى سعة الرسالة.

إن سيرة السيدة زينب (عليها السلام) تمثل ميدانًا تطبيقيًّا بارزًا لسنة الابتلاء القرآنية، فقد عاشت كل ألوان المحنة: من فقد الأخ والأبناء، إلى السبي والانكشاف، إلى المواجهة في مجلس الطغاة، لكنها لم تنهَر، بل تجلت فيها معاني الثبات والتوكّل، وكأنها هي النموذج المؤنث لقيم الصبر النبوي. إن زينب (عليها السلام) لم تكن صابرة فقط، بل كانت مُبصرة، واعية، مدركة لسنة الله في خلقه، ولذلك لم تغضب، ولم تجزع، بل أدركت أن هذه المرحلة هي اختبار تمهيدي لمرحلة التمكين القادمة، والتي ظهرت في قيادتها للنساء، وبلاغتها في الخطابة، ووقوفها شامخة في وجه الظالمين، وهذه الرؤية العميقة للابتلاء لا تتأتى إلا لمن تمرّس في مدرسة القرآن وترقّى في أحضان النبوة (٨).

ولذلك، فإن دراسة الابتلاء بوصفه سنة قرآنية، لا يمكن أن تكتمل دون الربط بين النصوص النظرية والتطبيقات الواقعية في سير العظماء، وعلى رأسهم أهل البيت (عليها السلام)، ومنهم زينب الكبرى، التي طبقت السنن الإلهية في الابتلاء عمليًا، وجسّدت مفاهيم الصبر والشجاعة والتمكين بلغة الواقع، لا لغة الشعارات.

والقرآن الكريم حين يذكر قصص الابتلاء، لا يهدف فقط إلى التسلية أو التذكير، بل إلى التربية وبناء الوعي بأن طريق الكمال محفوف بالعقبات، وأن الأمانة لا تُمنح إلا لمن ثبت في لحظات الشدة، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ (٩).

المطلب الثاني:

سنة التمحيص في القران الكريم _الكشف والتمييز الالهي :

من بين السنن الإلهية التي بيّنها القرآن الكريم للناس كافة، وأكّد على شموليتها وثباتها، سنة الابتلاء التي تُعدُّ من أعمق السنن القرآنية أثرًا في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتوجيهه نحو الكمال، فقد عالجت النصوص القرآنية الابتلاء باعتباره أحد الوسائل الأساسية التي يربي بها الله عباده ويقودهم من طور الاستكانة والجهل إلى طور النضج والتمكين، ولأن السنة الإلهية لا تتبدل ولا تتحول، كما ورد في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (١٠)، فقد جاءت هذه السنة حاضرة في مسيرة الأنبياء والمؤمنين، لتصنع من الصابرين أئمة، وتجعل من الممتحنين أمناء على الرسالة.

وقد حملت لفظة الابتلاء في القرآن الكريم معاني متعدّدة تدور جميعها حول الامتحان والاختبار، ليس فقط في مواطن الشدة والعسر، بل حتى في مواضع الرخاء، لأن الغنى واليسر قد يكونان أشد فتنة من الفقر والضيق. ولذا جاء قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (١١) ليؤكد أن مجمل ما يعيشه الإنسان من تقلبات هو ابتلاء مستمر، يُبنى به الإيمان، ويُصفّى به القلب، وتُكشف به معادن الرجال والنساء على حد سواء. والابتلاء في حقيقته ليس جزافًا، بل هو فعل رباني نابع من حكمة مطلقة، يُوظّف لغايات عليا، من أبرزها تطهير النفوس، وتمييز الصفوف، وتقوية العزائم، وبناء الصبر الحقيقي الذي لا يتزعزع أمام العواصف (١٢).

لقد عرض القرآن الكريم نماذج عديدة من قصص الممتحنين والمبتلين، بدءًا من سيدنا آدم (عليه السلام) الذي بُلي بإبليس والاختيار، ثم نوح الذي بُلي بقومه الرافضين، ثم إبراهيم الذي ابتُلي في عقيدته وولده ونفسه، ومرورًا بموسى الذي واجه طغيان فرعون، وعيسى الذي واجه تآمر قومه، وختامًا بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي جمع الله له صور الابتلاء كلها، فكان النموذج الأتم للممتحَن الصابر، الذي استحق النصر والتمكين في النهاية. ولعل القاسم المشترك بين هذه النماذج كلها هو أن الابتلاء لم يكن أبدًا دليلَ غضب، بل كان أحيانًا وسيلة اصطفاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (١٣)بعد أن اجتاز إبراهيم سلسلة من الابتلاءات العظمى.

وإذا ما تأملنا في هذه السنة الربانية من حيث أثرها التربوي، نجد أنها تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان أمام نفسه أولًا، وإعداده لمسؤولية أكبر ثانيًا، وتحقيق التوازن النفسي بين الرجاء والخوف ثالثًا، وتثبيت علاقة العبد بربه رابعًا. فالإنسان في لحظة الابتلاء يُنزع منه زيف الادّعاء، ويسقط عنه قناع التظاهر، ليظهر على حقيقته، فإن صبر ثبت، وإن جزع انكشف. ولذلك قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (١٤)، فالإيمان لا يُصدَّق عليه إلا بالابتلاء، وهو معيار يميز المؤمن الصادق عن مدّعي الإيمان، ويُغربل المجتمع من الداخل.

وما من شك أن الابتلاء القرآني يتخذ أشكالًا متعدّدة؛ فقد يكون بالنفس، كما في المرض أو القتل أو الأسر، وقد يكون بالمال، كما في الفقر أو الخسارة، وقد يكون بالولد، كما في الفقد أو الانحراف، وقد يكون في المبادئ، كما في لحظة المفاضلة بين الحق والحياة، أو بين الدين والمصلحة (١٥). وهذه الأشكال تتكامل لتصنع شخصية قرآنية حقيقية، لا تتعلق بالمظاهر، وإنما تثمر في القلب روحَ الصبر واليقين. ومن هنا، لا يكون الصبر موقفًا سلبيًا، بل هو تفاعل حيّ مع سنن الله، يترقّى فيه العبد من مرتبة الرضا إلى مقام الرؤية الباطنية للجمال الإلهي حتى في أحلك اللحظات. وهو ما

عبّرت عنه السيدة زينب (عليها السلام) بقولها الخالد أمام الطاغية: "ما رأيت إلا جميلًا"، وهو ليس كلامًا عاطفيًّا، بل فهم عميق لسنة الابتلاء بوصفها طريقًا للارتقاء. (١٦).

إن سيرة السيدة زينب (عليها السلام) تمثل ميدانًا تطبيقيًّا بارزًا لسنة الابتلاء القرآنية، فقد عاشت كل ألوان المحنة: من فقد الأخ والأبناء، إلى السبي والانكشاف، إلى المواجهة في مجلس الطغاة، لكنها لم تنهَر، بل تجلت فيها معاني الثبات والتوكّل. وكأنها هي النموذج المؤنث لقيم الصبر النبوي. إن زينب (عليها السلام) لم تكن صابرة فقط، بل كانت مُبصرة، واعية، مدركة لسنة الله في خلقه، ولذلك لم تغضب، ولم تجزع، بل أدركت أن هذه المرحلة هي اختبار تمهيدي لمرحلة التمكين القادمة، والتي ظهرت في قيادتها للنساء، وبلاغتها في الخطابة، ووقوفها شامخة في وجه الظالمين، وهذه الرؤية العميقة للابتلاء لا تتأتى إلا لمن تمرّس في مدرسة القرآن وترقى في أحضان النبوة (١٧).

ولذلك، فإن دراسة الابتلاء بوصفه سنة قرآنية، لا يمكن أن تكتمل دون الربط بين النصوص النظرية والتطبيقات الواقعية في سير العظماء، وعلى رأسهم أهل البيت (عليها السلام)، ومنهم زينب الكبرى، التي طبقت السنن الإلهية في الابتلاء عمليًا، وجسّدت مفاهيم الصبر والشجاعة والتمكين بلغة الواقع، لا لغة الشعارات.

إن سنة التمحيص في القرآن الكريم تُعدُّ من السنن الإلهية الدقيقة التي تُلازم مسيرة الابتلاء، وتشكّل مرحلة لاحقة له، حيث لا يقتصر هدف الامتحان الإلهي على مجرد الابتلاء، بل يتجاوزه إلى تمحيص النفوس وتصفيتها، وكشف الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق. والتمحيص لغةً مأخوذ من "محص"، أي أزال الخبث والشوائب، كما يُمحّص الذهب بالنار ليُعرف خالصه من زائفه (١٨) وهو ما تؤكده المعاني القرآنية في سياقات متعددة، منها قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩)، مما يدل على أن التمحيص هو عملية تطهير روحي، ومرحلة فرز بين أهل الثبات وأهل الزيف..

ويختلف التمحيص عن الابتلاء في كونه أعمق تحليلًا للذات الإنسانية، فالابتلاء قد يكون عامًا، يشمل الجميع، بينما التمحيص أكثر تخصيصًا، فهو يستهدف المؤمنين تحديدًا، لا لكونهم مذنبين، بل لأنهم مرشّحون لحمل الرسالة، ومن هنا تأتي ضرورة التمحيص لتكون نفوسهم على مستوى التكليف. ولذلك فإن كثيرًا من الابتلاءات التي تصيب المؤمنين لا تكون عقوبة، بل تهيئة لمهمة أعظم، كما بيّن الإمام علي (عليه السلام) حين قال: "إن البلاء للظالم أدب، وللمؤمن امتحان، وللأنبياء درجة، وللأولياء كرامة" (٢٠)، وفي ذلك دلالة على أن التمحيص وظيفة تربوية إصلاحية، تهيّئ الإنسان للتمكين لاحقًا.

وقد وردت سنة التمحيص في سياق غزوة أُحد، عندما تساءل الصحابة عن سبب الهزيمة رغم إيمانهم، فجاء الجواب: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ (٢١)، أي أن هذه المحنة كانت وسيلةً لفضح المنافقين، وكشف الزيف الذي كان مختبئًا خلف الشعارات. إن تمحيص الصفوف سنة قرآنية ضرورية لبناء الجماعة المؤمنة على أسس صحيحة، لأن التمكين لا يُعطى لمجتمع فيه خلل داخلي، ولذلك فإن الله لا يمكّن حتى يُنقّي الصف، ويجعل أهل التزكية وحدهم في الواجهة.

والتمحيص في القرآن لا يكون دائمًا بالشدة، بل قد يكون بالنعم أيضًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٢)، فالله يختبر بالرخاء كما يختبر بالضراء، ليرى من يشكر ومن يطغى، ومن يثبت ومن يتراجع. وهذه السنة تكشف أن جوهر التمحيص هو إخراج الناس من الادعاء إلى الحقيقة، ومن المظاهر إلى الجوهر، ولذلك لا تمرُّ على الإنسان مرورًا سطحيًّا، بل تُحدث فيه تحوّلات نفسية وروحية عميقة. ومن هنا فإن التمحيص مرحلة ضرورية تسبق أي تمكين حقيقي، لأنه لا تمكين بلا تمحيص، ولا خلافة على الأرض لمن لم يُنقَّه الله.

وقد تجلّت هذه السنة في سيرة السيدة زينب (عليها السلام) بأوضح صورها، فهي لم تكن ممتحنة فقط، بل كانت محمصة، وقد اجتازت هذه السنة بأعلى درجاتها. لم تكن زينب فقط شاهدة على المصيبة، بل كانت جزءًا من قدرٍ رباني يصفّي أهل البيت (عليهم السلام) من كل شائبة بشرية، لتبقى الطهارة ناصعة في مواجهة الطغيان، فكان تمحيصها تمهيدًا لدورها الخطابي والقيادي، الذي لا يقل أثرًا عن دور الحسين (عليه السلام) في ساحة الجهاد. ولولا هذا التمحيص، لما تجلّت

في خطبها تلك البصيرة، ولا في مواقفها تلك الثقة، فالنار التي مرّت بها لم تكن لإحراقها، بل لصقل جوهرها (٢٣).
وهكذا نفهم أن التمحيص الإلهي يُبنى على عدلٍ ورحمة، وأنه لا يُصيب إلا من استحقه بالاختيار الإلهي، وهو شرف لا يُعطى لكل أحد، ولذلك فإن أعلى مراحل العبودية لا تأتي بالصلاة فقط، بل تمر عبر طريق الألم والصبر والوعي.
والسيدة زينب (عليها السلام) حين واجهت الموقف في كربلاء وما بعده، كانت تمثّل الصورة الأسمى لهذا التمحيص، فقد كشفت كلماتها عن وعي قرآني عميق بسنة الله في خلقه، وعن فهم دقيق لدور المحن في فرز الأمة وتمييز عناصرها. لم تكتفِ بالسكون أو الصبر التقليدي، بل تجاوزت ذلك إلى خطاب التحدي الواعي، الذي يُحطّم المنظومة الظالمة بالحجّة، ويعيد تعريف الانتصار (٢٤).
ومن هذا المنظور، فإن سنة التمحيص تفسّر لنا لماذا لا يأتي النصر سريعًا، ولماذا يُمهَل الظالم أحيانًا، ولماذا يشتدّ الكرب بالمؤمنين، لأن الحقيقة هي أن النصر لا يُعطى قبل أن يُكشف كل شيء على حقيقته، ولا يُرفع البلاء حتى يظهر معدن كل نفس، ولذلك قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (٢٥)، وهذه سنة لا بدّ أن تمرّ بها كل أمة مؤمنة، وكل فرد صادق في التوجّه إلى الله، وبدونها يبقى الصف ملوّثًا، والرسالة مهددة، والتمكين مؤجلًا.
من بين السنن الإلهية التي بيّنها القرآن الكريم للناس كافة، وأكّد على شموليتها وثباتها، سنة الابتلاء التي تُعدُّ من أعمق السنن القرآنية أثرًا في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتوجيهه نحو الكمال، فقد عالجت النصوص القرآنية الابتلاء باعتباره أحد الوسائل الأساسية التي يربي بها الله عباده ويقودهم من طور الاستكانة والجهل إلى طور النضج والتمكين، ولأن السنة الإلهية لا تتبدل ولا تتحول، كما ورد في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٢٦)، فقد جاءت هذه السنة حاضرة في مسيرة الأنبياء والمؤمنين، لتصنع من الصابرين أئمة، وتجعل من الممتحنين أمناء على الرسالة.
وقد حملت لفظة الابتلاء في القرآن الكريم معاني متعدّدة تدور جميعها حول الامتحان والاختبار، ليس فقط في مواطن الشدة والعسر، بل حتى في مواضع الرخاء، لأن الغنى واليسر قد يكونان أشد فتنة من الفقر والضيق. ولذا جاء قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٢٧) ليؤكد أن مجمل ما يعيشه الإنسان من تقلبات هو ابتلاء مستمر، يُبنى به الإيمان، ويُصفّى به القلب، وتُكشف به معادن الرجال والنساء على حد سواء. والابتلاء في حقيقته ليس جزافًا، بل هو فعل رباني نابع من حكمة مطلقة، يُوظّف لغايات عليا، من أبرزها تطهير النفوس، وتمييز الصفوف، وتقوية العزائم، وبناء الصبر الحقيقي الذي لا يتزعزع أمام العواصف (٢٨).
لقد عرض القرآن الكريم نماذج عديدة من قصص الممتحنين والمبتلين، بدءًا من سيدنا آدم (عليه السلام) الذي بُلي بإبليس والاختيار، ثم نوح الذي بُلي بقومه الرافضين، ثم إبراهيم الذي ابتُلي في عقيدته وولده ونفسه، ومرورًا بموسى الذي واجه طغيان فرعون، وعيسى الذي واجه تآمر قومه، وختامًا بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي جمع الله له صور الابتلاء كلها، فكان النموذج الأتم للممتحَن الصابر، الذي استحق النصر والتمكين في النهاية. ولعل القاسم المشترك بين هذه النماذج كلها هو أن الابتلاء لم يكن أبدًا دليلَ غضب، بل كان أحيانًا وسيلة اصطفاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٢٩) بعد أن اجتاز إبراهيم سلسلة من الابتلاءات العظمى.
وإذا ما تأملنا في هذه السنة الربانية من حيث أثرها التربوي، نجد أنها تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان أمام نفسه أولًا، وإعداده لمسؤولية أكبر ثانيًا، وتحقيق التوازن النفسي بين الرجاء والخوف ثالثًا، وتثبيت علاقة العبد بربه رابعًا. فالإنسان في لحظة الابتلاء يُنزع منه زيف الادّعاء، ويسقط عنه قناع التظاهر، ليظهر على حقيقته، فإن صبر ثبت، وإن جزع انكشف. ولذلك قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٣٠)، فالإيمان لا يُصدّق عليه إلا بالابتلاء، وهو معيار يميز المؤمن الصادق عن مدّعي الإيمان، ويُغربل المجتمع من الداخل.
وما من شك أن الابتلاء القرآني يتخذ أشكالًا متعدّدة؛ فقد يكون بالنفس، كما في المرض أو القتل أو الأسْر، وقد

يكون بالمال، كما في الفقر أو الخسارة، وقد يكون بالولد، كما في الفقد أو الانحراف، وقد يكون في المبادئ، كما في لحظة المفاضلة بين الحق والحياة، أو بين الدين والمصلحة (٣١) وهذه الأشكال تتكامل لتصنع شخصية قرآنية حقيقية، لا تتعلق بالمظاهر، وإنما تثمر في القلب روحَ الصبر واليقين. ومن هنا، لا يكون الصبر موقفًا سلبيًّا، بل هو تفاعل حيٌّ مع سنن الله، يترقّى فيه العبد من مرتبة الرضا إلى مقام الرؤية الباطنية للجمال الإلهي حتى في أحلك اللحظات. وهو ما عبّرت عنه السيدة زينب (عليها السلام) بقولها الخالد أمام الطاغية: "ما رأيت إلا جميلًا"، وهو ليس كلامًا عاطفيًّا، بل فهم عميق لسنة الابتلاء بوصفها طريقًا للارتقاء (٣٢).

إن سيرة السيدة زينب (عليها السلام) تمثل ميدانًا تطبيقيًّا بارزًا لسنة الابتلاء القرآنية، فقد عاشت كل ألوان المحنة: من فقد الأخ والأبناء، إلى السبي والانكشاف، إلى المواجهة في مجلس الطغاة، لكنها لم تنهَر، بل تجلت فيها معاني الثبات والتوكّل، وكأنها هي النموذج المؤنث لقيم الصبر النبوي. إن زينب (عليها السلام) لم تكن صابرة فقط، بل كانت مُبصرة، واعية، مدركة لسنة الله في خلقه، ولذلك لم تغضب، ولم تجزع، بل أدركت أن هذه المرحلة هي اختبار تمهيدي لمرحلة التمكين القادمة، والتي ظهرت في قيادتها للنساء، وبلاغتها في الخطابة، ووقوفها شامخة في وجه الظالمين، وهذه الرؤية العميقة للابتلاء لا تتأتى إلا لمن تمرّس في مدرسة القرآن وترقّى في أحضان النبوة (٣٣).

ولذلك، فإن دراسة الابتلاء بوصفه سنة قرآنية، لا يمكن أن تكتمل دون الربط بين النصوص النظرية والتطبيقات الواقعية في سير العظماء، وعلى رأسهم أهل البيت (عليهم السلام)، ومنهم زينب الكبرى، التي طبقت السنن الإلهية في الابتلاء عمليًا، وجسّدت مفاهيم الصبر والشجاعة والتمكين بلغة الواقع، لا لغة الشعارات.

من بين السنن الإلهية التي بيّنها القرآن الكريم للناس كافة، وأكّد على شموليتها وثباتها، سنة الابتلاء التي تُعدُّ من أعمق السنن القرآنية أثرًا في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتوجيهه نحو الكمال، فقد عالجت النصوص القرآنية الابتلاء باعتباره أحد الوسائل الأساسية التي يربي بها الله عباده ويقودهم من طور الاستكانة والجهل إلى طور النضج والتمكين، ولأن السنة الإلهية لا تتبدل ولا تتحول، كما ورد في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٣٤)، فقد جاءت هذه السنة حاضرة في مسيرة الأنبياء والمؤمنين، لتصنع من الصابرين أئمة، وتجعل من الممتحنين أمناء على الرسالة.

وقد حملت لفظة الابتلاء في القرآن الكريم معاني متعدّدة تدور جميعها حول الامتحان والاختبار، ليس فقط في مواطن الشدة والعسر، بل حتى في مواضع الرخاء، لأن الغنى واليسر قد يكونان أشد فتنة من الفقر والضيق. ولذا جاء قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٣٥) ليؤكد أن مجمل ما يعيشه الإنسان من تقلبات هو ابتلاء مستمر، يُبنى به الإيمان، ويُصفّى به القلب، وتُكشف به معادن الرجال والنساء على حد سواء. والابتلاء في حقيقته ليس جزافًا، بل هو فعل رباني نابع من حكمة مطلقة، يُوظّف لغايات عليا، من أبرزها تطهير النفوس، وتمييز الصفوف، وتقوية العزائم، وبناء الصبر الحقيقي الذي لا يتزعزع أمام العواصف (٣٦).

لقد عرض القرآن الكريم نماذج عديدة من قصص الممتحنين والمبتلين، بدءًا من سيدنا آدم (عليه السلام) الذي بُلي بإبليس والاختيار، ثم نوح الذي بُلي بقومه الرافضين، ثم إبراهيم الذي ابتُلي في عقيدته وولده ونفسه، ومرورًا بموسى الذي واجه طغيان فرعون، وعيسى الذي واجه تآمر قومه، وختامًا بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي جمع الله له صور الابتلاء كلها، فكان النموذج الأتم للممتحَن الصابر، الذي استحق النصر والتمكين في النهاية. ولعل القاسم المشترك بين هذه النماذج كلها هو أن الابتلاء لم يكن أبدًا دليلَ غضب، بل كان أحيانًا وسيلة اصطفاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٣٧) بعد أن اجتاز إبراهيم سلسلة من الابتلاءات العظمى.

وإذا ما تأملنا في هذه السنة الربانية من حيث أثرها التربوي، نجد أنها تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان أمام نفسه أولًا، وإعداده لمسؤولية أكبر ثانيًا، وتحقيق التوازن النفسي بين الرجاء والخوف ثالثًا، وتثبيت علاقة العبد بربه رابعًا. فالإنسان في لحظة الابتلاء يُنزع منه زيف الادّعاء، ويسقط عنه قناع التظاهر، ليظهر على حقيقته، فإن صبر ثبت، وإن جزع

انكشف. ولذلك قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ (٣٨)، فالإيمان لا يُصدّق عليه إلا بالابتلاء، وهو معيار يميز المؤمن الصادق عن مدّعي الإيمان، ويُغربل المجتمع من الداخل.

وما من شك أن الابتلاء القرآني يتخذ أشكالًا متعدّدة؛ فقد يكون بالنفس، كما في المرض أو القتل أو الأَسْر، وقد يكون بالمال، كما في الفقر أو الخسارة، وقد يكون بالولد، كما في الفقد أو الانحراف، وقد يكون في المبادئ، كما في لحظة المفاضلة بين الحق والحياة، أو بين الدين والمصلحة (٣٩). وهذه الأشكال تتكامل لتصنع شخصية قرآنية حقيقية، لا تتعلق بالمظاهر، وإنما تثمر في القلب روحَ الصبر واليقين. ومن هنا، لا يكون الصبر موقفًا سلبيًا، بل هو تفاعل حيٌّ مع سنن الله، يترقّى فيه العبد من مرتبة الرضا إلى مقام الرؤية الباطنية للجمال الإلهي حتى في أحلك اللحظات. وهو ما عبّرت عنه السيدة زينب (عليها السلام) بقولها الخالد أمام الطاغية: "ما رأيت إلا جميلًا"، وهو ليس كلامًا عاطفيًا، بل فهم عميق لسنة الابتلاء بوصفها طريقًا للارتقاء (٤٠).

إن سيرة السيدة زينب (عليها السلام) تمثل ميدانًا تطبيقيًا بارزًا لسنة الابتلاء القرآنية، فقد عاشت كل ألوان المحنة: من فقد الأخ والأبناء، إلى السبي والانكشاف، إلى المواجهة في مجلس الطغاة، لكنها لم تنهَر، بل تجلت فيها معاني الثبات والتوكّل، وكأنها هي النموذج المؤنث لقيم الصبر النبوي. إن زينب (عليها السلام) لم تكن صابرة فقط، بل كانت مُبصرة، واعية، مدركة لسنة الله في خلقه، ولذلك لم تغضب، ولم تجزع، بل أدركت أن هذه المرحلة هي اختبار تمهيدي لمرحلة التمكين القادمة، والتي ظهرت في قيادتها للنساء، وبلاغتها في الخطابة، ووقوفها شامخة في وجه الظالمين، وهذه الرؤية العميقة للابتلاء لا تتأتى إلا لمن تمرّس في مدرسة القرآن وتربّى في أحضان النبوة (٤١).

ولذلك، فإن دراسة الابتلاء بوصفه سنة قرآنية، لا يمكن أن تكتمل دون الربط بين النصوص النظرية والتطبيقات الواقعية في سير العظماء، وعلى رأسهم أهل البيت (عليهم السلام)، ومنهم زينب الكبرى، التي طبقت السنن الإلهية في الابتلاء عمليًا، وجسّدت مفاهيم الصبر والشجاعة والتمكين بلغة الواقع، لا لغة الشعارات.

من بين السنن الإلهية التي بيّنها القرآن الكريم للناس كافة، وأكّد على شموليتها وثباتها، سنة الابتلاء التي تُعدُّ من أعمق السنن القرآنية أثرًا في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتوجيهه نحو الكمال، فقد عالجت النصوص القرآنية الابتلاء باعتباره أحد الوسائل الأساسية التي يربي بها الله عباده ويقودهم من طور الاستكانة والجهل إلى طور النضج والتمكين، ولأن السنة الإلهية لا تتبدل ولا تتحول، كما ورد في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٤٢)، فقد جاءت هذه السنة حاضرة في مسيرة الأنبياء والمؤمنين، لتصنع من الصابرين أئمة، وتجعل من الممتحنين أمناء على الرسالة.

وقد حملت لفظة الابتلاء في القرآن الكريم معاني متعدّدة تدور جميعها حول الامتحان والاختبار، ليس فقط في مواطن الشدة والعسر، بل حتى في مواضع الرخاء، لأن الغنى واليسر قد يكونان أشد فتنة من الفقر والضيق. ولذا جاء قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٤٣) ليؤكد أن مجمل ما يعيشه الإنسان من تقلبات هو ابتلاء مستمر، يُبنى به الإيمان، ويُصفّى به القلب، وتُكشف به معادن الرجال والنساء على حد سواء. والابتلاء في حقيقته ليس جزافًا، بل هو فعل رباني نابع من حكمة مطلقة، يُوظّف لغايات عليا، من أبرزها تطهير النفوس، وتمييز الصفوف، وتقوية العزائم، وبناء الصبر الحقيقي الذي لا يتزعزع أمام العواصف (٤٤).

لقد عرض القرآن الكريم نماذج عديدة من قصص الممتحنين والمبتلين، بدءًا من سيدنا آدم (عليها السلام) الذي بُلي بإبليس والاختيار، ثم نوح الذي بُلي بقومه الرافضين، ثم إبراهيم الذي ابتُلي في عقيدته وولده ونفسه، ومرورًا بموسى الذي واجه طغيان فرعون، وعيسى الذي واجه تآمر قومه، وختامًا بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي جمع الله له صور الابتلاء كلها، فكان النموذج الأتم للممتحَن الصابر، الذي استحق النصر والتمكين في النهاية. ولعل القاسم المشترك بين هذه النماذج كلها هو أن الابتلاء لم يكن أبدًا دليلَ غضب، بل كان أحيانًا وسيلة اصطفاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٤٥) بعد أن اجتاز إبراهيم سلسلة من الابتلاءات العظمى.

وإذا ما تأملنا في هذه السنة الربانية من حيث أثرها التربوي، نجد أنها تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان أمام نفسه أولًا، وإعداده لمسؤولية أكبر ثانيًا، وتحقيق التوازن النفسي بين الرجاء والخوف ثالثًا، وتثبيت علاقة العبد بربه رابعًا. فالإنسان في لحظة الابتلاء يُنزع منه زيف الادّعاء، ويسقط عنه قناع التظاهر، ليظهر على حقيقته، فإن صبر ثبت، وإن جزع انكشف. ولذلك قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٤٦). فالإيمان لا يُصدّق عليه إلا بالابتلاء، وهو معيار يميز المؤمن الصادق عن مدّعي الإيمان، ويُغربل المجتمع من الداخل.

وما من شك أن الابتلاء القرآني يتخذ أشكالًا متعدّدة؛ فقد يكون بالنفس، كما في المرض أو القتل أو الأسْر، وقد يكون بالمال، كما في الفقر أو الخسارة، وقد يكون بالولد، كما في الفقد أو الانحراف، وقد يكون في المبادئ، كما في لحظة المفاضلة بين الحق والحياة، أو بين الدين والمصلحة (٤٧). وهذه الأشكال تتكامل لتصنع شخصية قرآنية حقيقية، لا تتعلق بالمظاهر، وإنما تثمر في القلب روحَ الصبر واليقين. ومن هنا، لا يكون الصبر موقفًا سلبيًّا، بل هو تفاعل حيٌّ مع سنن الله، يترقّى فيه العبد من مرتبة الرضا إلى مقام الرؤية الباطنية للجمال الإلهي حتى في أحلك اللحظات. وهو ما عبّرت عنه السيدة زينب (عليها السلام) بقولها الخالد أمام الطاغية: "ما رأيت إلا جميلًا"، وهو ليس كلامًا عاطفيًّا، بل فهم عميق لسنة الابتلاء بوصفها طريقًا للارتقاء (٤٨).

إن سيرة السيدة زينب (عليها السلام) تمثل ميدانًا تطبيقيًّا بارزًا لسنة الابتلاء القرآنية، فقد عاشت كل ألوان المحنة: من فقد الأخ والأبناء، إلى السبي والانكشاف، إلى المواجهة في مجلس الطغاة، لكنها لم تنهَر، بل تجلت فيها معاني الثبات والتوكّل، وكأنها هي النموذج المؤنث لقيم الصبر النبوي. إن زينب (عليها السلام) لم تكن صابرة فقط، بل كانت مُبصرة، واعية، مدركة لسنة الله في خلقه، ولذلك لم تغضب، ولم تجزع، بل أدركت أن هذه المرحلة هي اختبار تمهيدي لمرحلة التمكين القادمة، والتي ظهرت في قيادتها للنساء، وبلاغتها في الخطابة، ووقوفها شامخة في وجه الظالمين، وهذه الرؤية العميقة للابتلاء لا تتأتى إلا لمن تمرّس في مدرسة القرآن وترقّى في أحضان النبوة (٤٩).

ولذلك، فإن دراسة الابتلاء بوصفه سنة قرآنية، لا يمكن أن تكتمل دون الربط بين النصوص النظرية والتطبيقات الواقعية في سير العظماء، وعلى رأسهم أهل البيت (عليها السلام)، ومنهم زينب الكبرى، التي طبقت السنن الإلهية في الابتلاء عمليًا، وجسّدت مفاهيم الصبر والشجاعة والتمكين بلغة الواقع، لا لغة الشعارات

المطلب الثالث:

سنة التمكين في القران الكريم_مكافاة الصابرين والمجاهدين:

إنَّ من سنن الله الثابتة في القرآن الكريم الابتلاء مرحلة تسبق التمكين، وأنّ من يتسلّح بالصبر ويثبت في ساحات المحنة، فإن الله تعالى يُعدّ له منحة النصر والرفعة في الدنيا قبل الآخرة، وهذا ما تؤكده النصوص القرآنية التي قرنت بين المحنة والمكافأة، وبين البلاء والتمكين. فالتمكين في القرآن لا يُمنح اعتباطًا، بل هو جزاء ربّاني لمن استوفى شروط الصبر والجهاد والثبات على المبدأ. وقد عبّرت عن هذه السنة الإلهية آيات عدّة، منها قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (٥٠)، وهو وعد مشروط بالإيمان والعمل الصالح، لا بالانتماء ولا بالأمنيات فقط، كما قال المفسرون[٢٨]. فالتمكين سنّة لا محاباة فيها، ومن أهمّ مظاهره استخلاف الإنسان المؤمن في الأرض، وتأمينه بعد الخوف، وتثبيت دينه بعد الاضطراب.

وإذا كان الابتلاء غربالًا يكشف الصادق من المدّعي، فإن التمكين شهادة من الله بصدق المؤمنين ومقدارهم عنده، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٥١)، وهو نصر قد يأتي بصورة تأييد روحي، أو رفعة ذكر، أو تمكين فعلي في الأرض، بحسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية ، ولم يكن هذا التمكين خاصًا بالأنبياء، بل امتد أثره إلى المجاهدين في سبيل الله، كما في قصة طالوت وجنوده، أو أصحاب الكهف، أو أهل بدر، الذين نصرهم الله وهم قلة ضعفاء. ويكاد يكون القاسم المشترك بينهم هو الصبر في لحظة الفقد، والثبات في وجه الظلم، والجهاد المستمر رغم قسوة الظروف. وهذا ما يجعل من التمكين مكافأة ربّانية كبرى للصابرين والمجاهدين، لا تأتي إلا بعد التزكية والتمحيص.

وقد أكدت هذه القاعدة الآية الكريمة: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ فَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥٢)، وهي سنّة سار عليها التاريخ، وتجسّدت بجلاء في حياة السيدة زينب (عليها السلام) بعد كربلاء، حين تحوّل صوتها من صوت أسيرة إلى صوت قائدة، ومن خضوع الأسر إلى شموخ الكلمة، فكانت صورة قرآنية حيّة لسُنّة التمكين بعد الابتلاء، مكافأة لصبرها وجهادها (٥٣).

كذلك من بين السنن الإلهية التي بيّنها القرآن الكريم للناس كافة، وأكّد على شموليتها وثباتها، سنة الابتلاء التي تُعدُّ من أعمق السنن القرآنية أثرًا في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتوجيهه نحو الكمال، فقد عالجت النصوص القرآنية الابتلاء باعتباره أحد الوسائل الأساسية التي يربي بها الله عباده ويقودهم من طور الاستكانة والجهل إلى طور النضج والتمكين، ولأن السنة الإلهية لا تتبدل ولا تتحول، كما ورد في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٥٤)، فقد جاءت هذه السنة حاضرة في مسيرة الأنبياء والمؤمنين، لتصنع من الصابرين أئمة، وتجعل من الممتحنين أمناء على الرسالة.

وقد حملت لفظة الابتلاء في القرآن الكريم معاني متعدّدة تدور جميعها حول الامتحان والاختبار، ليس فقط في مواطن الشدة والعسر، بل حتى في مواضع الرخاء، لأن الغنى واليسر قد يكونان أشد فتنة من الفقر والضيق. ولذا جاء قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٥٥) ليؤكد أن مجمل ما يعيشه الإنسان من تقلبات هو ابتلاء مستمر، يُبنى به الإيمان، ويُصفّى به القلب، وتُكشف به معادن الرجال والنساء على حد سواء. والابتلاء في حقيقته ليس جزافًا، بل هو فعل ربانيّ نابع من حكمة مطلقة، يُوظّف لغايات عليا، من أبرزها تطهير النفوس، وتمييز الصفوف، وتقوية العزائم، وبناء الصبر الحقيقي الذي لا يتزعزع أمام العواصف (٥٦).

لقد عرض القرآن الكريم نماذج عديدة من قصص الممتحنين والمبتلين، بدءًا من سيدنا آدم (عليها السلام) الذي بُلي بإبليس والاختيار، ثم نوح الذي بُلي بقومه الرافضين، ثم إبراهيم الذي ابتُلي في عقيدته وولده ونفسه، ومرورًا بموسى الذي واجه طغيان فرعون، وعيسى الذي واجه تآمر قومه، وختامًا بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي جمع الله له صور الابتلاء كلها، فكان النموذج الأتم للممتحن الصابر، الذي استحق النصر والتمكين في النهاية. ولعل القاسم المشترك بين هذه النماذج كلها هو أن الابتلاء لم يكن أبدًا دليلَ غضب، بل كان أحيانًا وسيلة اصطفاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٥٧) بعد أن اجتاز إبراهيم سلسلة من الابتلاءات العظمى.

وإذا ما تأملنا في هذه السنة الربانية من حيث أثرها التربوي، نجد أنها تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان أمام نفسه أولًا، وإعداده لمسؤولية أكبر ثانيًا، وتحقيق التوازن النفسي بين الرجاء والخوف ثالثًا، وتثبيت علاقة العبد بربه رابعًا. فالإنسان في لحظة الابتلاء يُنزع منه زيف الادّعاء، ويسقط عنه قناع التظاهر، ليظهر على حقيقته، فإن صبر ثبت، وإن جزع انكشف. ولذلك قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٥٨)، فالإيمان لا يُصدّق عليه إلا بالابتلاء، وهو معيار يميز المؤمن الصادق عن مدّعي الإيمان، ويُغربل المجتمع من الداخل.

وما من شك أن الابتلاء القرآني يتخذ أشكالًا متعدّدة؛ فقد يكون بالنفس، كما في المرض أو القتل أو الأسْر، وقد يكون بالمال، كما في الفقر أو الخسارة، وقد يكون بالولد، كما في الفقد أو الانحراف، وقد يكون في المبادئ، كما في لحظة المفاضلة بين الحق والحياة، أو بين الدين والمصلحة (٥٩). وهذه الأشكال تتكامل لتصنع شخصية قرآنية حقيقية، لا تتعلق بالمظاهر، وإنما تثمر في القلب روحَ الصبر واليقين. ومن هنا، لا يكون الصبر موقفًا سلبيًّا، بل هو تفاعل حيٌّ مع سنن الله، يترقّى فيه العبد من مرتبة الرضا إلى مقام الرؤية الباطنية للجمال الإلهي حتى في أحلك اللحظات. وهو ما عبّرت عنه السيدة زينب (عليها السلام) بقولها الخالد أمام الطاغية: "ما رأيت إلا جميلًا"، وهو ليس كلامًا عاطفيًّا، بل فهم عميق لسنة الابتلاء بوصفها طريقًا للارتقاء (٦٠).

إن سيرة السيدة زينب (عليها السلام) تمثل ميدانًا تطبيقيًّا بارزًا لسنة الابتلاء القرآنية، فقد عاشت كل ألوان المحنة: من فقد الأخ والأبناء، إلى السبي والانكشاف، إلى المواجهة في مجلس الطغاة، لكنها لم تنهَر، بل تجلت فيها معاني الثبات

والتوكّل، وكأنها هي النموذج المؤنث لقيم الصبر النبوي. إن زينب (عليها السلام) لم تكن صابرة فقط، بل كانت مُبصرة، واعية، مدركة لسنة الله في خلقه، ولذلك لم تغضب، ولم تجزع، بل أدركت أن هذه المرحلة هي اختبار تمهيدي لمرحلة التمكين القادمة، والتي ظهرت في قيادتها للنساء، وبلاغتها في الخطابة، ووقوفها شامخة في وجه الظالمين، وهذه الرؤية العميقة للابتلاء لا تتأتى إلا لمن تمرّس في مدرسة القرآن وترقّى في أحضان النبوة (٦١).

ولذلك، فإن دراسة الابتلاء بوصفه سنة قرآنية، لا يمكن أن تكتمل دون الربط بين النصوص النظرية والتطبيقات الواقعية في سير العظماء، وعلى رأسهم أهل البيت (عليها السلام)، ومنهم زينب الكبرى، التي طبقت السنن الإلهية في الابتلاء عمليًا، وجسّدت مفاهيم الصبر والشجاعة والتمكين بلغة الواقع، لا لغة الشعارات.

تُعد سنة التمكين في القرآن الكريم من أسمى الغايات التي يسعى المؤمنون لتحقيقها بعد المرور بمرحلة الابتلاء والتمحيص، فهي المكافأة الربانية التي يُوعد بها الصابرون والمجاهدون في سبيل الله. التمكين ليس مجرد انتصار مادي أو سياسي، بل هو تثبيت إلهي يشمل الاستقرار الروحي والاجتماعي، وبناء الأمة على أسس متينة من الإيمان والعدل. ففي كثير من آيات القرآن نجد ارتباطًا وثيقًا بين الصبر والثبات والتمكين، مما يدل على أن الطريق إلى التمكين معبّد بالصبر على الابتلاءات، واليقين بالله، والاجتهاد في الطاعة.

إن التمكين كما ورد في النصوص القرآنية هو عملية إلهية مدروسة، تبدأ بمرحلة الامتحان والاختبار، ثم مرحلة الفرز والتنقية من خلال التمحيص، ثم تأتي مرحلة التمكين، والتي تتمثل في تثبيت المؤمنين على دينهم وإعانتهم على أداء دورهم الحضاري في الأرض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا لِلَّذِينَ أَجْرَيْنَا مِنْهُم مَّنْهَا وَاللَّذِينَ آمَنُواْ بِالْغَيْبِ﴾ (٦٢). إن هذه الآية تأكيد على أن التمكين هو ثمرة الإيمان والعمل الصالح، وهو استحقاق نابع من رضى الله وكرمه.

ولا يقتصر التمكين على الأفراد فقط، بل يشمل المجتمع والأمة بأسرها، وهذا ما تظهره سنن القرآن في دعوة المؤمنين للثبات على المبادئ وعدم الانحراف عن القيم، حتى يتسنى لهم بناء مجتمع قوي قادر على مواجهة التحديات. فقد ربط القرآن الكريم بين التمكين وبين إقامة العدل، فقال تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٦٣)، في إشارة إلى أن التمكين هو إرث الأبرار الذين أقاموا العدل ورفعوا كلمة الله في الأرض

وفي حياة السيدة زينب (عليها السلام) تجلّت سنة التمكين بوضوح، فهي بعد أن اجتازت مراحل الابتلاء والتمحيص بقوة وصبر، وصلت إلى مرحلة التمكين التي جعلت منها رمزًا للثبات والإرادة الصلبة في وجه الطغيان. فمواقفها التاريخية في كربلاء وبعدها، خاصة في الكوفة والشام، لم تكن مجرد رد فعل على الأحداث، بل كانت تأسيسًا لنهج تمكيني اعتمد على قوة الحجة، وصلابة الإيمان، ووعي المسؤولية. ولولا هذه المرحلة من التمكين لما استطاعت أن تؤسس لجبهة دفاع حضارية عن الإسلام وأهل البيت (عليهم السلام)، ولما استمر أثر كربلاء حيًا في وجدان الأمة (٦٤)

كما أن التمكين في القرآن لا يتحقق إلا بعد استكمال شروط معينة، من أهمها الصبر، واليقين، والجهاد في سبيل الله، والالتزام بالطاعة. وقد ربط الله تعالى هذه الشروط بوعوده بالتمكين في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٥)، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[5]. فهذان السببان –الصبر والجهاد– هما البوابتان اللتان تفضيان إلى التمكين، وهو ما يُظهر مدى ارتباط التمكين بسلوكيات الإنسان وتفاعله مع الابتلاءات.

والتمكين، من جهة أخرى، يحمل دلالة عميقة تتجاوز الجوانب الدنيوية إلى أفق أوسع من التكليف والرسالة، حيث يُكلف الإنسان المسؤولية، ويُوكل إليه مهمة قيادة المجتمع نحو الخير والعدل، كما يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٦٦). فالمكينون هم الذين يحملون على عاتقهم حمل الرسالة، ويكونون قدوة في الصبر والعمل، وهذا يفسر لماذا يكون التمكين مصحوبًا دائمًا بظهور القادة والأئمة.

في ضوء ذلك، يمكن القول إن سنة التمكين تجسد مرحلة النضج الإيماني والفكري، وتحقق الغاية الكبرى التي وُجد الإنسان من أجلها: الخلافة في الأرض، كما أكد القرآن في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٦٧). وهكذا يصبح التمكين استكمالًا لسلسلة من العمليات التي تبدأ بالابتلاء، مرورًا بالتمحيص، وانتهاءً بالتمكين

الذي يشكل القاعدة التي يبنى عليها المجتمع الإسلامي.

في النهاية، إن فهم سنة التمكين في القرآن يتطلب إدراكًا عميقًا للترابط بين الابتلاء والتمحيص والتمكين. فالقرآن يقدم هذه السنن على أنها مراحل متتابعة ومتداخلة تشكل مسيرة الإنسان المؤمن نحو كماله الروحي والمادي، وتوجهه نحو بناء أمة قوية ومستقرة. والسيدة زينب (ع) تمثل المثال الحي لهذه المسيرة، حيث نجحت في تجسيد هذه السنن القرآنية في واقعها العملي، مما جعلها رمزًا خالدًا للثبات والتحدي والتمكين

المبحث الثاني:

السيدة زينب (عليها السلام) وتجليات السنن القرآنية في مسيرتها:

المطلب الاول:

الابتلاء في حياة السيدة زينب:

إنّ الابتلاء في حياة السيدة زينب (عليها السلام) من منظور قرآني يُعد من أسمى وأعمق التجارب التي مرّ بها الإنسان المؤمن، وهو اختبار رباني يختبر مدى صدق الإيمان وقوة الصبر، وهذا الأمر موضح بشكل جلي في كتاب الله العزيز، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ (٦٨). ولقد تجسدت هذه الحقيقة بصورة بارزة في شخصية السيدة زينب بنت علي (عليها السلام)، التي ابتُليت بواحدة من أعظم المآسي في التاريخ الإسلامي، وهي واقعة كربلاء، التي أظهرت فيها أسمى معاني الصبر والثبات.

كما أن فهم الابتلاء في حياة السيدة زينب يتطلب العودة إلى المفاهيم القرآنية للابتلاء، حيث إن الله تعالى لا يبتلي عباده إلا ليرفع درجاتهم ويطهرهم من الذنوب ويقوي إيمانهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٦٩). والسيدة زينب كانت نموذجًا حيًا للصبر والتوكل، إذ صبرت على مصابها الجلل بفقدان زوجها، وأخيها الإمام الحسين، وأهل بيتها، ومع ذلك لم تنهار ولم تتراجع عن دورها في حفظ الدين والحق.

في الجانب القرآني، الابتلاء هو طريق للنمو الروحي والتقوى، وهو الوسيلة التي يحقق بها المؤمن قربة الله ويثبت على الحق، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٧٠) وهذا ما فعلته السيدة زينب(عليها السلام) حين واجهت مصاب كربلاء، حيث لم تقتصر على الحزن، بل انطلقت لتحمل رسالة الحق، وتحولت ابتلاؤها إلى منارة إيمان وصبر وعمل دعوي.

وقد تمثل الابتلاء في حياة زينب بعدة صور، منها فقدان الأسرة، السبي والاعتقال، والمواجهة مع السلطة الجائرة، وهذه كلها اختبارات ربانية تقابلها بثبات لا يلين، وقوة إيمانية مستمدة من القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (٧١). فصبرها لم يكن سلبياً أو خضوعاً، بل كان صبراً إيجابياً، يحمل في طياته مقاومة وحفظ رسالة الحق.

إن هذه المشاعر والمواقف هي انعكاس حي للسنن القرآنية التي تربط بين الابتلاء والثبات، وتجعل من المحنة سببًا في التمكين، فالابتلاء لا يكون نهاية الطريق، بل بداية لمرحلة جديدة من العطاء والرسالة، وهذا ما جسدته شخصية السيدة زينب في تاريخ الإسلام ، وأن من يقرأ مسيرة السيدة زينب (عليها السلام) بتأمل وتدبّر لا بد أن يلحظ كيف تجسدت فيها سنة الابتلاء القرآنية بشكل حي وواقعي. فقد عاشت (عليها السلام) ابتلاءات متراكبة منذ نعومة أظفارها، تنقلت من مصيبة إلى أخرى، من فقد جدها المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله)، ثم أمها الزهراء (عليها السلام)، ثم متابعة الظلم الواقع على أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومرورًا بقتل أخيها الحسن (عليه السلام) مسمومًا، وصولًا إلى الفاجعة العظمى يوم عاشوراء حيث استشهد إخوتها وأبناؤها وأحبّاؤها أمام ناظريها، فكانت بذلك رمزًا قرآنيًا للصبر والتسليم واليقين بالله تعالى.

ويبرز في مواقفها بعد كربلاء تجلٍّ واضح لروح الرضا والتسليم، وهي من أبرز مظاهر التعامل الإيماني مع سنة الابتلاء. ففي مجلس ابن زياد، حين واجهها بجفاء وسخرية قائلاً: "كيف رأيت صنع الله بأخيك؟"، ردت (عليها السلام) بكل شموخ: "ما رأيت إلا جميلاً" (٧٢). هذه العبارة الخالدة اختزلت عمق فهمها للابتلاء من منظور قرآني، فهي لم تنظر إلى

ما حدث بوصفه مصيبة دنيوية، بل رأته جزءًا من الإرادة الإلهية التي تحمل وراءها حكمة وغاية، بل جمالًا في عين العارفين. وقد أكدت نصوص كثيرة أن الابتلاء هو سنة ماضية على الأنبياء والأولياء، فكل نبي مرّ بمراحل من الشدة والضيق، حتى يتمّ الله له نصره. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٧٣)، أي أن التمحيص والبلاء يكشفان عن معادن الناس ويفرزان المؤمن الحقيقي عن المدّعي. وقد كانت السيدة زينب (عليها السلام) من هذا الصنف النقي، فحين استشهد أبو عبد الله الحسين (عليها السلام) وأهل بيته، لم تكن المصيبة لها فقط فاجعة شخصية، بل كانت لها بعد رسالي أعمق، إذ كانت ترى أنها جزء من معركة الحق ضد الباطل، وأن عليها أن تواصل حمل الرسالة، مهما كانت الظروف.

وهكذا كانت زينب الكبرى (عليها السلام) تُعبّر في سلوكها عن هذه السنة، لا بالشعارات، بل بالفعل والموقف، فكان صبرها في كربلاء وما بعدها مثالًا قرآنيًا حيًا، يمشي على الأرض، يرسخ معنى الصبر الجميل الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ ، أي الصبر الذي لا شكوى فيه إلا لله، ولا انكسار فيه إلا بين يدي الله.

لقد تجاوزت السيدة زينب (عليها السلام) في تعاملها مع الابتلاء كل معايير الاحتمال البشري، فلم تكن تبكي ضعفًا، بل وجعًا على الأمة التي انحدرت إلى مستوى قتلت فيه ابن بنت نبيها، ومع ذلك كانت في كل موقف تُجسد تعاليم القرآن، وتُعلي من شأن السنن الإلهية، وتحفظ بذلك الامتداد الرسالي لنهج الأنبياء والأوصياء.

المطلب الثاني:

السيدة زينب (عليها السلام)وتجلي سنة التمحيص في مسيرتها الرسالية:

تجلى في شخصية السيدة زينب (عليها السلام) نموذج متكامل لسنة التمحيص التي تتكرر في السنن القرآنية، حيث يختبر الله تعالى عباده المؤمنين ليصفيهم من الشوائب، ويبرز الصادقين في إيمانهم وعملهم. التمحيص يختلف عن الابتلاء، فهو مرحلة أعمق تتطلب استحقاقًا وتأهيلًا للقيام بمهمات عظيمة، وهذا ما برز جليًا في حياة زينب بعد واقعة كربلاء، حين انطلقت في طريق الرسالة والقيادة.

التمحيص كما بينه القرآن الكريم يتطلب ثباتًا على الحق وعدم الانحناء أمام الضغوطات، قال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (٧٤). وهذا الأمر لم يكن سهلاً على زينب، فهي واجهت خصومًا أقوياء من السلطة السياسية التي حاولت أن تقضي على حركة أهل البيت، لكنها صمدت، ووقفت بكل قوة وصراحة لتفضح ظلمهم.

تظهر سنة التمحيص في عدة محطات في حياة زينب، منها اعتقالها وسبيها مع نساء أهل البيت إلى الشام، حيث لم تخضع للظلم ولا الخوف، بل كانت سببًا في إيقاظ الضمائر وفتح الأبواب أمام الناس لمعرفة الحق، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٧٥). فجهودها الرسالية، كانت زينب سببًا في حفظ الرسالة الحسينية من الاندثار، رغم كل محاولات الطمس والتشويه..

من هذا المنطلق، يظهر أن التمحيص ليس فقط اختبارًا سلبيًا بل هو مرحلة إعداد وتعزيز، تمهيدًا للتمكين، وهو ما يفسر قدرة السيدة زينب على قيادة المرحلة بعد كربلاء بحكمة وعزم لا يشوبه ضعف، وهو ما يتفق مع قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (٧٦).

من السنن الإلهية التي أكد عليها القرآن الكريم سنة التمحيص، وهي السنة التي تميّز فيها الصفوف وتظهر فيها المعادن الحقيقية للنفوس. والتمحيص لغة هو: التنقية والتطهير من الشوائب، أما في القرآن فهو ابتلاء خاص يُراد به تصفية النفوس المؤمنة، وكشف الصادق من الكاذب، والثابت من المتزلزل. وقد جاء هذا المفهوم بوضوح في قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٧)، فالمؤمنون يُعرضون لامتحانات دقيقة تُظهر مدى صدقهم وثباتهم، وتزيدهم صقلًا وقوة إيمان، بينما يُمحق الكافرون نتيجة مواقفهم السلبية.

وقد جسدت السيدة زينب (عليها السلام) هذه السنة بأعلى صورها، إذ لم يكن تمحيصها من حيث البلاء فقط، بل كان في تحملها مسؤولية الرسالة بعد فاجعة كربلاء، وهي المرأة التي فُجعت بأخوتها وأبنائها، وأُخذت أسيرة مع بقية النساء

والأطفال، لكنها لم تُظهر جزعًا أو انهيارًا، بل برزت بمواقفها كمحمصة ربانية أثبتت جدارتها بحمل الأمانة الثقيلة، أمانة تبليغ أهداف الثورة الحسينية.

لقد كانت واقعة الطفّ نفسها ميدانًا كبيرًا للتمحيص، فالله سبحانه وتعالى أظهر من خلالها المخلصين الذين ثبتوا مع الإمام الحسين (عليه السلام) حتى اللحظة الأخيرة، وأظهر المتخاذلين والمترددين. والسيدة زينب (عليها السلام) عاشت هذه التصفية من الداخل، فرأت كيف انسحب الكثير من المدّعين، وبقي القلّة من الصادقين. وما أن انتهت المعركة، حتى تحوّلت هي (عليها السلام) إلى صوت الحق الذي فضح الباطل، وقاد الأمة من الذهول إلى الوعي، ومن الهزيمة الظاهرية إلى النصر المعنوي، فكان تمحيصها امتدادًا لمسؤولية الأنبياء والصالحين

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه السنة في سياقات متعددة، أبرزها في غزوة أُحد حين أصاب المسلمين الانكسار بعد مخالفة الرماة لأوامر النبي (صلى الله عليه وآله)، فجاء الخطاب الإلهي ليبيّن الحكمة من ذلك: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ (٧٨). فالمعركة كانت تمحيصًا عمليًا، وقد تكررت الصورة نفسها في كربلاء، ولكن بصورة أشد وأقسى، حيث لم يكن هناك نبي يُقاتل، بل ابن بنت النبي، والسيدة زينب كانت الحارس الواعي لذلك الحدث، وتحملت الدور الإعلامي الرسالي الذي جعل من كربلاء حدثًا خالدًا في ضمير الأمة ، والتمحيص كما يُفهم من القرآن، ليس فقط في ساحة المعركة، بل في تحمل التبعات بعدها. فالكثير من المؤمنين قد يصبرون في لحظة المعركة، لكنهم يتراجعون بعد النكبة، أو يصابون باليأس والانحيار. أما السيدة زينب (عليها السلام)، فقد ازداد نورها بعد الفاجعة، فدخلت قصر يزيد بكل شموخ، وخاطبته بأعلى درجات القوة والكرامة، معلنة أن التمحيص لا يزيد المؤمن إلا رفعة. فقد قالت كلمتها الشهيرة: "فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا" (٧٩)، وهذه العبارة تعكس جوهر النفس المحمصة التي لا تنكسر أمام الجبابرة، بل تقف بكل ثبات لأن تمحيص الله قد صقلها ورفعها.

وتشير التفاسير إلى أن التمحيص الإلهي يرتبط بقوة الإيمان والعلم والعمل. فكلما ازداد الإنسان التزامًا بدينه، كلما تعرّض لتمحيص أدق، وهو ما وقع للسيدة زينب (عليها السلام)، إذ أنها كانت حفيدة النبي، وبنت علي وفاطمة، وعاشت في بيت الوحي، فكان تمحيصها على قدر مكانتها، بل فاقت به كثيرًا من الرجال. ولعل ما ميزها أيضًا أنها أدت دورها في التمحيص كقائدة، لا كضحية، مما يجعل من تجربتها مثالًا يُحتذى في وعي المسؤولية بعد الابتلاء.

ومن أوجه التمحيص أيضًا، ما واجهته من التشويه الإعلامي الأموي، الذي حاول أن يظهرها وأهل البيت بصورة الخارجين عن طاعة "الخليفة"، لكنها ردّت هذا الإعلام المضلل بخطبها البليغة وكلماتها الراسخة التي اقتلعت جذور الباطل، وبيّنت للأمة حقيقة ما جرى في كربلاء، فكان تمحيصًا فكريًا وإعلاميًا في زمنٍ ساد فيه التزييف.

إن السيدة زينب (عليها السلام) خرجت من محنة كربلاء وهي أكثر ثباتًا ونضجًا، وكان ظهورها في الكوفة ثم في الشام مثالًا للمرأة الرسالية التي مرت بمراحل التمحيص وخرجت منها أقوى، وقدّمت خطابًا يُعادل رسالة الأنبياء في الصدع بالحق. وهذا ما يُثبت أن تمحيصها لم يكن عاديًا، بل كان مقدّمة لحملها مسؤولية الوعي والإصلاح في الأمة (٨٠)

المطلب الثالث:

السيدة زينب (عليها السلام) ومظاهر التمكين الرسالي بعد كربلاء:

تُعدّ مرحلة التمكين بعد الابتلاء والتمحيص من أعظم المحطات التي تُظهر عظمة شخصية السيدة زينب (عليها السلام) في ضوء السنن القرآنية، إذ انتقلت من حالة الفاجعة والاحتضار إلى حالة القوة والثبات، وتحملت مسؤولية رفع راية الحق والدعوة إلى الإصلاح. وهذا ما أراده الله سبحانه وتعالى من عباده الصابرين والمجاهدين ، فقد عكست السيدة زينب في مسيرتها كيف أن التمكين الحقيقي لا يكون إلا بعد المرور بمحطات الامتحان الصعب.

كان لزينب (عليها السلام) الدور المحوري في تعويض النقص الذي أحدثه استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، إذ لم تترك تلك الأحداث تُنسى أو تُطمس، بل أظهرتها بأوضح صورة، وجعلتها عبرة للأمم والأجيال، وحصنت

بذلك إرث أهل البيت (ع) من محاولات التشويه والطمس. ويمكن رؤية التمكين القرآني واضحًا في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٨١)، فكانت زينب (عليها السلام) من أولى العلماء العاملين الذين حافظوا على الحق بقوة العلم والبلاغة والشجاعة.

كما أن تمكينها كان تمكينًا روحيًا أيضًا، فقد أصبحت نموذجًا للمرأة المؤمنة التي لا تكتفي بدورها العائلي، بل تتجاوز ذلك إلى القيادة والريادة، وهو ما ينسجم مع الرؤية القرآنية التي كرمت المرأة في أدوار متعددة، منها التعليم والدعوة والقيادة. ومن هذا المنطلق، تعد تجربة السيدة زينب نموذجًا يحتذى به في تمكين المرأة في المجتمع الإسلامي، حيث جمعت بين الحزم والرقة، بين الحنان والقوة.

لقد تمكين السيدة زينب (عليها السلام) بعد كربلاء كان حقيقيًا ومؤثرًا، فقد انتقلت من وضع الضحية إلى وضع القائدة، وهذا التمكين القرآني أكد على أن الله لا يترك عباده الصالحين في ضعفهم، بل يعينهم على حمل مسؤولياتهم في ظروف أشد تعقيدًا، قال تعالى: ﴿وَيَنصُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (٨٢) وقد ظهر هذا النصر في قدرة زينب على مواجهة أعداء الحق، وصدّ دعاوى الباطل، والدفاع عن رسالة الإمام الحسين حتى كُتب لها المجد والتاريخ.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن شخصية السيدة زينب (عليها السلام) تمثل امتدادًا عمليًا لمقاصد السنن القرآنية التي تربط بين الابتلاء والتمكين، فهي نموذج فريد، حافظ على الرسالة بروح لا تلين، وقدمها للعالم بأبلغ الصور. وهذا ما جعلها رمزًا خالدًا، لا تقتصر أهميته على حقبة تاريخية معينة، بل هي منارات إيمانية وروحية تهدي الأجيال في كل زمان ومكان.

فبعد أن اجتازت السيدة زينب (عليها السلام) مرحلة الابتلاء والتمحيص بكل ثبات وإيمان، بدأت مرحلة التمكين الرسالي التي جسدت فيها دورها كقائدة ورسولة حق، حاملةً رسالة أهل البيت إلى الأمة الإسلامية، رغم ما لاقته من مصاعب وأهوال. ويُعد التمكين بعد الابتلاء والتمحيص سنة قرآنية أبدية، حيث قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ (٨٣) فكان التمكين مكافأة للإيمان والثبات.

تجلى التمكين في حياة زينب بعد كربلاء من خلال مواقف عدة أبرزت مكانتها ودورها القيادي، أولها حملها رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) ونقلها بشجاعة إلى الناس، خصوصًا في خطبها المشهورة في مجلس يزيد، حيث استخدمت الخطاب القرآني لتوضيح الحقيقة وكشف الظلم. وهذا الأمر يعكس قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٨٤)، فزينب كانت رسولاً للحكمة والوعظ، متحلية بالصبر والبيان.

كما كان للتمكين أثر واضح في حمايتها لأهل البيت، إذ كانت صخرة صلبة في وجه الظلم والاضطهاد، تحمي رسالتهم وتنقلها عبر الزمن، مما أدى إلى بقاء نهج أهل البيت حياً في التاريخ الإسلامي، وهو ما يوافق ما ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [٣]. فزينب لم تكتفِ بالبكاء على المصاب، بل حولت ألمها إلى فعل مؤثر وقيادة راسخة. إضافة إلى ذلك، كان التمكين مرتبطًا بدورها الدعوي في تثبيت أتباع أهل البيت، وتعزيز الوعي الديني والسياسي في الأمة، وهذا من مظاهر سنة التمكين التي ذكرتها النصوص القرآنية التي تحث على الدعوة إلى الله بالصبر والحكمة: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٨٥)، وفعلاً كانت زينب مثالاً جميلاً للصبر والعمل والقيادة.

وأخيرًا، تظهر مظاهر التمكين في تحقيق أثرها التاريخي الطويل، حيث أصبحت رمزًا للصمود والحق، وملهمة للأجيال في مواصلة طريق الإصلاح والعدل، وهذا يعبر عنه قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٨٦)

الخاتمة:

في ختام هذا البحث وبعد هذه الجولة في مسيرة السيدة زينب (عليها السلام) من خلال السنن القرآنية، تبيّن أن شخصيتها لم تكن مجرد نموذج صابر في وجه الابتلاء، بل كانت تجسيدًا حيًا للسُنن الإلهية التي تحكم حركة التاريخ وسير الإنسان في هذه الحياة. فقد مرّت بتجارب قاسية لا يتحملها إلا أصحاب الإيمان الراسخ، فكانت صابرة محتسبة، متيقنة

بوعد الله، مستنيرة ببصيرة قرآنية جعلتها تتجاوز حدود الألم إلى أفق الرسالة والتمكين..

لقد أظهرت الوقائع أن السيدة زينب (عليها السلام) لم تكن مجرّد شاهدة على المصاب، بل كانت فاعلة فيه، قائدة بكلمتها، راشدة بموقفها، حاضرة في قلب سنّة الابتلاء، ومتهيئة لنتيجة التمكين. وهذا ما يجعلها أنموذجًا قرآنيًا متكاملاً للمرأة المؤمنة التي تفقه سنن الله، وتتحرك في ضوئها، فتنقلب المحنة في يدها إلى منبر، وتتحول الهزيمة الظاهرية إلى فتح إلهي..

ومن خلال هذا البحث، يتبيّن أن السنن القرآنية ليست قوانين جامدة تُذكر للتدبر النظري فحسب، بل هي قوانين حيّة تتجلّى في حياة أولياء الله وأصفيائه، فتجعل من قصصهم دروسًا خالدة للأجيال. والسيدة زينب (عليها السلام) كانت من أبرز من تجلّت فيهم هذه السنن، حتى صارت شخصيتها جسرًا بين آيات البلاء وآيات النصر، وبين الصبر والتمكين، لتبقى عبرتها وعبرتها خالدة في ضمير الأمة، تُلهم كل من سار على درب الحق في وجه الطغيان، وكل من حمل لواء الصبر في زمن المحنة .

الهوامش:

(١)القرآن الكريم، سورة الاحزاب ، الآية ٦٢، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

(٢) القرآن الكريم، سورة الانبياء الاية ٣٥ في: القرآن الكريم، تحقيق: أحمد علي الطيب، دار النشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

(٣) في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨.

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة ، الاية ١٢٤ في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦

(٥) القرآن الكريم، سورة العنكبوت الاية ٢ في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

(٦) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ١٢٨، في: القرآن الكريم، تحقيق: أحمد علي الطيب، دار النشر الإسلامية، القاهرة، الط بعة الأولى، ٢٠٠١.

(٧) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١٥٥–١٥٦، في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨.

(٨) القرآن الكريم، سورة المرسلات، الآية ٧، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦

(٩) القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية ٦٣، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

(١٠) القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية ٦٩، في: القرآن الكريم، تحقيق: أحمد علي الطيب، دار النشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

(١١) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١١٤، في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨.

(١٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١١٤، في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨.

(١٣) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ١٢٧، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

(١٤) القرآن الكريم، سورة الطلاق، الآية ٢، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦

(١٥) آل عمران، الآية ١٤١.

(١٦) سورة آل عمران، الآية ١٦٦–١٦٧.

(١٧) ابن نما الحلي، مثير الأحزان، مؤسسة آل البيت، قم، ص٩١

(١٨) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٦، ص١١٧.

(١٩) آل عمران، الآية ١٤١.

(٢٠) جامع الأخبار ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ٢٠١٩، ص٢٣٥. الحديث: ٢٧.
(٢١) آل عمران ، ١٦٧ .
(٢٢) سورة الأعراف ، الاية٦٢
(٢٣) الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧، ج١٦، ص٢٧٨.
(٢٤) الميزان في تفسير القرآن. ج١٦، ص٢٧٨.
(٢٥) تفسير ابن كثير – تفسير سورة آل عمران – الآية ١٧٩.
(٢٦) تفسير ابن كثير – تفسير سورة الأحزاب – الآية ٦٢.
(٢٧) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٣٥.
(٢٨) تفسير ابن كثير – تفسير سورة الأحزاب – الآية ٦٢.
(٢٩) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١٢٤.
(٣٠) القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية ٢.
(٣١) ابن فارس، أحمد. مقاييس اللغة. دار الفكر، بيروت، ١٩٩١، ج١، ص٢١٣.
(٣٢) المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤٥، ص١١٦.
(٣٣) الأمين، محسن. أعيان الشيعة. دار التعارف، بيروت، ج٧، ص١٣٧.
(٣٤) القرآن الكريم، سورة محمد، الآية ٣١
(٣٥) سورة الانبياء ، الاية ٣٥ .
(٣٦) ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط١، ج٦، ص٦٧.
(٣٧) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٤١.
(٣٨) الشريف الرضي. نهج البلاغة. تحقيق صبحي الصالح، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٠، ص٤٣٤.
(٣٩) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٦٦.
(٤٠) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ١٦٨.
(٤١) السيد محمد حسين فضل الله. الزهراء والسيدة زينب قدوة وأسوة. دار الملاك، بيروت، ٢٠٠٤، ص٧٧.
(٤٢) جعفر مرتضى العاملي. الصحيح من سيرة الإمام الحسين (عليه السلام). مؤسسة الوفاء، بيروت، ٢٠٠٠، ج٥، ص٢١٥.
(٤٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٧٩
(٤٤) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٨٨.
(٤٥) القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية ٣٤.
(٤٦) السيد محمد حسين فضل الله، الزهراء والسيدة زينب قدوة وأسوة، دار الملاك، بيروت، ٢٠٠٤، ص١٢٣-١٢٦.
(٤٧) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٤٦.
(٤٨) القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية ٦٩.
(٤٩) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية ٥٥.
(٥٠) سورة النور ، الاية ٥٥
(٥١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، ط٥، بيروت، ١٩٩٧م، ج١٥، ص١٤١.
(٥٢) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية: ٥١.
(٥٣) الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ج٢٧، ص٩٠.
(٥٤) القرآن الكريم، سورة القصص، الآية: ٥.
(٥٥) السماوي، محمد باقر، زينب الكبرى قدوة وأسوة، دار التعارف، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م، ص٨٢
(٥٦) زينب الكبرى قدوة وأسوة، ص٨٢ .
(٥٧) سورة البقرة ، الاية ١٢٤ .
(٥٨) سورة العنكبوت ، الاية ٢ .
(٥٩) مفاتيح الغيب ، ص ٩٢.
(٦٠) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢١٦، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.
(٦١) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ٢٨، في: القرآن الكريم، تحقيق: أحمد علي الطيب، دار النشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.
(٦٢) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية ٦٠، في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨.

(٦٣) القرآن الكريم، سورة محمد، الآية ٧، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦

(٦٤) القرآن الكريم، سورة محمد، الآية ٣١، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

(٦٥) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ١٢٥، في: القرآن الكريم، تحقيق: أحمد علي الطيب، دار النشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

(٦٦) القرآن الكريم، سورة الحج، الآية ٣٨، في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨.

(٦٧) القرآن الكريم، سورة المرسلات، الآية ٧، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

(٦٨) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية ١١١، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦

(٦٩) سورة العنكبوت ، الاية ٥٩ .

(٧٠) سورة القرة ، الاية ١٥٦ . في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨ .

(٧١) زينب الكبرى قدوة وأسوة، ص٨٤ .

(٧٢) زينب الكبرى قدوة وأسوة، ص٨٧ .

(٧٣) سورة الانعام ، الاية ٥٥ .

(٧٤) سورة المزمل ، الاية ١٠ .

(٧٥) سورة العنكبوت ، الاية ٦٩ ، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦ .

(٧٦) سورة الطلاق ، الاية ٢ .

(٧٧) ال عمران ، الاية ١٤١

(٧٨) سورة آل عمران ، الاية ١٦٦ .

(٧٩) الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج٦ ، ص٨ .

(٨٠) الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج٦ ، ص٨ .

(٨١) سورة فاطر ، الاية ٢٨ .

(٨٢) سورة الفتح ، الاية ٣ .

(٨٣) سورة محمد ، الاية ٣١ .

(٨٤) سورة النحل ، الاية ١٢٥ .

(٨٥) سورة المعارج ، الاية ٥ .

(٨٦) سورة المائدة ، الاية ٩ .

المصادر:

١. ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٦ .
٢. ابن فارس، أحمد. مقاييس اللغة. دار الفكر، بيروت، ١٩٩١، ج١ .
٣. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط١، ج٦ .
٤. ابن نما الحلي، مثير الأحزان، مؤسسة آل البيت، قم .
٥. الأمين، محسن. أعيان الشيعة. دار التعارف، بيروت، ج٧ .
٦. جعفر مرتضى العاملي. الصحيح من سيرة الإمام الحسين (عليه السلام). مؤسسة الوفاء، بيروت، ٢٠٠٠، ج٥،
٧. الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ج٢٧.
٨. السماوي، محمد باقر، زينب الكبرى قدوة وأسوة، دار التعارف، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م .
٩. السيد محمد حسين فضل الله. الزهراء والسيدة زينب قدوة وأسوة. دار الملاك، بيروت، ٢٠٠٤ .
١٠. الشريف الرضي. نهج البلاغة. تحقيق صبحي الصالح، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٠ .
١١. الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧، ج١٦ .
١٢. في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦ .
١٣. المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤٥ .

The Effect of Flexible Seating on Focus and Collaborative Behavior in a 2nd Intermediate Classroom

Suha Okab Sarhan
. Salwan Adnan Ahme ah Governorate
mahmoodaljanabi181d
General Directorate of Education in Diwaniy



Abstract:

This mixed-methods action research study investigated the effect of a flexible seating environment on the focus and collaborative behavior of students in a second-grade intermediate classroom. Flexible seating was defined as a classroom arrangement offering diverse seating choices (e.g., wobble stools, bean bags, standing desks) based on principles of student choice, comfort, and movement. Focus, or on-task behavior, was operationalized as the percentage of time students were visually engaged in assigned work, while collaborative behavior was defined and measured by the frequency of specific peer-to-peer academic interactions, such as explaining an idea or providing help. The study aimed to determine if these variables would improve when students were granted autonomy over their learning environment, a concept supported by Self-Determination Theory (Deci & Ryan, 2000).

Participants included 22 second-intermediate students(12 girls and 10 boys), aged 13-14 years in a suburban public school. Quantitative data were collected through structured momentary time sampling observations to measure on-task behavior and tally sheets to count collaborative acts during a three-week baseline (traditional seating) and a six-week intervention phase (flexible seating). Qualitative data were gathered through a teacher-researcher journal, student surveys, and photographs to provide rich context for the numerical findings.

Results indicated a significant positive effect following the implementation of flexible seating. Quantitative analysis showed an increase in average on-task behavior from 74.2% during baseline to 86.5% during the intervention. The frequency of collaborative acts also rose, from an average of 8.5 to 14.2 per observation session qualitative data revealed that these improvements were most pronounce during independent and collaborative work blocks, with minimal change during direct instruction. Student surveys indicated that 86 % of participant felt they could focus better when given a choice of seating. The finding suggest that flexible seating, when implemented with clear routines and expectations can effectively enhance students engagement and peer collaboration by fulfilling psychological needs for autonomy and facilitated social constructivist learning (Vygotsky, 1978). The study concludes with practical recommendations for implementation and suggestions for futures research.

Keywords: (seating flexibility, task performance behaviors, cooperation, primary education).

المستخلص:

بحثت هذه الدراسة البحثية الإجرائية متعددة الأساليب في تأثير بيئة الجلوس المرنة على التركيز والسلوك التعاوني لطلاب الصف

الثاني المتوسط. عُرّف الجلوس المرن بأنه ترتيب للفصل الدراسي يوفر خيارات جلوس متنوعة (مثل: مقاعد متأرجحة، وأكياس حبوب، ومكاتب وقوف) بناءً على مبادئ اختيار الطالب وراحته وحركته. تم تفعيل التركيز، أو سلوك أداء المهمة، كنسبة الوقت الذي ينخرط فيه الطلاب بصريًا في العمل المخصص لهم، بينما تم تعريف السلوك التعاوني وقياسه من خلال تكرار التفاعلات الأكاديمية المحددة بين الأقران، مثل شرح فكرة أو تقديم المساعدة. هدفت الدراسة إلى تحديد ما إذا كانت هذه المتغيرات ستتحسن عند منح الطلاب استقلالية في بيئة تعلمهم، وهو مفهوم تدعمه نظرية تقرير المصير (ديسي وريان، ٢٠٠٠). شمل المشاركون ٢٢ طالبًا من الصف الثاني المتوسط (١٢ فتاة و١٠ فتيان)، تتراوح أعمارهم بين ١٣ و١٤ عامًا في مدرسة حكومية في إحدى الضواحي. جُمعت البيانات الكمية من خلال ملاحظات أخذ العينات اللحظية المنظمة لقياس السلوك أثناء أداء المهمة، وجداول العد لحساب الأفعال التعاونية خلال فترة أساسية مدتها ثلاثة أسابيع (الجلوس التقليدي) ومرحلة تدخل مدتها ستة أسابيع (الجلوس المرن). جُمعت البيانات النوعية من خلال مجلة المعلم الباحث، واستطلاعات رأي الطلاب، والصور الفوتوغرافية لتوفير سياق غني للنتائج العددية. أشارت النتائج إلى تأثير إيجابي كبير بعد تطبيق الجلوس المرن. أظهر التحليل الكمي زيادة في متوسط السلوك أثناء أداء المهمة من ٧٤,٢٪ خلال فترة أساسية إلى ٨٦,٥٪ خلال التدخل. كما ارتفع معدل الأفعال التعاونية من متوسط ٨,٥ إلى ١٤,٢ لكل جلسة ملاحظة. كشفت البيانات النوعية أن هذه التحسينات كانت أكثر وضوحًا خلال فترات العمل المستقلة والتعاونية، مع تغيير طفيف أثناء التدريس المباشر. أشارت استطلاعات رأي الطلاب إلى أن ٨٦٪ من المشاركين شعروا أنهم يستطيعون التركيز بشكل أفضل عند منحهم خيار الجلوس. تشير النتائج إلى أن مرونة الجلوس، عند تطبيقها مع روتين وتوقعات واضحة، يمكن أن تعزز مشاركة الطلاب وتعاونهم مع أقرانهم بفعالية من خلال تلبية الاحتياجات النفسية للاستقلالية وتسهيل التعلم البنائي الاجتماعي (فيجوتسكي، ١٩٧٨). وتختتم الدراسة بتوصيات عملية للتنفيذ واقتراحات لأبحاث مستقبلية..

الكلمات المفتاحية: مرونة الجلوس، وسلوكيات أداء المهام، التعاون، التعليم الابتدائي.

1 Introduction

A dramatic and essential transformation is taking place in the conventional classroom, that age-old symbol of learning with its immobile rows of desks arranged in front of a single teacher. The very environments in which students study need to be rethought in order to adequately equip them for the complex, collaborative, and frequently non-linear challenges that will face them in the twenty-first century. This development goes beyond incorporating technology into the classroom, it aims to redesigned learning environments to actively cater to the unique physical, cognitive and social emotional requirements of each students. Now that we know that classrooms need change, the challenge is how to make them better places to learn the three pillars of success: concentration, analysis and teamwork.

Students no longer sit at desks facing the front of the classroom, as is the case in many older classroom layouts. Classrooms typically have a traditional layout with the teacher or podium at the front of the room as mentioned on page 27 by Sawers , Wicks , Mvududu, Seeley and Copeland (2016). Students have more freedom of choice and opportunity as classrooms start to use more flexible seating arrangements. It is important to change the classroom environment to fit each student's needs because there is a link between how students see things and how involved they are in learning.

Uniform desks arrange in straight rows has been the standard classroom

layout for many years, creation an organize environment focused on the teacher. Rather than valuing students' comfort autonomy or opportunities for peer to peer connection. This industrial model placed an emphasis on control and efficiency with the goal of facilitating silent autonomous work and direct instruction. The idea of flexible seating as arisen a strong inventive replacement in reaction to these concentrate the classroom becomes a dynamic landscape of possibilities when students have authentic choices in where and how they study and are offered variety of seating alternatives(Cranfield , 2019). The classroom space can made more accessible by including options like low tables , floor cushions , bean bags , standing workstations. Wobble stools and soft seats. The need for movement and individualized instruction is specially noticeable in elementary settings where its implementation has experienced tremendous development.

Qualitative studies and compelling anecdotal evidence suggesting advantages in student engagement and satisfaction often propel the increasing popularity of flexible seating. A more dynamic , student centered environment is often described by teachers as a result. But there is a serious lack of research that focuses on practitioners within all this excitement. More thorough and context specific research is needed to determine the model's direct impact on specific, measurable student behaviors in a second grade intermediate classroom , including focused on task behavior and genuine , productive collaborative (Saavedra, 2021). There is a lack of evidence about its practical effectiveness for early primary educators' students since most studies are either too broad in scope or only include students in later grade. Finding out empirically whether and how students' basic academic behaviors are improved is different from just observing that they seem happier

Consequently, the purpose of this study is to conduct a comprehensive evaluation of the effectiveness of this instructional technique , moving beyond anecdotal evidence. This study is based on the following inquiries : I will start by asking what effects if any , does a classroom model that allows for more flexible seating have on students' propensity to engage in cooperative activities like talking to one another and learning from one another. Lastly , from both the students' and the teacher's points of view , how does flexible seating affect the overall classroom experience ?

Therefore , this article contends that in order to achieve a measurable improvement in collaborative behaviors , it is necessary to strategically deploy flexible seating rather than just provide various furniture. This is because these arrangements allow interaction and foster physical facilitation

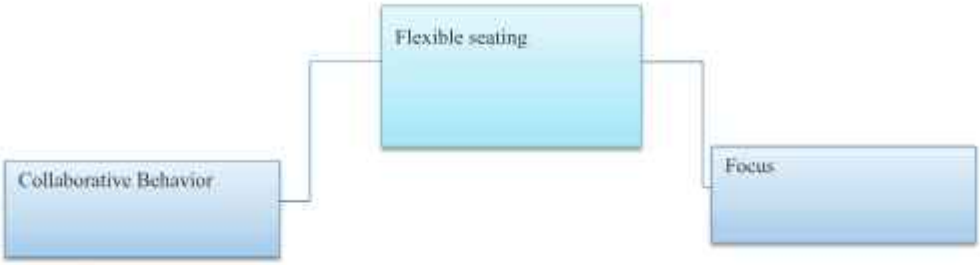

2.Literature Review:

New pedagogical tenets that place a premium on student agency and the holistic aspect of learning are promoting rethinking of the conventional classroom defined by rows of immovable desks. Because of this change, there has been a rise in the popularity of flexible seating which gives students more freedom in where and how they study by providing them with a selection of sitting options. Examining prior empirical studies on the impact of flexible seating on two crucial outcomes , focus on task behavior and collaborative behavior in a second grade intermediate classroom , this literature review delves into the theoretical foundations , specifies the essential factors and analyzes the topic.

Students Centered Learning theory which states students learn best when they are actively involved in their own education is foundational to the implementation of flexible seating. An important theoretical paradigm in this context is Self – Determination Theory(SDT) (Deci & Ryan, 2000) which states that satisfying three basic psychological needs , autonomy , competence and relatedness , supports intrinsic motivation and optimal functioning. By giving students more control over their physical learning space , flexible seating meets the desire for autonomy in a direct way and encourages greater involvement and participation on their part. Students can improve their competency by choosing a seat the helps them concentrate better , for example , they can choose a wobble stool that allows them to move about. According to Deci and Ryan (2000) when people gather on floor rugs or at low tables, it's simpler to break down physical boundaries and connect with others which in turns fosters a sense of relatedness.

At the same time, research into the effects of physical space on education has been going strong for some time. The classroom's layout is more of a " third teacher " than a blank slate , it has the power to encourage or discourage certain mental and behavioral changes in students. The goal of naturalistic learning environments is to provide students with a less institutionalized and more exploratory experience by incorporating aspects of comfort and freedom. According to Vygotsky (1978) , learning is an

active process where knowledge is built via experience and social negotiation. This matches with constructivist concepts. A constructivist method is physically embodied in a flexible classroom that offers diverse areas for solitary, partnered and group work. According to Vygotsky (1978), it theoretically supports both individual cognitive processes and collaborative knowledge production by providing the zones needed for scaffolding and peer –to–peer learning.

The important factors need to be identified in order to study its effects. When people talk about "flexible seating" they're really referring to a wide variety of alternatives to the more conventional office chairs and desks. Common examples include low tables that are ideal for collaborative projects , standing workstations , bean bags and floor rugs that provide low –to–the–ground comfort and seats or stools that allow controlled movement. Choice , movement (the capacity to rock , sway or change position without disruption) and comfort (physical well – being that lowers distractions caused by discomfort) are the key elements that link these possibilities (Erwin et al., 2013). In educational research , direct observation is usually used to operationalize the dependent variable Focus –On–Task Behavior. A student's level of visual engagement with their work (e.g., writing , reading or discussing the topic) or their absence of certain off– task behaviors (e.g., looking around the room , talking to peers about unrelated subjects or leaving their seat unnecessarily) can be measured (Godwin et al., 2016). Collaborative behavior is also evaluated by counting interactions like how often and for how long students help one another with schoolwork, how well groups discuss topics (e.g., how many people contribute to the conversation that are directly related to the topic at hand, how often members engage in exploratory speech) and how well small groups manage to include everyone (Merritt et al., 2017).

There is mounting, if inconsistent , evidence from earlier empirical studies that flexible seating is beneficial. Flexibility in seating arrangements is positively correlated with engagement and mobility, according to multiple research. One example is a study conducted by Erwin and colleagues (2013). They discovered that when primary school classrooms had different seating alternatives, students were much more engaged and spent far less time sitting. Students' improved concentration on schoolwork was a direct result of their capacity to control their mobility needs , according to the authors. This is in line with findings showing little exercise can activate brain regions necessary for prolonged focus (Erwin et al., 2013).

Research has demonstrated that the physical layout of a classroom significantly impacts the results of student collaboration and communication.

According to Merritt et al. (2017) students were more likely to engage in meaningful conversations and shared more ideas in classrooms that used non –traditional seating arrangements such clustered tables or soft seating spaces rather than typical row configurations. Students felt more connected to one another and were able to participate more fairly since the design prompted them to face each other and talk. According to Merritt et al. (2017) , collaborative communication can be enhanced in more relaxed settings, such as bean bag circles or rugs because people feel more comfortable participating to the conversation.

The missing piece of this body of work must, nevertheless , be filled. A noticeable absence of research pertaining to the second grade intermediate level is evident , in contrast to studies conducted in early elementary (K–1) and upper elementary, middle grades. At this special stage of development , students are moving from reading for comprehension to reading for understanding and they are making great strides in strengthening their executive function abilities such as the ability to focus for long periods of time and control their own behavior. Differences in developmental stages mean that kindergarten results might not be generalizable while investigations including higher grades might necessitate more involved group projects. Godwin et al. (2016) note that some research presents contradicting findings such as the possibility that the environment can become distracting in the absence of clear routines and procedures or that the novelty of choice can initially lead to more off– task behavior. This highlights the importance of doing more focused studies in second grade classes to learn how flexible seating impacts the unique academic and developmental goals of this age. Consequently, it is reasonable to conduct this study to find out whether flexible seating works and, if so , how to apply it in a way that promotes focus and collaboration among intermediate– level children in second grade by establishing defined routines.

The traditional paradigm of learning as an individual activity is giving way to a more collaborative one in today's classrooms. There has to be a shift in the way students sit in the classroom if we want them to pay attention and actively participate in the learning process (Harvey & Kenyon, 2013, p.3). The use of flexible furniture and adaptable classroom layouts promotes active participation from students. When the body is not moving , the brain is not actively working and students stop moving about and learning stops happening (Harvey & Kenyon, 2013, p.3). Modern classrooms benefit from classroom flexibility because it enables students to work in collaborative groups, which is a frequent practice in today's schools. Students are able to physically rearrange their seats in a flexible learning space

to better suit their individual needs.

" That the type of learning space can influence creative thinking , add excitement for both the student and instructor and enhance teaching and learning experiences" (Sawers, Wicks, Mvududu , Seeley, & Copeland, 2016, p. 26) is consistent with prior research. There will be more room for people , information, furniture and artifacts in "future learning spaces" (Beard & Wilson, 2013, p. 97). One emerging practice that has the potential to reduce student disruptions is the use of flexible seating arrangements in the classroom.

3.Methodology

A. Research Design

A mixed –methods action research strategy will be utilized in this investigation. Given that action research is an iterative , reflective process that aims to improve practice and student outcomes by addressing real world problems within one's own educational context , it is an appropriate strategy for a practical classroom teacher (Mertler, 2020). The teacher – researcher can adjust the intervention according to the current findings thanks to this design's iterative planning , doing, watching and reflecting phases. Data triangulation or the use of data from numerous sources to confirm and enhance understanding is made possible by the mixed methods component which is vital (Creswell and Creswell, 2018). This study aims to measure changes in behavior and provide rich contextual insights into how and why flexible seating influences focus and collaborative in this specific second grade classroom. It will do this by combining quantitative data (e.g. time– on–task tallies) with qualitative data (e.g. teacher journals , student interviews). This method delves further than just finding an effect , it aims to comprehend the participants' actual encounters in the novel setting.

B. Participants and Setting

Participants : One secondary school classroom in a medium– sized suburban school district will serve as the research site for this second– grade intermediate case study. Twelve females and ten males ranging in age from thirteen to fourteen make up the class of twenty– two. Two children have reading and attention related Individualized Education Plans (IEPs) while three students are formally recognized as ELLs at an intermediate proficiency level.

Setting and Context : The room itself is a typical classroom with the usual layout , lighting and heating , ventilation and conditioning. A conventional layout characterizes the classroom prior to intervention with groups of four desks arranged in a row facing the instructor's desk and the front

whiteboard.

Indicative of a rather low socioeconomic position , about 45 percent of the school's students qualify for free or reduced –price lunch , making it a Title I school. Routines for both whole –group and individual work contribute to the already excellent classroom climate. Informally, the instructor has seen that students lose interest when they are required to sit down and work alone for lengthy periods of time and that participation is typically unequal in group projects. Because of this classrooms are ideal places to study the effects of environmental on these dynamics.

C. Procedure and Timeline

A clear baseline disciplined implementation and comprehensive data collecting will be achieved during the course of the study's three separate phases which will take place over the course of 10 to 12 weeks

Phase1 – Baseline Data Collection (Weeks 1–3) : Initial data on focus and collaborative behavior will be collected for three weeks before any modification are made. The standard workstation layout will be maintained throughout this stage. A distinct pre– intervention benchmark will be established by the teacher – researcher using the data collecting instruments (time– on– task observation charts , frequency tally sheets and journal notes) that are described below. Establishing this baseline is essential for making subsequent comparisons (Mertler, 2020).

Phase 2–Implementation and Training (Week 4) : During this special week students will learn about the different seating options and work together to build a new classroom culture centered on them. Students will be introduced to the new furnishings (see Table 1) at this session.

"Choose a spot where you can do your best thinking" "Use a voice level that matches your workspace ,"and "Take care of all our materials" are just a few examples of the rules and expectations that the instructor will help students co –create through activities. As an example, students may be asked to "try a wobble stool for math , try a couch for silent reading" to demonstrate their ability to move between different areas and test out various solutions for various jobs. Applying the ideas of Self– Determination Theory directly this procedure promotes autonomy while guaranteeing a structured framework (Deci & Ryan, 200).

Phase 3– Intervention and Ongoing Data Collection (Weeks 5–10) : We will completely implement the model of flexible seating. At the start of each day students will choose their learning block position as the day goes on and assignments change , they will have the chance to switch spots. During this six –week period , the teacher– researcher will persistently gather all quantitative and qualitative data. In keeping with the iterative

nature of action research , short whole class reflections can be organized to collect student feedback and make small improvements to methods.

Table 1: Flexible Seating Options Introduced

Seating Type	Quantity	Intended Purpose
Wobble Stools	6	For desks, allows for movement while working.
Bean Bag Chairs	4	For independent reading or quiet work.
Floor Rugs & Cushions	1 large rug, 8 cushions	For group work or independent work on the floor.
Low Rectangular Tables	2	For collaborative group work (seated on cushions).
Standing Desks	3	For students who prefer to stand while working.
Traditional Chairs	6	Remaining option for those who prefer them.

D. Data Collection Instruments

We will gather data from multiple sources to make sure it's valid and that we comprehend everything.

1–Quantitative Data:

a. Time – On Task Observations: The brief time sampling will be carried out using a structured observation chart. A researcher would randomly scan the room and count the number of students who are on–task or off– task based on pre –defined behaviors three times during a 30 minute lecture (e.g., at 10, 18, and 25 minutes) (see Table 2). This will be repeated three times weekly for the same class session (for instance, literacy block) in both the baseline and intervention periods.

b. Frequency Counts of Collaborative Acts: For a 15 minute session , the researcher will observe a group of four students participating in predetermined collaborative tasks (e.g., doing math problems in pairs or science inquiry groups). Using a tally sheet , the researcher will keep track of how often certain observable behaviors occur during the activity (see Table 2).

Table 2 : Operational Definitions for Quantitative Measures

Variable	On-Task / Collaborative Behavior	Off-Task / Non-Collaborative Behavior
Focus	Eyes on teacher or work, writing, reading assigned material , raising hand, on - topic conversation with peer.	Gazing off, playing with objects, talking off- topic, out of seat without reason , distracting others.
Collaboration	"Verbal help" (e.g., "Here's how I did it") , "Non- verbal help" (e.g., pointing to a peer's work), "Explaining an idea," "Active listening" (nodding , eye contact).	"Working in isolation," Arguing/disagreeing without resolution," "Dominating conversation," "Off-task behavior in group."

2. Qualitative Data:

a. Teacher– Researcher Journal : Every day, I shall jot down random thoughts and observations in a notepad. Typically, the researcher will take notes on the classroom climate any unforeseen difficulties (like fights over popular seats) any pleasant surprises like a normally reserved student flourishing in a different place and overall thoughts on the sessions' pro–gression and translations

. b. Student Surveys / Interviews : Just before the intervention ends , a quick survey will be given to the entire class. In order to delve deeper into the experiences and preferences of four students, we will conduct brief , casual interviews with them.

c. Photographs : Photos of the classroom environment and students in–teracting during group projects will be taken with the parents' consent. They will record the nature of student interaction and collaboration in a non – intrusive way and serve as evidence of the implementation.

Sample Student Survey Item

How did your new seating choices help you focus on your work?
• (Very Sad Face) - It was harder to focus.
• (Neutral Face) - It was the same.
• (Happy Face) - It was a little easier to focus.
• (Very Happy Face) - It was much easier to focus!

E. Data Analysis Plan

An analysis strategy that incorporates both forms of data is necessary for the mixed–methods design.

1. Quantitative Analysis : Describing the data will the quantitative analysis of the observation charts and frequency counts. Each observation peri–od's on task behavior percentage will be computed. Tables and bar chart will used to compare the data from the baseline and intervention phases visually. This will indicate the average percentage of on– task time and the average frequency of collaborative acts before and after the implementa–tion , respectively . If there are any changes in the desired behaviors , this easy before and after comparison will show it numerically.

2. Qualitative Analysis : A method called theme analysis will be used to examine the qualitative data (Braun & Clarke, 2006). Some examples of first codes that will be read and reread in order to identify them include "movement helps focus," "prefers quiet corner," and "difficulty choosing" from the student interviews and instructor journal entries. Grouping these codes into possible themes (such as "Autonomy and Motivation, " Physi–cal Comfort and Focus, " Challenges of SELF–Regulation" is the next

step. Visual evidence of active collaborative of particular difficulties can be found in the images which will be examined to support these themes. Providing the necessary background for the numerical data , the last stage is to interpret these themes in order to construct a unified narrative re-garding the impact of the flexible seating environment.

In the end, we will use triangulation to get a whole and valid picture of the research topic by comparing and integrating the quantitative data (the what) with the qualitative themes (the why and the how) (Creswell & Creswell, 2018).

To determine the effect of flexible seating intervention on student focus and collaborative behavior , the quantitative data collected during the three weeks baseline

Table3: Descriptive Statistics for on –Task Behavior and Collaborative

Variable	Phase	N	Mean	Std. Deviation
On-Task Behavior(%)	Baseline	9	74.22	3.81
	Intervention	18	86.50	2.95
Collaborative Acts (Frequency)	Baseline	9	8.56	1.42
	Intervention	18	14.22	1.86

Note :N represents the number of observation sessions(3 per week for 3 weeks baseline , 3 per week for 6 weeks intervention).

The descriptive statistics indicate a positive change in both dependent variables following the intervention. The mean percentage of on –Task behavior increased from 74.22% during the baseline phase to 86.50% dur-ing the intervention phase. Similarity, the mean frequency of collabora-tive acts per session rose from 8.56 to 14.22. The standard deviations sug-gest that the data points were clustered closely around the mean in both phases indicating consistent measurement.

Table 4 :Paired Sample T- TEST FOR On –Task Behavior and Collabo-rative Acts

Paired Variable	Mean Difference	STD. Deviation	t-value	df	p-value(Sig.2-tailled
Pair1: On-Task Intervention-On-Task Baseline	12.28	4.50	8.18	8	< .001
Pair2: Collaborative Intervention-Collaboration-Baseline	5.66	2.00	8.49	8	< .001

The results of the Paired – samples t– test revealed that there was a statistically significant increase in both on – task behavior and collaborative acts from the baseline phase to the intervention phase. On –Task Behavior the increase of 12.28% was statistically significant , t(8) = 8.18 , p 001. this is indicated that the probably the result occurring by chance is less than 0.1%. In Collaborative Acts the increase of 5.66 acts per session was also statistically significant , t (8) = 8.49, p 001. .

4.Results And Findings

A. Presentation of Data

This report presents the data obtained throughout the ten weeks of the action research project in an unbiased manner. Structured observations provided quantitative data while the teacher–researcher notebook , student surveys and images provided qualitative data. The results are grouped according to the research questions. Rather than providing an analysis or interpretation of the data , this section simply states what the data indicates.

B. Findings Related to Focus (Research Question 1)

After flexible seating was implemented, there was a noticeable change in on – task behavior, according to the quantitative data obtained by brief time sampling. With students seated at regular desks during the first three weeks of the study, the average on–task percentage for all classes was 74.2%. With an average gain of 12.3 percentage points , the on– task rate reached 86.5% over the six week intervention period. This overall change is displayed in Figure 1.

Subsequent examination of the observational data according to topic or activity type revealed substantial differences in the extent of change. The rise in the average on–task rate from 68% to 89% was particularly pronounced during the autonomous reading and writing blocks , indicating a considerable change in behavior. Collaborative work periods showed a moderate improvement, going from 77% to 88%. With only a tiny increase from 78% to 81%, the on –task rate showed the slightest shift during whole– group direct teaching. According to an entry from Week 6 of the teacher–researcher log which is anecdotal, "During math lecture at the carpet , fidgeting and side–talk are still prevalent, similar to baseline.", this variance is supported. The room becomes visibly more attentive and silent when students move to their designated spots for worksheet work.

C. Findings Related to Collaboration (Research Question 2)

Throughout the allotted group activities , we counted how often certain observable collaborative acts occurred. There were an average of 8.5 collaborative acts per 15 minute observation session during the baseline pe–

riod. In the course of the intervention , this average jumped to 14.2 acts of collaboration each session.

These quantitative increases are contextualized by qualitative data from the teacher– researcher journal which demonstrates the nature of the relationships. I "watched Maria and Jake at the low table" in my Week 7 journal post. Somehow, Jake couldn't solve the math issue. Without being asked , Maria moved her whiteboard over and started to describe her plan , counting out loud with her fingers. This can be described as "explaining an idea" as well as "verbal help." According to another entry, the setting encourages teamwork just by looking at it. Instead of being compelled to turn around in their desks , students are permitted to face each other at the rug and low tables. In an act of selfless assistance that had nothing to do with schoolwork , I witnessed Sam assisting Liam in finding a cushion and bringing it to their designated spot on the rug. Photos that capture students hunched over a small table working on a shared project or cuddled up with a book lend credence to these claims.

D. Findings from Perceptions

Student Perceptions: The majority of students surveyed after the intervention thought the new seating arrangement was great. When asked, "How did choosing your own seat help you focus on your work?" eighty six percent of the students or 19 of the 22 , chose a favorable response, such as "a little easier" or "much easier." Three students or fourteen percent , said they didn't notice any change and not a single one said it was tougher to concentrate. Students' preferences for certain seating types were strongly conveyed in informal conversations. "I enjoy the wobble stool because it allows me to sit up straight," one pupil said. I can wriggle and yet hear you. Another student said, "The bean bag is my favorite for reading because it's cozy and I can get really into my book."

Thoughts on Logistics and Management from a Teacher – Researcher Perspective: The flexible seating model's actual application was extensively documented in the journal. In the first week of Phase 3, the management of high demand items was identified as a significant logistical difficulty. "Full choice's first two days were utter mayhem," one entry said. The wobbling stools and bean bags caused a fight to break out. The first come , first served approach was clearly broken. As a result , a new method of administration was developed in collaboration with students. This system included a weekly rotating "choice card" system that ensured each student would get a chance to sit in their favorite place. A subsequent item in Week 8's diary noted, "The choice card system has been a success" following the system's implementation. Students are more open to trying

different areas when their initial choice is taken, and the number of arguments has reduced to nearly zero. The most important thing was to make sure the decision framework had structure. Students spent an estimated one to two minutes less time in class switching desks since group work transitions were so smooth because they were already in designated collaboration spaces.

Summary of Research Questions and Corresponding Data

Research Question	Data Presented	Figure/Table	Type of Data
1. What is the effect on student focus?	Average % of on-task behavior during baseline vs. intervention.	Figure 1: Bar chart comparing on-task percentages.	Quantitative
	Supporting text in the findings.	Quantitative & Qualitative (anecdotal)	Variation in focus by activity type (direct instruction vs. independent work).
2. What is the effect on collaborative behaviors?	Average frequency of collaborative acts per session during baseline vs. intervention.	Figure 2: Bar chart comparing frequency of acts.	Quantitative
	Nature and quality of the collaborative interactions.	Supporting text with anecdotal journal entries.	Qualitative

The results section presents both quantitative and qualitative analysis with these issues at its core. Consistent with the answers to the first two questions, we also address a third , implied question concerning the views of both students and educators.

5.Discussion

The results of using a flexible seating strategy in an intermediate classroom of second graders were substantial and complex. This section delves into the practical consequences of the findings, discusses the study's shortcomings, and offers suggestions for future research.

A. Interpretation of Results

The outcomes anticipated by the intervention were met , according to the results. A strong strategy for improving engagement and peer connection in a second grade context could be flexible seating , as evidenced

by the observed increase in on – task behavior and the frequency of collaborative acts. These results provide substantial credence to the literature review's Theoretical Foundations. There is a perfect harmony between Self – Determination Theory with the expansion of student agency and choice (Deci & Ryan, 2000). The intervention probably increased intrinsic motivation which showed as a greater desire to focus and participate in activities , by satisfying the demand for autonomy. Additionally, the significant enhancement in cooperative behaviors exemplifies the practical application of Vygotsky's (1978) theory of social constructivism. As predicted by Vygotsky's theory , the classroom transformed into a community of learners who actively produced knowledge together due to the physical environment's design which included low tables and common floor spaces , naturally facilitating peer – to –peer discourse and scaffolding.

Nonetheless , there were some significant Surprises and Contradictions and the consequences weren't always good. The fact that there was just a small increase in concentration during whole–group direct instruction stood out the most. That flexible seating can solve all attention problems is an oversimplified perspective and this disproves it. Looking back at the research on classroom design helps to shed light on this subtlety , although the setting was conducive to student–centered , constructivist work , it provided less natural support for an activity that was mostly focused on the teacher. The necessity for explicit instruction of decision making is also brought to light by this finding which is a crucial component of implementation. The ability to self–regulate in the face of novel distractions may not yet be present in all pupils , especially those in second grade. The option to sit on a bean bag throughout class was more of a diversion than an aid for these children at first. This shows that students' concurrent development of self –regulation and metacognitive skills is equally as important as the furniture when it comes to the success of flexible seating.

B. Implications for Practice

This study provides second grade teachers with some useful suggestions for implementing flexible seating. First things first, non– negotiables include clear, jointly – created procedures and expectations. The first disputes over popular seats show how disagreements can

arise when there is no framework for making choices. To guarantee fairness and reduce disagreements , a system like the study's rotating choice cards can be implemented. Secondly, instructors need to demonstrate and instruct students on the proper way to sit for concentrated work in each setting. A wobble stool could be useful for "practicing" controlled movements rather than uncontrolled swaying which could be a distraction. The next piece of advice is to make sure every student has their own "home base", a designated cubby or mailbox, so they can feel organized and at home. Last but not least , rather than seeing implementation as a static event , educators should think of it as an iterative process. The key to success in the long run is being flexible enough to change systems , re – teach expectations and constantly reward good decisions.

C. Limitations of the Study

In order to put the results in perspective , it is necessary to recognize a number of limitations, even though the results are encouraging. To begin, the results may not be applied to different contexts or student groups because the study only used a single classroom and a small sample size (n=22). Secondly , it is not known whether the advantages would be maintained throughout a full academic year and the fact that the intervention was just 6 weeks long makes one wonder how long the effects will last. The arrangement's novelty may have affected behavior. Third, when collecting and interpreting qualitative data , especially in journal articles , there is a great deal of room for researcher bias when you are both a teacher and a researcher. Last but not least, the Hawthorne Effect probably had a part to play , pupils might have altered their conduct just because they were aware that new seating arrangement was the subject of an observational research. By placing the study's conclusions within reasonable bounds , acknowledging these limitations enhances its trustworthiness.

D. Suggestions for Future Research

Future research can benefit from this study in multiple ways. To increase the results' external validity, a bigger study involving several grade levels and classrooms is needed. When the initial excitement of flexible seating has faded , we need longitudinal studies to see how it affect students' conduct and test performance in the long run. It

would be extremely helpful for practitioners if there was a targeted study examining the effects of flexible seating on pupils with attention deficit hyperactivity disorder (ADHD) , autism spectrum disorder (ASD) or any other unique learning need. Lastly, a quasi –experimental study with a control group might be used to further isolate the influence of flexible seating from other variables in future research.

6– Conclusion

The purpose of this research was to examine how a second – grade intermediate classroom's flexible seating arrangement affected kids' ability to concentrate and work together. Based on the results , the thesis can be restated, students' on – task engagement and meaningful peer collaboration are much improved by intentionally implementing flexible seating in conjunction with organized routines and explicit teaching in self– regulation. The results show that the physical learning environment is not just a background , it actively shapes student behavior and social dynamics , helping them become more independent and helpful to one another as learners.

The primary results of the study give light on the issues posed by the research topics. The quantitative data showed that during the intervention period, there was a significant overall increase in on –task behavior , going from 74.2% at baseline to 86.5%. Although there was an improvement overall , it was most pronounced during the time students worked independently with very little change during period of direct instruction. This subtly emphasizes that student –centered activities are when flexible seating is most beneficial. When looking at the statistics , it was clear that the frequency of collaborative acts increased significantly , going from an average of 8.5 to 14.2 each session. Qualitative data showed that students' behavior changed for the better as a result of the new setting , with more spontaneous requests for assistance , explanations and collaboration.

Ultimately, this study highlights an essential reality in education , The way a classroom is designed a deep expression of the educational philosophy. Embracing a layout that goes beyond rows of desks shows a genuine dedication to designing a room that values children's mobility, independence and social interaction rather than just looking good. Although it is not an easy solution students are empowered to

become active agents in their learning journey when flexible seating is applied with aim and structure. It tests teachers' faith in their students' abilities to improve their own concentration and community building while also challenging them to reevaluate conventional methods of supervision. Creating classrooms that intentionally cater to these needs goes beyond just rearranging furniture.

It involves creating a climate that is positive , productive and powerful , allowing every student to discover their niche and succeed.

References

1. Anderson, K. L. (2016). The effects of flexible seating in the elementary classroom on student engagement and motivation (Master's thesis). Northwestern College.

2. Barrett, P., Davies, F., Zhang, Y., & Barrett, L. (2015). The impact of classroom design on pupils' learning: Final results of a holistic, multi-level analysis. Building and Environment, 89, 118–133.

3. Becker, F., & Steele, F. (1995). Workplace by design: Mapping the high-performance workscape. Jossey-Bass.

4. Blackmore, J., Bateman, D., Loughlin, J., O'Mara, J., & Aranda, G. (2011). Research into the connection between built learning spaces and student outcomes. Department of Education and Early Childhood Development.

5. Blyth, A. (2012). Creating a learning environment for the 21st century: A review of the literature on innovative learning environments. OECD.

6. Byers, T., Imms, W., & Hartnell-Young, E. (2014). Making the case for space: The effect of learning spaces on teaching and learning. Curriculum and Teaching, 29(1), 5–19.

7. Casey, L. B., Miller, N. D., Stockton, M. B., & Justice, W. V. (2018). Flexible seating impact on classroom environment. The Turkish Online Journal of Educational Technology, 17(2), 66–73.

8. Cheryan, S., Ziegler, S. A., Plaut, V. C., & Meltzoff, A. N. (2014). Designing classrooms to maximize student achievement. Policy Insights from the Behavioral and Brain Sciences, 1(1), 4–12.

9. Cohen, E. G., & Lotan, R. A. (2014). Designing groupwork: Strategies for the heterogeneous classroom (3rd ed.). Teachers College Press.

10. Csikszentmihalyi, M. (1990). Flow: The psychology of optimal experience. Harper & Row.

11. Deci, E. L., & Ryan, R. M. (2000). The "what" and "why" of goal pursuits: Hu-

man needs and the self-determination of behavior. Psychological Inquiry, 11(4), 227–268.

12. Dornhecker, M., Blake, J. J., Benden, M., Zhao, H., & Wendel, M. (2015). The effect of stand-biased desks on academic engagement: An exploratory study. International Journal of Health Promotion and Education, 53(5), 271–280.

13. Earthman, G. I. (2004). Prioritization of 31 criteria for school building adequacy. American Civil Liberties Union Foundation of Maryland.

14. Edwards, C., Gandini, L., & Forman, G. (Eds.). (2011). The hundred languages of children: The Reggio Emilia experience in transformation (3rd ed.). Praeger.

15. Erwin, H., Fedewa, A., & Ahn, S. (2013). Student academic performance outcomes of a classroom physical activity intervention: A pilot study. International Electronic Journal of Elementary Education, 5(2), 109–124.

16. Fisher, A. V., Godwin, K. E., & Seltman, H. (2014). Visual environment, attention allocation, and learning in young children: When too much of a good thing may be bad. Psychological Science, 25(7), 1362–1370.

17. Gee, K. A. (2016). The impact of flexible learning spaces on student engagement and collaborative learning in a primary setting (Doctoral dissertation). University of Melbourne.

18. Godwin, K. E., Almeda, M. V., Seltman, H., Kai, S., Skerbetz, M. D., Baker, R. S., & Fisher, A. V. (2016). Off-task behavior in elementary school children. Learning and Instruction, 44, 128–143.

19. Haines, S. J., & Koscinski, B. (2019). The active classroom: Practical strategies for involving students in the learning process (2nd ed.). Corwin.

20. Hanley, G. P., Heal, N. A., Tiger, J. H., & Ingvarsson, E. T. (2007). Evaluation of a classwide teaching program for developing preschool life skills. Journal of Applied Behavior Analysis, 40(2), 277–300.

21. Hatch, T. (2013). Into the classroom: Developing the scholarship of teaching and learning. Jossey-Bass.

22. Heiss, R. (2018). The effect of flexible seating on student engagement in the elementary classroom (Master's thesis). Dominican University of California.

23. Higgins, S., Hall, E., Wall, K., Woolner, P., & McCaughey, C. (2005). The impact of school environments: A literature review. The Centre for Learning and Teaching, University of Newcastle.

24. Johnson, D. W., & Johnson, R. T. (2009). An educational psychology success story: Social interdependence theory and cooperative learning. Educational Researcher, 38(5), 365–379.

25. Jones, R. D. (2018). The effects of flexible seating on student engagement in the elementary school classroom (Doctoral dissertation). Walden University.
26. Kariippanon, K. E., Cliff, D. P., Lancaster, S. L., Okely, A. D., & Parrish, A. M. (2018). Perceived interplay between flexible learning spaces and teaching, learning and student wellbeing. Learning Environments Research, 21(3), 301–320.
27. Kennedy, M. (2018). The well-designed classroom. American School & University.
28. Kimmel, S. C., Harden, S., & Tannehill, D. (2019). "It's not just about the desks": The impact of a flexible learning environment on student engagement. The Journal of Educational Research, 112(5), 573–584.
29. Lackney, J. A. (2008). Teacher environmental competence in elementary school environments. Children, Youth and Environments, 18(2), 133–159.
30. Malmqvist, J. (2018). The impact of classroom environment on student learning: A review of the literature. Journal of Educational and Social Research, 8(3), 25–32.
31. Maxwell, L. E. (2016). School building condition, social climate, student attendance and academic achievement: A mediation model. Journal of Environmental Psychology, 46, 206–216.
32. McNeil, J., & Borg, M. (2018). Learning spaces and pedagogy: Towards the development of a shared understanding. Innovations in Education and Teaching International, 55(2), 228–239.
33. Merritt, E. G., Wanless, S. B., Rimm-Kaufman, S. E., Cameron, C. E., & Peugh, J. L. (2017). The contribution of teachers' emotional support to children's social behaviors and self-regulatory skills in first grade. School Psychology Review, 46(2), 141–160.
34. Miles, R. (2017). The effects of flexible seating on student engagement in the elementary classroom (Master's thesis). University of Northern Iowa.
35. Miller, A. (2018). The impact of flexible seating on first grade students' storytelling skills (Doctoral dissertation). Capella University.
36. Montessori, M. (1967). The absorbent mind. Holt, Rinehart and Winston.
37. Oblinger, D. G. (Ed.). (2006). Learning spaces. EDUCAUSE.
38. Parsons, C. S. (2017). Reimagining the classroom: An exploratory case study of flexible learning environments (Doctoral dissertation). Vanderbilt University.
39. Pink, D. H. (2009). Drive: The surprising truth about what motivates us. Riverhead Books.
40. Read, M. A. (2010). Contemplating design: Listening to children's preferences

about classroom design. Creative Education, 1(2), 75–80.

41. Rinaldi, C. (2006). In dialogue with Reggio Emilia: Listening, researching and learning. Routledge.

42. Ryan, R. M., & Deci, E. L. (2017). Self-determination theory: Basic psychological needs in motivation, development, and wellness. Guilford Press.

43. Scott-Webber, L., Strickland, A., & Kapitula, L. R. (2013). How classroom design affects student engagement. Steelcase Education.

44. Slavin, R. E. (2014). Cooperative learning and academic achievement: Why does groupwork work? Anales de Psicología, 30(3), 785–791.

45. Tanner, C. K. (2009). Effects of school design on student outcomes. Journal of Educational Administration, 47(3), 381–399.

46. Tomlinson, C. A. (2014). The differentiated classroom: Responding to the needs of all learners (2nd ed.). ASCD.

47. Tuttle, L. (2017). Flexible seating: Effects on student engagement and academic performance (Master's thesis). University of Wisconsin-Superior.

48. Ulrich, R. S. (1984). View through a window may influence recovery from surgery. Science, 224(4647), 420–421.

49. Vygotsky, L. S. (1978). Mind in society: The development of higher psychological processes. Harvard University Press.

50. Wells, N. M. (2000). At home with nature: Effects of "greenness" on children's cognitive functioning. Environment and Behavior, 32(6), 775–795.

51. Wannarka, R., & Ruhl, K. (2008). Seating arrangements that promote positive academic and behavioral outcomes: A review of empirical research. Support for Learning, 23(2), 89–93.

52. Weinstein, C. S. (1979). The physical environment of the school: A review of the research. Review of Educational Research, 49(4), 577–610.

53. Woolner, P., McCarter, S., Wall, K., & Higgins, S. (2012). Changed learning through changed space: When can a participatory approach to the learning environment challenge preconceptions and alter practice? Improving Schools, 15(1), 45–60.

54. Zimmerman, B. J. (2002). Becoming a self-regulated learner: An overview. Theory Into Practice, 41(2), 64–70.

55. Zomorodian, Z. S., Parva, M., Ahrari, I., Tavana, S., & Alipour, A. (2016). The effect of seating design on student learning in educational spaces. International Journal of Architecture and Urban Development, 6(2), 35–42.

كفاءة إدارة رأس المال العامل وأثرها في الاداء المالي للشركات التجارية

الباحث: نبراس فاضل حسن
الجامعة التكنولوجية / كلية هندسة الطب الحياتي

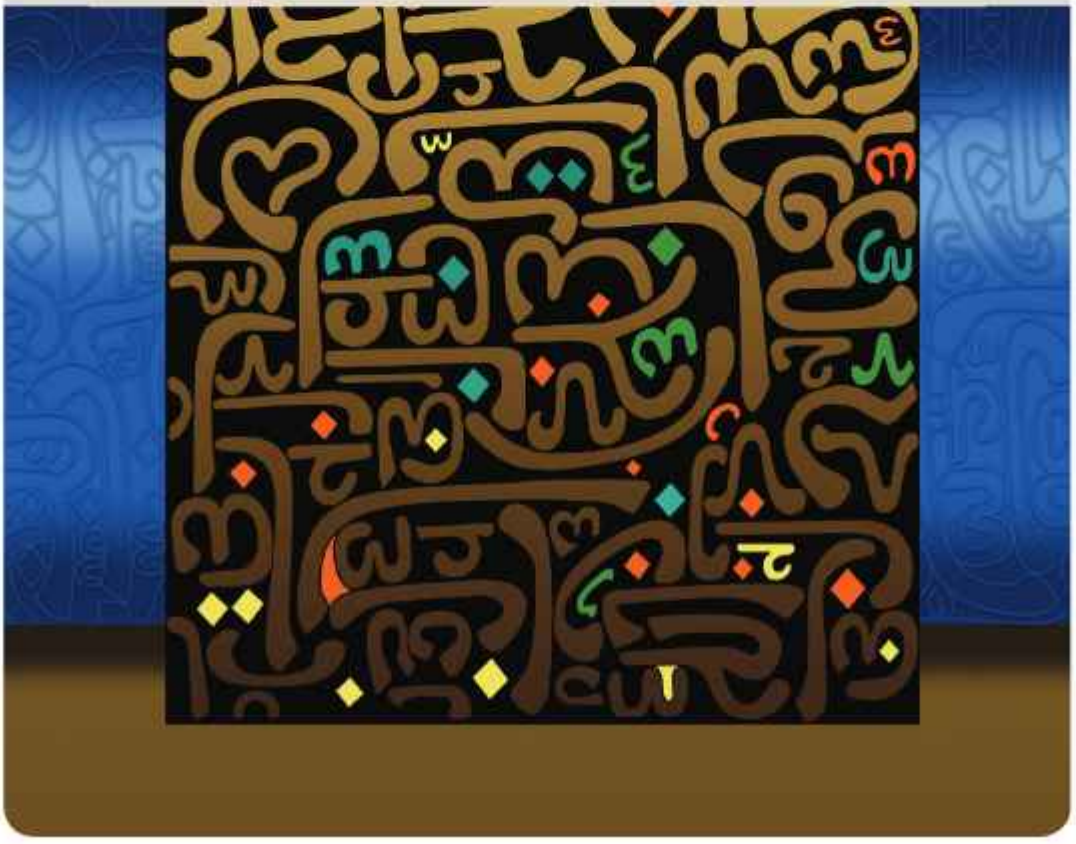

للمستخلص:

يعد رأس المال العامل من أهم المرتكزات المالية التي تستند إليها الشركات التجارية في تعزيز قدراتها التشغيلية وتحقيق التوازن بين السيولة والربحية، إذ يشكل الأداة الحيوية لإدارة الموارد قصيرة الأجل بكفاءة عالية. ويهدف هذا البحث إلى دراسة كفاءة إدارة رأس المال العامل وانعكاسها المباشر على الأداء المالي للشركات التجارية، من خلال تحليل العلاقة بين السياسات المالية المرتبطة برأس المال العامل (المتحفظة، المعتدلة، والمغامرة) وبين مؤشرات الأداء المالي مثل العائد على الأصول، صافي الربح، والسيولة. لقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، فضلاً عن توظيف عدد من الدراسات التطبيقية العربية والأجنبية لتأكيد النتائج النظرية، كما جرى الاستناد إلى نماذج إحصائية كمية لقياس أثر دورة التحويل النقدي ومكونات رأس المال العامل (النقدية، الحسابات المدينة، المخزون، والحسابات الدائنة) في تعزيز الملاءة المالية قصيرة الأجل وتحقيق كفاءة استخدام الموارد.

الكلمات المفتاحية: رأس المال العامل، كفاءة الإدارة المالية، ربحية الشركات التجارية.

Abstract:

Working capital is one of the most important financial pillars upon which commercial companies rely to enhance their operational capabilities and achieve a balance between liquidity and profitability. It constitutes a vital tool for managing short-term resources with high efficiency. This research aims to study the efficiency of working capital management and its direct impact on the financial performance of commercial companies, through an analysis of the relationship The study examined the relationship between financial policies related to working capital (conservative, moderate, and venture capital) and financial performance indicators such as return on assets, net profit, and liquidity. The research employed a descriptive-analytical approach and utilized several Arab and international applied studies to confirm the theoretical findings. Quantitative statistical models were also used to measure the impact of the conversion cycle. Cash and its components (cash, accounts receivable, inventory, and accounts payable) enhance short-term solvency and achieve efficient resource utilization.

Keywords: Working capital, financial management efficiency, business profitability.

للمقدمة:

تعد كفاءة إدارة رأس المال العامل من الموضوعات الجوهرية في الدراسات المالية والإدارية، إذ تشكل إحدى الركائز الأساسية لضمان استمرارية النشاط التجاري وتحقيق التوازن بين السيولة والربحية. ويُقصد برأس المال العامل الفرق بين الأصول المتداولة والخصوم المتداولة، وهو مؤشر حيوي يعكس قدرة الشركات التجارية على مواجهة التزاماتها قصيرة

الأجل، والمحافظة على دورة تشغيلية متوازنة تسهم في استدامة النشاط الاقتصادي وتحسين الأداء المالي ، إن الإدارة الفعالة لرأس المال العامل ترتبط بمدى قدرة الإدارة المالية على تحقيق الاستخدام الأمثل للأصول المتداولة كالنقدية، المخزون، والحسابات المدينة، في مقابل التحكم في الالتزامات قصيرة الأجل مثل الحسابات الدائنة والقروض الجارية فالشركات التجارية التي تنجح في إدارة هذا التوازن قادرة على تعزيز سيولتها، وتقليل تكاليف التمويل، وزيادة ربحيتها في المدى المتوسط والطويل .

وقد أظهرت دراسات ميدانية في بيئات اقتصادية مختلفة أن ضعف إدارة رأس المال العامل يؤدي إلى زيادة المخاطر المالية وارتفاع معدلات التعثر، في حين أن تحسين سياسات التحصيل وإدارة المخزون والديون ينعكس إيجابياً على الأداء المالي من خلال تقليل الحاجة إلى التمويل الخارجي وتحقيق كفاءة تشغيلية أكبر ، لذلك يعد هذا الموضوع ذا أهمية خاصة للشركات التجارية التي تعتمد بدرجة كبيرة على دوران رأس المال العامل لضمان استمرارية عملياتها التنافسية في الأسواق المحلية والدولية ، تأتي أهمية هذا البحث الذي يهدف إلى دراسة كفاءة إدارة رأس المال العامل وأثرها في الأداء المالي للشركات التجارية، من خلال تحليل العلاقة بين سياسات إدارة الأصول والخصوم المتداولة وبين مؤشرات الأداء المالي كالعائد على الأصول وصافي الربح، إن هذه الدراسة لا تسعى فقط إلى الكشف عن الأثر المباشر لهذه العلاقة، بل تهدف أيضاً إلى تقديم إطار عملي يمكن الشركات التجارية من تبني استراتيجيات مالية رشيدة تعزز من قدرتها على المنافسة والنمو المستدام.

وتوصل البحث إلى أن كفاءة إدارة رأس المال العامل تسهم بصورة مباشرة في تحسين الأداء المالي للشركات التجارية، حيث تبين أن تقليص فترة التحصيل والاحتفاظ بالمخزون يؤدي إلى تعزيز التدفقات النقدية وزيادة العائد على الأصول، بينما يسهم التوازن بين الذمم الدائنة والمدينة في خفض المخاطر المالية وتحقيق استقرار السيولة ، وكشفت النتائج عن أن السياسات المعتدلة في إدارة رأس المال العامل غالباً ما تحقق أفضل توازن بين المخاطرة والعائد مقارنة بالسياسات المتحفظة أو المغامرة. وأوصى الباحث بضرورة تبني استراتيجيات مرنة في إدارة رأس المال العامل، ترتكز على المراجعة الدورية لمكوناته، وتحقيق المواءمة بين السيولة والربحية، مع الاهتمام باستخدام أدوات مالية حديثة تساعد في تعزيز الكفاءة التشغيلية والقدرة التنافسية للشركات التجارية.

اولاً : مشكلة البحث

تعتبر إدارة رأس المال العامل من أبرز التحديات التي تواجه الشركات التجارية، كونها تمثل حلقة الوصل بين السيولة التشغيلية قصيرة الأجل والربحية طويلة الأجل ف أن الكثير من الشركات تعاني من خلل في إدارة مكونات رأس المال العامل (النقدية، الحسابات المدينة، المخزون، الحسابات الدائنة)، مما يؤدي إلى انخفاض السيولة أو ضعف في التدفقات النقدية التشغيلية، وهو ما ينعكس سلبياً على مؤشرات الأداء المالي مثل العائد على الأصول وصافي الربح. وبالنظر إلى البيئة التجارية التنافسية الحالية وما تتسم به من تقلبات اقتصادية، تصبح إشكالية البحث متمثلة في:

– ما مدى تأثير كفاءة إدارة رأس المال العامل في تحسين الأداء المالي للشركات التجارية؟

ثانياً : أهمية البحث

١ – الأهمية النظرية / يساهم البحث في إثراء الأدبيات المالية المتعلقة بالعلاقة بين إدارة رأس المال العامل والأداء المالي، عبر دمج نظريات السيولة والربحية وتطبيقها في بيئة الشركات التجارية.

٢ – الأهمية التطبيقية / يقدم البحث مؤشرات عملية للإدارات المالية في الشركات التجارية حول كيفية تحسين السياسات المالية المتعلقة برأس المال العامل لتحقيق التوازن بين السيولة والربحية.

٣ – الأهمية الاقتصادية / يبرز البحث دور كفاءة إدارة رأس المال العامل في تعزيز استدامة الشركات التجارية، وهو ما

ينعكس إيجاباً على الاقتصاد الكلي من خلال تحسين كفاءة تخصيص الموارد وزيادة معدلات النمو.

ثالثاً : أهداف البحث

١ – التعرف على ماهية رأس المال العامل ومكوناته الأساسية، وتحليل دوره في تعزيز الأداء المالي.

٢ – دراسة السياسات المالية التقليدية والحديثة المستخدمة في إدارة رأس المال العامل وتأثيرها على الأداء.

٣ – تحليل العلاقة بين دورة التحويل النقدي والسيولة التشغيلية للشركات التجارية.

٤ – قياس أثر كفاءة إدارة رأس المال العامل على مؤشرات الربحية مثل العائد على الأصول وصافي الربح.

رابعاً : منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي – التحليلي وذلك من خلال مراجعة الأدبيات المالية العربية والأجنبية المتعلقة بإدارة رأس المال العامل وأثرها في الأداء المالي.

خامساً : فرضيات البحث

١ – الفرضية الرئيسة / هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين كفاءة إدارة رأس المال العامل والأداء المالي للشركات التجارية.

٢ – الفرضيات الفرعية :

– توجد علاقة سلبية بين طول دورة التحويل النقدي ومستوى السيولة التشغيلية للشركات التجارية.

– توجد علاقة إيجابية بين كفاءة إدارة الحسابات المدينة والمخزون وبين العائد على الأصول.

– تؤثر السياسات المتحفظة أو المغامرة في إدارة رأس المال العامل بشكل مختلف على صافي ربح الشركات التجارية.

سادساً : الدراسات السابقة:

الدراسات العربية

١ – دراسة (قاسم ٢٠٢١) بعنوان : أثر كفاءة إدارة رأس المال العامل على ربحية الشركات في العراق(١)

تهدف الدراسة إلى تحليل أثر كفاءة إدارة رأس المال العامل من خلال نسب احتفاظ النقدية، متوسط فترات تحصيل الذمم المدينة، الاحتفاظ بالمخزون، وفترات تسديد الديون على ربحية الشركات (مقاسة بـ ROA) في العراق، شملت عينة الدراسة عدد من شركات صناعية وزراعية مدرجة في سوق العراق للأوراق المالية خلال الفترة ٢٠٠٩–٢٠١٨ . واعتمد البحث على استخدام مؤشرات رأس المال العامل كمتغيرات مستقلة، وتحليل ROA كمتغير تابع، عبر تحليل الانحدار البسيط والمتعدد. وتوصلت اهم النتائج إلى وجد علاقة إيجابية بين فترة تحصيل الذمم المدينة والعائد على الموجودات (ROA). أما العلاقة بين فترة الاحتفاظ بالمخزون و ROA فكانت سالبة. وجاءت التوصيات بضرورة المراجعة الدورية لكشوفات الذمم المدينة والمخزون والتخلص من الأصول غير المجدية لتعزيز الربحية وقيمة الشركة.

٢ – دراسة (النابوت ٢٠١٩) بعنوان :أثر إدارة رأس المال العامل والربحية في الشركات الأردنية (٢)

هدفت الدراسة إلى معرفة اثر استراتيجيات إدارة رأس المال العامل المتحفظة والمجازفة والمعتدلة على ربحية الشركات مقاسة بمعدل العائد على الاستثمار ، وتم تطبيق الدراسة على شركات الاغذية المدرجة في بورصة عمان وعددها (١١) شركة وتم اختيار (٩) شركات انطبقت عليها شروط اختيار العينة وتم الاعتماد على نموذج الانحدار البسيط لاختبار فرضيات الدراسة ، وبرزت اهم النتائج حول وجود اثر سلبي ذو دلالة إحصائية لكل من الاستراتيجية المتحفظة والاستراتيجية المجازفة في ادارة رأس المال العامل على ربحية شركات الاغذية الاردنية المدرجة في بورصة عمان ، واوصت الدراسة بالعمل على تطبيق الاستراتيجية المعتدلة في إدارة رأس المال العامل والتي تضمن تحقيق المستويات الملائمة الإدارة رأس المال العامل في الشركات من خلال تخفيض حجم المخزون بشكل يتلاءم مع حجم نشاط الشركة ويضمن عدم توقف عملياتها، وتخفيض فترة تحصيل الذمم المدينة ما أمكن بشكل ل يؤثر على عالقة الشركة مع العملاء، وزيادة فترة السداد

ما أمكن بشكل ل يؤثر على عالقة الشركة مع الموردون.

٣- دراسة (الرويشد ٢٠٢٤) بعنوان : أثر رأس المال العامل على ربحية شركات قطاع إنتاج الاغذية دراسة تطبيقية على شركة المراعي(٣)

تهدف الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين رأس المال العامل وربحية شركة المراعي السعودية خلال الفترة ٢٠١٢-٢٠٢٢. واتبعت المنهج الوصفي التحليلي؛ من خلال تحليل القوائم المالية وتقارير الشركة لفحص ارتباط رأس المال العامل بكل من صافي الدخل وROA ونسبة التداول. وجاءت ابرز النتائج بـ لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين رأس المال العامل وصافي الدخل، ولا مع ROA، إلا أن هناك ارتباط معنوي مع النسبة السريعة (Quick Ratio) فقط، مما يدل على تأثير جزئي لرأس المال العامل، واوصت الدراسة بـ ضرورة التركيز على عوامل مؤثرة إضافية لتحسين ربحية الشركات السعودية مثل المراعي، والاستفادة من موارد الرؤية الاقتصادية والتشغيلية المتاحة لتحقيق الربحية المرجوة.

الدراسات الاجنبية

١- دراسة Deloof (٢٠٠٣) (٤)

تعتبر هذه الدراسة من أوائل البحوث التجريبية التي تناولت تأثير إدارة رأس المال العامل على ربحية الشركات الصناعية في بيئة أوروبية متقدمة. اعتمد الباحث على عينة مكونة من ١,٠٠٩ شركة صناعية بلجيكية خلال الفترة من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٦. واستخدم أسلوب الانحدار المقطعي والطولي لتحليل العلاقة بين مكونات رأس المال العامل والربحية. كانت متغيرات الأساسية شملت متوسط فترة التحصيل (Accounts Receivable Days)، فترة الاحتفاظ بالمخزون (Inventory Days)، وفترة السداد للموردين (Accounts Payable Days)، بالإضافة إلى دورة التحويل النقدي كإجمالي. جاءت النتائج الرئيسة حيث أظهرت وجود علاقة سلبية ذات دلالة إحصائية بين كل من فترة التحصيل وفترة الاحتفاظ بالمخزون من جهة، والربحية المقاسة بالهامش التشغيلي من جهة أخرى. بمعنى أن تقليص عدد الأيام التي تحتجز فيها الأموال في المخزون أو الذمم المدينة يؤدي إلى تحسن في الأرباح، كما أظهرت النتائج أن إطالة فترة السداد للموردين يمكن أن يحسن التدفقات النقدية، لكنه قد يضر بعلاقات الشركات مع مورديها. تقدم هذه الدراسة دليل قوي على أن الكفاءة في إدارة رأس المال العامل ليست مجرد مسألة محاسبية بل تؤثر مباشرة في الأداء المالي، وهو ما جعلها مرجع أساسي للبحوث اللاحقة.

٢- دراسة García-Teruel & Martínez-Solano (٢٠٠٧) (٥)

ركزت هذه الدراسة على الشركات الصغيرة والمتوسطة (SMEs) في إسبانيا، حيث تمثل هذه الشركات العمود الفقري للاقتصاد لكنها أكثر عرضة لمشكلات السيولة والتمويل مقارنة بالشركات الكبرى. اعتمد الباحثان على عينة واسعة شملت ٨,٨٧٢ شركة صغيرة ومتوسطة خلال الفترة من ١٩٩٦ إلى ٢٠٠٢، وتم استخدام العائد على الأصول (ROA) كمؤشر للربحية، بينما تم قياس كفاءة رأس المال العامل عبر مؤشرات: أيام التحصيل، أيام الاحتفاظ بالمخزون، وأيام السداد للموردين. أظهرت النتائج وجود علاقة عكسية قوية بين أيام التحصيل وأيام الاحتفاظ بالمخزون وبين الربحية، وهو ما يعني أن الشركات التي تقلل فترة تحصيل ديونها وتسرّع دورة مخزونها تحقق أرباح أعلى. كما تبين أن العلاقة بين أيام السداد للموردين والربحية أكثر تعقيد، إذ أن إطالة فترة الدفع قد يحسن السيولة مؤقتاً لكنه قد يؤدي إلى فقدان الثقة مع الموردين. وتوضح هذه الدراسة أن الشركات الصغيرة والمتوسطة أكثر حساسية لأي خلل في إدارة رأس المال العامل بسبب محدودية مصادر التمويل، ما يجعل الكفاءة في إدارة الذمم والمخزون أمر حاسم لبقائها ونموها وتعد من أهم الدراسات التي ركزت على قطاع الـ SMEs.

٣- دراسة Enqvist, Graham & Nikkinen (٢٠١٤) (٦)

تميزت هذه الدراسة بأنها لم تكتف بفحص العلاقة المباشرة بين إدارة رأس المال العامل والربحية، بل اختبرت تأثير هذه العلاقة في ظل اختلاف مراحل الدورة الاقتصادية (Boom & Recession). اعتمد الباحثون على عينة مكونة من ١,١٣٦ شركة فنلندية غير مالية خلال الفترة من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٨، وهي فترة تضمنت أزمات اقتصادية وانكماشات فضلاً عن فترات نمو. تم استخدام دورة التحويل النقدي (CCC) ومكوناتها كمؤشرات رئيسية لرأس المال العامل، بينما تم قياس الأداء عبر العائد على الأصول (ROA) والربحية التشغيلية. وبينت النتائج أن العلاقة بين إدارة رأس المال العامل والربحية تختلف حسب مرحلة الدورة الاقتصادية: في فترات النمو: كانت العلاقة ضعيفة نسبياً ، لأن توفر التمويل الخارجي يقلل من أثر الكفاءة التشغيلية لرأس المال العامل. وفي فترات الانكماش: ظهرت العلاقة أقوى بكثير، حيث أن أي خلل في إدارة السيولة يؤدي إلى أزمات مالية مباشرة للشركات، بينما الشركات التي تحافظ على دورة نقدية قصيرة تكون أكثر قدرة على الاستمرار وتحقيق أرباح. تبرز هذه النتائج أن فعالية سياسات رأس المال العامل لا يمكن الحكم عليها بمعزل عن السياق الاقتصادي الكلي، ما يفتح الباب أمام ربط إدارة رأس المال العامل بالتحليل الكلي والدورات الاقتصادية.

المبحث الأول

الإطار النظري لإدارة رأس المال العامل

يمثل رأس المال العامل أحد المرتكزات الأساسية التي تبنى عليها سلامة المركز المالي للشركات التجارية، إذ يعد المؤشر الرئيس على قدرة هذه الشركات في الإيفاء بالتزاماتها قصيرة الأجل وضمان استمرارية عملياتها التشغيلية ، وتعرف الأدبيات المالية رأس المال العامل بأنه الفرق بين الأصول المتداولة والخصوم المتداولة، وهو مفهوم يعكس درجة السيولة المتاحة للشركة ومدى مرونتها في مواجهة الأزمات المالية أو التذبذبات السوقية ومن ثم فإن حسن إدارة هذا العنصر يشكل المدخل الرئيس لتحقيق التوازن بين الكفاءة التشغيلية والسيولة والربحية. وتظهر الدراسات أن الشركات التي تحسن إدارة رأس المال العامل من خلال الاستخدام الأمثل للنقدية، ضبط مستويات المخزون، وتنظيم الحسابات المدينة والدائنة، تستطيع تقليل تكاليف التمويل وتحسين الأداء المالي الكلي. كما أن الفشل في ضبط هذا التوازن يقود إلى مشكلات في التدفقات النقدية، مما يؤثر على قدرة الشركات في مواجهة التزاماتها وفي تحقيق ربحية مستدامة ، ويعد موضوع إدارة رأس المال العامل أحد الموضوعات التي حظيت باهتمام واسع في الفكر المالي والإداري المعاصر، حيث تناولته البحوث الأكاديمية باعتباره أداة استراتيجية تساهم في تحقيق ميزة تنافسية، وليس مجرد عملية محاسبية تقليدية إذ تشير الأدلة التطبيقية إلى أن دورة التحويل النقدي التي تعبر عن المدة الزمنية بين دفع الالتزامات النقدية وتحصيل الإيرادات تعتبر عامل مهم في تفسير الاختلافات في الأداء المالي بين الشركات التجارية المختلفة (٧).

المطلب الأول: ماهية رأس المال العامل وأبعاده

يعد رأس المال العامل من المفاهيم الاساسية في الفكر المالي والمحاسبي، إذ يمثل أحد المؤشرات الرئيسة لقياس كفاءة النشاط التشغيلي للشركات التجارية. ويعرف عادة بأنه الفارق بين الأصول المتداولة والخصوم المتداولة، وهو بذلك يعكس مستوى السيولة المتاحة التي تمكن الشركة من تغطية التزاماتها قصيرة الأجل والحفاظ على دورة تشغيلية مستقرة، إن هذا المفهوم يرتبط بصورة مباشرة بقدرة المؤسسة على الاستمرار وتحقيق التوازن بين السيولة والربحية، وهو ما يجعل إدارة رأس المال العامل أداة استراتيجية لا غنى عنها في الإدارة المالية الحديثة(٨).

تختلف الدراسات في تصنيف رأس المال العامل بين كونه رأس مال عامل إجمالي (Gross Working Capital) يشير إلى مجموع الأصول المتداولة، ورأس مال عامل صافي (Net Working Capital) الذي يعكس الفارق بين الأصول والخصوم المتداولة، هذا التمييز أساسي لفهم طبيعة الموارد المالية قصيرة الأجل التي تتحكم بها الشركات

التجارية من جهة، ومدى اعتمادها على مصادر التمويل القصيرة من جهة أخرى ويستخدم رأس المال العامل الصافي في التحليل المالي باعتباره مؤشراً على الملاءة المالية قصيرة الأجل، بينما يستخدم رأس المال العامل الإجمالي لتقييم حجم الموارد السائلة المتاحة للتشغيل اليومي (٩).

وتكمن أهمية رأس المال العامل في كونه ليس مجرد مؤشر حسابي، بل أداة عملية لإدارة التوازن بين متطلبات التمويل والسيولة. فالشركات التي تحافظ على مستويات مناسبة من رأس المال العامل تكون أكثر قدرة على مواجهة المخاطر التشغيلية والتقلبات السوقية، في حين أن انخفاضه إلى مستويات حرجة قد يهدد بضعف السيولة والتعثر في الوفاء بالالتزامات. لذا، فإن دراسة ماهية رأس المال العامل وأبعاده تعد مدخلاً أساسياً لفهم ديناميكية العلاقة بينه وبين الأداء المالي للشركات التجارية (١٠).

الفرع الأول: مفهوم رأس المال العامل وأنواعه

يعد رأس المال العامل من المفاهيم المالية الأساسية التي تعكس الوضع المالي قصير الأجل للشركات التجارية، إذ يشكل حلقة الوصل بين إدارة الأصول والخصوم المتداولة، ويستخدم في قياس قدرة المؤسسة على الاستمرار في الوفاء بالتزاماتها اليومية وضمان توازنها التشغيلي. ويعرف رأس المال العامل بأنّه الفرق بين الأصول المتداولة (كالنقدية، المخزون، والحسابات المدينة) والخصوم المتداولة (كالديون القصيرة الأجل والحسابات الدائنة)، وبذلك فهو يمثل السيولة الصافية المتاحة للشركة إن هذا التعريف يمنح رأس المال العامل بعداً يتجاوز كونه مجرد مؤشر محاسبي إلى كونه أداة استراتيجية تُسهم في تعزيز استقرار الأداء المالي والقدرة التنافسية للمؤسسة(١١).

وقد تباينت الأدبيات المالية في تحديد مفهوم رأس المال العامل بين اتجاهين رئيسيين : الاتجاه الأول : ينظر إليه باعتباره رأس المال العامل الإجمالي (Gross Working Capital)، وهو مجموع الأصول المتداولة التي تمتلكها الشركة وتُسخرها في تمويل عملياتها اليومية.

الاتجاه الثاني : فيعرفه باعتباره رأس المال العامل الصافي (Net Working Capital)، أي الفارق بين الأصول المتداولة والخصوم المتداولة، وهو ما يوضح مقدار الموارد السائلة المتاحة للشركة بعد استبعاد التزاماتها قصيرة الأجل ، ويعتبر هذا التعريف الأخير أكثر شيوعاً في مجال التحليل المالي لأنه يقدم صورة واقعية عن قدرة الشركة على تغطية التزاماتها الفورية (١٢).

ويكمن الفرق الجوهري بين النوعين في طبيعة الاستخدام. فـ رأس المال العامل الإجمالي يستخدم لتقدير حجم الموارد قصيرة الأجل التي يمكن استثمارها في التشغيل أو الاحتفاظ بها لمواجهة الطوارئ، بينما يستخدم رأس المال العامل الصافي كمؤشر مباشر على الملاءة المالية والسيولة، إذ يوضح مدى توازن الشركة بين ما تملكه من موارد سائلة وما عليها من التزامات قصيرة الأجل لذلك، فإن التحليل المالي للمؤسسات يعتمد عادة على رأس المال العامل الصافي عند تقييم المخاطر المالية والقدرة على الاستمرارية (١٣).

وتبرز أهمية التمييز بين هذين النوعين في كونه يوجه قرارات الإدارة المالية نحو اختيار السياسات المناسبة في إدارة السيولة فإذا أظهرت المؤشرات أن رأس المال العامل الصافي موجب ومرتفع، دل ذلك على امتلاك الشركة قدرة عالية على مواجهة التزاماتها، أما إذا كان سالباً أو منخفضًا فإنه يعكس ضعف السيولة وارتفاع مخاطر التعثر المالي ، يعد تحديد مفهوم رأس المال العامل وأنواعه خطوة محورية لفهم العلاقة بين السيولة والربحية، ولصياغة استراتيجيات مالية فعّالة تضمن استقرار النشاط التجاري على المدى القصير والطويل (١٤).

الفرع الثاني: مكونات رأس المال العامل (الأصول والخصوم المتداولة)

إن رأس المال العامل لا يفهم بشكل صحيح إلا من خلال تحليل مكوناته الأساسية، والمتمثلة في الأصول المتداولة

والخصوم المتداولة، إذ يشكل التوازن بين هذين العنصرين المحدد الرئيس لقدرة الشركات التجارية على إدارة سيولتها بكفاءة فالأصول المتداولة تعبر عن الموارد قصيرة الأجل القابلة للتحويل إلى نقد خلال فترة لا تتجاوز السنة المالية، بينما الخصوم المتداولة تمثل الالتزامات المالية المستحقة على الشركة خلال الفترة نفسها ومن ثم فإن كفاءة إدارة هذين المكونين تعد عامل محوري في تحديد مستوى السيولة والملاءة المالية للمؤسسة، تشمل الأصول المتداولة النقدية والأرصدة في البنوك، الأوراق المالية قصيرة الأجل، الحسابات المدينة (الذمم المدينة)، المخزون، والمصروفات المدفوعة مقدماً وتعد هذه العناصر الركيزة الأساسية للنشاط التشغيلي اليومي، حيث تمثل النقدية سيولة فورية، في حين تعكس الحسابات المدينة قدرة الشركة على تحصيل مستحقاتها، أما المخزون فيمثل جزءاً مهماً من دورة التشغيل كونه يربط بين الإنتاج والبيع. ومن هنا فإن الإدارة الرشيدة لهذه الأصول تساهم في تقليل المخاطر وتعزيز قدرة الشركة على مواجهة التزاماتها المالية (١٥).

أما الخصوم المتداولة فتتضمن الحسابات الدائنة (الذمم الدائنة)، القروض قصيرة الأجل، الأوراق التجارية المستحقة الدفع، والمصروفات المستحقة وتمثل هذه الالتزامات التزامات آنية ينبغي على الشركة الوفاء بها في فترة قصيرة، مما يجعل إدارتها تتطلب موازنة دقيقة بين استحقاقاتها وتوافر السيولة اللازمة للسداد. إذ أن الإفراط في الاعتماد على الخصوم المتداولة قد يؤدي إلى ضغوط مالية تهدد استقرار الشركة، في حين أن الاستخدام المتوازن لها قد يشكل أداة تمويلية منخفضة التكلفة تدعم السيولة التشغيلية (١٦).

إن التفاعل بين الأصول والخصوم المتداولة يجسد جوهر رأس المال العامل، حيث يعكس الفرق بينهما مستوى السيولة الصافية المتاحة للشركة. ومن هنا فإن متابعة هذه المكونات بشكل دوري وتحليل اتجاهاتها يساعد الإدارة المالية في اتخاذ قرارات أكثر رشداً فيما يتعلق بالتمويل قصير الأجل، إدارة المخزون، وسياسات الائتمان والتحصيل. كذلك أن الاهتمام بتحليل هذه المكونات يعتبر خطوة ضرورية لفهم العلاقة بين رأس المال العامل والأداء المالي للشركات التجارية في بيئة تتسم بالتنافسية والمخاطر السوقية.(١٧)

المطلب الثاني: إدارة رأس المال العامل والسياسات المالية المرتبطة بها

تعد إدارة رأس المال العامل من الوظائف الجوهرية للإدارة المالية في الشركات التجارية، حيث تهدف إلى ضمان التوازن بين الأصول المتداولة والخصوم المتداولة بطريقة تحقق السيولة المطلوبة، وتحد من المخاطر المالية، وتدعم الربحية على المدى القصير والطويل. إذ أن إدارة رأس المال العامل ليست مجرد متابعة محاسبية، بل هي عملية استراتيجية تتطلب تخطيط دقيق لتحقيق الاستخدام الأمثل للموارد قصيرة الأجل، وضمان توافر النقد الكافي للوفاء بالالتزامات المستحقة .

وتتمحور أهمية إدارة رأس المال العامل حول السيولة والربحية في الوقت ذاته؛ إذ أن الإفراط في الاحتفاظ بالنقد أو المخزون يقلل من العائد على الأصول ويحد من القدرة على النمو، بينما الإهمال في إدارة الالتزامات قصيرة الأجل قد يؤدي إلى أزمة سيولة وارتفاع تكاليف التمويل الخارجي ، تطورت السياسات المالية المتعلقة برأس المال العامل لتشمل استراتيجيات متعددة توازن بين المخاطر والعوائد، وتساعد الإدارة في توجيه القرارات المالية التشغيلية بشكل فعال (١٨).

ويمكن تصنيف السياسات المالية لإدارة رأس المال العامل إلى ثلاثة أنواع رئيسة (١٩):

١- السياسة المتحفظة (Conservative Policy): تعتمد على الاحتفاظ بمستويات مرتفعة من الأصول المتداولة لتجنب مخاطر نقص السيولة، لكنها تقلل من العائد على الاستثمار.

٢- السياسة المعتدلة (Moderate Policy): تسعى لتحقيق توازن بين السيولة والربحية عبر إدارة متوازنة للأصول والخصوم المتداولة.

٣- السياسة المغامرة (Aggressive Policy): تعتمد على تقليل الأصول المتداولة إلى الحد الأدنى لزيادة العائد على الأصول، لكنها تزيد من المخاطر المالية المحتملة .

وأن تبني السياسة المالية المناسبة لرأس المال العامل يعتمد على حجم الشركة وطبيعة نشاطها والظروف الاقتصادية المحيطة بها. فالشركات الكبرى قد تعتمد سياسة متحفظة نسبياً لضمان الاستقرار، في حين أن الشركات الصغيرة والمتوسطة غالباً ما تعتمد سياسات معتدلة أو مغامرة لتعظيم العائد على رأس المال المستثمر. ومن هنا يتضح أن الإدارة الفعالة لرأس المال العامل ليست مسألة روتينية، بل هي عنصر حيوي في تحقيق الأداء المالي المستدام وتحسين القدرة التنافسية للشركات التجارية.

الفرع الأول: السياسات التقليدية في إدارة رأس المال العامل (المتحفظة، المعتدلة، المغامرة)

تعد السياسات التقليدية في إدارة رأس المال العامل من الركائز الأساسية التي تساعد الشركات على تحديد مستوى المخاطرة والسيولة المطلوب في عملياتها التشغيلية اليومية وتتمحور هذه السياسات حول اختيار النمط الأمثل لتوازن الأصول والخصوم المتداولة بما يتوافق مع طبيعة نشاط الشركة، وحجمها، والظروف الاقتصادية المحيطة بها، وهي تتراوح بين السياسات المتحفظة، المعتدلة، والمغامرة، كل سياسة لها ميزاتها وعيوبها وتأثيرها المباشر على الأداء المالي (٢٠).

أولاً: السياسة المتحفظة (Conservative Policy)

تعتمد هذه السياسة على الاحتفاظ بمستويات مرتفعة من الأصول المتداولة لتفادي أي نقص في السيولة. فهي تُفضل الحفاظ على النقد، المخزون المرتفع، والحسابات المدينة الأكبر لتقليل المخاطر التشغيلية والمالية ومن ميزات هذه السياسة أنها توفر أماناً من حيث القدرة على الوفاء بالالتزامات قصيرة الأجل، ولكن عيبها الأساسي هو انخفاض معدل العائد على الأصول واستثمار رأس المال، ما قد يقلل من الربحية الإجمالية للشركة (٢١).

ثانياً: السياسة المعتدلة (Moderate Policy)

تسعى السياسة المعتدلة إلى تحقيق توازن بين المخاطرة والعائد من خلال إدارة متوازنة للأصول والخصوم المتداولة. فهي لا تركز على الاحتفاظ بمستويات عالية من النقد أو المخزون، لكنها تحافظ على حد أدنى من السيولة اللازمة لتجنب المخاطر المالية وتتميز هذه السياسة بقدرتها على الجمع بين الأمان المالي وتحقيق عوائد معقولة على رأس المال، ما يجعلها أكثر شيوعاً بين الشركات المتوسطة والكبيرة (٢٢).

ثالثاً: السياسة امغامرة (Aggressive Policy)

تركز هذه السياسة على تقليل الأصول المتداولة إلى أدنى حد ممكن لزيادة العائد على الاستثمار، مع الاستعانة بالخصوم المتداولة قصيرة الأجل لتمويل النشاط وتعتبر هذه السياسة محفوفة بالمخاطر، حيث أنها تعرض الشركة لمشكلات السيولة في حال حدوث أي خلل في التدفقات النقدية أو التأخير في تحصيل الحسابات المدينة ومع ذلك، فهي تزيد من ربحية الشركة في حال إدارة المخاطر بشكل ناجح، وتستخدم غالباً في الشركات التي تتمتع بقدرة عالية على التحصيل والسيطرة على المخاطر السوقية (٢٣). يتضح من ذلك أن اختيار السياسة الملائمة لإدارة رأس المال العامل يعتمد على عدة عوامل مثل طبيعة النشاط، حجم الشركة، درجة التنافسية في السوق، والتقلبات الاقتصادية. فالسياسات المتحفظة غالباً ما تستخدم في القطاعات عالية المخاطر أو التي تحتاج إلى سيولة كبيرة، بينما السياسات المعتدلة والمغامرة تلائم الشركات ذات النشاط الديناميكي والأسواق النامية حيث العائد على الاستثمار يعد محرك أساسي للنجاح المالي(٢٤).

الفرع الثاني: أدوات إدارة رأس المال العامل

تعد أدوات إدارة رأس المال العامل من العناصر الجوهرية التي تساعد الشركات التجارية على ضبط السيولة وتحقيق التوازن بين المخاطر والعوائد وتشمل هذه الأدوات إدارة النقدية، الحسابات المدينة، المخزون، والحسابات الدائنة، إذ يسهم الاستخدام الفعال لكل أداة في تحسين الأداء المالي وتقليل الحاجة إلى التمويل الخارجي(٢٥):

أولاً: إدارة النقدية

تمثل النقدية أهم أصول الشركة المتداولة وأكثرها سيولة، فهي الوسيلة الأساسية لتسديد الالتزامات قصيرة الأجل وتمويل العمليات اليومية. وتتضمن استراتيجيات إدارة النقدية تحديد مستويات السيولة المثلى، توقيت التحصيل والدفع، وتحليل التدفقات النقدية الداخلة والخارجة وتشير الدراسات إلى أن الإدارة الفعالة للنقدية تقلل من مخاطر العجز عن الوفاء بالالتزامات وتتيح استغلال الفرص الاستثمارية عند توافر فائض نقدي .

ثانياً: إدارة الحسابات المدينة

تعنى هذه العملية بضبط عملية التحصيل من العملاء لضمان تدفق نقدي مستمر. وتشمل السياسات المتعلقة بمنح الائتمان، شروط الدفع، متابعة التحصيل، وتقييم المخاطر الائتمانية للعملاء. إن الشركات التي تعتمد أسلوباً منهجياً في إدارة الحسابات المدينة تحقق وفورات مالية وتزيد من سيولتها دون الحاجة للجوء إلى تمويل خارجي.

ثالثاً: إدارة المخزون

يعد المخزون أحد أهم عناصر رأس المال العامل، حيث يرتبط مباشرة بتلبية الطلب وتحقيق استمرارية الإنتاج والبيع. وتركز إدارة المخزون على تحديد الكميات المثلى، سياسة إعادة الطلب، وتقنيات المراقبة مثل أسلوب الجرد الدوري أو المستمر ، أن التخطيط الجيد للمخزون يقلل من تكاليف التخزين ويحد من مخاطر النقص أو الفائض.

رابعاً: إدارة الحسابات الدائنة

تمثل الحسابات الدائنة الالتزامات قصيرة الأجل للشركة تجاه الموردين، وتعد أداة تمويل داخلي منخفض التكلفة إذا ما تم استغلالها بشكل استراتيجي وتتم إدارة هذه الالتزامات من خلال تحديد مواعيد الدفع المناسبة، التفاوض على شروط أفضل، ومراقبة تدفق النقد للخروج من ضغوط السيولة الإدارة الفعالة للحسابات الدائنة تساعد في تحسين التدفقات النقدية دون المساس بالعلاقات مع الموردين. إن التكامل بين هذه الأدوات الأربعة يتيح للشركة التحكم في دورة رأس المال العامل بشكل متوازن، حيث أن أي خلل في إدارة أحد هذه العناصر قد يؤدي إلى مشكلات في السيولة أو زيادة التكاليف التمويلية ، ويعد فهم هذه الأدوات وتطبيق السياسات الملائمة لكل منها من العوامل الأساسية لتعزيز الأداء المالي واستدامة النشاط التجاري(٢٦).

المبحث الثاني

كفاءة إدارة رأس المال العامل وأثرها في الأداء المالي للشركات التجارية

تعد كفاءة إدارة رأس المال العامل من العناصر الحيوية التي تؤثر بشكل مباشر على الأداء المالي للشركات التجارية، إذ تعكس قدرة الإدارة على استغلال الموارد قصيرة الأجل بشكل مثالي لتحقيق التوازن بين السيولة والربحية فالسيولة المفرطة قد تقلل من العائد على الاستثمار، بينما نقصها قد يؤدي إلى تعثر الشركة في الوفاء بالالتزامات قصيرة الأجل، ما يبرز أهمية الكفاءة في إدارة النقد، المخزون، الحسابات المدينة والحسابات الدائنة . وقد أظهرت الدراسات المالية أن الشركات التي تتمتع بكفاءة عالية في إدارة رأس المال العامل قادرة على تحسين معدل دوران الأصول وتقليل الحاجة إلى التمويل الخارجي، مما يؤدي إلى زيادة الربحية وتعزيز القدرة التنافسية في الأسواق. فإدارة دورة رأس المال العامل بفعالية تسهم في تقليل تكاليف التمويل، تحسين التدفقات النقدية، وتعظيم العائد على الأصول والصافي الربحي .

المطلب الأول: العلاقة بين كفاءة إدارة رأس المال العامل والسيولة

تؤثر السيولة في استقرار الأداء المالي للشركات التجارية، إذ تمثل القدرة على الوفاء بالالتزامات قصيرة الأجل دون اللجوء إلى تمويل خارجي أو تأخير المدفوعات وتعتبر كفاءة إدارة رأس المال العامل عامل أساسي في تحقيق هذا الاستقرار، حيث ترتبط مباشرة بمدى قدرة الإدارة على تنسيق الأصول والخصوم المتداولة بطريقة تعزز التدفقات النقدية وتحافظ على التوازن المالي ، وأن الشركات التي تدير رأس المال العامل بكفاءة، من خلال التحكم في مستويات النقدية، المخزون،

الحسابات المدينة والدائنة، تحقق سيولة مرتفعة تقلل من المخاطر التشغيلية والمالية ، تحسين إدارة الحسابات المدينة يؤدي إلى تحصيل الإيرادات بسرعة أكبر، بينما ضبط المخزون يحرر موارد نقدية كان من الممكن حبسها في الفائض، وإدارة الحسابات الدائنة بشكل استراتيجي يسمح بتأجيل المدفوعات دون الإضرار بالعلاقات مع الموردين ، يتبين لنا أن العلاقة بين كفاءة إدارة رأس المال العامل والسيولة ليست مجرد علاقة كمية، بل تشمل البعد النوعي للسيولة أيضًا، إذ تتأثر بمرونة الشركة في التعامل مع الأزمات النقدية والطوارئ التشغيلية

فـ السيولة المتاحة بالشكل الأمثل تمكن الشركة من الاستجابة السريعة للفرص الاستثمارية وتحسين قدرتها التنافسية في الأسواق المحلية والدولية (٢٧).

الفرع الأول: تأثير دورة التحويل النقدي على التدفقات المالية

تعد دورة التحويل النقدي (Cash Conversion Cycle) من الأدوات الرئيسة لتقييم كفاءة إدارة رأس المال العامل، إذ تعكس المدة الزمنية التي تستغرقها الشركة لتحويل استثماراتها في الأصول المتداولة إلى نقد. وتتضمن هذه الدورة ثلاثة عناصر رئيسة (٢٨):

- مدة التحصيل (Accounts Receivable Period).
- مدة التخزين (Inventory Conversion Period).
- مدة الدفع (Accounts Payable Period).

وكلما كانت الدورة أقصر، دل ذلك على كفاءة أعلى في إدارة التدفقات النقدية، والعكس صحيح ، وأن تقليل طول دورة التحويل النقدي يساهم في تحسين التدفقات النقدية الداخلة، ويقلل من الحاجة إلى تمويل خارجي، ويزيد من القدرة على الوفاء بالالتزامات قصيرة الأجل دون اللجوء إلى الاقتراض ، تحسين إدارة الحسابات المدينة من خلال تسريع التحصيل يُسهم في تعزيز السيولة التشغيلية، و إدارة المخزون بشكل أمثل يقلل من الأموال المجمدة في المخزون غير المتحرك وفي إطار الشركات التجارية، تبين أن الشركات التي تركز على تقليص دورة التحويل النقدي تحقق أداء مالي أفضل من خلال تحسين استخدام الموارد النقدية المتاحة، وتقليل تكاليف التمويل، وزيادة الربحية ، وأن الدورة النقدية القصيرة تمنح الإدارة مرونة أكبر للتوسع في الأعمال أو الاستجابة للفرص الطارئة في السوق دون الضغط على السيولة .

الفرع الثاني: دور إدارة رأس المال العامل في تعزيز الملاءة المالية قصيرة الأجل

تعد الملاءة المالية قصيرة الأجل من أهم المقاييس التي تعكس قدرة الشركة على الوفاء بالتزاماتها الطارئة، دون الحاجة إلى اللجوء إلى تمويل خارجي أو تحمل تكاليف إضافية نتيجة التأخر في الدفع وتبرز إدارة رأس المال العامل كعنصر استراتيجي لتحقيق هذه الملاءة، من خلال التخطيط والتنظيم الفعّال للأصول والخصوم المتداولة، بحيث يتم ضمان توافر السيولة اللازمة لتغطية الالتزامات المالية القصيرة الأجل وتحقيق الاستقرار المالي (٢٩).

اولاً : أهمية إدارة رأس المال العامل في تحسين السيولة

إن كفاءة إدارة رأس المال العامل ترتبط بشكل مباشر بقدرة الشركة على تحسين مستويات السيولة التشغيلية، والتي تشمل النقدية، الحسابات المدينة، المخزون، والحسابات الدائنة فإدارة النقدية بشكل جيد تتيح للشركة الاحتفاظ بمستوى نقدي مناسب لتغطية الاحتياجات اليومية، وتجنب المخاطر المتعلقة بالعجز عن السداد ، أما التحكم في الحسابات المدينة فيقلل من فترة التحصيل، ويضمن تدفق الإيرادات بشكل أسرع، مما يعزز السيولة المتاحة، كما أن تحسين إدارة المخزون يحد من الأموال المجمدة في المخزون غير الضروري، ويزيد من قدرة الشركة على الاستجابة لمتطلبات السوق ، وتسهم إدارة الحسابات الدائنة بشكل استراتيجي في تعزيز الملاءة المالية قصيرة الأجل، حيث يسمح تأجيل المدفوعات وفق شروط متفق عليها دون الإضرار بالعلاقات مع الموردين بتحرير النقدية لاستخدامها في أغراض تشغيلية أخرى، ما يحدّ

من ضغوط السيولة ويقلل من الحاجة إلى التمويل الخارجي المكلف (٣٠).

ثانياً: علاقة إدارة رأس المال العامل بمؤشرات السلامة المالية

أن إدارة رأس المال العامل تؤثر بشكل مباشر على مؤشرات السلامة المالية قصيرة الأجل مثل نسبة التداول (Current Ratio) ونسبة السيولة السريعة (Quick Ratio) الشركات التي تدير رأس المال العامل بكفاءة تحقق نسباً مرتفعة لهذه المؤشرات، مما يعكس قدرتها على الوفاء بالالتزامات المستحقة في الوقت المناسب، ويعزز ثقة المستثمرين والدائنين في استقرارها المالي. وأن تقليص دورة التحويل النقدي (Cash Conversion Cycle) يؤدي إلى تحسين التدفقات النقدية وتعزيز الملاءة المالية قصيرة الأجل، حيث تقل الحاجة إلى تمويل قصير الأجل أو الاستدانة لمواجهة أي فجوة نقدية مؤقتة. وبالتالي فإن الإدارة الجيدة لرأس المال العامل تمكن الشركة من إدارة المخاطر التشغيلية والمالية بكفاءة، مما يسهم في تحسين الأداء المالي بشكل عام (٣١).

المطلب الثاني: أثر إدارة رأس المال العامل على ربحية الشركات التجارية

تعد ربحية الشركات التجارية أحد أبرز المؤشرات التي تعكس كفاءتها التشغيلية والمالية، وتظهر مدى قدرة الإدارة على تحقيق عوائد مناسبة على الاستثمارات، ويعتبر رأس المال العامل عنصر أساسي في تحديد هذه الربحية، إذ أن كفاءته في الاستخدام والتحكم في الأصول والخصوم المتداولة تؤثر مباشرة على العائد على الأصول وصافي الربح فالشركة التي تدير نقديتها، المخزون، الحسابات المدينة والدائنة بفعالية تستطيع تقليل التكاليف التشغيلية وزيادة العوائد المالية، مما ينعكس إيجابياً على الربحية ، وأن تحسين إدارة رأس المال العامل يقلل من الأموال المجمدة في المخزون أو الحسابات المدينة غير المحصلة، ويتيح استغلال الموارد المتاحة في فرص استثمارية مربحة، ويحدّ من تكاليف التمويل الخارجي المرتبطة بسد فجوات السيولة. كما أن التوازن بين الأصول والخصوم المتداولة يساعد على تحسين هامش الربح التشغيلي وصافي الربح للشركة، ويزيد من قدرتها على المنافسة في الأسواق المحلية والدولية(٣٢).

الفرع الأول: العلاقة بين إدارة رأس المال العامل والعائد على الأصول وصافي الربح

تظهر الأدبيات المالية أن إدارة رأس المال العامل ليست مجرد نشاط تشغيلي يومي، بل قناة رئيسة تنتقل عبرها الآثار إلى العائد على الأصول (ROA) وصافي الربح فاختصار دورة التحويل النقدي وتقليل الأموال المستثمرة في الذمم والمخزون يحرر أصولًا كانت مجمدة ويخفض تكاليف التمويل، ما يرفع كفاءة استخدام الأصول (ROA) ويعزز الهوامش الربحية. وقد برهنت دراسات مبكرة وحديثة أن كفاءة إدارة رأس المال العامل ترتبط إيجاباً بالقيمة للمساهمين، عبر تحسين ربحية التشغيل وتقليل احتياجات التمويل قصير الأجل وتؤكد المعطيات على مستوى المشروعات الصغيرة والمتوسطة أن المكونات التشغيلية لدورة رأس المال العامل خصوصاً أيام التحصيل وأيام التخزين تميل إلى علاقة عكسية مع الربحية فكلما طال أمد التحصيل أو التخزين تراجعت الربحية نتيجة ارتفاع تكلفة الفرصة البديلة وتكاليف الحمل هذا النمط سجل بوضوح في عينات واسعة من شركات إسبانية صغيرة ومتوسطة، حيث وجد أن تقليص فترات التحصيل والمخزون يعزز مؤشرات الربحية بما فيها ROA وصافي الربح والإفراط في تشديد الائتمان الممنوح للعملاء أو تقليص المخزون إلى مستويات حرجة قد يضرب الإيرادات ويحد من المبيعات، ما يفضي إلى أثر سلبي على صافي الربح وتوثق دراسات حديثة علاقة منحنية (U–مقلوبة) بين الاستثمار في رأس المال العامل والربحية . يوجد مستوى أمثل من الاستثمار يحقق أعلى ربحية، بينما يؤدي تجاوزه صعود أو هبوط إلى تآكل ROA وصافي الربح و تظهر الأدلة أن قيود التمويل تزحزح هذا المستوى الأمثل وتزيد حساسية الربحية لسوء إدارة رأس المال العامل ، وتتباين قوة الأثر باختلاف دورة الأعمال؛ فخلال فترات الانكماش، تزداد أهمية ضبط رأس المال العامل في حماية الهوامش وتقليص الحاجة إلى تمويل مرتفع التكلفة، وتبدو الاستجابات الربحية لتحسينات إدارة الذمم والمخزون أقوى مما هي عليه في فترات الرواج.

يعكس ذلك ارتفاع علاوة المخاطر التمويلية في أوقات الشح الائتماني، بما يجعل كل يوم يُختصر في الدورة النقدية مترجم سريع إلى تحسن في صافي الربح وROA (٣٣).

وتتضح آليات الانتقال إلى الربحية عبر سياسات الدفع للموردين، حيث تتيح إدارة الحسابات الدائنة بذكاء تمويلًا تلقائيًا منخفض الكلفة دون الإضرار بالعلاقات، فضلاً عن أن تحسين سيولة التشغيل عبر تقليص فجوة التوقيت بين التحصيل والدفع ينعكس على الأداء التشغيلي وقيمة الشركة ، و تظهر المقارنات الدولية (اليابان وتايوان) أن الانضباط في سياسات السيولة يرتبط بأداء تشغيلي أعلى وقيمة سوقية أكبر، بما يمر عبر قنوات تحسين الربح الصافي وكفاءة استخدام الأصول ، ويتضح لنا من ذلك أن تحسين الربحية لا يتحقق بتقليص رأس المال العامل بلا ضوابط، بل عبر توليفة أمثل من سياسة ائتمان عملاء واقعية، ومستويات مخزون داعمة للمبيعات دون هدر، وشروط دفع متوازنة مع الموردين تحقيق هذه التوليفة التي تختلف باختلاف القطاع ودورة الأعمال وقيود التمويل يرفع صافي الربح ويزيد ROA من خلال تخفيض الاستثمار غير الضروري في الأصول المتداولة وتقليص كلفة التمويل المصاحبة.

الفرع الثاني: التحديات والمعوقات التي تواجه كفاءة إدارة رأس المال العامل في الشركات التجارية

تعد إدارة رأس المال العامل من أكثر الجوانب المالية تعقيداً في الشركات التجارية، حيث تتأثر بمتغيرات داخلية تتعلق بطبيعة العمليات التشغيلية والهيكل التمويلي، وأخرى خارجية ترتبط بظروف السوق والبيئة الاقتصادية ومن أبرز التحديات التي تواجه الشركات في هذا المجال ما يتعلق بضعف السيولة، ارتفاع تكاليف التمويل، تقلبات السوق، وضعف أنظمة التحصيل والدفع، إضافة إلى محدودية الخبرة الإدارية في وضع سياسات فعالة لإدارة الأصول والخصوم المتداولة (٣٤):

أولاً : هذه التحديات يتمثل في تقلبات السيولة الناتجة عن اختلاف مواعيد التدفقات النقدية الداخلة والخارجة : إذ تواجه الشركات التجارية صعوبات في التوفيق بين مواعيد التحصيل من العملاء ومواعيد سداد الموردين، وهو ما قد يؤدي إلى فجوات تمويلية تضعف القدرة على الوفاء بالالتزامات قصيرة الأجل(٣٥).

ثانياً : تواجه الشركات التجارية مخاطر التمويل قصير الأجل : حيث أن الاعتماد المفرط على القروض المصرفية قصيرة الأجل لتغطية احتياجات رأس المال العامل يزيد من تكاليف الفوائد ويعرض الشركات لمخاطر عدم القدرة على إعادة التمويل عند ارتفاع أسعار الفائدة أو تشدد السياسات الائتمانية وقد أكد الباحثون أن هذا التحدي يعتبر من أبرز معوقات تحقيق التوازن بين السيولة والربحية .

ثالثاً : يتمثل في إدارة المخزون : إذ أن الاحتفاظ بمستويات عالية من المخزون يؤدي إلى تجميد أموال كبيرة ويزيد من تكاليف التخزين والتأمين، بينما يؤدي انخفاض المخزون إلى فقدان فرص بيعية وانقطاع في دورة الإنتاج والتوزيع. ومن هنا، فإن إيجاد المستوى الأمثل للمخزون يُمثل تحدياً دائماً للشركات التجارية التي تعمل في أسواق ذات تقلبات في الطلب .

رابعاً : يشكل ضعف الأنظمة المالية والإدارية في بعض الشركات التجارية : خاصة في الدول النامية، عائق أمام كفاءة إدارة رأس المال العامل فـ غياب نظم معلومات مالية دقيقة وتكنولوجيا مالية حديثة يؤدي إلى ضعف القدرة على التنبؤ بالتدفقات النقدية، وعدم القدرة على اتخاذ قرارات مالية مبنية على بيانات آنية .

يتضح مما سبق أن الشركات التجارية تواجه تحديات خارجية مثل التقلبات الاقتصادية والتجارية، كالتغيرات المفاجئة في أسعار الصرف، التضخم، والمنافسة الشديدة في الأسواق، وهي عوامل تزيد من صعوبة الحفاظ على دورة رأس مال عامل مستقرة ومتوازنة. يتضح لنا من ذلك أن إدارة رأس المال العامل تواجه طيفاً واسعاً من التحديات والمعوقات التي تتراوح بين داخلية تتعلق بالسياسات التشغيلية والتمويلية، وخارجية ترتبط بظروف السوق والاقتصاد الكلي، الأمر الذي يتطلب من الشركات التجارية تطوير استراتيجيات متكاملة للتعامل معها وتحقيق كفاءة أكبر في إدارة مواردها المالية.

الخاتمة:

بعد استعراض الإطار النظري والتطبيقي لموضوع كفاءة إدارة رأس المال العامل وأثرها في الأداء المالي للشركات التجارية، يتضح أن رأس المال العامل يمثل عصب السيولة والربحية في أي منشأة تجارية. إذ يعكس مدى قدرة الإدارة المالية على التوفيق بين الأصول والخصوم المتداولة، بما يحقق التوازن المطلوب بين السيولة قصيرة الأجل والربحية طويلة الأجل. وقد أكدت الأدبيات أن فعالية إدارة رأس المال العامل ترتبط بشكل مباشر بقدرة الشركات على مواجهة الالتزامات المالية، وتحقيق مستويات ربحية مستقرة، وتعزيز القيمة السوقية للمساهمين .

اولاً : الاستنتاجات

١ – يتبين أن هناك علاقة وثيقة بين كفاءة إدارة رأس المال العامل وبين مؤشرات الأداء المالي، مثل السيولة، معدل العائد على الأصول، وصافي الربح، حيث أن أي خلل في إدارة مكوناته ينعكس سلباً على الاستقرار المالي للشركات التجارية .

٢ – تعد دورة التحويل النقدي من أبرز المؤشرات التي تقيس كفاءة إدارة رأس المال العامل، وكلما انخفضت مدة هذه الدورة ارتفعت السيولة المتاحة للشركة وزادت قدرتها على تمويل عملياتها التشغيلية دون الحاجة إلى قروض إضافية .

٣ – تواجه الشركات التجارية صعوبات متعددة في إدارة رأس المال العامل، مثل ارتفاع تكاليف التمويل قصير الأجل، ضعف أنظمة التحصيل والدفع، وإدارة المخزون، إضافة إلى عوامل خارجية كالتقلبات الاقتصادية والتجارية، وهي تحديات تؤثر مباشرة في استقرار الأداء المالي.

٤ – أثبتت الدراسات أن السياسات المتحفظة في إدارة رأس المال العامل قد تعزز من مستوى السيولة، لكنها تحد من فرص الربحية، بينما تميل السياسات المغامرة إلى تعظيم الأرباح على حساب زيادة المخاطر المالية.

التوصيات

١ – تبني استراتيجيات مرنة لإدارة رأس المال العامل تراعي طبيعة نشاط الشركات التجارية، بما يحقق التوازن بين متطلبات السيولة وتوليد الأرباح.

٢ – تطوير أنظمة معلومات مالية حديثة تدعم دقة التنبؤ بالتدفقات النقدية، مما يساعد على تحسين قرارات التمويل والاستثمار قصير الأجل.

٣ – تقليل الاعتماد على القروض قصيرة الأجل عبر البحث عن مصادر تمويل بديلة أكثر استدامة، كإعادة استثمار الأرباح أو استخدام التسهيلات التجارية طويلة الأجل.

٤ – الاعتماد على تقنيات إدارة المخزون الحديثة مثل أسلوب الإنتاج في الوقت المناسب (Just-In-Time) لتقليل تكاليف التخزين وتحسين دورة رأس المال العامل.

٥ – تعزيز كفاءة التحصيل والدفع من خلال وضع سياسات ائتمانية واضحة مع العملاء، وإقامة شراكات استراتيجية مع الموردين لضمان مرونة الدفع.

المقترحات:

١ – دراسة أثر إدارة رأس المال العامل في قطاعات تجارية مختلفة (البيع بالتجزئة، الجملة، التوزيع)، لمعرفة الفروق القطاعية في التأثير على الأداء المالي.

٢ – دراسة أثر التضخم وأسعار الفائدة على سياسات إدارة رأس المال العامل في الأسواق الناشئة، خصوصاً في البلدان العربية.

٣ – استخدام النماذج الإحصائية المتقدمة مثل نماذج الانحدار الديناميكي أو بيانات البانل (Panel Data) لفحص العلاقة السببية بين إدارة رأس المال العامل ومؤشرات الأداء المالي بدقة أعلى.

٤ – المقارنة بين الشركات المحلية والدولية: دراسة كيفية تعامل الشركات التجارية متعددة الجنسيات مع رأس المال العامل مقارنة بالشركات المحلية، واستخلاص الدروس من الممارسات العالمية.

الهوامش:

(١) عدنان سالم قاسم، أثر كفاءة إدارة رأس المال العامل على ربحية الشركات دراسة تحليلية لعينة من الشركات المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية للفترة ٢٠٠٩-٢٠١٨. مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، ١٧(٥٣، الجزء ١)،٢٠٢١ .

(٢) مجاهد محمد ذياب النابوت ، استراتيجيات إدارة رأس المال العامل على ربحية شركات الاغذية الارنية المدرجة في بورصة عمان ، رسالة ماجستير ، جامعة الشرق الاوسط –كلية الاعمال ، ٢٠١٩.

(٣) منى عبد الله سعد الرويشد وهدى أحمد إبراهيم عبد النبي ، أثر رأس المال العامل على ربحية شركات قطاع إنتاج الأغذية دراسة تطبيقية على شركة المراعي ، : دراسة تطبيقية على شركة المراعي (٢٠١٢-٢٠٢٢). المجلة الدولية للتنمية، ١٣(١)،٢٠٢٤.

(٤) Deloof, Marc Does Working Capital Management Affect Profitability of Bel-gian Firms? Journal of Business Finance & Accounting, 30(3–4),2003..

(٥) García-Teruel, José Pedro, & Martínez-Solano, Pedro, Effects of Working Capital Management on SME Profitability. International Journal of Managerial Finance, ٣(٢),٢٠١٧..

(٦) Jani Enqvist, Michael Graham, & Nikkinen, Jussi The Impact of Working Capital Management on Firm Profitability in Different Business Cycles: Evidence from Finland. Research in International Business and Finance, ٣٢,٢٠١٤..

(٧) عبد الله طويرش ، رأس المال العامل واثره على الربحية : دراسة تطبيقية على الشركات الصناعية الاردنية ، المجلة العربية للدارة ، ٣٨ (٢) ، ٢٠.

(٨) Gitman, Lawrence J, Principles of Managerial Finance ١٢th Edition. Addison-Wesley, Boston, USA, ٢٠٠٩, p٧٢.

(٩) Stephen Ross, Westerfield, Randolph W., & Jordan, Bradford D. Corporate Finance: Core Principles and Applications ٣rd Edition. McGraw-Hill/Irwin, New York, USA,٢٠١٠, p ٤٨.

(١٠) Eugene Brigham, & Ehrhardt, Michael C. Financial Management: Theory & Practice ,١٤th Edition. South-Western Cengage Learning, Mason, USA ,٢٠١٣ ,p١٢٧.

(١١) Lawrence Gitman ,Principles of Managerial Finance ١٢th Edition. Addison-Wesley, Boston, USA, ٢٠٠٩, p ٧٢.

(١٢) https://www-wallstreetprepcom.translate.goog/knowledge/workingcapital/?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=tc

(١٣) ثمير شاكر عبد الحسين الشباني ، التحليل المتزامن لرأس المال العامل وانعكاسه على الاداء المالي (دراسة تحليلية للمصارف التجارية المدرجة في سوق العراق للاوراق المالية) ، رسالة ماجستير منشورة ، جامعة كربلاء –كلية الادارة والاقتصاد ، ٢٠١٥، ص٨٧.

(١٤) James Van Horne, & Wachowicz John ,Fundamentals of Financial Management. ١٣th Edition. Prentice Hall, New Jersey, USA, ٢٠٠٨, p١٨٢.

(١٥) ولاء شعبان علي ، تأثير إدارة رأس المال العامل على ارباح الشركات ، بحث تخرج ، جامعة بابل –كلية الادارة والاقتصاد ، ٢٠٢٣،ص٩-١٠.

(١٦) فيصل الشواورة ، مبادئ الإدارة المالية إطار نظري ومحتوى علمي ، الطبعة الاولى ، الناشر : دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،

عمان –الاردن ، ٢٠١٣،ص٢٣.

(١٧) يوسف حسن القريوتي، الإدارة المالية: مدخل نظري وتطبيقي، الطبعة الثالثة، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ٢٠١٠ ، ص ٢١٣.

(١٨) Michel Deloof, Does Working Capital Management Affect Profitability of Belgian Firms? Journal of Business Finance & Accounting, Vol. ٣٠, No. ٣, ٢٠٠٣, ٤, p٥٨٧.

(١٩) ليث علي مطر ، إدارة رأس المال العامل ، جامعة المستقبل –كلية العلوم الادارية ، ٢٠٢٥، ص٢–٣.

(٢٠) Ashok Sharma, & Sandeep Kumar, Effect of Working Capital Management on Firm Profitability: Empirical Evidence from India. Global Business Review, Vol. ١٢, No. ١, ٢٠١١, p١٧٣.

(٢١) ليث علي مطر ، المرجع السابق ، ص٣ .

(٢٢) ليث علي مطر ، المرجع السابق ، ص ٤ .

(٢٣) محمد عبد العزيز حسنين ، الإدارة المالية ورأس المال العامل: دراسة تطبيقية على الشركات الصناعية في مصر. الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ٢٠١٥ ، ص ١٤٥.

(٢٤) ليث علي مطر ، المرجع السابق ، ص ٤ .

(٢٥) مروة عبد الستار جبار السعدي ، إدارة مالية – إدارة رأس المال العامل وإدارة النقدية والأوراق المالية ، كلية الصفوة الجامعة – قسم إدارة الاعمال ، د.ت ، ص٣ .

(٢٦) أحمد محمد الأمين، التحليل المالي وإدارة رأس المال العامل ، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ٢٠١٨ ، ص ٢١٠.

(٢٧) شذى احمد العرموطي ، أثر كفاءة إدارة رأس المال العامل على الاداء المالي للشركات الصناعية المدرجة في بورصة عمان (دراسة اختبارية) ، رسالة ماجستير منشورة ، جامعة الشرق الاوسط –كلية الاعمال ، الاردن ، ٢٠١٧ ، ص٢٤.

(٢٨) شذى احمد العرموطي ، المرجع السابق ، ص٢٥ .

(٢٩) ضياء رحيم محسن ، تأثير إدارة رأس المال العامل في تحقيق السلامة المالية (دراسة تحليلية على عينة من المصارف التجارية الخاصة) للمدة ٢٠١٥–٢٠١٩ ، رسالة ماجستير منشورة ، جامعة البصرة –كلية الإدارة والاقتصاد ، ٢٠٢١ ، ص٢٦.

(٣٠) ضياء رحيم محسن ، المرجع السابق ، ص٤٣ .

(٣١) ضياء رحيم محسن ، المرجع السابق ، ص٥٤ .

(٣٢) عبد الله محمد الزهراني ، إدارة رأس المال العامل وأثرها على السيولة والربحية: دراسة تطبيقية على الشركات الصناعية السعودية. الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، الرياض، المملكة العربية السعودية،٢٠١٦ ، ص ٩٨.

(٣٣) منى عبد الله سعر الرويشد ، هدى احمد ابراهيم عبد النبي ، المرجع السابق ، ص٦٠ .

(٣٤) سناء مسودة ، نزار خشان ، أثر إدارة رأس المال العامل على ربحية الشركات الصناعية المساهمة العامة الاردنية ، مجلة جامعة الخليل للبحوث – العلوم الانسانية ، المجلد (٢) ، العدد(١١) ، ٢٠٢٠ ، ص٥–٧.

(٣٥) Michael Peel, & Nicholas Wilson, Working Capital and Financial Management Practices in the Small Firm Sector. International Small Business Journal, Vol. 14, No. 2,1996, p68.

الاقتباس القرآني في شعر الفرزدق

م. م. أحمد أسامة علاء الدين
الجامعة العراقية/ كلية التربية

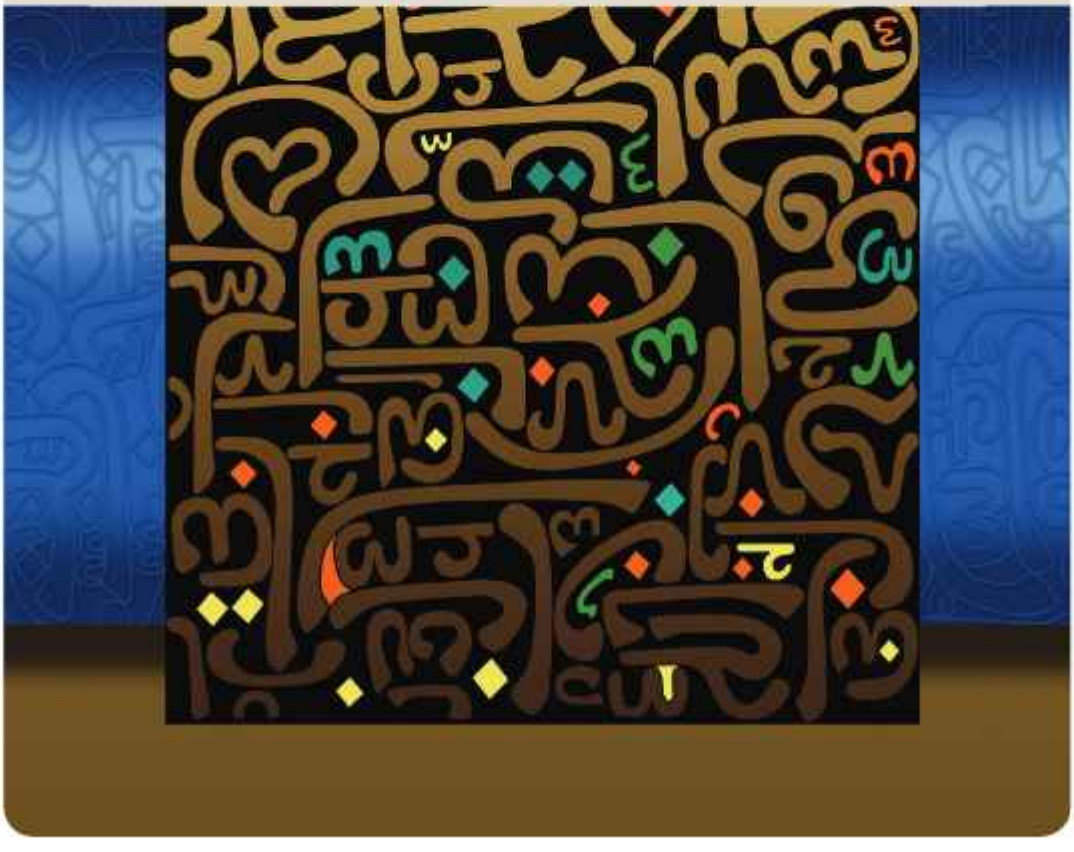

المستخلص:
تأثر العرب عامتهم وأدباؤهم على نحوٍ خاص بالقرآن الكريم –كتاب الله الذي أعجز فصحاءهم وبلغاءهم– فراحوا يحاكون أسلوبه ويقتبسون منه تيمنا وتبركا وإعجابا بهذا الكتاب البديع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وممن تأثر بهذا الكتاب الكريم شاعرنا الفرزدق الذي اقتبس في أشعاره ألفاظًا وتراكيبًا قرآنيةً فأحسن الاقتباس وأجاده، ولعل حفظه لكتاب الله تعالى –بحسب ما ذكرته الروايات– هو ما أعانه على ذلك.
الكلمات المفتاحية: القرآن، الفرزدق، الاقتباس القرآني، الاقتباس النصّي، الاقتباس الإشاري.

Abstract:
The Arabs in general and their writers were particularly influenced by the Holy Qur›an –the Book of God, which incapacitated their eloquent and articulate people – so they began to imitate its method and quote from it in honor, blessing, and admiration of this awesome book to which falsehood does not come from before it or behind it. Among those who were influenced by this noble book was our poet Al-Farazdaq, who quoted Quranic words and structures in his poems, and he quoted them well and mastered them. Perhaps his memorization of the Book of God Almighty –according to what the narrations mentioned – is what helped him in that.
Keywords: The Qur›an, Al-Farazdaq, Qur›anic quotation, textual quotation, indicative quotation.

المقدمة:

الاقتباس (اصطلاحًا):

عرَّف التهانوي (الاقتباس) تعريفًا جامعًا معتمدًا على ما ذكره القزويني(ت٧٣٩هـ)(١) في تلخيصه على المفتاح،(٢) ملخصًا آراء البلاغيين السابقين له، بأنّه: «أن يضمن الكلام نثراكان أو نظما شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه، أي على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه من القرآن أو الحديث وهذا احتراز عمّا يقال في أثناء الكلام قال الله تعالى كذا أو قال النبي (ﷺ) كذا، وفي الحديث كذا. ونحو ذلك. وهو ضربان: أحدهما ما لم ينقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي...والثاني ما نقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي، ولا بأس في اللفظ المقتبس أن يقع تغيير يسير للوزن أوغيره كالتقفية كقول البعض(٣):

قد كان ما خفت أن يكونـا إنا إلى الله راجعونـــا

وفي القرآن:(إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ) (٤).(٥)

أنواع الاقتباس:

يتضح من التعريف السابق أنّ (الاقتباس) بحسب تلخيص القزويني (ت٧٣٩هـ) نوعان:

١. (ما نقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي)، كقول ابن الرومي (٦):

لئن أخطأتُ في مدحك ما أخطأتَ في منعي
لقد أنزلـــــتُ حاجاتي بواد غيـــر ذي زرع

أراد بقوله: (بوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ): مكانًا لا خير فيه ولا نفع، وأريد في القرآن بذلك: (مكّة).(٧)

٢. (ما لم ينقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي)، كقول الشاعر(٨):

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جرم فصبر جميل
وإن تبدّلـــــت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيـــــل

أراد بقوله: (فصبر جميل)، معنى (الصبر)،(٩)مصداقًا لقوله تعالى: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ. (١٠)

وقبل الانتقال إلى الشاعر الفرزدق وبيان أنواع الاقتباس القرآني في شعره، لابد من بيان أنواع الاقتباس القرآني التي ذكرتها البحوث والمؤلفات الأخرى، إذ قسم أحد الباحثين الاقتباس القرآني، على ثلاثة أنواع، هي (١١):

١ . الاقتباس اللفظي، ويريد به اقتباس اللفظ المفرد من القرآن الكريم بمعناه القرآني.

٢ . الاقتباس النصي، ويريد به اقتباس نص مركب من أكثر من كلمة بمعناه القرآني.

٣ . الاقتباس الإشاري، ويريد به تضمين النص الشعري آية قرآنية من غير الالتزام بلفظها أو تركيبها.

وقسمها باحث آخر على نوعين، هما (١٢):

١ . الاقتباس النصي: وفيه يلتزم الشاعر بلفظ النص القرآني وتركيبه.

٢ . الاقتباس الاشاري: وهو أنْ يأخذ الشاعر من القرآن الكريم ما يشير به إلى آية أو آيات منه من غير الالتزام بلفظها وتركيبها.

وهذه التقسيمات التي مرَّ ذكرها، وجدتُ مشابهاتٍ لها، قد اعتمدها باحثون آخرون بحسب ما اقتضته طبيعة بحوثهم، مثل: (بحث: الاقتباس القرآني النصي والاشاري في شعر حازم رشك التميمي دراسة تحليلية– أ.د علي حسين جلود ودعاء عجمي بشيت).(١٣) و(بحث: الاقتباس القرآني في شعر السيد الحميري دراسة دلالية– م.م نشأت جعفر عبد الحسن).(١٤) و(بحث: الاقتباس القرآني في شعر محمد مهدي الجواهري– م.م جواد عودة سبهان).(١٥)

والتقسيم الذي سأعتمده في بيان الاقتباس القرآني في شعر الفرزدق، هو: تقسيم الاقتباس القرآني على نوعين (الاقتباس النصي، والاقتباس الإشاري)، كونه يتضمن جميع أشكال الاقتباس الممكنة للألفاظ والتراكيب سواء أكانت بمعناها أو على غير معناها، وسواء أكانت بنصها أو بتصرفٍ بنصيّتها.

سبب التسمية:

علل بعضهم تسمية هذا الفن بالاقتباس تعليلًا لطيفًا فقال: «سمي الاتيان بالقرآن أو الحديث على الوجه المذكور اقتباسًا أخذًا من اقتباس نور المصباح من نور القَبَس، وهو الشهاب؛ لأنّ القرآن والحديث أصل الأنوار العلمية».(١٦)

الاقتباس القرآني في شعر الفرزدق:

الغاية من هذا البحث بيان الأثر الذي تركه القرآن الكريم في شعر الفرزدق، فراح يحاكي أسلوب القرآن الكريم ويقتبس منه الألفاظ والتراكيب بمدلولها القرآني، فتناثرت هذه الألفاظ والتراكيب المقتبسة في أبياته الشعرية، والذي أعانه على ذلك حفظه للكتاب الكريم بحسب ما ذكرته الروايات. (١٧)

دراسات مشابهة:

وجدتُ دراساتٍ أخرى مشابهةٍ لموضوع بحثي هذا، هي:

١ . بحث: (الاقتباس القرآني النصي والاشاري في شعر حازم رشك التميمي دراسة تحليلية) – أ.د علي حسين جلود ودعاء عجمي بشيت.(١٨)

٢ . بحث: (الاقتباس القرآني في شعر السيد الحميري دراسة دلالية)– م.م نشأت جعفر عبد الحسن.(١٩)

٣ . بحث: (الاقتباس القرآني في شعر محمد مهدي الجواهري)– م.م جواد عودة سبهان.(٢٠)

وهذه الدراسات كما يتضح من عنواناتها لا تتصل بموضوع بحثي هذا ولكنها تتشارك معه في البحث عن الاقتباس القرآني في أشعار الشعراء العرب على اختلاف أزمانهم ومشاربهم.

التمهيد:

أولا: حياة الفرزدق (نحو ٢٠هـ – ١١٠هـ):

همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس. الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة.(٢١) كان أبوه غالبٌ من جِلّة قومه ومن سَراتهم وكنيته أبو الأخطل، ولم يكن بالبادية أحسَنَ ديناً من جدّه صعصعة، ولم يهاجر، وهو الذي أحيا الوئيدةَ، وبه افتخر الفرزدق في قوله:

وجدي الذي مَنَعَ الوئيدات فأحيا الوئيدَ ولم يُوأدِ

قيل: إنه أحيا ألفَ مَوءودةٍ، وحمل على ألف فرس. وأم الفرزدق ليلَى بنت حابس أخت الأقرع بن حابسٍ، وله مناقب مشهورة.(٢٢)

ولقب بالفرزدق؛ تشبيها لوجهه بالخبزة، وهي الفرزدقة، وقيل لغلظه وقصره. وقيل: إنما لقب الفرزدق بدهقان الحيرة ؛ لأنه كان يشبهه في تيهه و أبهته , وكان الدهقان يسمى بالفرزدق.(٢٣)

كان الفرزدق عظيم الأثر في اللغة، وقد قيل: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس.(٢٤)

كان شريفا في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه وكذلك جده. وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر.(٢٥)

ثانيا: شعره:

يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته، وجزالة لفظه، وكثرة غريبه ومداخلة بعض ألفاظه في بعض، ولذلك يعجب به أهل اللغة والنحو وكان يقال: (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة). (٢٦) ويعدُّ الفرزدق من أفخر شعراء العرب، وأشدهم ولوعًا بتعداد مآثر آبائه وأجداده.(٢٧)على شاكلة قوله(٢٨):

وكنا إذا الجبار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وقوله(٢٩):

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإنْ نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وقوله(٣٠):

إن الذي سمك السماء مجاشعا بنى لنا بيتا دعائمه اعز وأطول
حلل الملوك لباسنا في أهلنـــا والسابغات إلى الـــوغى نتسربل
أحلامنا تزن الجبال رزانـــــة وتخالنا جنا إذا ما نجهـــــل
فادفـــع بكفك إن أردت بناءنا ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

ثالثا: وفاته:

أسن الفرزدق حتى قارب المائة، فأصابته (الدُّبيلة).(٣١)وهو بالبادية فقدم إلى البصرة وأتى برجل متطبب من بني قيس....ومات في مرضه ذلك سنة عشر ومائة. ومات جرير بعده بستة أشهر، ومات في هذه السنة الحسن البصري وابن سيرين؛ فقالت امرأة من أهل البصرة: كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه في سنة؟ ولما نعي إلى جرير بكى ثم أنشأ يقول:(٣٢)

فُجِعْنا بخَمّالِ الديّات ابن غالبٍ وحامي تميمٍ عرضَها والمُراجِم
بكيناك حِدْثانَ الفِراقِ وإنّمـــا بكيناك, إذ نابَتْ أمور العظائم
فلا حملت بعد ابن ليلى مَهِيرةٌ ولا شُدَّ أنساعُ المَطِيّ الرَّواسِم

المبحث الأول:

الاقتباس النّصيّ في شعر الفرزدق

سأتناول في هذا المبحث ما اقتبسه الفرزدق بنَصه من الألفاظ القرآنية من غير تغيير؛ لذلك سميته بالاقتباس النصي؛ إذ إنّ الألفاظ اقتبست بنصّها –لفظًا ومعنًى– وفقًا لما ورد في القرآن الكريم.

ويراد بالألفاظ القرآنية: الألفاظ التي خلع عليها الإسلام معانٍ جديدة تختلف عن المعاني التي استُخدِمَتْ لأجلها في العصر الجاهلي.(٣٣) ولا عجب أن يكثر الفرزدق من اقتباس الألفاظ القرآنية في شعره؛ فالقرآن الكريم كتاب المسلمين وهو مصدر التشريع في حياتهم الخاصة والعامة فالقرآن الكريم لم يهمل صغيرة ولا كبيرة تنفع الخلق إلا وتكلم بها. ومن الأمثلة على الألفاظ القرآنية التي اقتبسها الفرزدق في شعره، الألفاظ الآتية:

-لفظة (المؤمن):

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): العرب إنَّما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق. ثُمَّ زادت الشريعة شرائطَ وأوصافاً بِهَا سُمِيَ المؤمن بالإطلاق مؤمناً.(٣٤) قال تعالى: إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ .(٣٥) وكذلك ورد هذا اللفظ بهذا المعنى في مديح الفرزدق لسليمان بن عبد الملك:(٣٦)

إلى المؤمن الفكَّاكِ كُلَّ مُقَيَّدٍ يَدَاهُ ومُلْقِي الثِّقْلِ عَن كلِّ غارِمِ

وورد أيضا في قول الفرزدق: (٣٧)

أَلَمْ يَكُنْ مؤمنٌ فيهِم فَيُنذِرَهُم عذابَ قَوْمٍ أَتَوا للهِ عِصْيانَـــا

– لفظة (الإسلام):

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): الإسلام، وهو الانقياد؛ لأنَّه يَسْلم من الإباء والامتناع.(٣٨) وهو عند الفقهاء: تصديق سيدنا محمد (ﷺ) في جميع ما جاء عن الله تعالى.(٣٩) قال تعالى: إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ (٤٠).وقد ورد هذا اللفظ بكثرة في شعر الفرزدق، قال الفرزدق مادحا هلال بن أحوز المازني: (٤١)

يُقِيمُ عَصا الإسلامِ مِنَّا ابنُ أَحْوَزٍ إذا ما عَصا الإسلامِ لانَتْ كُعُوبُها

قال وهو محبوس يمدح خالد بن عبد الله القسري: (٤٢)

فَزِدْ خالِدًا مِثْلَ الذي في يَمِينِهِ تَجِدْهُ عن الإسلامِ من خَيْرِ ذائِدِ

قال يمدح الوليد بن يزيد في قصيدته (خير البرية كلها) : (٤٣)

طُبِعْتَ على الإسلامِ والحَزْمِ والنَّدَى ألا إنَّما تُبْدِي الأمورُ الطَّبائِـــعُ

– لفظة (رسول الله):

الرَّسول معناه في اللغة: الذي يُتابع أخبار الذي بعثه أخذًا من قولهم جاءت الإبل رَسَلاً أي متتابعة.(٤٤) وجاء في تعريفات الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ), الرسول: إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام.(٤٥) وقد ذكر القران الكثير منهم و خاتمهم نبينا محمد(ﷺ). قال تعالى: وَلَٰكِن رَّسُولَ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ .(٤٦) وقد ورد لفظ الرسول في شعر الفرزدق بهذا المعنى القرآني, قال (٤٧):

و هُمْ لرسولِ اللهِ أَوْفَى مُجِيرُهُم، و عَمُّوا بِفَضْلٍ يومَ بُسْرٍ مُجَلِّلِ

وقال يهجو جريرا (٤٨)و يعرض بالبعيث(٤٩):

وعندَ رسولِ اللهِ قامَ ابنُ حابِسٍ بِخُطَّةِ سَوْآرٍ إلى المجدِ حـــازِمِ (٥٠)

وقال (٥١):

وعندَ رسولِ اللهِ إذْ شَدَّ قَبْضَهُ ومُلِّيءَ من أسرى تميمٍ أداهِمُهْ

– لفظة (النبي):

استخدم لفظ النبي في العصر الجاهلي للدلالة على ما ارتفع من الأرض وكذلك على الطريق، النَّبوةُ والنَّباوَةُ والنبيُّ: ما ارْتَفَع من الأَرض. وقال الكسائي: «النَّبِيُّ» الطَّرِيقُ.(٥٢) أما القران الكريم فقد استخدمه بمعنى آخر فقد استخدمه للدلالة على الأعلام التي يهتدى بها, وهم رسل الله إلى خلقه. النبيُّ: العَلَم من أَعْلام الأَرض التي يُهتَدَى بها. و»الأَنْبياء»:

طُرُق الهُدَى.(٥٣) قال تعالى: ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ (٥٤). وقد ورد هذا اللفظ في شعر الفرزدق بهذا المعنى القرآني، قال: (٥٥)

و مِنَّا نَبِيُّ اللهِ يَتْلُو كِتَابَـــــــهُ به دُوِّخَتْ أوثانُها و يَهُودُهَـــــا

وقال يرثي وكيع بن أبي سود الغداني: (٥٦)

فإنَّ الذي نادَى وَكِيعًا فَنَالَـــهُ تَنَاوَلَ صِدِّيقَ النَّبِيِّ أبا بَكْـــــرِ

– لفظة (القيامة):

جاء في تعريفات الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، القيامة: وهو يومٌ يبعث الله تعالى الموتى من القبور والأجداث فيجمعهم ويحشرهم للفصل والحساب والجزاء.(٥٧) قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ . (٥٨) وقد ورد هذا اللفظ في شعر الفرزدق بهذا المعنى القرآني، قال: (٥٩)

إنَّ القيامةَ قد دَنَتْ أشْراطُهَا حتى أُمَيَّةُ عن فَزَارَةَ تَنْـــــــزَعُ

– لفظة (الرحمن):

من أسماء الله الحسنى، قال أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢هـ): فأما الرحمن فهو الله عزّ وجلّ لا يشركه فيه مخلوق.(٦٠) من ذلك قوله عزّ وجلّ: قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ .(٦١) قال الفرزدق: (٦٢)

بمَنْ شَفَى الرحمنُ صَدْرِي، وقد جَلَا عَشَا بَصَرِي مِنْهُنَّ ضَوْءُ ظَـــلَامِ

– لفظة (الثقلان):

يراد بهما الجن والإنس، قيل لهما الثَّقلان؛ لأنهما كالثقل للأرض وعليها.(٦٣) قال تعالى: سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٢ (٦٤). قال الفرزدق: (٦٥)

و إنَّا لَتَرْعَى الوَحْشُ آمِنَةً بِنَا و يَرْهَبُنَا أنْ تَغْضَبَ الثَّقَـلانِ

– لفظة (الروح الأمين):

(الروح الأمين)، هو: جبريل (عليه السلام)، قال تعالى: نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ .(٦٦) وقد ورد في شعر الفرزدق، قال: (٦٧)

ولَوْ أُرْسِلَ الرُّوحُ الأمين إلى أمرِيءٍ سوَى الأنبياءِ المُصْطفينَ الأكارِمِ

– لفظة (خليفة الله):

الخليفة: لغةً من يخلف غيره ويقوم مقامه، وشرعاً هو الإمامُ الذي ليس فوقه إمام.(٦٨) وقد شرف الله تعالى آدم (عليه السلام) فجعله الخليفة على أرضه، قال تعالى:(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ).(٦٩) قال الفرزدق: (٧٠)

لِيَجْعَلَهُ اللهُ الخَلِيفَةَ والذي لَهُ المِنْبَرُ الأعلى على كُلّ ناطِقِ

المبحث الثاني:

الاقتباس الإشاري في شعر الفرزدق:

سأتناول في هذا المبحث ما اقتبسه الفرزدق من التراكيب القرآنية من غير التزام بلفظها ومعناها المعروف ضمن نصّها القرآني؛ لذلك سميتُ هذا النوع من الاقتباس، بالاقتباس الاشاري؛ إذ إنّ التراكيب القرآنية لم تقتبس بلفظها النصيّ الذي ورد في القرآن الكريم؛ إذ أعاد الفرزدق صياغة هذه التراكيب بلفظ قريب مع الاحتفاظ بالمعنى العام الذي أدّته هذه التراكيب القرآنية ضمن سياقها القرآني.

والذي أعان الفرزدق على هذا النوع من الاقتباس حفظه للكتاب العزيز، إذ ذكرت كتب التراجم أن الفرزدق قيد نفسه بالسلاسل وأقسم ألا يفك قيده حتى يُتمّ حفظ القرآن، إذ أن أباه غالبًا قد وفد على الإمام علي (عليه السلام) فقال له الإمام: «من أنت؟ قال: أنا غالب بن صعصعة المجاشعي...ثم قال له: يا أبا الأخطل من هذا الفتى؟ قال: ابني الفرزدق

وهو شاعر. قال: علمه القرآن فإنه خير له من الشعر». فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى ألا يحل قيده حتى يحفظ القرآن.(٧١)

وقد أجاد الفرزدق هذا النوع من الاقتباس فصاغ التراكيب القرآنية في قالب جميل يكشف عن اقتدار وتمكُّن من اللغة. ومن الأمثلة على الاقتباس الإشاري في شعر الفرزدق:

– استجابة دعوة المكروب من الله تعالى:

الله تعالى يستجيب لدعوة الداعي إذا دعاه. قال تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِّ(٧٢). وقد ورد ذكر استجابة الله تعالى للدعاء وبخاصة دعوة المكروب في شعر الفرزدق، قال مادحًا عبد الملك بن مروان: (٧٣)

دَعَوْا لِيَستخلِفَ الرحمنُ خَيرَهُمُ واللهُ يسمعُ دعوى كُلّ مكروبِ

فقوله: (واللهُ يسمعُ دعوى كُلّ مكروبِ)، إشارة إلى المعنى الذي تضمنته الآية الكريمة.

– رحمة الله تعالى بخلقه:

من رحمة الله تعالى بخلقه إرسال نبينا محمدًا (ﷺ) برسالته تعالى رحمةً منه تعالى بخلقه. قال تعالى: وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ (٧٤). وقد استعار الفرزدق ذكر إرسال الله تعالى نبينا الكريم (ﷺ) مادحا بها سليمان بن عبد الملك، قال الفرزدق:

جُعِلْتَ لأهْلِ الأرْضِ أمْنًا و رَحْمَةً و بُرْءً لآثارِ القُرُوحِ الكَوالِـــمِ (٧٥)

فالبيت الشعري كله، إشارة إلى معنى (الرحمة) الذي تضمنته الآية الكريمة.

– النفخ في الصور يوم القيامة:

قال تعالى: وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ .(٧٦) والصُّورُ: القرن ينفخ فيه يوم تقوم الساعة. قال مجاهد: الصور كهيئة البُوق.(٧٧) وقد أورد الفرزدق ذكر النفخ في الصور. قال: (٧٨)

فلَنْ تزَالَ لَكُمْ واللهُ أثبتَهَا فيكُمْ إلى نفْخَةِ الرحمنِ في الصُّورِ

فقوله: (نفْخَةِ الرحمنِ في الصُّورِ)، إشارة إلى (النفخ في الصور يوم القيامة) في الآية الكريمة.

– حضور الإنسان ساعة حسابه:

يقولُ تعالى ذكرُه: وجاءت يومَ يُنْفَخُ في الصُّورِ كلُّ نفسٍ ربَّها، معها سائقٌ يَسُوقُها إلى اللهِ، وشهيدٌ يَشْهَدُ عليها بما عملت في الدنيا من خيرٍ أو شرّ.(٧٩) قال تعالى:(وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١)(٨٠). فالآية الكريمة تتحدث عن كيفية مجيء الإنسان ساعة حسابه معه سائق يسوقه وشهيد على أعماله. وقد ورد في شعر الفرزدق أيام نسكه وتقربه إلى الله تعالى ذكر كيفية حضور الفرزدق يوم حاسبه مع السائق له والشهيد عليه، قال الفرزدق:

إذا جاءني يَوْمَ القِيامَةِ قائِـــدٌ عَنِيفٌ وسَوّاقٌ يَسُوقُ الفَرَزْدَقَا(٨١)

فالبيت كله، إشارة إلى المعنى الذي تضمنته الآية الكريمة.

– شراب أهل النار (الصديد):

قال تعالى: وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ (٨٢). والصديد: ما يسيل من أهل النَّار من الدَّم والقيح، وهو شراب أهل النار.(٨٣) كما ذكرت الآية الكريمة. وقد تمثل الفرزدق صورة شراب أهل النار الذي يعذبون به، قال الفرزدق هاجيا:

فإنَّكَ مِنْ هِجَاءِ بنِي نُمَيْـــرٍ كَأَهْلِ النَّارِ إذْ وَجَدُوا العَذَابَا

رَجَوْا من حَرّهَا أنْ يَسْتَرِيحُوا و قَدْ كان الصَّدِيدُ لَهُمْ شَرَابَا (٨٤)

فقوله: (قَدْ كان الصَّدِيدُ لَهُمْ شَرَابَا)، إشارة إلى معنى (العذاب) الذي تضمنته الآية الكريمة.

– الجنة التي جعلها الله جزاءً للمؤمنين:

قال تعالى: أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا (٨٥). فالـ(الغرفة) في قوله تعالى هي منزلة من منازل الجنة الرفيعة التي جعلها الله تعالى جزاءً لعباده.(٨٦) الذين يتصفون بـ(التَّواضُعُ، وَالحِلْمُ، وَالتَّهَجُّدُ، وَالخَوْفُ، وَتَرْكُ الإِسْرَافِ وَالإِقْتَارِ، وَالنَّزَاهَةُ عَنِ الشِّرْكِ، وَالزِّنَى وَالْقَتْلِ، وَالتَّوْبَةُ وَتَجَنُّبُ الْكَذِبِ، وَالْعَفْوُ عَنِ الْمُسِيءِ، وَقَبُولُ الْمَوَاعِظِ، وَالِابْتِهَالُ إِلَى اللَّهِ تعالى).(٨٧) وقد تمثل الفرزدق ذلك في شعره فقال:

في غُرَفِ الجَنَّةِ العُليا التي جُعِلَتْ لَهُمْ هُنَاكَ بِسَعْيٍ كانَ مَشْكُورا (٨٨)

فالبيت كله، إشارة إلى المعنى الذي تضمنته الآية الكريمة.

– الرجوع إلى الله عند المصيبة:

قال تعالى: ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ (٨٩). ورد عن نبينا الكريم عند الصبر على المصيبة ذكر قوله تعالى: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، قال عكرمة: « انطفأ مصباح النبي (ﷺ) ليلة فقال: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}. فَقِيلَ: يَا نَبِيَّ اللهِ: أَمُصِيبَةٌ هَذِهِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كُلُّ شَيْءٍ آذَى الْمُؤْمِنَ فَهُوَ لَهُ مُصِيبَةٌ، وَلَهُ فِيهِ أَجْرُ الْمُصِيبَةِ.(٩٠) وقد تمثل الفرزدق ذلك عندما فَخَرَ بنفسه وهجا جريرا، فقال:

أتَعْدِلُ أحْسَابًا لِئَامًا أدِقَّــةً بأحسابنا؟ إنِّي إلى اللهِ راجع(٩١)

فقوله: (إنِّي إلى اللهِ راجع)، إشارة إلى المعنى الذي تضمنته الآية الكريمة.

–توقيع إبليس لآدم (عليه السلام) وزوجه:

توقيع إبليس للبشر في المعصية قد بدأت قصته مع آدم وحواء (عليهما السلام)، اللذان اسكنهما الله الجنة، وأمرهما أن لا يقربا الشجرة التي حرمها عليهما، قال تعالى: وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٢ (٩٢). فوسوس لهما الشيطان فعصيا أمر ربهما فأخرجهما من الجنة ونعيمها. قال الفرزدق مشيرا إلى ذلك كله في قصيدته التي هجا فيها إبليس:

وآدَمَ قد أخْرَجتَهُ وهو ساكِـــنٌ وزَوْجَتَهُ من خيرِ دارٍ مُقَـــامِ

وأقسمتَ يا إبليسُ أنَّكَ ناصِـــحٌ له ولها إقسامَ غيرِ إثَـــامِ

فظَلَّا يَخِيطانِ الوِراقَ عَلَيْهِـــما بأيديهما من أكلِ شَرِّ طعامِ (٩٣)

فالأبيات كلها، إشارة إلى المعاني التي تضمنتها الآيات الكريمة.

– أصحاب الشمال:

قال تعالى: وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ٢٧ (٩٤). تصور الآية الكريمة حال الكفار يوم القيامة عندما يعلمون بمآلهم في جهنم فيندمون على كفرهم في حياتهم السابقة، ولكن لا ينفع الندم، فتوضع صحيفة أعمالهم في شمالهم(٩٥). فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله. (٩٦) وقد أشار الفرزدق إلى هذه ذلك في قوله: (٩٧)

ولا رَجَعُوا حتى رَأَوْا في شِمَالِهِ كِتَابًا لِمَغْرُورٍ لدى النَّارِ نادِمِ

فالبيت كله، إشارة إلى المعنى الذي تضمنته الآية الكريمة.

– قصة هلاك عاد وثمود وآل فرعون:

قال تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦). (٩٨) وقال تعالى: وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ٦٦ . (٩٩)وقد تمثل الفرزدق العذاب الذي أوقعه الله تعالى على قوم عاد بالريح وعلى قوم نوح (عليه السلام) بالطوفان. (١٠٠) قال الفرزدق:

أَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مُؤْمِنٌ فَيُنْذِرَهُـــمْ عذابَ قَوْمٍ أَتَوا للهِ عِصْيانـا
وكَمْ عصى اللهَ من قَوْمٍ فأهلكهمْ بالرِّيحِ أو غرقًا بالماءِ طُوفَانَا

فالبيتان كلاهما، إشارة إلى معنى (العذاب) الذي لحق قوم عاد ونوح (عليه السلام)، والذي تضمنته الآية الكريمة.

أما قوم ثمود فقد عصوا نبيهم حين أمرهم ألا يعقروا الناقة و أن يذروها تأكل في ارض الله(فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٧٧ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ٧٨)(١٠١) فتمثل الفرزدق عذاب ثمود لما عقروا ناقة نبيهم صالح (عليه السلام), في هجائه لجرير. فكأنما جريرٌ بهجائه للآخرين قد جلب الهلاك لقومه كما جلب قوم ثوم الهلاك لأنفسهم بعقرهم الناقة. (١٠٢) قال الفرزدق:

وكانَ جَريرٌ على قَوْمِهِ كَبَكْرِ ثَمُودٍ لها الأَنْكَدِ
رَغَا رَغْوَةً بِمَنَايَاهُـــمْ فَصَارُوا رَمَادًا مَعَ الرَّمْدَدِ

فالبيتان كلاهما، إشارة إلى معنى (العذاب) الذي لحق قوم صالح (عليه السلام)، والذي تضمنته الآية الكريمة.

– قصة ابن نوح (عليه السلام):

ذكر القران الكريم قصة ابن نوح (عليه السلام), الذي رفض أن يركب معه في الفُلْكِ, فكان نصيبه الغرق مع من أصر على كفره و عناده من قومه, قال تعالى: وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ٤٣ (١٠٣). قال الفرزدق مصورًا عناد ابن نوح الذي أودى بحياته (١٠٤):

فكانَ كما قال ابنُ نُوحٍ سأَرْتَقِي إلى جَبَلٍ من خَشْيَةِ المَاءِ عَاصِمِ

فالبيت كله، إشارة إلى معنى (عناد ابن نوح الذي أودى بحياته), والذي تضمنته الآية الكريمة.

– قصة أصحاب الفيل:

ذكر القران الكريم قصة دفاع الله تعالى عن بيته الحرام حينما أراد إبرهة الحبشي وجيشه أن يهدموا بيت الله الحرام. فأرسل الله عليهم جنده, فدمرهم تدميرا و نصر بيته الحرام, قال تعالى:(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ٥) (١٠٥). قال الفرزدق مصورًا العذاب الذي أنزله الله تعالى على من اعتدوا على حُرْمَةِ بيته و كيف أنّه دمرهم تدميرًا (١٠٦):رَمَى اللهُ في جُثْمانِهِ مِثْلَ ما رَمَى عن القِبْلَةِ البَيْضاءِ ذاتِ المَحارِمِ
جنودًا تَسُوقُ الفِيلَ حتى أعـــادَهَا هَبَاءً وكانوا مُطْرَخِمِّي الطَّرَاخِـــمِ
نُصِرْتَ كَنَصْرِ البَيْتِ إذ ساقَ فِيلَه إليهِ عظيمُ المشركينَ الأعاجِـــمِ

فالأبيات كلها، إشارة إلى معنى (العذاب) الذي لحق أصحاب الفيل، والذي تضمنته الآية الكريمة.

– قصة يوسف (عليه السلام):

من قصة يوسف (عليه السلام) عفوه عن إخوته و كيف انه لم ينتقم منهم كما فعلوا به حين ألقوه في الجب. قال تعالى: (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢).(١٠٧) فقول يوسف (عليه السلام): ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾, هو عَفْوٌ وصَفْحٌ منه عن إخوته الذين كادوا له عندما كان صغيرًا فألقوه في الجبّ,(١٠٨)قال تعالى: قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ .(١٠٩) وقد اقتبس الفرزدق ذلك إشاريًا في قوله: (١١٠)

كُنْ مِثْلَ يُوسُفَ لَمَّا كادَ إخْوَتُهُ سَلَّ الضَّغَائِنِ حَتَّى ماتَتِ الحِقَدُ

فالبيت كله، إشارة إلى المعنى الذي تضمنته الآيتان الكريمتان.

الخاتمة:

مما تقدم كله يبدو جليًا الأثر الذي تركه القرآن الكريم في شعر الفرزدق من ألفاظٍ وتراكيب اقتبسها نصًا أوإشارةً، فتناثرت

في أبيات شعره، مبينة تأثره بالقرآن الكريم الذي أقسم على نفسه ألا يفك السلاسل التي قيد بها نفسه حتى يتم حفظه. ولعل هذا البحث قد يكون قدحة فكرٍ لمشروع رسالة ماجستير تتناول على نحوٍ مفصلٍ الاقتباس في شعر الفرزدق. ولا أجد شيئا اختتم به هذا البحث خيرًا من قوله تعالى: وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ .(١١١)

الهوامش:

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعيّ (٦٦٦هـ-٧٣٩هـ)، المعروف بخطيب دمشق، من أحفاد أبي دلف العجليّ: قاض، من أدباء الفقهاء، أصله من قزوين، ومولده بالموصل، ولي القضاء في ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤ هـ فقضاء القضاة بمصر (سنة ٧٢٧) ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨ ثم ولاه القضاء بها، فاستمر الى أن توفي. الأعلام للزركلي: (٦/ ١٩٢).

(٢) ينظر: تلخيص المفتاح للقزويني، ص: ١٤٥-١٤٦.

(٣) القاسم بن يوسف بن القاسم بن صَبيح العجليّ بالولاء، أبو أحمد (ت نحو ٢٢٠هـ): شاعر، من أهل الكوفة. الأعلام للزركلي: (٥/ ١٨٦). والبيت ذكره الصولي في كتابه الأوراق قسم أخبار الشعراء: (١/ ٢٠٣). والبيت نسبه الصولي للقاسم بن يوسف، ينظر: الأوراق قسم أخبار الشعراء: (١/ ١٩٧). وليس كما وهم ابن معصوم (ت١١١٩هـ) في نقله عن الصولي بنسبة هذا البيت لأبي تمام، ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع: (٢/ ٢٢٠).

(٤) [البقرة: ١٥٦].

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم/التهانوي: (١/ ٢٤٢-٢٤٣).

(٦) ديوان ابن الرومي: ٣٩٤/٢.

(٧) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم/التهانوي: (١/ ٢٤٢-٢٤٣). وينظر: تلخيص المفتاح للقزويني، ص: ١٤٥-١٤٦.

(٨) نسبه ابن معصوم المدني (ت١١١٩هـ) إلى أبي القاسم بن الحسن الكاتبي. ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع: (٢/ ٢٤٦). ولم أجد ترجمة له فيما تيسير لي من المصادر.

(٩) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم/التهانوي: (١/ ٢٤٢-٢٤٣). وينظر: تلخيص المفتاح للقزويني، ص: ١٤٥-١٤٦.

(١٠) يوسف: ١٨.

(١١) ينظر: الاقتباس والتضمين في شعر ابن دراج القسطلي- هناء فلحان القرشي، ص: ١٤-٤٩.

(١٢) الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي- عبد الهادي الفكيكي، ص: ١٣-١٤.

(١٣) مجلة العلوم الإنسانية/جامعة ذي قار، المجلد (١٠) العدد (٤) لسنة (٢٠٢٠).

(١٤) مجلة ديالى للبحوث الإنسانية – العدد (٩٣) لسنة (٢٠٢٢).

(١٥) مجلة جامعة أهل البيت – المجلد (٢٠) – العدد (١) لسنة (٢٠٢٥).

(١٦) الاقتباس أنواعه وأحكامه، د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، ص: ١٤.

(١٧) ينظر: معجم الشعراء، للمرزباني: ٤٨٦. وينظر: المستطرف في كل فن مستظرف: (ص٢٤).

(١٨) مجلة العلوم الإنسانية/جامعة ذي قار، المجلد (١٠) العدد (٤) لسنة (٢٠٢٠).

(١٩) مجلة ديالى للبحوث الإنسانية – العدد (٩٣) لسنة (٢٠٢٢).

(٢٠) مجلة جامعة أهل البيت – المجلد (٢٠) – العدد (١) لسنة (٢٠٢٥).

(٢١) الأعلام، خير الدين الزركلي: ٨/٩٣.

(٢٢) الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي: ٢٧/٢٢٤.

(٢٣) ينظر: معجم ألقاب الشعراء، د. سامي مكي العاني: ١٦٧.

(٢٤) معجم الأدباء، ياقوت الحموي: ٦/٢٧٨٦.

(٢٥) الأعلام، خير الدين الزركلي: ٨/٩٣.

(٢٦) ينظر: جواهر الأدب: ٢/١٥٠.
(٢٧) تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، شوقي ضيف:٢/٢٧٥-٢٧٤.
(٢٨) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٢/٧٣.
(٢٩) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٢/٧٣.
(٣٠) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٢/٧٣.
(٣١) الد بَيلة: داء يجتمع في الجوف. وفي حديث عامر بن الطفيل: فأخَذَتْه الد بَيلة هي خُراج ودُمَّل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالبا. لسان العرب)دبل:(١١/٢٣٤.
(٣٢) معجم الأدباء: ٦/٢٧٨٨.
(٣٣) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ٤٨-٤٤ والمزهر في علوم اللغة، السيوطي.٢٩٥-٢٩٤/١:
(٣٤) الصاحبي في فقه اللغة العربية: (ص٤٥).
(٣٥) الأنفال: ٢-٤.
(٣٦) سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب: الخليفة الأموي. ٥٤) - ٩٩ هـ. (الأعلام لخير الدين الزركلي: ٣/١٣٠. والبيت في ديوانه: ٢/٥٥٨.
(٣٧) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٢/٥٨٨.
(٣٨) معجم مقاييس اللغة- (سلم): (٣/ ٩٠). وينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: (ص٤٥).
(٣٩) التعريفات الفقهية: (ص٢٧).
(٤٠) آل عمران: ١٩
(٤١) هلال بن أحوز بن أربد المازني المالكي التميمي: قائد، من الشجعان القساة. عرفه ابن حزم بقاتل آل المهلب بقندابيل).ت نحو ١٠٢هـ.(الأعلام للزركلي: ٨/٩٠ والبيت في ديوانه: ١/٩٧.
(٤٢) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، من بجيلة، أبو الهيثم: أمير العراقيين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم)ت ١٢٦هـ.(الأعلام للزركلي: ٢/٢٩٧ والبيت في ديوانه: ١/٢٢٥.
(٤٣) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس: من ملوك الدولة المروانية بالشام)ت ١٢٦هـ.(الأعلام للزركلي: ٨/١٢٣ والبيت في ديوانه: ٢/٥٨
(٤٤) لسان العرب)رسل:(١١/٢٨١.
(٤٥) التعريفات: (ص١١٠).
(٤٦) الأعراف: ٦٧.
(٤٧) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٢/٣٥٠.
(٤٨) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، من تميم: أشعر أهل عصره)ت ١١٠هـ.(الأعلام للزركلي: ٢/١١٩.
(٤٩) البعيث المجاشعي هو: خداش بن بشر بن خالد، أبو زيد التميمي. المعروف بالبعيث: خطيب، شاعر، من أهل البصرة).ت ١٣٤هـ.(الأعلام للزركلي: ٢/٣٠٢.
(٥٠) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٢/٥٧٥.
(٥١) ديوانه: ٢/٤٠٠.
(٥٢) لسان العرب)نبا:(١٥/٣٠١.
(٥٣) لسان العرب)نبا:(١٥/٣٠١.
(٥٤) الأعراف: ١٥٧.
(٥٥) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ١/٢٧٠-٢٧١.
(٥٦) هو: وَكِيع بن حسان بن قيس بن أبي سود بن غليب بن عَوْف التَّميمي الغداني, و(غداتة): بطن من تَمِيم. تعجيل المنفعة لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ): (٢/ ٤٧٦). والبيت في ديوان الفرزدق: ١/٣٤٣.
(٥٧) التعريفات الفقهية: (ص٢٤٥).
(٥٨) آل عمران: ١٨٥.
(٥٩) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٢/٥٣.
(٦٠) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية: ص١٩٠.

(٦١) الإسراء: ١١٠.
(٦٢) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٤٠٦/٢.
(٦٣) لسان العرب (ثقل): ٨٥/١١.
(٦٤) الرحمن: ٣١.
(٦٥) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٥٩٢/٢.
(٦٦) الشعراء: ١٩٢-١٩٤.
(٦٧) يمدح هشام بن عبد الملك. ديوانه: ٥٤٨/٢.
(٦٨) التعريفات الفقهية: (ص٨٩). وينظر: لسان العرب – (خلف): (٩/ ٨٣).
(٦٩) البقرة: ٣٠.
(٧٠) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ١٤٣/٢.
(٧١) معجم الشعراء, للمرزباني: ٤٨٦. وينظر: المستطرف في كل فن مستظرف: (ص٢٤).
(٧٢) البقرة: ١٨٦.
(٧٣) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٤٦/١.
(٧٤) الأنبياء: ١٠٧.
(٧٥) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٥٦٠/٢.
(٧٦) يس: ٥١.
(٧٧) التعريفات الفقهية: (ص١٣١). وينظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة: (٤/ ١٤٥٥).
(٧٨) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٣٦٢/١.
(٧٩) تفسير الطبري: (٢١/ ٤٢٩).
(٨٠) ق: ٢١.
(٨١) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ١٣٨/٢.
(٨٢) إبراهيم: ١٥-١٦.
(٨٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (٣/ ١٥٧).
(٨٤) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ١٧٠/١.
(٨٥) الفرقان: ٧٥.
(٨٦) تفسير الطبري :١٧/٥٣٤ . وينظر: تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير: ١٩/٦٦.
(٨٧) زهرة التفاسير: (١٠/ ٥٣٢٥).
(٨٨) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٣٦٢/١.
(٨٩) البقرة: ١٥٦.
(٩٠) الهداية الى بلوغ النهاية: (١/ ٥١٩).
(٩١) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٧٣/٢.
(٩٢) الأعراف: ١٩-٢٢.
(٩٣) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٤٠٨/٢.
(٩٤) الحاقة: ٢٥-٢٧.
(٩٥) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: (١٥/ ١١٣٨).
(٩٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (٥/ ٢١٧).
(٩٧) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٥٦١/٢.
(٩٨) الحاقة: ٦.
(٩٩) الشعراء: ٦٦.
(١٠٠) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٥٨٨/٢.
(١٠١) الأعراف: ٧٧-٧٨.
(١٠٢) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٢٩٧/١.
(١٠٣) هود: ٤٢-٤٣.
(١٠٤) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٥٦١/٢.
(١٠٥) سورة الفيل.
(١٠٦) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ٥٦١/٢.

(١٠٧) يوسف: ٨٩-٩١.
(١٠٨) ينظر: تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير): (١٨/ ٥١٢).
(١٠٩) يوسف: ١٠.
(١١٠) شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي: ١/٢٣٧.
(١١١) التوبة: ١٠٥.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢.
٣. الأغاني، المؤلف: أبو الفرج الاصفهاني، (دار الكتب المصرية - القاهرة)، (الطبعة الأولى - ١٩٣٦).
٤. الاقتباس أنواعه وأحكامه دراسة شرعية بلاغية في الاقتباس من القرآن والحديث، د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، (دار المنهاج للنشر والتوزيع-الرياض)، (الطبعة الأولى-١٤٢٥هـ).
٥. الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي- عبد الهادي الفكيكي، (منشورات دار النمير للنشر والتوزيع-سورية)، (الطبعة الأولى-١٩٩٦).
٦. الاقتباس والتضمين في شعر ابن دراج القسطلي- هناء فلحان القرشي، رسالة ماجستير، (المملكة العربية السعودية- جامعة أم القرى- كلية اللغة العربية)، (١٤٣٤-١٤٣٥هـ).
٧. أنوار الربيع في أنواع البديع، تأليف: السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ)، تحقيق: شاكر هادي شكر، (مطبعة النعمان-النجف الأشرف)، (الطبعة الأولى - ١٩٦٨م).
٨. الأوراق قسم أخبار الشعراء، تأليف: أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (ت ٣٣٥هـ)، (شركة أمل-القاهرة)، (١٤٢٥ هـ).
٩. بحث: (الاقتباس القرآني النصي والاشاري في شعر حازم رشك التميمي دراسة تحليلية- أ.د علي حسين جلود ودعاء عجمي بشيت) - مجلة العلوم الإنسانية/جامعة ذي قار، المجلد (١٠) العدد (٤) لسنة (٢٠٢٠).
١٠. بحث: (الاقتباس القرآني في شعر السيد الحميري دراسة دلالية- م.م نشأت جعفر عبد الحسن)، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية - العدد (٩٣) لسنة (٢٠٢٢).
١١. بحث: (الاقتباس القرآني في شعر محمد مهدي الجواهري- م.م جواد عودة سبهان)، مجلة جامعة أهل البيت - المجلد (٢٠) - العدد (١) لسنة (٢٠٢٥).
١٢. تاريخ الأدب العربي، المؤلف: د. شوقي ضيف، (دار المعارف - مصر)، (الطبعة الأولى، ١٩٦٠).
١٣. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: د. إكرام الله إمداد الحق، (دار البشائر - بيروت)، (الطبعة الأولى- ١٩٩٦م).
١٤. التعريفات الفقهية، تأليف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان)، (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م)، (الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).
١٥. التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (دار الكتب العلمية بيروت -لبنان)، (الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).
١٦. تفسير ابن عاشور، التحرير والتنوير [تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد]، تأليف: محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)، (الدار التونسية للنشر - تونس)، (١٩٨٤ م).
١٧. تفسير الرازي، (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، تأليف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، (دار إحياء التراث العربي - بيروت)، (الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ).
١٨. تفسير الطبري، (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تأليف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، تحقيق: د عبد

الله بن عبد المحسن التركي، (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر)، (الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م).
١٩. التفسير القرآني للقرآن، تأليف: عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ)، (دار الفكر العربي – القاهرة).
٢٠. تلخيص المفتاح، تأليف: الشيخ محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت٧٣٩هـ)، (مطبعة البشرى– باكستان)، (الطبعة الأولى–٢٠١٠).
٢١. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، (مؤسسة المعارف، بيروت).
٢٢. درج الدرر في تفسير الآي والسور، تأليف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحسين، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، (مجلة الحكمة– بريطانيا)، (الطبعة الأولى –٢٠٠٨ م).
٢٣. ديوان ابن الرومي، شرح: الأستاذ أحمد حسن بسج، (دار الكتب العلمية – بيروت)، (الطبعة الثالثة – ٢٠٠٢).
٢٤. ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، المحقق: د. نعمان محمد أمين طه، (دار المعارف، القاهرة – مصر)، (الطبعة الثالثة).
٢٥. زهرة التفاسير، تأليف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، (دار الفكر العربي).
٢٦. شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشروحه وأكملها: إيليا الحاوي، (دار الكتاب اللبناني– بيروت)، (الطبعة الأولى – ١٩٨٣).
٢٧. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، (المكتبة السلفية_القاهرة_١٩١٠).
٢٨. كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية، تأليف: الشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت٣٢٢هـ)، (مركز الدراسات والبحوث اليمني – صنعاء)، (الطبعة الأولى – ١٩٩٤).
٢٩. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، (دار صادر– بيروت)، (الطبعة الأولى).
٣٠. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، شرح: محمد احمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، (مكتبة دار التراث– القاهرة)، (الطبعة الثالثة).
٣١. المستطرف في كل فن مستظرف، تأليف: شهاب الدين، محمد بن أحمد بن أبي الفتح الأبشيهي (٧٩٠ – ٨٥٠ هـ)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، (عالم الكتب – بيروت)، (الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ).
٣٢. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تأليف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (عالم الكتب – بيروت)، (الطبعة الأولى – ١٩٨٨ م).
٣٣. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، (دار الغرب الإسلامي، بيروت)، (الطبعة الأولى– ١٩٩٣).
٣٤. معجم الشعراء، المؤلف: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى: ٣٨٤ هـ)، تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، (دار الكتب العلمية– بيروت). (الطبعة الثانية – ١٩٨٢).
٣٥. معجم ألقاب الشعراء، د. سامي مكي العاني، (مكتبة الفلاح – دبي)، (الطبعة الأولى – ١٩٨٢).
٣٦. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكرياء(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر– ١٩٧٩).
٣٧. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تأليف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨ هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، (مكتبة لبنان ناشرون – بيروت)، (الطبعة الأولى – ١٩٩٦ م).
٣٨. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تأليف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، (الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة)، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م).
٣٩. الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي(ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (دار إحياء التراث العربي– بيروت)، (الطبعة الأولى– ٢٠٠٠).

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

الشكل الرافديني كمرجعية في الرسم العراقي المعاصر

أ.د. سلام ادور يعقوب أوحى أكثم عبد الطيف حبيب
جامعة بغداد/ كلية الفنون الجميلة



للمستخلص:
ان اللوحة التشكيلية تمثل نسقاً ثقافياً محمل بخطاب معرفي وجمالي له مرجعيات مختلفة والتي بمجملها تتكون من تراكمات تاريخية متنوعة وعند النظر في الرسم العراقي نكتشف انه كان يتسم بنزوع حر نحو تشييد هوية ترتبط بمرجعيات الشكل الرافديني من خلال استحضار الرموز والاشكال وآليات الحركة والاتجاه والنوع والقياس والعلاقات والتي تكشف بمجملها عن جمالية هذه المرجعيات. حيث اوجد الفنان علاقات مركبة وزوايا جديدة استخدمت عبر الاشكال المتحركة لتكوين اشكال غريبة لايجاد نوع من التوليفات المتجددة. ساهمت في ايجاد انشاءات متوازنة ومتكاملة في الحد الاقل للسطوح اللونية والخطوط المترابطة لاجزاء العمل الفني، حيث استعمل الفنان كل ما يمكن من الاشكال الرافدينية لأنتاج الاشكال واظهار التناغم الايقاعي للالوان التصويرية داخل فضاء اللوحه مع مراعاة الانشاء. بما اظهر جمالية السمات الهندسية من خلال توظيف الرسام العراقي المعاصر للجانب التقني على السطح التصويري والمتحقق في جميع عينة البحث والتي بينت إن لمرجعيات الشكل الرافديني تأثيراً على الرسم العراقي المعاصر وهذه السمات قد تجسدت في جميع الرسوم التي تضمنتها عينة البحث المتمثلة في اللوحات التي تم تحليلها على الرغم من إن هذه المرجعيات قد تباينت في حجم التأثير الذي تتركه على اللوحة..

الكلمات المفتاحية: الشكل الرافديني، مرجعيات الرسم العراقي، الرسم العراقي المعاصر، الشكل، الفن التشكيلي

Abstract:
The visual arts represent a cultural system laden with cognitive and aesthetic discourse with different references, which are all composed of diverse historical accumulations. Upon examining Iraqi painting, we discover that it was characterized by a free tendency towards constructing an identity linked to the references of the Mesopotamian form through the evocation of symbols, shapes, mechanisms of movement, direction, type, measurement and relationships, which together reveal the aesthetics of these references. The artist created complex relationships and new angles used through moving shapes to form strange shapes to create a kind of renewed combinations. They contributed to creating balanced and integrated constructions at the minimum level of color surfaces and interconnected lines of the parts of the artwork, as the artist used all possible Mesopotamian shapes to produce shapes and display the rhythmic harmony of pictorial colors within the space of the painting, while taking construction into account. This showed the beauty of the geometric features through the contemporary Iraqi painter's use of the technical aspect on the pictorial surface, which was achieved in all the research sample, which showed that the references of the Mesopotamian form had an impact on contemporary Iraqi painting, and these features were embodied in all the drawings included in the research sample represented by the paintings that were analyzed, although these references varied in the size of the impact they left on the painting..

Keywords: Mesopotamian form,References of Iraqi painting, Contem-

porary Iraqi painting, Form, visual art.

الاطار المنهجي:

لا يخفى على أحد ان اللوحة تمثل نسقاً ثقافياً محمل بخطاب معرفي وجمالي له مرجعيات مختلفة، انتجت معطيات جمالية امتزجت مع الحاضر وحركته الفنية، حتى يمكن القول ان المنجز الفني في حقيقته ليس سوى جزء من حركة الابستمولوجيا وحتميات تطورها عبر التأريخ. ففي الفن التشكيلي العراقي نجد ان المنجز الابداعي للرسام العراقي المعاصر لم يكن بعيداً في صياغته الشكلية عن المرجعيات والأصول الفلسفية والاجتماعية والعلمية والبيئة التراثية والحضارية، فالتراكم التاريخي للمعرفة والذائقة الجمالية فرض وجوده في التقنيات الشكلية مما انتج تعدد في الاطروحات الفلسفية المعالجة لهذا الموضوع، كما ان الرؤية التي حددت المعاني المدركة من العمل الفني باعتباره رسالة موجهة الى المتلقي، تكتسب قيمتها من المفاهيم السائدة والمشتركة في دائرة الوعي الثقافي الجمعي والذي يمتلك أيضاً مرجعياته المؤثرة في الواقع الثقافي. وفي المحصلة نصل الى نتيجة مفادها ان الخطاب الفني في اللوحة يعد محورا مهما من المعرفة الانسانية وتبدلاتها على مدى التاريخ الانساني، ولأجل تبيان مفاهيم الخطاب التشكيلي ومرجعياته اخضعنا بالدراسة والنقد لعينة من منجز الرسم العراقي، لكونه يمتلك جذرا معرفيا وتاريخيا وجماليا ومكانيا، قد يتسم بالاختلاف في مراحله أو بشخوصه المنتجة أو بأساليبهم ومناهجهم وطرائقهم في التعبير.

أولاً: مشكلة البحث: في ظل ما تقدم ثارت لدى الباحثة تساؤلات عن طبيعة تأثيرات الحضارات في بلاد الرافدين على الواقع الثقافي والفني باعتبارها حالة أو شكل من اشكال التواصل الحضاري بين الماضي والحاضر، وحددت مشكلة البحث بالتساؤل الآتي: هل كان للشكل الرافديني تأثير واضح في الرسم العراقي المعاصر؟

ثانياً: أهمية البحث والحاجة اليه: يكتسب البحث أهميته من معالجته بالدراسة لمفردة الشكل والأثر في الفن الرافديني، وتأثيراته على الفنان العراقي المعاصر في منجزه الابداعي، وتبيان ماهيّه هذه التأثيرات بمختلف مستوياتها الشكلية وكيفية توظيفيها، وبالتالي استكشاف مدى تأثير هذا الشكل على الرسم العراقي المعاصر.

ثالثاً: اهدف البحث: يهدف بحثنا هذا الى ما يأتي:

١. استكشاف الشكل الرافديني كمرجع في الرسم العراقي المعاصر.

٢. التعرف على الاشكال والرموز وكتابات حضارة وادي الرافدين وتبيان تداوليتها كمفردة صانعة للوحة ثقافياً وجمالياً.

رابعاً: حدود البحث:

١. الحدود الموضوعية: الشكل الرافديني في اعمال الرسامين.

٢. الحدود الزمانية: ١٩٥٠ – ٢٠٢٣.

٣. الحدود المكانية: العراق والمهجر.

خامساً: مصطلحات الدراسة:

الشكل لغة واصطلاحاً: في الجانب اللغوي، الشكل هو: الشبه(١)، وشكّلَ الشيءَ: صوّره. وتشكل الشيء: تصوّر، وشكل الشيء هو: صورته المحسوسة والمتوهمة(٢). وفي الجانب الاصطلاحي يعرف الشكل بأنه: (تنظيم عناصر الوسيط المادي التي يتضمنها العمل وتحقيق الارتباط المتبادل بينها، أي الطريقة التي تتخذها العناصر المادية والعلاقة القائمة بينها في عمل فني بعينه، مما يؤدي الى زيادة الدلالة الفكرية والانفعالية للعمل ويضفي عليه الوحدة)(٣). ولتوضيح مفهوم الشكل حدد جميل صليبا في معجمه معنيان للشكل، اولها الشكل الهندسي وهو هيئة الجسم او السطح محدودة بحد واحد او اكثر، وثانيها الشكل المنطقي وهو الهيئة الحاصلة في القياس من نسبة الحد الاوسط الى الحد الاصغر والحد الاكبر(٤). وهذه الحدود الشكلية تتخذ أهميتها في تكوين العمل الفني باعتبارها العنصر الاساسي في الفن بما تمتلكه من دلالات تثير في المشاهد المنزه عن الغرض انفعالاً جمالياً(٥).

التعريف الإجرائي للباحثة: الشكل في الفن هو تركيب وأنشاء (بنية)، أنجز في زمان ومكان معين، وله دلالته المتحركة

والمتغيرة بحسب المكان والزمان، يحاول تحليل وتركيب العام والمألوف الى الرمزي والخيالي .

المرجع لغة واصطلاحاً: في الجانب اللغوي، المَرجعُ هو الأَصلُ(٦)، أما في الجانب الاصطلاحي فان مفهوم المرجع في الغالب يشير إلى ذلك المصدر الموثوق الذي يحتوي على معلومات مفصلة وشاملة حول المصطلح ويمكن الاعتماد عليه في فهمه واستخدامه بشكل صحيح. يمكن أن يكون المرجع قاموسًا، كتابًا، موقعًا إلكترونيًا، أو أي مصدر آخر يحتوي على المعلومات المطلوبة. وهذا ما يؤكده (عبد الملك مرتاض) بقوله (ان المرجع يعني وبكل بساطة ذلك اللفظ الذي يحدد الشيء للعالم الخارجي أو يحيل عليه)(٧). وبحسب ما تشير اليه المصادر فان المرجع هو فعل أو وسيلة للتمرجع والتموقع بالقياس الى شيء آخر، وهذا ما يمكن ادراكه عند النظر في المصطلح من زاوية لسانية، فهو تلك الدلالة التي تتمظهر للعالم المشهود والتي يحيل عليها شكل لساني من خلال علاقة مرجعية أو احالة، بمعنى انه تلك العلاقة التي تجمع العنصر الخارجي لشيء وشيء ينتمي اليه(٨)

التعريف الإجرائي للباحثة: من خلال ما تقدم استخلصت الباحثة تعريفها للمرجع وهو: (تلك الأصول والمصادر التي يستمد منها الفنان خزينه المعرفي لبناء أشكاله البصرية بغض النظر عن طبيعتها سواء أكانت رسماً او نحتاً أو مصدراً مكتوب)

المحور الأول: المرجع في حقل الفن

من المعروف ان المحيط والتجربة تعدان من أهم المؤثرات على أعمال الفنانين بشكل عام، وما نقصده بالتجربة هي تلك المعرفة والرؤية التراكمية التي تنتج مقومات وشروط لتكوين التصور الفني وتعزيز المحتوى(٩)، وهذا ما يجعل من التجربة ضرباً من المشاركة في الممارسة الفنية، التي تؤدي باندماج النتاج الفني في صميم التراث الجمالي، وبالتالي خلق تأثير جمالي في المحيط، حيث ان استيعاب التجربة بوصفها مرجعاً ينفتح في مفهومه لمنحها بعداً تداولياً يتسم بالفاعلية من جهة، وايجاد نظام للعلاقات بين العناصر في انجاز العمل الفني، فالخط والشكل والكتلة واللون والمادة، كلها عناصر تكتسب قيمتها الدلالية من الادراك المرتبط لدى المتلقي بمرجعيته الثقافية والمعرفية، وتكتسب في ذات الوقت قيماً أخرى متولدة من المنجز ذاته، حيث ان العمل الفني يستقي وجوده كمنجز من التعامل والاشتغال بتلك القيم، بغض النظر عن كونها ذات طبيعة حسية أو ذهنية أو تصورية، فهي تحتفظ بحضورها في أصل بناء المنجز وطبيعة تكوينه، وهذا ما يستلزم قراءة وفهم المرجعية من خلال البُنى الخفية والظاهرة في اطار الخصوصية الأسلوبية لكل عمل فني.

ان ما تقدم ليس بالأمر المستحدث أو الجديد، فقد أشار اليه أندريه بارو في كتابه، واصفاً المرجعية بالتاريخ، إذ قال: (فقد كان الفن غير منفصل عن التاريخ، ولا يمكن فهم أحدهما فهماً صحيحاً دون الأخر وغالبا ما كان يُقال إن فعل الفن هو أن يوصل إبلاغاً لازمن له. غير إنه لا يمكن تفسيره إلا عن طريق المعرفة الخالصة تماماً بالأحوال التي أدت إلى إبداعه)(١٠)، ووفقاً لهذه الرؤية فان الموروث الحضاري لبلاد الرافدين يكتسب صفة الخطاب التشكيلي المؤثر، كما ان النظر في مسألة المرجعية يكشف لنا هيمنة حضورها في الفضاء الأبستمولوجي(١١)، فالمرجعية أصل فلسفي يرتبط بمفهوم المكان عبر الفضاءات الزمنية، فهو بحسب «جميل صليبا»، يشير الى ابتناء العالم كله على علة أولى قديمة أثرت في تكوين الموجودات(١٢)، وإذا اخذنا بنظر الاعتبار محاولات «ميشيل فوكو»، و«جاك دريدا»، و«مارتن هيدجر» في تبيان الاصول والمرجعيات للممارسات النصية وعلاقاتها بالزمان والمكان، سنجد ان تلك المحاولات تقف عند نقطة اشارية تتضح فيها كل الامور، وهي تلك اللحظة التي يبدأ بها التاريخ ثم يستمر بشكل خطي حاملاً معه ممارسات خطابية معينة لها لحظات هيمنة، تسود في زمن تتبعها مجموعة جديدة من الممارسات الخطابية، وحيثما تنتهي ممارسة معينة تكون ممارسة جديدة على وشك البدء، وهكذا تتحول المرجعية في الفضاء الابستمولوجي الى حالة مؤسسة لممارسة خطابية جديدة، وعند تطبيق هذه المفاهيم على الخطاب الفني المتجدد فان الرؤية للموروث الرافديني والفرعوني والاغريقي، وما تلاها من ارث حضاري تنحصر في كونه جذر ومرجعية في الثقافة الإنسانية، والتي تؤسس نفسها أصلاً وموضوعاً يندرج فيه مفهوم الإنسان، بوصفه ذاتاً وموضوعاً في إنتاج خطاب ثقافي يظهر في خطابات متنوعة تتسم بانفتاح علاقاتها(١٣).

وهنا يجدر بنا الوقوف عند نقطة مهمة وهي متعلقة بالفنان ذاته باعتباره أصل العمل الفني، فهو الذي يولد العمل الفني وينتج اللوحة من خلال تحفيز الذات لاستلهام مقولات الموضوعي وفرضياته وتحويلها إلى ملامح شكلية في خطاب بصري، يسير بموازاة مسالك وحقول ثقافية وأدبية أخرى، ممثلاً في الوقت ذاته تجليات الواقع وسيرورته التاريخية(١٤). وبالعودة الى مفهوم المرجعية فان المرجع في علم الدلالة يشير الى تلك العلاقة بين العلامة اللسانية والشيء الخارجي (١٥)، فالدلالة هنا مرتبطة بمرجعيات المتلقي الفكرية، والعلاقة بينهما تنطلق في أساسها من قدرة الدال على انتاج المدلول(١٦)، بمعنى ان الرابط بين الاشارة والمعنى لن يتحقق إلا إذا وجد بينهما صفة جامعة تجعل من المعنى مرجع للإشارة(١٧)، وبالرغم من كون البحث في مسألة الدال والمدلول والعلاقة بينهما مرتبط في الاصل بالدرس اللغوي إلا ان اتساع مجال علم الدلالة جعل من المسألة تتسم بنوع من الانفتاح في تطبيقاتها لتشمل الدوال غير اللفظية ما دامت تربط دالاً بمدلوله ضمن شبكة تنظيمية، ذلك أن الدال لا يحمل دلالته في ذاته إنما منبع الدلالة هي تلك التقابلات الثنائية التي تتم على مستوى الرصيد اللغوي(١٨).واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان الفن يسمح بتوظيف الأشياء التي نراها في عالمنا وإدخالها في الفضاء الفني لإنتاج أشكال واشارات قد تنسخ الواقع بشكله ومفهومه لكنها تختلف عنه في الرؤية والدلالة، وبالتالي يتحول التشابه بين الواقع والشكل الى علاقة منظمة لدلالة الشكل ومرجعياته في الواقع، حيث ان بنية العلاقة التي تربط بين الدال والمرجع والمدلول في الفنون التشكيلية تتسم بكونها علاقة تطابقيه وتداولية، على عكس العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول والمرجع في النسق اللغوي والتي تتسم بكونها علاقة اعتباطية(١٩)، فالمرجع في اطاره التشكيلي محدد بالصورة التي يؤطرها الرسام ببنائه للشكل والعناصر في عملية التحليل والتركيب، فكل شيء مقترن بالفضاء الخيالي للفنان نفسه، وفي ضوء هذه الحقيقة فإن ما يؤسسه العقل من صور يدخل في تصنيف «مرجع ثانوي» هذا المرجع في سيرورته التحولية يصبح في حالة «مرجع ثالث» عندما يدخل في إطار الفن المبني على الاستعارة والمجاز والتحليل الذي يؤسس تركيبا فنيا.يضاف الى ما تقدم ان قيمة المرجع في الفن التشكيلي تكتسب نوعاً من الأهمية بالنسبة للفنان التشكيلي، فالمعاينة الواقعية تشير الى حضور المرجع داخل مساحة، فتارة نجد حضوراً يمتزج مع الواقعي والمتخيل، وتارة أخرى نجده يؤسس علاقة مع الطابع المحلي، وما تقدم من تبيانٍ لأهمية المرجع بالنسبة للعمل الفني دفع الكثير من الفنانين الى اعادة النظر في المفاهيم التي ترتكز عليها منجزاتهم الابداعية، فمنذ بواكير القرن التاسع عشر تبين للعديد منهم أنه ما عاد بالإمكان تمثيل الواقع بطريقة واضحة وفقاً للقواعد والمعايير السائدة، فتزجموا مشاعرهم وانطباعاتهم وتعبيراتهم في رسوم تجريدية تنجز غالبا في لحظة بتقنيات حركية متنوعة، واتبعوا نوعا من التأويل في الرسم من خلال اتخاذ مرجعيات الرسوم العصور القديمة، عبر توظيف الشكل بواسطة المتخيل للصورة الذهنية، ومن ثم اعادت صياغة بعض الخصائص الشكلية ودلالاتها، وبالتالي نتجت لديهم استعارات مرجعية حققت نوعاً من الفاعلية في التجارب المستلهمة(٢٠). وفي المحصلة انتج الفنان أنماطاً واساليب ترتكز على صدق التعبير، فالتجارب الفنية للرواد العرب في القرن الماضي على سبيل المثال ارتكزت على استثمار فنون الشعبية والموروث الحضاري واشتغاله باعتباره مراجع جمالية(٢١)، والتي شملت موروثاً حضارياً ضخماً تنوع ما بين البابلي والسومري والآشوري والفرعوني والاسلامي، والذي تم اشتغال مفرداته – أي الموروث – في اطار البحث عن وسائل تكسر قيود العادات والنمطية التقليدية، وتجريب الصياغات التي اجتاحت الفن في العالم، وعند النظر في واقع الفنون التشكيلية في العراق فان الدارس يلاحظ بوضوح ان الأرض منحت وصبغت أعمال فنانيه منذ القدم بصبغة غنية بالابتكار والحيوية، وهذا ما يمكن استقراءه من منجز الرسام العراقي المعاصر، والذي اشتغل مفرداته بالإخلاص للأصل المحلي والتعامل معه بصيغ التعبير الرمزي، وصولا الى الحدسي والعلمي من تجارب الرسموية الريادية، لإقامة حوار مع البيئة الحضارية بشتى أنساقها ومخاطبة الآخر على وفق إرادة شخصية تزاوج بين الثقافي والجمالي، وهكذا استطاع تكييف إرهاصاته عبر تداخل الصياغات بين ما هو تقني محرر من تماثلية تشخيصية وبين المحمول الذي يتغلغل في الشكل، فالموروث الرافديني ساهم في منح الرسام قدرة على تجاوز مناطق التوتر والتناقض، وايلاج المخيلة في عمليات تركيب ذهنية مجسدة للأفكار للتعبير عنها بتفعيل العلامات في أنساقها الشكلية(٢٢). وعند النظر في واقع

الفن العراقي نجد انه بالرغم من محدودية المتلقي، الا ان الرسام العراقي سعى الى استقطاب المتلقي من خلال توظيف المراجع الفكرية والموروث والمخزون الحضاري والبيئة لجعل المنجز الفني متداول بين الناس، فالبيئة العراقية تعتبر من المراجع المهمة للفنان وعادة ما يُعبّر عنها برسوماته بشكل مباشر او غير مباشر(٢٣). وهذا ما عمل عليه جواد سليم على سبيل المثال، إذ استثمر الموروث الحضاري وجمال التراث والخلفية التاريخي التي يحملها واشتغل بأساليب خاصة وجديدة وقريبة للمتلقي وتحمل نمط الحداثة، وكذلك الحال مع آل سعيد الذي سعى الى ان يكون منجزه العياني متخماً بحضور المعاني والأفكار داخل النص البصري بعد التفاعل معها وإضافة ما يمكن إضافته من خزينه الذهني والحسي لتحويل الوجود إلى قيم فنية(٢٤). إن البحث عن المرجعية في الرسم العراقي يكشف لنا انه كان نزوعاً حراً نحو تشييد هوية أو ملامح لها ينعت بها هذا الفن، ويكشف لنا تعدد هذه المرجعيات، فمنها ما يكمن في مدونات العراقيين القدماء من سومريين وآشوريين في الملاحم البطولية المستنطقة لقيم الشهادة مثلما فعل كاظم حيدر في سلسلة أعماله التي ضمنها هذه المواجع الإنسانية وتحويلها إلى خطاب جمالي، أو ما تمثل بعودة محمود صبري إلى المستوى الذري والتراث العلمي الإنساني وإمكانية توظيفه ضمن ما أنجزه من أعمال فنية، حيث ينطلق صبري من مفهومين علميين يتخذهما أساسا لإعادة صياغة التعبير الشكلي في العصر التقني(٢٥)، ويمكن القول ان العودة إلى الموروث كانت سمة للرسام العراقي في معالجته للمادة الفنية، والتي استثمرت كل المنابع المتاحة لها، سواء أكانت تاريخية، أو فلكلورية أو أسطورية انتج الرسام العراقي على ضوئها فناً ذا طابع يسمح لهم بالحركة المرنة بين شعاب التاريخ، وبذات الوقت المحافظة على التطلعات المعاصرة للذات ضمن راهنيتها، وإعادة طرائق النظر للأشياء بما يناسب الواقع الجديد والسعي إلى تركيبه جمالياً بصيغ بنائية يجعلها تتخطى تاريخيتها وتختلط في الحاضر إحساس يهتك منطوقها الجمالي والدلالي(٢٦).

وفي الخصلة يمكننا القول إن نزوع الفنان العراقي إلى الأصول باعتبارها مرجعيات فكرية وثقافية هو الذي مهد لهذا الفن أن يحتل مكانته وتفوقه، سواء كانت هذه الأصول جمالية شكلية أم مرجعيات فكرية، إذ أفاد منها على صعيد التشكل والصياغات الأسلوبية، لأن مكانية الأصل وزمنه تشير إلى طبيعة التوظيف والاستخدام، حيث ان البنية الفكرية الرافدينية قد حققت تحولاً، أوجد انزياحاً أساسياً في بنائية الحضارة الرافدينية، ذلك إن الوسط الحضاري أصبح يضم أنظمة من الطقوس والمعتقدات والأعراف الشعائرية، تنظمها مؤسسة تعبدية مهيمنة في منهجيتها الفكرية، تقودها قوة كهنوتية، مؤسسةً خطابها الفكري الرابط بين العوالم المرئية والعوالم المغيبة، وبين الصور الأزلية العليا والصور العضوية الأرضية، بين ما هو سماوي وما هو أرضي، وبين ما هو محدد وتشبيهي مع ما هو نقيضه ليؤسس الحضور البشري نظام صوري متسامي، يقترب وصولاً إلى الكمال المطلق، فيتحول نظام اللغة والأسطورة والتشكيل من صور مماثلة لحيثيات الأشياء، إلى دلالات معبرة عنها، فهدف الفن ليس التقليد، بل الكشف عن الصيغ التي تساند الفكر الإنساني لامتلاك صلات وثيقة مع عوالمه الحاضرة والمغيبة.

المحور الثاني: سمات الشكل في الفن الرافديني.

يشير ويل ديورانت في قصته للحضارة الى ان بلاد الرافدين شهدت ولادة ونمو وتطور ثقافات ابتدعها اهل الارض، تركت آثارها بعدة اشكال، مثلت جميعها مظاهر القوة والعظمة، وتشهد على ما وصل إليه الفن من رقي، ويمكن أن نلخص الحضارة السومرية تلخيصاً موجزا بالقول انها كانت مزيجاً مركباً من البدايات والإتقان البارع، ففي هذه الأرض أسس الإنسان أول الدول ، وأول النظم الري، وأول كتب القوانين، وأول استخدام للكتابة في نطاق واسع(٢٧). وانطلاقاً من البعد الحضاري الذي تمتلكه ارض بلاد ما بين النهرين، يكتسب الشكل بمفهومه العام بعداً مؤثراً على مسارات الحركة التشكيلية، فمفاهيم الشكل في حقيقتها تتجاوز الفهم بمطي له بانه مساحة معينة محددة بخط او مساحة لونية او تكوين هندسي منتظم او غير منتظم، فهو وسيط يجمع ويوحد مكونات العمل الفني مع بعضها ليخلق بينها تفاعلا متبادلا كي يؤدي تأثيرها من خلال الكل الذي يوحد هذه الاجزاء مع بعضها البعض(٢٨).

يضاف الى ما تقدم تعد فترة الحضارات في بلاد الرافدين من أهم المراحل التي شهدت وضع الأسس الأولى لجوانب

الفنون التشكيلية في النحت والفخار والرسم، وهذا ما يمكن ملاحظته في الآثار التي لا زالت شاهداً على البنية الحضارية بكل مشتملاتها الثقافية والفنية والدينية، حيث يمكن ان نلاحظ أقدم تفاعل للقوى المختلفة من خلال طبيعة المواضيع والزخارف والاشكال على بعض الفخاريات(٢٩)، فالقدرات الفنية لإنسان ذلك العصر ظهرت إلى حيز الوجود نتيجة انتقاله من عالم الصيد إلى عالم الزراعة، والتي قادت إلى حدوث تغيير في المعطيات الروحية حيث نجد في هذا العصر نوعاً من المثالية وإضفاء روحية على الواقع، كما هو الحال في المعطيات الموضوعية، والتي شهدت تغيير نابعاً من التجربة الذاتية مما نتج عنه تغيراً في الأشكال الفنية(٣٠)، والتي حملت مضامين فلسفة الحياة، فكل الرموز التي استخدمها الفنان كانت غنية بالمعاني فهي تعبر عن آمال ومخاوف الشعب، فالمفردات التي استخدمت في ذلك الوقت إنما قصد بها بكل جلاء الرمز إلى قوة الحياة الدائمة في كل المخلوقات البشرية والحيوانات التي تدور في حلقات لا نهاية لها، فكانت الأشكال مفعمة بالحركة والديمومة المستمرة معبرة في ذلك عن نبض الحياة(٣١).وفي هذه الفترة ايضاً استخدم الفنان ولأول مرة في تنفيذه للمشاهد اللون الأبيض والأسود والبني والأحمر وبأشكال مختلفة أكسبتها نوعاً من الجمالية ونوعا من الشعور الدافق بالحركة او الايهام بها، وفي تراث السومريين (٢٨٠٠ – ٢٣٧١ ق.م) لعبت المعتقدات الدينية التي وجد فيها الفنان السومري الهامة الأول دوراً غير اعتيادي في توجيه مناحي الحياة لسكان وادي الرافدين حيث نجد ان الفنان السومري ترك فناً متنوعا يتصف به الإبداع والاصالة والغزارة، ولعل مرجع ذلك يعود إلى رغبة السومريين في تخليد مشاهد متنوعة تمثل جوانب من الحياة اليومية والمواضيع الدينية والأسطورية، ففي الفن السومري كان من الطبيعي ان يكون الشكل متسامياً مطلقاً في روحيته من خلال إضعاف سمة المشابهة مع الشكل الواقعي مما يجعله يمتلك قابلية للتأويل غير محدودة(٣٢)، على ان هذه الأعمال بدء من العمارة الدينية والدنيوية –المعابد والقصور الملكية– وانتهاء بفن النحت أظهرت قابلية ذلك الفنان على إعطاء الأشكال أوضاعاً متحركة او توحي بالحركة، فقد تمكن من خلق جو من الحركة الدائمة ففي جدارية (راية أور) (شكل رقم ١) والتي صور فيه الفنان مشاهد للمعركة والانتصار، في شكل هندسي أسهم في الإيحاء بالحركة وذلك من خلال تكرار الأشكال والذي حقق إيحاءاً زمنياً لبصر المتلقي حيث أسس إيقاعاً ذا دلالة تعبيرية تحقق جذباً للانتباه. أما الأكديون (٢٤٧٠–٢٨٨٥ ق.م) ونتيجة للتطور الكبير الذي أنجز في عصرهم فقد ظهرت عناصر ومقومات حضارية جديدة(٣٣)، قادت الفن إلى إنجازات كبيرة، إذ أن نجاح الفتوحات التي قادها ملوك أكد دفعت بهم إلى تخليد مشاريعهم الحربية العملاقة، وبنزعة واقعية حسية وإجادة دقيقة في التمثيل، ولعل مسلة نرام– سن (شكل رقم ٢) تعد خير معبر عن الروح الأكدية، إذ بينت مقدرة الفنان على تكوين جو الحركات العنيفة لتكسب المشهد قوة تعبيرية تتضح عبر حركة المحاربين الإيقاعية وديناميكية التكوين والتي اختلطت كلها بالاستعراض القصصي للموضوع، فالفنان صور المنظر الطبيعي لأرض المعركة بمدلول حقيقي وبأشكال جعلتها جزء من التركيب الدائم الحركة، فالإيحاء بالحركة والتحريك داخل الفضاء قد جاء متحققاً من خلال تباين الأشكال التي تكونت ضمن المسطح المصمّم فضلاً عن العناصر البنائية الأخرى. وفي العصر البابلي القديم (٢٠٠٤–١٥٩٤/٥ ق.م) فقد اتسم بغزارة إنتاجه وخصوصاً في الرسم الجداري، وتعد الجدارية التي اشتهرت باسم جدارية الملك زمري لم (شكل رقم ٣) والتي يُصور الجزء المركزي فيها مشهد تتويج الملك من أهم تلك الجداريات فعبقرية الرسام كمنت بجمال توزيع الوحدات المتباينة على الأرضية والتي حققت إيقاعاً وتنغيماً ولّد إحساساً بإيهام الحركة من خلال الانتقال البصري عبر المساحات(٣٤).


(شكل رقم ١)


(شكل رقم ٢)


(شكل رقم ٣)

وفي الفن الآشوري كانت النزعة العقلانية التجريدية سمة للفنان الآشوري والذي غذى رؤيته الطبيعية بمزيد من الخيال، لذا

فقد تميزت أعماله بأنها متكيفة بذاتها وكاملة من الناحية الشكلية بشكل يتسم بالقوة في الحركة والتعبير وواقعية في تصوير الانفعالات على الأشكال، أي انه نجح في بعث حياة متحركة في المشهد وقوة تعبيرية هائلة(٣٥).

وفي الخصلة يمكننا القول ان الشكل في العمل الفني الرافديني كان منقاداً تماماً لطبيعة الفكر العراقي، والذي حددت معالمه من خلال المعطيات الاثرية، والتي يمكن ايجازها بالآتي:

أولاً: الحضارة السومرية: والتي اتسمت الأشكال الإنسانية بان بنيتها تقوم على قصر القامة وكبر حجم الرأس، أرديتها طويلة تغطي الأكتاف أو احدها بأكمام طويلة وقصيرة وبدون أكمام(٣٦)، حيث تكون الأشكال المؤنثة ذات رؤوس مدورة بوجوه مستديرة بقلنسوة بزوج من القرون أو اكثر، شعورها طويلة مفروقة، عيونها واسعة(٣٧)، أنوفها طويلة وأفواهها مغلقة بشفاه مبتسمة أحياناً(٣٨)، أثداؤها صغيرة بارزة، أطرافها العليا مضمومة الى الصدر أو الى الجوانب، خصورها نحيفة وأحواضها عريضة غير مكتنزة، أطرافها السفلى مغطاة ملتحمة مع بعض ومنفرجة(٣٩). أما الأشكال المذكرة فرؤوسهم كبيرة مدورة بقلانس أو عمامة نصف كروية بحافة عريضة سميكة أو غطاء نصف كروي عريض الحافة، وجوههم طويلة، عيونهم كبيرة واسعة مقوسة بحاجبان غليظان معقودان، أنوفهم طويلة أفواههم صغيرة بشفاه كبيرة (٤٠)، صدورهم عريضة بأكتاف ضخمة عارية، أطرافهم العليا بعضلات مبرومة وكفوف واضحة التفاصيل(٤١)، أرديتهم طويلة تغطي كتف وطرف واحد(٤٢)، كما في الأشكال (٤ – ٩) واتسم الفن في الحضارة السومرية بتكوين الاشكال المركبة والهندسية والمحورة والتي صنعت بأحجام مختلفة بالنحت المدور والبارز بالطين والحجر والنحاس والحديد وغيرها من المواد(٤٣)، جاءت وفق رؤية وغاية لصانعها(٤٤)، كدمج وجهين في رأس واحد، وتركيب جسد انساني مذكر يحمل وعاء على رأسه نصف جسده الأسفل ينتهي بشكل مسمار، او رؤوس إنسانية مذكرة بأجساد ثيران جاثمة على قاعدة(٤٥) ، كما في الاشكال (١٠ – ١٢).



(شكل ٤) (شكل ٥) (شكل ٦) (شكل ٧) (شكل ٨)(شكل ٩) (شكل ١٠) (شكل ١١) (شكل ١٢)

ثانياً: الحضارة الاكدية: والتي اتسمت الأشكال الإنسانية بان بنيتها تقوم على حركات سريعة وعنيفة الى كل الجهات ولم تتميز بأي حركة ثابتة تعنى بها الا القليل جداً كما عهد ذلك الباحث في مواطن اليدين على مقدمة الصدر وهي تصلي للآلهة(٤٦)، حيث تكون الأشكال المؤنثة ذات أجساد ممشوقة نحيفة عارية وبرداء طويل يغطي كامل الجسد باستثناء الأطراف العليا، ثابتة وقوفاً وجلوساً ومتحركة، رؤوسها مدورة بقلنسوة مخروطية أو نصف كروية، تحيط رأسها بطوق شعورها طويلة طويلة وقصيرة مجعدة بنهايات ملفوفة(٤٧)، عيونها واسعة غائرة وبارزة وجاحظة منها مطعمة بالأحجار الكريمة والصدف بحاجبين عريضين، أنوفها صغيرة أحيانا تظهر مناخيرها بفتحات كبيرة، أفواهها صغيرة منطبقة صامته (٤٨)، أثدائها صغيرة مكورة، أطرافها العليا مضمومة، خصورها نحيفة، أوراكها عريضة مكتنزة، أفخاذها ممتلئة في تنتهي أسفل بسيقان رشيقة وأقدام صغيرة، اما الاشكال المذكـرة فأجسادهم ضخمة بهامات كبيرة وعضلات مرنة توحي بأنها تتحرك(٤٩)، جميع أطرافهم منفعلة الى كل الجهات في الوقوف والجلوس.(٥٠) عارية أو بأردية نصفية وكاملة(٥١)، رؤوسهم كبيرة، شعورهم طويلة كثة مشدودة بشريط حول الجبهة أو بكرة صغيرة خلف الرأس أو بضفائر أو بقلانس بيضوية ونصف كروية غالبا(٥٢)، عيونهم كبيرة محدقة مطعمة بالأحجار الكريمة والصدف، أنوفهم طويلة، أفواههم صامتة منطبقة بحدة بشفاه صغيرة، أذانهم صغيرة، رقابهم محلاة بقلائد غليظة الأحجار أحياناً، وصدور مرتفعة بأكتاف عريضة ودفتين غليظتين، أطرافهم العليا بعضلات مبرومة منفعلة الى كل الجهات أو مقيدين بالحبال(٥٣)، خصورهم

نحيفة أحيانا عارية مشدودة الوسط بأحزمة رفيعة وعريضة، أطرافهم السفلى طويلة ممشوقة بعضلات مفتولة، منفرجة عن بعضها حتى في الوقوف، حركاتها منفعلة الى كل الجهات(٥٥)، أرديتهم طويلة وقصيرة ونصفية تغطي الكتفين أو كتف واحد(٥٣). كما في الاشكال (١٣ – ١٨) واتسم الفن في الحضارة السومرية بتكوين الاشكال المركبة والهندسية والمحورة والتي صنعت بأحجام مختلفة بقليل من النحت المدور وكثير من البارز، على الطين الطري ثم المجفف بالشمس والحرارة . والأحجار(٥٦) والبرونز(٥٧) والآجر المخلوط بالقش(٥٨)، كالشكل الإنساني المؤنث ينطلق من كتفيه جناحان مفترشان الى الجوانب، أو رأس أنساني مذكر بقلنسوة ذو قرنين ولحى طويلة ينتصب على جسد ماعز . أو على جسد ثور وأسد، او أطراف سفلى إنسانية مذكرة أحدهما طبيعي والآخر على شكل زورق من القصب يستقر على الماء مستقيما ثم ينطلق الى الأعلى و ينعقف الى الجانب، كما في الاشكال (١٩ – ٢٢)



(الاشكال ١٣ – ٢٢)

ثالثاً: عصر الحضارة البابلية القديم: والتي اتسمت الأشكال الإنسانية بان بنيتها تقوم بجنسيها على أجساد ساكنة(٥٩)، متوسطة الطول نحيفة رؤوسها كبيرة نسبياً مغطاة غالباً بقلانس ملساء أو عدد من القرون(٦٠)، بعيون كبيرة تشبه ورقة ريحان بارزة وغائرة وأفواه منطبقة الشفاه صامته غالباً، عارية وبأردية واقفة وماشية غالباً(٦١)، صنعت بأحجام مختلفة بالنحت المدور والبارز من الطين النضيج والملون وحجر البازلت(٦٢) والحجر الأسود(٦٣) والأحجار الكريمة والنحاس والديوريت(٦٤) وبالرسم على الجدران(٦٥)، حيث اتسمت الأشكال المؤنثة بشعورها كثة طويلة يعتليها أحيانا قرنان، رقابها غالباً مطوقة بعدد من القلائد، اطرافها العليا متحركة منفعلة الى الأعلى والجوانب أو مضمومة الى الصدر(٦٦)، مطوقة المعاصم بأساور، أثداؤها صغيرة مكورة، أحواضها عريضة غير مكتنزة، عورتها مغطاة بقماش أو بأوراق النبات، أطرافها السفلى منطبقة غالباً ومنفرجة في مسير، أقدامها صغيرة، أرديتها طويلة مهدبة بقطعة واحدة أو شريط يلتف حول الجسد من أعلى الى أسفل بدون أكمام أو نصفية . أما الأشكال المذكرة فاتسمت بشعورهم قصيرة وطويلة، ولحى طويلة مجعدة وأحيانا مستوية مع الجلد، رقابهم طويلة منتفخة، أطرافهم العليا منفعلة الى كل الجهات، أحيانا قليلة مضمومة الى الصدر فارغة، أطرافهم السفلى منفرجة متحركة غالباً أو مثنية جلوساً أرديتهم طويلة تغطي كتف واحد أو الأثنين بأكمام وبدونها، وأخرى نصفية من الخصر تعلق بسير أو أثنين على الكتف. كما في الاشكال (٢٣ – ٢٨). واتسم الفن في الحضارة البابلية بتكوين الاشكال المركبة والهندسية والمحورة والتي صنعت بأحجام مختلفة بالنحت المدور والبارز من الطين النضيج والبرونز والذهب، كجسد أنساني مؤنث عاري بأجنحة مفترشة للجانبين تلتحم بأكتافه من الخلف وأطرافه السفلة بأقدام نسر بمخالب الطيور(٦٧)، أو جسد أنساني مؤنث ينتهي من الخصر الى الأسفل بنصف أسطوانة محززة عرضيا ملتحمة الى جدار، جسد أنساني مذكر يلتحم بجناحين مفترشين الى الجوانب من كتفيه بدون أطراف عليا، كما في الاشكال (٢٩ – ٣١).



(الاشكال ٢٣– ٣١)

رابعاً: عصر الحضارة البابلية الحديث: والتي اتسمت الأشكال الإنسانية بان بنيتها تقوم على قامة معتدلة الطول بأطراف عليا مرفوعة غالباً، صنعت بأحجام مختلفة بالنحت المدور والبارز من الطين النقي والحجر والبرونز والمرمر والأحجار

الكريمة في التطعيم(٦٨)، حيث تكون الأشكال المؤنثة رؤوسها كروية كبيرة، شعورها طويلة مجتمعة للخلف منسدلة، بعيون واسعة وأنوف صغيرة فطساء وأفواه صغيرة الشفاه منطبقة ومبتسمة، رقابها قصيرة منتفخة مطوقة بعدة قلائد، أزنادها منتفخة تكبر على حجم السواعد، أثدائها صغيرة وخصورها نحيفة، أحواضها كبيرة مكتنزة، يتدلى على عوراتها غالباً قلادات ضخمة تغطيها، أطرافها السفلى منطبقة غالباً بأفخاذ منتفخة ومكتنزة تفوق حجم سيقانها وأحياناً منفرجة بقوة تظهر جهاز الأخصاب غالباً عارية وأحياناً بأردية طويلة تغطي الأكتاف بأكمام نصفية مع بقاء الصدر عارياً(٦٩)، اما الأشكال المذكـرة فرؤوسهم كروية بشعور مجعدة تصل الأكتاف يعتليها قلانس مخروطية ملساء أو ذات عدة أزواج من القرون يلحق بها قطعة قماش طويلة منسدلة أو يلف الرأس بقطعة قماش عريضة ينسدل الفائض جانباً بعيون كبيرة واسعة وأنوف قصيرة وأفواه صغيرة منطبقة بابتسامة غالباً بشوارب ولحى كثة مجعدة طويلة وأحياناً حليقي اللحى والشوارب أطرافهم العليا متينة ومبرومة منفعلة الى كل الجهات خصورهم نحيفة مشدودة أطرافهم السفلى غالباً منفرجة سيراً وأحيانا منطبقة أو مثنية جلوساً أرديتهم طويلة تغطي الأكتاف بأكمام نصفية أقدامهم صغيرة عارية. كما في الاشكال (٣٢ – ٣٧). واتسم الفن في الحضارة البابلية بتكوين الاشكال الحيوانية والخشرية والمركبة والهندسية والمحورة والتي صنعت بالنحت المدور والبارز على الطين النقي النضيج والمطلي بألوان حرارية(٧٠) والحجر والبرونز(٧١) بأحجام مختلفة كبيرة غالباً، كالثيران المنتفخة بقرنين قصيرين حلزونيين تصاحبهما للخلف أذنان صغيرتان بعيون مدورة صغيرة ومناخير واسعة وأفواه صغيرة منطبقة رقابها منتفخة أجسادها بدينة بصدر عريض تنتهي بذيل منسدل قوائمها طويلة رشيقة او الاسود رؤوسها كبيرة بأذنين صغيرتين وعيون صغيرة بارزة وأحياناً مطعمة أفواهها كبيرة صارخة غالباً بأنياب رقابها قصيرة يعتليها شعر كثيف أجسادها ضخمة منتفخة تنتهي بذيول مرتفعة معقوفة قوائمها قصيرة منتفخة مبرومة بمخالب أو معدومة منها، او جسد أسد برأس تنين برقبة رفيعة طويلة وصدر كبير ينتهي بذيل طويل متموج مرتفع للأعلى يستقر على قائمتي أسد من الأمام وعلى أرجل ضخمة لطائر جارح من الخلف بمخالب طويلة(٧٢) او أشكال هندسية ونباتية وحيوانية بوحدات متساوية تجتمع في أشرطة متوازية ومتجاورة باتجاهات مختلفة . كما في الاشكال (٣٨ – ٤٢).


(شكل ٣٢) (شكل ٣٣) (شكل ٣٤) (شكل ٣٥) (شكل ٣٦) (شكل ٣٧) (شكل ٣٨)
(شكل ٣٩) (شكل ٤٠) (شكل ٤١) (شكل ٤٢)

خامساً: عصر الحضارة الآشورية: والتي اتسمت الأشكال الإنسانية بان بنيتها تقوم على طول وضخامة الأجساد المذكرة وقصر ونحافة الأجساد المؤنثة، غالباً متحركة الأطراف العليا منفعلة الى كل الجهات فارغة ومحملة صامتة، الأطراف السفلى بأحجام مختلفة غالباً أكبر من الحجم الطبيعي بالنحت المستدير والبارز على الطين النقي وحجر البازلت(٧٣) والرخام والمرمر(٧٣٤) والعاج الخام(٧٥) وبالرسم على مساحات واسعة بالألوان الأساسية يغلب عليها الأصفر والأحمر المعتم ويحدها الأسود غالباً، أما الأشكال المؤنثة فرؤوسها صغيرة مغطاة بقلنسوة نصف كروية أو مشدودة بقطعة قماش، شعورها قصيرة مجعدة تصل الأكتاف، عيونها كبيرة واسعة بارزة غالباً، أنوفها قصيرة فنصاء أحياناً، شفاهها منطبقة صامتة، أثداؤها صغيرة، أطرافها العليا نحيفة مطوقة بأساور حول المعصم وفي أعلى الساعد(٧٦)، أحواضها عريضة الجانب غير مكتنزة، أطرافها السفلى منفرجة ثابتة وقوفا ومثنية جلوسا، أرديتها طويلة تغطي الأكتاف أو أحدها ونادراً عارية، اما الأشكال المذكـرة، فرؤوسهم كبيرة مدورة، يعتليها قلانس نصف كروية أو نصف أسطوانية تشبه الطربوش بنتوء مخروطي صغير في الوسط(٧٧)، شعورهم طويلة مجعدة أحياناً تجتمع الى الخلف(٧٨)، عيونهم كبيرة واسعة بارزة وغائرة، أنوفهم طويلة بارزة للأمام، أفواههم صغيرة منطبقة الشفاه نادراً مبتسمة، أذانهم كبيرة محلاة بأقراط طويلة غالبا(٧٩)، رقابهم

عريضة محلاة بقلائد منتفخة، أكتافهم عريضة، أطرافهم العليا ضخمة بعضلات مطوقة بأساور في المعاصم وخواتم في الأصابع، أطرافهم السفلى منتفخة مبرومة العضلات منطبقة ومنفرجة، أرديتهم طويلة تغطي الكتفين ونصفية قصيرة تمتد الى الركبتين(٨٠) مشدودة على الخصر بأحزمة منها مبتورة بزاوية من الأسفل .كما في الاشكال (٤٣ – ٤٧). واتسم الفن في الحضارة الآشورية بتكوين الاشكال المركبة والهندسية والمحورة والتي صنعت بأحجام مختلفة بالنحت المدور والبارز من البرونز(٨١)، والعاج والخشب والعظام وحجر الكلس(٨٣) وفي البناء من الاجر المشوي والألوان النضيجة بالحرارة والصخر والحجارة(٨٢)، مثل رؤوس أنسانية مؤنثة بتيجان منها مزدوج العينين تلتحم بأجساد أسود يعتليها جناحان مفترشان الى الأعلى، او رؤوس أنسانية مذكرة بقلانس ذات زوجين من القرون تلتحم بأجساد أسود وثيران مجنحة مفترشة كبيرة الى الأعلى والجوانب او أجساد أنسانية مؤنثة بقلانس ذات أزواج من القرون ينطلق من ظهورها زوجين من الأجنحة مفترشة الى الجوانب أثنين أعلى وأثنين هابطة، أو جسد أنساني مذكر نصفه الأسفل يلتحم بقوائم قصيرة منتفخة لثور مع ذيل ينسدل أسفلاً(٨٤). كما في الاشكال (٤٨ – ٥١).



(الاشكال ٤٣– ٥١)

المحور الثالث: الرسم العراقي المعاصر بحث في المرجعيات التاريخية

ان البحث في تأريخ الحركة التشكيلية المعاصرة في العراق يكشف لنا ان الفن التشكيلي في العراق هو رافد من روافد الفن العربي التشكيلي المعاصر، فضلا عن مكانته المتميزة على الصعيد العالمي نظرا للروابط التأريخية التي تجمعه بجذوره الضاربة في القدم في ارض الرافدين، والتي منحته وفرة في عدد المصادر، وبالرغم هذا التعدد الا ان لم يؤدي الى تشتت في الرؤية الفنية للفنان المعاصر(٨٥)، حيث ان الرسام العراقي تعامل مع تعدد المصادر على انه انفتاح في المرجعيات الفكرية والثقافية والحضارية، وسعى الى استثمار المعطيات من خلال تأصيل فلسفة جمال عربية ذات جذور ممتدة بالقدم وذات افق مستقبلي. حيث أن مرجعيات الفن التشكيلي في العراق شكلت مسارا متكاملا لتلك المرجعيات كواقع حال وأسست تجربة للفنان العراقي فلسفة وتكنيكا وشكلا ومضمونا وفكرة وأطارا، منحت دافعية للبحث وربط التجارب بهدف جعل كل تلك المرجعيات منتجة لاسلوب تشكيلي واضح الرؤية ومحدد الهوية انطلاقا من حقيقة ارتباط الفنان العراقي بأرضه، فمنذ اوائل القرن الماضي بدأت التجارب التشكيلية في العراق على يد عدد من الرسامين الهواة(٨٦)، والتي استمرت ولا زالت تتفاعل مع العوامل الثقافية الحاضرة لبلورة الأساليب والاتجاهات التي ارتبطت بوعي اولئك الفنانون، حيث انفتح الرسام العراقي على تيارات الرسم الحديث يعمق الرؤية في بنية الرسم العراقي الذي شهد نتاجات فنية جديدة وغنية بأشكالها(٨٧). كما ان البحث في مسارات الحركة التشكيلية العراقية يقودنا الى الوقوف عند العديد من المحطات، والتي منها جماعة بغداد للفن الحديث والتي ظهرت بزعامة جواد سليم عام ١٩٥١، حيث تبنت هذه الجماعة الحديث بلغة الفن(٨٨)، فمما تميز به اسلوب جواد سليم هو عدم الخوف من خوض التجارب بكل الاتجاهات الفنية، حيث ركز أسلوبه على عناصر واقعية فقد استقى من الأشكال والهيئات الواقعية والرموز المناسبة للعمل الفني ولم يتحدد بالأشكال بأطرها التقليدية، (شكل رقم ٥٢)، وحاول أن يربطها بالمعنى العام لتجربته الفنية، التي كانت غنية بالروابط بين الأشكال والواقع. فمرجعيات الصور ترتبط بآثار الماضي من الآثار القديمة (السومرية والآشورية) ومن الفن العالمي وتجربته الذاتية في البحث والتمثيل والتكييف والابداع(٨٩)، حيث انتجت تجاربه الفنية اكتشاف للقيم الجمالية التراثية وموقفه الثقافي والانساني كفنان مبدع استطاع ان يحفظ بتوازنه ما بين حضارته والحضارة العالمية معا(٩٠)، من خلال خلق أسلوب يحدد السمات لرسم عراقي عربي ويكون مؤثرا في حضارة هذا العصر، فرسوماته عبرت عن بحث

ودراسة تسعى لبلوغ الوسيلة الأكثر عمقا في تجسيد رؤيته الانسانية. فهو تحدى باستمرار العلاقة المباشرة بين الشكل والمضمون المباشر.

ان تجارب جواد سليم لم تكن الوحيدة في مسار الحركة التشكيلية، والتي احتضنت تجارب شاكر حسن آل سعيد التي كشفت عن أساليب واتجاهات متعددة، حيث بدأ آل سعيد رؤيته للعالم كتجربة بصرية تطور شيئا فشيئا نحو تأملية عن العالم, وتحولا من المجسد الى المجرد فكان يعبر عن أفكاره بخلق أسلوب يتسم بالواقعية وتجاوز المفاهيم السائدة واعطاء العمل الفني سمة معاصرة، إذ اهتم آل سعيد كثيرا بالسطح التصويري كتضاريس وحفريات, فبناءاته الشكلانية نتاج وعيه وثقافته ورؤيته الجمالية لنفسه والعالم المحيط, مبدياً الفنان بالموروث الحضاري الرافديني والاسلامي، منطلقاً من اطلاعه على تاريخ الفن العراقي القديم والشعبي والذي منحه اهتماما بخصائص الفن البيئي والشعبي في جوانبه الهندسية والرمزية والبدائية واختزال الأشكال الى دلالات محددة المقاصد(٩١).

ومن جانب آخر فان المصادر الفنية تشير الى ان الفن المعاصر في العراق لم ينفصل في الغالب عن الرؤية المعتمدة على مبدأ محاكاة العالم الخارجي في الرسم(٩٢)، مضيفاً اليها استلهامه للموروث الحضاري ليعزز اسلوبه الفني وموقعه من حركة التشكيل في العالم(٩٣)، وهذا ما يؤكده عادل كامل بقوله «إن الفن لم يكن بمعزل عن الواقع الاجتماعي نفسه، على رغم الصدمة التي أحدثتها المعارض المبكرة في بغداد، إن مهمة جيل الرواد كانت مزدوجة.. فالهوية الوطنية للفن لم تتبلور إلا على نحوٍ عفوي.. لكن الأسئلة بدأت تثار وأصبحت ذات تأثير مباشر لدى عدد من الفنانين: أسئلة لا تبرر الحداثة، وإنما لتجعلها متطابقة مع النوايا الفنية.. ولهذا السبب ظهرت ثلاث جماعات فنية هي: جماعة الرواد.. جماعة بغداد للفن الحديث.. وجماعة (الإنطباعيون العراقيون).. ومن خلال دراسة أسباب ظهور هذه الجماعات، يمكن التعرف على مغزى الأسلوب والمعالجات.. لكننا نتعرف عامة على نتيجة واحدة ألا وهي أن الفنان العراقي غدا مدركاً لمغزى المعاصرة دون إهمال الموروث.. وبشكل عام فإن التأسيس الفني، ووضع القواعد، كما في باقي الفنون، بدأ بهاجس الحداثة ونزعة التجديد. وهذه البداية أستطاعت أن تشكل قاعدة أو تقليداً للإبداع الفني. لكن الأسئلة حول (هوية) الفن ما زالت قائمة.. وما زال الفنان، يبحث عن هويته»(٩٤)، ويضاف الى ما تقدم ان الخصائص الفنية للرسام العراقي قد ارتبطت بعدة عوامل ومؤثرات ساهمت في تأسيس علاقات جديدة بين مكونات أو عناصر المنتج التشكيلي، واوجبت عليه يقوم بدوره في بلورة وتجسيد سماته الاسلوبية المتزامنة مع تحولات العصر وتطور الفنون فضلاً عن وجود حوافز تحفزه على تطوير اسلوبه وتحوله الابداعي لاسيما ان ذلك التحول يرتبط بالذوق الجمالي للعصر «المتمثلة بالقيم والمثل والمعتقدات الموجودة في بيئة معينة يوظفها الفنان من خلال مشاعره وترجمتها بما تلائم ثقافته وميوله ويكون الحافز الجديد هو المحدد لمضمون العمل الفني. وعلى مر تاريخ الفنون فان التغيرات التي تحصل فيها سببها الحافز الجديد(٩٥)، ونقلها بشكل تحولي الى معطيات تكون ذات سمه اسلوبية خاصة ومتحولة عبر الانتقالات الفكرية والتنفيذية وتكون بمثابة المتكون المبدع اي ذلك الناتج المتحول من حال الى حال يصاحبه تحولاً تقنياً وهذا التطور يصاحبه تطور او تحول على هيئة الشكل وطبيعة المنجز الفني بيد ان الاسلوب يبقى مميزاً لشخصية الفنان واسلوبه الفني والتقني بما يميز هذا الفنان عن ذاك، فالمقومات الاساسية للشكل لا يمكن حصرها في المفهوم التركيبي البنائي لها مع تأديتها الى جوهر ومضمون العمل الفني، اذ يختلف المضمون تبعاً لاختلاف الشكل فالمضمون هو جوهر العمل الفني والشكل هو مظهره الخارجي ويستحيل ان نفصل بين الشكل والمضمون فهناك ارتباط وثيق بينهما(٩٦). ومن التجارب التي الفنية التي نقف عندها تجربة فائق حسن، والذي عرف بأسلوبية تتراوح بين الواقعية والتجريدية والرمزية والتسجيلية، والتي ارتكزت على جماليات ذات الجذر الموضوعي والمتسمة بنزوع تجريدي، حيث مرت مراحل فنه بمحطات عديدة تذكرنا كل منها على نحو بأحد التيارات التي سادت في الرسم الحديث(٩٧)، واستمد من الواقع بكل معطياته منهجا واقعيا، ظل حريصا الى النهاية على عدم التفريط به ومغادرته, اذ استطاع أن ينقل العديد من المشاعر والأفكار بأسلوب منفرد و متميز عن أقرانه, واستطاع ان يكيف التجريد ويأخذه الى فضاء الواقعية طاردا الملامح الهجينة من فنه، كما كانت رسومه تعالج الفن بوصفه

لا ينفصل عن واقعية الحياة ويؤسس لفن وطني أي يرتبط ارتباطا واقعيا بالحياة الواقعية العراقية وذات تقنية ومهارة عالية. فقد أعاد الاعتبار لكل ما هو شعبي وعراقي باحثا عن الشخصية في رسوماته بتأكيداته على الموضوعات المختلفة التي أراد فيها أن يعبر عن المضمون الوطني بلغة الرسم. (شكل رقم ٥٣)

أما مساعي اسماعيل الشيخلي فقد ظهرت في تبسيط العمل للمساحات الهندسية، فالوجوه دوائر والعيون نقاط والأجساد والملابس مجموعة من المستطيلات والمثلثات والمربعات تتمازج بعلاقة تركيبية منتظمة، فالشكل في أعماله يسهل ادراكه بفعل امتلاكه لحدوده الخاصة من جهة والوانه المختارة من قبل الفنان من جهة أخرى. بالإضافة الى ذلك نجد ان الشكل متماسك ومنظم(٩٨). أما حافظ الدروبي فقد اقترب في أغلب رسوماته من المنهج التكعيبي في تحليل و تركيب الشكل العام من أجزاء مبسوطة وهذه الاجزاء تتداخل فيما بينها لتعطي منظورا يسعى الفنان جاهدا لتركيز فحوى حقائقه الجمالية، حيث اعتمد أسلوب تشظية المشاهد وتكسيرها الى وحدات زخرفية أو سطوح مصقولة متجاورة تسهم بمجموعها في الحفاظ على وحدة الموضوع المراد تصويره أو بنيته المعمارية مسايرة لاتجاهين في تاريخ الرسم هما التجريدي والتكعيبي والنزوع الى احداث تماثلية مع النظام التصويري للزخرفة العربية الاسلامية والرغبة في تحطيم سياقات النظر التقليدية واللجوء الى التسطيح، من خلال تناول المشهد المكاني للمدينة برؤية تجمع بين العقل والعاطفة أو بين التركيب والضبط الهندسي للشكل وانفعاله بالمشهد المرسوم. فالشكل بالنسبة لدية ليس الا سطحا لذا توغل بدراسة محركات الشكل

(٩٩)، فيما مثلت رسومات خالد الجادر حصيلة تأمل طويل وعميق للمكان وعلاقاته والتي تؤثر فيه أشد التأثير فالأكواخ والبيوت الطينية والمزارع والسماء المدلهمة بالغيوم والفضاءات، يرسمها بأسلوب ذاتي مليء بالحياة بعيدا عن السكون فقد أعطى الجادر مكانة كبيرة للطبيعة في رسوماته، فاللوحة عنده بشكل عام تؤدي دور الوسيط بين المشاهد والطبيعة، فهو مأخوذ بضربات الفرشاة النشطة والسريعة التي تؤدي مهمة تكريس الأشكال المنتقاة لحظة تسجيل الانطباع، وبهذا تبدو لمساته تحذف أكثر مما تصف مستجيبة لآنية الرسم وتعرض عن التأمل الذي يعيق تتابعية الضربات اللونية المتلاحقة التي ما أن تستقر على المساحة التصويرية، لا يجد ضرورة لإعادة صقلها على النحو الذي تبدو كما لو انها مطابقة للخارج، لهذا فالأشكال تتخذ وضعها النهائي آنيا حاملة معها شحنات تعبيرية توازي في ثقلها الجمالي(١٠٠). وقد تكون تجارب كاظم حيدر متخمة بالانحياز الى القضايا الانسانية حيث ضمت معظم موضوعات اعماله الفنية، فراح يصور الصراع بين الخير والشر، حيث استلهم قيم البطولة والاستشهاد والمأساة في معالجته للشكل والمضمون والذي كان توفيقا بين المضمون المأساوي للحادثة التاريخية والمضمون الموضوعي للعمل الفني، فأسلوب الفنان في معالجة مضامين لوحاته يتجه في أغلب الأحيان الى الايحاء الأسطوري وذلك بملامح المخلوقات التي يرسمها، فهو يعامل الخيول مثلا بشكل يضفي عليها بعض الصفات البشرية، فبعضها يحمل وجوها انسانية وكأنها تمارس الاحساس والانفعال ضمن أجواء الملحمة

(١٠١)، ومن بين التغيير الذي أحدثه كاظم حيدر في بنية الرسم العراقي هو الغاء المركز في اللوحة فاشكاله توزعت بطريقة تصميمية ضمن انشاء العمل وشغلت معظم السطح التصويري وتشظت معها نقاط الجذب بالنسبة للمتلقي وتعددت معها الدلالات والافتراضات من القراءات المستقرة الثابتة(١٠٢). (شكل رقم ٥٤)



١ . ان الرسام العراقي يمتلك وفرة في المصادر والمرجعيات الفكرية والثقافية والشكلية، والتي منها المرجعيات الرافدينية، والتي تنوعت في مصادرها ما بين السومري والبابلي والآشوري، إذ تعامل الرسام العراقي مع تعدد المصادر على انه انفتاح في المرجعيات الفكرية والثقافية والحضارية، وسعى من خلال ذلك الى استثمار المعطيات من خلال تأصيل فلسفة جمال عربية ذات جذور ممتدة بالقدم وذات افق مستقبلي.

٢ . ان الفنان العراقي وظف المرجعيات الرافدينية في صياغة مفردات وعناصر العمل الفني، سواء في طبيعة الشكل وتوظيفه أو في طبيعة اشتغاله داخل فضاءات اللوحة. حيث اتسمت التجارب الفنية للرسام العراقي باكتشاف للقيم الجمالية التراثية وموقف ثقافي انساني كفنان استطاع ان يحتفظ بتوازن ما بين حضارته والحضارة العالمية معا

٣ . اتخذ الأسلوب عند الفنان نمطا خاصا في طريقة تعبيره الفني عن مجمل خبرته ومعرفته وثقافته الفنية. حيث ركز أسلوبه على عناصر واقعية فقد استقى من الأشكال والهيئات الواقعية والرموز المناسبة للعمل الفني ولم يتحدد بالأشكال بأطرها التقليدية، وحاول أن يربطها بالمعنى العام لتجربته الفنية، التي كانت غنية بالروابط بين الأشكال والواقع. فمرجعيات الصور ترتبط بآثار الماضي من الآثار القديمة

٤ . ان للموروث الرافديني حضور فاعل ومؤثر على المنجز الفني المعاصر تمثل في اعتباره وسيلة تعبير وتواصل في ذات الوقت، فالمفردة وتكوينها تمتلك جذراً في الوعي الجمعي للمتلقي مرتبط باللبيئة العراقية الحاضنة لهذا الموروث

٥ . ان الشكل في الموروث الرافديني اتسم بكونه امتداداً للماضي بكل جزءياته الحضارية، واتخذ لدى الفنان العراقي شكلاً وتقنية مبسطة كتبسيط العمل للمساحات الهندسية، وتحديد الوجوه في الدوائر والعيون بالنقاط والأجساد والملابس كمجموعة من المستطيلات والمثلثات والمربعات تتمازج بعلاقة تركيبية منتظمة.

المحور الرابع: الإطار الإجرائي للبحث

أولا: مجتمع البحث: نظرا لكثرة أعمال الرسم العراقي المعاصر وتنوع مصادرها ولصعوبة حصر أعدادها, فقد اعتمدت الباحثة على ما متوفر من نماذج في المصادر المتخصصة والكتب والمجلات ومواقع الشبكة العنكبوتية وتم اختيار عدد من الاعمال الفنية تمثل اطار مجتمع البحث.

ثانيا: عينة البحث: اختارت الباحثة اربعة أعمال فنية وفقا لمسوغات الآتية:

١ . شهرة الأعمال.

٢ . تنوع أساليب انتاجها.

٣ . استبعاد الأعمال الفنية التي تكرر أسلوبها البنائي.

ثالثا: منهج البحث: اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي في تحليل عينة البحث.

رابعاً : أداة البحث : تم أعتماد المؤشرات التي توصلت إليها الباحثة من الإطار النظري كمحاكاة لتحليل الأعمال الفنية المختارة كعينة بحث .

خامساً: تحليل العينات :

نموذج رقم (١)

الرسام: ضياء العزاوي

العنوان: رجل وامرأة



يمثل هذا العمل وهو احد الأعمال الجميلة للفنان ضياء العزاوي موضوعة اقتران الرجل والمرأة إذ يصور العمل شكلين آدميين يقفان معا، وقد مالَ الفنان في هذا الموضوع إلى الاختزال في تصوير الشكل الخارجي للاجسام والحركة، وقد استغل موضوع اللوحة لإعطاء مناخ لوني مُعيّن وبناء نوع من الحركة المنظورية وبلمحة هندسية للموضوع، حيث أنه رسمهما متلاصقين ولقد اختزل الفنان الأشكال واتخذها سبيلاً لتوصيل التعبير، وأن الفراغ الموجود في العمل يعود إلى طبيعة الموضوع الذي يُمثّله حيث فضاء الليل، وإن الجسدين هما مركز التوازن في اللوحة. وقد قام الفنان برسمهما باعتماده على الخط والتباين اللوني، فالتكوين وجماليته يُقرّب المُتلقي إلى الاتجاه التجريدي في الرسم مع استخدامه للشكل الهندسي في ملامح الوجهين. وكذلك نلاحظ استخدام الفنان للألوان الباردة كالأزرق. وكذلك فقد استخدم اللون الغامق والهلال للإشارة لليل الطاغي، تعمد الفنان في اللوحة اختزال الاشكال والمناظر الى أشكال أساسية ونلاحظ في هذا العمل البساطة والجمال، وهو بحث في التاريخ والموروث الشعبي وإحياء الماضي وقد تجلّى ذلك في الرموز المُجردة والمُختزلة في هذا العمل بسمات هندسية. ولقد كان الفنان مُسيطراً على اللون بعُمق ليأخذ المتلقي بطبيعة العراق وبيئته، واستخدم الفنان في هذه اللوحة الأسلوب التقسيمي بسمات هندسية حيث يعتمد بذلك على تقسيم السطوح إلى مجموعة ألوان متجاورة وصريحة دون أن يمزجها أو يخلطها، والتي نلاحظ فيها استغلال الفضاء اللوني لخلق مجموعة من العلاقات ذات البعد المؤثر، وبذلك تنعكس رؤية الفنان الذاتية في سمات عمله الفني وكنتيجة لمعالجتها واكتشاف الاشكال الهندسية والجمالية فيها عبر اعادة صياغة وجودها في السطح التصويري، ومن تداخل الموضوع مع اجزائه فقد ظهرت جمالية السمات الهندسية بشكل فاعل ومتحرك كي يبرز العمل من الناحية اللونية والجمالية للأشكال إذ اوجد علاقات مؤثرة ومتطابقة مع الجوهر.



نموذج رقم (٢)

الرسام: سعاد العطار

العنوان: مضيف عربي

ليس من الصعب على الناظر العثور على عناصر اللغة البصرية المستحضرة من الماضي، فالمخلوق المجنح من النقوش الآشورية والمنحوتات السومرية، والذي مثل استخدامه وتوظيفه في اللوحة وعياً بالتراث الحضاري، والممزوج بخيالها الرومانسي الخاص وتقدير التقاليد التصويرية الغربية خلق صورا مبهمة حيث يتشابك السرد والرمزية. وهذا قد يكون سمة عامة للوحات سعاد التي تتميز بالخيال الشديد والإحساس الشاعري الذي يعتمد على الزخارف والرموز ضمن تقاليد الفن في الشرق، ناهيك عن كونها من الفنانات اللاتي لهن فلسفة ولغة فنية معاصرة ومنطلقات تعبيرية خاصة، وضعت من خلال تجاربها بصمة مميزة في عالم التشكيل، وفي اللوحة تأكيد على القيم الواقعية في الفن، والتأكيد على الإنسان وما يحيط به كقيمة أساسية في العمل الفني، حيث تضمنت إيقاعا متناسقاً تدور حول الحياة الشعبية ذات البعد الحضاري الحافل بالرمزيات، ناهيك عن قدرتها في الربط بين الواقع والخيال والقدرة في التعبير عن المرأة التي ترى نفسها فيها، برقة شديدة وألوان جذابة، كما نلاحظ في اللوحة تأثرها الكبير بالفن الآشوري، كما أن العناصر والرموز التشخيصية التي وظفتها على مسطح لوحاتها ورغم أنها قريبة من الأجسام المحنطة، إلا أنها تسرح بالخيال وتذكر بالأحلام ، وتحمل دلالة القوة والنماء والاستمرارية، وهي ذات معان في التراث العراق. وتستحضر لوحة العطار فضاء آخر من العالم، تبدو فيه الشخصية المرسومة بنمط أحادي اللون، وكأنها تنبثق من عمارة متلاشية حيث تحدق هذه الشخصية بالمشاهد وتدعوه للاشتراك في حكاية ملحمية مشبعة بالانفعالات وكأن الجمهور هو المفسر النهائي للمشهد الملغز. حيث تتميز اللوحة من خلال هذا الشكل المصور بانها تمثل منظراً للانثى، التي صورت من خلال التلاعب بالاشكال من ناحية التجزئة ثم اعادة تركيبها بشكل يختلف عن سابقتها بما ينسجم مع تجربة الفنانة الذاتية. على الأشكال مختزلة والقيم اللونية المنقسمة على شكل خطوط منحنية وموزعة على أشكال هندسية من اللون

النقي حول مساحة الإنارة التي تستقطب الحركة المركزية. ونلاحظ ان هذا العمل اعتمد في بنائه الشكلي على مزيج من الأشكال والرموز الفنية والحضارية وكذلك الألوان المختلفة والتي استخدمت لأشباع حاجة جمالية من دون الأعتماد على التعبير الواقعي الصرف والتعبير التشخيصي الذي نراه موجود في أي عمل فني اخر حيث عمدت الفنانة على أعطاء الفضاء شيء من الصلابة والحدية بالاشكال فنراها قوية وثابتة. أما السطح اللوني المستخدم فقد اتم تأثيره المباشر وكذلك العناصر التشكيلية الأخرى والتي كان لحضورها نسيج متماسك وبالرغم من عدم اهتمامها بالتمثيل والتعبير المباشر على سطح اللوحة، لكنها أدت أغراض جمالية ووظيفية من خلال الحركة التي أوحت بها هذه الأشكال في اطار رؤية بصرية تشكيلية، اذ نراها ربطت اللون بالشكل من جهة وربطت بالخط من جهة اخرى، لتساهم في أكتشاف الصيغ العامة والخاصة التي تجسدت من خلال الرموز والأشكال التي نراها على سطح اللوحة. كذلك تم اختزال الشكل المرئي وتحويره على سطح اللوحة متأثراً بالفن الآشوري، من خلال توليف فني لأشكال مختزلة داخل النموذج الواحد خدمة لمضمون العمل الفني. ويمكن القول ان البساطة تأكدت في جمالية صياغة الاشكال مبتعدة عن التعقيد لتؤسس منهجاً ذاتياً يسعى الى نقل الانفعال الذاتي لتحقيق التعبير من خلال الوسائل المتاحة، حيث يكون التعبير طريقاً لتحقيق حداثة تتخللها سمات فطرية هي بحقيقتها وسيلة تتفرد بها الذات وتتحول انفعالاتها الى فعل يتخذ ابعاده الحقيقية من خلال المزج الحاصل في الاداء تجريبياً، وندرك من خلال ذلك فعالية التشبث بختميات الذات وهي تنقل العلاقات التي تربط عناصر العمل الفني الى وظائف جديدة تتحول فيها جمالية سمات الشكل الى صيرورة تفترظ صوراً وافكار تتلائم مع فواصل التعبير المتعددة .

نموذج رقم (٣) الرسام: ماهود احمد العنوان: مجهول



إن المضمون التأمُّلي في اللوحة يمثل انعكاساً لرؤية فلسفية لدى الفنان ماهود احمد، والذي جسد القيم التراثية والحضارية المُحمّلة بالدلالات والتي تعكس موقف الفنان الاجتماعي مستلهماً إمكانية الإيحاء من ايقونية المرأة والثقافة وطاقته التجريدية، فالمرأة والوجه الرافديني كلاهما ضحية في عالم طافح باغتيال الثقافة والروح العراقية، حيث اكد الفنان في عمله هذا على شاعرية الفنان واحساسه من خلال تجاور الاشكال لبعضها لايجاد شيء جديد بنسق معين وفق نظام هندسي، فالتكوين في هذا العمل كعنصر تشكيلي محدد وفضاءاتها ملتصقة لخلق نوع من التكامل والانسجام، وقد اعتمد الفنان الألوان الأساسية والثانوية ذات الملمس الخشن بانسجام وتناسُق لإبراز جمالية هذا العمل الفني وقد كان العمل مُنطلقاً من المرجعيات المتعددة للفنان ولمفرداته البيئية وإلى رؤيته في استلهام المرأة كقيمة جمالية. وتلاعب الفنان بأشكاله من خلال تفكيكها وتجميعها على شكل قطع لتميزه عن الاشكال الواقعية ليمكن مشاهدة العمل بشكل متكامل على السطح التصويري كأنشاء متكامل وبسمات جمالية. حمل الفنان ماهود أحمد ضمن الرؤية الواقعية للدلالات والرموز والموروث الاسطوري والشعبي، وفي الذاكرة الجمعية المتراكمة للموروثات الشعبية والاجتماعية حيث تعامل الفنان ماهود أحمد مع جسد المرأة، على أنه الحامل للرمز الذي تنتجه المخيلة في بيئة جنوب العراق، وهي بيئة تزخر بالرموز والتشفيرات وموروث هائل من الاساطير والحكايات، كونها منطقة ولدت فيها أعظم الحضارات التي قدمت للبشرية رؤى في مختلف شؤون الحياة، ان ماهود احمد سعى من خلال اللوحة الى تفعيل المعنى الحسي لجسد المرأة في وحدة تلاحم ينفي عنهما الغربة التي أحدثتها التقنية الحديثة للشكل، مستفيدا من المنهج التعبيري بعدم أكتراثه بالواقع كاساس لكشف علامات النص، مع ايجاد الحركات القصدية للجسد غير التقليدية، فياخذ علاماته ورموزه في أشكاله مما توفره البيئة معتمدا على الخيال كاساس في المرموز العقلي ويبقي الواقع كحقيقة لا تتغير، فحركة الجسد في تعبيراته يصنع التوازن ما بين الروح والجسد بانتاجه لمعنى الجمال من خلال هذا التحوير المتعمد في الحركات التقليدية، وخاصة في بناء علاقة بين رفضه للواقع وبين جره الأساطير والميثولوجيا الشعبية بما يخدم توجهات الفنان الفكرية وخيالاته التي تمنحه أحاسيس مرهفة ومشاعر تعيد له بهاء المخزون في اللاوعي، من خلال لجوءه إلى تقنية

أحاسيس مرهفة ومشاعر تعيد له بهاء المخزون في اللاوعي، من خلال لجوءه إلى تقنية حديثة لصياغة التعبير فجاءت خطوطه حادة والوانه معبرة على شكل البيئة التي يزخر فيها اللون، محولا حرارة الالوان الى هدوء وسكينة، مع اعطاء الضوء اكبر مساحة على سطح اللوحة، وهو بهذا حاول أن ينقل الواقع من خلال اللون والفكرة مستخدما التقنية الحديثة في الخطوط وبناء الاشكال للتعبير عن حالات واسقاطات الواقع على الفرد، وهو ما نجده في مجمل وجوه النساء اللواتي ظهرن في اللوحته، والتي تشابه في شكل الوجه بجماله الجنوبي مع مسحة حزن ترتسم بدون أظهارها بالقصد، مقوسات بخطوط حادة للجسم.

نموذج رقم (٤)
الرسام: مؤيد محسن
اسم العمل مجهول



بالرغم من ضبابية اللوحة إلا انها خالية من الفراغات، هذا ما يمكن استشفافه عند النظر لها، فالالوان غارقة ببحر من الضبابية بالرغم من تضمنها اقتباسات واضحة لكن بانفعالات غامضة وتاثيرات واضحة بالمرئيات، المجسدة بالوان تجسد الروح بسحر موضوعي للشكل والمضمون وبروابط ازلية متفاعلة انسيابيا ومتطورة حضاريا، وباسلوب تعبيري محكم فنيا يحافظ بذلك على التاثير المقدس، والذي تفاعل مع حضور الشخص الساجد بما وراء العقل هروبا من الواقع البشع ففي اللوحة الم وحزن يخترقان فضاءات المكان والزمان، والخراب يمس عوالم الحياة التي تنطق بها، كما ان استحضار العمل الرافديني في بنية العمل ومنحه مساحة من الاستقطاب البصري منح العمل صفة المحاولة لتهشيم بنيات الواقع والغاء تراتيبيته ونمطيته المالوفة لخلق غرائبية.. واقعية مختلفة، وهو بهذا الاشتغال والمسعى يتماهى مع تجارب فنية معروفة لها مساحة من الحضور الجمالي الراسخ، فسريالية مؤيد محسن تعبر عن تفاصيل التجربة وتجلياتها المعبرة عن ذات انسانية متوقدة، انتجت محمولات دلالية عالية الافصاح عن جوهرها في هذه اللوحة ، والتي يمكن ملاحظة تجليات الضوء فيها لخلق مساحات من التركيز والتشتيت في ذات الوقت، تمكن من خلالها من استثمار وجود الشكل الرافديني برمزيته الثقافية والانسانية (مساحة وكتلة من الألوان الغامقة)، اذ عالج الفنان رمزياً قضايا الإنسان والصراع بين مفهومي التقيد والحرية ذلك المفهوم الذي طالما سكن عقل الأنسان وطالما سعى الى تحقيقه، الأمر الذي جعل مفردات اللوحة نابضة بالانفعال، أن مؤيد محسن ومن مفهومه لجمالية للشكل المجرد اخضع الرسم لمنطلق الضبط العقلي، والحصيلة التي خرج منها الفنان في فهمه لحركة التحديث في الفن ، هو استبعاده للذاتية ولو جزئياً ، والتخلي عن المحسوس بوصفه مرجعاً ، فقد خط لنفسه هذا الفنان رؤية ذاتية من خلال ما أملته عليه مخيلته في ان جعل لوحته فضاءاً مفتوحاً يعادل بأثر هندسي يوحي به أستخدام الشكل لأن الشكل يمنح حساً من التماثل التام والمحكم وبما يمتلكه من تشابه في ابعاده وقابلاً على تكرار ذاته فقد سيق الشكل ماديته ليبحر الشكل مقترباً من الروحي المغيب الذي يتخذ رموزاً لدى الفنان. والتي تحمل طاقتها في الأثبات امام متغيرات الزمن ، مثل هذه الأشكال غير المحسوسة تؤثر في الأنسان كونها مؤثرات ادراكية وبذلك يصبح العمل عبارة ثيوصوفية تتداخل مع ذلك الموضوع المغيب بوصفه مظهراً خارجياً لبنية داخلية معقدة ، وبذلك فأن الحرية التي يمتلكها الفنان لم تقده الى الفوضى والعبث بل بالعكس كانت اشكالاً تنم عن عقلانية واضحة قادرة على اثارة التأمل وتحويل العمل الى بنية معرفية من خلال الشكل ذي الأبعاد الهندسية المتحركة والفضاء الذي يمثل البعد التأملي الذهني، فقد حاول الموازنة من خلال

حله لمشكلة الكتله التي تمثل شكل الأنسان بالفضاء المحيط بها بحيث تظل الكتلة هي المحور الذي يدور حوله الفضاء.

نتائج البحث :

أعتماداً على ما تقدم من تحليل عينة البحث، وفضلاً عن ما جاء به الإطار النظري وفي ضوء هدف البحث ، توصلت الباحثة إلى جملة من النتائج هي على الوجه الآتي :

١. ظهرت مرجعيات الشكل الرافديني في الرسم العراقي المعاصر من خلال استحضار الرموز والاشكال وآليات الحركة والاتجاه والنوع والقياس والعلاقات والتي تكشف بمجملها عن جمالية هذه المرجعيات .
٢. اوجد الفنان علاقات مركبة وزوايا جديدة استخدمت عبر الاشكال المتحركة لتكوين اشكال غريبة لايجاد نوع من التوليفات المتجددة .
٣. ان الاعمال التي تضمنت ايقونات رافيدينية حققت صيغ عقليه تعتمد على الفهم العقلي للشكل مما جعل منها تجارب فنية متخمة بالحيوية الدلالية
٤. ان توظيف الفنان لمرجعيات الشكل الرافديني ساهم في ايجاد انشاءات متوازنة ومتكاملة في الحد الاقل للسطوح اللونية والخطوط المترابطة لاجزاء العمل الفني.
٥. اتيح للفنان المعاصر فرص الاطلاع على الفنون القديمة والحضارات السابقة كالحضارات العراقية مما انتج هذا التغير في المفاهيم الفنية.
٦. وظف الفنان الشكل الرافديني لخلق مساحات هندسية وباحجام مختلفة لتكوين انشاء متكامل لتغطيه اللوحة حيث استعمل الفنان كل ما يمكن من الاشكال الرافدينية لأنتاج الاشكال واظهار التناغم الايقاعي للالوان التصويرية داخل فضاء اللوحه مع مراعاة الانشاء .
٧. ظهرت جمالية السمات الهندسية من خلال توظيف الرسام العراقي المعاصر للجانب التقني على السطح التصويري والمتحقق في جميع عينة البحث
٨. تتجلى للباحثة مما تقدم إن لمرجعيات الشكل الرافديني تأثيراً على الرسم العراقي المعاصر وهذه السمات قد تجسدت في جميع الرسوم التي تضمنتها عينة البحث المتمثلة في اللوحات التي تم تحليلها على الرغم من إن هذه المرجعيات قد تباينت في حجم التأثير الذي تتركه على اللوحة.

التوصيات :

أستناداً لما تم التوصل اليه من نتائج في هذا البحث تقترح الباحثة:

١. ادخال موضوعة الشكل الهندسي كمفردة دراسية في مناهج التدريب والتعليم والتربية الفنية.
٢. تقترح الباحثة ان يكون لموضوع مرجعيات الشكل الرافديني للشكل جزءاً من عناصر الفن المثبتة في مناهج الوحدات الدراسية.
٣. اعتماد مرجعيات الشكل الرافديني في التعامل مع الأعمال الفنية لأثرها الفعال لدى المتلقي .

قائمة المصادر

١. الدريه ايمار – جانين ابوايه ، تاريخ الحضارات العام ، ت ، فريد م . داغر – فؤاد ج . ابو ريحان ، ط ٢ (بيروت ، عويدات ، ١٩٨٦)
٢. الدريه بارو – الدريه مالرو ، سومر فنونها وحضارتها ، ت ، عيسى سلمان – سليم طه ، ط١ (بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٧٩)
٣. انطوان مورتكارت ، الفن في العراق القديم ، ت ، عيسى سلمان – طه سليم ، ط١(بغداد، وزارة الاعلام ، ١٩٧٥)
٤. اي .اي . سبيرز ، حضارة وادي الرافدين ، ت ، كاظم سعد الدين ، ط ١(بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٤)
٥. بهنام أبو الصوف ، ظلال الوادي العريق ، ط ١ (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٢)

٦. ثروت عكاشة، الفن العراقي سومر وبابل واشور ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات ، ١٩٨٢)
٧. جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ج ١ ، ط ٢ (القاهرة ، مطبعة الهلال ، ١٩٢٢)
٨. حلمي محروس ، الشرق العربي القديم وحضارته ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٧)
٩. رشيد الناضوري، دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق، جامعة الاسكندرية، ١٩٥٨
١٠. روبرت كولديقاي، معابد بابل وبورسيبا، ت ، نوال خورشيد، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٥
١١. سيتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ت: يعقوب بكر ، (بيروت ، دار الرقي ، ١٩٨٦)
١٢. شارل سنيوبوس، تاريخ الحضارة، ت ، محمد كرد علي، القاهرة ، مطبعة الظاهر، ١٩٠٥
١٣. صبحي أنور رشيد ، تماثيل الاسس السومرية ، بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨٠
١٤. قراس السواح ، لغز عشتار ، ط ٨ (دمشق ، دار علاء الدين ، ٢٠٠٢)
١٥. فؤاد سفر – ميسر سعيد ، عاجيات نمرود ، ط ١ (بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ٩٨٧)
١٦. كرستوفر لوكاس ، حضارة الرقم الطينية في العراق ، ت ، يوسف عبد المسيح ، ط ١(بغداد ، دار الجاحظ ، ١٩٨٠)
١٧. ل. ديلا بورت ، بلاد مابين النهرين ، ترجمة ، محرم كمال ، (القاهرة ، الهيئة المصرية ، ١٩٩٧)
١٨. مارغريت روثن ، تاريخ بابل ، ت ، زينة عازار – ميشال ابي فاضل ، بيروت ، عويدات ، ١٩٨٤
١٩. ماكس مالوان ، مذكرات مالوان ، ترجمة ، سمير عبد الرحيم ، (بغداد ، دار المامون ، ١٩٨٧)
٢٠. محمد ابو المحاسن عصفور ، معالم حضارات الشرق الادنى القديم ، ط ٢ (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٧)
٢١. ميرسيا الياد ، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية ، ت ، عبد الهادي عباس، دار دمشق ، ١٩٨٦
٢٢. هورست كليتكل ، حمورابي البابلي وعصره ، ت ، محمد وحيد ، (دمشق ، دار المنارة ، ١٩٩٠)
٢٣. و . ج ، دي يورج ، تراث العالم القديم ، ت ، زكي موسى ، (القاهرة ، مكتبة الاسرة ، ١٩٩٩)
٢٤. اندريه ايمار – جانين أيوايه ، تاريخ الحضارات العام ، ترجمة فؤاد .ج . أبو ريحان – فريد م . داغر، (بيروت ، عويدات ، ١٩٨٦)
٢٥. اندريه بارو، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة، عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨
٢٦. بهنيسي، عفيف، الثورة والفن، وزارة الاعلام مديرية الثقافة العامة، ١٩٧٣م
٢٧. تودورف وآخرون، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة، عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠
٢٨. ثروت عكاشة ، الفن العراقي سومر وبابل واشور ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات ، ١٩٨٢)
٢٩. جيرا ابراهيم، جبرا، العودة الى مدارج المجهول، مجلة المثقف العربي، ع٤، ١٩٧١
٣٠. ديورانت، ول، قصة الحضارة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت
٣١. الرديني، صلاح ردمان سيف، المرجع في الرسم المعاصر في اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠٠٥م
٣٢. زهير، صاحب واخرين: دراسات في بنية الفن، مطبعة إيكال، بغداد،٢٠٠٢

٣٣. سيتيتو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ت: يعقوب بكر ، (بيروت ، دار الرقي ، ١٩٨٦)
٣٤. ستولنتز، جيروم، النقد الفني، ترجمة، فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ،١٩٨١
٣٥. سعد الله، محمد سالم، السياق السيميائي للوحدات المجازية (إشكالية القراءة وآليات التأويل)، مجلة الموقف الثقافي العدد٢٤ ، السنة ١٩٩٩
٣٦. سلفرمان، ج، هيو، أصل وأصول التأريخ بين فوكو ودريدا، ترجمة، حسن ناظم، مجلة بيان الثقافية، ع٨٣،المغرب، ٢٠٠١
٣٧. مارتن هيدجر، أصل العمل الفني، ترجمة، أبو العيد دودو، منشورات دار الجمل، ألمانيا، ط١، ٢٠٠٣
٣٨. شقرون نزار، شاكر حسن آل سعيد .. الحقيقة في الفن، المركز العربي للفنون، الشارقة، ط١، ٢٠٠٩
٣٩. شوكت الربيعي،: لوحات وأفكار، السلسلة الفنية، دار الحرية للطباعة، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٦
٤٠. صاحب، زهير و الخطاط، سلمان، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين
٤١. الصالح، صالح العلي – الأحمد، اميته الشيخ سليمان ، المعجم الصافي، الرياض ،٢٠٠٩
٤٢. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢
٤٣. عادل كامل ، الرسم المعاصر في العراق، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٨
٤٤. عادل كامل، المصادر الاساسية للفنان التشكيلي المعاصر في العراق، الموسوعة الصغيرة، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٩
٤٥. عاصم عبد الامير الاعسم ، جماليات الشكل في الفن العراقي الحديث، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة ، ١٩٩٧
٤٦. عاصم عبدالأمير، فائق حسن بعيدا عن الواقعية، نشرة الواسطي، قسم التوثيق و الدراسات الجمالية، ع١، السنة الثانية، مركز الفنون، بغداد، ١٩٩٤
٤٧. عاصم،عبد الأمير، الرسم العراقي .. حداثة تكييف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤
٤٨. عبد الحميد، شاكر، العملية الإبداعية في فن التصوير، عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٠٩، ١٩٨٧
٤٩. فوكو، ميشيل، حفريات المعرفة، ترجمة، سالم يفوت، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ١٩٨٧
٥٠. الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة ، ٢٠٠٨
٥١. القصاب، د. سعد، المرجعية الجمالية، دلالتها وطبيعة تحققها في العمل الفني الفن العربي الحديث نموذجا، مجلة الفنون والإعلام، العدد السابع، ٢٠١٩، تاريخ الزيارة (٢٠٢٣/١٢/٥)، متاح على الرابط، http·//mdr.misuratau.edu.ly/handle/123456789/1006
٥٢. كلود ودايمون لويلان جريمان، علم الدلالة، ترجمة، نور الهدى لوشن، دار القاصل، دمشق، ١٩٩٤
٥٣. لويد ، سيتون، فنون الشرق الادنى القديم ، ت ، محمد درويش ، بغداد ، دار المأمون ، ١٩٨٨
٥٤. محمد الجزائري، الفن والقضية، دار افاق عربية، بغداد، ١٩٧٧
٥٥. محمد جلوب الكناني، حدس الانجاز في البنية الابداعية بين العلم والفن، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ٢٠٠٣
٥٦. مرتاض، عبد الملك، تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة، الجزائر، العدد ١٠، ٢٠٠٥
٥٧. مصطفى، عادل، دلالة الشكل، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة
٥٨. معجم المعاني الجامع، تاريخ الزيارة (٢٠٢٣/١٢/١) متاح على الرابط، https·//2u.pw/27C1sdy
٥٩. المقداد، قاسم . هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي (جلجامش) . دمشق، ١٩٨٤

٦٠.مورتكارت ، انطوان الفن في العراق القديم ، ت ، عيسى سلمان – طه سليم ، ط ١ (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٥)
٦١.نزار سليم، الرسم العراقي المعاصر، ب ط، ايطاليا، ميلانو، ١٩٧٧
٦٢.نوري الراوي، تأملات في الفن العراقي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت،١٩٩٩
٦٣.نول، ماري & بريور،غاري، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ترجمة: عبد القادر فهيم الشيباني، ط١، سيدي بلعباس، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٩٠
٦٤.هاوزار ، ارنولد، الفن والمجتمع عبر التاريخ ، ترجمة، فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١
٦٥.هيدجر، مارتن، أصل العمل الفني، ترجمة: أبو العيد دودو، دار الجمل، ألمانيا، ط١، ٢٠٠٣
٦٦.ول ديورانت ، قصة الحضارة ج ٢ ، ت ، محمد بدران ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٨

---

[1] الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة ، ٢٠٠٨ ص٨٨١.
[2] الصالح، صالح العلي – الأحمد، امينه الشيخ سليمان ، المعجم الصافي، الرياض ،٢٠٠٩ ، ص٣١٠.
[3] مصطفى، عادل، دلالة الشكل، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ص٥٦
[4] صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ج١، ص٧٠٧
[5] عوض، د. رياض ، مصدر سابق، ص ٤٧، ٦١
[6] معجم المعاني الجامع، تاريخ الزيارة (٢٠٢٣/١٢/١) متاح على الرابط: https://2u.pw/27C1sdy
[7] مرتاض، عبد الملك، تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة، الجزائر، العدد ١٠، ٢٠٠٥، ص ٦٥
[8] نول، ماري & بريور،غاري، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ترجمة: عبد القادر فهيم الشيباني، ط١، سيدي بلعباس، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٩٠
[9] عبد الحميد، شاكر، العملية الإبداعية في فن التصوير، عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٠٩، ١٩٨٧، ص١٢٤
[10] بارو، أندريه، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة، د. عيسى سلمان وسليم طه، بغداد، ١٩٧٧، ص١٥٧
[11] سلفرمان، ج، هيو، أصل وأصول التأريخ بين فوكو ودريدا، ترجمة، حسن ناظم، مجلة بيان الثقافية، ع٨٣،المغرب، ٢٠٠١، ص ١٢٤. انظر ايضاً، مارتن هيدجر، أصل العمل الفني، ترجمة، أبو العيد دودو، منشورات دار الجمل، ألمانيا، ط١، ٢٠٠٣، ص٥٨.
[12] صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٧١، ص١٠١.
[13] فوكو، ميشيل، حفريات المعرفة، ترجمة، سالم يفوت، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ١٩٨٧، ص٤٥.
[14] هيدجر، مارتن، أصل العمل الفني، ترجمة: أبو العيد دودو، دار الجمل، ألمانيا، ط١، ٢٠٠٣، ص٥٨
[15] كلود وديمون لويلان جرمان، علم الدلالة، ترجمة، نور الهدى لوشن، دار الفاضل، دمشق، ١٩٩٤، ص١٧
[16] تودورف وآخرون، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة، عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص٣٣
[17] سعد الله، محمد سالم، السياق السيميائي للوحدات المجازية (إشكالية القراءة وآليات التأويل)، مجلة الموقف الثقافي العدد٢٤ ، السنة ١٩٩٩، ص١١٢، وما بعدها
[18] للمزيد ينظر: https://www.uobabylon.edu.iq/eprints/paper_4_1724_423.pdf
[19] الرديني، صلاح رمضان سيف، المرجع في الرسم المعاصر في اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠٠٥م، ص ٢٤ وما بعدها.
[20] بهنيسي، حفيف، الثورة والفن، وزارة الاعلام مديرية الثقافة العامة، ١٩٧٣م، ص ٥٤_٥٥
[21] القصاب، د. سعد، المرجعية الجمالية، دلالتها وطبيعة تحققها في العمل الفني الفن العربي الحديث نموذجا، مجلة الفنون والإعلام، العدد السابع، ٢٠١٩، تاريخ الزيارة (٢٠٢٣/١٢/٥)، متاح على الرابط: http://mdr.misuratau.edu.ly/handle/123456789/1006
[22] المقداد، قاسم . هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي (جلجامش) . دمشق، ١٩٨٤، ص ٦٠
[23] جبرا ابراهيم، جبرا، العودة الى مدارج المجهول، مجلة المثقف العربي، ع٤، ١٩٧١، ص٦٦
[24] شقرون نزار، شاكر حسن آل سعيد .. الحقيقة في الفن، المركز العربي للفنون، الشارقة، ط١، ٢٠٠٩، ص١٢٩
[25] عادل، كامل، الرسم المعاصر في العراق، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٨ ، ص١٧
[26] عاصم،عبد الأمير، الرسم العراقي .. حداثة تكييف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤، ص٣٠ .

[٢٧] ديورانت، ول، قصة الحضارة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، المجلد الاول ،ج٢ص٣٤ـ ٤١.
[٢٨] ستولنتز، جيروم، النقد الفني، ترجمة، فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ،١٩٨١، ص٣٣٩.
[٢٩] هاوزار، ارنولد، فلسفة تاريخ الفن، ترجمة، رمزي عبده جرجيس وزكي نجيب محمود، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٨، ص٢٥
[٣٠] نفس المصدر، ص١٦
[٣١] اندريه بارو، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة، عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨، ص٩٢، ص ١٩٢.
[٣٢] بارو ، اندريه ، سومر فنونها وحضارتها ، ترجمة ، عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨، ص٢٥٩.
[٣٣] صاحب، زهير و الخطاط سلمان، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين ، ص١١٥،١١٤ـ١١٨
[٣٤] صاحب، زهير و الخطاط سلمان، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين ، بغداد ، ١٩٨٧، ص ١٦٩.
[٣٥] هاوزار ، ارنولد، الفن والمجتمع عبر التاريخ ، ترجمة، فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٦٤
[٣٦] ول ديورانت ، قصة الحضارة ج ٢ ، ت ، محمد بدران ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٨ ، ص ١٥، انظر ايضاً: اندريه بارو ـ اندريه مالرو ، سومر فنونها وحضارتها ، ت ، عيسى سلمان ـ سليم طه ، بغداد، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٧٩ ، ص ٢٩٥
[٣٧] لويد ، سيتون، فنون الشرق الادنى القديم ، ت ، محمد درويش ، بغداد ، دار المأمون ، ١٩٨٨ ، ص ١١٩
[٣٨] اندريه بارو ـ اندريه مالرو مصدر سابق، ص ٢٧٤
[٣٩] ول ديورانت ، مصدر سابق، ص ١٥
[٤٠] مورتكارت ، انطوان الفن في العراق القديم ، ت ، عيسى سلمان – طه سليم ، ط ١ (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٥) ص ٢٣٧
[٤١] اندريه بارو ـ اندريه مالرو، مصدر سابق، ص ٢٦٤
[٤٢] اندريه بارو ـ اندريه مالرو ، مصدر سابق، ص ٢٦٤
[٤٣] ول ديورانت ، مصدر سابق، ص ٢٤
[٤٤] ـ صبحي أنور رشيد ، تماثيل الاسس السومرية ، بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ ، ص ١٤
[٤٥] اندريه بارو ـ اندريه مالرو ، مصدر سابق، ص ٢٧٨
[٤٦] اندريه بارو ـ اندريه مالرو ، نفس المصدر، ص ١٥٦
[٤٧] مورتكارت، انطوان ، مصدر سابق، ص ١٦٤
[٤٨] حكاتة ، ثروت ، مصدر سابق، ص ٢٦٣
[٤٩] سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ت: يعقوب بكر ، (بيروت ، دار الرقي ، ١٩٨٦) ص ١١٠
[٥٠] مورتكارت، انطوان ، مصدر سابق، ص ١٦٦
[٥١] ثروت حكاتة ، الفن العراقي سومر وبابل واشور ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات ، ١٩٨٢) ص ٢٧٤
[٥٢] ـ سبتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ت: يعقوب بكر ، (بيروت ، دار الرقي ، ١٩٨٦) ص ٧٥
[٥٣] ـ ثروت حكاتة، الفن العراقي سومر وبابل واشور ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات ، ١٩٨٢) ص ٢٥٦
[٥٤] اندريه ايمار – جانين أبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، ترجمة فؤاد ـ ج ـ أبو ريحان – فريد م ـ داغر، (بيروت ، عويدات ، ١٩٨٦) ص ١٤٢
[٥٥] ـ مورتكارت، انطوان ، مصدر سابق، ص ٣٥١
[٥٦] ـ ل. ديلا بورت ، بلاد مابين النهرين ، ترجمة ، محرم كمال ، (القاهرة ، الهيئة المصرية ، ١٩٩٧) ص ٣٩
[٥٧] ـ ثروت حكاتة، الفن العراقي سومر وبابل واشور ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات ، ١٩٨٢) ص ٢٧٤
[٥٨] ـ ماكس مالوان ، مذكرات مالوان ، ترجمة ، سمير عبد الرحيم ، (بغداد ، دار المامون ، ١٩٨٧) ص ١٤٦
[٥٩] ـ سبتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة ، د / السيد يعقوب بكر ، ط ١ (بيروت ، دار الرقي ، ١٩٨٦) ص ١٠٩
[٦٠] ـ هورست كلينكل ، حمورابي البابلي وعصره ، ت ، محمد وحيد ، (دمشق ، دار المنارة ، ١٩٩٠) ص ١٨٢
[٦١] ـ مارغريت روثن، تاريخ بابل، ت ، زينة عازار – ميشال ابي فاضل ، (بيروت ، عويدات ، ١٩٨٤) ص ٨٥
[٦٢] ـ حلمي محروس ، الشرق العربي القديم وحضارته ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٧) ص ٤٥
[٦٣] ـ جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ج ١ ، ط ٢ (القاهرة ، مطبعة الهلال ، ١٩٢٢) ص ٤٤
[٦٤] ـ و . ج ، دي بورج ، تراث العالم القديم ، ت ، زكي موسى ، (القاهرة ، مكتبة الاسرة ، ١٩٩٩) ص ٤١
[٦٥] ـ اندريه بارو – اندريه مالرو ، سومر فنونها وحضارتها ، ت ، عيسى سلمان – سليم طه ، ط١ (بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٧٩) ص ٣٣١

٦٦ ـ فراس السواح ، لغز عشتار ، ط ٨ (دمشق ، دار علاء الدين ، ٢٠٠٢) ص ١٤٨
٦٧ ـ فراس السواح ، لغز عشتار ، ط ٨ (دمشق ، دار علاء الدين ، ٢٠٠٢) ص ٢١٦
٦٨ ـ و . ج . دي بورج ، تراث العالم القديم ، ت ، زكي موسى ، (القاهرة ، مكتبة الاسرة ، ١٩٩٩) ص ٤١
٦٩ ـ ميرسيا الياد ، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية ، ت ، عبد الهادي عباس، دار دمشق ، ١٩٨٦ ، ص ٦٦
٧٠ ـ كرستوفر لوكاس ، حضارة الرقم الطينية في العراق ، ت ، يوسف عبد المسيح ، ط ١(بغداد ، دار الجاحظ ، ١٩٨٠) ص ٨٢
٧١ ـ مارغريت روتن ، تاريخ بابل ، ت ، زينة عازار – ميشال ابي فاضل ، بيروت ، عويدات ، ١٩٨٤ ، ص ٥٦
٧٢ ـ مارغريت روتن ، نفس المصدر، ص ٥٩
٧٣ ـ حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته ، (الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٧) ص ٨٦ ـ انظر ايضاً: رشيد الناضوري، دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق، جامعة الاسكندرية ،١٩٥٨، ص ٧٨
٧٤ ـ سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، بيروت، دار الرقي، ١٩٨٦، ص ١١٢
٧٥ ـ فؤاد سفر – ميسر سعيد ، عاجيات نمرود ، ط ١ (بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ٩٨٧) ص ١٣
٧٦ ـ محمد ابو المحاسن عصفور ، معالم حضارات الشرق الادنى القديم ، ط ٢ (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٧) ص ٢٠٨
٧٧ ـ اي .اي . سيبرز ، حضارة وادي الرافدين ، ت ، كاظم سعد الدين ، ط ١(بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٤) ص ٦١
٧٨ ـ بهنام أبو الصوف ، ظلال الوادي العريق ، ط ١ (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٢) ص ١٠٢
٧٩ ـ رويرت كولديفاي، معابد بابل وبورسيبا، ت ، نوال خورشيد، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٥ ، ص ٨٨
٨٠ ـ محمد ابو المحاسن، معالم حضارات الشرق الادنى القديم، بيروت ، دار النهضة ، ١٩٨٧ ، ص ٢٠٥
٨١ ـ محمد ابو المحاسن عصفور ، معالم حضارات الشرق الادنى القديم ، ط ٢ (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٧) ص ٢٠٨
٨٢ ـ انطوان مورتكارت ، الفن في العراق القديم ، ت ، عيسى سلمان – طه سليم ، ط١(بغداد، وزارة الاعلام ، ١٩٧٥) ص ٣٣٩
٨٣ ـ اندريه ايمار – جانين ابوايه ، تاريخ الحضارات العام ، ت ، فريد م . داغر – فؤاد ج . ابو ريحان ، ط ٢ (بيروت ، عويدات ، ١٩٨٦) ص ١٠٨
٨٤ ـ شارل سنيوبوس، تاريخ الحضارة، ت ، محمد كرد علي، القاهرة ، مطبعة الظاهر، ١٩٠٥ ص ١٢٣ ، ٢٣٤
٨٥ عادل كامل، المصادر الاساسية للفنان التشكيلي المعاصر في العراق، الموسوعة الصغيرة، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٩، ص ٢٣
٨٦ منهم عبد القادر الرسام الذي كان ضابطا في الجيش العثماني، والحاج محمد سليم، ومحمد صالح زكي، وعاصم حافظ، وغيرهم.
٨٧ زهير، صاحب واخرين: دراسات في بنية الفن، مطبعة إيكال، بغداد،٢٠٠٢، ص١٣٣
٨٨ عاصم عبد الامير الاعسم ، جماليات الشكل في الفن العراقي الحديث، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة ، ١٩٩٧ ، ص٩٦
٨٩ عادل كامل ، الرسم المعاصر في العراق، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٨ ، ص ٤٧ ـ ٤٨
٩٠ جبرا ابراهيم جبرا، العودة الى مدارج المجهول، مجلة المثقف العربي، ع٤، ١٩٧١، ص ٢٣
٩١ عادل كامل ، الرسم المعاصر في العراق، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٨ ، ص ١٢٨
٩٢ نزار سليم، الرسم العراقي المعاصر، ب ط، ايطاليا، ميلانو، ١٩٧٧، ص٤٩.
٩٣ محمد الجزائري، الفن والقضية، دار افاق عربية، بغداد، ١٩٧٧، ص ١٥٣
٩٤ نقلاً عن : عاصم عبد الامير: الرسم العراقي حداثة تكييف، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠٤، ص٣٤.
٩٥ محمد جلوب الكناني، حدس الانجاز في البنية الابداعية بين العلم والفن، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص ١٤١.
٩٦ شوكت الربيعي،: لوحات وأفكار، السلسلة الفنية، دار الحرية للطباعة، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٦، ص ٦٧
٩٧ عاصم عبدالأمير، فائق حسن بعيدا عن الواقعية، نشرة الواسطي، قسم التوثيق و الدراسات الجمالية، ع١، السنة الثانية، مركز الفنون، بغداد، ١٩٩٤، ص ٣٤
٩٨ عادل كامل ، الرسم المعاصر في العراق، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٨ ، ص ٧٢
٩٩ شوكت الربيعي،: لوحات وأفكار، السلسلة الفنية، دار الحرية للطباعة، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٦، ص ٨١
١٠٠ عادل كامل ، الرسم المعاصر في العراق، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٨ ، ص ١٨١
١٠١ عادل كامل، نفس المصدر، ص ١٤٢
١٠٢ نوري الراوي، تأملات في الفن العراقي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت،١٩٩٩ ،ص١٢٨_١٢٩.



Website address

White Dome Magazine

Republic of Iraq

Baghdad / Bab Al-Muadham

Opposite the Ministry of Health

Department of Research and Studies

Communications

managing editor

07739183761

P.O. Box: 33001

International standard number

ISSN3005_5830

Deposit number

In the House of Books and Documents (1127)

For the year 2023

e-mail

Email

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

General supervision the professor
Alaa Abdul Hussein Al-Qassam
Director General of the
Research and Studies Department editor
a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim
managing editor
Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani
Editorial staff
Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi
Mr. Dr. Ali Abdul Kanno
Mother. Dr . Muslim Hussein Attia
Mother. Dr . Amer Dahi Salman
a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr
a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair
a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan
M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi
M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh
M. Dr . Tariq Odeh Mary
Editorial staff from outside Iraq
a . Dr . Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
a . Dr . Muhammad Khaqani
Isfahan University / Iran
a . Dr . Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
a . Dr . Nour al-Din Abu Lihia
Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria
Proofreading
a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas
Translation
Ali Kazem Chehayeb